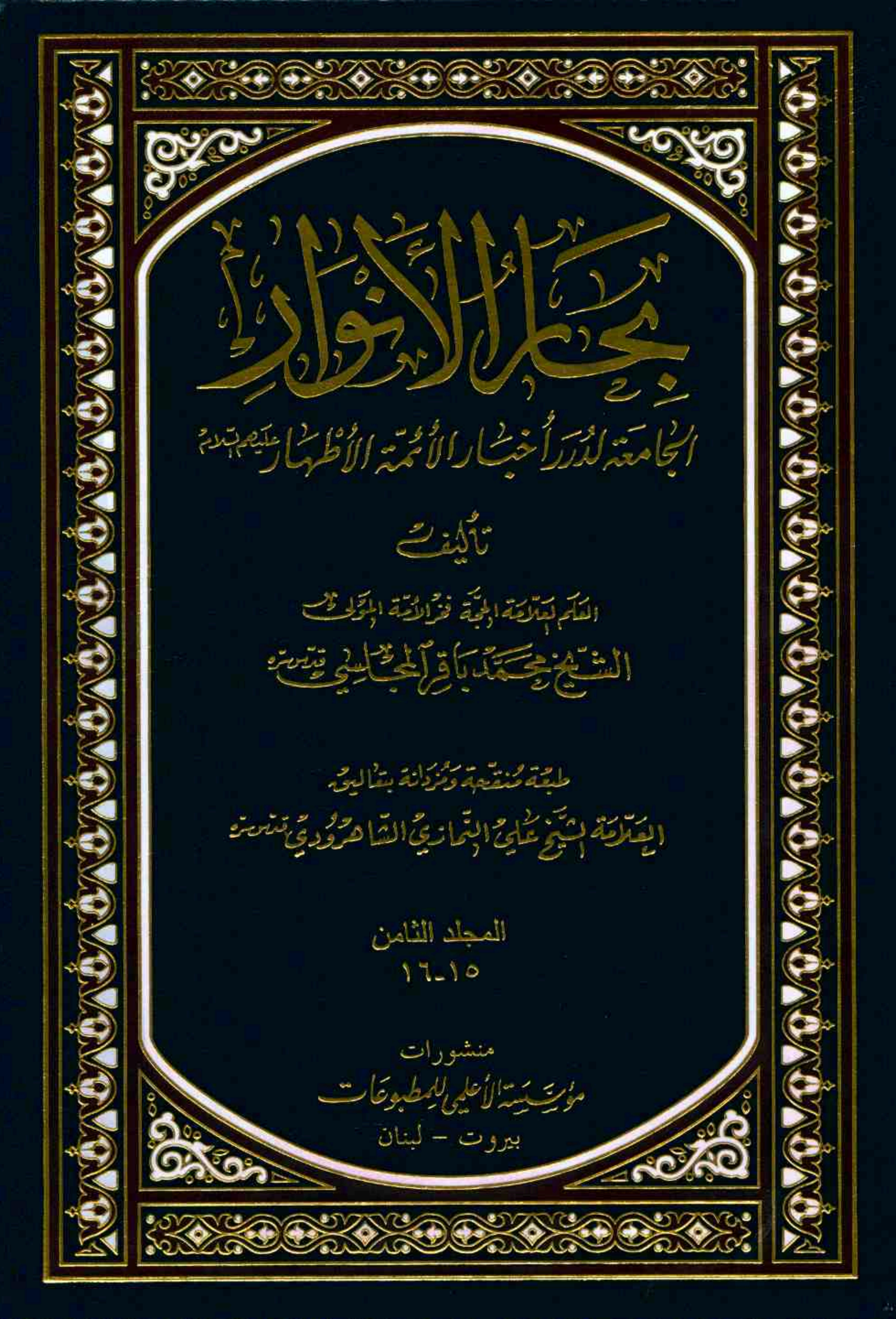

بحار الأنوار
الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام
تأليف
العَلَم العلامة الحجة فخر الأمة المولى
الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره
طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق
العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره
المجلد الثامن
١٥-١٦
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان


والكاظمين الغيظ
الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

١٥ - ١٦

بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

تحقيق وتصحيح

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين

طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق

العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره

الجزء الخامس عشر

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص ب : ٧١٢٠

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - طريق المطار - قرب سنتر زعرور

هاتف:٤٥٠٤٢٦ / ٠١ - فاكس:٤٥٠٤٢٧ / ٠١

صندوق بريد: ٧١٢٠

Published by Aalami Est.

Beirut Airport Road

Tel:01/450426 Fax:01/450427

P.O.Box.7120

E-mail:alaalami@yahoo.com
http://www.alaalami.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الّذي أكرم سيّد أنبيائه محمّداً بالرسالة وشرّفها به، شرائفُ الصلوات وكرائم التحيّات والتسليمات عليه وعلى الأفاخم الأنجبين من عترته وآله.

أما بعد: فيقول الخاطئ القاصر العاثر محمّد بن محمّد التقيّ المدعوّ بباقر عفا الله عن عثراتهما وحشرهما مع مواليهما وساداتهما: هذا هو المجلّد السادس من كتاب بحار الأنوار المشتمل على تاريخ سيّد الأبرار، ونخبة الأخيار، زين الرسالة والنبوّة، وينبوع الحكمة والفتوّة، نبيّ الأنبياء وصفيّ الاصفياء، نجيّ الله ونجيبه، وخليل الله وحبيبه، محمول الأفلاك، ومخدوم الأملاك، صاحب المقام المحمود، وغاية إيجاد كلّ موجود، شمس سماء العرفان، وأسّ بناء الإيمان، شرف الأشراف، وغرّة عبد مناف، بحر السخاء، ومعدن الحياء، رحمة العباد، وربيع البلاد، الّذي به اكتسى الفخر فخراً والشرف شرفاً، وبه تضمّنت الجنان غرفاً، والقصور شرفاً، فركعت السماوات لأعباء نعمه، وسجدت الارضون لموطئ قدمه، وبنوره استضاءت الأنوار، واستنارت الشموس والأقمار، وبظهوره تجلّت الأسرار عن جلابيب الأستار، إمام المرسلين، وفخر العالمين، أبي القاسم محمّد بن عبد الله، خاتم النبيّين، صلوات الله عليه وعلى أهل بيته الأطهرين، وبيان فضائله ومناقبه ومعجزاته ومكارمه وغزواته وسائر أحواله صلّى الله عليه وآله.

١ - باب بدء خلقه وما جرى له في الميثاق، وبدء نوره وظهوره صلّى الله عليه وآله من لدن آدم عليه السلام، وبيان حال آبائه العظام، وأجداده الكرام، لا سيما عبد المطّلب ووالديه عليهم الصلاة والسلام، وبعض أحوال العرب في الجاهلية، وقصة الفيل، وبعض النوادر

الآيات: آل عمران «٣»: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ «٨١».

الأعراف «٧»: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾.

الشعراء «٢٦»: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾

الأحزاب «٣٣»: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾: أي واذكر يا محمّد حين أخذ الله الميثاق من النبيّين خصوصاً بأن يصدّق بعضهم بعضاً، ويتّبع بعضهم بعضاً؛ وقيل: أخذ ميثاقهم على أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادة الله، وأن يصدّق بعضهم بعضاً، وأن ينصحوا لقومهم ﴿وَمِنكَ﴾ يا محمّد، وإنّما قدّمه لفضله وشرفه ﴿وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ خصّ هؤلاء لأنّهم أصحاب الشرائع ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ أي عهداً شديداً على الوفاء بما حمّلوا من أعباء الرسالة، وتبليغ الشرائع؛ وقيل: على أن يعلنوا أن محمّداً رسول الله، ويعلن محمّد أن لا نبي بعده ﴿لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ قيل: معناه: إنّما فعل ذلك ليسأل الأنبياء والمرسلين ما الّذي جاءت به أممكم وقيل: ليسأل الصادقين في توحيد الله وعدله والشرائع ﴿عَن صِدْقِهِمْ﴾ أي عمّا كانوا يقولونه فيه تعالى، فيقال لهم: هل ظلم الله أحداً؟ هل جازى كلّ إنسان بفعله؟ هل عذّب بغير ذنب؟ ونحو ذلك، فيقولون: نعم عدل في حكمه، وجازى كلاً بفعله؛ وقيل: معناه: ليسأل الصادقين في أقوالهم عن صدقهم في أفعالهم؛ وقيل: ليسأل الصادقين ماذا قصدتم بصدقكم؟ وجه الله أو غيره(١)؟.

أقول: سيأتي تفسير سائر الآيات، وسنورد الأخبار المتضمنة لتأويلها في هذا الباب وغيره.

١ - **فس:** محمّد بن الوليد، عن محمّد بن الفرات، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ في النبوة ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ قال: في أصلاب النبيّين(٢).

٢ - **كنز:** محمّد بن العبّاس، عن الحسين بن هارون، عن عليّ بن مهزيار، عن أخيه عن ابن أسباط، عن عبد الرحمن بن حمّاد، عن أبي الجارود قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ قال: يرى تقلّبه في أصلاب النبيّين من نبيّ إلى نبيّ حتّى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم عليه السلام(٣).

٣ - **ير:** بعض أصحابنا، عن محمّد بن الحسين، عن عليّ بن أسباط، عن عليّ بن معمّر عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾ قال: يعني به محمّداً صلى الله عليه وآله حيث دعاهم إلى الإقرار بالله في الذرّ الأوّل(٤).

٤ - **ل، مع:** الحاكم أحمد بن محمّد بن عبد الرحمن المروزيّ، عن محمّد بن إبراهيم الجرجانيّ عن عبد الصمد بن يحيى الواسطيّ، عن الحسن بن عليّ المدنيّ، عن عبد الله بن

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ١٢٣.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٠٠.
(٣) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٣٩٢.
(٤) بصائر الدرجات، ج ٢ ص ٩٥ باب ١٤ ح ٦.

المبارك، عن سفيان الثوريّ، عن جعفر بن محمّد الصادق، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق نور محمّد صلى الله عليه وآله قبل أن خلق السماوات والأرض والعرش والكرسيّ واللّوح والقلم والجنّة والنار وقبل أن خلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم السلام وكلّ من قال الله عزّ وجلّ في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ إلى قوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وقبل أن خلق الأنبياء كلّهم بأربع مائة ألف سنة وأربع وعشرين ألف سنة، وخلق عزّ وجلّ معه اثني عشر حجاباً: حجاب القدرة، وحجاب العظمة، وحجاب المنّة، وحجاب الرحمة، وحجاب السعادة، وحجاب الكرامة، وحجاب المنزلة، وحجاب الهداية، وحجاب النبوّة، وحجاب الرفعة، وحجاب الهيبة، وحجاب الشفاعة. ثمّ حبس نور محمّد صلى الله عليه وآله في حجاب القدرة اثني عشر ألف سنة، وهو يقول: «سبحان ربّي الأعلى» وفي حجاب العظمة إحدى عشر ألف سنة، وهو يقول: «سبحان عالم السرّ» وفي حجاب المنّة عشرة آلاف سنة، وهو يقول: «سبحان من هو قائم لا يلهو» وفي حجاب الرحمة تسعة آلاف سنة، وهو يقول: «سبحان الرفيع الأعلى» وفي حجاب السعادة ثمانية آلاف سنة وهو يقول: «سبحان من هو دائم لا يسهو» وفي حجاب الكرامة سبعة آلاف سنة، وهو يقول: «سبحان من هو غنيٌّ لا يفتقر» وفي حجاب المنزلة ستّة آلاف سنة، وهو يقول: «سبحان العليم الكريم» وفي حجاب الهداية خمسة آلاف سنة، وهو يقول: «سبحان ذي العرش العظيم» وفي حجاب النبوّة أربعة آلاف سنة وهو يقول: «سبحان ربّ العزة عمّا يصفون» وفي حجاب الرفعة ثلاثة آلاف سنة، وهو يقول: «سبحان ذي الملك والملكوت» وفي حجاب الهيبة ألفي سنة، وهو يقول: «سبحان الله وبحمده» وفي حجاب الشفاعة ألف سنة، وهو يقول: «سبحان ربّي العظيم وبحمده» ثمّ أظهر اسمه على اللّوح فكان على اللّوح منوّراً أربعة آلاف سنة، ثمّ أظهره على العرش فكان على ساق العرش مثبتاً سبعة آلاف سنة، إلى أن وضعه الله عزّ وجلّ في صلب آدم عليه السلام [1]، ثمّ نقله من صلب آدم عليه السلام إلى صلب نوح عليه السلام، ثمّ من صلب إلى صلب حتّى أخرجه الله عزّ وجلّ من صلب عبد الله بن عبد المطّلب، فأكرمه بستّ كرامات: ألبسه قميص الرضا، وردّاه برداء الهيبة، وتوّجه بتاج الهداية، وألبسه سراويل المعرفة، وجعل

---

(١) قال المصنف في الحاشية: لما كانوا عليهم السلام هم المقصودون من خلق آدم عليه السلام وسائر ذريته، فكان خلق آدم عليه السلام من الطينة الطيبة ليكون قابلاً لخروج تلك الأشخاص المقدسة منه، وربى تلك الطينة في الآباء والأمهات حتى كملت قابليتها في عبد الله وأبي طالب، فخلق المقدسين منهما، فيحتمل أن يكون حفظ النور وانتقاله من الاصلاب كناية عن انتقال تلك القابلية، واستكمال هذا الاستعداد، وما ورد ان كمالهم وفضلهم كان سبب الاشتمال على أنوارهم يستقيم على هذا، وكذا ما ضارعها من الأخبار والله يعلم تلك الأسرار، وحججه الأخيار عليهم السلام (منه عفي عنه).

تكّته تكّة المحبّة، يشدّ بها سراويله، وجعل نعله نعل الخوف، وناوله عصا المنزلة. ثمّ قال: يا محمّد اذهب إلى الناس فقل لهم: قولوا: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله. وكان أصل ذلك القميص من ستّة أشياء: قامته من الياقوت، وكمّاه من اللّؤلؤ، ودخريصه من البلّور الأصفر، وإبطاه من الزبرجد، وجربّانه من المرجان الأحمر، وجيبه من نور الربّ جلّ جلاله، فقبل الله عزّوجلّ توبة آدم عليه‌السلام بذلك القميص، وردّ خاتم سليمان عليه‌السلام به وردّ يوسف عليه‌السلام إلى يعقوب عليه‌السلام به، ونجّى يونس عليه‌السلام من بطن الحوت به، وكذلك سائر الأنبياء عليهم‌السلام أنجاهم من المحن به، ولم يكن ذلك القميص إلاّ قميص محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله [(١)].

بيان: قوله: (ثم حبس نور محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله) ليس الغرض ذكر جميع أحواله صلى‌الله‌عليه‌وآله في الذرّ لعدم موافقة العدد بل قد جرى على نوره أحوال قبل تلك الأحوال أو بعدها أو بينها لم تذكر في الخبر. والدخريص بالكسر: لبنة القميص. وجربّان القميص بضمّ الجيم والراء وتشديد الباء معرّب كريبان.

٥ - **فر:** عن جعفر بن محمّد الفزاريّ بإسناده عن قبيصة بن يزيد الجعفيّ قال: دخلت على الصادق عليه‌السلام وعنده ابن ظبيان والقاسم الصيرفيّ، فسلّمت وجلست وقلت: يا ابن رسول الله أين كنتم قبل أن يخلق الله سماءً مبنيّة، وأرضاً مدحيّة أو ظلمة أو نوراً قال: كنّا أشباح نور حول العرش، نسبح الله قبل أن يخلق آدم عليه‌السلام بخمسة عشر ألف عام، فلمّا خلق الله آدم عليه‌السلام فرغنا في صلبه، فلم يزل ينقلنا من صلب طاهر إلى رحم مطهّر حتّى بعث الله محمّداً صلى‌الله‌عليه‌وآله الخبر [(٢)].

٦ - **فر:** جعفر بن محمّد بن بشرويه القطّان، بإسناده عن الأوزاعي، عن صعصعة بن صوحان والأحنف بن قيس، عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله: خلقني الله نوراً تحت العرش قبل أن يخلق آدم عليه‌السلام باثني عشر ألف سنة، فلمّا أن خلق الله آدم عليه‌السلام ألقى النور في صلب آدم عليه‌السلام فأقبل ينتقل ذلك النور من صلب إلى صلب حتّى افترقنا في صلب عبد الله بن عبد المطّلب وأبي طالب، فخلقني ربّي من ذلك النور لكنّه لا نبيّ بعدي [(٣)].

٧ - **ع:** إبراهيم بن هارون، عن محمّد بن أحمد بن أبي الثلج، عن عيسى بن مهران، عن منذ ر الشراك، عن إسماعيل بن عليّة، عن أسلم بن ميسرة العجليّ، عن أنس بن مالك، عن معاذ بن جبل أنّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله قال: إنّ الله خلقني وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين من قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام، قلت: فأين كنتم يا رسول الله؟ قال: قدّام العرش، نسبّح الله ونحمده ونقدّسه ونمجّده، قلت: على أيّ مثال: قال: أشباح نور، حتّى إذا أراد الله عزّوجلّ أن يخلق صورنا صيّرنا عمود نور، ثمّ قذفنا في صلب آدم، ثمّ أخرجنا إلى اصلاب

(١) الخصال، ص ٤٨٢ باب الاثني عشر ح ٥٥، معاني الأخبار ص ٢٠٦.
(٢) تفسير فرات الكوفي، ج ٢ ص ٥٥٢. (٣) تفسير فرات الكوفي، ج ٢ ص ٥٠٥.

الآباء وأرحام الأمّهات، ولا يصيبنا نجس الشرك، ولا سفاح الكفر، يسعد بنا قوم ويشقى بنا آخرون، فلمّا صيّرنا إلى صلب عبد المطلب أخرج ذلك النور فشقه نصفين، فجعل نصفه في عبد الله، ونصفه في أبي طالب، ثمّ أخرج الّذي لي إلى آمنة، والنصف إلى فاطمة بنت أسد، فأخرجتني آمنة، وأخرجت فاطمة عليّاً، ثمّ أعاد عزّوجلّ العمود إليّ فخرجت منّي فاطمة، ثمّ أعاد عزّوجلّ العمود إلى عليّ فخرج منه الحسن والحسين يعني من النصفين جميعاً - فما كان من نور عليّ فصار في ولد الحسن، وما كان من نوري صار في ولد الحسين، فهو ينتقل في الأئمّة من ولده إلى يوم القيامة[1].

٨ - **فر:** جعفر بن محمّد الأحمسيّ بإسناده عن أبي ذرّ الغفاريّ، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله في خبر طويل في وصف المعراج ساقه إلى أن قال: - قلت: يا ملائكة ربّي هل تعرفونا حقّ معرفتنا، فقالوا: يا نبيّ الله وكيف لا نعرفكم وأنتم أوّل ما خلق الله؟ خلقكم أشباح نور من نوره في نور من سناء عزّه، ومن سناء ملكه، ومن نور وجهه الكريم، وجعل لكم مقاعد في ملكوت سلطانه، وعرشه على الماء قبل أن تكون السماء مبنيّة، والأرض مدحيّة، ثمّ خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام، ثمّ رفع العرش إلى السماء السابعة فاستوى على عرشه وأنتم أمام عرشه تسبّحون وتقدّسون وتكبّرون، ثمّ خلق الملائكة من بدء ما أراد من أنوار شتّى؛ وكنّا نمرّ بكم وأنتم تسبّحون وتحمدون وتهلّلون وتكبّرون وتمجّدون وتقدّسون، فنسبّح ونقدّس ونمجّد ونكبّر ونهلّل بتسبيحكم وتحميدكم وتهليلكم وتكبيركم وتقديسكم وتمجيدكم، فما أنزل من الله فإليكم وما صعد إلى الله فمن عندكم، فلمَ لا نعرفكم؟ اقرىء عليّاً منّا السلام - وساقه إلى أن قال: ثمّ عرج بي إلى السماء السّابعة، فسمعت الملائكة يقولون لمّا أن رأوني: الحمد لله الّذي صدقنا وعده، ثمّ تلقّوني وسلّموا عليّ، وقالوا لي مثل مقالة أصحابهم، فقلت: يا ملائكة ربّي سمعتكم تقولون: الحمد لله الّذي صدقنا وعده، فما الّذي صدقكم؟ قالوا: يا نبيّ الله إنّ الله تبارك وتعالى لمّا أن خلقكم أشباح نور من سناء نوره ومن سناء عزّه، وجعل لكم مقاعد في ملكوت سلطانه عرض ولايتكم علينا، ورسخت في قلوبنا، فشكونا محبّتك إلى الله، فوعد ربّنا أن يريناك في السماء معنا، وقد صدقنا وعده. الخبر[2].

٩ - **خص:** الحسين بن حمدان، عن الحسين المقري الكوفيّ، عن أحمد بن زياد الدهقان عن المخول بن إبراهيم، عن رشدة بن عبد الله، عن خالد المخزوميّ، عن سلمان الفارسيّ رضي الله عنه في حديث طويل قال: قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: يا سلمان فهل علمت من نقبائي ومن الاثنا عشر الّذين اختارهم الله للإمامة بعدي؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: يا سلمان

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٤٦ باب ١٥٦ ح ١١. وقال المصنف: أكثر هذه الأخبار تدل على تقدم خلق الأرواح على الأجساد، وبعضها على عالم المثال، والله يعلم حقيقة الحال انتهى. (منه رحمه الله).

(٢) تفسير فرات، ج ١ ص ٣٧٠.

خلقني الله من صفوة نوره ودعاني فأطعت، وخلق من نوري عليّاً فدعاه فأطاعه، وخلق من نوري ونور عليّ فاطمة فدعاها فأطاعته، وخلق منّي ومن عليّ وفاطمة الحسن والحسين فدعاهما فأطاعاه، فسمّانا بالخمسة الأسماء من أسمائه: الله المحمود وأنا محمّد، والله العليّ وهذا عليّ، والله الفاطر وهذه فاطمة، والله ذو الإحسان وهذا الحسن، والله المحسن وهذا الحسين، ثمّ خلق منّا من صلب الحسين تسعة أئمّة فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق الله سماءً مبنيّة، وأرضاً مدحيّة، أو هواء أو ماءً أو ملكاً أو بشراً، وكنّا بعلمه نوراً نسبحه ونسمع ونطيع. الخبر[١].

١٠ - **كنز:** من كتاب الواحدة عن أبي محمّد الحسن بن عبد الله الكوفيّ، عن جعفر بن محمّد البجليّ، عن أحمد بن حميد، عن الثماليّ[٢]، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى أحدٌ واحدٌ تفرّد في وحدانيته، ثمّ تكلّم بكلمة فصارت نوراً، ثمّ خلق من ذلك النور محمّداً صلى الله عليه وآله وخلقني وذرّيّتي، ثمّ تكلّم بكلمة فصارت روحاً، فأسكنه الله في ذلك النور، وأسكنه في أبداننا، فنحن روح الله وكلماته، وبنا احتجب عن خلقه، فما زلنا في ظلّة خضراء حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ولا عين تطرف، نعبده ونقدّسه ونسبّحه قبل أن يخلق الخلق. الخبر[٣].

١١ - **كنز:** عن محمّد بن الحسن الطوسيّ رحمه الله في كتابه مصباح الأنوار[٤] بإسناده عن أنس عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله خلقني وخلق عليّاً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم عليه السلام حين لا سماء مبنيّة، ولا أرض مدحيّة، ولا ظلمة ولا نور ولا شمس ولا قمر ولا جنّة ولا نار، فقال العبّاس: فكيف كان بدء خلقكم يا رسول الله؟ فقال: يا عمّ لمّا أراد الله أن يخلقنا تكلم بكلمة خلق منها نوراً، ثمّ تكلّم بكلمة أُخرى فخلق منها روحاً، ثمّ مزج النور بالروح، فخلقني وخلق عليّاً وفاطمة والحسن والحسين، فكنّا نسبّحه حين لا تسبيح، ونقدّسه حين لا تقديس، فلمّا أراد الله تعالى أن ينشيء خلقه فتق نوري فخلق منه العرش فالعرش من نوري، ونوري من نور الله، ونوري أفضل من العرش، ثمّ فتق نور أخي عليّ فخلق منه الملائكة، فالملائكة من نور عليّ، ونور عليّ من نور الله، وعليّ أفضل من

---

(١) روى العامة أن الله تعالى سمّى الخمسة الطاهرة عليهم السلام بخمسة أسماء من أسمائه راجع كتاب الغدير طبعة الأعلمي ج ٢ ص ٣٠٠ [النمازي].

(٢) نقل هذه الرواية في ج ٢٦ ص ٢٠٠ ح ٥١ عن جعفر بن محمد البجلي عن أحمد بن محمد البرقي عن ابن أبي نجران عن عاصم بن حميد عن الثمالي [النمازي].

(٣) تأويل الآيات الظاهرة، ص ١٢١.

(٤) قال المصنف في الهامش: وجدته في المصباح لكنه ليس من الشيخ كما مر في الفهرست انتهى (منه رحمه الله).

الملائكة، ثمّ فتق نور ابنتي فخلق منه السماوات والأرض فالسماوات والأرض من نور ابنتي فاطمة، ونور ابنتي فاطمة من نور الله، وابنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض، ثمّ فتق نور ولدي الحسن فخلق منه الشمس والقمر، فالشمس والقمر من نور ولدي الحسن، ونور الحسن من نور الله، والحسن أفضل من الشمس والقمر، ثمّ فتق نور ولدي الحسين فخلق منه الجنّة والحور العين، فالجنّة والحور العين من نور ولدي الحسين، ونور ولدي الحسين من نور الله، وولدي الحسين أفضل من الجنّة والحور العين. الخبر(١).

١٢ - **مع:** القطّان، عن الطالقانيّ، عن الحسن بن عرفة، عن وكيع، عن محمّد بن إسرائيل، عن أبي صالح، عن أبي ذرّ رحمة الله عليه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: خلقت أنا وعليّ بن أبي طالب من نور واحد، نسبّح الله يمنة العرش قبل أن خلق آدم بألفي عام، فلمّا أن خلق الله آدم عليه السلام جعل ذلك النور في صلبه، ولقد سكن الجنّة ونحن في صلبه، ولقد همّ بالخطيئة ونحن في صلبه، ولقد ركب نوح عليه السلام السفينة ونحن في صلبه، ولقد قذف إبراهيم عليه السلام في النار ونحن في صلبه، فلم يزل ينقلنا الله عزّ وجلّ من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة حتّى انتهى بنا إلى عبد المطّلب، فقسمنا بنصفين، فجعلني في صلب عبد الله، وجعل عليّاً في صلب أبي طالب، وجعل فيَّ النبوّة والبركة، وجعل في عليّ الفصاحة والفروسيّة، وشقّ لنا اسمين من أسمائه، فذو العرش محمود وأنا محمّد، والله الأعلى وهذا عليّ(٢).

١٣ - **مع:** المكتّب، عن الورّاق، عن بشر بن سعيد، عن عبد الجبّار بن كثير، عن محمّد ابن حرب الهلاليّ أمير المدينة، عن الصادق عليه السلام قال: إنّ محمّداً وعليّاً صلوات الله عليهما كانا نوراً بين يدي الله جلّ جلاله قبل خلق الخلق بألفي عام، وإنّ الملائكة لمّا رأت ذلك النور رأت له أصلاً وقد انشعب منه شعاع لامع، فقالت: إلهنا وسيّدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليهم: هذا نور من نوري أصله نبوّة وفرعه إمامة، فأمّا النبوّة فلمحمّد عبدي ورسولي، وأمّا الإمامة فلعليّ حجّتي ووليّي، ولولاهما ما خلقت خلقي الخبر(٣).

١٤ - **ما:** المفيد، عن عليّ بن الحسين البصريّ، عن أحمد بن إبراهيم القمّيّ، عن محمّد ابن عليّ الأحمر، عن نصر بن عليّ، عن حميد، عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كنت أنا وعليّ عن يمين العرش، نسبّح الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلمّا خلق آدم

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة، ص ١٤٣. (٢) معاني الأخبار، ص ٥٦.

(٣) معاني الأخبار، ص ٣٥١. روى العامّة من طرقهم عن أبي هريرة، عن النّبي ﷺ أنّه قال: لمّا خلق الله تعالى آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمنة العرش، فإذا في النور خمسة أشباح؛ إلى أن قال: قال تعالى: هؤلاء خمسة من ولدك، لولاهم ما خلقتك، هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي لولاهم ما خلقت الجنّة والنّار ولا العرش ولا الكرسي ولا السّماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجن؛ راجع كتاب الغدير ط٢ ج٢ ص٣٠٠. [النمازي].

جعلنا في صلبه، ثمّ نقلنا من صلب إلى صلب في أصلاب الطاهرين وأرحام المطهّرات حتّى انتهينا إلى صلب عبد المطّلب، فقسمنا قسمين: فجعل في عبد الله نصفاً، وفي أبي طالب نصفاً، وجعل النبوّة والرسالة فيَّ، وجعل الوصيّة والقضيّة في عليّ، ثمّ اختار لنا اسمين اشتقّهما من أسمائه: فالله المحمود وأنا محمّد، والله العليّ وهذا عليّ، فأنا للنبوّة والرسالة، وعليّ للوصيّة والقضيّة[١].

١٥ - **ما:** الفحّام، عن محمّد بن أحمد الهاشميّ، عن عيسى بن أحمد بن عيسى، عن أبي الحسن العسكريّ، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا عليّ خلقني الله تعالى وأنت من نور الله حين خلق آدم، فأفرغ ذلك النور في صلبه، فأفضى به إلى عبد المطّلب، ثمّ افترق من عبد المطّلب أنا في عبد الله، وأنت في أبي طالب، لا تصلح النبوّة إلاّ لي، ولا تصلح الوصيّة إلاّ لك، فمن جحد وصيّتك جحد نبوّتي، ومن جحد نبوّتي كبّه الله على منخريه في النار[٢].

١٦ - **ما:** بإسناده عن أنس بن مالك قال: قلت للنبيّ صلى الله عليه وآله: يا رسول الله عليّ أخوك؟ قال: نعم عليّ أخي، قلت: يا رسول الله صف لي كيف عليّ أخوك؟ قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق ماءً تحت العرش قبل أن يخلق آدم بثلاثة آلاف عام، وأسكنه في لؤلؤة خضراء في غامض علمه إلى أن خلق آدم، فلمّا خلق آدم نقل ذلك الماء من اللّؤلؤة فأجراه في صلب آدم[٣]، إلى أن قبضه الله، ثمّ نقله إلى صلب شيث، فلم يزل ذلك الماء ينتقل من ظهر إلى ظهر حتّى صار في عبد المطّلب، ثمّ شقّه الله عزّ وجلّ نصفين: فصار نصفه في أبي عبد الله بن عبد المطّلب، ونصفه في أبي طالب، فأنا من نصف الماء وعليّ من النصف الآخر فعلي أخي في الدنيا والآخرة. ثمّ قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾[٤].

أقول: سيأتي الأخبار الكثيرة في بدء خلقه صلى الله عليه وآله في كتاب أحوال أمير المؤمنين عليه السلام وكتاب الإمامة.

١٧ - **ع:** القطّان، عن ابن زكريّا، عن البرمكيّ، عن عبد الله بن داهر، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا مفضّل أما علمت أنّ الله تبارك وتعالى بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وهو روح إلى الأنبياء عليهم السلام وهم أرواح قبل خلق الخلق بألفي عام؟ قلت: بلى، قال: أما علمت أنّه دعاهم إلى توحيد الله وطاعته واتّباع أمره

(١) أمالي الطوسي، ص ١٨٣ مجلس ٧ ح ٣٠٧.

(٢) أمالي الطوسي، ص ٢٩٥ مجلس ١١ ح ٥٧٧.

(٣) إجراء الماء في صلب آدم أيضاً يحتمل أن يكون كناية عن الاستعداد لخروج تلك الأنوار منه كما عرفت (منه رحمه الله).

(٤) أمالي الطوسي، ص ٣١٣ ذيل ح ٦٣٧.

ووعدهم الجنّة على ذلك، وأوعد من خالف ما أجابوا إليه وأنكره النار؟ فقلت: بلى. الخبر[(١)].

١٨ - **مع:** بإسناده عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: لمّا خلق الله عزّ ذكره آدم ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأسكنه جنّته وزوّجه حوّاء أمته فرفع طرفه نحو العرش فإذا هو بخمسة سطور مكتوبات، قال آدم: يا ربّ من هؤلاءِ؟ قال الله عزّ وجلّ له: هؤلاء الّذين إذا تشفّع بهم إليّ خلقي شفّعتهم فقال آدم: يا ربّ بقدرهم عندك ما اسمهم؟ قال: أمّا الأوّل فأنا المحمود وهو محمّد، والثاني فأنا العالي الأعلى وهذا عليّ، والثالث فأنا الفاطر وهذه فاطمة، والرابع فأنا المحسن وهذا حسن، والخامس فأنا ذو الإحسان وهذا حسين، كلٌّ يحمد الله عزّ وجل[(٢)].

أقول: سيأتي في ذلك أخبار كثيرة في كتاب الإمامة.

١٩ - **ما:** جماعة، عن أبي المفضّل، عن محمّد بن علي بن مهديّ وغيره، عن محمّد بن عليّ بن عمرو، عن أبيه، عن جميل بن صالح، عن أبي خالد الكابليّ، عن ابن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ألا إنّي عبد الله وأخو رسوله، وصدّيقه الأوّل، قد صدّقته وآدم بين الروح والجسد، ثمّ إنّي صدّيقه الأوّل في أُمّتكم حقّاً، فنحن الأوّلون ونحن الآخرون. الخبر[(٣)].

٢٠ - **فس:** أبي، عن النضر، عن يحيى الحلبيّ عن ابن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أوّل من سبق من الرسل إلى ﴿بَلَىٰ﴾ رسول الله ﷺ، وذلك أنّه كان أقرب الخلق إلى الله تبارك وتعالى. الخبر[(٤)].

٢١ - **ع:** الصائغ، عن أحمد الهمدانيّ، عن جعفر بن عبيد الله، عن ابن محبوب عن صالح بن سهل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ بعض قريش قال لرسول الله ﷺ: بأيّ شيء سبقت الأنبياء وفضّلت عليهم وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال: إنّي كنت أوّل من أقرّ بربّي جلّ جلاله، وأوّل من أجاب، حيث أخذ الله ميثاق النبيّين، وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، فكنت أوّل نبيّ قال ﴿بَلَىٰ﴾ فسبقتهم إلى الإقرار بالله عزّ وجلّ[(٥)].

ير: ابن محبوب عن صالح مثله. «ج٢ باب ١٤ ح ٢».

شي: عن صالح مثله[(٦)].

٢٢ - **ع:** ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن عبد الرحمن بن كثير، عن داود الرقّي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أراد الله عزّ وجلّ أن يخلق

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١٩٤ باب ١٣٠ ح ١.
(٢) معاني الأخبار، ص ١٥٦.
(٣) أمالي الطوسي، ص ٦٢٦ مجلس ٣٠ ح ١٢٩٢.
(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٤٨.
(٥) علل الشرائع، ج ١ ص ١٥١ باب ١٠٤ ح ١.
(٦) تفسير العياشي ج ٢ ص ٤٢ ح ١٠٧.

الخلق خلقهم ونشرهم بين يديه، ثمّ قال لهم: من ربّكم؟ فأوّل من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة صلوات الله عليهم أجمعين، فقالوا: أنت ربّنا، فحمّلهم العلم والدين، ثمّ قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي، وهم المسؤولون، ثمّ قال لبني آدم: أقرّوا لله بالربوبيّة، ولهؤلاء النفر بالطاعة والولاية، فقالوا: نعم ربّنا أقررنا، فقال الله جلّ جلاله للملائكة: اشهدوا، فقالت الملائكة: شهدنا على أن لا يقولوا غداً: إنّا كنّا عن هذا غافلين، أو يقولوا: إنّما أشرك آباؤنا من قبل وكنّا ذرّيّة من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون، يا داود الأنبياء مؤكّدة عليهم في الميثاق(١).

٢٣ - **ير**: عليّ بن إسماعيل، عن محمّد بن إسماعيل، عن سعدان، عن صالح بن سهل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله بأيّ شيء سبقت ولد آدم؟ قال: إنّي أوّل من أقرّ ببلى، إنّ الله أخذ ميثاق النبيّين وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربّكم؟ قالوا: بلى، فكنت أوّل من أجاب(٢).

٢٤ - **شي**: عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ إلى ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ قال: كان محمّد عليه وآله السلام أوّل من قال بلى(٣).

٢٥ - **فس**: قال الصادق عليه السلام في قول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ الآية، كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبيّة، ولرسوله بالنبوّة، ولأميرالمؤمنين والأئمّة بالإمامة، فقال: ألست بربّكم، ومحمّد نبيّكم، وعليّ إمامكم، والأئمّة الهادون أئمتكم؟ فقالوا: بلى، فقال الله: ﴿أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي لئلاّ تقولوا يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ فأوّل ما أخذ الله عزّ وجلّ الميثاق على الأنبياء له بالربوبيّة وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ﴾ فذكر جملة الأنبياء ثمّ أبرز أفضلهم بالأسامي، فقال: ﴿وَمِنكَ﴾ يا محمّد، فقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله لأنّه أفضلهم ﴿وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء، ورسول الله أفضلهم، ثمّ أخذ بعد ذلك ميثاق رسول الله صلى الله عليه وآله على الأنبياء بالإيمان به، وعلى أن ينصروا أمير المؤمنين، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام، تخبروا أممكم بخبره وخبر وليّه والأئمّة(٤).

٢٦ - **ع**: أبي، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن موسى بن عمر، عن ابن سنان، عن أبي سعيد القمّاط عن بكير قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: هل تدري ما كان الحجر؟

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١٤٣ باب ٩٧ ح ٢.

(٢) بصائر الدرجات، ج ٢ ص ٩٥ باب ١٤ ح ١٢.

(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٤٢ ح ١٠٨ من سورة الأعراف. (٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٤٨.

قال: قلت لا، قال: كان ملكاً عظيماً من عظماء الملائكة عند الله عزّوجلّ، فلمّا أخذ الله الميثاق من الملائكة له بالربوبيّة ولمحمّد صلى الله عليه وآله بالنبوّة ولعليّ بالوصيّة اصطكّت فرائص الملائكة، وأوّل من أسرع إلى الإقرار ذلك الملك، ولم يكن فيهم أشدّ حبّاً لمحمّد وآل محمّد منه، فلذلك اختاره الله عزّوجلّ من بينهم، وألقمه الميثاق، فهو يجيء يوم القيامة وله لسان ناطق، وعين ناظرة، ليشهد لكلّ من وافاه إلى ذلك المكان، وحفظ الميثاق[1].

أقول: سيأتي الخبر بتمامه مع سائر الأخبار في ذلك في كتاب الإمامة وكتاب الحجّ إن شاء الله تعالى.

٢٧ - **ما:** المفيد، عن ابن قولويه، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن معروف، عن محمّد بن سنان، عن طلحة بن زيد، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما قبض الله نبيّاً حتّى أمره أن يوصي إلى عشيرته من عصبته، وأمرني أن أوصي، فقلت: إلى من يا ربّ؟ فقال: أوص يا محمّد إلى ابن عمّك عليّ بن أبي طالب، فإنّي قد أثبتّه في الكتب السالفة، وكتبت فيها أنّه وصيّك، وعلى ذلك أخذت ميثاق الخلائق ومواثيق أنبيائي ورسلي، أخذت مواثيقهم لي بالربوبيّة، ولك يا محمّد بالنبوّة، ولعليّ بن أبي طالب بالولاية[2].

أقول: سيأتي سائر الأخبار في ذلك في كتاب الإمامة، فإنّ ذكرها في الموضعين يوجب التكرار.

٢٨ - **كا:** أحمد بن إدريس، عن الحسين بن عبيد الله، عن محمّد بن عيسى، ومحمّد بن عبد الله، عن عليّ بن حديد، عن مرازم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: يا محمّد إنّي خلقتك وعليّاً نوراً - يعني روحاً - بلا بدن قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري، فلم تزل تهلّلني وتمجّدني، ثمّ جمعت روحيكما فجعلتهما واحدة، فكانت تمجّدني وتقدّسني وتهلّلني، ثمّ قسمتها ثنتين، وقسمت الثنتين ثنتين، فصارت أربعة: محمّد واحد، وعليّ واحد، والحسن والحسين ثنتان، ثمّ خلق الله فاطمة من نور ابتدأها روحاً بلا بدن، ثمّ مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا[3].

٢٩ - **كا:** الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن عبد الله بن إدريس، عن محمّد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة، فقال: يا محمّد إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل متفرّداً بوحدانيّته، ثمّ خلق محمّداً وعليّاً وفاطمة فمكثوا ألف دهر، ثمّ خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوّض أمورها إليهم، فهم

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٣٧ باب ١٦٤ ح ١. (٢) أمالي الطوسي ص ١٠٤ مجلس ٤ ح ١٦٠.
(٣) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٦٣ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ح ٣.

يحلّون ما يشاؤون، ويحرّمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلاّ أن يشاء الله تبارك وتعالى، ثمّ قال: يا محمّد هذه الديانة الّتي من تقدّمها مرق، ومن تخلّف عنها محق، ومن لزمها لحق، خذها إليك يا محمّد(١).

٣٠ - **ما:** جماعة عن أبي المفضّل، عن رجاء بن يحيى، عن داود بن القاسم، عن عبد الله ابن الفضل، عن هارون بن عيسى بن بهلول، عن بكّار بن محمّد بن شعبة، عن أبيه، عن بكر ابن عبد الملك، عن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ خلق الله النّاس من أشجار شتّى، وخلقني وأنت من شجرة واحدة، أنا أصلها وأنت فرعها، فطوبى لعبد تمسّك بأصلها، وأكل من فرعها(٢).

٣١ - **ما:** جماعة، عن أبي المفضّل، عن عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم المدائنيّ، عن عثمان بن عبد الله، عن عبد الله بن لهيعة، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: بينا النبيّ صلى الله عليه وآله بعرفات، وعليّ عليه السلام تجاهه ونحن معه، إذ أومأ النبيّ صلى الله عليه وآله إلى عليّ عليه السلام فقال: ادن منّي يا عليّ، فدنا منه، فقال: ضع خمسك - يعني كفّك في كفّي، فأخذ بكفّه، فقال: يا عليّ خلقت أنا وأنت من شجرة أنا أصلها، وأنت فرعها، والحسن والحسين أغصانها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها أدخله الله الجنّة(٣).

٣٢ - **ما:** الغضائريّ، عن عليّ بن محمّد العلويّ، عن الحسن بن عليّ بن صالح، عن الكلينيّ، عن عليّ بن محمّد، عن إسحاق بن إسماعيل النيسابوريّ، عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، عن الحسن بن عليّ عليه السلام قال: سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: خلقت من نور الله عزّ وجلّ، وخلق أهل بيتي من نوري، وخلق محبّيهم من نورهم، وسائر الخلق في النّار(٤).

٣٣ - **ما:** الغضائريّ، عن عليّ بن محمّد العلويّ، عن عبد الله بن محمّد، عن الحسين، عن أبي عبد الله بن أسباط، عن أحمد بن محمّد بن زياد العطّار، عن محمّد بن مروان الغزّال، عن عبيد بن يحيى، عن يحيى بن عبد الله بن الحسن، عن جدّه الحسن بن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ في الفردوس لعيناً أحلى من الشهد، وألين من الزبد، وأبرد من الثلج، وأطيب من المسك، فيها طينة خلقنا الله عزّ وجلّ منها، وخلق شيعتنا منها، فمن لم يكن من تلك الطينة فليس منّا ولا من شيعتنا، وهي الميثاق الّذي أخذ الله عزّ وجلّ على ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام(٥).

٣٤ - كتاب فضائل الشيعة بإسناده عن أبي سعيد الخدريّ قال: كنّا جلوساً مع رسول

---

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٦٣ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ح ٥.
(٢) - (٣) أمالي الطوسي، ص ٦١٠ مجلس ٢٨ ح ١٢٦١ و١٢٦٣.
(٤) - (٥) أمالي الطوسي، ص ٦٥٥ مجلس ٣٤ ح ١٣٥٥ و١٣٥٦.

الله ﷺ إذ أقبل إليه رجل فقال: يا رسول الله أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ لإبليس: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ فمن هم يا رسول الله الّذين هم أعلى من الملائكة؟ فقال رسول الله ﷺ: أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، كنّا في سرادق العرش نسبّح الله وتسبّح الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله عزّ وجلّ آدم بألفي عام. فلمّا خلق الله عزّ وجلّ آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له، ولم يأمرنا بالسجود، فسجدت الملائكة كلّهم إلاّ إبليس فإنّه أبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ أي من هؤلاء الخمس المكتوب أسماؤهم في سرادق العرش(١).

٣٥ - **ير:** ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن بشر بن أبي عقبة، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قال: إنّ الله خلق محمّداً من طينة من جوهرة تحت العرش، وإنّه كان لطينته نضح، فجبل طينة أمير المؤمنين عليه السلام من نضح طينة رسول الله ﷺ، وكان لطينة أمير المؤمنين عليه السلام نضح فجبل طينتنا من نضح طينة أمير المؤمنين عليه السلام، وكان لطينتنا نضح فجبل طينة شيعتنا من نضح طينتنا، فقلوبهم تحنّ إلينا، وقلوبنا تعطف عليهم تعطّف الوالد على الولد، ونحن خير لهم، وهم خير لنا، ورسول الله ﷺ لنا خير ونحن له خير(٢).

٣٦ - **ير:** محمّد بن حمّاد، عن أخيه أحمد، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبيه، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: سمعته يقول: خلق الله الأنبياء والأوصياء يوم الجمعة، وهو اليوم الّذي أخذ الله ميثاقهم، وقال: خلقنا نحن وشيعتنا من طينة مخزونة لا يشذّ منها شاذّ إلى يوم القيامة(٣).

٣٧ - **ير:** أحمد بن موسى، عن الحسن بن موسى، عن عليّ بن حسّان، عن عبد الرحمن ابن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق محمّداً وعترته من طينة العرش فلا ينقص منهم واحد، ولا يزيد منهم واحد(٤).

٣٨ - **ير:** بعض أصحابنا، عن محمّد بن الحسين، عن عثمان بن عيسى، عن عبد الرحمن ابن الحجّاج قال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق محمّداً وآل محمّد من طينة علّيين، وخلق قلوبهم من طينة فوق ذلك. الخبر(٥).

٣٩ - **ك:** العطّار، عن أبيه، عن الأشعريّ، عن ابن أبي الخطّاب، عن أبي سعيد الغضنفريّ(٦)، عن عمرو بن ثابت، عن أبي حمزة قال: سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام

---

(١) فضائل الشيعة، ص ٥٠.

(٢) بصائر الدرجات، ص ٣٢ ج ١ باب ٩ ح ١.

(٣) - (٤) بصائر الدرجات، ص ٣٤ ج ١ باب ٩ ح ١١ و١٢.

(٥) بصائر الدرجات، ص ٣٥ ج ١ باب ١٤ ح ١٤. (٦) الظاهر: العصفري كما سيأتي.

يقول: إنّ الله عزّوجلّ خلق محمّداً وعليّاً والأئمّة الأحد عشر من نور عظمته أرواحاً في ضياء نوره، يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبّحون الله عزّوجلّ ويقدّسونه، وهم الأئمّة الهادية من آل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين(١).

٤٠ - **ك:** ابن إدريس، عن أبيه، عن محمّد بن الحسين بن زيد، عن الحسين بن موسى، عن عليّ بن سماعة، عن عليّ بن الحسن بن رباط، عن أبيه، عن المفضّل، قال: قال الصادق عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نوراً قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف عام، فهي أرواحنا، فقيل له: يا ابن رسول الله ومن الأربعة عشر؟ فقال: محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ولد الحسين، آخرهم القائم الّذي يقوم بعد غيبته فيقتل الدجّال، ويطهر الأرض من كلّ جور وظلم(٢).

٤١ - من رياض الجنان لفضل الله بن محمود الفارسيّ بإسناده إلى جابر الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا جابر كان الله ولا شيء غيره، لا معلوم ولا مجهول، فأوّل ما ابتدأ من خلقه أن خلق محمّداً صلى الله عليه وآله، وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته، فأوقفنا أظلّة خضراء بين يديه، حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان، ولا ليل ولا نهار، ولا شمس ولا قمر، الخبر.

٤٢ - وروى أحمد بن حنبل بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الرحمن قبل أن يخلق عرشه بأربعة عشر ألف عام.

٤٣ - وعن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: أوّل شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيّك يا جابر، خلقه الله ثمّ خلق منه كلّ خير(٣).

٤٤ - وعن جابر أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوّل ما خلق الله نوري، ابتدعه من نوره، واشتقّه من جلال عظمته.

أقول: سيأتي تمام هذه الأخبار مع سائر الأخبار الواردة في بدء خلقهم عليهم السلام في كتاب الإمامة.

٤٥ - **كا:** عليّ بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن عليّ بن إبراهيم، عن عليّ ابن حمّاد، عن المفضّل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف كنتم حيث كنتم في الأظلّة؟ فقال: يا مفضّل كنّا عند ربّنا ليس عنده أحد غيرنا في ظلّة خضراء، نسبّحه ونقدّسه ونهلّله ونمجّده، وما من ملك مقرّب ولا ذي روح غيرنا حتّى بدا له في خلق الأشياء، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم، ثمّ أنهى علم ذلك إلينا(٤).

---

(١) - (٢) كمال الدين، ص ٢٩٩ و٣١٥.

(٣) يشهد لذلك أنّ الخير كلّه من جنود العقل والعقل من نوره. وقوله عليه السلام في زيارة الجامعة: إن ذكر الخير كنتم أوّله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه؛ الخ. [مستدرك السفينة ج٣ لغة «خير»]

(٤) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٦٤ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله، ح ٧.

٤٦ - **كا:** احمد بن إدريس، عن الحسين بن عبد الله الصغير، عن محمّد بن إبراهيم الجعفريّ، عن أحمد بن عليّ بن محمّد بن عبد الله بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الّذي نوّرت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الّذي نوّرت منه الأنوار، وهو النور الّذي خلق منه محمّداً وعليّاً، فلم يزالا نورين أوّلين إذ لا شيء كوّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهّرين في الأصلاب الطاهرة حتّى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب عليهما السلام[1].

بيان: قوله: «إذ لا كان» لعلّه مصدر بمعنى الكون كالقال والقول، والمراد به الحدوث، أي لم يحدث شيء بعد، أو هو بمعنى الكائن، ولعلّ المراد بنور الأنوار أوّلاً نور النبيّ صلى الله عليه وآله، إذ هو منوّر أرواح الخلائق بالعلوم والهدايات والمعارف، بل سبب لوجود الموجودات، وعلّة غاية لها، وأجرى فيه، أي في نور الأنوار، من نوره، أي من نور ذاته، من إفاضاته وهداياته الّتي نوّرت منها جميع الأنوار حتّى نور الأنوار المذكور أوّلاً. قوله: «وهو النور الذي» أي نور الأنوار المذكور أوّلاً، والله يعلم أسرار أهل بيت نبيّه صلوات الله عليهم.

٤٧ - **كا:** أحمد بن إدريس، عن الحسين بن عبد الله، عن محمّد بن عبد الله، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل، عن جابر بن يزيد قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا جابر إنّ الله أوّل ما خلق خلق محمّداً وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يديّ، قلت: وما الأشباح؟ قال: ظلّ النور، أبدان نورانيّة بلا أرواح، وكان مؤيّداً بروح واحد وهي روح القدس، فبه كان يعبدالله وعترته، ولذلك خلقهم حلماء علماء بررة أصفياء، يعبدون الله بالصلاة والصوم والسجود والتسبيح والتهليل، ويصلّون الصلوات، ويحجّون ويصومون[2].

بيان: قوله عليه السلام: «أشباح نور» لعلّ الإضافة بيانيّة، أي أشباحاً نورانيّة، والمراد إمّا الأجساد المثاليّة، فقوله: «بلا أرواح» لعلّه أراد به بلا أرواح حيوانيّة، أو الأرواح بنفسها، سواء كانت مجردة أو مادية، لأنّ الأرواح إذا لم تتعلّق بالأبدان فهي مستقلّة بنفسها، أرواح من جهة وأجساد من جهة، فهي أبدان نورانيّة لم تتعلّق بها أرواح أُخر، وظل النور أيضاً إضافته بيانيّة، وتسمّى عالم الأرواح والمثال بعالم الظلال، لأنّها ظلال تلك العالم وتابعة لها، أو لأنّها لتجرّدها أو لعدم كثافتها شبيهة بالظلّ، وعلى الاحتمال الثاني يحتمل أن تكون الإضافة لاميّة، بأن يكون المراد بالنور نور ذاته تعالى، فإنّها من آثار تلك النور، والمعنى دقيق فتفطّن.

٤٨ - **اقول:** قال الشيخ أبو الحسن البكريّ أُستاذ الشهيد الثاني قدّس الله روحهما في كتابه المسمّى بكتاب الأنوار[3]:

---

(١) - (٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٦٤ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله، ح ٩-١٠.

(٣) وهو: الأنوار في مولد النبي المختار صلى الله عليه وآله.

حدّثنا أشياخنا وأسلافنا الرواة لهذا الحديث عن أبي عمر الأنصاريّ سألت عن كعب الأحبار ووهب بن منبّه وابن عبّاس قالوا جميعاً: لمّا أراد الله أن يخلق محمّداً صلى الله عليه وآله قال لملائكته: إنّي أريد أن أخلق خلقاً أفضّله وأشرّفه على الخلائق أجمعين، وأجعله سيّد الأوّلين والآخرين، وأشفّعه فيهم يوم الدين، فلولاه ما زخرفت الجنان، ولا سعرت النيران، فاعرفوا محلّه، وأكرموه لكرامتي، وعظّموه لعظمتي، فقالت الملائكة: إلهنا وسيّدنا وما اعتراض العبيد على مولاهم؟! سمعنا وأطعنا، فعند ذلك أمر الله تعالى جبرئيل وملائكة الصفيح الأعلى وحملة العرش فقبضوا تربة رسول الله صلى الله عليه وآله من موضع ضريحه، وقضى أن يخلقه من التراب، ويميته في التراب، ويحشره على التراب، فقبضوا من تربة نفسه الطاهرة قبضة طاهرة لم يمش عليها قدم مشت إلى المعاصي، فعرج بها الأمين جبرئيل فغمسها في عين السلسبيل، حتّى نقيت كالدّرة البيضاء، فكانت تغمس كلّ يوم في نهر من أنهار الجنّة، وتعرض على الملائكة، فتشرق أنوارها فتستقبلها الملائكة بالتحيّة والإكرام، وكان يطوف بها جبرئيل في صفوف الملائكة، فإذا نظروا إليها قالوا: إلهنا وسيّدنا إن أمرتنا بالسجود سجدنا، فقد اعترفت الملائكة بفضله وشرفه قبل خلق آدم عليه السلام، ولمّا خلق الله آدم عليه السلام سمع في ظهره نشيشاً كنشيش الطير، وتسبيحاً وتقديساً، فقال آدم: يا ربّ وما هذا؟ فقال: يا آدم هذا تسبيح محمّد العربي، سيّد الأوّلين والآخرين، فالسعادة لمن تبعه وأطاعه، والشقاء لمن خالفه، فخذ يا آدم بعهدي، ولا تودعه إلاّ الأصلاب الطاهرة من الرجال، والأرحام من النساء الطاهرات الطيّبات العفيفات، ثمّ قال آدم عليه السلام: يا ربّ لقد زدتني بهذا المولود شرفاً ونوراً وبهاء ووقاراً، وكان نور رسول الله صلى الله عليه وآله في غرّة آدم كالشمس في دوران قبّة الفلك، أو كالقمر في اللّيلة المظلمة، وقد أنارت منه السماوات والأرض والسرادقات والعرش والكرسيّ، وكان آدم عليه السلام إذا أراد أن يغشى حوّاء أمرها أن تتطيّب وتتطهّر، ويقول لها: الله يرزقك هذا النور، ويخصّك به، فهو وديعة الله وميثاقه، فلا يزال نور رسول الله صلى الله عليه وآله في غرّة آدم عليه السلام.

فروي عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: كان الله ولا شيء معه، فأوّل ما خلق نور حبيبه محمّد صلى الله عليه وآله قبل خلق الماء والعرش والكرسيّ والسماوات والأرض واللّوح والقلم والجنّة والنار والملائكة وآدم وحوّاء بأربعة وعشرين وأربعمائة ألف عام، فلمّا خلق الله تعالى نور نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله بقي ألف عام بين يدي الله عزّ وجلّ واقفاً يسبّحه ويحمده، والحقُّ تبارك وتعالى ينظر إليه ويقول: يا عبدي أنت المراد والمريد، وأنت خيرتي من خلقي، وعزّتي وجلالي لولاك ما خلقت الأفلاك، من أحبّك أحببته، ومن أبغضك أبغضته، فتلألأ نوره وارتفع شعاعه، فخلق الله منه اثني عشر حجاباً أوّلها حجاب القدرة، ثمّ حجاب الرحمة، ثمّ حجاب النبوّة، ثمّ حجاب الكبرياء، ثمّ حجاب المنزلة، ثمّ حجاب الرفعة، ثمّ حجاب السعادة، ثمّ حجاب الشفاعة، ثمّ إنّ الله تعالى أمر نور رسول الله صلى الله عليه وآله أن يدخل في

حجاب القدرة فدخل وهو يقول: «سبحان العليّ الأعلى» وبقي على ذلك اثني عشر ألف عام، ثمّ أمره أن يدخل في حجاب العظمة فدخل وهو يقول: «سبحان عالم السر وأخفى» أحد عشر ألف عام، ثمّ دخل في حجاب العزّة وهو يقول: «سبحان الملك المنّان» عشرة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب الهيبة وهو يقول: «سبحان من هو غنيّ لا يفتقر» تسعة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب الجبروت وهو يقول: «سبحان الكريم الأكرم» ثمانية آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب الرحمة وهو يقول: «سبحان ربّ العرش العظيم» سبعة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب النبوّة وهو يقول: «سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون» ستّة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب الكبرياء وهو يقول: «سبحان العظيم الأعظم» خمسة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب المنزلة وهو يقول: «سبحان العليم الكريم» أربعة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب الرفعة وهو يقول: «سبحان ذي الملك ثلاثة آلاف عام ثمّ دخل في حجاب السعادة وهو يقول: «سبحان من يزيل الأشياء ولا يزول» ألفي عام، ثمّ دخل في حجاب الشفاعة وهو يقول: «سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» ألف عام.

قال الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ثمّ إنّ الله تعالى خلق من نور محمّد صلى الله عليه وآله عشرين بحراً من نور، في كلّ بحر علوم لا يعلمها إلاّ الله تعالى، ثمّ قال لنور محمّد صلى الله عليه وآله: انزل في بحر العزّ فنزل، ثمَّ في بحر الصبر، ثمَّ في بحر الخشوع، ثمّ في بحر التواضع، ثمّ في بحر الرضا، ثمّ في بحر الوفاء، ثمّ في بحر الحلم، ثمّ في بحر التقى، ثمّ في بحر الخشية، ثمّ في بحر الإنابة، ثمّ في بحر العمل، ثمّ في بحر المزيد، ثمّ في بحر الهدى، ثمّ في بحر الصيانة، ثمّ في بحر الحياء، حتّى تقلّب في عشرين بحراً، فلمّا خرج من آخر الأبحر قال الله تعالى: يا حبيبي ويا سيّد رسلي، ويا أوّل مخلوقاتي ويا آخر رسلي أنت الشفيع يوم المحشر، فخرّ النور ساجداً، ثمّ قام فقطرت منه قطرات كان عددها مائة ألف وأربعة وعشرين ألف قطرة، فخلق الله تعالى من كلّ قطرة من نوره نبيّاً من الأنبياء، فلمّا تكاملت الأنوار صارت تطوف حول نور محمّد صلى الله عليه وآله كما تطوف الحجّاج حول بيت الله الحرام، وهم يسبّحون الله ويحمدونه ويقولون: «سبحان من هو عالم لا يجهل، سبحان من هو حليم لا يعجل، سبحان من هو غنيّ لا يفتقر» فناداهم الله تعالى: تعرفون من أنا؟ فسبق نور محمّد صلى الله عليه وآله قبل الأنوار ونادى: «سبحان من هو غنيّ لا يفتقر أنت الله الّذي لا إله إلاّ أنت، وحدك لا شريك لك، ربّ الأرباب، وملك الملوك» فإذا بالنداء من قبل الحقّ: أنت صفيّي، وأنت حبيبي، وخير خلقي، أمّتك خير أمّة أخرجت للنّاس، ثمّ خلق من نور محمّد صلى الله عليه وآله جوهرة، وقسمها قسمين، فنظر إلى القسم الأوّل بعين الهيبة فصار ماءً عذباً، ونظر إلى القسم الثاني بعين الشفقة فخلق منها العرش فاستوى على وجه الماء، فخلق الكرسيّ من نور العرش، وخلق من نور الكرسيّ اللّوح، وخلق من نور اللّوح القلم، وقال له: اكتب توحيدي، فبقي القلم ألف عام سكران من كلام الله تعالى، فلمّا أفاق قال: اكتب، قال: يا ربّ وما أكتب؟ قال:

اكتب: (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ) فلمّا سمع القلم اسم محمّد ﷺ خرّ ساجداً، وقال: سبحان الواحد القهّار، سبحان العظيم الأعظم، ثمّ رفع رأسه من السجود وكتب: (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ) ثمّ قال: يا ربّ ومن محمّد الّذي قرنت اسمه باسمك وذكره بذكرك؟ قال الله تعالى له: يا قلم فلولاه ما خلقتك، ولا خلقت خلقي إلاّ لأجله، فهو بشير ونذير، وسراج منير، وشفيع وحبيب؛ فعند ذلك انشقّ القلم من حلاوة ذكر محمّد ﷺ، ثمّ قال القلم: السلام عليك يا رسول الله، فقال الله تعالى: وعليك السلام منّي ورحمة الله وبركاته، فلأجل هذا صار السلام سنّة، والردّ فريضة، ثمّ قال الله تعالى: اكتب قضائي وقدري، وما أنا خالقه إلى يوم القيامة، ثمّ خلق الله ملائكة يصلّون على محمّد وآل محمّد، ويستغفرون لأمّته إلى يوم القيامة، ثمّ خلق الله تعالى من نور محمّد ﷺ الجنّة، وزيّنها بأربعة أشياء: التعظيم، والجلالة، والسخاء، والأمانة، وجعلها لأوليائه وأهل طاعته، ثمّ نظر إلى باقي الجوهرة بعين الهيبة فذابت، فخلق من دخانها السماوات، ومن زبدها الأرضين، فلمّا خلق الله تبارك وتعالى الأرض صارت تموج بأهلها كالسفينة، فخلق الله الجبال فأرساها بها، ثمّ خلق ملكاً من أعظم ما يكون في القوّة فدخل تحت الأرض، ثمّ لم يكن للصخرة قرار فخلق لها ثوراً عظيماً لم يقدر أحد ينظر إليه لعظم خلقته وبريق عيونه، حتّى لو وضعت البحار كلّها في إحدى منخريه ما كانت إلا كخردلة ملقاة في أرض فلاة، فدخل الثور تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه، واسم ذلك الثور لهوتا، ثمّ لم يكن لذلك الثور قرار فخلق الله له حوتاً عظيماً، واسم ذلك الحوت بهموت. فدخل الحوت تحت قدمي الثور فاستقرّ الثور على ظهر الحوت، فالأرض كلّها على كاهل الملك، والملك على الصخرة، والصخرة على الثور، والثور على الحوت، والحوت على الماء، والماء على الهواء، والهواء على الظلمة، ثمّ انقطع علم الخلائق عمّا تحت الظلمة، ثمّ خلق الله تعالى العرش من ضياءين: أحدهما الفضل والثاني العدل، ثمّ أمر الضياءين فانتفسا بنفسين، فخلق منهما أربعة أشياء: العقل والحلم والعلم والسخاء، ثمّ خلق من العقل الخوف، وخلق من العلم الرضا، ومن الحلم المودّة، ومن السخاء المحبّة، ثمّ عجن هذه الأشياء في طينة محمّد ﷺ، ثمّ خلق من بعدهم أرواح المؤمنين من أمّة محمّد ﷺ، ثمّ خلق الشمس والقمر والنجوم واللّيل والنهار والضياء والظلام وسائر الملائكة من نور محمّد ﷺ، فلمّا تكاملت الأنوار سكن نور محمّد تحت العرش ثلاثة وسبعين ألف عام، ثمّ انتقل نوره إلى الجنّة فبقي سبعين ألف عام، ثمّ انتقل إلى سدرة المنتهى فبقي سبعين ألف عام، ثمّ انتقل نوره إلى السماء السّابعة، ثمّ إلى السماء السادسة، ثمّ إلى السماء الخامسة، ثمّ إلى السماء الرابعة، ثمّ إلى السماء الثالثة، ثمّ إلى السماء الثانية، ثمّ إلى السماء الدنيا، فبقي نوره في السماء الدنيا إلى أن أراد الله تعالى أن يخلق آدم عليه السلام أمر جبرئيل عليه السلام أن ينزل إلى الأرض ويقبض منها قبضة، فنزل جبرئيل

فسبقه اللّعين إبليس فقال للأرض: إنَّ الله تعالى يريد أن يخلق منك خلقاً ويعذّبه بالنار، فإذا أتتك ملائكته فقولي: أعوذ بالله منكم أن تأخذوا منّي شيئاً يكون للنار فيه نصيب، فجاءها جبرئيل عليه السلام فقالت: إنّي أعوذ بالّذي أرسلك أن تأخذ منّي شيئاً، فرجع جبرئيل ولم يأخذ منها شيئاً، فقال: يا ربّ قد استعاذت بك منّي فرحمتها، فبعث ميكائيل فعاد كذلك، ثمّ أمر إسرافيل فرجع كذلك، فبعث عزرائيل فقال: وأنا أعوذ بعزّة الله أن أعصي له أمراً، فقبض قبضة من أعلاها وأدونها وأبيضها وأسودها وأحمرها وأخشنها وأنعمها، فلذلك اختلفت أخلاقهم وألوانهم، فمنهم الأبيض والأسود والأصفر، فقال له تعالى: ألم تتعوذ منك الأرض بي، فقال: نعم، لكن لم ألتفت له فيها، وطاعتك يا مولاي أولى من رحمتي لها، فقال له الله تعالى: لم لا رحمتها كما رحمها أصحابك؟ قال: طاعتك أولى، فقال: اعلم أنّي أريد أن أخلق منها خلقاً أنبياء وصالحين وغير ذلك، وأجعلك القابض لأرواحهم، فبكى عزرائيل عليه السلام فقال له الحقّ تعالى: ما يبكيك؟ قال: إذا كنت كذلك كرهوني هؤلاء الخلائق، فقال: لا تخف إنّي أخلق لهم عللاً فينسبون الموت إلى تلك العلل، ثمّ بعد ذلك أمر الله تعالى جبرئيل عليه السلام أن يأتيه بالقبضة البيضاء الّتي كانت أصلاً، فأقبل جبرئيل عليه السلام ومعه الملائكة الكروبيّون والصافّون والمسبّحون، فقبضوها من موضع ضريحه وهي البقعة المضيئة المختارة من بقاع الأرض، فأخذها جبرئيل من ذلك المكان فعجنها بماء التسنيم وماء التعظيم وماء التكريم وماء التكوين وماء الرحمة وماء الرضا وماء العفو، فخلق من الهداية رأسه، ومن الشفقة صدره، ومن السخاء كفّيه، ومن الصبر فؤاده، ومن العفّة فرجه، ومن الشرف قدميه، ومن اليقين قلبه، ومن الطيب أنفاسه، ثمّ خلطها بطينة آدم عليه السلام، فلمّا خلق الله تعالى آدم عليه السلام أوحى إلى الملائكة: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ فحملت الملائكة جسد آدم عليه السلام ووضعوه على باب الجنّة وهو جسد لا روح فيه، والملائكة ينتظرون متى يؤمرون بالسجود، وكان ذلك يوم الجمعة بعد الظهر، ثمّ إنّ الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام فسجدوا إلاّ إبليس لعنه الله، ثمّ خلق الله بعد ذلك الروح وقال لها: ادخلي في هذا الجسم، فرأت الروح مدخلاً ضيقاً فوقفت، فقال لها: ادخلي كرهاً، واخرجي كرهاً، قال: فدخلت الروح في اليافوخ إلى العينين، فجعل ينظر إلى نفسه، فسمع تسبيح الملائكة، فلمّا وصلت إلى الخياشيم عطس آدم عليه السلام، فأنطقه الله تعالى بالحمد، فقال: الحمد لله، وهي أوّل كلمة قالها آدم عليه السلام، فقال الحقّ تعالى: رحمك الله يا آدم، لهذا خلقتك، وهذا لك ولولدك إن قالوا مثل ما قلت، فلذلك صار تسميت العاطس سنّة، ولم يكن على إبليس أشدّ من تسميت العاطس، ثمّ إنّ آدم عليه السلام فتح عينيه فرأى مكتوباً على العرش: (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ) فلمّا وصلت الروح إلى ساقه قام قبل أنّ تصل إلى قدميه فلم يطق فلذلك قال تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾.

قال الصادق عليه السلام: كانت الروح في رأس آدم عليه السلام مائة عام، وفي صدره مائة عام، وفي ظهره مائة عام، وفي فخذيه مائة عام، وفي ساقيه وقدميه مائة عام، فلمّا استوى آدم عليه السلام قائماً أمر الله الملائكة بالسجود، وكان ذلك بعد الظهر يوم الجمعة، فلم تزل في سجودها إلى العصر، فسمع آدم عليه السلام من ظهره نشيشاً كنشيش الطير، وتسبيحاً وتقديساً، فقال آدم: يا ربّ وما هذا؟ قال: يا آدم هذا تسبيح محمّد العربيّ سيّد الأوّلين والآخرين، ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى خلق من ضلعه الأعوج حوّاء وقد أنامه الله تعالى، فلمّا انتبه رآها عند رأسه، فقال: من أنت؟ قالت: أنا حوّاء، خلقني الله لك، قال: ما أحسن خلقتك! فأوحى الله إليه: هذه أمتي حوّاء وأنت عبدي آدم، خلقتكما لدار اسمها جنتي، فسبحاني واحمداني، يا آدم اخطب حوّاء منّي وادفع مهرها إليّ، فقال آدم: وما مهرها يا ربّ؟ قال: تصلّي على حبيبي محمّد صلى الله عليه وآله عشر مرّات، فقال آدم: جزاؤك يا ربّ على ذلك الحمد والشكر ما بقيت، فتزوّجها على ذلك، وكان القاضي الحقّ، والعاقد جبرئيل، والزوجة حوّاء، والشهود الملائكة، فواصلها، وكانت الملائكة يقفون من وراء آدم عليه السلام، قال آدم عليه السلام: لأيّ شيء يا ربّ تقف الملائكة من ورائي؟ فقال: لينظروا إلى نور ولدك محمّد صلى الله عليه وآله، قال: يا ربّ اجعله أمامي حتّى تستقبلني الملائكة، فجعله في جبهته، فكانت الملائكة تقف قدّامه صفوفاً، ثمّ سأل آدم عليه السلام ربّه أن يجعله في مكان يراه آدم، فجعله في الإصبع السبّابة، فكان نور محمّد صلى الله عليه وآله فيها، ونور عليّ عليه السلام في الاصبع الوسطى، وفاطمة عليها السلام في الّتي تليها، والحسن عليه السلام في الخنصر، والحسين عليه السلام في الإبهام، وكانت أنوارهم كغرّة الشمس في قبّة الفلك، أو كالقمر في ليلة البدر، وكان آدم عليه السلام إذا أراد أن يغشى حوّاء يأمرها أن تتطيّب وتتطهّر، ويقول لها: يا حوّاء الله يرزقك هذا النور ويخصّك به، فهو وديعة الله وميثاقه، فلم يزل نور رسول الله صلى الله عليه وآله في غرّة آدم عليه السلام حتّى حملت حوّاء بشيث، وكانت الملائكة يأتون حوّاء ويهنّئونها، فلمّا وضعته نظرت بين عينيه إلى نور رسول الله صلى الله عليه وآله يشتعل اشتعالاً، ففرحت بذلك، وضرب جبرئيل عليه السلام بينها وبينه حجاباً من نور غلظه مقدار خمسمائة عام، فلم يزل محجوباً محبوساً حتّى بلغ شيث عليه السلام مبالغ الرجال، والنور يشرق في غرّته، فلمّا علم آدم عليه السلام أنّ ولده شيث بلغ مبالغ الرجال قال له: يا بنيّ إنّي مفارقك عن قريب، فادن منّي حتّى آخذ عليك العهد والميثاق كما أخذه الله تعالى عليّ من قبلك، ثمّ رفع آدم عليه السلام رأسه نحو السماء وقد علم الله ما أراد، فأمر الله الملائكة أن يمسكوا عن التسبيح ولفّت أجنحتها، وأشرفت سكّان الجنان من غرفاتها، وسكن صرير أبوابها، وجريان أنهارها، وتصفيق أوراق أشجارها، وتطاولت لاستماع ما يقول آدم عليه السلام، ونودي: يا آدم قل ما أنت قائل، فقال آدم عليه السلام: اللّهمّ ربّ القدم قبل النفس، ومنير القمر والشمس، خلقتني كيف شئت، وقد أودعتني هذا النور الّذي أرى منه التشريف والكرامة، وقد صار لولدي شيث،

وإنّي أريد أن آخذ عليه العهد والميثاق كما أخذته عليّ، اللّهمّ وأنت الشاهد عليه، وإذا بالنداء من قبل الله تعالى: يا آدم خذ على ولدك شيث العهد، وأشهد عليه جبرئيل وميكائيل والملائكة أجمعين، قال: فأمر الله تعالى جبرئيل عليه السلام أن يهبط إلى الأرض في سبعين ألفاً من الملائكة بأيديهم ألوية الحمد، وبيده حريرة بيضاء، وقلم مكوّن من مشيّة الله ربّ العالمين، فأقبل جبرئيل على آدم عليه السلام، وقال له: يا آدم ربّك يقرئك السلام ويقول لك: اكتب على ولدك شيث كتاباً، وأشهد عليه جبرئيل وميكائيل والملائكة أجمعين، فكتب الكتاب، وأشهد عليه، وختمه جبرئيل بخاتمه، ودفعه إلى شيث وكسا قبل انصرافه حلّتين حمراوين أضوأ من نور الشمس، وأروق من السماء، لم يقطعا ولم يفصلا، بل قال لهما الجليل: كونيا فكانتا، ثمّ تفرّقا، وقبل شيث العهد وألزمه نفسه، ولم يزل ذلك النور بين عينيه حتّى تزوج المحاولة البيضاء، وكانت بطول حوّاء، واقترن إليها بخطبة جبرئيل، فلمّا وطئها حملت بأنوش، فلمّا حملت به سمعت منادياً ينادي: هنيئاً لك يا بيضاء، لقد استودعك الله نور سيّد المرسلين، سيّد الأوّلين والآخرين، فلمّا ولدته أخذ عليه شيث العهد كما أخذ عليه، وانتقل إلى ولده قينان، ومنه إلى مهلائيل، ومنه إلى أُدد، ومنه إلى أُخنوخ وهو إدريس عليه السلام، ثمّ أودعه إدريس ولده متوشلخ، وأخذ عليه العهد، ثمّ انتقل إلى ملك[1]، ثمّ إلى نوح، ومن نوح إلى سام، ومن سام إلى ولده أرفخشد، ثمّ إلى ولده عابر، ثمّ إلى قالع، ثمّ إلى أرغو، ومنه إلى شارغ، ومنه إلى تاخور، ثمّ انتقل إلى تارخ، ومنه إلى إبراهيم، ثمّ إلى إسماعيل، ثمّ إلى قيذار، ومنه إلى الهميسع، ثمّ انتقل إلى نبت، ثمّ إلى يشحب، ومنه إلى أُدد، ومنه إلى عدنان، ومنه إلى معد، ومنه إلى نزار، ومنه إلى مضر، ومن مضر إلى إلياس، ومن إلياس إلى مدركة، ومنه إلى خزيمة، ومنه إلى كنانة، ومن كنانة إلى قصيّ، ومن قصيّ إلى لويّ، ومن لويّ إلى غالب، ومنه إلى فهر، ومن فهر إلى عبد مناف، ومن عبد مناف إلى هاشم، وإنّما سمّي هاشماً لأنّه هشم الثريد لقومه، وكان اسمه عمرو العلاء، وكان نور رسول الله صلى الله عليه وآله في وجهه، إذا أقبل تضيء منه الكعبة، وتكتسي من نوره نوراً شعشعانياً ويرتفع من وجهه نور إلى السماء، وخرج من بطن أُمّه عاتكة بنت مرّة، بنت فالج بن ذكوان، وله ضفيرتان كضفيرتي إسماعيل عليه السلام، يتوقّد نورهما إلى السماء، فعجب أهل مكّة من ذلك، وسارت إليه قبائل العرب من كلّ جانب، وماجت منه الكهان، ونطقت الأصنام بفضل النبيّ المختار، وكان هاشم لا يمرّ بحجر ولا مدر إلاّ ويناديه أبشر يا هاشم فإنّه سيظهر من ذرّيّتك أكرم الخلق على الله تعالى، وأشرف العالمين محمّد خاتم النبيّين، وكان هاشم إذا مشى في الظلام أنارت منه الحنادس، ويرى من حوله كما يرى من ضوء المصباح، فلمّا حضرت عبد مناف الوفاة أخذ العهد على هاشم أن يودع نور رسول الله صلى الله عليه وآله في الأرحام

---

(١) في المصدر: لمك، وهو الصحيح.

الزكيّة من النساء، فقبل هاشم العهد وألزمه نفسه، وجعلت الملوك تتطاول إلى هاشم ليتزوّج منهم ويبذلون إليه الأموال الجزيلة، وهو يأبى عليهم، وكان كلّ يوم يأتي الكعبة ويطوف بها سبعاً، ويتعلّق بأستارها، وكان هاشم إذا قصده قاصد أكرمه، وكان يكسو العريان، ويطعم الجائع، ويفرّج عن المعسر، ويوفّي عن المديون، ومن أُصيب بدم دفع عنه، وكان بابه لا يغلق عن صادر ولا وارد، وإذا أولم وليمة أو اصطنع طعاماً لأحد وفضل منه شيء يأمر به أن يلقى إلى الوحش والطيور حتّى تحدّثوا به وبجوده في الآفاق، وسوّده أهل مكّة بأجمعهم وشرّفوه وعظّموه، وسلّموا إليه مفاتيح الكعبة والسقاية والحجابة والرفادة ومصادر أُمور الناس ومواردها، وسلّموا إليه لواء نزار، وقوس إسماعيل عليه السلام، وقميص إبراهيم عليه السلام، ونعل شيث عليه السلام، وخاتم نوح عليه السلام، فلمّا احتوى على ذلك كلّه ظهر فخره ومجده، وكان يقوم بالحاجّ ويرعاهم، ويتولّى أُمورهم ويكرمهم، ولا ينصرفون إلاّ شاكرين.

قال أبو الحسن البكريّ: وكان هاشم إذا أهلّ هلال ذي الحجّة يأمر الناس بالاجتماع إلى الكعبة، فإذا اجتمعوا قام خطيباً ويقول: «معاشر الناس إنكم جيران الله وجيران بيته وإنّه سيأتيكم في هذا الموسم زوّار بيت الله وهم أضياف الله والأضياف هم أولى بالكرامة وقد خصّكم الله تعالى بهم وأكرمكم وإنّهم سيأتونكم شعثاً غبراً من كلّ فجّ عميق ويقصدونكم من كلّ مكان سحيق فاقروهم واحموهم وأكرموهم يكرمكم الله تعالى» وكانت قريش تخرج المال الكثير من أموالهم، وكان هاشم ينصب أحواض الأديم، ويجعل فيها ماء من ماء زمزم، ويملي باقي الحياض من سائر الآبار بحيث تشرب الحاجّ، وكان من عادته أنّه يطعمهم قبل التروية بيوم، وكان يحمل لهم الطعام إلى منى وعرفة، وكان يثرد لهم اللّحم والسمن والتمر، ويسقيهم اللّبن إلى حيث تصدر النّاس من منى، ثمّ يقطع عنهم الضيافة.

قال أبو الحسين البكريّ: بلغنا أنّه كان بأهل مكّة ضيق وجدب وغلاء، ولم يكن عندهم ما يزوّدون به الحاجّ، فبعث هاشم إلى نحو الشام أباعر، فباعها واشترى بأثمانها كعكاً وزيتاً، ولم يترك عنده من ذلك قوت يوم واحد، بل بذل ذلك كلّه للحاجّ، فكفاهم جميعهم، وصدر النّاس يشكرونه في الآفاق، وفيه يقول الشاعر:

يا أيّها الرجل المجدّر حيلة ... هلاّ مررت بدار عبد مناف؟!
ثكلتك أمّك لو مررت ببابهم ... لعجبت من كرم ومن أوصاف
عمرو العلاء هشم الثريد لقومه ... والقوم فيها مسنتون عجاف
بسطوا إليه الرحلتين كليهما ... عند الشتاء ورحلة الأصياف

قال: فبلغ خبره إلى النجاشيّ ملك الحبشة، وإلى قيصر ملك الروم، فكاتبوه وراسلوه أن يهدوا له بناتهم رغبة في النور الّذي في وجهه، وهو نور محمّد صلى الله عليه وآله، لأنّ رهبانهم وكهّانهم أعلموهم بأنّ ذلك النور نور رسول الله صلى الله عليه وآله، فأبى هاشم عن ذلك، وتزوّج من نساء قومه،

ورزق منهنّ أولاداً، وكان أولاده الذكور أسد ومضر وعمرو وصيفي، وأمّا البنات فصعصعة ورقيّة وخلادة والشعثاء، فهذه جملة الذكور والإناث، ونور رسول الله ﷺ في غرّته لم يزل، فعظم ذلك عليه وكبر لديه، فلمّا كان في بعض اللّيالي وقد طاف بالبيت سأل الله تعالى أن يرزقه ولداً يكون فيه نور رسول الله ﷺ، فأخذه النعاس، فمال عن البيت، ثمّ اضطجع، فأتاه آت يقول في منامه: عليك بسلمى بنت عمرو فإنّها طاهرة مطهّرة الأذيال، فخذها، وادفع لها المهر الجزيل، فلم تجد لها مشبهاً من النساء، فإنّك ترزق منها ولداً يكون منه النبيّ ﷺ فصاحبها ترشد، واسع إلى أخذ الكريمة عاجلاً، قال: فانتبه هاشم فزعاً مرعوباً، وأحضر بني عمّه وأخاه المطّلب، وأخبرهم بما رآه في منامه وبما قال الهاتف، فقال له أخوه المطّلب: يابن أمّ إنّ المرأة المعروفة في قومها، كبيرة في نفسها، قد كملت عفّة واعتدالاً، وهي سلمى بنت عمرو بن لبيد بن حداث بن زيد بن عامر بن غنم بن مازن بن النجّار، وهم أهل الأضياف والعفاف، وأنت أشرف منهم حسباً، وأكرم منهم نسباً، قد تطاولت إليك الملوك والجبابرة، وإن شئت فنحن لك خطّاباً، فقال لهم: الحاجة لا تقضى إلاّ بصاحبها، وقد جمعت فضلاً وتجارة وأريد أن أخرج إلى الشام للتّجارة ولوصال هذه المرأة، فقال له أصحابه: نحن نفرح لفرحك، ونسرّ لسرورك، وننظر ما يكون من أمرك، ثمّ إنّ هاشماً خرج للسّفر وخرج معه أصحابه بأسلحتهم، وخرج معه العبيد يقودون الخيل والجمال، وعليها أحمال الأديم، وعند خروجه نادى في أهل مكّة فخرجت معه السادات والأكابر، وخرج معه العبيد والنساء لتوديع هاشم، فأمرهم بالرجوع وسار هو وبنو عمّه وأخوه المطّلب إلى يثرب كالأسود طالبي بني النجّار.

فلمّا وصلوا المدينة أشرق بنور رسول الله ﷺ ذلك الوادي من غرّة هاشم حتّى دخل جملة البيوت، فلمّا رآهم أهل يثرب بادروا إليهم مسرعين، وقالوا: من أنتم أيّها الناس؟ فما رأينا أحسن منكم جمالاً، ولا سيّما صاحب هذا النور الساطع، والضياء اللاّمع، قال لهم المطّلب: نحن أهل بيت الله، وسكّان حرم الله، نحن بني لويّ بن غالب، وهذا أخونا هاشم ابن عبد مناف، وقد جئناكم خاطبين، وفيكم راغبين، وقد علمتم أنّ أخانا هذا خطبه الملوك والأكابر، فما رغب إلاّ فيكم، ونحب أن ترشدونا إلى سلمى، وكان أبوها يسمع الخطاب، فقال لهم: مرحباً بكم، أنتم أرباب الشرف والمفاخر، والعزّ والمآثر، والسادات الكرام، والمطعمون الطعام، ونهاية الجود والإكرام، ولكم عندنا ما تطلبون، غير أن المرأة الّتي خرجتم لأجلها وجئتم لها طالبين هي ابنتي وقرّة عيني، وهي مالكة نفسها، ومع ذلك إنّها خرجت بالأمس إلى سوق من أسواقنا مع نساء من قومها يقال لها سوق بني قينقاع، فإن أقمتم عندنا فأنتم في العناية والكلاية، وإن أردتم أن تسيروا إليها ففي الرعاية، ومن الخاطب لها والراغب فيها؟ قالوا: صاحب هذا النور الساطع، والضياء اللاّمع، سراج بيت الله الحرام، ومصباح الظلام، الموصوف بالجود والإكرام هاشم بن عبد مناف، صاحب رحلة الإيلاف،

وذروة الأحقاف، فقال أبوها: بخ بخ لقد علونا وفخرنا بخطبتكم، اعلموا يا من حضر أنّي قد رغبت في هذا الرجل أكثر من رغبته فينا، غير أنّي أخبركم أنّ أمري دون أمرها، وها أنا أسير معكم إليها، فانزلوا يا خير زوّار، ويا فخر بني نزار، قال: فنزل هاشم وأخوه وأصحابه وحطّوا رحالهم ومتاعهم، وسبق أبوها عمرو إلى قومه، ونحر لهم النحاير، وعقر لهم العقاير، وأصلح لهم الطعام، وخرجت لهم العبيد بالجفان، فأكلت القوم منه حسب الحاجة، ولم يبق من أهل يثرب أحد إلاّ خرج ينظر إلى هاشم ونور وجهه، وخرج الأوس والخزرج والناس متعجّبون من ذلك النور، وخرج اليهود، فلمّا نظروا إليه عرفوه بالصفة الّتي وجدوها في التوراة والعلامات، فعظم ذلك عليهم، وبكوا بكاءً شديداً، فقال بعض اليهود لحبر من أحبارهم: ما بكاؤكم؟ قال: من هذا الرجل الّذي يظهر منه سفك دمائكم وقد جاءكم السفّاك القتّال الّذي تقاتل معه الأملاك المعروف في كتبكم بالماحي، وهذه أنواره قد ابتدرت، قال: فبكى اليهود من قوله، وقالوا له: يا أبانا فهل هذا الّذي ذكرت نصل إلى قتله، ونكفى شرّه؟ فقال لهم: هيهات حيل بينكم وبين ما تشتهون، وعجزتم عمّا تأملون، إنّ هذا هو المولود الّذي ذكرت لكم، تقاتل معه الأملاك من الهواء، ويخاطب من السّماء، ويقول: قال جبرئيل عن ربّ السماء، فقالوا: هذا تكون له هذه المنزلة؟ قال: أعزّ من الولد عند الوالد، فإنّه أكرم أهل الأرض على الله تعالى، وأكرم أهل السماوات، فقالوا: أيّها السيّد الكريم نحن نسعى في إطفاء ضوء هذا المصباح قبل أن يتمكّن ويحدث علينا منه كلّ مكروه، وأضمر القوم لهاشم العداوة، وكان بدء عداوة اليهود من ذلك اليوم لرسول الله ﷺ، فلمّا أصبح هاشم أمر أصحابه أن يلبسوا أفخر أثوابهم، وأن يظهروا زينتهم، فلبسوا ما كان عندهم من الثياب، وما قد أعدّوه للزّينة والجمال، وأظهروا التيجان والجواشن والدروع والبيض، فأقبلوا يريدون سوق بني قينقاع وقد شدّوا لواء نزار على قناة، وأحاطوا بهاشم عن يمينه وشماله، ومشى قدّامه العبيد وأبو سلمى معهم وأكابر قومه، ومعهم جماعة من اليهود، فلمّا أشرفوا على السوق وكان تجتمع إليه الناس من أقاصي البلاد وأقطارها وأهل الحضر وسكّانها، فنظر القوم إلى هاشم وأصحابه وتركوا معاشهم وأقبلوا ينظرون إلى هاشم ويتعجّبون من حسنه وجماله، وكان هاشم بين أصحابه كالبدر المنير بين الكواكب، وعليه السكينة والوقار، فأذهل بجماله أهل السوق، وجعلوا ينظرون إلى النور الّذي بين عينيه، وكانت سلمى بنت عمرو واقفة مع النّاس تنظر إلى هاشم وحسنه وجماله وما عليه من الهيبة والوقار، إذ أقبل عليها أبوها وقال لها: يا سلمى أبشرك بما يسرّك ولا يضرّك، وكانت معجبة بنفسها من حسنها وجمالها، فلمّا نظرت إلى هاشم وجماله نسيت حسنها وجمالها، وقالت: يا أبت بما تبشّرني؟ قال: إنّ هذا الرجل، إليك خاطب، وفيك راغب، وهو يا سلمى من أهل الكفاف والعفاف والجود والأضياف هاشم بن عبد مناف، وإنّه لم يخرج من الحرم لغير ذلك، فلمّا

سمعت سلمى كلام أبيها أعرضت عنه بوجهها وأدركها الحياء منه فأمسكت عن الكلام، ثمّ قالت: يا أبت إنّ النساء يفتخرون على الرجال بالحسن والجمال والقدر والكمال، وإذا كان زوج المرأة سيّداً من سادات العرب وكان مليح المنظر والمخبر فما أقول لك، وقد عرفت ما جرى بيني وبين أحيحة بن الجلاح الأوسيّ وحيلتي عليه حتّى خلعت نفسي منه لمّا علمت أنّه لم يكن من الكرام، وإنّ هذا الرجل يدلّ عظمته ونور وجهه على مروّته، وإحسانه يدلّ على فخره، فإن يكن القوم كما ذكرت قد خطبونا ورغبوا فينا فإنّي فيهم راغبة، ولكن لا بدّ أن أطلب منهم المهر، ولا أصغّر نفسي، وسيكون لنا ولهم خطاب وجواب، وكان القول منها لحال أبيها لأنّها لم تصدق بذلك، حتّى نزلت هاشم قريباً من السوق واعتزل ناحية عنه، فأقبل أهل السوق إليه مسرعين ينظرون إلى نوره حتّى ضاع كثير من متاعهم ومعاشهم من نظر هم إليه، وقد نصبت له خيمة من الحرير الأحمر، ووضعت له سرادقات، فلمّا دخل هاشم وأصحابه الخيمة تفرّق أهل السوق عنهم، وجعل يسأل بعضهم بعضاً عن أمر هاشم وقومه، وما أقدمهم عليه من مكّة، فقيل: إنّه جاء خاطباً لسلمى فحسدوها عليه، وكانت أجمل أهل زمانها وأكملهم حسناً وجمالاً، وكانت جارية تامّة معتدلة، لها منظر ومخبر، كاملة الأوصاف، معتدلة الأطراف، سريعة الجواب، حسنة الآداب، عاقلة ظريفة عفيفة لبيبة، طاهرة من الأدناس، فحسدوها كلّهم على هاشم حتّى حسدها إبليس لعنه الله وكان قد تصوّر لها في صورة شيخ كبير وقال: يا سلمى أنا من أصحاب هاشم قد جئتك ناصحاً لك، اعلمي أنّ لصاحبنا هذا من الحسن والجمال ما رأيت إلاّ أنّه رجل ملول للنّساء، لا تقيم المرأة عنده أكثر من شهرين إذا أراد، وإلاّ فعشرة أيّام لا غير، وقد تزوّج نساءً كثيرة، ومع ذلك إنّه جبان في الحروب، فقالت سلمى: إليك عنّي، فوالله لو ملأ لي حصناً من المال ما قبلته، ولو ملأ لي حصون خيبر ذهباً وفضّة ما رغبت فيه لهذه الخصال الّتي ذكرت، ولقد كنت أجبته ورغبت فيه وقد قلّت رغبتي فيه لهذه الخصال، اذهب عنّي، فانصرف عنها وتركها في همّها وغمّها، ثمّ إنّ إبليس لعنه الله تصوّر لها بصورة أخرى وزعم أنّه من أصحاب هاشم وذكر لها مثل الأوّل، فقالت: أوليس الذي قد أرسلتك إليه أنه لا يرسل إليّ رسولاً بعد ذلك، فسكت إبليس لعنه الله، فقالت: إن أرسل رسولاً بعدك أمرت بضرب عنقه، فخرج إبليس فرحاً مسروراً وقد ألقى في قلبها البغضة لهاشم، وظنّ أنّ هاشماً يرجع خائباً، فعند ذلك دخل عليها أبوها فوجدها في سكرتها وحيرتها، فقال: يا سلمى ما الّذي حل بك هذا اليوم وهذا يوم سرورك؟! فقالت: يا أبت لا تزيدني كلاماً، فقد فضحتني وأشهرت أمري، أردت أن تزوّجني برجل ملول للنّساء، كثير الطلاق، جبان في الحروب، فضحك أبوها وقال: يا سلمى والله ما لهذا الرجل شيء من هذه الخصال الثلاث، وإنّه إلى كرمه الغاية، وإلى جوده النهاية، وإنّما سمّي هاشماً لأنّه أوّل من هشم الثريد لقومه، وأمّا قولك: كثير الطلاق فإنّه ما

طلّق امرأة قطّ، وأمّا قولك: جبان فهو واحد أهل زمانه في الشجاعة، وإنّه لمعروف عند الناس بالجواب والخطاب والصواب، فقالت: يا أبت لو أنّه ما جاءني عنه إلا واحد كذبته وقلت: إنّه عدوّ، فقد جاءني ثلاثة نفر كلّ واحد منهم يقول مثل مقالة الآخر، فقال أبوها: ما رأينا منه رسولاً ولا جاءنا منه خبر، وكان الشيطان يظهر لهم في ذلك الزمان ويأمرهم وينهاهم، وقد صحّ عندها ما قاله الشيطان الرجيم وهي تظنّ أنّه من بني آدم، وهاشم لا يعلم شيئاً من ذلك، وكان قد عوّل على جمع من قومه في خطبتها، ثمّ إنّ سلمى خرجت في بعض حوائجها وهي تحبّ أن تنظر إلى هاشم، فجمع الله بينهما في الطريق، فوقع في قلبها أمر عظيم من محبّته، وكان في ذلك الزمان لا تستحي النساء من الرجال، ولا يضرب بينهنّ حجاب إلى أن بعث محمّد ﷺ، ونزل طائفة من اليهود من جهة خيمة هاشم، ولمّا اجتمعت سلمى بهاشم عرفته بالنور الّذي في وجهه، وعرفها أيضاً هو، فقالت له: يا هاشم قد أحببتك وأردتك، فإذا كان غداً فاخطبني من أبي، ولا يعزّ عليك ما يطلب أبي منك، فإن لـم تصله يدك ساعدتك عليه، فلمّا أصبح تأهّب هاشم للقاء القوم فتزيّنوا بزينتهم، وإذا أهل سلمى قد قدموا، فقام من كان في الخيمة إجلالاً لهم، وجلس هاشم وأخوه وبنو عمّه في صدر الخيمة فتطاولت القوم إلى هاشم، فابتدأهم المطّلب بالكلام، وقال: يا أهل الشرف والإكرام والفضل والإنعام، نحن وفد بيت الله الحرام، والمشاعر العظام، وإلينا سعت الأقدام، وأنتم تعلمون شرفنا وسؤددنا، وما قد خصّصنا الله به من النور الساطع، والضياء اللاّمع، ونحن بنو لويّ بن غالب، قد انتقل هذا النور إلى عبد مناف، ثمّ إلى أخينا هاشم، وهو معنا من آدم إلى أن صار إلى هاشم، وقد ساقه الله إليكم، وأقدمه عليكم، فنحن لكريمتكم خاطبون، وفيكم راغبون، ثمّ أمسك عن الكلام، فقال عمرو أبو سلمى: لكم التحيّة والإكرام والإجابة والإعظام، وقد قبلنا خطبتكم، وأجبنا دعوتكم، وأنتم تعرفون عليّتنا، ولا يخفى عليكم أحوالنا، ولابدّ من تقدير المهر كما كان سلفنا وآباؤنا، ولولا ذلك ما واجهناكم بشيء من ذلك ولا قابلناكم به أبداً، فعند ذلك قال المطّلب: لكم عندي مائة ناقة سود الحدق، حمر الوبر، لم يعلها جمل، فبكى إبليس لعنه الله وكان من جملة من حضر، وجلس عند أبي سلمى وأشار إليه أن اطلب الزيادة، فقال أبو سلمى: معاشر السادات ما هذا؟ هذا قدر ابنتنا عندكم؟ فقال المطّلب: ولكم ألف مثقال من الذهب الأحمر، فغمز إبليس لعنه الله أبا سلمى وأشار إليه أن اطلب الزيادة، فقال: يا فتى قصّرت في حقّنا فيما قلت، وأقللت فيما بذلت، فقال: ولكم عندنا حمل عنبر، وعشرة أثواب من قباطي مصر، وعشرة من أراضي العراق، فقد أنصفناكم، فغمز إبليس لعنه الله أبا سلمى وأشار إليه أن اطلب الزيادة، فقال: يا فتى قد قاربت وأجملت، قال له المطّلب: ولكم خمس وصايف برسم الخدمة، فهل تريدون أكثر من ذلك؟ فأشار إليه إبليس لعنه الله أن اطلب الزيادة، فقال

أبو سلمى: يا فتى إنّ الّذي بذلتموه لنا إليكم راجع، فقال المطّلب: ولكم عشر أُواق من المسك الأذفر، وخمسة أقداح من الكافور، فهل رضيتم أم لا؟ فهمّ إبليس أن يغمز أبا سلمى فصاح به أبو سلمى وقال له: يا شيخ السوء اخرج لقد جئت شيئاً نكراً، فوالله لقد أخجلتني، فقال له المطّلب: اخرج يا شيخ السوء، فقام الشيطان وخرج، وخرج اليهود معه، فقال إبليس: يا عمرو إنّ الّذي شرطته في مهر ابنتك قليل، وإنّما أردت أن أطلب من القوم ما تفتخر به ابنتك على سائر نسائها وأهل زمانها، ولقد هممت أن أشرط عليه أن يبني لها قصراً طوله عشرة فراسخ، وعرضه مثل ذلك، ويكون شاهقاً في الهواء، باسقاً في السّماء، وفي أعلاه مجلس ينظر منه إلى إيوان كسرى، وينظر إلى المراكب منحدرات في البحر، ثمّ يجلب إليه نهراً من الدجلة والفرات عرضه مائة ذراع، تجري فيه المراكب، ثمّ يغرس حول النهر نخلات معتدلات لا ينقطع ثمرها صيفاً ولا شتاءً، قال المطّلب: يا ويلك ومن يقدر على ذلك يا شيخ السوء؟ فقد أسرفت فيما قلت، من يصل إلى ما أردت؟ فصاح به أبو سلمى والمطّلب فأخذته الصيحة من كلّ مكان، وكان مراد إبليس لعنه الله تفرّق المجلس، ثمّ قال أرمون بن قيطون: يا قوم إنّ هذا الشيخ أحكم الحكماء، وهو معروف في بلادنا بالحكمة، وفي الشام والعراق، وبعد ذلك إنّنا ما نزوج ابنتنا برجل غريب من غير بلدنا، فقامت اليهود وهم أربع مائة يهوديّ وأهل الحرم أربعون سيّداً وجرّدوا سيوفهم، وقال هاشم لأصحابه: دونكم القوم، فهذا تأويل رؤياي، فقامت الصيحة فيهم فوثب المطّلب على أرمون بن قيطون، ووثب هاشم على إبليس لعنه الله فانحاز يريد الهرب فأدركه هاشم وقبضه ورفعه وجلد به الأرض، فصرخ صرخة عظيمة لمّا غشاه نور رسول الله ﷺ وصار ريحاً، فالتفت هاشم إلى أخيه المطّلب فوجده قد قتل أرمون بن قيطون وقسمه نصفين، وقتل هاشم وأصحابه جمعاً كثيراً من اليهود، ووقع الرجفة في المدينة، وخرج الرجال والنساء وانهزم اليهود على وجوههم، ورجع أبو سلمى وقال لقومه: مزجتم الفرح بالترح، وما كان سبب الفتنة إلاّ من إبليس لعنه الله، فوضع السيف عن اليهود بعد أن قتل منهم سبعين رجلاً، وكانت عداوة اليهود لرسول الله ﷺ من ذلك اليوم، ثمّ إنّ هاشماً قال لأصحابه: هذا تأويل رؤياي، فافتقد اليهود الحبر فلم يجدوه، فقال هاشم: يا معاشر اليهود إنّما أغواكم الشيطان الرجيم، فانظروا إلى صاحبكم، فإن وجدتموه فاعلموا أنّه كما زعمتم حكيم من حكمائكم، وإن لم تجدوه فقد حيل بينكم وبينه وظننتم أنّه من أحباركم وما هو إلاّ الشيطان أغواكم، ثمّ إنّ أبا سلمى عمد إلى إصلاح شأنه، ورجع القوم إلى أماكنهم وقد امتلأوا غيظاً على اليهود، فأقبل هاشم إلى منزله وأصلح الولائم، وأمر العبيد أن يحملوا الجفان المترعة باللّبن ولحوم الضأن والإبل، ثمّ إنّ عمرواً مضى إلى ابنته وقال لها: إنّ الرجل الّذي يقول لك: إنّ هاشماً لجبان قد نطق بالمحال، والله لولا أمسكته وأحلف عليه ما ترك من القوم واحداً، فقالت: يا أبت امض معهم على كلّ حال

ولا ملامة للائم، قال: فلمّا أكلوا ورفعوا أيديهم قال لهم أبو سلمى: يا معاشر السادات اصرفوا عن قلبوكم الغيظ وكلّ همّ، فنحن لكم وابنتنا هديّة، فقال له المطّلب: لك ما ذكرناه وزيادة، ثمّ قال: يا أخي هاشم أرضيت بما تكلّمت به عنك؟ قال: نعم، فعند ذلك تصافحوا، ومضى أبو سلمى وأخرج من كمّه دنانير ودراهم فنثر الدنانير على هاشم وأخيه المطّلب، ونثر الدراهم على أصحابه، ونثر عليهم زرير المسك الأذفر، والكافور والعنبر، حتّى غمر أطمارهم، ثمّ قال: يا هاشم تحبّ الدخول على زوجتك هذه اللّيلة أو تصبر لها حتّى تصلح لها شأنها؟ قال: بل أصبر حتّى تصلح شأنها، فعند ذلك أمر بتقديم مطاياها، فركبوا وخرجوا، ثمّ إنّ هاشماً دفع إلى أخيه المطّلب ما حضره من المال، وأمره أن يدفعه إلى سلمى، فلمّا جاءها المطّلب فرحت به وبذلك المال وقبلته، وقالت: يا سيّد الحرم وخير من مشى على قدم سلّم على أخيك وقل له: ما الرغبة إلاّ فيك، فاحفظ منّا ما حفظنا منك، ثمّ قالت: قل له ما أقول لك، قال: قولي ما بدا لك، قالت: قل لأخيك: إنّي امرأة كان لي رجل اسمه أحيحة بن الجلاح الأوسيّ، وكان كثير المال، فلمّا تزوّجته اشترطت عليه أنّه متى أساء إليّ فارقته، وكان من قصتّي أنّي رزقت منه ولداً فأردت فراقه فأخذت خيطاً وربطته في رجل الطفل، فجعل الطفل يبكي تلك اللّيلة حتّى مضى من اللّيل ثلثه أو نصفه، وقطعت الخيط من رجل الطفل، فنام الطفل وأبوه، فخرجت إلى أهلي، فانتبه الرجل فلم يجدني فعلم أنّها حيلة منّي عليه، وأنا قد حدّثتك بهذا الحديث لتخبر به أخاك لكيلا يخفى عليه شيء من أمري، ولا يشتغل عنّي بباقي نسائه، فقال المطّلب عند ذلك: اعلمي أنّ أخي قد تطاولت إليه الملوك في خطبته، ورغبوا في تزويجه فأبى حتّى أتاه آت في منامه فأخبره بخبرك فرغب فيك، وأراد أن يستودعك هذا النور الّذي استودعه الله إيّاه بعد الأنبياء، فأسأل الله أن يتمّ لكم السرور، وأن يكفيكم كلّ محذور، ثمّ إنّه خرج وهي تشيّعه ومعها نساء من قومها، فمضى إلى أخيه وأخبره بما قالت له سلمى، فضحك لذلك وقال له: بلّغت الرسالة، قال: ثمّ أقام هاشم أيّاماً ودخل على زوجته سلمى في مدينة يثرب وحضر عرسها الحاضر والبادي من جميع الآفاق، فلمّا دخل بها رأى ما يسرّه من الحسن والجمال، والهيئة والكمال، ثمّ إنّ سلمى دفعت إليه جميع المال الّذي دفعه إليها وزادته أضعافاً، فلمّا واقعها حملت منه في ليلتها بعبد المطّلب جدّ رسول الله ﷺ، وهذا حديث تزويج سلمى بهاشم، وكان أهل يثرب يعملون الولائم، ويطعمون الناس إكراماً لهاشم وأصحابه، وقد زاد سلمى حسناً وجمالاً وصار أهل يثرب يهنّئونها بما خصّها الله تعالى به.

قال أبو الحسن البكريّ: حدّثنا أشياخنا وأسلافنا الرواة لهذا الحديث أنّه لمّا تزوج هاشم ابن عبد مناف بسلمى بنت عمرو النجّاريّة ودخل بها حملت بعبد المطّلب جدّ رسول الله ﷺ، وانتقل النور الّذي كان في وجهه إلى سلمى زادها حسناً وجمالاً وبهجة وكمالاً حتّى شاع حسنها في الآفاق، وكان يناديها الشّجر والحجر والمدر بالتحيّة والإكرام، وتسمع

قائلاً يقول عن يمينها: السّلام عليك يا خير البشر، ولم تزل تحدّث بما ترى حتّى حذّرها هاشم فكانت تكتم أمرها عن قومها حتّى إذا كان ذات ليلة سمعت قائلاً يقول:

لك البشر إذا أُوتيت أكرم من مشى و خير النّاس من حضر وبادي

وقال: لمّا سمعت ذلك لم تدع هاشماً يلامسها بعد ذلك. قال: ثمّ إنّ هاشماً أقام في المدينة أيّاماً حتّى اشتهر حمل سلمى، فقال لها: يا سلمى إنّي أودعتك الوديعة الّتي أودعها الله تعالى آدم عليه السلام، وأودعها آدم عليه السلام ولده شيثاً عليه السلام، ولم يزالوا يتوارثونها من واحد إلى واحد إلى أن وصلت إلينا، وشرّفنا الله بهذا النور، وقد أودعته إيّاك، وها أنا آخذ عليك العهد والميثاق بأن تقيه وتحفظيه، وإن أتيت به وأنا غائب عنك فليكن عندك بمنزلة الحدقة من العين، والروح بين الجنبين، وإن قدرت على أن لا تراه العيون فافعلي، فإنّ له حساداً وأضداداً، وأشدّ الناس عليه اليهود، وقد رأيت ما جرى بيننا وبينهم يوم خطبتك، وإن لم أرجع من سفري هذا أو سمعت أنّي قد هلكت فليكن عندك محفوظاً مكرّماً إلى أن يترعرع، واحمليه إلى الحرم إلى عمومته في دار عزّه ونصرته، ثمّ قال لها: اسمعي واحفظي ما قلت لك، قالت: نعم قد سمعت وأطعت ولقد أوجعتني بكلامك، فأنا أسأل الله العظيم أن يردّك سالماً، ثمّ خرج هاشم وأخوه المطّلب وأصحابه وأقبل عليهم وقال: يا بني أبي وعشيرتي من بني لويّ إنّ الموت سبيل لا بدّ منه، وأنا غائب عنكم، ولا أدري أنّي أرجع إليكم أم لا، وأنا أوصيكم: إيّاكم والتفرّق والشتاة فتذهب حميّتكم، وتقلّ قيمتكم، ويهين قدركم عند الملوك، ويطمع فيكم الطامع، فهل أنت يا أخي لما أقول لك سامع؟ وإنّي مخلف فيكم ومقدّم عليكم أخي المطّلب دون إخوتي، لأنّه من أبي وأمّي، وأعزّ الخلق عندي، وإن سمعتم وصيّتي وقدّمتموه وسلّمتم إليه مفاتيح الكعبة وسقاية الحاجّ ولواء نزار وكلّ ما كان من مكارم الأنبياء سعدتم، وإنّي أوصيكم بولدي الّذي اشتملت عليه سلمى، فإنّه سيكون له شأن عظيم، ولا تخالفوا قولي، قالوا: سمعنا وأطعنا غير أنّك كسرت قلوبنا بوصيّتك، وأزعجت أفئدتنا بقولك، قال: ثمّ إنّ هاشماً سافر إلى غزّة الشام فحضر موسمها وباع أمتعته وشرى ما كان يصلح له، واشترى لسلمى طرفاً وتحفاً، ثمّ إنّه تجهّز للسّفر فلمّا كان اللّيلة الّتي عزم فيها على الرحيل طرقته حوادث الزمان، وأتته العلّة، فأصبح مثقلاً، وارتحل رفقاؤه وبقي هاشم وعبيده وأصحابه، فقال لهم: الحقوا بأصحابكم فإنّي هالك لا محالة، وارجعوا إلى مكّة وإنّ مررتم على يثرب فاقرئوا زوجتي سلمى عنّي السلام، وأخبروها بخبري، وعزّوها في شخصي، وأوصوها بولدي، فهو أكبر همّي، ولولاه ما نلت أمري، فبكى القوم بكاءً شديداً فقالوا: ما نبرح عنك حتّى ننظر ما يكون من أمرك، وأقاموا يومهم، فلمّا أصبحوا ترادفت عليه الأمراض، فقالوا له: كيف تجد نفسك؟ فقال: لا مقام لي معكم أكثر من يومي هذا، وغداً توسّدوني التراب، فبكى القوم بكاءً شديداً وعلموا أنّه مفارق الدنيا، ولم يزالوا يشاهدونه حتّى طلع الفجر الأوّل، فاشتدّ به الأمر، فقال لهم: أقعدوني وسنّدوني وآتوني

بدواة وقرطاس، فأتوه بما طلب، وجعل يكتب وأصابعه ترتعد، فقال: باسمك اللّهمّ هذا كتاب كتبه عبد ذليل، جاءه أمر مولاه بالرحيل، أمّا بعد فإنّي كتبت إليكم هذا الكتاب وروحي بالموت تجاذب، لأنّه لا لأحد من الموت مهرب، وإنّي قد نفذت إليكم أموالي فتقاسموها بينكم بالسويّة، ولا تنسوا البعيدة عنكم الّتي أخذت نوركم، وحوت عزكم سلمى، وأوصيكم بولدي الّذي منها، وقولوا لخلادة وصفيّة ورقيّة يبكين عليّ، ويندبن ندب الثاكلات ثمّ بلّغوا سلمى عنّي السلام وقولوا لها: آه ثم آه، إنّي لم أشبع من قربها، والنظر إليها وإلى ولدها، والسلام عليكم ورحمة الله إلى يوم النشور، ثمّ طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى اصحابه، وقال: أضجعوني فأضجعوه، فشخص ببصره نحو السماء ثمّ قال: رفقاً رفقاً أيّها الرسول بحقّ ما حملت من نور المصطفى، وكأنّه كان مصباحاً وانطفأ، ثمّ لمّا مات جهّزوه ودفنوه وقبره معروف هناك، ثمّ عزم عبيده وغلمانه على الرحيل بأمواله وفيه يقول الشاعر:

اليوم هاشم قد مضى لسبيله	يا عين جودي منك بالعبرات
وابكي على البدر المنير بحرقة	و ابكي على الضرغام طول حياتي
آه أبو كعب مضى لسبيله	يا عين فابكي الجود بالعبرات
صعب العريكة لا به لؤم ولا	فشل غداة الروع والكربات
يا عين ابكي غيث جود هاطل	أعني ابن عبد مناف ذي الخيرات
وابكي لأكرم من مشى فوق الثرى	فلأجله قد أردفت زفراتي

قال: وسار القوم حتّى أشرفوا على يثرب فبكوا بكاءً شديداً، ونادوا: وا هاشماه، وا عزّاه، وخرج الناس وخرجت سلمى وأبوها وعشيرتها فنظروا وإذا بخيل هاشم قد جزّوا نواصيها وشعورها، وعبيد هاشم يبكون، فلمّا سمعت سلمى بموت هاشم مزقت أثوابها، ولطمت خدّها، وقالت: وا هاشماه، مات والله لفقدك الكرم والعزّ من بعدك، يا هاشماه يا نور عيني من لولدك الّذي لم تر عيناك؟ قال: فضجّ الناس بالبكاء والنحيب، ثمّ إنّ سلمى أخذت سيفاً من سيوف هاشم وعطفت به على ركابه وعقرتها عن آخرها، وحسبت ثمنها على نفسها، وقالت لوصيّ هاشم: أقرىء المطّلب عنّي السلام وقل له: إنّي على عهد أخيه، وإنّ الرجال بعده عليّ حرام، ثمّ إنّ العبيد والغلمان ساروا إلى مكّة وقد سبقهم الناعي إلى أولاده وعياله، فأكثر أهل مكّة البكاء والنحيب، وخرج الرجال وخرجت نساء قريس منشرات الشعور، ومشقّقات الجيوب، وخرجت نساء سادات بني عبد مناف، وتقدّمت خلادة تلومهم حيث إنّهم لم يحملوه إلى الحرم وأنشأت تقول:

يا أيّها الناعون أفضل من مشى	الفاضل بن الفاضل بن الفاضل
أسد الشرى[1] ما زال يحمي أهله	من ظالم أو معتد بالباطل

(١) هكذا والظاهر: الثرى.

ماضي العزيمة أروع ذي همّة ... عليا وجودٍ كالسّحاب الهاطل
زين العشيرة كلّها وعمادها ... عند الهزاهز طاعن بالذابل
إنَّ السميدع قد مضى في بلدة ... بالشام بين صحاصح وجنادل

قال: فلمّا فرغت من شعرها أتت إليهم بنته الشعثاء فحثت التراب على وجههم، وقالت: بئس العشيرة أنتم ضيّعوا سيّدهم، وأسلموا عمادهم، أما كان هاشم مشفقاً عليكم، إذا نزل به الموت أن تحملوه إلى بلده وعشيرته حتّى نشاهده، وأنشأت بعد ذلك تقول:

يا عين جودي وسحّي دمعك الهطلا ... على كريم ثوى في الشام ثمّ خلا
زين الورى ذاك الّذي سنّ القرى ... كرماً ولم ير في يديه مذ نشا بخلا

قال: فلمّا فرغت من شعرها أقبلت ابنة الطليعة حليلة هاشم تقول:

ألا يا أيّها الركب الّذين تركتموا ... كريمكم بالشام رهن مقام
ألم تعرفوا ما قدره وفخاره ... ألا إنّكم أولى الورى بملام
أيا عبرتي سحّي عليه فقد مضى ... أخو الجود والأضياف تحت رخام

قال: وكان آخر من رثاه من بناته رقيّة فإنّها جعلت تندب وتقول:

عين جودي بالبكاء والعويل ... لأخ الفضل والسخاء الفضيل
طيّب الأصل في العزيمة ماض ... سمهريّ في النايبات أصيل

قال: فبكى القوم عند ذلك وفكّوا كتابه وقرأوه فجدّدوا حزنهم، ثمّ قدّموا أخاه المطّلب وسوّدوه عليهم، فقال: إنّ أخي عبد شمس أكبر منّي وأحقّ بهذا الأمر، فقال عبد شمس: وأيم الله إنّك خليفة أخي هاشم، قال: فرضوا أهل مكّة بذلك، وسلّموا له لواء نزار، ومفاتيح الكعبة والسقاية والرفادة ودار الندوة، وقوس إسماعيل عليه السلام، ونعل شيث عليه السلام، وقميص إبراهيم عليه السلام، وخاتم نوح عليه السلام، وما كان في أيديهم من مكارم الأنبياء، وأقام المطّلب أياماً، فلمّا اشتدّ بسلمى الحمل وجاءها المخاض وهي لا تجد ألماً إذ سمعت هاتفاً يقول:

يا زينة النّساء من بني النجّار ... بالله اسدلي عليه بالأستار
واحجبيه عن أعين النظّار ... كي تسعدي في جملة الأقطار

قال: فلمّا سمعت شعر الهاتف أغلقت بابها، وأسدلت سترها، وكتمت أمرها، فبينما هي تعالج نفسها إذ نظرت إلى حجاب من نور قد ضرب عليها من البيت إلى عنان السماء، وحبس الله عنها الشيطان الرجيم، فولدت شيبة الحمد، وقامت وتولّت أمرها، ولمّا وضعته سطع منه نور شعشعانيّ، وكان ذلك النور نور رسول الله صلى الله عليه وآله، فضحك وتبسم، فتعجّبت أمّه من ذلك، ثمّ نظرت إليه فإذا هي بشعرة بيضاء تلوح في رأسه، فقالت: نعم أنت شيبة كما سمّيت، ثمّ إنّ سلمى درجته في ثوب من صوف وقمّطته وهيّأته ولم تعلم به أحداً من قومها

حتّى مضت له أيّام، وصارت تلاعبه ويهشّ إليها، فلمّا كمل له شهر علم الناس فأقبل القوابل إليها فوجدوها تلاعبه، فلمّا صار له شهران مشى ولم يكن على اليهود أشدّ منه وأكثر ضرراً، وكانوا إذا نظروا إليه امتلأوا غيظاً وحنقاً لما يعلمون بما سيظهر منه من تدميرهم، وخراب أوطانهم وديارهم، وقطع آثارهم، وكانت أمّه إذا ركبت ركب معها أبطال الأوس والخزرج، وكانت مطاعة بينهم، وكان إذا خرج يلعب يقفون الناس من حوله يفرحون به أولادهم، وكانت أمّه لا تأمن عليه أحداً، فلمّا تمّ له سبع سنين اشتدّ حبله، وقوي بأسه، وتبيّن للنّاس فضله، وكان يحمل الشيء الثقيل، ويأخذ الصبيّ ويصرعه، فلم يشكوه إلى أمّه وكان يهشم عظامهم.

قال أبو الحسن البكريّ: بلغنا أنّ رجلاً من بني الحارث دخل يثرب في حاجة فإذا هو بابن هاشم يلعب مع الصبيان قد غمرهم بنوره، فوقف الرجل ينظر إلى الصبيّ وهو يقول: ما أسعد من أنت في ديارهم ساكن؟ وكان يلعب وهو يقول: أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن هاشم وكفى، قال: فناداه الرجل: يا فتى، فأجاب وقال: ما تريد يا عمّ؟ قال: ما اسمك؟ قال: شيبة بن هاشم بن عبد مناف، مات أبي وجفوني عمومتي، وبقيت مع أمّي وأخوالي، فمن أين أقبلت يا عمّ؟ قال: من مكّة، قال: وهل أنت متحمّل لي رسالة ومتقلّد لي أمانة؟ قال الحارث: وحقّ أبي وأبيك إنّي فاعل ما تأمرني به، قال: يا عمّ إذا رجعت إلى بلدك سالماً ورأيت بني عبد مناف فاقرئهم منّي السلام وقل لهم: إنّ معي رسالة غلام يتيم، مات أبوه، وجفوه عمومته، يا بني عبد مناف ما أسرع ما نسيتم وصيّة هاشم، وضيّعتم نسله، وإذا هبّت الريح تحمل روائحكم إليّ، قال: فبكى الرجل واستوى على مطيّته وأرسل زمامها حتّى قدم مكّة، فلم يكن له همّة إلاّ رسالة الغلام، ثمّ أتى مجلس بني عبد مناف فوجدهم جلوساً فأنعمهم صباحاً، وقال: يا أهل الفضل والأشراف، يا بني عبد مناف، أراكم قد غفلتم عن عزّكم وتركتم مصباحكم يستضيء به غيركم، قالوا: وما ذلك؟ فأخبرهم بوصيّة ابن أخيهم، فقالوا: وأيم الله ما ظننّا أنّه صار إلى هذا الأمر، فقال لهم الحارث: وإنّه ليعجز الفصحاء عن فصاحته، ويعجز اللّبيب عن خطابه، وإنّه لفصيح اللّسان، جريّ الجنان، يتحيّر في كلامه اللّبيب، فائق على العلماء، عاقل أديب، إلى عقله الكفاية، وإلى جماله النهاية، فقال عمّه المطّلب بن عبد مناف شعراً:

أقسمت بالسّلف الماضين من مضر ... وهاشم الفاضل المشهور في الأمم
لأمضينّ إليه الآن مجتهداً ... وأقطعنّ إليه البيد في الظلم
السيّد الماجد المشهور من مضر ... نور الأنام وأهل البيت والحرم

قال: وكان المطّلب أشدّ أهل زمانه بأساً في الشجاعة، فقال له إخوته: نخشى عليك إن علمت أمّه لم تدعه يخرج معك، لأنّها شرطت على أخيك ذلك، فقال: يا قوم إنّ لي في ذلك أمراً أدبّره، ثمّ إنّه تهيّأ للخروج، وأفرغ على نفسه لأمة حربه، وركب مطيّته وخرج وقد أخفى

نفسه خوفاً أن يشعر به أحد فيخبر سلمى ثمّ أقبل يجدّ السير حتّى أقبل على مدينة يثرب وقد ضيّق لثامه، ودخل المدينة فوجد شيبة يلعب فعرفه بالنور الّذي أودعه الله فيه، وهو قد رفع صخرة عظيمة وقال: أنا ابن هاشم المعروف بالعظائم، فلمّا سمع كلامه عمّه أناخ مطيّته وناداه: ادن منّي يابن أخي، فأسرع إليه شيبة فقال له: من أنت يا هذا؟ فقد مال قلبي إليك وأظنّك أحد عمومتي، فقال له: أنا عمّك المطّلب، وأسبل عبرته، وجعل يقبّله وقال: يابن أخي أُحبّ أن تمضي معي إلى بلد أبيك وعمومتك، وتكون في دار عزّك، فقال: نعم، فركب المطّلب، وركب شيبة معه وسارا، فقال له شيبة: يا عمّ اسرع بنا لأنّي أخشى أن يعلموا بنا أُمّي وعشيرتها فيلحقوا بنا فيأخذوني قهراً، أما علمت أنّه يركب لركوبها أبطال الأوس والخزرج، فقال له: يابن أخي في الله الكفاية، ثمّ سارا وركبا الجادّة الكبرى حتّى أدركهم المساء بذي الحليفة فنزلا وسقيا مطيّتهما، ثمّ إنّ المطّلب ركب مطيّة وأخذ ابن أخيه شيبة قدامه وأرسل زمامها وسارا، فبينما هما كذلك إذ سمعا صهيل الخيل وقعقعة اللّجم وهمهمة الرجال في جوف اللّيل، فقال المطّلب: يابن أخي دهينا وربّ الكعبة فما نصنع؟ قال شيبة: ألم أقل لك إنّ القوم يلحقون بنا، فانحرف بنا عن الجادّة إلى الطريق السفلى، قال المطّلب: وكيف يخفى أمرنا عليهم ونورك يدلّ علينا قال: استر وجهي. فعسى أن يخفى أمرنا عليهم، قال: فأخذ المطّلب ثوباً وطواه ثلاث طيّات وستر به وجهه، وإذا بالنور علا من وجهه كما كان، فقال: يابن أخي إنّ لك شأناً عظيماً عندك، فإنّ الّذي أعطاك هذا النور يصرف عنّا كلّ محذور، قال: فبينا هو يخاطب ابن أخيه إذ أدركتهما الخيل وكانوا من اليهود، فلمّا رأوا شيبة علموا أنّه هو الّذي يخرج من ذرّيّته من يسومهم سوء العذاب، ويكون خراب ديارهم على يديه وقد بلغهم في ذلك اليوم أنّ شيبة قد خرج هو وعمّه ولا ثالث لهما فأدركهم الطمع في قتله، فخرجوا وخرج معهم سيّد من سادات اليهود يقال له: دحية، وكان له ولد يقال له: لاطية، فخرج يوماً يلعب مع الصبيان فأخذ شيبة عظم بعير وضرب به ابن دحية فهشم رأسه وشجّه شجّة موضحة، وقال له: يا ابن اليهوديّة قد قرب أجلك، ودنا خراب دياركم، فبلغ الخبر إلى أبيه دحية فامتلأ غيظاً، فلمّا علم أنّه قد خرج مع عمّه نادى: يا معاشر اليهود، هذا الغلام الذي تخشونه قد خرج مع عمّه وما لهما ثالث فأسرعوا إليه واقتلوه، فخرجوا وكان عددهم سبعين فارساً، فلحقوا بشيبة وعمّه، فقال لعمّه شيبة: يا عمّ أنزلني حتّى أُريك قدرة الله تعالى فأنزله عمّه فقصده القوم فجثا على الطريق وجعل يمرغ وجهه في التراب ويدعو ويقول في دعائه: «يا ربّ الظلام الغامر، والفلك الدائر، يا ربّ السبع الطباق، يا مقسّم الأرزاق، أسألك بحقّ الشفيع المشفّع، والنور المستودع، أن تردّ عنّا كيد أعدائنا» فما استتمّ دعاؤه حتّى كادت الخيل تهجم عليهم، فوقفت الخيل، فقال ابن دحية لاطية: يابن هاشم اصرف عنّا هذا الخطاب وكثرة الجواب، فنحن لا نشكّ فيك يابن عبد مناف، فأنتم

السادات، اعلموا أنّا ما خرجنا طالبين كيدكم، ولكن خرجنا كي نردّك إلى أمّك، فلقد كنت مصباح بلدتنا، فقال شيبة: أراكم تنظرون إليّ بعين مغضب، فكيف تكون في قلوبكم المحبّة لي؟ لكن لمّا رأيتم قدرة الله تعالى قلتم هذا الكلام، وتركهم، وسار إلى عمّه، فقال له المطّلب: يابن أخي إنّ لك عند الله شأناً، ثمّ جعل يقبّله، وسارا وسار القوم راجعين، قال لهم لاطية: ألم تعلموا أنّ هؤلاء معدن السحر؟ قالوا: بلى، قال: يا بني إسرائيل يا أمّة الكليم قد سحركم هذا الغلام وعمّه فدعونا نترجّل، فاتبعوهم من ورائهم شاهرين سيوفهم وقصدوا شيبة، فلمّا قربوا قال المطّلب: الآن قد حقّقت الحقائق، وأخذ المطّلب قوسه وجعل فيه سهماً ورمى بها اليهود فقتل بها عبد لاطية، فأتاه سيّده وقد مات، وقد أخذ أخرى ورمى بها فأصابت رجلاً آخر فقتله، فصاحوا بأجمعهم وهمّوا بالرجوع، فقال لهم لاطية: عار عليكم الرجوع عن اثنين، فإلى متى يصيبون منّا بنبلهم؟ فلا بدّ أن يفرغ نبلهم ونقتلهم، ولم يكن في القوم أشجع منه، وكان من يهود خيبر، فعند ذلك حملوا عليهما حملة رجل واحد، وجاء لاطية إلى المطّلب وقال: قف لي أكلّمك بما فيه المصلحة ونرجع عنكم، قال شيبة: يا عمّ إنّ القوم قد عزموا علينا، فقال المطّلب: يا معاشر اليهود ليس فيكم شفيق ولا حبيب، والمقام له بين عمومته خير له فانصرفوا راجعين، فقال لهم لاطية: كيف يرجع هذا الجمع خائباً ونحن قد خرجنا ومرادنا أن نردّه إلى أمّه؟ فقال لهم المطّلب: أنتم قوم ظالمون، لقد أكثرتم الكلام، وأطلتم الملام، ثمّ قال المطّلب: إنّما غرضي أن تمضي إلى عمومتك، فإنْ كنت تعرف من القوم الصدق فارجع معهم حتّى تكبر وتبلغ مبالغ الرجال، ثمّ تعود إلى بلد عمومتك، قال: يا عمّ لا يغرنّك كلامهم، إنّهم أعداؤنا، قال عمّه: صدقت، قال: ثمّ إنّ المطّلب قال لهم: يا حزب الشيطان بنا تمكرون، وعلينا تحتالون؟ إنّما ساقكم إلينا آجالكم، فمن شاء منكم أن يبرز إلى القتال فليبرز، فلمّا سمعوا كلام المطّلب قال لهم لاطية: أما تعلمون أنّ هذا فارس بني عبد مناف الّذي يفرّق العرب؟ من يبرز إليه فله عندي مائة نخلة حاملة ليس فيها ذكر، فقال له رجل يقال له: (جميع) من بني قريظة وكان للاطية عليه دين: أنا أبرز إليه واترك دينك عنّي، قال: نعم ولك مثله، فاشهدوا يا من حضر، ثمّ خرج جميع إلى المطّلب وهو لا يعلم به حتّى قرب منه، فقال له المطّلب: لا أشكّ أنّه قد ساقك قصر أجلك، ثمّ ضربه بالسيف فقال: خذها وأنا المطّلب بن عبد مناف، فمات من ساعته، فأقبل اليهود وأحاطوا به، فلمّا رأى لاطية ما حلّ بأصحابه غضب غضباً شديداً وقال: من يبرز إليه فله عندي ما يريد، فقال له غلاب: ما لهذا البطل إلاّ بطل مثله، أبرز إليه أنت، قال: نعم أنا أبرز إليه وجرّد سيفه ودنا من المطّلب فتقاتلا من أوّل النهار حتّى مضى من اللّيل أكثره، واليهود فرحون إذ برز لاطية للمطّلب هذا، وعينا شيبة يهملان دموعاً خوفاً على عمّه المطّلب، فبينا هم كذلك وإذا بغبرة قد ثارت كأنّها اللّيل المظلم وقد سدت الأفق، وإذا بصهيل الخيل،

وقعقعة اللّجم، واصطفاق الأسنّة، وإذا هم أربعمائة وهم فرسان الأوس والخزرج قد أقبلوا من المدينة مع سلمى وأبيها، فلمّا نظرت إلى اليهود مجتمعين على حرب المطّلب صاحت بهم صيحة عظيمة وقالت: يا ويلكم ما هذا الفعال؟ فهمّ لا طية بالهزيمة فقال له المطّلب: إلى أين يا عدوّ الله، الفرار من الموت، ثمّ ضربه بالسيف على عاتقه فقسمه نصفين، وعجّل الله بروحه إلى النّار وبئس القرار، وجالت الفرسان على اليهود، فما كان إلاّ قليلاً حتّى باد جميع اليهود، فعند ذلك عطفوا على المطّلب ولا سيف مشهور في يده وقد دفع القوس إلى ابن أخيه، فلمّا جالت الكتائب خافت سلمى على ولدها فأومأت إلى القوم وكانت مطاعة فيهم فأمسكوا عن القتال، فتقدّمت سلمى إلى المطّلب ونادته وقالت: من الهاجم على مرابط الأسد والخاطف من اللّبوة شبلها؟ قال المطّلب: هو من يزيده شرفاً على شرفه، وعزّاً إلى عزه، وهو أشفق عليه منكم، وأنا أرجو أن يكون صاحب الحرم، والمتولّي على الأمم، وأنا عمّه المطّلب، فلمّا سمعت كلامه قالت: مرحباً وأهلاً وسهلاً، ولم لا تستأذني في حملك ولدنا من بلدنا، وأنا قد شرطت على أبيه إن رزقت منه ولداً يكون عندي ولا يفارقني، فقال لها المطّلب: كان ذلك، ثمّ أقبلت على ولدها، وقالت: يا ولدي خرجت مع عمّك وتركتني، والآن إن أردت أن ترجع معي فارجع، وإن اخترت عمّك فامض راشداً، فلمّا سمع كلام أمّه أطرق إلى الأرض، فقالت له أمّه: يا بنيّ لم تسكت وأنت طلق اللّسان، جريء الجنان؟ فوحقّ أبيك إنّي لا أمنعك عن شهوتك، وإن عزّ عليّ فراقك يا ولدي، فرفع رأسه وقد سبقته العبرة فقال: يا أمّاه أخشى مخالفتك لأنّه محرم عليّ عصياني لك، ولكن أحبّ مجاورة بيت ربّي، وأنظر إلى عمومتي وعشيرتي، فإن أمرتني بالمسير سرت وإلاّ رجعت، فعند ذلك بكت وقالت له: إذا كان كذلك فقد سمحت لك برضى منّي، وقد كنت مستأنسة بغرّتك فلا تنسني، ولا تقطع أخبارك عنّي، ثمّ قبّلته وودعته، وقالت: يابن عبد مناف قد سلّمت إليك الوديعة الّتي استودعنيها أخوك هاشم بالعهد والميثاق، فاحتفظ بها، فإذا بلغ ولدي مبالغ الرجال ولم أكن حاضرة فانظروا بمن تزوّجونه، فقال لها المطّلب: تكرّمت بما فعلت، وأجملت فيما وصفت، ونحن لا ننسى حقّك ما حيينا، ثمّ عطف عليها يودّعها فقالت سلمى: خذوا من هذا الثياب والخيل ما تريدون، فشكرها المطّلب وأردف ابن أخيه وسارا حتّى قربا من مكّة فأضاءت شعابها وأنارت الكعبة، فأقبلت الناس ينظرون إليه، وإذا هم بالمطّلب يحمل ابن أخيه، فسألوه عنه وقالوا: من هذا يابن عبد مناف الّذي قد أضاءت به البلاد؟ فقال لهم المطّلب: هذا عبد لي، فقالوا: ما أجمل هذا العبد، فسموه الناس من ذلك عبد المطّلب، وأقبل إلى منزله وكتم أمره، وقد عجب الناس منه ومن نوره وهم لا يعلمون أنّه جدّ رسول الله ﷺ ثمّ إنّه ظهرت له آيات ومعجزات ومناقب ودلالات تدلّ على النبوّة.

وقال أبو الحسن البكريّ: حدّثنا أشياخنا وأسلافنا الرواة لهذا الحديث أنّه لمّا قدم المطّلب وشيبة إلى الحرم وكان بين عينيه نور رسول الله ﷺ كانت قريش تتبرك به، فإذا

أصابتهم مصيبة أو نزلت بهم نازلة أو دهمهم طارق أو نزل بهم قحط توسّلوا بنور رسول الله ﷺ فيكشف الله عنهم ما نزل بهم، قال: وكان أعجب نازلة نزلت بهم وأعجب آية ظهرت لهم ما جرى من أصحاب الفيل وهو أبرهة بن الصباح، وكان ملك اليمن، وقيل: ملك الحبشة الّذي ذكره الله في كتابه العزيز، وكان قد أشرف منه أهل مكّة على الهلاك، وقد حلف أنّه يقطع آثارهم، ويهدم الكعبة، ويرمي بأحجارها في بحر جدّة، ويحفر أساسها، فكشفه الله عن البيت وأهله ببركة عبد المطّلب جدّ رسول الله ﷺ.

قال صاحب الحديث: فأمّا ما اجتمعت عليه الروايات وأصحاب الحديث أنّه نزلت جماعة من أهل مكّة بأرض الحبشة في تجارة فدخلوا في كنيسة من كنائس النصارى، وأوقدوا بها ناراً يصطلون عليها، ويصلحون بها طعاماً لهم ورحلوا ولم يطفئوها فهبّت ريح فأحرقت جميع ما في الكنيسة، فلمّا دخلوا قالوا: من فعل هذا؟ قالوا: كان بها تجّار من عرب مكّة، فأخبروا بذلك النجاشيّ وكان ملك اليمن أو ملك الحبشة والله أعلم قال: ما أحرق معبدنا إلاّ العرب، فغضب لذلك غضباً شديداً، وقال: لأحرقنّ معبدهم كما أحرقوا معبدنا، فأرسل وزيره أبرهة بن الصباح وأرسل معه أربعمائة فيل، وأرسل معه مائة ألف مقاتل، وقال له: امض إلى كعبتهم وانقضها حجراً حجراً، وارمها في بحر جدّة، واقتل رجالهم، وانهب أموالهم وذراريهم، ولا تترك لهم رجالاً، قال: فأمر المنادي ينادي في الجيوش بالمسير إلى مكّة، واجتمعوا من كلّ جانب ومكان، وأعدّوا ما يصلح للسّفر من الزاد والماء والعدد والسّلاح والدّواب وأمرهم بالمسير، قال: فسار القوم وجعل في مقدّمة الجيوش رجلاً من أخيار دولته يقال له: الأسود بن مقصود، وأمره بالمسير أمامه، ومعه عشرون ألف فارس، وقال: امض بمن معك، وانزل على الكعبة، وخذ رجالها ونساءها ولا تقتل منهم أحداً حتّى آتيك، فإنّي أريد أن أعذبهم عذاباً شديداً لم يعذّب به أحد من العالمين، قال: فسار بجيشه سيراً عنيفاً يقطع الفيافي والقفار، ويجوز السهل والوعار، ولم يقروا ولم يهدءوا حتّى نزلوا ببطن مكّة، فلمّا سمع أهل مكّة أنّه قد نزل بهم صاحب الفيل جمعوا أموالهم وأهليهم ودوابّهم وهمّوا بالخروج من مكّة هاربين من أصحاب الفيل، فلمّا نظر إليهم عبد المطّلب قال لهم: يا قوم أيجمل منكم هذا الأمر؟ وإنّه لعار عليكم خروجكم عن كعبتكم، قالوا له: إنّ الملك أقسم بمعبوده أن لا بدّ له من ذلك أن يهدم الكعبة، ويرمي أحجارها في البحر، ويذبح أطفالها، ويرمل نساءها، ويقتل رجالها، فاتركنا نخرج قبل أن يحلّ بنا الويل، فقال لهم عبد المطّلب: إنّ الكعبة لا يصلون إليها، لأنّ لها مانعاً يمنعهم عنها، وصاداً يصدّهم عنها، فإن أنتم التجأتم إليها واعتصمتم بها فهو خير لكم، فلم تطمئنّ القلوب إلى كلامه، وغلب عليهم الخوف والجزع، وخرجوا هاربين يطلبون الشعاب، ومنهم من طلب الجبال، ومنهم من ركب البحر، قال: فعند ذلك قالوا لعبد المطّلب: ما يمنعك أن تهرب مع الناس؟ قال: أستحيي من الله أن أهرب عن بيته وحرمه، فوالله لا برحت

من مكاني ولا نأيت عن بيت ربّي حتّى يحكم الله بما يشاء، قال: ولم يبق يومئذٍ بمكّة إلاّ عبد المطّلب وأقاربه وهم غير آمنين على أنفسهم، فلمّا نظر عبد المطّلب إلى الكعبة خالية وديارها خاوية قال: «اللّهمّ أنت أنيس المستوحشين ولا وحشة معك، فالبيت بيتك، والحرم حرمك، والدار دارك، ونحن جيرانك تمنع عنه ما تشاء، وربّ الدار أولى بالدار» قال: وأقام الأسود بن مقصود بجيشه حتّى ورد عليه أبرهة بن الصباح ومعه بقيّة الجيش وهم أربعمائة فيل، فكدر المياه، وحطم المراعي، وسدّ المسالك والفجاج، وحطموا الأرض، فأضرّ بهم العطش والجوع لكثرتهم فشكوا ذلك إلى أبرهة، فقال لهم: سيروا إلى مكّة مسرعين، فنزلوا بالأبطح، وساقوا جميع المواشي، وكانت لعبد المطّلب ثمانون ناقة حمراء فأخذها القوم وتقاسموها، وسبق بعض الرعاة فأخبر عبد المطّلب بذلك، فقال: (الحمد لله) هي مال الله، وضيافة لأهل بيته وزوّاره وحجّاجه، فإن سلّمها فهي له، وإن ردّها إلينا فهي إحسانه، وهي عارية عندنا»، ثمّ إنّ عبد المطّلب لبس قميصه، وتردّى برداء لويّ، وتحزّم بمنطقة الخليل عليه السلام، وتنكّب قوس إسماعيل عليه السلام، واستوى على مطيّته وعزم على الخروج، فقام إليه أقاربه وقالوا له: أين تريد؟ قال: إلى هذا الرجل الظالم الّذي أخذ مال الله عزّ وجلّ، وتعرّض لحرم الله، قالوا: ما كنّا بالذي نطلق سبيلك حتّى تمضي إليه لأنّ هذا مثل البحر من دخله غرق، وأنت اعتصمت بربّ الكعبة، واعتصمنا معك، ورضينا لأنفسنا ما رضيت لنفسك، أمّا الخروج من الحرم إلى شرّ الأمم فما نسمح لك بذلك، قال: يا قوم إنّي أعلم من فضل ربّي ما لا تعلمون، فخلّوا سبيلي فإنّي سأرجع إليكم عن قريب، فخلّوا سبيله فمرّت به مطيّته كالريح، فلمّا أشرف على القوم نظروا إليه من بعيد فإذا هو كالبدر إذا بدا، والصبح إذا أسفر، فلمّا عاينوه من قريب بهتوا فيه فجاؤه وقد حبس الله أيديهم عنه، فقالوا له: من أنت أيّها الرجل الجميل الطّلعة، المليح الغرّة، من أنت يا ذا النور الساطع، والضياء اللاّمع؟ فإن كنت من هذه البلدة نسألك أن تردّ عن قربنا شفقة منّا عليك، فقال لهم: إنّي أُريد الملك، فقالوا له: إنّ ملكنا قد أقسم بمعبوده أن لا يترك من قومك أحداً، فقال لهم عبد المطّلب: إنّي قد أتيته قاصداً، فعند ذلك تصارخت القوم وقال بعضهم لبعض: ما رأينا مثل هذا الرجل في الجمال والكمال إلاّ أنّه ناقص العقل، نحن نقول: إنّ ملكنا قد أقسم بمعبوده أن لا يترك أحداً من أهل هذه البلدة، وهو يقول: لا بدّ لي منه، قال: فخلّوا سبيله فمضى قاصداً إلى الملك، فأوصلوا خبره إلى الملك، وقالوا: أيّها الملك قد قدم علينا رجل صفته كذا وكذا من أهل مكّة ولم يفزع ولم يجزع، فقال الملك: عليّ به، فوحقّ ما أعتقده من ديني لو سألني أهل الأرض ما قبلت فيه سؤالاً، قال: فعند ذلك أقبلوا إلى عبد المطّلب ليأتوا به، فقال لهم عبد المطّلب: إنّي قادم إلى الملك بنفسي، فأمر الملك قومه أن يشهروا السّلاح، ويجرّدوا السيوف، وجعل الملك على رأسه تاجاً، وشدّ عمامته على جبينه، وأمر سيّاس

الفيل أن يحضروه فأحضروه، وكان فيهم فيل يقال له: المذموم، وكان قد ركبوا على رأسه قرنين من حديد لو نطح جبلاً راسياً بهما لألقاه، وكانوا قد علّقوا على خرطومه سيفين هنديّين وعلّموه الحرب، ووقف سيّاسه من ورائه، فقال لهم الملك: إذا رأيتموني قد أشرت لكم عند دخول هذا المكّي فأطلقوه عليه حتّى يدوسه بكلكله، قال: فدخل عليهم عبد المطّلب وهم صفوف ينظرون ما يأمرهم الملك في عبد المطّلب وهم باهتون، وهو لا يلتفت إلى أحد منهم حتّى جاوز أصحاب الفيل، فأمرهم الملك بإطلاق الفيل فأطلقوه، فلمّا قرب من عبد المطّلب برك الفيل إلى الأرض وجثا على ركبتيه وسكن ارتجاجه، وكان قبل ذلك إن أحضره سيّاسه على القتال تحمر عيناه، ويضرب بخرطومه وفيه سيفان، فلمّا قرب من عبد المطّلب سكن ولم يفعل شيئاً، فتعجّب الملك وأصحابه من ذلك، وألقى الله في قلبه الجزع والفزع، وارتعدت فرائصه، ورقّ قلبه، فأقبل على عبد المطّلب حتّى أجلسه بجانبه، ورحّب به، والتفت إلى الأسود بن مقصود، وقال: أيّ شيء يطلب هذا الرجل المكّي فأقضي حاجته. وقد كان الملك يحلف على هلاكه قبل ذلك، ثمّ قال له الملك: من أنت وما اسمك؟ فما رأيت أجمل منك وجهاً، ولا أحسن منك بهجةً، ولك عندي ما سألت، ولو سألتني الرجوع عن بلدك لفعلت، فقال له عبد المطّلب: لا أسألك في شيء من ذلك إلاّ أنّ قومك أغاروا علينا، وأخذوا لي ثمانين ناقة، وكنت قد أعددتها للحجّاج الّذين يقصدوننا من جميع النواحي، فإن رأيت أن تردّها عليّ فافعل، فأمر الملك رجاله بإحضارهنّ، ثمّ قال الملك: هل لك من حاجة غيرها فاسألني فيها؟ فقال عبد المطّلب: أيّها الملك ما أُريد غير هذه، فقال له الملك: فلم لا تسألني في بلدك فإنّي أقسمت لأهدمنّ كعبتكم، وأقتل رجالكم، لكن لعظم قدرك عندنا لو سألتني فيها قبلت سؤالك، فقال عبد المطّلب: لا أسألك في شيء من ذلك، قال: ولم ذلك؟ قال: إنّ لها مانعاً يمنعها غيري، فقال الملك: اعلم يا عبد المطّلب إنّي أخرج على أثرك بجنودي ورجالي، فنخرب الكعبة ونواحيها، وأقتل سكّانها، فقال له عبد المطّلب: إن قدرت فافعل، قال: فانصرف عبد المطّلب ومرّ على الفيل المذموم، فلمّا نظر الفيل إلى عبد المطّلب سجد له، فقام الوزراء والحجّاب يلومون الملك في أمر عبد المطّلب كيف خلّى سبيله، فقال لهم الملك: ويحكم لا تلوموني، ألم تروا كيف سجد له الفيل بين يديه؟ والله لقد وقع لهذا الرجل في قلبي هيبة عظيمة، ولكن أشيروا عليّ بما يكون من هذا الأمر، فقالوا: لابدّ لنا أنّ نسير إلى مكّة فنخربها، ونرمي أحجارها في بحر جدّة، فعند ذلك أمر الملك بالجموع والجيوش أن تزحف إلى مكّة، ولمّا وصل عبد المطّلب بالنّوق إلى مكّة خرج إليه أقاربه وبنو عمّه يهنّئونه بالسلامة، وقد كانوا أيسوا منه، فلمّا نظروا إليه فرحوا به وجعلوا يتعلّقون به ويقبّلون يديه، وقالوا: «الحمد لله الّذي حماك وحفظك بهذا النور الحسن»، ثمّ سألوه عن الجيش فأخبرهم بقصّته وخبر الفيل، فقالوا له: ما الّذي تأمرنا

به؟ فقال: يا قوم اخرجوا إلى جبل أبي قبيس حتّى ينفذ الله حكمه ومشيّته، قال: فخرج القوم بأولادهم ونسائهم ودوابّهم، وخرج عبد المطّلب وبنو عمّه وإخوته وأقاربه، وأخرج مفاتيح الكعبة إلى جبل أبي قبيس، وجعل يسير بهم إلى الصفا، ويدعو ويبكي ويتوسّل بنور محمّد ﷺ، وجعل يقول: «ربّ إليك المهرب، وأنت المطّلب، أسألك بالكعبة العلياء ذات الحجّ والموقف العظيم المقرّب، يا ربّ ارم الأعادي بسهام العطب حتّى يكونوا كالحصيد المنقلب» ثمّ رجع وأتى إلى باب البيت فأخذ بحلقته وهو يقول:

لاهم إنّ المرء يمنع رحله، فامنع رحالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدواً محالك
إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك جروا جميع بلادهم، والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا جمالك بكيدهم، جهلاً وما راقبوا جلالك فانصر على آل الصليب، وعابديه اليوم آلك

وقال أيضاً شعراً:

يا ربّ لا أرجو لهم سواكا يا ربّ فامنع منهم حماكا
إنّ عدوّ البيت من عاداكا امنعهم أن يخربوا قراكا

وإذا بهاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول: قد أجبت دعوتك، وبلغت مسرّتك إكراماً للنور الّذي في وجهك، فنظر يميناً وشمالاً فلم ير أحداً، ثمّ قال لمن معه وهم على جبل أبي قبيس وقد نشروا شعورهم وهم يبتهلون بالدعاء ويستبشرون بالإجابة، قال: ثمّ قال: أبشروا فإنّي رأيت النور الّذي في وجهي قد علا، وإنّما كان ذلك كاشفاً لما طرقكم، ففرح القوم وتضرعوا إلى الله تعالى، فبينما هم كذلك إذ أشرفت عليهم غبرة القوم، وتقاربت الصفوف، ولاح لهم بريق الأسنّة، ثمّ انكشف الغبار عن الفيل فنظروا إليه كأنّه الجبل العظيم، وقد ألبسوه الحديد، وزيّنوه بزينة، فاشتدّ قلقهم، وانهملت عبراتهم، وتضرّع عبد المطّلب ودعا، فوالله ما أتمّ عبد المطّلب دعاءه وتضرّعه حتّى وقف الفيل مكانه فصرخت عليه الفيّالة، وزجرته السّاسة، فلم يلتفت إليهم، فوقف الجيوش ودهشوا، فقال الأسود بن مقصود وهو على الساقة: ما الخبر؟ قالوا: إنّ الفيل قد وقف، فقال للسّاسة: اضربوه، فضربوه فما حال ولا زال، فتعجّبوا من ذلك، ثمّ أمرهم أن يعطفوا رأسه ففعلوا فهرول راجعاً، فأمر بردّه فردّوه فوقف، فقال الأسود: سحروا فيلكم، ثمّ بعث إلى الملك وأعلمه بذلك، فقال له: أشر علينا، فبعث أبرهة إلى ابن مقصود فقال: ليس من جرّب كمن لا يجرّب، ابعث للقوم رسولاً واطلب الصلح، ولا تخبرهم بأمر الفيل لئلاّ يكون طريقاً لطمعهم فيكم، واطلب منهم رجالاً بعدد من قتل منّا، ويقومون لنا بما أفسدوا من كنيستنا، فإذا فعلوا ذلك رجعنا عنهم، قال: فلمّا دخل رسول أبرهة على الأسود وكان اسمه حناطة الحميريّ، وكان يهزم الجيوش وحده، وكان له خلقة هائلة فقال له الأسود هل لك أن تكون أنت الرسول إليهم؟ فعسى أن يكون الصلح على يديك، فقال حناطة: ها أنا سائر إليهم، فإن صالحونا

وإلاّ رجعت برؤوسهم، ثم سار وهو معجب بنفسه فسأل عن سيّد قريش، فقالوا: هو الشيبة النجّار، وكان عبد المطّلب قد رآه وعلم أنّه رسول من القوم، فلمّا نظر حناطة إلى عبد المطّلب دهش وحار، فقال له عبد المطّلب: ما الّذي أتى بك؟ قال: يا مولاي إنّ أبرهة قد عرف فضلكم، ووهب لكم الحرم والبيت، وقد أرسل إليك أن تقوم بدية من قتل له، أو تسلم من رجالك بعددهم، ثمّ تقوم له بثمن ما عدم من الكنيسة، فإذا فعلتم هذا رحل عنكم، فقال عبد المطّلب: أيؤخذ البريء بالسقيم، ونحن من شيمتنا الأمانة والصيانة، ونقبض أيدينا عن المظالم، ونصرف جوارحنا عن المآثم، فبلّغ صاحبك عنّا ذلك، وأمّا هذا البيت فقد سبق منّي القول فيه: إنّ له ربّاً يمنع عنه، فوالله ما كبر عليّ ما جمعتموه من الرجال، فإن أراد صاحبك المسير فليسر، وإن أراد المقام فليقم، قال: فلمّا سمع حناطة كلامه غضب وأراد أن يقتل عبد المطّلب، فظهر لعبد المطّلب ما في وجهه فلم يمهله دون أن قبض على محزمه ومراق بطنه وشاله وضرب به الأرض، وقال: وعزّة ربّي لولا أنّك رسول لأهلكتك قبل أن تأتي صاحبك، فرجع حناطة إلى الأسود وأعلمه بما كان من أمره، ثمّ قال: هؤلاء قوم قد غلت دماؤهم، والرأي عندي أن تراسل القوم بعد هذا؛ واعلم أنّ مكّة خليّة من أهلها، فأسرع إلى الغنيمة.

قال الرّاوي: فأمر الجيوش بالزحف فساروا نحو الحرم، فلمّا قربوا منه جاءهم أمر الله من حيث لا يشعرون، وإذا هم بأفواج من الطير كالسّحابة المترادفة يتبع بعضها بعضاً، وهي كأمثال الخطاطيف، يحمل كلّ طير ثلاثة أحجار: أحدها في منقاره، واثنين بين رجليه كالعدس، وكبيرها كالحمص، وقد تعالت الطيور، وارتفعت وامتدّت فوق العسكر، وانتشرت بطولهم وعرضهم، فلمّا نظر القوم إلى ذلك خافوا وقالوا: ما هذه الطيور الّتي لم نر مثلها قبل هذا اليوم؟ فقال الأسود: ما عليكم بأس، لأنّها طير تحمل رزقها لفراخها، ثمّ قال: عليّ بقوسي ونبلي حتّى أردها عنكم، فأخذ قوسه وأراد الرمي فتصارخت الطيور مستأذنة لربّها في هلاك القوم، فما أتمّت صراخها حتّى فتحت أبواب السماء، وإذا بالنداء: أيّها الطيور المطيعة لربّها افعلوا ما أمرتم به، فقد اشتدّ غضب الجبّار على الكفّار، ففتحت الطيور أفواهها، وكان أوّل حصاة وقعت على رأس حناطة فنزلت من البيضة إلى الرأس إلى الحلقوم، ونزلت إلى الصدر، وخرجت من دبره، ونزلت إلى الأرض وغاصت فانقلب صريعاً، فتناثرت القوم يميناً وشمالاً والطيور تتبعهم لا تحول ولا تزول عن الرجل حتّى ترميه بالحصاة على رأسه، فتخرج من دبره ولا يردّها درقة ولا حديد، وإنّ أبرهة لمّا نظر إلى الطير وفعلها علم أنّه قد أحيط بهم، فولى هارباً على وجهه، وأمّا الأسود فإنّه لمّا نظر إلى ما نزل بقومه والحصى تتساقط عليهم وهم يقعون على وجوههم فإذا بطير قد ألقى حجراً فوقع في فيه حتّى خرج من دبره، وأتاه آخر فضربه في هامته فطلع من قفاه، فخرّ صريعاً، وأعجب من ذلك أنّ رجلاً من حضرموت كان له أخ فسأله المسير معه فأبى، وقال: ما أنا ممّن يتعرّض لبيت

الله، فلمّا نزل بهم البلاء خرج هارباً على وجهه والطير يتبعه، فلمّا وصل إلى أخيه وصف له العذاب الّذي حل بالقوم ورفع رأسه وإذا هو بطير قد رماه بحصاة على هامته وخرجت من دبره، وأمّا أبرهة فإنّه سار مجدّاً على فرسه، إذ سقطت يده اليمنى فتحيّر في أمره فسقطت يده اليسرى، ثمّ رجله اليمنى، ثمّ اليسرى، فأتى منزله فحكى لهم جميع ما جرى لهم كلّهم، فما أتمّ حديثه إلاّ ورأسه قد وقع، هذا ما جرى لهم، وأمّا عبد المطّلب ومن معه فإنّهم أقاموا في ابتهال ودعاء وتضرّع وقد استجيب لهم ببركة رسول الله ﷺ، وقالوا في دعائهم: «اللّهمّ ببركة هذا النور الّذي وهبتنا اجعل لنا من كلّ كيدهم فرجاً، وانصرنا على أعدائنا» ونظروا هياكل الأعداء على وجه الأرض مطروحة، والفيل ولّى هارباً، وأمّا ما كان ممّن فرّ من أهل مكّة وسمع بما نزل بأصحاب الفيل أتوا فرحين مستبشرين، وأقاموا مدّة ينقلون الأسلاب والرحال وكان سعادتهم وسرورهم ببركة رسول الله ﷺ.

ثمّ إنّ عبد المطّلب كان ذات يوم نائماً في الحجر إذ أتاه آت فقال له: احفر طيبة، قال: فقلت له: وما طيبة؟ فغاب عنّي إلى غد، فنمت في مكاني فأتى الهاتف فقال: احفر برّة، فقلت: وما برّة؟ فغاب عنّي، فنمت في اليوم الثالث فأتى وقال: احفر مضنونة؟ فقلت: وما مضنونة، فغاب عنّي، وأتاني في اليوم الرابع وقال: احفر زمزم، فقلت: وما زمزم؟ قال: لا تنزف أبداً ولا تذمّ، تسقي الحجيج الأعظم، عند قرية النمل، فلمّا دلّه على الموضع أخذ عبد المطّلب معوله وولده الحارث ولم يكن له يومئذ ولد غيره، فلمّا ظهر له البناء وعلمت قريش بذلك قالوا له: هذا بئر زمزم، بئر أبينا إسماعيل عليه السلام ونحن فيه شركاء، قال: لا أفعل لأنّه أمر خصصت به دونكم، فتشاوروا على أن يجعلوا بينهم حكماً وهو سعيد بن خثيمة، وكان بأطراف الشام، فخرجوا حتّى إذا كانوا بمفازة بين الحجاز والشام بلغ بهم الجهد والعطش ولم يجدوا ماءً، فقالوا لعبد المطّلب: ما تفعل؟ قال: كلّ واحد منكم يحفر حفيرة لنفسه ففعلوا، ثمّ ركب عبد المطّلب راحلته وسار بها فنبع الماء من تحت خفّها فكبّر وكبّرت أصحابه وشربوا جميعهم وملأوا قربهم وحلفوا أن لا يخالفوه في زمزم، فقالوا: إنّ الّذي أسقاه الماء في هذه الفلاة هو الّذي أعطاه زمزم، ورجعوا ومكّنوه من الحفر.

فلمّا تمادى على الحفر وجد غزالين من ذهب وهما اللّذان دفنهما جرهم، ووجد أسيافاً كثيرة ودروعاً، فطلبوه بنصيبهم فيها، فقال لهم: هلمّوا إلى من ينصف بيننا، فنضرب القداح فنجعل للكعبة قدحين، ولي قدحين، ولكم قدحين، فمن خرج قدحاه كان هذا له، قالوا: أنصفت، فجعل قدحين أصفرين للكعبة، وقدحين أسودين له، وقدحين أبيضين لقريش، ثمّ أعطاه لصاحب القادح وهو عند هبل، وهبل صنم في الكعبة، فضرب بهما فخرج الأصفران على الغزالين، وخرج الأسودان على الأسياف والدروع لعبد المطّلب، وتخلّف قدحا قريش، فضرب عبد المطّلب الأسياف ما بين الكعبة، فضرب في الباب الغزالين من الذهب، وأقام عبد المطّلب بسقاية زمزم للحاجّ.

وما كان بمكّة من يحسده ويضادّه إلاّ رجل واحد وهو عديّ بن نوفل، وكان أيضاً صاحب منعة وبسطة وطول يد، وكان المشار إليه قبل قدوم عبد المطّلب، فلمّا قدم عبد المطلب إلى مكّة وسوّده أهل مكّة عليهم كبر ذلك على عديّ بن نوفل، إذ مال الناس إلى عبد المطّلب وكبر ذلك عليه، فلمّا كان بعض الأيام تناسبا وتقاولا ووقع الخصام، فقال عديّ بن نوفل لعبد المطّلب: أمسك عليك ما أعطيناك، ولا يغرنّك ما خوّلناك، فإنّما أنت غلام من غلمان قومك، ليس لك ولد ولا مساعد فبم تستطيل علينا ولقد كنت في يثرب وحيداً حتّى جاء بك عمّك إلينا، وقدم بك علينا، فصار لك كلام، فغضب عبد المطّلب لذلك، وقال له: يا ويلك تعيّرني بقلّة الولد، لله عليّ عهد وميثاق لازم، لإن رزقني الله عشرة أولاد ذكوراً وزاد عليهم لأنحرنّ أحدهم إكراماً وإجلالاً لحقّه، وطلباً بثاري بالوفاء، اللّهمّ فكثّر لي العيال، ولا تشمت بي أحداً، إنّك أنت الفرد الصمد، ولا أعاين بمثل قولك أبداً، ثمّ مضى وأخذ في خطبة النساء والتزويج حرصاً على الأولاد، ثمّ تزوّج بستّ نساء فرزق منهنّ عشرة أولاد، وكلّ امرأة تزوّجها هي كانت ذات حسن وجمال وعزّ في قومها، منهنّ منعة بنت حباب الكلابيّة، والطائفيّة، والطليقيّة بنت غيدق اسمها سمراء، وهاجرة الخزاعيّة، وسعدى بنت حبيب الكلابيّة، وهالة بنت وهب، وفاطمة بنت عمرو المخزوميّة، وأمّا منعة بنت الحباب فإنّها ولدت له الغيداق واسمه الحجل، وإنّما سمّي الغيداق لمروّته وبذل ماله، وأمّا الفرعي فولدت له أبا لهب واسمه عبد العزّى، وأمّا سعدى فولدت له ولدين: أحدهما ضرار، والآخر العبّاس، وأمّا فاطمة فولدت له ولدين: أحدهما عبد مناف، ويقال له: أبو طالب والآخر عبد الله أبو رسول الله ﷺ، وكان عبد الله أصغر أولاده، وكان في وجهه نور رسول الله ﷺ، فأولاد عبد المطّلب الحارث وأبو لهب والعبّاس وضرار وحمزة والمقوم والحجل والزبير وأبو طالب وعبد الله، وكان عبد المطّلب قائماً مجتهداً في خدمة الكعبة، وكان عبد المطّلب نائماً في بعض اللّيالي قريباً من حائط الكعبة فرأى رؤيا فانتبه فزعاً مرعوباً، فقام يجرّ أذياله ويجرّ ردائه إلى أن وقف على جماعته وهو يرتعد فزعاً، فقالوا له: ماوراءك يا أبا الحارث؟ إنّا نراك مرعوباً طائشاً، فقال: إنّي رأيت كأن قد خرج من ظهري سلسلة بيضاء مضيئة، يكاد ضوؤها يخطف الأبصار، لها أربعة أطراف، طرف منها قد بلغ المشرق، وطرف منها قد بلغ المغرب، وطرف منها قد غاص تحت الثرى، وطرف منها قد بلغ عنان السماء، فنظرت وإذا رأيت تحتها شخصين عظيمين بهيّين، فقلت لأحدهما: من أنت؟ فقال: أنا نوح نبيّ ربّ العالمين، وقلت للآخر: من أنت؟ قال: أنا إبراهيم الخليل، جئنا نستظلّ بهذه الشجرة، فطوبى لمن استظلّ بها، والويل لمن تنحّى عنها، فانتبهت لذلك فزعاً مرعوباً فقال له الكهنة: يا أبا الحارث هذه بشارة لك، وخير يصل إليك، ليس لأحد فيها شيء، وإن صدقت رؤياك ليخرجنّ من ظهرك من يدعو أهل المشرق والمغرب، ويكون رحمةً لقوم، وعذاباً على قوم، فانصرف عبد المطّلب فرحاً مسروراً، وقال في نفسه: ليت

شعري من يقبض النور من ولدي، وكان يخرج كلّ يوم إلى الصيد وحده، فأخذه ذات يوم العطش فنظر إلى ماء صاف في حجر معيّن، فشرب منه فوجده أبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأقبل من وقته وغشي زوجته فاطمة بنت عمرو، فحملت بعبد الله أبي رسول الله ﷺ، فانتقل النور الّذي كان في وجهه إلى زوجته فاطمة، فما مرّت بها اللّيالي والأيّام حتّى ولدت عبد الله أبا رسول الله ﷺ، فانتقل النور إليه، فلمّا ولدته سطع النور في غرّته حتّى لحق عنان السماء، فلمّا نظر إليه عبد المطّلب فرح فرحاً شديداً، ولم يخف مولده على الكهنة والأحبار، فأمّا الكهنة فعظم أمره عليهم لإبطال كهانتهم، وأمّا أحبار اليهود فكانت معهم جبّة بيضاء وكانت جبة يحيى بن زكريّا عليه السلام وكان الدّم يابساً عليها قد غمست في دمه، وكان في كتبهم: إنّ هذا الدّم الّذي في الجبّة إذا قطر منها قطرة واحدة من الدّم يكون قد قرب خروج صاحب السيف المسلول، فنظروا إلى ذلك الدّم فوجدوا الجبّة، وإذا بها قد صارت رطبة يقطر منها الدّم، فعلموا أنّه قد دنا خروجه، فاغتمّوا لذلك غمّاً شديداً، وبعثوا إلى مكّة رجالاً منهم يكشفون لهم عن الخبر، ويأتونهم بخبر مولده، وكان عبد الله يشبّ في اليوم مثل ما يشبّ أولاد الناس في السنة، وكان الناس يزورونه ويتعجّبون من حسنه وجماله وأنواره؛ وقيل: إنّه لقي عبد الله في زمانه ما لقي يوسف الصدّيق في زمانه، وذلك من عداوة اليهود، وجرت عليه أمور عظيمة وأحوال جسيمة.

فلمّا كملت لعبد المطّلب عشرة أولاد ذكوراً وولد له الحارث فصاروا أحد عشر ولداً ذكراً فذكر نذره الّذي نذر، والعهد الّذي عاهد: لئن بلغت أولادي أحد عشر ولداً ذكوراً لأقربنّ أحدهم لوجه الله تعالى، فجمع عبد المطّلب أولاده بين يديه، وصنع لهم طعاماً، وجمعهم حوله، واغتمّ لذلك غمّاً شديداً، ثمَّ قال لهم: يا أولادي إنّكم كنتم تعلمون أنكم عندي بمنزلة واحدة، وأنتم الحدقة من العين، والروح بين الجنبين، ولو أنّ أحدكم أصابته شوكة لساءني ذلك، ولكن حقّ الله أوجب من حقّكم، وقد عاهدته ونذرت له متى رزقني الله أحد عشر ولداً ذكراً لأنحرنّ أحدهم قرباناً، وقد أعطاني ما سألته، وبقي الآن ما عاهدته، وقد جمعتكم لأشاوركم، فما أنتم قائلون؟ فجعل بعضهم ينظر إلى بعض وهم سكوت لا يتكلّمون، فأوّل من تكلّم منهم عبد الله أبو رسول الله ﷺ وكان أصغر أولاده، فقال: يا أبت أنت الحاكم علينا، ونحن أولادك وفي طوع يدك، وحقّ الله أوجب من حقّنا، وأمره أوجب من أمرنا، ونحن لك طائعون وصابرون على حكم الله وحكمك، وقد رضينا بأمر الله وأمرك، وصبرنا على حكم الله وحكمك، ونعوذ بالله من مخالفتك، فشكره أبوه، وكان لعبد الله في ذلك اليوم إحدى عشر سنة، فلمّا سمع أبوه كلامه بكى بكاءً شديداً حتّى بلّ لحيته من دموعه، ثمّ قال لهم: يا أولادي ما الّذي تقولون؟ فقالوا له: سمعنا وأطعنا، فافعل ما بدا لك، ولو نحرتنا عن آخرنا فكيف واحداً منّا، فشكرهم على مقالتهم، ثمّ قال لهم: يا بنيَّ امضوا إلى أمّهاتكم وأخبروهنّ بما قلت لكم، وقولوا لهنّ يغسلنكم ويكحلنكم ويطيّبنكم، والبسوا أفخر ثيابكم،

وودّعوا أمّهاتكم وداع من لا يرجع أبداً، فتفرّقوا إلى أمّهاتهم وأخبروهنّ بما قال لهم أبوهم، ففاضت لأجل ذلك العيون، وترادفت الأحزان، قال: ثمّ إنّ عبد المطّلب بات تلك اللّيلة مهموماً مغموماً، لم يطعم طعاماً، ولم يشرب شراباً، ولم يغمض عيناً حتّى طلع الفجر، ثمّ لبس أفخر أثوابه، وتردّى برداء آدم عليه السلام، وتنعّل بنعل شيث عليه السلام، وتختّم بخاتم نوح عليه السلام، وأخذ بيده خنجراً ماضياً ليذبح به بعض أولاده، وخرج يناديهم من عند أمّهاتهم واحداً واحداً، فأقبلوا إليه مسرعين وقد تزيّنوا بأحسن الزينة، فلم يتأخّر غير عبد الله، لأنّه كان أصغرهم، فسألهم عنه فقالوا: لا نعلمه منهم أحد فخرج إليه بنفسه حتّى ورد منزل فاطمة زوجته، فأخذ بيده، فتعلّقت به أمّه، فجعل أبوه يجذبه منها، وهي تجذبه منه، وهو يريد أباه، وهو يقول: «يا أمّاه اتركيني أمضي مع أبي ليفعل بي ما يريد»، فتركته وشقّت جيبها وصرخت وقالت: «لفعلك يا أبا الحارث فعل لم يفعله أحد غيرك، فكيف تطيب نفسك بذبح ولدك؟ وإن كان ولا بدّ من ذلك فخلّ عبد الله لأنّه طفل صغير وارحمه لأجل صغره، ولأجل هذا النور الّذي في غرّته» فلم يكترث بكلامها، ثمّ جذبه من يدها، فقامت عند ذلك تودّعه فضمّته إلى صدرها، وقالت: «حاشاك يا ربّ أن يُطفأ نورك، وقد قلّت حيلتي فيك يا ولدي، وا حزنا عليك يا ولدي، ليتني قبل غيبتك عنّي وقبل ذبحك يا ولدي غيّبت تحت الثرى، لئلا أرى فيك ما أرى، ولكن ذلك بالرغم منّي لا بالرضا سوقك من عندي من غير اختياري»، فلمّا سمع ذلك أبوه بكى بكاءً شديداً حتّى غشي عليه وتغيّر لونه، فقال عبد الله لأمّه: دعيني أمضي مع أبي، فإن اختارني ربّي كنت راضياً سامحاً ببذل روحي له، وإن كان غير ذلك عدت إليك، فأطلقته أمّه فمشى وراء أبيه وجملة أولاده إلى الكعبة، فارتفعت الأصوات من كلّ ناحية، وأقبلوا ينظرون ما يصنع عبد المطّلب بأولاده، وأقبلت اليهود والكهنة وقالوا: لعلّه يذبح الّذي نخافه، ثمّ عزم على القرعة بينهم وجاء بهم جميعاً للمنحر، وبيده خنجر يلوح الموت من جوانبه، ثمّ نادى بأعلا صوته يسمع القريب والبعيد وقال: «اللّهمّ ربّ هذا البيت والحرم والحطيم، وزمزم وربّ الملائكة الكرام، وربّ جملة الأنام، اكشف عنّا بنورك الظلام، بحقّ ما جرى به القلم، اللّهمّ إنّك خلقت الخلق بقدرتك، وأمرتهم بعبادتك، لا مانع منك إلاّ أنت، وإنّما يحتاج الضعيف إلى القويّ، والفقير إلى الغني، يا ربّ وأنت تعلم أنّي نذرت نذراً، وعاهدتك عهداً على إن وهبتني عشرة أولاد ذكور لأقرّبنّ لوجهك الكريم واحداً منهم، وها أنا وهم بين يديك، فاختر منهم من أحببت، اللّهمّ كما قضيت وأمضيت فاجعله في الكبار، ولا تجعله في الصغار، لأنّ الكبير أصبر على البلاء من الصغير، والصغير أولى بالرحمة، اللّهمّ ربّ البيت والأستار، والركن والأحجار، وساطح الأرض، ومجري البحار، ومرسل السحاب والأمطار، اصرف البلاء عن الصغار» ثمّ دعا بصاحب الجرائد فقدّها فقذفها وكتب على كلّ واحدة اسم ولد، ثمّ دعا بصاحب القداح وهي الأزلام الّتي

ذكرها الله تعالى، وكانوا يقسمون بها في الجاهليّة، فأخذ الجرائد من يده، وساق أولاد عبد المطّلب وقصد بهم الكعبة، فأخذت أمّهاتهم في الصراخ والنياح والشقّ للجيوب، كلّ واحدة تبكي على ولدها، وجميع الناس يبكون لبكائهم، وجعل عبد المطّلب يقوم مرّة ويقعد أخرى، وهو يدعو: «يا ربّ أسرع في قضائك» فتطاولت الأعناق، وفاضت العبرات، واشتدّت الحسرات، فبينما هم في ذلك وإذا بصاحب القداح قد خرج من الكعبة وهو قابض على عبد الله أبي رسول الله ﷺ، وقد جعل رداءه في عنقه وهو يجرّه وقد زالت النضارة من وجهه، واصفرّ لونه، وارتعدت فرائصه، وقال له: يا عبد المطّلب هذا ولدك قد خرج عليه السهم، فإن شئت فاذبحه أو اتركه، فلمّا سمع كلامه خرّ مغشيّاً عليه، ووقع إلى الأرض، وخرج بقيّة أولاده من الكعبة وهم يبكون على أخيهم، وكان أشدهم عليه حزناً أبو طالب لأنّه شقيقه من أمّه وأبيه، وكان لا يصبر عنه ساعة واحدة، وكان يقبّل غرّته وموضع النور من وجهه، ويقول: يا أخي ليتني لا أموت حتّى أرى ولدك الوارث لهذا النور الّذي فضله الله على الخلق أجمعين، الّذي يغسل الأرض من الدنس، ويزيل دولة الأوثان، ويبطل كهانة الكهّان.

فلمّا ولد النبيّ ﷺ كان يحبّه أبو طالب حبّاً شديداً، ويقول له: فدتك نفسي يابن أخي، يابن الذبيحين إسماعيل وعبد الله.

رجعنا إلى الحديث الأوّل: ثمّ لمّا أفاق عبد المطّلب سمع البكاء من الرجال والنساء من كلّ ناحية، فنظر وإذا فاطمة بنت عمرو أمّ عبد الله وهي تحثو التراب على وجهها، وتضرب على صدرها، فلمّا نظر إليها عبد المطّلب لم يجد صبراً وقبض على يد ولده، وأراد أن يذبحه فتعلّقت به سادات قريش وبنو عبد مناف فصاح بهم صيحة منكرة وقال: يا ويلكم لستم أشفق على ولدي منّي، ولكن أمضي حكم ربّي، وأبو طالب متعلّق بأذيال عبد الله وهو يبكي ويقول لأبيه: اترك أخي واذبحني مكانه فإنّي راض أن أكون قربانك لربّك، فقال عبد المطّلب: ما كنت بالّذي أتعرّض على ربّي، وأخالف حكمه، فهو الآمر وأنا المأمور، ثمّ اجتمع أكابر قومه وعشيرته وقالوا له: يا عبد المطّلب عد إلى صاحب القداح مرّة ثانية فعسى أن يقع السهم في غيره، ويقضي الله ما فيه الفرج، فعاد ثانية فعاد السهم على عبد الله، فقال عبد المطّلب: قضي الأمر وربّ الكعبة، ثمّ ساق ولده عبد الله إلى المنحر والنّاس من وراءه صفوف، فلمّا وصل المنحر عقل رجليه فعند ذلك ضربت أمّه وجهها، ونشرت شعرها، ومزقت أثوابها، ثمّ أضجعه وهو ذاهل لا يدري ما يصنع ممّا بقلبه من الحزن، فلمّا رأته أمّه أنّه لا محالة عازم على ذبحه مضت مسرعة إلى قومها، وهي قد اضطربت جوارحها لمّا رأت عبد المطّلب قد أضجع عبد الله ولده ليذبحه، وهو لا يسمع عذل عاذل، ولا قول قائل، وضجّت الملائكة بالتسبيح، ونشرت أجنحتها، ونادى جبرئيل، وتضرّع إسرافيل وهم يستغيثون إلى ربّهم، فقال الله: يا ملائكتي إنّي بكلّ شيء عليم، وقد ابتليت عبدي لأنظر صبره على حكمي، فبينما

عبد المطّلب كذلك إذ أتاه عشرة رجال عراة حفاة، في أيديهم السيوف، وحالوا بينه وبين ولده، فقال لهم: ما شأنكم؟ قالوا له: لا ندعك تذبح ابن أختنا ولو قتلتنا عن آخرنا، ولقد كلّفت هذه المرأة ما لا تطيق، ونحن أخواله من بني مخزوم، فلمّا رآهم قد حالوا بينه وبين ولده رفع رأسه إلى السماء، وقال: «يا ربّ قد منعوني أن أمضي حكمك، وأوفي بعهدك، فاحكم بيني وبينهم بالحقّ وأنت خير الحاكمين»، فبينما هم كذلك إذ أقبل عليهم رجل من كبار قومه يقال له: عكرمة بن عامر، فأشار بيده إلى الناس أن اسكتوا، ثمّ قال: يا أبا الحارث اعلم أنّك قد أصبحت سيّد الأبطح، فلو فعلت بولدك هذا لصار سنّة بعدك يلزمك عارها وشنارها، وهذا لا يليق بك، فقال: أترى يا عكرمة أغضب ربّي؟ قال: إنّي أدلّك على ما فيه الصلاح، قال: ما هو يا عكرمة، قال: إنّ معنا في بلادنا كاهنة عارفة ليس في الكهّان أعرف منها، تحدّث بما يكون في ضمائر الناس وما يخفى في سرائرهم، وذلك أنّ لها صاحباً من الجنّ يخبرها بذلك، فلمّا سمع كلامه سكن ما به فأجمع رأيهم على ذلك، فقالوا: يا أبا الحارث لقد تكلّم عكرمة بالصواب، فأخذ عبد المطّلب ولده وأقبل إلى منزله وأخذ أهبة السفر إلى الكاهنة، وأخذ معه هدية عظيمة، وكان اسم الكاهنة أمّ ملخان، فلمّا كان بعد ثلاثة أيّام خرج عبد المطّلب في قومه إلى الكاهنة، فتقدّم عبد المطّلب إليها بعد أن دفع إليها الهدية، فسألها عن أمره، فقالت، انزلوا، وغداً أظهر لكم العجب، فلمّا كان غداة غد اجتمعوا عندها فأنشأت تقول:

يا مرحباً بالفتية الأخيار ... الساكني البيت مع الأستار
قد خلقوا من صلصل الفخار ... ومن صميم العزّ والأنوار
خذوا بقولي صحّ في الآثار ... أنبئكم بالعلم والأخبار
أهل الضياء والنور والفخار ... من هاشم سمّاه في الأقدار
قد رام من خالقه الجبّار ... إن يعطه عشراً من الأذكار
من غير ما نقص بإذن الباري ... فواحد ينحره للأنذار

ثمّ إنّها التفتت إلى عبد المطّلب، وقالت له: أنت الناذر؟ قال: نعم، جئناك لتنظري في أمرنا، وتعملي الحيلة في ولدنا، فقالت: وربّ البنية، وناصب الجبال المرسية، وساطح الأرض المدحيّة، إنّ هذا الفتى الّذي ذكرتموه سوف يعلو ذكره ويعظم أمره، وإنّي سأرشدكم إلى خلاصه، فكم الدية عندكم، قالوا: عشرة من الإبل، قالت: ارجعوا إلى بلدكم واستقسموا بالأزلام على عشرة من الإبل وعلى ولدكم، فإن خرج عليه السهم فزيدوا عشرة أخرى هكذا إلى المائة، فإن لم تخرج على الإبل اذبحوا ولدكم، ففرح القوم ورجعوا إلى مكّة، وأقبل عبد المطّلب على ولده يقبّله، فقال عبد الله: يعزّ عليّ يا أبتاه شقاؤك من أجلي، وحزنك عليّ، ثمّ أمر عبد المطّلب أن يخرج كلّ ما معه من الإبل، فأُحضرت وأرسل إلى بني

عمّه أن يأتوا بالإبل على قدر طاقتهم، وقال: «إن أراد الله بي خيراً وقاني في ولدي، وإن كان غير ذلك فحكمه ماض»، فجعل أهل مكّة يسوقون له كلّ ما معهم من الإبل، وأقبل عبد المطّلب على فاطمة أمّ عبد الله، وقد أقرحت عيناها بالبكاء فأخبرها بذلك ففرحت وقالت: أرجو من ربّي أن يقبل منّي الفداء، ويسامحني في ولدي، وكانت ذات يسار ومال كثير، وكانت أمها سرحانة زوجة عمرو المخزوميّ، وكانت كثيرة الأموال والذخائر، وكان لها جمال تسافر إلى العراق، وجمال تسافر إلى الشام، فقالت: عليّ بمالي ومال أمي، ولو طلب منّي ربّي ألف ناقة لقدّمتها إليه وعليّ الزيادة، فشكرها عبد المطّلب وقال: أرجو أن يكون في مالي ما يرضي ربّي، ويفرّج كربي، وأمّا الناس بمكّة ففي فرح وسرور، وبات عبد المطّلب فرحاً مسروراً، ثمّ أقبل إلى الكعبة وطاف بها سبعاً، وهو يسأل الله تعالى أن يفرّج عنه، فلمّا طلع الصباح أمر رعاة الإبل أن يحضروها، فأحضروها، وأخذ عبد المطّلب ابنه فطيّبه وزيّنه وألبسه أفخر أثوابه، وأقبل به إلى الكعبة، وفي يده الحبل والسكّين، فلمّا رأته أمّه فاطمة قالت: يا عبد المطّلب ارم ما في يدك حتّى يطمئنّ قلبي، قال: إنّي قاصد إلى ربّي أسأله أن يقبل منّي الفداء في ولدي، فإن نفدت أموالي وأموال قومي ركبت جوادي وخرجت إلى كسرى وقيصر وملوك الهند والصين مستطعماً على وجهي حتّى أرضي ربّي، وأنا أرجو أن يفديه كما فدا أبي إسماعيل من الذبح، وسار إلى الكعبة والناس حوله ينظرون، فقال لهم: يا معاشر من حضر إيّاكم أن تعودوا إليّ في ولدي كما فعلتم بالأمس، وتحولوا بيني وبين ذبح ولدي»، ثمّ إنّه قدّم عشرة من الإبل وأوقفها وتعلّق بأستار الكعبة، وقال: «اللّهمّ أمرك نافذ»، ثمّ أمر صاحب القداح أن يضربها فضربها، فخرج السهم على عبد الله، فقال عبد المطّلب: «لربّي القضاء»، فزاد على الإبل عشرة، وأمر صاحب القداح أن يضربها، فضربها فخرج السهم على عبد الله، فقال أشراف قريش: لو قدّمت غيرك يا عبد المطّلب لكان خيراً، فإنّا نخشى أن يكون ربّك ساخطاً عليك، فقال لهم: إن كان الأمر كما زعمتم فالمسيء أولى بالاعتذار، ثمّ قال: اللّهمّ إن كان دعائي عنك قد حجب من كثرة الذنوب فإنّك غفّار الذنوب، كاشف الكروب، تكرّم عليّ بفضلك وإحسانك» ثمّ زاد عشرة أخرى من الإبل ورمق بطرفه نحو السماء وقال: «اللّهمّ أنت تعلم السرّ وأخفى، وأنت بالمنظر الأعلى، اصرف عنّا البلاء كما صرفته عن إبراهيم الّذي وفى» ثمّ أمر صاحب القداح أن يضربها فضربها فخرج السهم على عبد الله، فقال عبد المطّلب: إنّ هذا لشيء يراد، ثمّ قال: لعلّ بعد العسر يسراً، ثمّ أضاف إلى الثلاثين عشرة أخرى فقال:

يا ربّ هذا البيت والعباد ... إن بنيّ أقرب الاولاد

وحبه في السمع والفؤاد ... وامه صارخة تنادي

فوقه من شفرة الحداد ... فإنه كالبدر في البلاد

ثمّ أمر صاحب القداح أن يضربها فضربها فخرج السهم على عبد الله، فقال عبد المطلب: كيف أبذل فيك يا ولدي الفداء وقد حكم فيك الربّ بما يشاء، ثمّ أضاف إلى الأربعين عشرة أخرى، وأمر صاحب القداح أن يضربها فضربها فخرج السهم على عبد الله، فقالت أُمّه: يا عبد المطّلب أريد منك أن تتركني أسأل الله في ولدي، فعسى أن يرحمني ويرحم ضعفي وحالتي هذه، فقامت فاطمة وأضافت إلى الخمسين عشرة أُخرى. وقالت: «يا ربّ رزقتني ولداً وقد حسدني عليه أكثر الناس وعاندني فيه، وقد رجوته أن يكون لي سنداً وعضداً، وأن يوسّدني في لحدي، ويكون ذكري بعدي، فعارضني فيه أمرك وأنت تعلم يا ربّ إنّه أحبّ أولادي إليّ، وأكرمهم لديّ، وإنّي يا ربّ فديته بهذه الفداء فاقبلها ولا تشمت بي الأعداء»، ثمَّ أمرت صاحب القداح أن يضربها فضربها فخرج السهم على عبد الله، فقال عبد المطّلب: إنّ لكلّ شيء دليلاً ونهاية، وهذا الأمر ليس لي ولا لك فيه حيلة، فلا تعودي إلى التعرّض في أمري، ثمّ أضاف إلى الستّين عشرة أخرى فقال: «اللّهمّ منك المنع ومنك العطاء، وأمرك نافذ كما تشاء، قد تعرّضت عليك بجهلي وقبيح عملي فلا تؤاخذني ولا تخيب أملي» ثمّ أمر صاحب القداح أن يضربها فضربها فخرج السهم على عبد الله، فعند ذلك ضجّ النّاس بالبكاء والنحيب، فقال عبد المطّلب: «ما بعد المنع إلاّ العطاء، وما بعد الشدّة إلاّ الرخاء، وأنت عالم السر وأخفى»، ثمّ ضمّ إلى السبعين عشرة أُخرى وأمر صاحب القداح أن يضربها، فضربها فخرج السهم على عبد الله، فأخذ عبد المطّلب الحبل والسكّين بيده وهمّ النّاس أن يمنعوه مثل المرّة الأُولى فقال لهم: أقسمت بالله إن عارضني في ولدي أحد لأضربنّ نفسي بهذا السكّين وأذبح نفسي، اتركوني حتّى أُنفذ حكم ربّي فأنا عبده، وولدي عبده، يفعل بنا ما يشاء ويحكم ما يريد، فأمسك الناس عنه، ثمّ أضاف إلى الثمانين عشرة وجعل يقول: «يا ربّ إليك المرجع، وأنت ترى وتسمع» ثمّ أمر صاحب القداح أن يضربها فضربها فخرج السهم على عبد الله، فوقع عبد المطّلب مغشيّاً عليه، فلمّا أفاق قال: «وا غوثاه إليك يا ربّ» وجذب ابنه للذّبح وضجّت الناس بالبكاء والعويل رجالاً ونساءً، فعند ذلك صاح عبد الله في وثاقه وقال: يا أبت أما تستحيي من الله؟ كم تردّ أمره وتلحّ عليه؟ هلمّ إليّ فانحرني فإنّي قد خجلت من تعرّضك إلى ربّك في حقّي، فإنّي صابر على قضائه وحكمه، وإن كنت يا أبت لا تقدر على ذلك من رقّة قلبك عليّ يا أبتاه فخذ بيدي ورجلي واربطهما بعضهما إلى بعض، وغطّ وجهي لئلاّ ترى عينك عيني، واقبض ثيابك عن دمي لكيلا تتلطّخ بالدم، فتكون إذا لبست أثوابك تذكرك الحزن عليّ يا أبت، وأُوصيك يا أبتاه بأُمّي خيراً، فإنّي أعلم أنّها بعدي هالكة لا محالة من أجل حزنها عليّ فسكّنها وسكّن دمعتها، وإنّي أعلم أنّها لا تلتذّ بعدي بعيش، وأُوصيك بنفسك خيراً، فإن خفت ذلك فغمّض عينيك فإنّك تجدني صابراً، ثمّ قال عبد المطّلب: يعزّ عليّ يا ولدي كلامك هذا، ثمّ بكى حتّى اخضلّت لحيته بالدموع، ثمّ

قال: «يا قوم ما تقولون؟ كيف أتعرّض على ربّي في قضائه؟ وإنّي أخاف أن ينتقم منّي، ثمّ قام ونهض إلى الكعبة فطاف بها سبعاً ودعا الله ومرغ وجهه وزاد في دعائه، وقال: «يا ربّ أمض أمرك فإنّي راغب في رضاك» ثمّ زاد على الإبل عشرة فصارت مائة، وقال: من أكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له، ثمّ قال: «ربّ ارحم تضرّعي وتوسّلي وكبري» ثمّ أمر صاحب القداح أن يضربها، فضربها فخرج السهم على الإبل، فنزع الناس عبد الله من يد أبيه، وأقبلت الناس من كلّ مكان يهنّؤنه بالخلاص، وأقبلت أمّه وهي تعثر في أذيالها فأخذت ولدها وقبّلته وضمّته إلى صدرها، ثمّ قالت: «الحمد لله الّذي لم يبتلني بذبحك، ولم يشمت بي الأعداء وأهل العناد»، فبينما هم كذلك إذ سمعوا هاتفاً من داخل الكعبة وهو يقول: قد قبل الله منكم الفداء، وقد قرب خروج المصطفى»، فقالت قريش: بخ بخ لك يا أبا الحارث، هتفت بك وبابنك الهواتف، وهمّ الناس بذبح الإبل، فقال عبد المطّلب: مهلاً أراجع ربّي مرّة أُخرى، فإنّ هذه القداح تصيب وتخطىء، وقد خرجت على ولدي تسع مرّات متواليات، وهذه مرّة واحدة، فلا أدري ما يكون من الثانية، اتركوني أُعاود ربّي مرّة واحدة، فقالوا له: افعل ما تريد، ثمّ إنّه استقبل الكعبة وقال: «اللّهمّ سامع الدعاء، وسابغ النعم، ومعدن الجود والكرم، فإن كنت يا مولاي مننت عليّ بولدي هبة منك فأظهرلنا برهانه مرّة ثانية» ثمّ أمر صاحب القداح أن يضربها فضربها فخرج السهم على الإبل، فأخذت فاطمة ولدها وذهبت به إلى بيتها وأتى إليه الناس من كلّ جانب ومكان سحيق، وفجّ عميق يهنّئونها بمنّة الله عليها، ثمّ أمر عبد المطّلب أن تنحر الإبل فنحرت عن آخرها وتناهبها الناس، وقال لهم: لا تمنعوا منها الوحوش والطير، وانصرف فجرت سنّة في الدية مائة من الإبل إلى هذا الزمان، ومضى عبد المطّلب وأولاده، فلمّا رأته الكهنة والأحبار وقد تخلّص خاب أملهم، فقال بعضهم لبعض: تعالوا نسعى في هلاكه من حيث لا يشعر به أحد، فقال كبيرهم وكان يسمّى ربيان وكانوا له سامعين فقال لهم: اعملوا طعاماً وضعوا فيه سمّاً، ثمّ ابعثوا به إلى عبد المطّلب على حال الهدية إكراماً لخلاص ولده، فعزم القوم على ذلك فصنعوا طعاماً ووضعوا فيه سمّاً، وأرسلوه مع نساء متبرقعات إلى بيت عبد المطّلب، وهنّ خافيات أنفسهنّ بحيث لا تعلم إحداهنّ، فقرعوا الباب فخرجت إليهم فاطمة ورحّبت بهنّ، وقالت: من أين أنتنّ؟ قلن لها: نحن من قرابتك من بني عبد مناف، دخل علينا السرور لخلاص ابنك، فأخذت فاطمة منهنّ الطعام، وأقبلت إلى عبد المطّلب، فقال: من أين هذا؟ فذكرت له الخبر، فقال عبد المطّلب: هلمّوا إلى ما خصّكم به قرابتكم، فقاموا وأرادوا الأكل منه، وإذا بالطعام قد نطق بلسان فصيح وقال: لا تأكلوا منّي فإنّي مسموم، وكان هذا من دلائل نور رسول الله ﷺ، فامتنعوا من أكله وخرجوا يقتفون النساء فلم يروا لهنّ أثراً، فعلموا أنّه مكيدة من الأعداء، فحفروا للطّعام حفيرة ووضعوه فيها.

وقال أبو الحسن البكريّ: حدّثنا أشياخنا وأسلافنا الرواة لهذا الحديث أنّه لمّا قبل الله الفداء من عبد المطّلب في ولده عبد الله فرح فرحاً شديداً، فلمّا لحق عبد الله ملاحق الرجال تطاولت إليه الخطّاب، وبذلوا في طلبه الجزيل من المال، كلّ ذلك رغبة في نور رسول الله ﷺ، ولم يكن في زمانه أجمل ولا أبهى ولا أكمل منه، وكان إذا مرّ بالناس في النهار يشمّون منه رائحة المسك الأذفر والكافور والعنبر، وكان إذا مرّ بهم ليلاً تضيء من نوره الحنادس والظلم، فسمّوه أهل مكّة مصباح الحرم، وأقام عبد المطّلب وابنه عبد الله بمكّة حتّى تزوّج عبد الله بآمنة بنت وهب، وكان السبب في تزويجها به أنّ الأحبار اجتمعوا بأرض الشام، وتكلّموا في مولد رسول الله ﷺ والدّم الّذي قد جرى من جبّة يحيى بن زكريّا عليه السلام كما تقدّم ذكره، فلمّا أيقنوا أنّه قد قرب خروج صاحب السيف، وظهرت أنواره تشاوروا فيما بينهم وساروا إلى حبر لهم وكان في قرية من قرى الاردن، وكانوا يقتبسون من علمه، وكان ممّن عمر في زمانه، فقصده القوم، فلمّا وصلوا إليه قال لهم: ما الّذي أزعجكم؟ قالوا له: إنّا نظرنا في كتبنا فوجدنا صفة هذا الرجل السفّاك الّذي تقاتل معه الأملاك، وما نلقى عند ظهوره من الأهوال والهلاك، وقد جئناك نشاورك في أمره قبل ظهوره وعلوّ ذكره، قال: يا قوم إنّ من أراد إبطال ما أراد الله فهو جاهل مغرور، وإنّه لكائن بكم، وهذا الّذي ذكرتم قد سبق أمره عند الله، فكيف تقدرون على إبطاله؟ وهو مبطل كهانة الكهّان، ومزيل دولة الصلبان، وسيكون له وزير وقريب، فلمّا سمعوا كلامه خافوا وحاروا، فقام حبر من أحبارهم يقال له: هيوبا بن داحورا، وكان كافراً متمرّداً شديد البأس، فقال لهم: هذا رجل قد كبر وخرف وقلّ عقله فلا تسمعوا من قوله، ثمّ قال لهم: أرأيتم االشجرة إذا قطعت من أصلها فهل تعود خضراء؟ قالوا: لا، قال: فإن قتلتم صاحبكم هذا الّذي يخرج من صلبه هذا المولود فما الّذي تخافون منه؟ فقوموا هذه الساعة وخذوا معكم تجارة وسيروا إلى البلد الّذي هو فيها، يعني مكّة، فإذا وصلتم دبّرتم الحيلة في هلاكه فتبعوا قوله وقالوا له: أنت سيّدنا، قال لهم: افعلوا ما آمركم به، وأنا معكم بسيفي ورمحي، ولكن ما أسير معكم حتّى تعاهدوني، فيعمد كلّ واحد منكم إلى سيفه ليسقيه سمّاً فأجابوه إلى ذلك وافترقوا، ثمّ اجتمعوا بأيلة، وخرجوا بجمالهم محملة بالتجارة، وساروا حتّى وصلوا مكّة، فلمّا دخلوها سمعوا من ورائهم صوتاً وهو يقول:

قصدتم لأزر القوم في السرّ والجهر ... تريدون مكراً بالمعظّم في القدر
ومن غالب الرحمن لا شكّ أنّه ... سيرميه باريه بقاصمة الظهر
ستضحون يا شرّ الأنام كأنّكم ... نعام أسيقت للذّباحة والنحر

فلمّا سمعوا كلام الهاتف هالهم ذلك وهمّوا بالرجوع، فقال لهم هيوبا: لا تخافوا من كلام هذا الهاتف، فإنّ هذا الوادي قد كثر فيه الكهان والشياطين، وإنّ هذا الهاتف هو شيطان قد علم قصدكم فعند ذلك تبادر القوم، فكان كلّ من لقاهم يحدّثهم بحسن عبد الله وجماله، فوقع في قلوبهم الكمد والحسد، فجعلوا يسومون متاعهم ولا يبيعون منه شيئاً، وإنّما يريدون

بذلك المقام بمكّة والحيلة في قتل عبد الله فأقبل يوماً عبد المطّلب وهو قابض على يد ولده عبد الله، ومرّ باليهود، وكان عبد الله قد رأى رؤيا أفزعته، فخرج مرعوباً إلى أبيه فقال: ما أصابك يا بنيّ؟ قال: رؤيا هالتني، قال: رأيت سيوفاً مجرّدة في أيدي قردة وهم قعود على أدبارهم، وأنا أنظر إليهم وهم يهزّون السيوف ويشيرون بها إليّ فعلوت عنها في الهواء، فبينما أنا كذلك وإذا بنار قد نزلت من السماء فزادتني خوفاً، وقلت: كيف خلاصي منها؟ فبينما أنا كذلك وإذا بالنار قد وقعت على القردة فأحرقتهم عن آخرهم، فزادني ذلك رعباً، فقال له أبوه: وقاك الله يا بنيّ شرما تحاذر من الحسّاد والأضداد، فإنّ الناس يحسدونك على هذا النور الّذي في وجهك، ولكن لو اجتمعت أهل الأرض إنسها وجنّها لم يقدروا على شيء، لأنّه وديعة من الله عزّوجلّ لخاتم الأنبياء، وها هنا أحبار اليهود من الشام وفيهم الحكمة والمعرفة فقم معي حتّى أقصّ عليهم رؤياك، فقبض عبد المطّلب على يد ولده عبد الله ودخلا عليهم، فلمّا نظر إليه الأحبار وهو كأنّه البدر المنير نظر بعضهم إلى بعض وقالوا: هذا الّذي نطلبه، فقال لهم عبد المطّلب: يا معاشر اليهود جئنا إليكم نخبركم برؤياً رآها ولدي هذا، فقالوا له: وما ذا؟ فقصّ عليهم الرؤيا، فزادهم حنقاً عليه، وقال له هيوبا: أيّها السيّد إنّها أضغاث أحلام وأنتم سادات كرام، ليس لكم معاند ولا مضادّ، ثمّ انصرف عبد المطّلب بولده وأقاموا بعد ذلك أيّاماً يريدون الحيلة فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً، وكان عبد الله مغرماً بالصيد، وكان إذا خرج إلى الصيد لا يرجع إلاّ ليلاً، وكان يخرج مع أبيه فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً حتّى خرج ذات يوم وحده فخرجوا وراءه من حيث لا يشعر بهم أحد، فقال لهم هيوبا: ما انتظاركم وقد خرج الّذي تطلبونه؟ فقالوا له: إنّا نخاف من فتيان مكّة وفرسان بني هاشم وهم لا يطاقون وقد ذلّت لهم العمالقة وغيرهم، ونخشى أن يشعروا بنا، فلمّا سمع هيوبا مقالتهم قال: خاب سعيكم، فإذا كنتم هكذا فما الّذي أتى بكم إلى هاهنا؟ فلا بدّ من قتل هذا الغلام، ولو طال عليكم المقام، ولم تجدوا يوماً مثل هذا اليوم، فإذا قتلناه وخفتم التهمة به فعليّ ديته، وكانوا قد بعثوا عبداً من عبيدهم ينظر إلى أين يتوجّه عبد الله، فرجع العبد وأخبرهم أنّه قد غاب بين الجبال والشعاب، وقد خرج من العمران، وليس عنده إنسان، فعزم القوم على ما أمّلوه، وجعلوا نصفاً عند الأمتعة، والنصف الآخر أخذوا السيوف تحت ثيابهم وخرجوا قاصدين عبد الله والعبد أمامهم حتّى أوقفهم عليه، وكان عبد الله قد صاد حمار وحش وهو يسلخه فنظر إلى القوم وقد أقبلوا عليه، فقال لهم هيوبا: هذا صاحبكم الّذي خرجتم من أوطانكم في طلبه، فما أحسّ عبد الله إلاّ وقد أحاطوا به، وكانوا قد افترقوا فرقتين، وقالوا للّذين خلّفوهم عند متاعهم: إذا دعوناكم أجيبونا مسرعين، فلمّا أشرفوا على عبد الله وقد سدّوا الطرقات، وزعموا أنّهم قد حكموا عليه، فرفع عبد الله رأسه إلى السماء، ودعا الله تعالى وأقبل إليهم وقال: يا قوم ما شأنكم؟ فوالله ما بسطت يدي إلى واحد منكم

بمكروه أبداً فتطالبوني به، ولا غصبت مالاً قطّ، ولا قتلت أحداً فأُقتل به، فما حاجتكم؟ فإنّ يكن سبقت منّي فعلة سوء إليكم فأخبروني حتّى أعرفها، واليهود يومئذ تلثموا ولم يبيّن منهم إلاّ حماليق الحدق، فلم يردّوا عليه جواباً، وأشار بعضهم إلى بعض وهمّوا بالهجوم عليه، فجعل نبلة في كبد قوسه ورمى بها نحوهم فأصابت رجلاً منهم فوقع ميتاً، ثمّ رماهم بأربع نبال أصابت أربعة رجال فاشتغلوا عنه بأنفسهم، فأخذ الخامسة ليرميهم بها وأنشأ يقول:

ولي همّة تعلو على كلّ همّة وقلب صبور لا يروع من الحرب
ولي نبلة أرمي بها كلّ ضيغم فتنفذ في اللّبات والنحر والقلب
فأربعة منها أصابت لأربع ولو كاثروني صلت بالطعن والضرب
أخذت نبالي ثمّ أرسلت بعضها فصارت كبرق لاح في خلل السحب

فلمّا سمعوا ذلك منه قال له هيوبا: يا فتى احبس عنّا نبالك فقد أسرفت في فعالك، ولقد قتلت منّا رجالاً من غير ذنب ولا سبقة سبقت منّا إليك، ونحن قوم تجّار، ونحن الّذين وقفت علينا بالأمس مع أبيك، وكان لنا عبد قد هرب منّا، فلمّا رأيناك أنكرناك، فعندما عرفناك أنّك عبد الله فنحن ما لنا معك طلابة، وإنك لأعزّ الخلق علينا، وأكرمهم لدينا، فامض لسبيلك فقد سمحنا لك بما فعلت فينا، فقال لهم: يا ويلكم ما الّذي تبيّن لكم منّي أنّي عبدكم؟ فهل عبدكم مثلي، أو صفته صفتي، أو له نور كنوري؟ فقالوا له: إنّما دخلنا الشكّ وأنت متباعد عنّا، فلمّا قربت منّا عرفناك، فاسمح لنا بما كان منّا إليك فإنّا سمحنا لك بما كان وإن كان وأعظم من ذلك أنّك قتلت منّا رجالاً لا ذنب لهم، ونحن حيث أكلنا طعام أبيك وشربنا شرابه فنحن لك شاكرون، وأنت أولى بكتمان ما كان اليوم منّا، فلمّا سمع عبد الله كلامهم زعم أنّه حقّ وهو خديعة، ثمّ إنّه ركب جواده وأخذ قوسه وعطف إلى ناحية المضيق، فلمّا رآه القوم قد أقبل عليهم يريد الخروج بادروا إليه بأجمعهم وجعلوا يرمونه بالحجارة وقاموا إليه بالسيوف، فجعل يكرّ فيهم كرّة بعد كرّة، فعند ذلك صاح فيهم هيوبا فتبادروا إليه بأجمعهم وهو يكرّ فيهم يميناً وشمالاً، وكلّما رمى رجلاً خرّ صريعاً ونزل عبد الله عن فرسه واستند إلى المضيق، وقد أقبلوا إليه من كلّ جانب يرمونه بالحجارة، فبينما هم في المعركة وإذا هم برجال قد أقبلوا بأيديهم السيوف مشهورة وهم عراة مسرعون نحوهم، فإذا هم بنو هاشم، وأبو طالب وفتيان مكّة وكان في أوّلهم أبو طالب وحمزة والعبّاس، فعند ذلك ناداه أبوه فقال: يا بنيّ هذا تأويل رؤياك من قبل، فما استتمّ كلامه حتّى أحاط بعبد الله إخوته وأقاربه.

قال البكريّ: وكان قد أخبرهم بالخبر رجل يقال له: وهب بن عبد مناف، لأنّه أشرف عليهم في المعركة، فهمّ أن ينزل فخاف على نفسه من كثرتهم، فأتى إلى الحرم ونادى في بني هاشم، فلمّا رآهم اليهود أيقنوا بالهلاك وقالوا لعبد الله: إنّما أردنا أن نعلم حقيقة الحال، فقال لهم عبد الله: هيهات لقد أجهدتم أنفسكم في هلاكي، فهرب منهم جماعة والتجأوا إلى

جبل وظنّوا أنّهم قد نجوا، فإذا أتاهم أمر الله فسقطت عليهم قطعة من الجبل فسدّت عليهم المضيق فلم يجدوا مهرباً، ولحقهم عبد المطّلب وأصحابه، والفرقة الّتي كانت من الجانب الآخر مع هيوبا قتلوا منهم أناساً كثيرة، وقال رجل منهم: دعونا نصل مكّة وافعلوا فينا ما تريدون، فإنّ لنا مع الناس أمتعة وأموالاً كنا قد أخفيناها وأنتم أحقّ بها، خذوها ولا تقتلونا، فكتفوهم عن آخرهم، وأقبلوا بهم إلى مكّة وأقبل عبد المطّلب على ولده يقبّله ويقول: «يا ولدي لولا وهب بن عبد مناف أخبرنا بأمرك ما كنّا علمنا، ولكنّ الله تعالى يحفظك»، فلمّا أشرفوا على مكّة خرج النّاس يهنّئونهم بالسلامة، وإذا باليهود مكتوفين، فجعل جملة النّاس يرمونهم بالحجارة، فقام لهم عبد المطّلب وقال: ارسلوا بهم إلى دار وهب حتّى يستقصوا على أموالهم، ولم يبق لهم شيء فأرسلوهم إلى دار وهب، فلمّا كان في تلك اللّيلة أقبل وهب على زوجته برّة بنت عبد العزّى وقال لها: يا برّة لقد رأيت اليوم عجباً من عبد الله ما رأيته من أحد، وهو يكرّ على هؤلاء القوم، وكلّما رماهم بنبلة قتل منهم إنساناً، وهو أجمل الناس وجهاً ممّا خصّه الله تعالى من الضياء الساطع، فامضي إلى أبيه واخطبيه لابنتنا واعرضيها عليه، فعسى أن يقبلها، فإن قبلها سعدنا سعادة عظيمة، قالت له: يا وهب إنّ رؤساء مكّة وأبطال الحرم وأشراف البطحاء قد رغبوا فيه فأبى عن ذلك، وقد كاتبه ملوك الشام والعراق على ذلك فأبى عليهم، فكيف يتزوّج بابنتنا وهي قليلة المال؟ قال لها: إنّ لي عليهم اليد إنّني أخبرتهم بأمر عبد الله مع هذا اليهود، ثمّ إنّ برّة قامت ولبست أفخر أثوابها وخرجت حتّى أتت دار عبد المطّلب فوجدته يحدّث أولاده بالخبر، فقالت: أنعم الله مساءكم، ودامت نعماؤكم، فردّ عليها عبد المطّلب التحيّة والإكرام، وقال لها: لقد سلف لبعلك اليوم علينا يدٌ لا نقدر أن نكافيه أبداً، وله أياد بالغة بذلك، وسنجازيه بما فعل إن شاء الله تعالى، فطمعت برّة في كلامه، ثمّ قال: بلّغي بعلك عنّا التحيّة والإكرام وقولي له: إن كان له لدينا حاجة تقضى إن شاء الله مهما كانت، فقالت له برة: يا أبا الحارث قد طلبنا تعجيل المسرّة، وقد علمنا أنّ ملوك الشام والعراق وغيرهم تطاولت إليكم، وقد رغبوا في ولدكم يطلبون أولادكم وأنواركم المضيئة، ونحن أيضاً طمعنا فيمن طمع في ولدكم عبد الله، ورجوناه مثل من رجا. وقد رجا وهب أن يكون عبد الله بعلاً لابنتنا، وقد جئناكم طامعين وراغبين في النور الّذي في وجه ولدكم عبد الله، ونسألكم أن تقبلونا، فإن كان مالها قليلاً فعلينا ما نجملها به وهي هديّة منّا لابنك عبد الله، فلمّا سمع عبد المطّلب كلامها نظر إلى ولده وكان قبل ذلك إذا عرض عليه التزويج من بنات الملوك يظهر في وجهه الامتناع، وقال أبوه: ما تقول يا بنيّ فيما سمعت؟ فوالله ما في بنات أهل مكّة مثلها، لأنّها محتشمة في نفسها طاهرة مطهّرة، عاقلة ديّنة، فسكت عبد الله ولم يرد جواباً، فعلم أبوه أنّه قد مال إليها، فقال عبد المطّلب: قد قبلنا دعوتكم، وأجبنا ورضينا بابنتكم، قالت فاطمة زوجة عبد المطّلب: أنا أمضي معك إليها

حتّى أنظر إلى آمنة، فإن كانت تصلح لولدي رضينا بها، فرجعت برّة مسرورة بما سمعت، ثمّ سارت إلى زوجها مسرعة وبشّرته وسمعت أمّ آمنة هاتفاً في الطريق يقول: «بخ بخ لكم يا معشر أهل الصفا، قد قرب خروج المصطفى»، فدخلت على زوجها فقال: وما وراءك؟ قالت: لقد سعدت سعادة علا قدرك في جملة العالمين، اعلم أنّ عبد المطّلب قد رضي بابنتك، ولكن مع الفرح ترحة، قال: وما هي؟ قالت: إنّ فاطمة خارجة تنظر إلى ابنتك آمنة، فإن رضيت بها وإلاّ لم يكن شيئاً، وإنّي أخاف أن لا ترضى بها، فقال لها وهب بن عبد مناف: اخرجي هذه الساعة إلى ابنتك وزيّنيها وألبسيها أفخر الثياب وقلّديها أفخر ما عندك، فعسى ولعلّ، فعمدت برّة إلى بنتها وألبستها أفخر ما عندها من الثياب، والحليّ، وضفرت شعرها، وأرخت ذوائبها على أكتافها، وقالت لها: يا ابنتي إذا أتتك فاطمة فتأدّبي لها أحسن الأدب، وارغبي في النور الّذي في وجه ولدها عبد الله، فبينما هما في ذلك إذ أقبلت فاطمة وخرج وهب من المنزل، وإذا بعبد المطّلب فأدخلوا فاطمة، فقامت لها آمنة إجلالاً وتعظيماً ورحّبت بها أحسن المرحب، فنظرت إليها فاطمة وإذا بها قد كساها الله جمالاً لا يوصف، فلمّا رأت فاطمة ذلك الحسن والجمال وقد أضاء من نور وجهها ذلك المجلس، قالت فاطمة: يا برّة ما كنت عهدت أنّ آمنة على هذه الصورة ولقد رأيتها قبل ذلك مراراً، فقالت برّة: يا فاطمة كلّ ذلك ببركتم علينا، ثمّ خاطبت فاطمة آمنة وإذا هي أفصح نساء أهل مكّة، فقامت فاطمة وأتت إلى عبد المطّلب وعبد الله، وقالت: يا ولدي ما في بنات العرب مثلها أبداً، ولقد ارتضيتها، وإنّ الله تعالى لا يودع هذا النور إلاّ في مثل هذه.

ولمّا وقع الحديث بين وهب وبين عبد المطّلب في أمر ابنته آمنة، قال وهب: يا أبا الحارث هذه آمنة هديّة منّي إليك بغير صداق معجّل ولا مؤجّل، فقال عبد المطّلب جزيت خيراً ولابدّ من صداق، ويكون بيننا وبينك من يشهد به من قومنا، ثمّ إنّ عبد المطّلب همّ أن يمدّ إليه شيئاً من المال ليصلح به شأنها، إذ سمع همهمة وأصواتاً فوثب وهب وسيفه مسلول ثمّ قاموا جميعاً، قال أبو الحسن البكريّ: وكان سبب ذلك أنّ اليهود الّذين كانوا محبوسين في دار وهب خدعهم الشيطان، وزيّن لهم هيوبا إنّكم مقتولون لا محالة، فقوموا جميعاً وخاطروا بأنفسكم على عبد المطّلب وابنه عبد الله، فإنّ الموت قد وقع بكم، واهربوا على وجوهكم، ثمّ إنّ هيوبا تمطّى في كتافه فقطعه، ثمّ حلّ جملة أصحابه، فلمّا خلصهم قالوا: بم نهجم عليهم وليس معنا سلاح؟ فقال هيوبا: نهجم عليهم بالحجارة هجمة رجل واحد، وهم غافلون، فسار القوم وأقبلوا وعبد المطلب وولده عبد الله ووهب في دار وهب، والمصباح عندهم، واليهود يرونهم وهم لا يرون اليهود فرموهم بالحجارة الّتي كانت معهم، فردّ الله تعالى عليهم الحجارة فهشمت وجوههم، ومنهم من وقع حجره في رأسه، ومنهم من وقع في صدره، وذلك بقدرة الله تعالى لأجل النور الّذي في وجه عبد الله، فحمل عليهم عبد المطّلب ومن كان معه فقتلوهم عن آخرهم، وكان عبد المطّلب لا يفارقه سيفه حيث ما

توجّه، وبعد ذلك خرج عبد المطّلب وولده وزوجته إلى منزلهم، وقالوا: يا وهب إذا كان في غداة غد جمعنا قومنا وقومك ليشهدوا بما يكون من الصداق، فقال: جزاك الله خيراً، فلمّا طلع الفجر أرسل عبد المطّلب إلى بني عمّه ليحضروا خطبتهم، ولبس عبد المطّلب أفخر أثوابه، وجمع وهب أيضاً قرابته وبني عمّه فاجتمعوا في الأبطح، فلمّا أشرف عليهم الناس قاموا إجلالاً لعبد المطّلب وأولاده، فلمّا استقرّ بهم المجلس خطبوا خطبتهم وعقدوا عقد النكاح، وقام عبد المطّلب فيهم خطيباً فقال: «الحمد لله حمد الشاكرين حمداً استوجبه بما أنعم علينا وأعطانا، وجعلنا لبيته جيراناً، ولحرمه سكّاناً، وألقى محبّتنا في قلوب عباده، وشرّفنا على جميع الأمم، ووقانا شرّ الآفات والنقم، والحمد لله الّذي أحلّ لنا النكاح، وحرّم علينا السفاح، وأمرنا بالاتّصال وحرّم علينا الحرام، اعلموا أنّ ولدنا عبد الله هذا الّذي تعرفونه قد خطب فتاتكم آمنة بصداق معجّل ومؤجّل كذا وكذا، فهل رضيتم بذلك من ولدنا»؟ قال وهب: قد رضينا منكم، فقال عبد المطّلب: اشهدوا يا من حضر، ثمّ تصافحوا وتهانوا وتصافقوا وتعانقوا، وأولم عبد المطّلب وليمة عظيمة، فيها جميع أهل مكّة وأوديتها وشعابها وسوادها، فأقام الناس في مكّة أربعة أيّام.

قال أبو الحسن البكريّ: ولمّا تزوّج عبد الله بآمنة أقامت معه زماناً، والنور في وجهه لم يزل حتّى نفذت مشيئة الله تعالى وقدرته وأراد أن يخرج خيرة خلقه محمّداً رسول الله وأن يشرّف به الأرض وينوّرها بعد ظلامها، ويطهرها بعد تنجيسها، أمر الله تعالى جبرئيل عليه السلام أن ينادي في جنّة المأوى أنّ الله جلّ جلاله قد تمّت كلمته ومشيّته وأنّ الّذي وعده من ظهور البشير النذير السراج المنير الّذي يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويدعو إلى الله وهو صاحب الأمانة والصيانة يظهر نوره في البلاد، ويكون رحمة على العباد، ومن أحبّه بشّر بالشرف والحباء، ومن أبغضه بسوء القضاء، وهو الّذي عرض عليكم من قبل أن يخلق آدم عليه السلام الّذي يسمّى في السماء أحمد، وفي الأرض محمّداً وفي الجنّة أبا القاسم، فأجابته الملائكة بالتسبيح والتهليل والتقديس والتكبير لله ربّ العالمين، وفتحت أبواب الجنان، وغلّقت أبواب النيران، وأشرفت الحور العين، وسبّحت الأطيار على رؤوس الأشجار، فلمّا فرغ جبريل من أهل السماوات أمره الله أن ينزل في مائة ألف من الملائكة إلى أقطار الأرض، وإلى جبل قاف، وإلى خازن السحاب، وجملة ما خلق الله يبشّرهم بخروج رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ نزل إلى الأرض السابعة فأخبرهم بخبره، ومن أراد الله به خيراً ألهمه محبّته، ومن أراد به شرًّا ألهمه بغضه، وزلزلت الشياطين، وصفدت وطردت عن الأماكن الّتي كانوا يسترقون فيها السمع، ورجموا بالشهب.

قال صاحب الحديث: ولمّا كانت ليلة الجمعة عشيّة عرفة وكان عبد الله قد خرج هو وإخوته وأبوه. فبينما هم سائرون وإذا بنهر عظيم فيه ماء زلال، ولم يكن قبل ذلك اليوم هناك ماء فبقي عبد المطّلب وأولاده متعجّبين، فبينما عبد الله كذلك إذ نودي يا عبد الله اشرب من

هذا النهر، فشرب منه، وإذا هو أبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأزكى من المسك، فنهض مسرعاً والتفت إلى إخوته فلم يروا للنّهر أثراً فتعجّبوا منه، ثمّ إنّ عبد الله مضى مسرعاً إلى منزله فرأته آمنة طائشاً، فقالت له: ما بالك؟ صرف الله عنك الطوارق، فقال لها: قومي فتطهّري وتطيّبي وتعطّري - واغتسلي خ ل - فعسى الله أن يستودعك هذا النور، فقامت وفعلت ما أمرها، ثمّ جاءت إليه فغشيها تلك اللّيلة المباركة، فحملت برسول الله ﷺ، فانتقل النور من وجه عبد الله في ساعته إلى آمنة بنت وهب، قالت آمنة: لمّا دنا منّي ولامسني أضاء منه نور ساطع، وضياء لامع، فأنارت منه السماء والأرض، فأدهشني ما رأيت، وكانت آمنة بعد ذلك يرى النور في وجهها كأنّه المرآة المضيئة(١).

بيان: النشيش: صوت الماء وغيره إذا غلا. والإراض بالكسر: بساط ضخم من صوف أو وبر. وانحاز عنه: عدل، وانحاز القوم: تركوا مراكزهم. والترح بالتحريك: ضدّ الفرح. والأروع من الرجال: الّذي يعجبك حسنه. والذابل: الرمح الرقيق. والسميدع بالفتح: السيّد الموطّأ الأكناف. والصحاصح: جمع الصحصاح وهو المكان المستوي. والجندل: الحجارة. والاسمهرار: الصلابة والشدة. قوله: «دهينا»، أي أصابتنا الداهية. والدرقة: الترس. والغيداق: الكريم. والضيغم: الأسد.

أقول: إنّما أوردت هذا الخبر مع غرابته وإرساله للاعتماد على مؤلّفه واشتماله على كثير من الآيات والمعجزات الّتي لا تنافيها سائر الأخبار، بل تؤيّدها والله تعالى يعلم.

٤٩ - **قب:** محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب سمّي بذلك لأنّ هاشماً دخل مكّة وهو رديفه، وعبد المطّلب اسمه شيبة الحمد بن هاشم، سمّي بذلك لأنّه هشم الثريد للنّاس في أيّام الغلاء، وهو عمرو بن عبد مناف، سمّي بذلك لأنّه علا وأناف، واسمه المغيرة ابن قصيّ، واسمه زيد، أُقصي عن دار قومه، لأنّه حمل من مكّة في صغره إلى بلاد أزد شنوءة فسمّي قصيّاً، ويلقّب بالمجمّع لأنّه جمع قبائل قريش بعدما كانوا في الجبال والشعاب. وقسّم بينهم المنازل بالبطحاء، ابن كلاب بن مرّة(٢) بن كعب بن لويّ بن غالب بن فهر بن مالك أبو النضر وهو قريش، وسمّي النضر لأنّ الله تعالى اختاره، والنضر النضرة، ابن خزيمة، وإنّما سمّي بذلك لأنّه خزم نور آبائه، ابن مدركة، لأنّهم أدركوا الشرف في أيّامه، وقيل: لإدراكه صيداً لأبيه، وسمّي أبوه طابخة لطبخه لأبيه، ابن إلياس النبيّ عليه السلام، وسمّي بذلك لأنّه جاء على أياس وانقطاع، ابن مضر، وسمّي بذلك لأخذه بالقلوب، ولم يكن يراه أحد إلاّ أحبّه، ابن نزار، واسمه عمرو، وسمي بذلك لأنّ معد نظر إلى نور النبيّ ﷺ في وجهه فقرّب له قرباناً عظيماً، وقال له: لقد استقللت هذا القربان وإنّه لقليل نزر، ويقال: إنّه

(١) الأنوار في مولد النبي ﷺ، ص ٨-٧٢.

(٢) كلاب بن مرة: جدّ النبي ﷺ جملة من أحواله في كتاب المنتهى [النمازي].

اسم أعجميّ، وكان رجلاً هزيلاً، فدخل على يستاسف فقال: هذا نزار بن معد، وسمّي بذلك لأنّه كان صاحب حروب وغارات على اليهود، وكان منصوراً، ابن عدنان، لأنّ أعين الحيّ كلّها تنظر إليه.

وروي عنه ﷺ إذا بلغ نسبي إلى عدنان فأمسكوا.

وعنه ﷺ كذب النسّابون، قال الله تعالى ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾.

قال القاضي عبد الجبّار بن أحمد: المراد بذلك أنّ اتّصال الأنساب غير معلوم، فلا يخلو إمّا أن يكون كاذباً أو في حكم الكاذب. وقد روي أنّه انتسب إلى إبراهيم.

أمّ سلمة سمعت النبيّ ﷺ يقول: معد بن عدنان بن أدد، وسمّي أدد لأنّه كان مادّ الصوت، كثير العزّ، ابن زيد بن ثرا بن أعراق الثرى.

قالت أمّ سلمة: زيد هميسع، وثرا نبت، وأعراق الثرى إسماعيل بن إبراهيم، قالت: ثمّ قرأ عليه السلام: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ الآية، واعتمد النسّابة وأصحاب التواريخ أنّ عدنان هو ابن أدّ بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيذار بن إسماعيل.

وقال ابن بابويه: عدنان بن أدّ بن أدد بن زيد بن يقدد بن يقدم بن الهميسع بن نبت بن قيذار ابن إسماعيل، وقال ابن عبّاس: عدنان بن أدّ بن أدد بن اليسع بن الهميسع، ويقال: ابن ياحين بن يخشب بن منحر بن صابوغ بن الهميسع بن نبت بن قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم بن تارخ بن ناخور بن سروغ بن ارغو وهو هود، ويقال: بن قالغ بن غابر وهو هود بن أرفخشد بن متوشلخ بن سام بن نوح بن لملك بن أخنوخ، ويقال: أخنوخ وهو إدريس بن مهلايل، ويقال: مهاييل بن زبارز، ويقال: مادر، ويقال أياد بن قينان بن أنوش، ويقال: قينان بن أدد ابن أنوش بن شيث وهو هبة الله بن آدم.

أمّه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة إلى آخر النسب، ويقال: إنّه ينسب إلى آدم بتسعة وأربعين أباً[١].

٥٠ - د: رسول الله ﷺ أبو القاسم محمّد وأحمد بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن لويّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدّ بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن النبت بن حمل بن قيداد بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام بن تارخ بن ناخور بن شروغ بالشين المعجمة والغين المعجمة ابن ارغو بن فالغ بالغين المعجمة فيهما بن عابر بفتح الباء والعين غير المعجمة ابن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح بن ملك بن متوشلخ بكسر اللاّم ابن أخنوخ بن اليارذ بالذال المعجمة ابن مهلايل بن فينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام.

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٠٢.

وقال ابن بابويه: عدنان بن أدّ بن أُدد بن زيد بن يعدد بن يقدم بن الهميسع بن نبت بن قيذار ابن إسماعيل. وقال ابن عبّاس: عدنان بن أُدّ بن أُدد بن اليسع بن الهميسع.

ويقال: ابن يامين بن يحشب بن منحد بن صابوغ بن الهميسع بن نبت بن قيذار بن إسماعيل ابن إبراهيم بن تارخ بن سروع بن أرغو، وهو هود ويقال: ابن قالع بن عامر بن أرفخشد بن ناحور بن متوشلح بن سام بن نوح بن لمك بن أُخنوح، وهو إدريس بن مهلائيل، ويقال: مهائيل بن زياد، ويقال: مارد، ويقال: أياد بن قينان بن أنوش، ويقال: قينان بن أود بن أنوش بن شيث وهو هبة الله بن آدم عليه السلام[1].

٥١ - **ب:** السنديّ بن محمّد، عن صفوان الجمّال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي مستوهب من ربّي أربعة، وهو واهبهم لي إن شاء الله: آمنة بنت وهب، وعبد الله بن عبد المطّلب، وأبو طالب بن عبد المطّلب، ورجل من الأنصار جرت بيني وبينه ملحة[2].

بيان: قال الفيروزآباديّ: بينهما ملح وملحة: حرمة وحلف، وهذا الخبر يدلّ على إيمان هؤلاء فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لا يستوهب ولا يشفع لكافر، وقد نهى الله عن موادّة الكفّار والشفاعة لهم والدعاء لهم كما دلّت عليه الآيات الكثيرة.

٥٢ - **مع، لي:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن عليّ بن حسّان، عن عبد الرحمن بن كثير الهاشميّ قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: نزل جبريل على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد إنّ الله جلّ جلاله يقرئك السلام ويقول: إنّي حرّمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك، فقال: يا جبريل بيّن لي ذلك، فقال: أمّا الصلب الّذي أنزلك فعبد الله بن عبد المطّلب، وأمّا البطن الّذي حملك فآمنة بنت وهب، وأمّا الحجر الّذي كفلك فأبو طالب بن عبد المطّلب وفاطمة بنت أسد[3].

بيان: هذا الخبر أيضاً يدلّ على إيمان هؤلاء، فإنّ الله تعالى أوجب النار على جميع المشركين والكفّار كما دلّت عليه الآيات والأخبار.

٥٣ - **ع، مع:** محمّد بن عمرو بن عليّ البصريّ، عن عبد السلام بن محمّد بن هارون الهاشميّ، عن محمّد بن محمّد بن عقبة الشيبانيّ، عن الخضر بن أبان، عن أبي هدبة إبراهيم ابن هدبة، عن أنس بن مالك قال: أتى أبو ذرّ يوماً إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: ما رأيت كما رأيت البارحة، قالوا: وما رأيت البارحة؟ قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله ببابه، فخرج ليلاً فأخذ بيد عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وخرجا إلى البقيع فمازلت أقفو أثرهما إلى أن

(١) العدد القوية، ص ١٣٤. (٢) قرب الإسناد، ص ٥٦ ح ١٨٣.
(٣) معاني الأخبار، ص ١٣٧، أمالي الصدوق، ص ٤٨٥ مجلس ٨٨ ح ١٢.

أتيا مقابر مكّة فعدل إلى قبر أبيه فصلّى عنده ركعتين، فإذا بالقبر قد انشقّ وإذا بعبد الله جالس وهو يقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، فقال له: من وليّك يا أبه؟ فقال: وما الوليّ يا بنيّ؟ قال: هو هذا عليّ، قال: وإنّ عليّاً وليّي، قال: فارجع إلى روضتك، ثمّ عدل إلى قبر أمّه فصنع كما صنع عند قبر أبيه فإذا بالقبر قد انشقّ فإذا هي تقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّك نبيّ الله ورسوله، فقال لها من وليّك يا أمّاه؟ فقالت: ومن الوليّ يا بنيّ؟ فقال: هو هذا عليّ بن أبي طالب، فقالت: إنّ عليّاً وليّي، فقال: ارجعي إلى حفرتك وروضتك، فكذّبوه، ولبّبوه، وقالوا: يا رسول الله كذب عليك اليوم، فقال: وما كان من ذلك؟ قالوا: إنّ جندب حكى عنك كيت وكيت، فقال النبيّ ﷺ: ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ.

قال عبد السلام بن محمّد: فعرضت هذا الخبر على الهجيميّ محمّد بن عبد الأعلى فقال: أما علمت أنّ النبيّ ﷺ قال: أتاني جبرئيل عليه السلام فقال: إنّ الله عزّ وجلّ حرّم النار على ظهر أنزلك وبطن حملك، وثدي أرضعك، وحجر كفلك[1].

بيان: هذا الخبر أيضاً يدلّ على إيمان والديه عليهما السلام إذ لو كانا ماتا على الشرك لم ينفعهم الإيمان بعد الإحياء، لأنّ الله تعالى حتم على من مات على الكفر والشرك دخول النار، فهو ﷺ إنّما أحياهما ليدركا أيّام نبوّته، ويشهدا برسالته وبإمامة وصيّه، فيكمل بذلك إيمانهما، ويشهد له قوله ﷺ: فارجع إلى روضتك.

٥٤ - **فس:** قال رسول الله ﷺ: لو قمت المقام المحمود لشفعت لأبي وأمّي وأخ كان لي مؤاخياً في الجاهلية[2].

٥٥ - **فس:** أبيّ، عن ابن أبي عمير، عن سيف بن عميرة وعبدالله بن سنان وأبي حمزة الثماليّ قالوا: سمعنا أبا عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام يقول: لمّا حج رسول الله ﷺ حجّة الوداع نزل بالأبطح ووضعت له وسادة فجلس عليها ثمّ رفع يده إلى السماء وبكى بكاءً شديداً، ثمّ قال: يا ربّ إنّك وعدتني في أبي وأمّي وعمّي أن لا تعذّبهم قال فأوحى الله إليه إنّي آليت على نفسي أنّ لا يدخل جنّتي إلاّ من شهد أن لا إله إلا الله، وأنّك عبدي ورسولي، ولكن ائت الشعب فنادهم فإن أجابوك فقد وجبت لهم رحمتي، فقام النبيّ ﷺ إلى الشعب فناداهم يا أبتاه ويا أمّاه ويا عمّاه، فخرجوا ينفضون التراب عن رؤوسهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: ألا ترون إلى هذه الكرامة الّتي أكرمني الله بها، فقالوا: نشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّك رسول الله حقّاً حقّاً، وأنّ جميع ما أتيت به من عند الله فهو الحقّ، فقال: ارجعوا إلى مضاجعكم، ودخل رسول الله ﷺ مكّة، وقدم عليه عليّ بن أبي طالب من اليمن، فقال رسول الله ﷺ: ألا أبشرك يا عليّ؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: بأبي أنت وأمّي لم تزل

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٢١٠ باب ١٤١ ح ١.

(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٨٢.

مبشّراً، فقال: ألا ترى إلى ما رزقنا الله تبارك وتعالى في سفرنا هذا؟ وأخبره الخبر، فقال عليّ: الحمد لله، قال: فأشرك رسول الله ﷺ في بدنه أباه وأُمّه وعمّه[١].

بيان: هذا الخبر إمّا محمول على التقيّة، أو على أنّه إنّما فعل ذلك ليظهر للنّاس إسلامهم، ثمّ اعلم أنّ هذه الأخبار مخالفة لمّا اشتهر من أنّ والديه عليهما السلام ماتا في غير مكّة ويمكن الجمع بينهما بأن يكونوا نقلوهما بعد موتهما إلى مكّة كما ذكره بعض أهل السير، أو انتقلا بعد ندائه ﷺ بإعجازه إليها.

٥٦ - **ص:** إنّ أباه توفّي وأُمّه حبلى، وقدمت أُمّه آمنة بنت وهب على أخواله من بني عديّ من النجّار بالمدينة، ثمّ رجعت به حتّى إذا كانت بالأبواء ماتت، وأرضعته حتّى شبّ حليمة بنت عبد الله السعديّة[٢].

٥٧ - **يج:** روي أنّ عبد الله بن عبد المطّلب لمّا ترعوع ركب يوماً ليصيد، وقد نزل بالبطحاء قوم من اليهود قدموا ليهلكوا والد محمّد ﷺ ليطفئوا نور الله فنظروا إلى عبد الله فرأوا حلية أبوّة النبوّة فيه، فقصدوه وكانوا ثمانين نفراً بالسيوف والسكاكين، وكان وهب بن عبد مناف بن زهرة والد آمنة أُمّ محمّد ﷺ في ذلك الصوب يصيد، وقد رأى عبد الله وقد صفّ به اليهود ليقتلوه، فقصد أن يدفعهم عنه، وإذا بكثير من الملائكة معهم الأسلحة طردوا عنه اليهود، فعجب من ذلك وانصرف، ودخل على عبد المطّلب وقال: أُزوّج بنتي آمنة من عبد الله، وعقد فولدت رسول الله ﷺ[٣].

٥٨ - **قب:** تصوّر لعبد المطّلب أنّ ذبح الولد أفضل قربة لما علم من حال إسماعيل عليه السلام فنذر أنّه متى رزق عشرة أولاد ذكور أن ينحر أحدهم للكعبة شكراً لربه، فلمّا وجدهم عشرة قال لهم، يا بنيّ ما تقولون في نذري؟ فقالوا: الأمر إليك، ونحن بين يديك فقال: لينطلق كلّ واحد منكم إلى قدحه وليكتب عليه اسمه ففعلوا وأتوه بالقداح فأخذها وقال:

عاهدته والآن أوفي عهده   إذ كان مولاي وكنت عبده
نذرت نذراً لا أحبّ ردّه   ولا أحبّ أن أعيش بعده

فقدّمهم ثمّ تعلّق بأستار الكعبة ونادى: «اللّهمّ ربّ البلد الحرام، والركن والمقام، وربّ المشاعر العظام، والملائكة الكرام، اللّهمّ أنت خلقت الخلق لطاعتك، وأمرتهم بعبادتك، لا حاجة منك في كلام له» ثمّ أمر بضرب القداح وقال: «اللّهم إليك أسلمتهم ولك أعطيتهم، فخذ من أحببت منهم فإنّي راض بما حكمت، وهب لي أصغرهم سنّاً فإنّه أضعفهم ركناً» ثمّ أنشأ يقول:

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٨٢.
(٢) قصص الأنبياء، ص ٣١٦.
(٣) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٢٩ ح ٢١٤.

يا ربّ لا تخرج عليه قدحي واجعل له واقية من ذبحي

فخرج السهم على عبد الله فأخذ الشفرة وأتى عبد الله حتّى أضجعه في الكعبة، وقال:

هذا بنيّ قد أريد نحره والله لا يقدّر شيء قدره

فإن يؤخّره يقبل عذره

وهمّ بذبحه فأمسك أبو طالب يده وقال:

كلاّ وربّ البيت ذي الأنصاب ما ذبح عبد الله بالتلعاب

ثمّ قال: «اللّهمّ اجعلني فديته، وهب لي ذبحته»، ثمّ قال:

خذها إليك هدية يا خالقي روحي وأنت مليك هذا الخافق

وعاونه أخواله من بني مخزوم وقال بعضهم:

يا عجباً من فعل عبد المطّلب وذبحه ابناً كتمثال الذهب

فأشاروا عليه بكاهنة بني سعد فخرج في ثمان مائة رجل وهو يقول:

تعاورني أمر فضقت به ذرعا ولم أستطع ممّا تجلّلني دفعا

نذرت ونذر المرء دين ملازم وما للفتى ممّا قضى ربّه منعا

وعاهدته عشراً إذا ما تكمّلوا أقرّب منهم واحداً ماله رجعا

فأكملهم عشراً فلمّا هممت أن أفي بذاك النذر ثار له جمعا

يصدّونني عن أمر ربّي وإنّني سأرضيه مشكوراً ليلبسني نفعا

فلمّا دخلوا عليها قال:

يا ربّ إنّي فاعل لمّا ترد إن شئت ألهمت الصواب والرشد

فقالت: كم دية الرجل عندكم؟ قالوا: عشرة من الإبل، قالت: واضربوا على الغلام وعلى الإبل القداح، فإن خرج القداح على الإبل فانحروها، وإن خرج عليه فزيدوا في الإبل عشرة عشرة حتّى يرضى ربّكم، وكانوا يضربون القداح على عبد الله وعلى عشرة فيخرج السهم على عبد الله إلى أن جعلها مائة، وضرب فخرج القدح على الإبل فكبّر عبد المطّلب وكبّرت قريش، ووقع عبد المطّلب مغشيّاً عليه، وتواثبت بنو مخزوم فحملوه على أكتافهم، فلمّا أفاق من غشيته قالوا: قد قبل الله منك فداء ولدك، فبينا هم كذلك فإذا بهاتف يهتف في داخل البيت وهو يقول: قبل الفداء، ونفذ القضاء، وآن ظهور محمّد المصطفى، فقال عبد المطلب: القداح تخطىء وتصيب حتّى أضرب ثلاثاً، فلمّا ضربها خرج على الإبل فارتجز يقول:

دعوت ربّي مخلصاً وجهرا يا ربّ لا تنحر بنيّ نحرا

فنحرها كلّها فجرت السنّة في الدية بمائة من الإبل[١].

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٤٥.

٥٩ - **قب:** كانت امرأة يقال لها: فاطمة بنت مرّة قد قرأت الكتب، فمرّ بها عبد الله بن عبد المطّلب، فقالت: أنت الّذي فداك أبوك بمائة من الإبل؟ قال: نعم، فقالت: هل لك أن تقع عليّ مرّة وأُعطيك من الإبل مائة؟ فنظر إليها وأنشأ:

أمّا الحرام فالممات دونه والحلّ لا حلّ فأستبينه
فكيف بالأمر الّذي تبغينه

ومضى مع أبيه فزوّجه أبوه آمنة فظلّ عندها يوماً وليلة، فحملت بالنبيّ ﷺ، ثمّ انصرف عبد الله فمرّ بها فلم ير بها حرصاً على ما قالت أوّلاً، فقال لها عند ذلك مختبراً:

هل لك فيما قلت لي فقلت: لا؟

قالت:

قد كان ذاك مرّة فاليوم لا

فذهبت كلمتاهما مثلاً.

ثمّ قالت: أيّ شيء صنعت بعدي؟ قال: زوّجني أبي آمنة فبتّ عندها، فقالت:

لله ما زهريّة سلبت ثوبيك ما سلبت؟ وما تدري

ثمّ قالت: رأيت في وجهك نور النبوّة فأردت أن يكون فيّ وأبى الله إلّا أن يضعه حيث يحبّ، ثمّ قالت:

بني هاشم قد غادرت من أخيكم أمينة إذ للباه يعتلجان
كما غادر المصباح بعد خبوّه فتائل قد شبّت له بدخان
وما كلّ ما يحوي الفتى من نصيبه بحرص ولا ما فاته بتواني

ويقال: إنّه مرّ بها وبين عينيه غرّة كغرّة الفرس، وكان عند الأحبار جبّة صوف بيضاء قد غمست في دم يحيى بن زكريّا عليه السلام وكانوا قد قرأوا في كتبهم إذا رأيتم هذه الجبّة تقطر دماً فاعلموا أنّه قد ولد أبو السفّاك الهتّاك، فلمّا رأوا ذلك من الجبّة اغتمّوا واجتمع خلق على أن يقتلوا عبد الله. فوجدوا الفرصة منه لكون عبد المطّلب في الصيد فقصدوه، فأدرك وهب بن عبد مناف الزهريّ فجاز منه فنظر إلى رجال نزلوا من السماء وكشفوهم عنه، فزوّج ابنته من عبد الله، قال: فمتن من نساء قريش مأتا امرأة غيرة، ويقال: إنّ عبد الله كان في جبينه نور يتلألأ، فلمّا قرب من حمل محمّد ﷺ لم يطق أحد رؤيته، وما مرّ بحجر ولا شجر إلاّ سجد له وسلّم عليه، فنقل الله منه نوره يوم عرفة وقت العصر وكان يوم الجمعة إلى آمنة[1].

بيان: قولها: «ما زهريّة»، المراد بالزهريّة آمنة، أي آمنة ما سلبت ثوبيك فقط حين

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٥٠٢.

قاربتها، ما سلبت؟ أي أيّ شيء سلبت؟ أي سلبت منك شيئاً عظيماً، وهو نور النبوّة، وما تدري، قولها: «قد غادرت»، أي تركت، قولها: «للباه يعتلجان»، أي للجماع، يتصارعان وينضمّان، والخبوّ: الانطفاء، قد شبّت له على بناءِ المجهول، أي أوقدت، والضمير للمصباح، والحاصل أنّها خاطبت بني هاشم أنّ آمنة ذهبت بالنور من عبد الله، كمصباح أطفىء فلم يبق منه إلاّ فتيلة فيها دخان، ثمّ ذكرت لنفسها عذراً فيما فاتها بأنّ الحرص لا يسوق شيئاً لم يقدّر، وليس كلّ ما فات من الإنسان بالتواني والتقصير، بل هو من تقدير الحكيم الخبير.

٦٠ - **قب:** توفّي أبوه ﷺ وهو ابن شهرين.

الواقديّ: وهو ابن سبعة أشهر.

الطبريّ: توفّي أبوه بالمدينة ودفن في دار النابغة.

ابن إسحاق: توفّي أبوه وأمّه حامل به، وماتت أمّه وهو ابن أربع سنين.

الكلبيّ: وهو ابن ثمانية وعشرين شهراً.

محمّد بن إسحاق: توفّيت أمّه بالأبواء منصرفة إلى مكّة وهو ابن ست، وربّاه عبد المطلب وتوفّي عنه وهو ابن ثمانية سنين وشهرين وعشرة أيّام فأوصى به إلى أبي طالب فربّاه[1].

٦١ - **د:** قيل: إنّه لمّا شبّ رسول الله ﷺ وترعرع وسعى ردّته حليمة إلى أمّه فافتصلته وقدمت به على أخواله من بني عديّ بن النجّار بالمدينة، ثمّ رجعت به حتّى إذا كان بالأبواء هلكت بها، فيتم رسول الله ﷺ وكان عمره يومئذٍ ستّ سنين فرجعت به أمّ أيمن إلى مكّة، وكانت تحضنه، وورث رسول الله ﷺ من أمّه أمّ أيمن، وخمسة أجمال أوداك، وقطيعة غنم، فلمّا تزوّج بخديجة أعتق أمّ أيمن.

وروي أنّ آمنة لمّا قدمت برسول الله ﷺ المدينة نزلت به في دار النابغة رجل من بني عديّ ابن النجّار فأقامت بها شهراً، فكان رسول الله ﷺ يذكر أموراً كانت في مقامه ذلك، فقال ﷺ: نظرت إلى رجل من اليهود يختلف وينظر إليّ، ثمّ ينصرف عنّي، فلقيني يوماً خالياً فقال لي: يا غلام ما اسمك؟ قلت: أحمد، فنظر إلى ظهري فأسمعه يقول: هذا نبيّ هذه الأمّة، ثمّ راح إلى أخوالي فخبّرهم الخبر فأخبروا أمّي فخافت عليّ وخرجنا من المدينة.

وحدّثت أمّ أيمن قالت: أتاني رجلان من اليهود يوماً نصف النهار بالمدينة فقالا: اخرجي لنا أحمد فأخرجته، فنظرا إليه وقلّباه مليّاً ونظرا إلى سرّته ثمّ قال أحدهما لصاحبه: هذا نبيّ هذه الأمّة، وهذه دار هجرته، وسيكون بهذه البلدة من القتل والسبي أمر عظيم[2].

٦٢ - **د:** عبد الله أنفذه أبوه يمتار له تمراً من يثرب فتوفّي بها[3].

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٢٣.

(٢) العدد القوية، ص ١٢٦.

(٣) العدد القوية، ص ١٣٦.

٦٣ - **عد**: قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله: اعتقادنا في آباء النبيّ صلى الله عليه وآله أنّهم مسلمون من آدم إلى أبيه عبد الله، وأنّ أبا طالب كان مسلماً، وآمنة بنت وهب بن عبد مناف أمّ رسول الله صلى الله عليه وآله كانت مسلمة، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم. وقد روي أنّ عبد المطّلب كان حجّة، وأبو طالب كان وصيه عليه السلام [1].

بيان: اتّفقت الإماميّة رضوان الله عليهم على أنّ والدي الرسول وكلّ أجداده إلى آدم عليه السلام كانوا مسلمين، بل كانوا من الصدّيقين: إمّا أنبياء مرسلين، أو أوصياء معصومين، ولعلّ بعضهم لم يظهر الإسلام لتقيّة أو لمصلحة دينيّة.

قال أمين الدين الطبرسيّ رحمه الله في مجمع البيان: قال أصحابنا: إنّ آزر كان جدّ إبراهيم عليه السلام لأمّه، أو كان عمّه من حيث صحّ عندهم أنّ آباء النبيّ صلى الله عليه وآله إلى آدم كلّهم كانوا موحّدين، وأجمعت الطائفة على ذلك، ورووا عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهّرات، حتّى أخرجني في عالمكم هذا، لم يدنّسني بدنس الجاهليّة.

ولو كان في آبائه عليه السلام كافر لم يصف جميعهم بالطهارة، مع قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ ولهم في ذلك أدلّة ليس هنا موضع ذكرها. انتهى [2].

وقال إمامهم الرازيّ في تفسيره: قالت الشيعة: إنّ أحداً من آباء الرسول صلى الله عليه وآله وأجداده ما كان كافراً، وأنكروا أن يقال: إنّ والد إبراهيم كان كافراً وذكروا أنّ آزر كان عمّ إبراهيم عليه السلام، واحتجّوا على قولهم بوجوه:

الاولى: أنّ آباء نبيّنا ما كانوا كفّاراً ويدلّ عليه وجوه:

منها: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ قيل: معناه إنّه كان ينقل روحه من ساجد إلى ساجد، وبهذا التقدير فالآية دالة على أنّ جميع آباء محمّد صلى الله عليه وآله كانوا مسلمين، فيجب القطع بأن والد إبراهيم كان مسلماً، وممّا يدلّ على أنّ أحداً من آباء محمّد صلى الله عليه وآله ما كانوا من المشركين قوله صلى الله عليه وآله: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [3].

أقول: ثمّ أورد بعض الاعتراضات والأجوبة الّتي لاحاجة لنا إلى إيرادها، ثمّ قال: وأمّا أصحابنا فقد زعموا أنّ والد رسول الله صلى الله عليه وآله كان كافراً، وذكروا أنّ نصّ الكتاب في هذه الآية تدلّ على أنّ آزر كان كافراً، وكان والد إبراهيم عليه السلام إلى آخر ما قال، وإنّما أوردنا كلامه ليعلم أنّ اتّفاق الشيعة على ذلك كان معلوماً، بحيث اشتهر بين المخالفين.

---

(١) اعتقادات الصدوق، ص ١٠٥.
(٢) مجمع البيان، ج ٤ ص ٩٠.
(٣) تفسير فخر الرازي، ج ١٣ المجلد ٥ ص ٣٢.

وأمّا المخالفون: فذهب أكثرهم إلى كفر والدي الرسول ﷺ وكثير من أجداده كعبد المطّلب وهاشم وعبد مناف صلوات الله عليهم أجمعين، وإجماعنا وأخبارنا متضافرة على خلافهم، وسيأتي الأخبار الكثيرة الدالّة على ذلك في سائر أبواب الكتاب.

ووجدت في بعض الكتب أنّ عبد المطّلب اسمه شيبة، ويقال: شيبة الحمد، وقد قيل: إنّ اسمه عامر، والصحيح الاوّل، ويقال: إنّه سمّي شيبة لأنّه ولد وفي رأسه شعرة بيضاء، ويكنّى أبا الحارث، ويلقّب الفيّاض لجوده، وإنّما سمّي عبد المطّلب لأنّ أباه هاشماً مرّ بيثرب في بعض أسفاره فنزل على عمرو بن زيد، وقيل: زيد بن عمرو بن خداش بن أُمّية بن وليد بن غنم بن عديّ بن النجّار، والراوي الأوّل يقول: عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عديّ بن النجّار، وهم تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج وهو المعتمد، فرأى ابنته سلمى فخطبها إليه فزوّجه إيّاها، وشرط عليه أنّها إذا حملت أتى بها لتلد في دار قومها، وبنى عليها هاشم بيثرب ومضى بها إلى مكّة، فلمّا أثقلت أتى بها إلى يثرب في السفرة الّتي مات فيها وذهب إلى الشام فمات هناك بغزّة من أرض الشام، وولدت سلمى عبد المطّلب وشبّ عند أُمّه فمرّ به رجل من بني الحارث بن عبد مناف، وهو مع صبيان يتناضلون فرآه أجملهم وأحسنهم إصابة، وكلّما رمى فأصاب، قال: أنا ابن هاشم، أنا ابن سيّد البطحاء، فأعجب الرجل ما رأى منه ودنا إليه فقال: من أنت؟ قال: أنا شيبة بن هاشم بن عبد مناف، قال: بارك الله فيك، وكثر فينا مثلك، قال: من أنت يا عمّ؟ قال: رجل من قومك، قال: حيّاك الله ومرحباً بك، وسأله عن أحواله وحاجته، فرأى الرجل منه ما أعجبه، فلمّا أتى مكّة لم يبدأ بشيء حتّى أتى المطّلب بن عبد مناف فأصابه جالساً في الحجر فخلا به وأخبره خبر الغلام وما رأى منه، فقال المطّلب: والله لقد أغفلته، ثمّ ركب قلوصاً ولحق بالمدينة وقصد محلّة بني النجّار فإذا هو بالغلام في غلمان منهم، فلمّا رآه أناخ قلوصه وقصد إليه، فأخبره بنفسه، وأنّه جاء للذّهاب به، فما لبث أن جلس على عجز الرّحل وركب المطّلب القلوص ومضى به، وقيل: بل كانت أُمّه قد علمت بمجيء المطّلب ونازعته فغلبها عليه، ومضى به إلى مكّة وهو خلفه، فلمّا رآه قريش قامت إليه وسلّمت عليه وقالوا: من أين أقبلت؟ قال: من يثرب، قالوا: ومن هذا معك؟ قال: عبد ابتعته، فلمّا أتى محلّه اشترى له حلّة فألبسه إيّاها وأتى به في مجلس بني عبد مناف، فقال: هذا ابن أخيكم هاشم، وأخبرهم خبره، فغلب عليه عبد المطّلب لقول عمّه: إنّه عبد ابتعته، وساد عبد المطّلب قريشاً، وأذعنت له سائر العرب بالسيادة والرياسة، وأخباره مشهورة مع أصحاب الفيل، وحفر زمزم، وفي سقياه حين استسقى مرّتين: مرّة لقريش، ومرّة لقيس إلى غير ذلك من فضائله، وأخباره وأشعاره تدلّ على أنّه كان يعلم أنّ سبطه محمّداً نبيّ، وهو ابن هاشم، واسمه عمرو، ويقال له: عمرو العلى، ويكنّى أبا نضلة، وإنّما سمّي هاشماً لهشمه الثريد للحجاج، وكانت إليه الوفادة والرفادة وهو الّذي سنّ الرحلتين: رحلة الشتاء إلى اليمن والعراق،

ورحله الصيف إلى الشام ومات بغزة من أرض الشام وفيه يقول مطرود بن كعب الخزاعي:

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكّة مسنتون عجاف[1]

وكان هاشم يدعى القمر، ويسمّى ذات الركب، وقد سمّي بهذا آخرون من قريش أيضاً، وهو ابن عبد مناف، واسمه المغيرة، وإنّما سمّته عبد مناف أُمّه، ومناف اسم صنم كان مستقبل الركن الأسود، وكان أيضاً يدعى القمر لجماله، ويدعى السيّد لشرفه وسؤدده، وهو ابن قصيّ، واسمه زيد، وإنّما سمّي قصيّاً لأنّ أمّه فاطمة بنت سعد بن سنبل الأزديّة من أزد شنوءه تزوّجها بعد أبيه كلاب ربيعة بن حزام بن سعد بن زيد القضاعيّ، فمضى بها إلى قومه، وكان زهرة بن كلاب كبيراً، فتركته عند قومه، وحملت زيداً معها، لأنّه كان فطيماً، فسمّي قصيّاً لأنّه أقصي عن داره، وشبّ في حجر ربيعة بن حزام، لا يرى إلاّ أنّه أبوه إلى أن كبر فنازع بعض بني عذرة، فقال له العذريّ: الحق بقومك فإنّك لست منّا، قال: وممّن أنا؟ قال: سل أمّك تخبرك، فقالت: أنت والله أكبر منهم نفساً ووالداً ونسباً، أنت ابن كلاب بن مرّة، وقومك آل الله في حرمه وعند بيته، فكره قصيّ المقام دون مكّة، فأشارت عليه أُمّه أن يقيم حتّى يدخل الشهر الحرام، ثمّ يخرج مع حجّاج قضاعة ففعل، ولمّا صار إلى مكّة تزوّج إلى خليل بن الحبشيّة الخزاعيّ ابنته حبي، وكان خليل يلي أمر الكعبة، وعظم أمر قصيّ حتّى استخلص البيت من خزاعة وحاربهم وأجلاهم عن الحرم وصارت إليه السدانة والوفادة والسقاية، وجمع قبائل قريش وكانت متفرّقة.

وقال محمّد بن مسعود الكازرونيّ في كتاب المنتقى: ولد عبد الله لأربع وعشرين سنة مضت من ملك كسرى أنو شروان، فبلغ سبع عشرة سنة، ثمّ تزوّج آمنة، فلمّا حملت برسول الله ﷺ توفّي، وذلك أنّ عبد الله بن عبد المطّلب خرج إلى الشام في عير من عيرات قريش، يحملون تجارات، ففرغوا من تجاراتهم ثمّ انصرفوا، فمرّوا بالمدينة وعبد الله بن عبد المطّلب يومئذٍ مريض، فقال: أتخلّف عند أخوالي بني عديّ بن النجّار، فأقام عندهم مريضاً شهراً، ومضى أصحابه فقدموا مكّة فسألهم عبد المطّلب عن عبد الله، فقالوا خلّفناه عند أخواله بني عديّ بن النجّار وهو مريض، فبعث إليه عبد المطّلب أعظم ولده الحارث فوجده قد توفّي في دار النابغة، فرجع إلى أبيه فأخبره، فوجد عليه عبد المطّلب وإخوته وأخواته وجداً شديداً، ورسول الله ﷺ يومئذٍ حمل، ولعبد الله يوم توفّي خمس وعشرون سنة.

وروي أنّه توفّي بعدما أتى على رسول الله ﷺ ثمانية وعشرون شهراً، ويقال: سبعة أشهر، والأوّل أصحّ.

قال الواقديّ: ترك عبد الله أمّ أيمن وخمسة جمال أوراك، يعني قد أكلت الأراك، وقطيعة غنم، فورث رسول الله ﷺ وكانت أمّ أيمن تحضنه واسمها بركة.

---

(١) سيأتي الأبيات السابقة لهذا البيت في ح ٩٢ من هذا الباب.

٦٤ - **ن، لي:** ابن المتوكّل، عن عليّ، عن أبيه، عن الريّان بن الصلت قال: أنشدني الرضا عليه السلام لعبد المطّلب (شعر):

يعيب الناس كلّهم زمانا ... وما لزماننا عيب سوانا
نعيب زماننا والعيب فينا ... ولو نطق الزمان بنا هجانا
وإنّ الذئب يترك لحم ذئب ... ويأكل بعضنا بعضاً عيانا[1]

أقول: سيأتي في باب مولد النبيّ ﷺ بعض أخباره.

٦٥ - **ل:** الفاميّ وابن مسرور معاً، عن ابن بطّة، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن حمّاد، عن حريز، عمّن أخبره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوّل من سوهم عليه مريم بنت عمران، وهو قول الله: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ والسهام ستة، ثمّ استهموا في يونس عليه السلام لمّا ركب مع القوم، فوقفت السفينة في اللّجّة، فاستهموا فوقع السهم على يونس عليه السلام ثلاث مرّات، قال: فمضى يونس عليه السلام إلى صدر السفينة فإذا الحوت فاتح فاه فرمى بنفسه، ثمّ كان عبد المطّلب ولد له تسعة فنذر في العاشر إن يرزقه الله غلاماً أن يذبحه، قال: فلمّا ولد عبد الله لم يكن يقدر أن يذبحه ورسول الله ﷺ في صلبه، فجاء بعشر من الإبل وساهم عليها وعلى عبد الله فخرجت السهام على عبد الله، فزاد عشراً، فلم يزل السهام تخرج على عبد الله ويزيد عشراً، فلمّا بلغت مائة خرجت السهام على الإبل، فقال عبد المطّلب: ما أنصفت ربّي، فأعاد السهام ثلاثاً فخرجت على الإبل، فقال: الآن علمت أنّ ربّي قد رضي، فنحرها[2].

٦٦ - **ل:** أبي، عن سعد، عن أبي محمّد الفضل اليمانيّ، عن الحسن بن جمهور، عن أبيه، عن عليّ بن حديد، عن عبد الرحمن بن الحجّاج، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: هبط جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد إنّ الله عزّ وجلّ قد شفّعك في خمسة: في بطن حملك وهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف، وفي صلب أنزلك وهو عبد الله بن عبد المطّلب، وفي حجر كفلك وهو عبد المطّلب بن هاشم، وفي بيت آواك وهو عبد مناف بن عبد المطّلب أبو طالب، وفي أخ كان لك في الجاهليّة، قيل: يا رسول الله من هذا الأخ؟ فقال رسول الله: كان آنسي وكنت آنسه، وكان سخيّاً يطعم الطعام[3].

٦٧ - **ل:** محمّد بن عليّ بن الشاه، عن أبي حامد، عن أبي يزيد، عن محمّد بن أحمد بن صالح التميميّ، عن أبيه، عن أنس بن محمّد أبي مالك، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عن النبيّ ﷺ أنّه قال في وصيّته له: يا عليّ إنّ عبد المطّلب سنّ في الجاهليّة خمس سنن أجراها الله له في الإسلام: حرّم نساء الآباء على

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ١٩٠ باب ٤٣ ح ٥، أمالي الصدوق، ص ١٥٠ مجلس ٣٣ ح ٦.
(٢) الخصال، ص ١٥٦ باب الثلاثة ح ١٩٨. (٣) الخصال، ص ٢٩٣ باب الخمسة ح ٥٩.

الأبناء فأنزل الله عزّوجلّ : ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس وتصدق به، فأنزل الله عزّوجلّ : ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ الآية، ولمّا حفر زمزم سمّاها سقاية الحاجّ فأنزل الله عزّوجلّ : ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ الآية، وسنّ في القتل مائة من الإبل فأجرى الله عزّوجلّ ذلك في الإسلام، ولم يكن للطّواف عدد عند قريش فسنّ فيهم عبد المطّلب سبعة أشواط، فأجرى الله ذلك في الإسلام، يا عليّ إنّ عبد المطّلب كان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل ما ذبح على النصب، ويقول: أنا على دين أبي إبراهيم عليه السلام [(١)].

بيان: لعلّه عليه السلام فعل هذه الأمور بإلهام من الله تعالى، أو كانت في ملّة إبراهيم عليه السلام فتركتها قريش فأجراها فيهم، فلمّا جاء الإسلام لم ينسخ هذه الأمور لما سنّه عبد المطّلب.

٦٨ - **ل:** الهمدانيّ، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبان الأحمر قال: سمعت جعفر بن محمّد عليه السلام يحدث عن أبيه عليه السلام قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاريّ يقول: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن ولد عبد المطّلب، فقال: عشرة والعبّاس.

قال الصّدوق رحمه الله : وهم عبد الله، وأبو طالب، والزبير، وحمزة، والحارث، وهو أسنّهم والغيداق، والمقوم، وحجل، وعبد العزّى وهو أبو لهب، وضرار، والعبّاس، ومن الناس من يقول: إنّ المقوم هو حجل. ولعبد المطّلب عشرة أسماء، تعرفه بها العرب وملوك القياصرة وملوك العجم وملوك الحبشة، فمن أسمائه: عامر، وشيبة الحمد، وسيّد البطحاء، وساقي الحجيج، وساقي الغيث، وغيث الورى في العام الجدب، وأبو السادة العشرة، وعبد المطّلب، وحافر زمزم، وليس ذلك لمن تقدّمه [(٢)].

٦٩ - **ن:** القطّان، عن الأسديّ، عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن ابيه قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن معنى قول النبيّ صلى الله عليه وآله أنا ابن الذبيحين، قال: يعني إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام ، وعبد الله بن عبد المطّلب، أمّا إسماعيل فهو الغلام الحليم الّذي بشّر الله تعالى به إبراهيم عليه السلام : ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ﴾ وهو لمّا عمل مثل عمله ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ ولم يقل له: يا أبت افعل ما رأيت ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ فلمّا عزم على ذبحه فداه الله تعالى بذبح عظيم بكبش أملح، يأكل في سواد، ويشرب في سواد، وينظر في سواد، ويمشي في سواد ويبول ويبعر في سواد، وكان يرتع قبل ذلك في رياض الجنّة أربعين عاماً، وما خرج من رحم أنثى، وإنّما قال الله عزّوجلّ له: كن فكان، ليفدي به إسماعيل، فكلّ ما يذبح بمنى فهو فدية لإسماعيل إلى يوم القيامة، فهذا أحد الذبيحين، وأمّا الآخر فإنّ عبد المطّلب كان تعلّق بحلقة باب الكعبة ودعا الله عزّوجلّ أن يرزقه عشرة بنين، ونذر لله عزّوجلّ أن يذبح واحداً منهم متى أجاب الله دعوته،

---

(١) الخصال، ص ٣١٢ باب الخمسة ح ٩٠. (٢) الخصال، ص ٤٥٣ باب العشرة ح ٥٩.

فلمّا بلغوا عشرة قال: قد وفى الله تعالى لي فلأفينّ لله عزّ وجلّ فأدخل ولده الكعبة، وأسهم بينهم، فخرج سهم عبد الله أبي رسول الله ﷺ وكان أحبّ ولده إليه، ثمّ أجالها ثانية فخرج سهم عبد الله، ثمّ أجالها ثالثة، فخرج سهم عبد الله فأخذه وحبسه وعزم على ذبحه، فاجتمعت قريش ومنعته من ذلك، واجتمع نساء عبد المطّلب يبكين ويصحن، فقالت له ابنته عاتكة: يا أبتاه أعذر فيما بينك وبين الله عزّ وجلّ في قتل ابنك، قال: وكيف أعذر يا بنيّة فإنّك مباركة؟ قالت: اعمد على تلك السوائم الّتي لك في الحرم فاضرب بالقداح على ابنك وعلى الإبل واعط ربّك حتّى يرضى، فبعث عبد المطّلب إلى إبله فأحضرها وعزل منها عشراً، وضرب بالسهام فخرج سهم عبد الله، فما زال يزيد عشراً عشراً حتّى بلغت مائة، فضرب فخرج السهم على الإبل، فكبّرت قريش تكبيرة ارتجّت لها جبال تهامة، فقال عبد المطّلب: لا حتّى أضرب بالقداح ثلاث مرّات، فضرب ثلاثاً كلّ ذلك يخرج السهم على الإبل، فلما كان في الثالثة اجتذبه الزبير وأبو طالب وإخواتهما من تحت رجليه، فحملوه وقد انسلخت جلدة خدّه الّذي كان على الأرض وأقبلوا يرفعونه ويقبّلونه ويمسحون عنه التراب، وأمر عبد المطّلب أن تنحر الإبل بالحزورة، ولا يمنع أحد منها، وكانت مائة، فكانت لعبد المطّلب خمس من السنن أجراها الله عزّ وجلّ في الإسلام: حرّم نساء الآباء على الأبناء، وسنّ الدية في القتل مائة من الإبل، وكان يطوف بالبيت سبعة أشواط، ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس، وسمّى زمزم حين حفرها سقاية الحاجّ، ولولا أنّ عبد المطّلب كان حجّة وأنّ عزمه على ذبح ابنه عبد الله شبيه بعزم إبراهيم عليه السلام على ذبح ابنه إسماعيل لما افتخر النبيّ ﷺ بالانتساب إليهما لأجل أنّهما الذبيحان في قوله ﷺ: أنا ابن الذبيحين، والعلّة الّتي من أجلها دفع الله عزّ وجلّ الذبح عن إسماعيل هي العلّة الّتي من أجلها دفع الذبح عن عبد الله، وهي كون النبيّ والأئمّة صلوات الله عليهم في صلبيهما، فببركة النبيّ والأئمّة صلوات الله عليهم دفع الله الذبح عنهما، فلم تجر السنّة في الناس بقتل أولادهم، ولولا ذلك لوجب على الناس كلّ أضحى التقرب إلى الله تعالى ذكره بقتل أولادهم، كلّ ما يتقرّب الناس به إلى الله عزّ وجلّ من أضحيّة فهو فداء لإسماعيل إلى يوم القيامة[1].

٧٠ - **جا، ما:** المفيد، عن عليّ بن بلال المهلبيّ، عن عبد الواحد بن عبد الله بن يونس، عن الحسين بن محمّد بن عامر، عن المعلّى، عن العميّ، عن جعفر بن بشير، عن سليمان بن سماعة، عن عبد الله بن القاسم، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام عن أبيه، عن جدّه عليه السلام قال: لمّا قصد أبرهة بن الصباح ملك الحبشة لهدم البيت تسرّعت الحبشة فأغاروا عليها فأخذوا سرحاً لعبد المطّلب بن هاشم، فجاء عبد المطّلب فاستأذن عليه فأذن له وهو في قبّة ديباج على سرير له: فسلّم عليه، فردّ أبرهة السلام وجعل ينظر في

(١) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٨٩ باب ١٨ ح ١.

وجهه فراقه حسنه وجماله وهيبته، فقال له: هل كان في آبائك مثل هذا النور الّذي أراه لك والجمال؟ قال: نعم أيّها الملك كلّ آبائي كان لهم هذا الجمال والنور والبهاء، فقال له أبرهة: لقد فقتم فخراً وشرفاً، ويحقّ لك أن تكون سيّد قومك، ثمّ أجلسه معه على سريره، وقال لسائس فيله الأعظم - وكان فيلاً أبيض عظيم الخلق، له نابان مرصّعان بأنواع الدرّ والجواهر، وكان الملك يباهي به ملوك الأرض -: ائتني به، فجاء به سائسه وقد زيّن بكلّ زينة حسنة، فحين قابل وجه عبد المطّلب سجد له، ولم يكن يسجد لملكه، وأطلق الله لسانه بالعربيّة فسلّم على عبد المطّلب، فلمّا رأى الملك ذلك ارتاع له وظنّه سحراً، فقال: ردّوا الفيل إلى مكانه، ثمّ قال لعبد المطّلب: فيم جئت؟ فقد بلغني سخاؤك وكرمك وفضلك، ورأيت من هيبتك وجمالك وجلالك ما يقتضي أن أنظر في حاجتك، فسلني ما شئت، وهو يرى أنّه يسأله في الرجوع من مكّة، فقال له عبد المطّلب: إنّ أصحابك غدوا على سرح لي فذهبوا به فمرهم بردّه عليّ، قال: فتغيّظ الحبشيّ من ذلك، وقال لعبد المطّلب: لقد سقطت من عيني، جئتني تسألني في سرحك وأنا قد جئت لهدم شرفك، وشرف قومك، ومكرمتكم الّتي تتميّزون بها من كلّ جيل وهو البيت الّذي يحجّ إليه من كلّ صقع في الأرض، فتركت مسألتي في ذلك وسألتني في سرحك، فقال له عبد المطّلب: لست بربّ البيت الّذي قصدت لهدمه، وأنا ربّ سرحي الّذي أخذه أصحابك، فجئت أسألك فيما أنا ربّه، وللبيت ربّ هو أمنع له من الخلق كلّهم، وأولى به منهم، فقال الملك ردّوا عليه سرحه، وانصرف إلى مكّة، وأتبعه الملك بالفيل الأعظم مع الجيش لهدم البيت، فكانوا إذا حملوه على دخول الحرم أناخ، وإذا تركوه رجع مهرولاً، فقال عبد المطّلب لغلمانه: ادعوا إليّ ابني، فجيء بالعبّاس، فقال: ليس هذا أريد، ادعوا إليّ ابني، فجيء بأبي طالب فقال: ليس هذا أريد، ادعوا إليّ ابني فجيء بعبد الله أب النبيّ ﷺ، فلمّا أقبل إليه قال: اذهب يا بنيّ حتّى تصعد أبا قبيس، ثمّ اضرب ببصرك ناحية البحر، فانظر أي شيء يجيء من هناك، وخبّرني به، قال: فصعد عبد الله أبا قبيس فما لبث أن جاء بطير أبابيل مثل السيل واللّيل، فسقط على أبي قبيس، ثمّ صار إلى البيت فطاف سبعاً، ثمّ صار إلى الصفا والمروة فطاف بهما سبعاً، فجاءَ عبد الله إلى أبيه فأخبره الخبر، فقال: انظر يا بنيّ ما يكون من أمرها بعد فأخبرني به، فنظرها فإذا هي قد أخذت نحو عسكر الحبشة، فأخبر عبد المطّلب بذلك، فخرج عبد المطّلب وهو يقول: يا أهل مكّة اخرجوا إلى العسكر فخذوا غنائمكم، قال: فأتوا العسكر وهم أمثال الخشب النخرة، وليس من الطير إلاّ ما معه ثلاثة أحجار في منقاره ويديه يقتل بكلّ حصاة منها واحداً من القوم، فلمّا أتوا على جميعهم انصرف الطير فلم ير قبل ذلك ولا بعده، فلمّا هلك القوم بأجمعهم جاء عبد المطّلب إلى البيت فتعلّق بأستاره وقال:

يا حابس الفيل ذي المغمّس حبسته كأنّه مكوّس
في مجلس تزهق فيه الأنفس

فانصرف وهو يقول في فرار قريش وجزعهم من الحبشة:

طارت قريش إذ رأت خميسا فظلت فرداً لا أرى أنيسا
ولا أحسّ منهم حسيسا إلاّ أخاً لي ماجداً نفيسا
مسوّداً في أهله رئيسا[(١)]

بيان: راقه: أعجبه، قال الفيروزآباديّ: المغمّس كمعظّم ومحدّث: موضع بطريق الطائف فيه قبر أبي رغال دليل أبرهة ويرجم، وقال: المكوّس كمعظّم حمار.

أقول: روي في كتاب العدد مثله إلاّ أنّه زاد فيه: فحين قابل الفيل وجه عبد المطّلب سجد له، ولم يكن سجد لملكه وأطلق الله لسانه بالعربيّة فسلم على عبد المطّلب وقال بلسان فصيح: يا نور خير البريّة، ويا صاحب البيت والسقاية، ويا جدّ سيّد المرسلين، السّلام على نور الّذي في ظهرك، يا عبد المطّلب معك العزّ والشرف، لن تذلّ ولن تغلب أبداً، فلمّا رأى الملك ذلك ارتاع له وظنّه سحراً، فقال: ردّوا الفيل إلى مكانه، ثمّ قال لعبد المطّلب: فيم جئت؟ فقد بلغني سخاؤك وكرمك وفضلك، ورأيت من هيبتك وجمالك وجلالك ما يقتضي أن أنظر في حاجتك، فسل ما شئت. وساق الحديث إلى آخره[(٢)].

٧١ - **فس:** ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم يا محمّد ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ قال: نزلت في الحبشة حين جاؤوا بالفيل ليهدموا به الكعبة، فلمّا أدنوه من باب المسجد قال له عبد المطّلب: تدري أين يُؤمّ بك؟ قال برأسه: لا، قال: أتوا بك لتهدم كعبة الله، أتفعل ذلك؟ فقال برأسه: لا، فجهدت به الحبشة ليدخل المسجد فأبى، فحملوا عليه بالسيوف وقطّعوه، ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: بعضها على أثر بعض ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ قال: كان مع كلّ طير حجر في منقاره، وحجران في مخاليبه، وكانت ترفرف على رؤوسهم، وترمي في دماغهم فيدخل الحجر في دماغهم، ويخرج من أدبارهم، وتنتقض أبدانهم فكانوا كما قال: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ قال: العصف: التبن، والمأكول هو الّذي يبقى من فضله، قال الصادق عليه السلام: وأهل الجدريّ من ذلك الّذي أصابهم في زمانهم جدريّ[(٣)].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: أجمعت الرواة على أنّ ملك اليمن الّذي قصد هدم الكعبة هو أبرهة بن الصباح، وقيل: إنّ كنيته أبو يكسوم، قال الواقديّ: هو صاحب النجاشيّ جدّ النجاشيّ الّذي كان على عهد رسول الله ﷺ، وقال محمّد بن إسحاق: أقبل تبّع حتّى نزل على المدينة، فنزل بوادي قبا فحفر بها بئراً تدعى اليوم ببئر الملك، قال: وبالمدينة إذ ذاك يهود والأوس والخزرج فقاتلوه وجعلوا يقاتلونه بالنهار، فإذا أمسى أرسلوا إليه بالضيافة، فاستحيى وأراد صلحهم، فخرج إليه رجل من الأوس يقال له: أحيحة بن الجلاح، وخرج

---

(١) أمالي المفيد، ص ٣١٢، أمالي الطوسي، ص ٨٠ مجلس ٣ ح ١٢٠.
(٢) العدد القوية، ص ١٣٨.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٤٤.

إليه من اليهود بنيامين القرظيّ، فقال له أحيحة: أيّها الملك نحن قومك، وقال بنيامين: هذه بلدة لا تقدر أن تدخلها ولو جهدت. قال: ولم؟ قال: لأنّها منزل نبيّ من الأنبياء يبعثه الله من قريش، قال: ثمّ خرج يسير حتّى إذا كان من مكّة على ليلتين بعث الله عليه ريحاً قصفت يديه ورجليه، وشنجت جسده، فأرسل إلى من معه من اليهود فقال: ويحكم ما هذا الّذي أصابني؟ قالوا: حدّثت نفسك بشيء؟ قال: نعم، وذكر ما أجمع عليه من هدم البيت، وإصابة ما فيه، قالوا: ذاك بيت الله الحرام، ومن أراده هلك، قال: ويحكم وما المخرج ممّا دخلت فيه؟ قالوا: تحدّث نفسك بأن تطوف به وتكسوه وتهدي له، فحدّث نفسه بذلك فأطلقه الله، ثمّ سار حتّى دخل مكّة فطاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، وكسى البيت، وذكر الحديث في نحره بمكة وإطعامه الناس، ثمّ رجوعه إلى اليمن وقتله وخروج ابنه إلى قيصر واستعانته به فيما فعل قومه بأبيه، وإنّ قيصراً كتب له إلى النجاشيّ ملك الحبشة وأنّ النجاشيّ بعث معه ستين ألفاً، واستعمل عليهم روزبه حتّى قاتلوا حمير قتلة أبيه، ودخلوا صنعاء فملكوها وملكوا اليمن، وكان في أصحاب روزبه رجل يقال له: أبرهة وهو أبو يكسوم، فقال لروزبه أنا أولى بهذا الأمر منك، وقتله مكراً، وأرضى النجاشيّ، ثمّ إنّه بنى كعبة باليمن وجعل فيها قباباً من ذهب، وأمر أهل مملكته بالحجّ إليها يضاهي بذلك البيت الحرام، وإنّ رجلاً من بنى كنانة خرج حتّى قدم اليمن فنظر إليها، ثمّ قعد فيها، - يعني لحاجة الإنسان -، فدخلها أبرهة فوجد تلك العذرة فيها، فقال: من اجترأ عليّ بهذا؟ ونصرانيّتي لأهدمنّ ذلك البيت حتّى لا يحجّه حاجّ أبداً، فدعا بالفيل وأذن قومه بالخروج ومن اتّبعه من أهل اليمن، وكان أكثر من تبعه منهم علّ والأشعريّون وخثعم قال: ثمّ خرج يسير حتّى إذا كان ببعض طريقه بعث رجلاً من بني سليم ليدعو الناس إلى حجّ بيته الّذي بناه، فتلقّاه رجل من الخمس من بني كنانة فقتله، فازداد بذلك حنقاً، وأحثّ السير والانطلاق، وطلب من أهل الطائف دليلاً، فبعثوا معه رجلاً من هذيل يقال له: نفيل، فخرج بهم يهديهم حتّى إذا كانوا بالمغمّس نزلوا وهو من مكّة على ستّة أميال، فبعثوا مقدّماتهم إلى مكّة. فخرجت قريش عباديد في رؤوس الجبال وقالوا: لا طاقة لنا اليوم بقتال هؤلاء القوم، ولم يبق بمكّة غير عبد المطّلب بن هاشم أقام على سقايته، وغير شيبة بن عثمان بن عبد الدار أقام على حجابة البيت، فجعل عبد المطّلب يأخذ بعضادتي الباب ثمّ يقول:

لا همّ إنّ المرء يمنع رحله فامنع رحالك لا يغلبوا بصليبهم ومحالهم عدواً محالك
إن يدخلوا البيت الحرام إذاً فأمر ما بد الك

ثمّ إنّ مقدّمات أبرهة أصابت نعماً لقريش فأصابت فيها مائتيّ بعير لعبد المطّلب بن هاشم، فلمّا بلغه ذلك خرج حتّى أتى القوم، وكان حاجب أبرهة رجلاً من الأشعريّين، وكانت له بعبد المطّلب معرفة، فاستأذن له على الملك وقال له: أيّها الملك جاءك سيّد قريش، الّذي يطعم إنسها في الحيّ، ووحشها في الجبل، فقال: ائذن له، وكان عبد المطّلب

رجلاً جسيماً جميلاً، فلمّا رآه أبو يكسوم أجلّه أن يجلسه تحته، وكره أن يجلسه معه على سريره، فنزل من سريره فجلس على الأرض، وأجلس عبد المطّلب معه، ثمَّ قال: ما حاجتك؟ قال: حاجتي مائتا بعير لي أصابتها مقدّمتك، فقال أبو يكسوم: والله لقد رأيتك فأعجبتني، ثمَّ تكلّمت فزهدت فيك، فقال: ولم أيّها الملك؟ قال: لأنّي جئت إلى بيت عزّكم ومنعتكم من العرب، وفضلكم في الناس، وشرفكم عليهم، ودينكم الّذي تعبدون، فجئت لأكسره، وأُصيبت لك مائتا بعير، فسألتك عن حاجتك فكلّمتني في إبلك، ولم تطلب إليّ في بيتكم، فقال له عبد المطّلب: أيها الملك إنّما أكلّمك فيما لي، ولهذا البيت ربّ هو يمنعه، لست أنا منه في شيء، فراع ذلك أبا يكسوم، وأمر بردّ إبل عبد المطّلب عليه، ثمَّ رجع وأمست ليلتهم تلك ليلة كالحة نجومها، كأنّها تكلّمهم كلاماً لاقترابها منهم، فأحسّت نفوسهم بالعذاب، وخرج دليلهم حتّى دخل الحرم وتركهم، وقام الأشعريّون وخثعم وكسروا رماحهم وسيوفهم، وبرئوا إلى الله أن يعينوا على هدم البيت، فباتوا كذلك بأخبث ليلة، ثمّ أدلجوا بسحر، فبعثوا فيلهم يريدون أن يصبحوا بمكّة، فوجّهوه إلى مكّة، فربض، فضربوه فتمرّغ فلم يزالوا كذلك حتّى كادوا أن يصبحوا، ثمّ إنّهم أقبلوا على الفيل فقالوا: لك الله أن لا نوجّهك إلى مكّة، فانبعث فوجّهوه إلى اليمن راجعاً فتوجّه يهرول فعطفوه حين رأوه منطلقاً حتّى إذا ردّوه إلى مكانه الأوّل ربض، فلمّا رأوا ذلك عادوا إلى القسم فلم يزالوا كذلك يعالجونه حتّى إذا كان من طلوع الشمس طلعت عليهم الطير معها الحجارة، فجعلت ترميهم، وكلّ طائر في منقاره حجر، وفي رجليه حجران، وإذا رمت بتلك مضت، وطلعت أُخرى، فلا يقع حجر من حجارتهم تلك على بطن إلاّ خرقه، ولا عظم إلاّ أوهاه وثقبه، وثاب أبو يكسوم راجعاً قد أصابته بعض الحجارة، فجعل كلّما قدم أرضاً انقطع له فيها إرب حتّى إذا انتهى إلى اليمن لم يبق شيء إلاّ أباده، فلمّا قدمها انصدع صدره، وانشقّ بطنه فهلك، ولم يصب من خثعم والأشعريّين أحد، قال: وكان عبد المطّلب يرتجز ويدعو على الحبشة يقول:

يا ربّ لا أرجو لهم سواكا يا ربّ فامنع منهم حماكا
إنّ عدوّ البيت من عاداكا إنهم لم يقهروا قواكا

قال: ولم تصب تلك الحجارة أحداً إلاّ هلك، وليس كلّ القوم أصابت، وخرجوا هاربين، يبتدرون الطريق الّذي منه جاؤوا، ويسألون عن نفيل ليدلّهم على الطريق.

وقال مقاتل: السبب الّذي جر أصحاب الفيل إلى مكّة هو أنَّ فئة من قريش خرجوا تجّاراً إلى أرض النجاشيّ، فساروا حتّى دنوا من ساحل البحر، وفي حقف من أحقافها بيعة للنّصارى تسمّيها قريش الهيكل، ويسمّيها النجاشيّ وأهل أرضه ماسرخشان، فنزل القوم فجمعوا حطباً ثمَّ أجّجوا ناراً فاشتووا لحماً، فلمّا ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف فذهبت الرياح بالنار فاضطرم الهيكل ناراً، فغضب النجاشيّ لذلك فبعث أبرهة لهدم الكعبة.

وروى العياشيّ بإسناده عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أرسل الله على أهل الفيل طيراً مثل الخطّاف أو نحوه في منقاره حجر مثل العدسة، فكان يحاذي برأس الرجل فيرميه بالحجر، فيخرج من دبره، فلم تزل بهم حتّى أتت عليهم، قال: فأفلت رجل منهم فجعل يخبر الناس بالقصّة، فبينا هو يخبرهم إذ أبصر طيراً منها، فقال: هذا هو منها، قال: فحاذى به فطرحه على رأسه فخرج من دبره.

وقال عبيد بن عمير: لمّا أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيراً نشأت من البحر كأنّها الخطاطيف، كلّ طير منها معه ثلاثة أحجار، ثمّ جاءت حتّى صفّت على رؤوسهم، ثمّ صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها، فما من حجر وقع منها على رجل إلاّ خرج من الجانب الآخر، إن وقع على رأسه خرج من دبره، وإن وقع على شيء من جسده خرج من الجانب الآخر.

وعن ابن عبّاس قال: دعا الله الطير الأبابيل فأعطاها حجارة سوداً عليها الطّين، فلمّا حاذت بهم رمتهم، فما بقي أحد منهم إلاّ أخذته الحكّة، فكان لا يحكّ إنسان منهم جلده إلاّ تساقط لحمه، قال: وكانت الطير نشأت من قبل البحر، لها خراطيم الطيور، ورؤوس السباع، لم تر قبل ذلك ولا بعده، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ الّذي قصدوا تخريب الكعبة، وكان معهم فيل واحد اسمه محمود، وقيل: ثمانية أفيال، وقيل: اثنا عشر فيلاً، وإنّما وحّد لأنّه أراد الجنس، وكان ذلك في العام الّذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، وعليه أكثر العلماء، وقيل: كان أمر الفيل قبل مولده صلى الله عليه وآله بثلاث وعشرين سنة، وقيل: بأربعين سنة ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ أي ضلّ سعيهم حتّى لم يصلوا إلى ما أرادوه بكيدهم ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ أي أقاطيع يتبع بعضها بعضاً كالإبل المؤبلة، وكانت لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكفّ كأكفّ الكلاب، وقيل: لها أنياب كأنياب السباع، وقيل: طير خضر لها مناقير صفر، وقيل: طير سود بحريّة تحمل في مناقيرها وأكفّها الحجارة، ويمكن أن يكون بعضها خضراً، وبعضها سوداً ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ أي تقذفهم تلك الطير بحجارة صلبة شديدة، وقال موسى بن عايشة: كانت أكبر من العدسة، وأصغر من الحمّصة[1].

وقال البيضاويّ: ﴿مِنْ سِجِّيلٍ﴾ من طين متحجّر، معرّب سنگ گل، وقيل: من السجل، وهو الدّلو الكبير، أو الإسجال وهو الإرسال، أو من السجلّ ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدوّن.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ كورق زرع وقع فيه الأكال وهو أن يأكله الدود أو أكل حبّه فبقي صفراً منه، أو كتبن أكلته الدوابّ وراثته[2].

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٤٤٢. (٢) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٤٥٢.

٧٢ - **كنز الكراجكيّ:** عن الحسين بن عبيد الله الواسطيّ، عن التلعكبريّ، عن محمّد بن همّام وأحمد بن هوذة جميعاً، عن الحسن بن محمّد بن جمهور، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن عبد الرحمن بن الحجّاج، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: لمّا ظهرت الحبشة باليمن وجّه يكسوم ملك الحبشة بقائدين من قوّاده، يقال لأحدهما: أبرهة، والآخر أرباط، في عشرة من الفيلة، كلّ فيل في عشرة آلاف لهدم بيت الله الحرام، فلمّا صاروا ببعض الطريق وقع بأسهم بينهم، واختلفوا فقتل أبرهة أرباط واستولى على الجيش، فلمّا قارب مكّة طرد أصحابه عيراً لعبد المطّلب بن هاشم، فصار عبد المطّلب إلى أبرهة، وكان ترجمان أبرهة والمستولي عليه ابن داية لعبد المطّلب، فقال الترجمان لأبرهة: هذا سيّد العرب وديّانها فأجلّه وأعظمه، ثمّ قال لكاتبة: سله ما حاجته؟ فسأله فقال: إنّ أصحاب الملك طردوا لي نعماً، فأمر بردّها، ثمّ أقبل على الترجمان فقال: قل له: عجباً لقوم سوّدوك ورأسوك عليهم حيث تسألني في عير لك وقد جئت لأهدم شرفك ومجدك، ولو سألتني الرجوع عنه لفعلت، فقال: أيّها الملك إنّ هذه العير لي وأنا ربّها، فسألتك إطلاقها، وإنّ لهذه البنية ربّاً يدفع عنها، قال: فإنّي عاد لهدمها حتّى أنظر ماذا يفعل، فلمّا انصرف عبد المطّلب رحل أبرهة بجيشه فإذا هاتف يهتف في السحر الأكبر: يا أهل مكّة أتاكم أهل عكّة بجحفل جرّار يملأ الأندار ملء الجفار، فعليهم لعنة الجبّار، فأنشأ عبد المطّلب يقول:

أيّها الداعي لقد أسمعتني ... كلّ ما قلت ومابي من صمم
إنّ للبيت لربّاً مانعاً ... من يرده بأثام يصطلم
رامه تبّع في أجناده ... حمير والحيّ من آل إرم
هلكت بالبغي فيهم جرهم ... بعد طسم وجديس وجشم
وكذلك الأمر فيمن كاده ... ليس أمر الله بالأمر الأمم
نحن آل الله فيما قد خلا ... لم يزل ذاك على عهد إبرهم
نعرف الله وفينا شيمة ... صلة الرحم ونوفي بالذمم
لم يزل لله فينا حجّة ... يدفع الله بها عنا النّقم
ولنا في كلّ دور كرّة ... نعرف الدين وطوراً في العجم
فإذا ما بلغ الدور إلى ... منتهى الوقت أتى الطين فدم
بكتاب فصّلت آياته ... فيه تبيان أحاديث الأمم

فلمّا أصبح عبد المطّلب جمع بنيه وأرسل الحارث ابنه الأكبر إلى أعلى أبي قبيس فقال: انظر يا بني ماذا يأتيك من قبل البحر فرجع فلم ير شيئاً، فأرسل واحداً بعد آخر من ولده فلم يأته أحد منهم عن البحر بخبر، فدعا عبد الله وإنّه لغلام حين أيفع، وعليه ذؤابة تضرب إلى عجزه، فقال: اذهب فداك أبي وأمّي، فاعل أبا قبيس فانظر ماذا ترى يجيء من البحر، فنزل مسرعاً فقال: يا سيّد النّادي رأيت سحاباً من قبل البحر مقبلاً، يستفل تارة، ويرتفع أخرى،

إن قلت غيماً قلته، وإن قلت جهاماً خلته، يرتفع تارة، وينحدر أخرى، فنادى عبد المطّلب يا معشر قريش ادخلوا منازلكم، فقد أتاكم الله بالنصر من عنده، فأقبلت الطير الأبابيل في منقار كلّ طائر حجر، وفي رجليه حجران، فكان الطائر الواحد يقتل ثلاثة من أصحاب أبرهة، كان يلقي الحجر في قمّة رأس الرجل فيخرج من دبره، وقد قصّ الله تبارك وتعالى نبأهم في كتابه فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ السورة، السجّيل: الصلب من الحجارة. والعصف: ورق الزرع. ومأكول يعني كأنّه قد أخذ ما فيه من الحبّ فأكل وبقي لا حبّ فيه؛ وقيل: إنّ الحجارة كانت إذا وقعت على رؤوسهم وخرجت من أدبارهم بقيت أجوافهم فارغة خالية حتّى يكون الجسم كقشر الحنظلة[1].

بيان: قال الجوهريّ: العكّة بالضمّ: آنية السّمن، ورملة حميت عليها الشمس، وفورة الحرّ. وعكّة اسم بلد في الثغور. والجحفل: الجيش. والأندر: البيدر. ولعلّ فيه تصحيفاً والجفار جمع جفر وهو من أولاد الشاة ما عظم، وجمع جفرة وهي جوف الصدر، وسعة في الأرض مستديرة. والأمم محرّكة: اليسير. والفدم: الأحمر المشبع حمرة، ولعلّه هنا كناية عن الدم، والجهام: السحاب لا ماء فيه.

٧٣ - **ع:** ابن المتوكّل، عن السعدآباديّ، عن البرقيّ، عن ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن أبي مريم، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝﴾ فقال: هؤلاء أهل مدينة كانت على ساحل البحر إلى المشرق فيما بين اليمامة والبحرين، يخيفون السبيل، ويأتون المنكر، فأرسل عليهم طيراً جاءتهم من قبل البحر رؤوسها كأمثال رؤوس السباع، وأبصارها كأبصار السباع، مع كلّ طير ثلاثة أحجار: حجران في مخاليبه، وحجر في منقاره، فجعلت ترميهم بها حتّى جدرت أجسادهم، فقتلهم الله عزّ وجلّ بها، وما كانوا قبل ذلك رأوا شيئاً من ذلك الطير ولا شيئاً من الجدريّ، ومن أفلت منهم انطلقوا حتّى بلغوا حضرموت وادي باليمن أرسل الله عزّ وجلّ عليهم سيلاً فغرقهم ولا رأوا في ذلك الوادي ماءً قبل ذلك، فلذلك سمّي حضرموت حين ماتوا فيه[2].

بيان: هذا حديث غريب مخالف لما مرّ، لم أره إلاّ من هذا الطريق، ويمكن أن تكون السورة إشارة إلى الواقعتين معاً، ويحتمل أن يكون الّذين أرادوا البيت هؤلاء القوم، وسيأتي الخبر من الكافي بهذا السند بوجه آخر لا يخالف شيئاً من الأخبار.

٧٤ - **ك:** ابن موسى، عن ابن زكريّا القطّان، عن محمّد بن إسماعيل، عن عبد الله بن محمّد، عن أبيه، عن الهيثم بن عمرو المغربيّ، عن إبراهيم بن عقيل الهذليّ، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال كان يوضع لعبد المطّلب فراش في ظلّ الكعبة لا يجلس عليه أحد إلاّ هو، إجلالاً له، وكان بنوه يجلسون حوله حتّى يخرج عبد المطّلب، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يخرج

---

(١) كنز الفوائد، ج ١ ص ١٨٤.
(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٣٧ باب ٢٩٧ ح٢.

وهو غلام صبيّ فيجيء حتّى يجلس على الفراش، فيعظم ذلك أعمامه ويأخذونه ليؤخّروه فيقول لهم عبد المطّلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني، فوالله إنّ له لشأناً عظيماً، إنّي أرى أنّه سيأتي عليكم يوم وهو سيّدكم، إنّي أرى غرّته غرّة تسود الناس، ثمّ يحمله فيجلسه معه، ويمسح ظهره ويقبّله، ويقول: ما رأيت قبلة أطيب منه، ولا أطهر قطّ، ولا جسداً ألين منه ولا أطيب، ثمّ يلتفت إلى أبي طالب - وذلك أنّ عبد الله وأبا طالب لأمّ واحدة - فيقول: يا أبا طالب إنّ لهذا الغلام لشأناً عظيماً فاحفظه واستمسك به، فإنّه فرد وحيد، وكن له كالأُم لا يصل إليه شيء يكرهه، ثمّ يحمله على عنقه فيطوف به أسبوعاً، وكان عبد المطّلب قد علم أنّه يكره اللاّت والعزّى فلا يدخله عليهما، فلمّا تمّت له ستّ سنين ماتت أُمّه آمنة بالأبواء بين المكّة والمدينة، وكانت قدمت به على أخواله من بني عديّ، فبقي رسول الله ﷺ يتيماً لا أب له ولا أمّ، فازداد عبد المطّلب له رقّةً وحفظاً، وكانت هذه حاله حتّى أدرك عبد المطّلب الوفاة فبعث إلى أبي طالب ومحمّد على صدره وهو في غمرات الموت وهو يبكي، ويلتفت إلى أبي طالب ويقول: يا أبا طالب انظر أن تكون حافظاً لهذا الوحيد الّذي لم يشمّ رائحة أبيه، ولم يذق شفقة أمّه، انظر يا أبا طالب أن يكون من جسدك بمنزلة كبدك، فإنّي قد تركت بَنيّ كلّهم وأوصيتك به لأنّك من أمّ أبيه، يا أبا طالب إن أدركت أيّامه تعلم أنّي كنت من أبصر النّاس به، وأنظر النّاس وأعلم، فإن استطعت أن تتبعه فافعل وانصره بلسانك ويدك ومالك، فإنّه والله سيسودكم ويملك ما لم يملك أحد من بني آبائي، يا أبا طالب ما أعلم أحداً من آبائك مات عنه أبوه على حال أبيه، ولا أمّه على حال أمه، فاحفظه لوحدته، هل قبلت وصيّتي؟ قال: نعم قد قبلت والله عليّ بذلك شاهد، فقال عبد المطّلب: فمدّ يدك إليّ، فمدّ يده فضرب بيده إلى يده، ثمّ قال عبد المطّلب: الآن خفّف عليّ الموت، ثمّ لم يزل يقبّله ويقول: أشهد أنّي لم أُقبّل أحداً من ولدي أطيب ريحاً منك، ولا أحسن وجهاً منك، ويتمنّى أن يكون قد بقي حتّى يدرك زمانه، فمات عبد المطّلب وهو ابن ثمان سنين، فضمّه أبو طالب إلى نفسه لا يفارقه ساعة من ليل ولا نهار، وكان ينام معه حتّى بلغ لا يأمن عليه أحداً[١].

٧٥ - **ك:** أحمد بن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن يعقوب الأصمّ، عن أحمد بن عبد الجبّار العطارديّ، عن يونس بن بكير، عن محمّد بن إسحاق بن بشّار الهذليّ، عن العبّاس ابن عبد الله بن سعيد، عن بعض أهله قال: كان يوضع لعبد المطّلب جدّ رسول الله ﷺ فراش في ظلّ الكعبة، وكان لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، وكان رسول الله ﷺ يأتي حتّى يجلس عليه، فيذهب أعمامه ليؤخّروه فيقول جدّه عبد المطّلب: دعوا ابني، فيمسح على ظهره ويقول: إنّ لابني هذا لشأناً، فتوفّي عبد المطّلب والنبيّ ﷺ ابن ثمان سنين بعد الفيل بثمان سنين[٢].

---

(١) كمال الدين، ص ١٦٩.

(٢) كمال الدين، ص ١٧١-١٧٢.

٧٦ - **ك**: أحمد بن محمّد الصائغ، عن محمّد بن أيّوب، عن صالح بن أسباط، عن إسماعيل بن محمّد، وعليّ بن عبد الله، عن الربيع بن محمّد السلميّ، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: والله ما عبد أبي ولا جدّي عبد المطّلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قطّ، قيل: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلّون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسّكين به[1].

٧٧ - **يج**: من معجزات النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ أبرهة بن يكسوم قاد الفيلة إلى بيت الله الحرام ليهدمه قبل مبعثه، فقال عبد المطّلب لأبرهة وقد حضره بعد أن عظم شأنه لسؤاله بعيره: إنّ لهذا البيت ربّاً يمنعه، ثمّ رجع إلى أهل مكّة فدعا عبد المطّلب على أبي قبيس وأهل مكّة قد صعدوا وتركوا مكّة، ثمّ قال لأبي طالب: اخرج وانظر ماذا ترى في السماء، فرجع قال: طيوراً لم تكن في ولايتنا، وقد أخبره سيف بن ذي يزن وغيره به، فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل ودفعهم عن مكّة وأهلها[2].

٧٨ - **قب**: لمّا قصد أبرهة بن الصباح لهدم الكعبة أتاه عبد المطّلب ليستردّ منه إبله، فقال: تُعلمني في مائة بعير، وتترك دينك ودين آبائك وقد جئت لهدمه؟ فقال عبد المطّلب: أنا ربّ الإبل، وإن للبيت ربّاً سيمنعه منك، فردّ إليه إبله، فانصرف إلى قريش فأخبرهم الخبر، وأخذ بحلقة الباب قائلاً:

يا ربّ لا أرجو لهم سواكا   يا ربّ فامنع منهم حماكا
إنّ عدوّ البيت من عاداكا   امنعهم أن يخربوا قراكا

وله أيضاً:

لا هَمّ إنّ المرء يمنع رحله فامنع رحالك   لا يغلبنّ صليبهم ومحالهم عدواً محالك

فانجلى نوره على الكعبة فقال لقومه: انصرفوا، فوالله ما انجلى من جبيني هذا النور إلاّ ظفرت، والآن قد انجلى عنه، وسجد الفيل له، فقال للفيل: يا محمود، فحرّك الفيل رأسه، فقال له: تدري لِم جاءوا بك؟ فقال الفيل برأسه: لا، فقال: جاءوا بك لتهدم بيت ربّك، أفتراك فاعل ذلك؟ فقال الفيل برأسه: لا[3].

بيان: المحال بالكسر: الكيد والقوّة.

٧٩ - **قب**: عكرمة قال: كان يوضع فراش لعبد المطّلب في ظلّ الكعبة، ولا يجلس عليه أحد إجلالاً له، وكان بنوه يجلسون حوله حتّى يخرج، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخّروه، فيقول لهم عبد المطّلب: دعوا ابني، فوالله إنّ له لشأناً عظيماً، إنّي

---

(١) كمال الدين، ص ١٧١-١٧٢. (٢) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١١٤ ح ١٨٩.
(٣) المناقب لابن شهرآشوب، ج ١ ص ٥١.

أرى أنّه سيأتي عليكم يوم وهو سيّدكم، ثمّ يحمله فيجلسه معه ويمسح ظهره ويقبّله ويوصيه إلى أبي طالب[1].

٨٠ - **فض،** قال الواقديّ: كان في زمان عبد المطّلب رجل يقال له: سيف بن ذي يزن، وكان من ملوك اليمن، وقد أنفذ ابنه إلى مكّة والياً من قبله، وتقدّم إليه باستعمال العدل والإنصاف ففعل ما أمره به أبوه، ثمّ إنّ عبد المطّلب دعا برؤساء قريش مثل عتبة بن ربيعة، ومثل الوليد بن المغيرة، وعقبة بن أبي معيط، وأميّة بن خلف، ورؤساء بني هاشم، فاجتمعوا في دار الندوة، فلمّا قعدوا وأخذوا مراتبهم فتكلّم عبد المطّلب وقال: اعلموا أنّي قد دبّرت تدبيراً، فقال المشايخ: وما دبّرت يا رئيس قريش وكبير بني هاشم؟ فقال: يا قوم إنّكم تحتاجون أن تخرجوا معي نحو سيف بن ذي يزن لتهنيته في ولايته وهلاك عدوّه ليكون أرفق بنا، وأميل إلينا، فقالوا له بأجمعهم: نعم ما رأيت، ونعم ما دبّرت، قال: فخرج عبد المطّلب ومعه سبعة وعشرون رجلاً على نوق جياد نحو اليمن، فلمّا وصلوا إلى سيف بن ذي يزن بعد أيّام سألوا عن الوصول إليه، قالوا لهم: إنّ الملك في القصر الورديّ، وكان من عاداته في أوان الورد أن يدخل قصر غمدان، ولا يخرج إلاّ بعد نيّف وأربعين يوماً، ولا يصل إليه ذو حاجة ولا زائر، وأنتم قصدتم الملك في أيّام الورد، فذهب عبد المطّلب إلى باب بستانه، وكان لقصر غمدان في وسط البستان أبواب، وكان لهذا البستان باب يفتح إلى البريّة، وقد وكلّ بذلك البستان بوّاباً واحداً، فقال عبد المطّلب لأصحابه: لعلّنا يتهيأ لنا الدخول بحيلة، ولا يتهيأ إلاّ هي، فقال القوم: صدقت، قال الواقديّ: ثمّ إنّ عبد المطّلب نزل وأخذ نحو الباب، فنظر إلى البوّاب وسلّم عليه، فقال له: يا بوّاب دعني أن أدخل هذا البستان، فقال البوّاب: وا عجباً منك! ما أقلّ فهمك، وأضعف رأيك؟ أمصروع أنت؟ فقال له عبد المطّلب: ما رأيت من جنوني؟ فقال له البوّاب: ما علمت أنّ سيف بن ذي يزن في القصر مع جواريه وخدمه قاعداً فإن بصر بك في بستانه أمر بقتلك، وإنّ سفك دمك عنده أهون من شربة ماء، فقال له عبد المطّلب: دعني أدخل ويكون من الملك إليّ ما يكون، فقال له البوّاب: يا مغلوب العقل إنّ الملك في القصر وعيناه للباب والبوّاب، إنّه قدر ما يرمق أن يأمر بقتلك، فقال عقيل بن أبي وقّاص: يا أبا الحارث أما علمت أنّ المصابيح لا تضيء إلاّ بالدهن؟ فقال عبد المطّلب: صدقت، قال الواقديّ: ثمّ إنّ عبد المطّلب دعا بكيس من أديم فيه ألف دينار، وقال: - بعد أن صبّ الكيس بين يدي البوّاب - يا هذا إن تركتني أدخل البستان جعلت هذا برّي إليك، فاقبل صلتي، وخلّ سبيلي، فلمّا نظر البوّاب إلى الدرهم خرّ مبهوتاً وقال له البوّاب: يا شيخ إن دخلت ونظر إليك وسألك عن كيفيّة دخولك ما أنت قائل؟ قال عبد المطّلب: أقول له: كان البوّاب نائماً وشرط عليه عبد المطّلب أن لا يكذّبه إن دعاه

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٦١.

الملك للمسألة فيقول: غفوت وليس لي بدخوله علم، قال: نعم فقال عبد المطّلب: إن كذّبتني في هذا صدقت الملك عن الصلة الّتي وصلتك بها، فقال له البوّاب: ادخل يا شيخ، فدخل عبد المطّلب البستان، وكان قصر غمدان في وسط الميدان والبستان كأنّه جنّة من الجنان، قد حفّ بالورد والياسمين وأنواع الرياحين والفواكه، وفيه أنهار جارية وسطه، وإذا سيف بن ذي يزن قد اتكأ على عمود المنظرة من قصره، فلمّا نظر إلى عبد المطّلب غضب وقال لغلمانه: من ذا الّذي دخل عليّ بغير إذني؟ ائتوني به سريعاً، فسعى إليه الغلمان والخدم فاختطفوه من البستان، فلمّا دخل عبد المطّلب عليه رأى قصراً مبنيّاً على حجر، مطليّ بطلاء الورديّ، منقّشاً بنقش اللاّزورديّ، وورد على أمثال الورد، ورأى عن يمين الملك وعن شماله وبين يديه من الجواري ما لا عدد لهنّ، ورأى بقرب الملك عموداً من عقيق أحمر، وله رأس من ياقوت أزرق، مجوف محشّى بالمسك، ورأى عن يساره توراً من ذهب أحمر، وعلى فخذه سيف نقمته مكتوب عليه بماء الذهب:

ربّ ليث مدجّج كان يحمي ألف قرن منغمد الأغماد
وخميس ملفّف بخميس بدّد الدهر جمعهم في البلاد

قال الواقديّ: فوقف عبد المطّلب بين يديه ولم يتكلّم له الملك ولا عبد المطّلب حتّى كرع الملك في التّور الّذي بين يديه، فلمّا فرغ من شربه نظر إليه وكان سيف قد شاهد عبد المطّلب قبل هذا، ولكنّه أنكره حتّى استنطقه، فقال له الملك: من الرجل؟ فقال أنا عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، حتّى بلغ آدم عليه السلام، فقال له الملك: أنت ابن أختي؟ فقال: نعم أيّها الملك أنا ابن أختك، وذلك أنّ سيف بن ذي يزن كان من آل قحطان، وآل قحطان من الأخ، وآل إسماعيل من الأخت، فعلم سيف بن ذي يزن أنّ عبد المطّلب ابن أخته، فقال سيف: أهلاً وسهلاً وناقةً ورحلاً، ومدّ الملك يده إلى عبد المطّلب، وكذلك عبد المطّلب إلى نحو الملك، فأمره الملك بالقعود وكنّاه بأبي الحارث، أنتم معاشر أهل الثار، رجال اللّيل والنهار، وغيوث الجدب والغلاء، ليوث الحرب بضرب الطلا، ثمّ قال: يا أبا الحارث فيم جئت؟ فقال له عبد المطّلب: نحن جيران بيت الله الحرام، وسدنة البيت، وقد جئت إليك وأصحابي بالباب لنهنّئك بولايتك وما فوّضه الله تعالى من النصر لك وأجراه على يديك من هلاك عدوّك، فالحمد لله الّذي نصرك، وأقرّ عينيك، وأفلج حجّتك، وأقرّ عيوننا بخذلان عدوّك، فأطال الله تعالى في سوابغ نعمه مدّتك، وهنّاك بما منحك، ووصلها بالكرامة الأبديّة، فلا خيّب دعائي فيك أيّها الملك، ففرح سيف بدعائه واستقرّ له بالمحبّة بما سمع من تهنيته، ثمّ أمره أن يصير هو ومن معه بالباب من أصحابه إلى دار الضيافة إلى أن يؤمر بإحضارهم بعد هذا اليوم إلى مجلسه، فمضى وحجّابه وخدمه بين يديه إلى حيث أمرهم، وخرج عبد المطّلب واستوى على جمله واتبعه أصحابه وبين يديه غلمان الملك وحوله حتّى أنزلوه وأصحابه الدار، وبالغوا بالتوصية به

وبأصحابه، فأمر الملك أن يجرى عليهم في كلّ يوم ألف درهم بيض، فبقي عبد المطّلب في دار الضيافة سرّيراً حتّى تصرّمت أيّام الورد، فلمّا كان في اليوم الّذي أراد فيه مجلسه للتّسليم عليه والنظر في أمره ذكر عبد المطّلب في شطر من ليلته فأمر بإحضاره وحده، فدخل عليه الرسول فأمره وأعلمه بمراد الملك منه، فقام معه إليه، فإذا الملك في مجلسه وحده، فقال لخدمه: تباعدوا عنّا، فلم يبق في المجلس غير الملك وعبد المطّلب، وثالثهم ربّ العزّة تبارك وتعالى، فقال له الملك: يا أبا الحارث، إنّ من آرائي أن أفوّض إليك علماً كنت كتمته عن غيرك، وأريد أن أضعه عندك، فإنّك موضع ذلك، وأريد أنّ تطويه وتكتمه إلى أن يظهره الله تعالى، فقال عبد المطّلب: السمع والطاعة للملك، وكذا الظنّ بك فقال الملك: اعلم يا أبا الحارث إن بأرضكم غلاماً حسن الوجه والبدن، جميل القدّ والقامة، بين كتفيه شامة، المبعوث من تهامة، أنبت الله تعالى على رأسه شجرة النبوّة، وظلّلته الغمامة، صاحب الشفاعة يوم القيامة، مكتوب بخاتم النبوّة على كتفيه سطران: لا إله إلاّ الله، والثاني محمّد رسول الله، والله تعالى أمات أمّه وأباه، وتكون تربيته على جدّه وعمّه، وإنّي وجدت في كتب بني إسرائيل صفته أبين وأشرح من القمر بين الكواكب، وإنّي أراك جدّه، فقال عبد المطّلب: أنا جدّه أيّها الملك، فقال الملك: مرحباً بك وسهلاً يا أبا الحارث، ثمّ قال له الملك: أشهدك على نفسي يا أبا الحارث أنّي مؤمن به وبما يأتي به من عند ربّه، ثمّ تأوّه سيف ثلاث مرّات بأن يراه فكان ينصره وينظره، يتعجّب منه الطير في الهواء، ثمّ قال: يا أبا الحارث عليك بكتمان ما ألقيت عليك، ولا تظهره إلى أن يظهره الله تعالى، فقال عبد المطّلب: السمع والطاعة للملك، ونظر عبد المطّلب في لحية سيف بن ذي يزن سواداً وبياضاً، وخرج من عنده وقد وعده في الحباء في غد ليرحلوا إلى أرض الحرم إن شاء الله تعالى، فلمّا رجع إلى أصحابه وجدهم وجلين شاحبين وقد أكثروا الفكر فيه حين دعاه الملك في مثل ساعته التي دعاه فيها، فقالوا له ما كان يريد الملك منك؟ قال عبد المطّلب: يسألني عن رسوم مكّة وآثارها، ولم يخبر عبد المطّلب أحداً بما كان بينه وبين الملك، وغدا عليهم رسول الملك من غد يحضرهم مجلسه فتطيّبوا وتزيّنوا ودخلوا القصر، وعبد المطّلب يقدمهم، فدخلوا عليه فنظر عبد المطّلب فإذا برأسه ولحيته حالكاً، فقال له عبد المطّلب: إنّي تركتك أبيض اللّحية فما هذا؟ فقال له الملك: إنّي أستعمل الخضاب، فقال أصحاب عبد المطّلب: إن رأى الملك أن يرانا أهلاً لذلك الخضاب فليفعل، قال فأمر الملك أن يؤخذ بهم إلى الحمّام، وكان القوم بيض الرؤوس واللّحى، فخضبوا هناك فخرجوا ولشعورهم بريق كأسود ما يكون من الشعر، ويقال: إنّ سيفاً أوّل من خضب رأسه ولحيته.

قال الواقديّ: ثمّ إنّ الملك أمر لكلّ واحد منهم ببدرة بيض، فحمل كلّ واحد منهم على دابّة وبغل، وأمر لكلّ واحد منهم بجارية وغلام وبتخت ثياب فاخرة، ولعبد المطّلب بضعفي ما وهب لهم، ثمّ دعا الملك بفرسه العقاب وبغلته الشهباء وناقته العضباء وقال: يا أبا

الحارث، إنّ الّذي أُسلّمه إليك أمانة في عنقك تحفظها إلى أن تسلّمها إلى محمّد ﷺ إذا بلغ مبلغ الرجال فقال له: اعلم أنّي ما طلبت على ظهر هذه الفرس شيئاً إلاّ وجدته، وما قصدني عدوّ وأنا راكب عليها إلاّ نجّاني الله تعالى منه، وأمّا البغلة فإنّي كنت أقطع بها الدكداك والجبال لحسن سيرها، ولا أنزل عنها ليلي ونهاري، فأمره أن يتحفّظ ويجعلها لي تذكرة، وبلّغه عنّي التحيّة الكثيرة، فقال عبد المطّلب: السمع والطاعة لأمر الملك، ثمّ ودعوه وخرجوا نحو الحرم حتّى دخلوا مكّة، فوقعت الصيحة في البلد بقدومهم، فخرج النّاس يستقبلونهم، وخرج أولاد عبد المطّلب وقعد النبيّ على صخرة وقد ألقى كمّه على وجهه لئلاّ تناله الشمس حتّى تقارب عبد المطّلب، فنظر أولاده إليه وقالوا: يا أبانا خرجت إلى اليمن شيخاً ورجعت شابّاً، قال: نعم أيّها الفتيان سأخبركم بما ذكرتم، ثمّ قال لهم: أين سيّدي محمّد؟ فقالوا: إنّه قعد في بعض الطريق ينتظركم، ثمّ إنّ عبد المطّلب سار نحوه حتّى وصل إليه مع أصحابه، فنزل عن مركوبه وعانقه وقبّل ما بين عينيه، وقال له: إنّ هذا الفرس والبغلة والناقة أهداها إليك سيف بن ذي يزن، ويقرأ عليك التحيّة الطيّبة، ثمّ أمر أن يحمل رسول الله ﷺ على الفرس، فلمّا استوى النبيّ ﷺ على ظهر الفرس انتشط وصهل صهيلاً شديداً فرحاً برسول الله ﷺ، ونسب هذا الفرس إنّه عقاب بن ينزوب بن قابل بن بطّال بن زاد الراكب بن الكفاح بن الجنح بن موج بن ميمون بن ريح، أمر الله تعالى قال: كن، فكان بأمره.

قال الواقديّ: وأخذ أبو طالب بلجام فرسه، وحفّ برسول الله ﷺ أعمامه، فقال ﷺ: خلّوا عنّي فإنّ ربّي يحفظني ويكلاني، فخلّوا عنه، فدخل النبيّ ﷺ إلى مكّة على حالته، فشاع خبره في قريش وبني هاشم، فتعجّب من أمره الخلق، وبقي النبيّ ﷺ فرحاً مسروراً عند عبد المطّلب.

قال الواقديّ: ودبّ النبيّ ﷺ ودرج وأتى عليه ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيّام فعندها اعتلّ عبد المطّلب علّة شديدة فأمر أن يحمل سريره إلى عند البيت الحرام، وينصب هناك عند أستار الكعبة، وكان لعبد المطّلب سرير من خيزران أسود ورثه من جدّه عبد مناف، وكان السرير له شبكات من عاج وآبنوس وصندل وعود أحسن ما يكون إحكاماً وهيئة، وأمر عبد المطّلب أن يزيّن السرير بألوان الفرش والديباج الرقاق، وأمر أن ينصب فوق سريره فسطاط من ديباج أحمر، ففعل ذلك، وحمل عبد المطّلب إلى بيت الله الحرام ونام على ذلك السرير المزيّن، وقعد حوله أولاده، وكان له من البنين عشرة أنفس، فمات منهم عبد الله، وبقي بعده تسعة أنفس شجعان يعدّ كلّ واحد منهم بألف، وقعدوا حوله وحفّوا بعبد المطّلب يبكون ودموعهم تتقاطر كالمطر، وقعد النبيّ ﷺ واجتمعت عند عبد المطّلب بطون العرب وكبار قريش مصطفّون، ما منهم أحد إلاّ وعيناه تهملان بالدموع، فعند ذلك ظهر أبو لهب لعنه الله وأخزاه وأخذ برأس رسول الله ﷺ لينحّيه عن عبد المطّلب فصاح عبد المطّلب

وانتهره، وقال له: مه يا عبد العزّى أنت من عداوتك لا تنفكّ من إظهارك ببغضك لولدي محمّد، اقعد مكانك وأمسك عنه، وقام أبو لهب وقعد عند رجل عبد المطّلب خجلاً مخذولاً، لأنّ أبا لهب كان من الفراعنة المبغضين لرسول الله ﷺ، ثمّ مال عبد المطّلب إلى جنبه وأقبل بوجهه على أبي طالب لأنّه لم يكن في أولاد عبد المطلب أرفق منه برسول الله ﷺ ولا أميل منه، ثمّ أنشأ يقول:

أوصيك يا عبد مناف بعدي ... بموحّد بعد أبيه فردي
فارقه وهو ضجيع المهدي ... فكنت كالأمّ له في الوجدي
قد كنت ألصقه الحشى والكبدي ... حتى إذا خفت فراق الوحدي
أوصيك أرجى أهلنا بالرفدي ... يابن الّذي غيبته في اللحدي
بالكره منّي ثمّ لا بالعمدي ... وخيرة الله يشاء في العبدي

ثمّ قال عبد المطّلب: يا أبا طالب إنّني ألقي إليك بعد وصيّتي، قال أبو طالب: ما هي؟ قال: يا بني أوصيك بعدي بقرّة عيني محمّد ﷺ وأنت تعلم محلّه منّي، ومقامه لديّ، فأكرمه بأجلّ الكرامة، ويكون عندك ليله ونهاره وما دمت في الدنيا، الله ثمّ الله في حبيبه، ثمّ قال لأولاده: أكرموا وجلّلوا محمّداً ﷺ، وكونوا عند إعزازه وإكرامه، فسترون منه أمراً عظيماً عليّاً، وسترون آخر أمره ما أنا أصفه لكم عند بلوغه، فقالوا بأجمعهم: السمع والطاعة يا أبانا نفديه بأنفسنا وأموالنا ونحن له فدية، قال أبو طالب: قد أوصيتنا بمن هو أفضل منّي ومن إخواني، قال: نعم، - ولم يكن في اعمام النبيّ ﷺ أرفق من أبي طالب قديماً وحديثاً في أمر محمّد ﷺ -، ثمّ قال: إنّ نفسي ومالي دونه فداء أنازع معاديه وأنصر مواليه، فلا يهمّنّك أمره.

قال الواقديّ: ثمّ إنّ عبد المطّلب غمض عينيه وفتحهما ونظر قريشاً وقال: يا قوم أليس حقّي عليكم واجباً؟ فقالوا بأجمعهم: نعم حقّك على الكبير والصغير واجب، فنعم القائد ونعم السائق فينا كنت، فجزاك الله تعالى عنّا خيراً، ويهوّن عليك سكرات الموت، وغفر لك ما سلف من ذنوبك، فقال عبد المطّلب: أوصيكم بولدي محمّد بن عبد الله ﷺ فأحلّوه محلّ الكرامة فيكم وبرّوه ولا تجفوه، ولا تستقبلوه بما يكره، فقالوا بأجمعهم: قد سمعنا منك وأطعناك فيه، ثمّ قال لهم عبد المطّلب: إنّ الرئيس عليكم من بعدي الوليد بن المغيرة أبو عبد الشمس بن أبي العاص بن نقيّة بن عبد شمس بن عبد مناف، فضجّت الخلق بأجمعهم وقالوا: قبلنا أمرك، فنعم ما رأيته رأياً، ونعم ما خلّفته فينا بعدك، وصارت قريش وبنو هاشم تحت ركاب الوليد بن المغيرة، فعند ذلك تغيّر وجه عبد المطّلب واخضرّت أظافير يديه ورجليه، ووقع على وجنتيه غبار الموت، يكثر التقلّب من جنب إلى جنب، ومرّة يقبض رجلاً ويبسط أخرى، والخلائق من قريش وبني هاشم حاضرون، وقد صارت مكّة في ضجّة واحدة، وأراد النبيّ ﷺ أن يقوم من عنده ففتح عبد المطّلب عينيه وقال: يا محمّد تريد أن

تقوم؟ قال: نعم، فقال عبد المطّلب: يا ولدي فإنّي وحقّ ربّ السماء لفي راحة ما دمت عندي، قال: فقعد النبيّ ﷺ فما كان إلاّ عن قليل حتّى قضى نحبه.

قال الواقديّ: ثمّ قاموا في تغسيله فغسّلوه وكفّنوه وحنّطوه، وجعلوه في أعواد المنايا وحملوه إلى ذيل الصفا، وما بقي في مكّة شيخ ولا شابّ ولا حرّ ولا عبد من الرجال والنساء إلاّ وقد ذهبوا إلى جنازته وعظّموها ودفنوه، فرجع الخلق من جنازته باكين عليه لفقده من مكّة، فقالت عاتكة بنت عبد المطّلب ترثي أباها وتقول:

ألا يا عين ويحك فاسعديني ... بدمع واكف هطل غزير

على رجل أجلّ الناس أصلاً ... وفرعاً في المعالي والظهور

طويل الباع أروع شيظميّاً ... أغر كغرّة القمر المنير

وقالت صفيّة ترثي أباها:

أعينيّ جودا بالدموع السواكب ... على خير شخص من لويّ بن غالب

أعينيّ جودا عبرة بعد عبرة ... على الأسد الضرغام محض الضرائب

وقالت برّة بنت عبد المطّلب تبكي أباها وترثيه:

أعينيّ جودا بالدموع الهواطل ... على النحر منّي مثل فيض الجداول

ولا تسأما أن تبكيا كلّ ليلة ... ويوم على مولى كريم الشمائل

أبا الحارث الفيّاض ذوالباع والندى ... رئيس قريش كلّها في القبائل

فأسقى مليك الناس موضع قبره ... بنوء الثريّا ديمة بعد وابل

وقالت أروى بنت عبد المطّلب ترثي أباها:

ألا يا عين ويحك فاسعديني ... بوبل واكف من بعد وبل

بدمع من دموعك ذو غروب ... فقد فارقت ذا كرم ونبل

طويل الباع أروى ذي المعالي ... أبوك الخير وارث كلّ فضل

وقالت آمنة بنت عبد المطّلب تبكي أباها وترثيه:

بكت عيني وحقّ لها البكاء ... على سمح السجيّة والحياء

على سمح الخليقة أبطحيّ ... كريم الخيم ينميه العلاء

أقبّ الكشح أروع ذي أصول ... له المجد المقدّم والثناء

وكان هو الفتى كرماً وجوداً ... وبأساً حين يشتبك القناء[1]

بيان: قال الجزريّ: فيه ذكر غمدان، هو بضمّ الغين وسكون الميم: البناء العظيم بناحية صنعاء اليمن، قيل: هو من بناء سليمان عليه السلام انتهى. والمدجّج: الّذي دخل في سلاحه.

---

(١) الفضائل لابن شاذان، ص ٣٨.

والأغماد جمع الغمد بالكسر وهو جفن السّيف، وغمده يغمده: جعله في الغمد. وكرع الماء: تناوله بفيه من غير أن يشرب بكفّه ولا بإناء كما تشرب البهائم. والشارة والشيار: الحسن والجمال والهيئة واللّباس والزينة. والطلا بالضم: الأعناق.

ويقال: رجل برّ سرّ أي يبرّ ويسرّ. والحالك: الأسود الشديد السواد. والدكداك من الرمل: ما التبد منه بالأرض ولم يرتفع. والشيظم: الطويل الجسم. والغروب: مجاري الدمع. والخيم بالكسر: السجيّة والطبيعة لا واحد له من لفظه.

٨١ - **د**: لمّا ماتت آمنة ضمّ عبد المطّلب رسول الله ﷺ إلى نفسه وكان يرق عليه ويحبّه ويقرّبه إليه ويدنيه، وخرج رسول الله ﷺ يوماً يلعب مع الغلمان حتّى بلغ الردم فرآه قوم من بني مدلج فدعوه فنظروا إلى قدميه وإلى أثره، ثمّ خرجوا في أثره فصادفوا عبد المطّلب قد اعتنقه، فقالوا له: ما هذا منك؟ قال: ابني، قالوا: احتفظ به فإنّا لم نر قدماً أشبه بالقدم الّتي في المقام منه، فقال عبد المطّلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هذا، فكان أبو طالب يحتفظ به[1].

٨٢ - روى كميل بن سعيد، عن أبيه قال: حججت في الجاهليّة فإذا أنا برجل يطوف بالبيت وهو يرتجز ويقول:

يا ربّ ردّ راكبي محمّدا ردّ إليّ واصطنع عندي يدا

قال: فقلت: من هذا؟ قيل: هو عبد المطّلب بن هاشم، ذهبت إبل له فأرسل ابن ابنه في طلبها، ولم يرسله في حاجة قطّ إلاّ جاء بها، وقد احتبس عليه، قال: فما برحت أن جاء النبيّ ﷺ وجاء بالإبل، فقال له: يا بني قد حزنت عليك حزناً لا يفارقني أبداً. وتوفّي عبد المطّلب والنبيّ ﷺ له ثمان سنين وشهران وعشرة أيّام، وكان خلف جنازته يبكي حتّى دفن بالحجون، فكفله أبو طالب عمّه وكان أخا عبد الله لأبيه وأمّه[2].

٨٣ - **كنز الكراجكيّ**: روي أنّه قيل لأكثم بن صيفيّ وكان حكيم العرب وكان من المعمّرين: إنّك لأعلم أهل زمانك وأحكمهم وأعقلهم وأحلمهم، فقال: وكيف لا أكون كذلك وقد جالست أبا طالب بن عبد المطّلب دهره، وعبد المطّلب دهره، وهاشماً دهره، وعبد مناف دهره، وقصيّاً دهره؟ وكلّ هؤلاء سادات أبناء سادات فتخلّقت بأخلاقهم وتعلّمت من حلمهم، واقتبست سؤددهم، واتّبعت آثارهم[3].

٨٤ - **كا**: محمّد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام يحشر عبد المطّلب يوم القيامة أمّة وحده عليه سيماء الأنبياء وهيبة الملوك[4].

---

(١) - (٢) العدد القوية، ص ١٢٧. (٣) كنز الفوائد، ج ١ ص ١٩٢.

(٤) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٦٦ باب مولد النبي ﷺ، ح ٢٣.

بيان: قوله عليه السلام: أمّة وحده، أي إذا حشر الناس فوجاً فوجاً هو يحشر وحده، لأنّه كان في زمانه متفرّداً بدين الحقّ من بين قومه. قال في النهاية: في حديث قسّ إنّه يبعث يوم القيامة أمّة واحدة، الأمّة الرجل المتفرّد بدين كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾.

٨٥ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن الأصمّ، عن الهيثم بن واقد، عن مقرن، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ عبد المطّلب أوّل من قال بالبداء يبعث يوم القيامة أمّة وحده، عليه بهاء الملوك، وسيماء الأنبياء[1].

٨٦ - **كا:** بعض أصحابنا، عن ابن جمهور، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن عبد الرحمن بن الحجّاج، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل بن عمر، جميعاً عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يبعث عبد المطّلب أمّة وحده عليه بهاء الملوك، وسيماء الأنبياء، وذلك أنّه أوّل من قال بالبداء، قال: وكان عبد المطّلب أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى رعاته في إبل قد ندّت له، فجمعها فأبطأ عليه فأخذ بحلقة باب الكعبة وجعل يقول: يا ربّ أتهلك آلك إن تفعل فأمرٌ ما بدا لك، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله بالإبل وقد وجّه عبد المطّلب في كلّ طريق، وفي كلّ شعب في طلبه، وجعل يصيح: يا ربّ أتهلك آلك إن تفعل فأمر ما بدا لك، ولمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله أخذه فقبّله، فقال: يا بني لا وجّهتك بعد هذا في شيء، فإنّي أخاف أن تغتال فتقتل[2].

توضيح: قوله عليه السلام: وذلك أنّه، تعليل لقوله: عليه سيماء الأنبياء. وندّ البعير: نفر وذهب على وجهه شارداً. قوله: أتهلك آلك، أي أتهلك من جعلته أهلك، ووعدت أنّه سيصير نبيّاً، ثمّ تفطّن بإمكان البداء فقال: إن تفعل فأمرٌ آخر بدا لك فيه، فظهر أنّه كان قائلاً بالبداء، ويمكن أن يقرأ بصيغة الأمر، أي فأمر ما بدا لك فيّ وأهلكني فإنّي لا أحبّ الحياة بعده، والأوّل أظهر. والاغتيال: هو أن يخدع ويقتل في موضع لا يراه أحد.

٨٧ - **كا:** العدّة، عن ابن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن حمران، عن ابن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لمّا أن وجّه صاحب الحبشة بالخيل ومعهم الفيل ليهدم البيت مرّوا بإبل لعبد المطّلب فساقوها، فبلغ ذلك عبد المطّلب فأتى صاحب الحبشة فدخل الآذن فقال: هذا عبد المطّلب بن هاشم، قال: وما يشاء؟ قال الترجمان: جاء في إبل له ساقوها يسألك ردّها، فقال ملك الحبشة لأصحابه: هذا رئيس قوم وزعيمهم، جئت إلى بيته الّذي يعبده لأهدمه وهو يسألني إطلاق إبله، أما لو سألني الإمساك عن هدمه لفعلت، ردّوا عليه إبله، فقال عبد المطّلب لترجمانه: ما قال الملك؟ فأخبره، فقال عبد المطّلب: أنا ربّ الإبل، ولهذا البيت ربّ يمنعه، فردّت عليه إبله، وانصرف عبد المطّلب نحو منزله فمرّ بالفيل في منصرفه فقال للفيل: يا محمود، فحرّك الفيل رأسه، فقال له: أتدري لم جاءوا بك؟ فقال

---

(١) - (٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٦٧ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله، ح ٢٤.

الفيل برأسه: لا، فقال عبد المطّلب: جاءوا بك لتهدم بيت ربّك، أفتراك فاعل ذلك؟ فقال برأسه: لا، فانصرف عبد المطّلب إلى منزله، فلمّا أصبحوا غدوا به لدخول الحرم فأبى وامتنع عليهم، فقال عبد المطّلب لبعض مواليه عند ذلك: اعل الجبل فانظر ترى شيئاً، فقال: أرى سواداً من قبل البحر، فقال له: يصيبه بصرك أجمع؟ فقال له: لا، ولأوشك أن يصيب، فلمّا أن قرب قال: هو طير كثير ولا أعرفه يحمل كلّ طير في منقاره حصاة مثل حصاة الخذف أو دون حصاة الخذف، فقال عبد المطّلب: وربّ عبد المطّلب ما يريد إلاّ القوم، حتّى لمّا صاروا فوق رؤوسهم أجمع ألقت الحصاة فوقعت كلّ حصاة على هامة رجل فخرجت من دبره فقتلته، فما انفلت منهم إلاّ رجل واحد يخبر الناس، فلمّا أن أخبرهم ألقت عليه حصاة فقتلته[1].

٨٨ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي نصر، عن رفاعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان عبد المطّلب يفرش له بفناء الكعبة لا يفرش لأحد غيره، وكان له ولد يقومون على رأسه فيمنعون من دنا منه، فجاء رسول الله ﷺ وهو طفل يدرج حتّى جلس على فخذيه، فأهوى بعضهم إليه لينحّيه عنه، فقال له عبد المطّلب دع ابني فإنّ الملك قد أتاه[2].

٨٩ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن أبي مريم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾﴾ قال: كان طير سافّ جاءهم من قبل البحر رؤوسها كأمثال رؤوس السباع، وأظفارها كأظفار السباع من الطير، مع كلّ طائر ثلاثة أحجار: في رجليه حجران، وفي منقاره حجر، فجعلت ترميهم بها حتّى جدرت أجسادهم فقتلهم بها، وما كان قبل ذلك رئي شيء من الجدريّ، ولا رأوا ذلك من الطير قبل ذلك اليوم ولا بعده، قال: ومن أفلت منهم يومئذ انطلق حتّى إذا بلغوا حضرموت وهو واد دون اليمن، أرسل الله عليهم سيلاً فغرقهم أجمعين، قال: وما رئي في ذلك الوادي ماء قبل ذلك اليوم بخمسة عشر سنة، قال: فلذلك سمّي حضرموت حين ماتوا فيه[3].

٩٠ - **ختص:** محمّد بن عليّ، عن محمّد بن الحسن، عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ، عن بعض أصحابنا، عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي الحسن مولى المنصور قال: أخرج إليّ بعض ولد سليمان بن عليّ كتاباً بخطّ عبد المطّلب وإذا شبيه بخطّ الصبيان: بسمك اللّهمّ، ذكر حقّ عبد المطّلب بن هاشم من أهل مكّة على فلان بن فلان الحميريّ من أهل زول صنعاء عليه ألف درهم فضّة طيّبة كيلاً بالجديد، ومتى دعاه بها أجابه، شهد الله والملكان[4].

---

(١) - (٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٦٧ باب مولد النبي ﷺ ح ٢٥ و٢٦.
(٣) روضة الكافي، ص ٧١٢ ح ٤٤.　　　(٤) الاختصاص، ص ١٢٣.

٩١ - **ما:** محمّد بن أحمد بن شاذان، عن إبراهيم بن محمّد المذاريّ، عن محمّد بن جعفر، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن ابن مسكان، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: سألته عن القائم في طريق الغريّ، فقال: نعم إنّه لمّا جازوا بسرير أمير المؤمنين عليّ عليه السلام انحنى أسفاً وحزناً على أمير المؤمنين، وكذلك سرير أبرهة لمّا دخل عليه عبد المطّلب انحنى ومال[1].

٩٢ - **د:** كان لهاشم خمسة بنين: عبد المطّلب وأسد، ونضلة، وصيفي، وأبو صيفي، وسمّي هاشماً لهشمه الثريد للنّاس في زمن المسغبة، وكنيته أبو نضلة، واسمه عمرو العلى قال ابن الزبعرى:

كانت قريش بيضة فتفلقت	فالمخّ خالصها لعبد مناف
الرايشون وليس يوجد رايش	والقائلون: هلمّ للأضياف
والخالطون فقيرهم بغنيّهم	حتّى يكون فقيرهم كالكافي
عمرو العلى هشم الثريد لقومه	ورجال مكّة مسنتون عجاف

ولد هاشم وعبد شمس توأمان في بطن، فقيل: إنّه أُخرج أحدهما وإصبعه ملتصقة بجبهة الآخر، فلمّا أُزيلت من موضعها أدميت، فقيل: يكون بينهما دم، وكان عبد مناف وصّى إلى هاشم ودفع إليه مفتاح البيت وسقاية الحاجّ وقوس إسماعيل، ومات هاشم بغزّة من آخر عمل الشام، ومات عبد المطّلب بالطائف، وأسد من ولد هاشم انقرض عقبه إلاّ من ابنته فاطمة أمّ أمير المؤمنين عليه السلام، وأبو صيفي انقرض عقبه إلاّ من ابنته رفيقة وهي أُمّ مخزومة بن نوفل، وصيفي لا عقب له، ونضلة لا عقب له، والبقيّة من سائر ولد هاشم من عبد المطّلب، وعبد مناف، اسمه المغيرة بن قصيّ، واسمه زيد، قصا عن دار قومه لأنّه حمل من مكّة في صغره إلى بلاد أزد شنوءة وسمّي قصيّاً، ويلقّب بالمجمّع، لأنّه جمع قبائل قريش بن كلاب بن مرّة ابن كعب بن لويّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر، وسمّي قريشاً، ابن خزيمة بن مدركة لأنّهم أدركوا الشرف في أيّامه، ابن إلياس، لأنّه جاء على أياس وانقطاع، ابن مضر لأخذه بالقلوب، ولم يكن يراه أحد إلاّ أحبّه، ابن نزار واسمه عمرو بن معد بن عدنان[2].

بيان: راش: جمع المال والأثاث، والصديق: أطعمه وسقاه وكساه وأصلح حاله.

٩٣ - **أقول:** قال صاحب المنتقى وغيره: وروي عن ابن عبّاس وغير واحد قالوا: كان رسول الله صلى الله عليه وآله مع أمّه آمنة بنت وهب، فلمّا بلغ ستّ سنين خرجت به إلى أخواله بني عديّ ابن النجّار بالمدينة تزورهم به، ومعه أمّ أيمن تحضنه، وهم على بعيرين، فنزلت به في دار النابغة فأقامت به عندهم شهراً، وكان قوم من اليهود يختلفون وينظرون، قالت أمّ أيمن:

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٦٨٢ مجلس ٣٨ ح ١٤٥١.

(٢) العدد القوية، ص ١٤٠.

فسمعت أحدهم يقول: هو نبيّ هذه الأمّة، وهذه دار هجرته، ثمّ رجعت به أمّه إلى مكّة، فلمّا كانوا بالأبواء توفّيت أمّه آمنة، فقبرها هناك، فرجعت به أمّ أيمن إلى مكّة، ثمّ لمّا مرّ رسول الله ﷺ في عمرة الحديبيّة بالأبواء قال: إنّ الله قد أذن لي في زيارة قبر أمّي، فأتاه رسول الله ﷺ فأصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكاء رسول الله ﷺ، فقيل له فقال: أدركتني رحمة رحمتها فبكيت.

وروي عن بريدة قال: لمّا فتح رسول الله ﷺ مكّة أتى قبراً فجلس إليه وجلس الناس حوله، فجعل يتكلّم كهيئة المخاطب، ثمّ قام وهو يبكي فاستقبله عمر فقال: يا رسول الله ما الّذي أبكاك؟ قال: هذا قبر أمّي سألت ربّي الزيارة فأذن لي[1].

ثمّ قال في المنتقى: وجه الجمع أنّه يجوز أنّها توفّيت بالأبواء ثمّ حملت إلى مكّة فدفنت بها، وأمّا عبد المطّلب عليه السلام فمات وللنّبيّ ﷺ ثمان سنين وهو ابن ثنتين وثمانين سنة، ويقال: ابن مائة وعشرين سنة، وسئل رسول الله ﷺ أتذكر موت عبد المطّلب؟ فقال: نعم أنا يومئذ ابن ثمان سنين، قالت أمّ أيمن: رأيت رسول الله ﷺ يبكي خلف سرير عبد المطّلب. وفي رواية: توفّي عبد المطّلب وللنّبيّ ثمانية وعشرون شهراً، والأولى أصحّ، وتوفّي عبد المطّلب في ملك هرمز بن أنوشيروان.

٩٤ -**د**: كان لعبد المطّلب عشرة أسماء: عمر، وشيبة الحمد، وسيّد البطحاء، وساقي الحجيج، وساقي الغيث، وغيث الورى في العام الجدب، وأبو السادة العشرة، وحافر زمزم، وعبد المطّلب، وله عشرة بنين: الحارث، والزبير، وحجل وهو الغيداق، وضرار وهو نوفل، والمقوّم، وأبو لهب وهو عبد العزّى، وعبد الله، وأبو طالب، وحمزة، والعبّاس، وكانوا من أمّهات شتى إلاّ عبد الله وأبو طالب والزبير، فإنّ أمّهم فاطمة بنت عمرو ابن عائذ، وأعقب من البنين خمسة: عبد الله أعقب محمّداً ﷺ سيّد البشر، وأبو طالب أعقب جعفراً وعقيلاً وعليّاً عليه السلام سيّد الوصيّين، والعبّاس أعقب عبد الله وقثم والفضل وعبيد الله، والحارث أعقب عتبة ومعتبة وعتيقاً، وكان لعبد المطلب ستّ بنات: عاتكة، وأميمة، والبيضاء وهي أمّ حكيم، وبرّة، وصفيّة وهي أمّ الزبير، وأروى، ويقال: وريدة، وأسلم من أعمام النبيّ ﷺ أبو طالب وحمزة والعبّاس، ومن عمّاته صفيّة وأروى وعاتكة، وآخر من مات من أعمامه العبّاس، ومن عمّاته صفيّة[2].

٩٥ -**كا**: عليّ بن إبراهيم وغيره رفعوه قال: كان في الكعبة غزالان من ذهب وخمسة أسياف، فلمّا غلبت خزاعة جرهم على الحرم ألقت جرهم الأسياف والغزالين في بئر زمزم،

---

(١) وروى ابوهريرة قال: زار النبيّ ﷺ قبر أمّه فبكى وأبكى من حوله. رواه مسلم في صحيحه وابن ماجه في سننه وأبو داود والنسائي في سننهما قالوا: وهؤلاء الذين رووا عنهم كلّهم ثقات [النمازي].

(٢) العدد القوية، ص ١٣٦.

وألقو فيها الحجارة وطمّوها وعموا أثرها، فلمّا غلبت قصيّ على خزاعة لم يعرفوا موضع زمزم وعمي عليهم موضعها، فلمّا غلب عبد المطّلب وكان يفرش له في فناء الكعبة ولم يكن يفرش لأحد هناك غيره، فبينما هو نائم في ظلّ الكعبة فرأى في منامه أتاه آتٍ فقال له: احفر برّة، قال: وما برّة؟ ثمّ أتاه في اليوم الثاني فقال: احفر طيبة، ثمّ أتاه في اليوم الثالث فقال: احفر المضنونة، قال: ثمّ أتاه في الرابع فقال: احفر زمزم لا تنزح ولا تذمّ لسقي الحجيج الأعظم، عند الغراب الأعصم، عند قرية النّمل، وكان عند زمزم حجر يخرج منه النمل فيقع عليه الغراب الأعصم في كلّ يوم يلتقط النمل، فلمّا رأى عبد المطّلب هذا عرف موضع زمزم، فقال لقريش: إنّي عبرت في أربع ليال في حفر زمزم فهي مأثرتنا وعزّنا فهلمّوا نحفرها، فلم يجيبوه إلى ذلك، فأقبل يحفرها هو بنفسه، وكان له ابن واحد وهو الحارث، وكان يعينه على الحفر، فلمّا صعب ذلك عليه تقدّم إلى باب الكعبة ثمّ رفع يديه ودعا الله عزّوجلّ، ونذر له إن رزقه عشر بنين أن ينحر أحبّهم إليه تقرّباً إلى الله عزّوجلّ، فلمّا حفر وبلغ الطويّ طويّ إسماعيل وعلم أنّه قد وقع على الماء كبّر وكبّرت قريش فقالوا: يا أبا الحارث هذه مأثرتنا ولنا فيها نصيب، قال لهم: لم تعينوني على حفرها هي لي ولولدي إلى آخر الأبد[1].

تبيين: عمي عليه الأمر: التبس، قال الجزريّ: في حديث زمزم أتاه آتٍ فقال: احفر برّة سمّاه برّة لكثرة منافعها وسعة مائها، وقال الفيروزآباديّ: طيبة بالكسر: اسم زمزم، وقال الجزريّ: فيه احفر المضنونة، أي الّتي يضنّ بها لنفاستها وعزّتها، وقال: فيه أُري عبد المطّلب في منامه احفر زمزم لا تنزف ولا تذم، أي لا يفنى ماؤها على كثرة الاستسقاء، ولا تذمّ، أي لا تعاب، أو لا تلفى مذموماً من أذممته: إذا وجدته مذموماً، وقيل: لا يوجد ماؤها قليلاً من قولهم: بئر ذمّة: إذا كانت قليلة الماء. وقال: الغراب الأعصم: الأبيض الجناحين، وقيل: الأبيض الرجلين انتهى.

والمأثرة بفتح الثاء وضمّها: المكرمة، والطويّ على فعيل: البئر المطويّة بالحجارة.

٩٦ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن ابن راشد قال: سمعت أبا إبراهيم عليه السلام يقول: لمّا احتفر عبد المطّلب زمزم وانتهى إلى قعرها خرجت عليه من أحد جوانب البئر رائحة منتنة أفظعته فأبى أن ينثني وخرج ابنه الحارث عنه، ثمّ حفر حتّى أمعن فوجد في قعرها عيناً تخرج عليه برائحة المسك، ثمّ احتفر فلم يحفر إلّا ذراعاً حتّى تجلاه النوم فأري رجلاً طويل الباع، حسن الشعر، جميل الوجه، جيّد الثوب، طيّب الرائحة يقول: احفر تغنم، وجد تسلم، ولا تذخرها للمقسم، الأسياف لغيرك، والتبر لك، أنت أعظم العرب قدراً، ومنك يخرج نبيّها ووليّها والأسباط، والنجباء الحكماء العلماء البصراء، والسيوف لهم، وليسوا اليوم منك ولا لك، ولكن في القرن الثاني

(١) الكافي، ج ٤ ص ٤٠٩ باب ١٣٦ ح ٦.

منك، بهم ينير الله الأرض، ويخرج الشياطين من أقطارها، ويذلها في عزّها، ويهلكها بعد قوّتها، ويذلّ الأوثان ويقتل عبّادها حيث كانوا، ثمَّ يبقى بعده نسل من نسلك هو أخوه ووزيره ودونه في السنّ، وقد كان القادر على الأوثان، لا يعصيه حرفاً، ولا يكتمه شيئاً، ويشاوره في كلّ أمر هجم عليه، واستعيا عنها عبد المطّلب فوجد ثلاثة عشر سيفاً مسندة إلى جنبه فأخذها، وأراد أن يبثّ فقال: وكيف ولم أبلغ الماء، ثمَّ حفر فلم يحفر شبراً حتّى بدا له قرن الغزال ورأسه فاستخرجه وفيه طبع: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله، فلان خليفة الله، فسألته فقلت: فلان متى كان؟ قبله أو بعده؟ قال: لم يجيء بعد، ولا جاء شيء من أشراطه، فخرج عبد المطّلب وقد استخرج الماء وأدرك وهو يصعد، فإذا أسود له ذنب طويل يسبقه بداراً إلى فوق، فضربه فقطع أكثر ذنبه، ثمَّ طلبه ففاته، وفلان قاتله إن شاء الله، ومن رأي عبد المطّلب أن يبطل الرؤيا الّتي رآها في البئر، ويضرب السيوف صفائح للبيت، فأتاه الله بالنوم فغشيه وهو في حجر الكعبة فرأى ذلك الرجل بعينه وهو يقول: يا شيبة الحمد احمد ربّك، فإنّه سيجعلك لسان الأرض، ويتبعك قريش خوفاً ورهبةً وطمعاً، ضع السيوف في مواضعها، فاستيقظ عبد المطّلب فأجابه: إنّه يأتيني في النوم فإن يكن من ربّي فهو أحبّ إليّ، وإن يكن من شيطان فأظنّه مقطوع الذنب، فلم ير شيئاً ولم يسمع كلاماً، فلمّا أن كان اللّيل أتاه في منامه بعدّة من رجال وصبيان فقالوا له: نحن أتباع ولدك، ونحن من سكّان السماء السادسة، السيوف ليست لك، تزوّج في مخزوم تقوي، واضرب بعد في بطون العرب فإن لم يكن معك مال فلك حسب، فادع هذه الثلاثة عشرة سيفاً إلى ولد المخزوميّة ولا بيان لك أكثر من هذا، وسيف لك منها واحد يقع من يدك فلا تجد له أثراً إلاّ أن يستجنّه جبل كذا وكذا فيكون من أشراط قائم آل محمّد صلّى الله عليه وعليهم، فانتبه عبد المطّلب وانطلق والسيوف على رقبته فأتى ناحية من نواحي مكّة ففقد منها سيفاً كان أرقّها عنده، فيظهر من ثمَّ، ثمَّ دخل معتمراً وطاف بها على رقبته والغزالين إحدى عشر طوافاً وقريش تنظر إليه وهو يقول: اللّهمّ صدق وعدك، فأثبت لي قولي، وانشر ذكري، وشدّ عضدي، وكان هذا ترداد كلامه، وما طاف حول البيت بعد رؤياه في البيت ببيت شعر حتّى مات، ولكن قد ارتجز على بنيه يوم أراد نحر عبد الله، فدفع الأسياف جميعها إلى بني المخزوميّة: إلى الزبير، وإلى أبي طالب، وإلى عبد الله، فصار لأبي طالب من ذلك أربعة أسياف: سيف لأبي طالب، وسيف لعليّ، وسيف لجعفر، وسيف لطالب، وكان للزّبير سيفان، وكان لعبد الله سيفان، ثمَّ عادت فصار لعليّ الأربعة الباقية: اثنين من فاطمة، واثنين من أولادها، فطاح سيف جعفر يوم أُصيب فلم يدر في يد من وقع حتّى الساعة، ونحن نقول: لا يقع سيف من أسيافنا في يد غيرنا إلاّ رجل يعين به معنا إلاّ صار فحماً، قال: وإنّ منها لواحداً في ناحية يخرج كما تخرج الحيّة فيبين منه ذراع وما يشبهه فتبرق له الأرض مراراً، ثمّ يغيب، فإذا كان اللّيل فعل مثل ذلك فهذا دأبه حتّى يجيء صاحبه ولو شئت أن أُسمّي مكانه لسمّيته، ولكن أخاف عليكم من أن أُسمّيه

فتسمّوه فينسب إلى غير ما هو عليه[١].

بيان: حتّى تجلاه النوم، أي غشيه وغلب عليه، وجد من الجود أو من الجدّ والأوّل أنسب بترك الذخيرة، والضمير في قوله: ولا تذخرها راجع إلى الغنيمة المدلول عليها بقوله: تغنم، والمقسم مصدر ميميّ بمعنى القسمة، أي لا تجعلها ذخيرة لأن تقسم بعدك، والتبر بالكسر: الذهب والفضّة، وفي بعض النسخ: البئر.

قوله عليه‌السلام: واستعيا عنها عبد المطّلب: لعلّه من قولهم: عيي: إذا لم يهتد لوجهه، وأعيى الرَّجل في المشي وأعيى عليه الأمر، والمعنى أنّه تحير في الأمر ولم يدر معنى ما رأى في منامه، أو ضعف وعجز عن البئر وحفرها، وفي بعض النسخ بالغين المعجمة والباء الموحّدة من قولهم: غبي عليه الشيء: إذا لم يعرفه، وهو قريب من الأوّل.

قوله عليه‌السلام: وأراد أن يبثّ أي ينشر ويذكر خبر الرؤيا، فكتمه، أو يفرّق السيوف على الناس فأخّره، وفي بعض النسخ: يثب بتقديم المثلّثة من الوثوب، أي يثب عليها فيتصرّف فيها، أو يثب على الناس بهذه السيوف.

قوله: فلان خليفة الله، أي القائم عليه‌السلام، والأسود لعلّه كان الشيطان، والقائم عليه‌السلام يقتله كما سيأتي في كتاب الغيبة، ولذا قال عبد المطّلب: فأظنّه مقطوع الذنب.

قوله عليه‌السلام: ويضرب السيوف صفائح للبيت، أي يلصقها بباب البيت، لتكون صفائح لها، أو يبيعها ويصنع من ثمنها صفائح البيت، وفي بعض النسخ: مفاتيح للبيت، فيحتمل أن يكون المراد أن يجاهد المشركين فيستولي عليهم، ويخلّص البيت من أيديهم.

قوله عليه‌السلام: فأجابه، أي أجاب عبد المطّلب الرجل الّذي كلّمه في المنام. قوله: تزوّج في مخزوم، تزوّج عبد المطّلب فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمر بن مخزوم أمّ عبد الله والزبير وأبي طالب. قوله: واضرب بعد في بطون العرب: أي تزوّج في أيّ بطن منهم شئت، والحاصل أنّك لا بدّ لك أن تتزوّج في بني مخزوم ليحصل والد النبيّ والأوصياء صلوات الله عليهم ويرثوا السيوف، وأمّا سائر القبائل فالأمر إليك، ويحتمل أن يكون المراد جاهد بطون العرب وقاتلهم، والأوّل أظهر.

قوله: إلا أن يستجنّه، وفي بعض النسخ يسجنه، أي يخفيه ويستره. قوله: فيظهر من ثمَّ، أي يظهر في زمن القائم عليه‌السلام من هذا الموضع الّذي فقد فيه، أو من الجبل الّذي تقدّم ذكره، ولعلّه كان كلّ سيف لمعصوم، وكان بعددهم، وسيف القائم عليه‌السلام أخفاه الله في هذا المكان ليظهر له عند خروجه.

قوله: فصار لعليّ، يحتمل أن يكون المراد بالأربعة الباقية تتمّة الثمانية المذكورة إلى اثني

(١) الكافي، ج ٤ ص ٤٠٩ باب ١٣٦ ح ٧.

عشر، ويكون المراد بفاطمة أمّه عليه السلام، أي صارت الأربعة الباقية أيضاً إلى عليّ عليه السلام من قبل أمّه وإخوته، حيث وصل إليهم من جهة أبي طالب زائداً على ما تقدّم، أو يكون المراد بفاطمة بنت النبيّ ﷺ، بأن يكون النبيّ ﷺ أعطاها سيفين غير الثمانية، وأعطى الحسنين عليهما السلام سيفين، ويحتمل أن يراد بالأربعة سيوف الزبير وعبد الله، فيكون الأربعة الأخرى مسكوتاً عنها.

قوله عليه السلام: إلاّ صار فحماً، أي يسودّ ويبطل ولا يأتي منه شيء حتّى يرجع إلينا.

قوله عليه السلام: وإنّ منها لواحداً، لعلّه هو الّذي فقد من عبد المطّلب يظهر هكذا عند ظهور القائم عليه السلام ليأخذه.

قوله عليه السلام: فينسب إلى غير ما هو عليه، أي يتغيّر مكانه، أو يأخذه غير القائم عليه السلام.

أقول: قال عبد الحميد بن أبي الحديد: قال محمّد بن إسحاق: لمّا أنبط عبد المطّلب الماء في زمزم حسدته قريش فقالت له: يا عبد المطّلب إنّها بئر أبينا إسماعيل، وإنّ لنا فيها حقّاً فأشركنا معك، قال: ما أنا بفاعل، إنّ هذا الأمر أمر خصصت به دونكم، وأعطيته من بينكم، فقالوا له: فإنّا غير تاركيك حتّى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم حكماً أحاكمكم إليه، قالوا: كاهنة بني سعد بن هزيم، قال: نعم، وكانت بأشراف الشام، فركب عبد المطّلب في نفر من بني عبد مناف، وخرج من كلّ قبيلة من قبائل قريش قوم، والأرض إذ ذاك مفاوز حتّى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام نفد ما كان مع عبد المطّلب وبني أبيه من الماء وعطشوا عطشاً شديداً فاستسقوا قومهم فأبوا أن يسقوهم وقالوا: نحن بمفازة ونخشى على أنفسنا مثل الّذي أصابكم، فلمّا رأى عبد المطّلب ما صنع القوم وخاف على نفسه وأصحابه الهلاك قال لأصحابه ما ترون؟ قالوا: ما رأينا إلاّ تبع لرأيك، فمرنا بما أحببت، قال: فإنّي أرى أن يحفر كلّ رجل منّا حفرة لنفسه بمامعه من القوّة، فكلّما مات رجل دفنه أصحابه في حفرته حتّى يكون آخركم رجل واحد، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب، قالوا: نعم ما أشرت، فقام كلّ رجل منهم فحفر حفيرة لنفسه، وقعدوا ينتظرون الموت، ثمّ إنّ عبد المطّلب قال لأصحابه: والله إنّ إلقاءنا بأيدينا كذا للموت لا نضرب في الأرض فنطلب الماء لعجز، فقوموا فعسى الله أنّ يرزقنا ماءً ببعض الأرض ارتحلوا، فارتحلوا ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم صانعون، فتقدّم عبد المطّلب إلى راحلته فركبها، فلمّا انبعثت به انفجر من تحت خفّها عين من ماء عذب فكبّر عبد المطّلب وكبّر أصحابه، ثمّ نزل فشرب وشرب أصحابه، واستقوا حتّى ملأوا أسقيتهم، ثمّ دعا القبائل من قريش فقال لهم: هلمّوا إلى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا، فجاءوا فشربوا واستقوا، ثمّ قالوا له قد والله قضي لك علينا، والله لا نخاصمك في زمزم أبداً، إنّ الّذي سقاك هذا الماء بهذه المفازة هو سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشداً، فرجع ورجعوا معه

لم يصلوا إلى الكاهنة وخلّوا بينه وبين زمزم[١].

٩٧ - **كا:** عليّ، عن أبيه، ومحمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد جميعاً، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن أبان، عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: لم يزل بنو إسماعيل ولاة البيت يقيمون للنّاس حجّهم وأمر دينهم يتوارثونه كابر عن كابر حتّى كان زمن عدنان بن أدد فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم، وأفسدوا وأحدثوا في دينهم، وأخرج بعضهم بعضاً، فمنهم من خرج في طلب المعيشة، ومنهم من خرج كراهية القتال وفي أيديهم أشياء كثيرة من الحنيفيّة من تحريم الأمّهات والبنات، وما حرّم الله في النكاح إلاّ أنّهم كانوا يستحلّون امرأة الأب وابنة الأخت، والجمع بين الأختين، وكان في أيديهم الحجّ والتلبية والغسل من الجنابة إلاّ ما أحدثوا في تلبيتهم وفي حجّهم من الشرك، وكان فيما بين إسماعيل وعدنان بن أدد موسى عليه السلام [٢]، وروى أنّ معد بن عدنان خاف أن يدرس الحرم فوضع أنصابه، وكان أوّل من وضعها، ثمّ غلبت جرهم بمكة على ولاية البيت فكان يلي منهم كابر عن كابر حتّى بغت جرهم بمكّة، واستحلّوا حرمتها، وأكلوا مال الكعبة وظلموا من دخل مكّة وعتوا وبغوا، وكانت مكّة في الجاهليّة لا يظلم ولا يبغي فيها ولا يستحلّ حرمتها ملكٌ إلاّ هلك مكانه، وكانت تسمّى بكّة لأنّها تبكّ أعناق الباغين إذا بغوا فيها، وتسمّى بسّاسة كانوا إذا ظلموا فيها بستّهم وأهلكتهم، وسمّي أمّ رحم كانوا إذا لزموها رحموا، فلمّا بغت جرهم واستحلّوا فيها بعث الله عزّ وجلّ عليهم الرعاف والنّمل، وأفناهم، فغبلت خزاعة، واجتمعت ليجلوا من بقي من جرهم عن الحرم ورئيس خزاعة عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو، ورئيس جرهم عمرو بن الحارث بن مصاص الجرهميّ، فهزمت خزاعة جرهم، وخرج من بقي من جرهم إلى أرض من أرض جهينة، فجاءهم سيل أتيّ لهم فذهب بهم، ووليت خزاعة البيت فلم يزل في أيديهم حتّى جاء قصيّ بن كلاب، وأخرج خزاعة من الحرم، وولّي البيت وغلب عليه[٣].

بيان: أدد كعمر بضمّتين، والدرس: الانمحاء، وجرهم كقنفذ: حيّ من اليمن. والرحم بالضمّ الرحمة، والرعاف في بعض النسخ بالراء المهملة وهو بالضمّ: خروج الدمّ من الأنف، وفي بعضها بالمعجمة يقال: موت زعاف، أي سريع، فالمراد به الطاعون.

وقال الفيروزآباديّ: النّملة قروح في الجنب كالنمل، وبثر يخرج في الجسد بالتهاب واحتراق، ويرم مكانها يسيراً ويدبّ إلى موضع آخر كالنملة. قوله عليه السلام: سيل أتيّ هو بالتشديد على وزن فعيل: سيل جاءك ولم يصبك مطره، والسيل الأتيّ أيضاً: الغريب.

٩٨ - **كا:** أبو عليّ الأشعريّ، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن محمّد بن إسماعيل، عن

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٥ ص ١٥٦. (٢) الكافي، ج ٤ ص ٤٠٤ باب ١٣٤ ح ١٧.
(٣) الكافي، ج ٤ ص ٤٠٥ باب ١٣٤ ح ١٨.

عليّ بن النعمان، عن سعيد الأعرج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ العرب لم يزالوا على شيء من الحنيفيّة يصلون الرحم ويقرون الضيف، ويحجّون البيت، ويقولون: اتقّوا مال اليتيم فإنّ مال اليتيم عقال، ويكفّون عن أشياء من المحارم مخافة العقوبة، وكانوا لا يُملى لهم إذا انتهكوا المحارم. وكانوا يأخذون من لحاء شجر الحرم فيعلّقونه في أعناق الإبل فلا يجترىء أحد أن يأخذ من تلك الإبل حيث ما ذهبت، ولا يجترىء أحد أن يعلّق من غير لحاء شجر الحرم، أيّهم فعل ذلك عوقب، وأمّا اليوم فأملي لهم. ولقد جاء أهل الشام فنصبوا المنجنيق على أبي قبيس فبعث الله عليهم سحابة كجناح الطير فأمطرت عليهم صاعقة فأحرقت سبعين رجلاً حول المنجنيق[١].

بيان: الإقراء: الضيافة. والإملاء: المهملة. وانتهاك الحرمة: تناولها بما لا يحلّ. واللّحاء بالكسر ممدوداً ومقصوراً: ما على العود من القشر، والظاهر أنّ نصب المنجنيق كان لتخريب البيت.

٩٩ - **كا:** الحسين بن محمّد عن المعلّى، عن الوشّاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي خديجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: إنّي ولدت بنتاً وربّيتها حتّى إذا بلغت فألبستها وحلّيتها، ثمّ جئت بها إلى قليب فدفعتها في جوفه، وكان آخر ما سمعت منها وهي تقول: يا أبتاه، فما كفّارة ذلك؟ قال: ألك أمّ حيّة؟ قال: لا، قال: فلك خالة حيّة؟ قال: نعم، قال: فأبررها فإنّها بمنزلة الأمّ تكفّر عنك ما صنعت، قال أبو خديجة: فقلت لأبي عبد الله عليه السلام متى كان هذا؟ قال: كان في الجاهليّة، وكانوا يقتلون البنات مخافة أن يسبين فيلدن في قوم آخرين[٢].

١٠٠ - **كنز الكراجكي:** عن الحسين بن عبيد الله، عن هارون بن موسى، عن محمّد ابن همّام، عن الحسين بن جمهور، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن مالك بن عطيّة قال: لمّا حفر عبد المطّلب بن هاشم زمزم، وأنبط منها الماء أخرج منها غزالين من ذهب وسيوفاً وأدراعاً، فجعل الغزالين زينة للكعبة، وأخذ السيوف والدروع، وقال: هذه وديعة كان أودعها مضاض الجرهميّ بن الحارث بن عمرو بن مضاض، والحارث الّذي يقول:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكّة سامر
بلى نحن كنّا أهلها فأبادنا ... صروف اللّيالي والجدود العواثر
ويمنعنا من كلّ فجّ نريده ... أقبّ كسرحان الإباءة ضامر
وكلّ لجوج في الجراء طمرّة ... كعجزاء فتخاء الجناحين كاسر

---

(١) الكافي، ج ٤ ص ٤٠٥ باب ١٣٤ ح ١٩.

(٢) أصول الكافي، ج ٢ ص ٤١٩ باب البر بالوالدين ح ١٨.

والقصيدة طويلة، فحسدته قريش بذلك فقالوا: نحن شركاؤك فيها، فقال: هذه فضيلة بنت[1] بها دونكم أريتها في منامي ثلاث ليال تباعاً. قالوا: فحاكمنا إلى من شئت من حكّام العرب، فخرجوا إلى الشام يريدون أحد كهّانها وعلمائها، فأصابهم عطش شديد فأوصى بعضهم إلى بعض، فبينا هم على تلك الحال إذ بركت ناقة عبد المطّلب فنبع الماء من بين أخفافها، فشربوا وتزوّدوا، وقالوا: يا عبد المطّلب إنّ الّذي سقاك في هذه البادية القفر هو الّذي سقاك بمكّة، فرجعوا وسلّموا له هذه المأثرة[2].

بيان: القبب: الضمر، وخمص البطن. والإباءة: أجمة القصب. والجراء بالكسر جمع الجرو وهو بالضم والكسر: ولد الكلب والسباع. وفرس طمرّ بالكسر وتشديد الراء وهو المستفزّ للوثب والعدو. وعقاب عجزاء: قصيرة الذنب، ويقال: كسر الطائر: إذا ضمّ جناحيه حين ينقضّ. والكاسر: العقاب، ذكرها الجوهريّ.

٢ - باب البشائر بمولده ونبوّته من الأنبياء والاوصياء صلوات الله عليه وعليهم وغيرهم من الكهنة وسائر الخلق، وذكر بعض المؤمنين في الفترة

الآيات: البقرة «٢»: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ «٨٩».

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ «١٠١». وقال سبحانه: ﴿.. وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ «١٢٩». وقال تعالى﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ «١٤٧».

آل عمران «٣»: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢)﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨)﴾.

الأعراف «٧»: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ

---

(١) أقول: «بنت» صيغة المتكلم مشتق من بان يبون بوناً يعني غلبه في الفضل والمزيّة؛ ويحتمل أن يكون من بان يبين بمعنى الفصل والفرق، أو بمعنى الايضاح والبيان والأوّل أظهر [النمازي].

(٢) كنز الفوائد، ج ١ ص ٢٣٣.

وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ «١٥٧».

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ «١٦٧».

الأنبياء «٢١»: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ «١٠٥».

الشعراء «٢٦»: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾.

القصص «٢٨»: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾. [إلى قوله تعالى]: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ «٤٤-٤٦».

الصف «٦١»: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾: قال ابن عبّاس: كانت اليهود ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ أي يستنصرون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وآله قبل مبعثه، فلمّا بعثه الله من العرب ولم يكن من بني إسرائيل كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولونه فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور: يا معشر اليهود اتّقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمّد ونحن أهل الشرك وتصفونه وتذكرون أنّه مبعوث، فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالّذي كنا نذكر لكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وفي قوله: ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾: مصدّق لكتبهم من التوراة والإنجيل، لأنّه جاء على الصفة الّتي تقدّم بها البشارة(١).

وفي قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾: روي عن أمير المؤمنين عليه السلام وابن عبّاس وقتادة أنّ الله تعالى أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبيّنا أنّ يخبروا أممهم بمبعثه ونعته، ويبشّروهم، به، ويأمروهم بتصديقه، وقال طاووس: أخذ الله الميثاق على الأنبياء على الأوّل والآخر، فأخذ ميثاق الأوّل بما جاء به الآخر.

وقال الصادق عليه السلام: تقديره وإذ أخذ الله ميثاق أمم النبيّين بتصديق نبيّها، والعمل بما جاءهم به، وإنّهم خالفوه بعدما جاء وما وفوا به، وتركوا كثيراً من شرائعه، وحرّفوا كثيراً منها. والإصر: العهد(٢).

---

(١) مجمع البيان، ج ١ ص ٢٩٩.
(٢) مجمع البيان، ج ٢ ص ٣٣٤.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قيل: أراد به اليهود، وقيل: اليهود والنصارى، وقيل: كلّ من أوتي علماً بشيء من الكتب ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ أي محمّداً ﷺ، لأنّ في كتابهم أنّه رسول الله، وقيل: أي الكتاب فيدخل فيه بيان أمر النبيّ ﷺ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ قيل: هم اليهود الّذين فرحوا بكتمان أمر النبيّ ﷺ، وأحبّوا أن يحمدوا بأنّهم أئمّة وليسوا كذلك، وقال البلخيّ: إنّ اليهود قالوا: نحن أبناءُ الله وأحبّاؤه، وأهل الصلاة والصوم، وليسوا كذلك، ولكنّهم أهل الشرك والنفاق وهو المرويّ عن الباقر عليه السلام، والأقوى أن يكون المعنيّ بالآية من أخبر الله عنهم أنّه أخذ ميثاقهم في أن يبيّنوا أمر محمّد ﷺ ولا يكتموه[1].

وفي قوله: ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ معناه يجدون نعته وصفته ونبوّته مكتوباً في التوراة في السفر الخامس: إنّي سأُقيم لهم نبيّاً من إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فيه، فيقول لهم كلّ ما أُوصيه به.

وفيها أيضاً مكتوب: وأمّا ابن الأمة[2] فقد باركت عليه جدّاً جدّاً، وسيلد اثني عشر عظيماً، وأؤخره لأُمّة عظيمة.

وفيها أيضاً: أتانا الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران.

وفي الإنجيل بشارة بالفارقليط في مواضع منها: تعطيكم فارقليط آخر يكون معكم آخر الدهر كلّه. وفيه أيضاً قول المسيح للحواريّين: أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحقّ الّذي لا يتكلّم من قبل نفسه، إنّه نذيركم بجميع الحقّ، ويخبركم بالأمور المزمعة، ويمدحني ويشهد لي. وفيه أيضاً: إنّه إذا جاء قيّد أهل العالم.

قوله تعالى: ﴿إِصْرَهُمْ﴾ أي ثقلهم وهو التكاليف الشاقّة ﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ أي العهود الّتي كانت في ذمّتهم، وقيل: يريد بالأغلال ما امتحنوا به من قتل نفوسهم في التوبة وقرض ما يصيبه البول من أجسادهم، وما أشبه ذلك ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ أي عظّموه ووقّروه ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ أي القرآن[3].

أقول: سيأتي في الروايات أنّه أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ أي آذن وأعلم ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي على اليهود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي من يذيقهم ويولّيهم شدّة العذاب بالقتل وأخذ الجزية منهم، والمعني به أُمّة محمّد ﷺ عند جميع المفسّرين، وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام[4].

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٤٦٦.
(٢) المراد به إسماعيل عليه السلام.
(٣) مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٧٣.
(٤) مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٨٥.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ قيل: الزبور: كتب الأنبياء، والذكر: اللّوح المحفوظ، وقيل: الزبور: الكتب المنزلة بعد التوراة، والذكر: التوراة، وقيل: الزبور كتاب داود عليه السلام، والذكر: التوراة ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ أي أرض الجنّة أو الأرض المعروفة يرثها أمّة محمّد صلى الله عليه وآله، وقال أبو جعفر عليه السلام: هم أصحاب المهديّ في آخر الزمان[1].

وفي قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ أي ذكر القرآن وخبره في كتب الأوّلين على وجه البشارة به وبمحمّد صلى الله عليه وآله: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[2] أي أولم يكن علم علماء بني إسرائيل بمجيئه على ما تقدّمت البشارة به دلالة لهم على صحّة نبوّته، وهم عبد الله ابن سلام وأصحابه، وقيل: هم خمسة: عبد الله بن سلام، وابن يامين، وثعلبة، وأسد، وأسيد[3].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ أي في الجانب الغربيّ من الجبل الّذي كلّم الله فيه موسى، وقيل: بجانب الوادي الغربيّ ﴿إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾ أي عهدنا إليه بالرسالة، وقيل: أراد كلامه معه في وصف نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله ونبوته ﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي الله أعلمك ذلك، وعرّفك إيّاه نعمة من ربّك أنعم بها عليك، وهو أن بعثك نبيّاً، واختارك لإنباء العلم بذلك معجزة لك، لتنذر العرب الّذين لم يأتهم رسول قبلك لكي يتفكّروا ويعتبروا[4].

١ - **شي:** عن حبيب السجستانيّ قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ فكيف يؤمن موسى عليه السلام بعيسى عليه السلام وينصره ولم يدركه؟ وكيف يؤمن عيسى عليه السلام بمحمّد صلى الله عليه وآله وينصره ولم يدركه؟ فقال: يا حبيب إنّ القرآن قد طرح منه آي كثيرة، ولم يزد فيه إلاّ حروف أخطأت بها الكتبة، وتوهّمتها الرجال، وهذا وهم، فاقرأها: «وإذ أخذ الله ميثاق أمم النبين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه»، هكذا أنزلها الله يا حبيب، فوالله ماوفت أمّة من الأمم الّتي كانت قبل موسى بما أخذ الله عليها من الميثاق لكلّ نبيّ بعثه الله بعد نبيّها، ولقد كذبت الأمّة الّتي جاءها موسى لمّا جاءها موسى ولم يؤمنوا به ولا نصروه لما جاءها إلاّ القليل منهم، ولقد كذبت أمّة عيسى عليه السلام بمحمّد صلى الله عليه وآله ولم يؤمنوا به ولا نصروه لمّا جاءهم إلاّ القليل منهم، ولقد جحدت هذه الأمّة بما أخذ عليها رسول الله من الميثاق لعليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم أقامه للنّاس ونصبه لهم ودعاهم إلى ولايته وطاعته في حياته، وأشهدهم بذلك على أنفسهم، فأيّ

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ١١٩.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٩٧.
(٣) مجمع البيان، ج ٧ ص ٣٥٣.
(٤) مجمع البيان، ج ٧ ص ٤٤٢.

ميثاق أوكد من قول رسول الله صلى الله عليه وآله في عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟ فوالله ما وفوا به، بل جحدوا وكذّبوا[١].

٢ - فس: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ الآية، فإنّ عمر بن الخطّاب قال لعبد الله بن سلام: هل تعرفون محمّداً في كتابكم؟ قال: نعم والله نعرفه بالنعت الّذي نعته الله لنا إذا رأيناه فيكم، كما يعرف أحدنا ابنه إذا رآه مع الغلمان، والّذي يحلف به ابن سلام لأنّا بمحمّد هذا أشدّ معرفة منّي بابني، قال الله: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[٢].

٣ - نجم: في كتاب دلائل النبوّة جمع أبي القاسم الحسين بن محمّد السكونيّ، عن محمّد بن عليّ بن الحسين، عن الحسن، عن عبد الله بن غانم، عن هنّاد، عن يونس، عن أبي إسحاق، عن صالح بن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن أسعد، عن ابن مسيّب، عن حسان بن ثابت قال: إنّي والله لغلام يفقه ابن سبع أو ثمان سنين أعقل كلّ ما سمعت إذ سمعت يهودياً وهو على أكمة يثرب يصرخ: يا معشر اليهود، فلمّا اجتمعوا قالوا: ويلك ما لك؟ قال: طلع نجم أحمد الّذي يبعث به اللّيلة.

٤ - ل: ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقيّ، عن عليّ بن الحسين الرقيّ، عن عبد الله بن جبلة، عن الحسن بن عبد الله، عن آبائه، عن جدّه الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام في حديث طويل قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله أعلمهم عن أشياء فأجابه عليه السلام فأسلم وأخرج رقّاً أبيض، فيه جميع ما قال النبيّ صلى الله عليه وآله، وقال: يا رسول الله والّذي بعثك بالحقّ نبيّاً ما استنسختها إلاّ من الألواح الّتي كتب الله عزّ وجلّ لموسى بن عمران عليه السلام، ولقد قرأت في التوراة فضلك حتّى شككت فيه يا محمّد، ولقد كنت أمحو اسمك منذ أربعين سنة من التوراة، وكلّما محوته وجدته مثبتاً فيها، ولقد قرأت في التوراة أنّ هذه المسائل لا يخرجها غيرك، وأنّ في الساعة الّتي ترد عليك فيها هذه المسائل يكون جبرئيل عن يمينك، وميكائيل عن يسارك، ووصيّك بين يديك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: صدقت، هذا جبرئيل عن يميني، وميكائيل عن يساري، ووصيّي عليّ بن أبي طالب بين يديّ، فآمن اليهودي وحسن إسلامه[٣].

٥ - ك: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن الحسن بن عليّ، عن عمر بن أبان رفعه أنّ تبّع قال في مسيره:

حتّى أتاني من قريظة عالم ... حبر لعمرك في اليهود مسدّد
قال: ازدجر عن قرية محجوبة ... لنبيّ مكّة من قريش مهتد
فعفوت عنهم عفو غير مثرّب ... وتركتهم لعقاب يوم سرمد
وتركتها لله أرجو عفوه ... يوم الحساب من الحميم الموقد

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٠٣ ح ٧٣ من سورة آل عمران.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٠٣.
(٣) الخصال، ص ٣٥٥ باب السبعة ح ٣٦.

فلقد تركت له بها من قومنا نفراً أولي حسب وممّن يحمد
نفراً يكون النصر في أعقابهم أرجو بذلك ثواب ربّ محمّد
ما كنت أحسب أنّ بيتاً طاهراً لله في بطحاء مكّة يعبد
قالوا: بمكّة بيت مالٍ داثرٍ وكنوزه من لؤلؤ وزبرجد
فأردت أمراً حال ربّي دونه والله يدفع عن خراب المسجد
فتركت ما أمّلته فيه لهم وتركتهم مثلاً لأهل المشهد

قال أبو عبد الله عليه السلام: كان الخبر أنّه سيخرج من هذه يعني مكّة نبيّ يكون مهاجره يثرب، فأخذ قوماً من اليمن فأنزلهم مع اليهود لينصروه إذا خرج، وفي ذلك يقول:

شهدت على أحمد أنّه رسول من الله بارىء النسم
فلو مدّ عمري إلى عمره لكنت وزيراً له وابن عمّ
وكنت عذاباً على المشركين أسقيهم كأس حتف وغمّ[(١)]

٦ - **ك:** أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد عن الوليد بن صبيح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ تبّع قال للأوس والخزرج: كونوا ها هنا حتّى يخرج هذا النبيّ، فأمّا أنا فلو أدركته لخدمته وخرجت معه[(٢)].

٧ - **ك:** أحمد بن محمّد بن الحسين البزّاز، عن محمّد بن يعقوب الأصمّ، عن أحمد بن عبد الجبّار، عن يونس بن بكر، عن زكريّا بن يحيى، عن عكرمة قال: سمعت ابن عبّاس يقول: لا يشتبهنّ عليكم أمر تبع فإنّه كان مسلماً[(٣)].

بيان: اختلف في تبّع هل كان مسلماً أم لا، وهذه الروايات تدلّ على إسلامه.

قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ أي أمشركو قريش أظهر نعمة، وأكثر أموالاً، وأعزّ في القوّة والقدرة أم قوم تبّع الحميريّ، الّذي سار بالجيوش حتّى حيّر الحيرة، وأتى سمرقند فهدمها ثمّ بناها، وكان إذا كتب كتب: «بسم الّذي ملك برّاً وبحرًا، وضحّاً وريحاً»، عن قتادة، سمّي تبّعاً لكثرة أتباعه من الناس، وقيل: لأنّه تبع من قبله من ملوك اليمن، والتبابعة: اسم ملوك اليمن، فتبّع لقب له كما يقال: خاقان لملك الترك، وقيصر لملك الروم، واسمه أسعد أبو كرب، وروى سهل بن سعد، عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لا تسبّوا تبّعاً فإنّه كان قد أسلم» قال كعب: نعم الرجل الصالح، ذمّ الله قومه ولم يذمّه[(٤)].

وقال البيضاويّ: وكان مؤمناً وقومه كافرين، ولذلك ذمّهم دونه، وعنه عليه السلام: ما أدري أكان تبّع نبيّاً أو غير نبيّ[(٥)].

---

(١) - (٢) كمال الدين، ص ١٦٨.
(٣) كمال الدين، ص ١٦٩.
(٤) مجمع البيان، ج ٩ ص ١١١.
(٥) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ١٢٢.

٨ - **ك:** أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن العلاء، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم بفناء الكعبة يوم افتتح مكّة إذ أقبل إليه وفد فسلّموا عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من القوم؟ قالوا: وفد من بكر بن وائل، قال: فهل عندكم علم من خبر قسّ بن ساعدة الإياديّ؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فما فعل؟ قالوا: مات، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحمد لله ربّ الموت، وربّ الحياة، كلّ نفس ذائقة الموت، كأنّي أنظر إلى قسّ بن ساعدة الأياديّ وهو بسوق عكاظ على جمل له أحمر، وهو يخطب الناس ويقول: اجتمعوا أيّها الناس، فإذا اجتمعتم فأنصتوا، فإذا أنصتّم فاستمعوا، فإذا سمعتم فعوا، فإذا وعيتم فاحفظوا، فإذا حفظتم فاصدقوا، ألا إنّ من عاش مات، ومن مات فات، ومن فات فليس بآتٍ، إنّ في السماء خبراً، وفي الأرض عبراً، سقف مرفوع، ومهاد موضوع، ونجوم تمور، وليل يدور، وبحار ماء لا تغور، يحلف قسّ ما هذا بلعب، وإنّ من وراء هذا لعجباً، ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون؟ أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا فناموا؟ يحلف قسّ يميناً غير كاذبة إنّ لله ديناً هو خير من الدين الّذي أنتم عليه، ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رحم الله قسّاً يحشر يوم القيامة أمّة واحدة، ثمّ قال: هل فيكم أحد يحسن من شعره شيئاً؟ فقال بعضهم: سمعته يقول:

في الأوّلين الذاهبين من القرون لنا بصائر ... لمّا رأيت موارداً للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمضي الأكابر والأصاغر ... لا يرجع الماضي إليّ ولا من الباقين غابر
أيقنت أنّي لا محالة حيث صار القوم صائر

وبلغ من حكمة قسّ بن ساعدة ومعرفته أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يسأل من يقدم عليه من إياد عن حكمته ويصغي إليها[1].

٩ - **كنز الكراجكي:** عن أسد بن إبراهيم السلميّ، عن محمّد بن أحمد بن موسى، عن عبد الله بن محمّد، عن جعفر بن محمّد، عن محمّد بن حسّان، عن محمّد بن الحجّاج، عن مجالد، عن الشعبيّ، عن ابن عبّاس مثله إلى قوله: حيث صار القوم صار.

بيان: مار الشيء يمور موراً: تحرك وجاء وذهب.

١٠ - **ك:** الحسن بن عبد الله، عن الحسين بن الحسن بن عليّ بن إسماعيل، عن محمّد بن زكريّا، عن عبد الله بن الضحّاك، عن هشام، عن أبيه أنّ وفداً من إياد قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله فسألهم عن حكم قسّ بن ساعدة فقالوا: قال قسّ شعراً:

يا ناعي الموت والأموات في جدث ... عليهم من بقايا تربهم خرق
دعهم فإنّ لهم يوماً يصاح بهم ... كما ينبّه من نوماته الصعق

(١) كمال الدين، ص ١٦٥.

منهم عراة ومنهم في ثيابهم منها جديد ومنها الآن ذو الخلق

مطر ونبات وآباء وأمّهات، وذاهب وآتٍ، وآيات في أثر آيات، وأموات بعد أموات، وضوء وظلام، وليال وأيّام، وفقير وغنيّ، وسعيد وشقيّ، ومحسن ومسيء، أين الأرباب الفعلة؟ ليصلحنّ كلّ عامل عمله، كلاّ بل هو الله واحداً ليس بمولود ولا والد، أعاد وأبدأ، وإليه المآب غداً، أمّا بعد يا معشر إياد أين ثمود وعاد؟ وأين الآباء والأجداد؟ أين الحسن الّذي لم يشكر، والقبيح الّذي لم ينقم، كلاّ وربّ الكعبة ليعودنّ ما بدا، ولئن ذهب يوماً ليعودنّ يوماً.

وهو قسّ بن ساعدة بن حداق بن زهر بن إياد بن نزار، أوّل من آمن بالبعث من أهل الجاهليّة، وأوّل من توكّأ على عصاً، ويقال: إنّه عاش ستّ مائة سنة، وكان يعرف النبيّ باسمه ونسبه، ويبشّر الناس بخروجه وكان يستعمل التقيّة، ويأمر بها في خلال ما يعظ به الناس[1].

بيان: الترب يحتمل أن يكون بالمثلثة يقال: ثرب المريض: نزع عنه ثوبه، ويحتمل أن يكون تصحيف ثوبهم، وفي بعض النسخ بزّهم وهو أظهر.

أقول: سيأتي وصيّة قسّ في أبواب المواعظ، وفي باب كونهم أفضل من الأنبياء في كتاب الإمامة.

١١ - **ك:** ماجيلويه، عن عمّه، عن الكوفيّ، عن عليّ بن حكيم، عن عمرو بن بكّار العبسيّ، عن محمّد بن السائب، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس؛ وعن محمّد بن عليّ بن حاتم البرمكيّ، عن محمّد بن أحمد بن أزهر، عن محمّد بن إسحاق البصريّ، عن عليّ بن حرب، عن أحمد بن عثمان بن حكيم، عن عمرو بن بكير، عن أحمد بن القاسم، عن محمّد ابن السائب، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس قال: لمّا ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة وذلك بعد مولد النبيّ ﷺ بسنتين أتاه وفد العرب وأشرافها وشعراؤها لتهنّئه وتمدحه، وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثار قومه، فأتاه وفد من قريش ومعهم عبد المطّلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس، وعبد الله بن جذعان، وأسد بن خويلد بن عبد العزّى، ووهب بن عبد مناف في أناس من وجوه قريش، فقدموا عليه صنعاء فاستأذنوا، فإذا هو في رأس قصر يقال له: غمدان، وهو الّذي يقول فيه أميّة بن أبي الصلت:

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في رأس غمدان داراً منك محلالا

فدخل عليه الآذن فأخبره بمكانهم فأذن لهم، فلمّا دخلوا عليه دنا عبد المطّلب منه فاستأذنه في الكلام، فقال له: إن كنت ممّن يتكلّم بين يدي الملوك فقد أذنّا لك. قال: فقال عبد المطّلب: إنّ الله أحلّك أيّها الملك محلاً رفيعاً صعباً منيعاً شامخاً باذخاً، وأنبتك منبتاً

---

(١) كمال الدين، ص ١٦٦.

طابت أرومته، وعذبت جرثومته، وثبت أصله، وبسق فرعه، في أكرم موطن، وأطيب معدن، فأنت أبيت اللّعن ملك العرب، وربيعها الّذي تخصب به، وأنت أيّها الملك رأس العرب الّذي له تنقاد، وعمودها الّذي عليه العماد، ومعقلها الّذي يلجأ إليه العباد سلفك خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف، فلن يخمل من أنت سلفه، ولن يهلك من أنت خلفه، نحن أيّها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته، أشخصنا إليك الّذي أبهجنا من كشفك الكرب الّذي فدحنا، فنحن وفد التهنئة، لا وفد المرزئة، قال: وأيّهم أنت أيّها المتكلّم؟ قال: أنا عبد المطّلب بن هاشم، قال: ابن أختنا؟ قال: نعم، قال: ادن فأدناه، ثمّ أقبل على القوم وعليه فقال: مرحباً وأهلاً، وناقةً ورحلاً، ومستناخاً سهلاً، وملكاً وربحلاً، يعطي عطاء جزلاً، قد سمع الملك مقالتكم، وعرف قرابتكم، وقبل وسيلتكم، وأنتم أهل اللّيل، وأهل النهار، ولكم الكرامة ما أقمتم، والحباء إذا ظعنتم، قال: ثمّ أنهضوا إلى دار الضيافة والوفود فأقاموا شهراً لا يصلون إليه، ولا يأذن لهم بالانصراف، ثمّ انتبه لهم انتباهة فأرسل إلى عبد المطّلب فأدنى مجلسه وأخلاه، ثمّ قال: أيا عبد المطّلب إنّي مفوّض إليك من سرّ علمي أمراً لو كان غيرك لم أبح له به، ولكنّي رأيتك معدنه فأطلعك عليه طلعة فليكن عندك مطوياً حتّى يأذن الله فيه، فإنّ الله بالغ أمره، إنّي أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الّذي اخترناه لأنفسنا وأخبرناه دون غيرنا خبراً عظيماً، وخطراً جسيماً، فيه شرف الحياة، وفضيلة الوفاة، للنّاس عامّة، ولرهطك كافّة، ولك خاصّة، فقال عبد المطّلب: مثلك أيّها الملك من سرّ وبرّ، فما هو فداك أهل الوبر زمراً بعد زمر؟ فقال: إذا ولد بتهامة، غلام بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة، فقال له عبد المطّلب: أبيت اللّعن لقد أبت بخير ما آب بمثله وافد، ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه لسألته من أسراره ما أزداد به سروراً، فقال ابن ذي يزن: هذا حينه الّذي يولد فيه، أو قد ولد فيه، اسمه محمّد، يموت أبوه وأمّه، ويكفله جدّه وعمّه، وقد ولداه سراراً والله باعثه جهاراً، وجاعل له منّا أنصاراً، يعزّ بهم أولياءه، ويذلّ بهم أعداءه، يضرب بهم النّاس عن عرض، ويستفتح بهم كرائم الأرض، يكسر الأوثان، ويخمد النيران، ويعبد الرحمن، ويزجر الشيطان، قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله، فقال عبد المطّلب: أيّها الملك عزّ جدّك، وعلا كعبك، ودام ملكك، وطال عمرك، فهل الملك ساريّ بإفصاح فقد أوضح لي بعض الإيضاح؟ فقال ابن ذي يزن: والبيت ذي الحجب، والعلامات على البيت، إنّك يا عبد المطّلب لجدّه غير كذب، قال: فخرّ عبد المطّلب ساجداً، فقال له: ارفع رأسك، ثلج صدرك، وعلا أمرك، فهل أحسست شيئاً ممّا ذكرته لك، فقال: كان لي ابن وكنت به معجباً، وعليه رفيقاً، فزوّجته كريمة من كرائم قومي: آمنة بنت وهب، فجاءت بغلام فسمّيته محمّداً، مات أبوه وأمّه وكفلته أنا وعمّه، فقال ابن ذي يزن: إنّ الّذي قلت لك كما قلت فاحتفظ

بابنك، واحذر عليه اليهود، فإنّهم له أعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً، واطوِ ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الّذين معك فإنّي لست آمن أن تدخلهم النفاسة أن تكون له الرئاسة فيطلبون له الغوائل، وينصبون له الحبائل، وهم فاعلون أو أبناؤهم، ولولا علمي بأنّ الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتّى صرت بيثرب دار ملكه نصرةً له، لكنّي أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أنّ يثرب دار ملكه، وبها استحكام أمره، وأهل نصرته، وموضع قبره، ولولا أنّي أخاف فيه العاهات، وأحذر عليه العاهات لأعلنت على حداثة سنّه أمره في هذا الوقت، ولأوطأت أسنان العرب عقبه، ولكنّي صارف إليك عن ذلك غير تقصير منّي بمن معك، قال: ثمّ أمر لكلّ رجل من القوم بعشرة أعبد، وعشر إماء، وحلّتين من البرود، ومائة من الإبل، وخمسة أرطال ذهب، وعشرة أرطال فضّة، وكرش مملوّة عنبراً، وأمر لعبد المطّلب بعشرة أضعاف ذلك، وقال: إذا حال الحول فأتني، فمات ابن ذي يزن قبل أن يحول الحول، قال: وكان عبد المطّلب كثيراً ما يقول: يا معشر قريش لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك وإن كثر فإنّه إلى نفاد، ولكن يغبطني بما يبقى لي ولعقبي من بعدي ذكره وفخره وشرفه، فإذا قيل: متى ذلك؟ قال: ستعلمنّ نبأ ما أقول ولو بعد حين، وفي ذلك يقول أميّة بن عبد شمس يذكر مسيرهم إلى ابن ذي يزن:

جلبنا الضحّ تحمله المطايا ... على أكوار أجمال ونوق
مغلغلة مرافقها تعالى ... إلى صنعاء من فجّ عميق
تؤمّ بنا ابن ذي يزن وتهدي ... ذوات بطونها أمّ الطريق
وتزجي من مخائله بروقاً ... مواصلة الوميض إلى بروق
فلمّا وافقت صنعاء صارت ... بدار الملك والحسب العريق
إلى ملك يدرّ لنا العطايا ... بحسن بشاشة الوجه الطليق[1]

١٢ - **عم:** عن أبي صالح، عن ابن عبّاس مثله، ثمّ قال: روى هذا الحديث الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقيّ في كتاب دلائل النبوّة من طريقين[2].

١٣ - **كنز الكراجكي:** عن الحسين بن عبيد الله الواسطيّ، عن التلّعكبريّ، عن محمّد بن همام وأحمد بن هوذة، عن الحسين بن محمّد بن جمهور، عن أبيه، عن عليّ بن حرب مثله.

إيضاح: قوله: مرتفقاً، قال الجزريّ. المرتفق: المتّكيء على المرفقة وهي كالوسادة، ومنه حديث ابن ذي يزن: اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً.

وقال الفيروزآباديّ: روضة محلال: تحلّ كثيراً. انتهى.

والأرومة بالفتح: أصل الشّجرة. قوله: وعذبت في أكثر النسخ بالباء الموحّدة، وفي

---

(١) كمال الدين، ص ١٧٤. (٢) اعلام الورى، ص ٢٢.

بعضها بالمثنّاة من العذاة: الأرض الطيّبة البعيدة من الماء والسّباخ، وفي بعضها عزّت، وفي بعضها عظمت. والجرثومة بالضمّ: الأصل. وبسق النخل: طال.

قوله: أبيت اللّعن، قال الجزريّ: كان هذا في تحايا الملوك في الجاهليّة والدعاء لهم، معناه أبيت أن تفعل فعلاً تلعن بسببه وتذمّ انتهى. وقيل: أي أجارك الله أن تفعل ما تلعن به والسدنة جمع السادن وهو الخادم. وأشخصنا، أي أخرجنا وأتى بنا. وأبهجنا أي أفرحنا. وفدحنا أي ثقل علينا. والمرزئة: المصيبة. والربحل بكسر الراء، وفتح الباء الواسع العطاء. والجزل: العظيم.

قوله: وأنتم أهل اللّيل، وأهل النهار، أي نصحبكم ونأنس بكم في اللّيل والنهار. والحباء: العطاء، والظعن: الارتحال. قوله: انتبه لهم، أي ذكرهم مفاجأة.

قوله: أخبرناه، في بعض النسخ: اختبيناه، أي أخفيناه، وفي روايات العامّة: احتجنّاه بالحاء المهملة، ثمّ التاء، ثمّ الجيم، ثمّ النون المشدّدة، قال الجزريّ: الاحتجان جمع الشيء وضمّه إليك، ومنه حديث ابن ذي يزن واحتجنّاه دون غيرنا. والشأمة بالهمزة وقد يخفّف: الخال في الجسد، والمراد بها هنا خاتم النبوّة. والزعامة: الشرف والرئاسة.

قوله: ولداه سراراً، في بعض الروايات: وقد ولدناه مراراً، أي كانت غير واحدة من جدّاته من قبيلتنا من اليمن.

قوله: عن عرض، بالضمّ، أي من اعترض لهم من أيّ ناحية وجانب كان، يعني إذا لم يوافقهم في دينهم، قال الفيروزآباديّ: ويضربون النّاس عن عرض: لا يبالون من يضربون. وقال: الكعب: الشرف والمجد وقال الجزريّ: لا يزال كعبك عالياً، أي لا تزال شريفاً مرتفعاً على من يعاديك. قوله: والعلامات على البيت، في بعض الروايات على النصب، وفسّر بحجارة كانوا يذبحون عليها للأصنام، ويحتمل أن يكون المراد أنصاب الحرم. وقال الجزريّ: ثلجت نفسي بالأمر: إذا اطمأنت إليه وسكنت. وثبت فيها ووثقت به، ومنه حديث ابن ذي يزن: وثلج صدرك. والمراد بالنفاسة: الحسد، وفي الأصل بمعنى البخل، والاستبداد بالشيء، والرغبة فيه. والغوائل جمع الغائلة وهي الشرّ. والحبائل: المصائد. والاجتياح: الإهلاك والاستئصال.

وقال الجزريّ: في حديث ابن ذي يزن: لأوطئنّ أسنان العرب كعبه، يريد ذوي أسنانهم وهم الأكابر والأشراف انتهى، أي لرفعته على أشرافهم، وجعلتهم موضع قدمه.

وقال الجزريّ: فيه يكون رسول الله في الضحّ والريح، قال الهرويّ: أراد كثرة الخيل والجيش، يقال: جاء فلان بالضحّ والريح، أي بما طلعت عليه الشمس، وهبت عليه الريح، يعنون المال الكثير، وقال: الأكوار جمع كور بالضمّ وهو رحل الناقة بأداته، وقال: في حديث ابن ذي يزن:

مغلغلة مغالقها تعالى إلى صنعاء من فجّ عميق

المغلغلة بفتح الغينين: الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد، وبكسر الثانية: المسرعة من الغلغلة: سرعة السير.

قوله: تعالى، أي تتصاعد وتذهب، قوله: وتهدي في أكثر الروايات، وتفري أي تقطع. وأُمّ الطريق: معظمه. والإزجاء: السوق، والدفع. والمخائل جمع المخيلة وهي السحابة الّتي تحسبها ماطرة. والوميض: لمعان البرق.

١٤ - **ك**: القطّان وابن موسى ومحمّد بن أحمد الشيبانيّ جميعاً، عن ابن زكريّا القطّان، عن محمّد بن إسماعيل، عن عبد الله بن محمّد، عن أبيه، عن الهيثم، عن محمّد بن السائب، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس، عن أبيه العبّاس بن عبد المطلب، عن أبي طالب قال: خرجت إلى الشام تاجراً سنة ثمان من مولد رسول الله ﷺ، وكان في أشدّ ما يكون من الحرّ فلمّا أجمعت على السير قال لي رجال قومي: ما تريد أن تفعل بمحمّد؟ وعلى من تخلّفه؟ فقلت: لا أريد أن أخلّفه على أحد، يكون معي، فقيل: صغير في حرّ مثل هذا تخرجه معك؟ فقلت: والله لا يفارقني حيث توجّهت أبداً، وإنّي لأوطيء له الرحل، فذهبت فحشوت له حشيّة زكتاً وكنّا ركباناً كثيراً، فكان والله البعير الّذي عليه محمّد أمامي لا يفارقني وكان يسبق الرّكب كلّهم، وكان إذا اشتد الحرّ جاءت سحابة بيضاء مثل قطعة ثلج فتسلّم عليه وتقف على رأسه ولا تفارقه، وكانت ربما أمطرت علينا السحابة بأنواع الفواكه وهي تسير معنا، وضاق الماء بنا في طريقنا حتّى كنّا لا نصيب قربة إلاّ بدينارين، وكنّا حيث ما نزلنا تمتلي الحياض، ويكثر الماء وتخضرّ الأرض، فكنا في كلّ خصب وطيب من الخير، وكان فينا قوم قد وقفت جمالهم فمشى إليها رسول الله ومسح عليها فسارت، فلمّا قربنا من بصرى إذا نحن بصومعة قد أقبلت تمشي كما تمشي الدابّة السريعة حتّى إذا قربت منّا وقفت، فإذا فيها راهب وكانت السحابة لا تفارق رسول الله ﷺ ساعةً واحدةً، وكان الراهب لا يكلّم النّاس، ولا يدري ما الرّكب، وما فيه من التجار، فلمّا نظر إلى النبيّ ﷺ عرفه، فسمعته يقول: إنّ كان أحد فأنت أنت، قال: فنزلنا تحت شجرة عظيمة قريبة من الراهب قليلة الأغصان، ليس لها حمل، وكان الركب ينزل تحتها، فلمّا نزلها رسول الله ﷺ اهتزّت الشجرة، وألقت أغصانها على رسول الله، وحملت من ثلاثة أنواع من الفاكهة: فاكهتان للصيف، وفاكهة للشتاء، فتعجّب جميع من معنا من ذلك، فلمّا رأى بحيراء الراهب ذهب فاتّخذ طعاماً لرسول الله بقدرما يكفيه، ثمّ جاء وقال: من يتولّى أمر هذا الغلام؟ فقلت: أنا، فقال، أيّ شيء تكون منه؟ فقلت: أنا عمّه، فقال: يا هذا إنّ له أعماماً، فأيّ الأعمام أنت؟ فقلت أنا أخو أبيه من أُمّ واحدة، فقال: أشهد أنّه هو وإلاّ فلست بحيراء، ثمّ قال: يا هذا أتأذن لي أن أقرب هذا الطعام منه ليأكله، فقلت له: قرّبه إليه، فالتفتّ إلى النبيّ ﷺ فقلت له: يا بني رجل أحبّ أن يكرمك فكل، فقال: هو لي دون أصحابي؟ فقال بحيراء: نعم هو لك خاصّة، فقال

النبيّ ﷺ: فإنّي لا آكل دون هؤلاء، فقال بحيراء: إنّه لم يكن عندي أكثر من هذا، فقال: أفتأذن يا بحيراء أن يأكلوا معي؟ فقال: نعم، فقال: بسم الله، فأكل وأكلنا معه، فوالله لقد كنا مائة وسبعين رجلاً، وأكل كلّ واحد منّا حتّى شبع وتجشّأ، وبحيراء قائم على رأس رسول الله ﷺ يذبّ عنه، ويتعجّب من كثرة الرجال وقلّة الطعام، وفي كلّ ساعة يقبّل رأسه ويافوخه، ويقول: هو هو ورب المسيح، والناس لا يفقهون، فقال رجل من الركب: إنّ لك لشأناً، وقد كنّا نمرّ بك قبل اليوم فلا تفعل بنا هذا البرّ، فقال بحيراء: والله إنّ لي لشأناً وشأناً، وإنّي لأرى ما لا ترون، وأعلم ما لا تعلمون، وإنّ تحت هذه الشجرة لغلاماً لو كنتم تعلمون منه ما أعلم لحملتموه على أعناقكم حتّى تردّوه إلى وطنه، والله ما أكرمتكم إلاّ له، ولقد رأيت وقد أقبل نور من أمامه ما بين السماء والأرض، ولقد رأيت رجالاً في أيديهم مراوح الياقوت والزبرجد يروّحونه، وآخرين ينثرون عليه أنواع الفواكه، ثمّ هذه السّحابة لا تفارقه، وصومعتي مشت إليه كما تمشي الدابّة على رجلها، ثمّ هذه الشجرة لم تزل يابسة قليلة الأغصان وقد كثرت أغصانها واهتزّت وحملت ثلاثة أنواع من الفواكه: فاكهتان للصيف، وفاكهة للشتاء، ثمّ هذه الحياض الّتي غارت وذهب ماؤها أيّام تمرّج بني اسرائيل بعد الحواريّين حين وردوا عليهم، فوجدنا في كتاب شمعون الصفا أنّه دعا عليهم فغارت وذهب ماؤها، ثمّ قال: متى ما رأيتم قد ظهر في هذه الحياض الماء فاعلموا أنّه لأجل نبيّ يخرج في أرض تهامة، مهاجره إلى المدينة، اسمه في قومه الأمين، وفي السّماء أحمد، وهو من عترة إسماعيل بن إبراهيم لصلبه، فوالله إنّه لهو، ثمّ قال بحيراء: يا غلام أسألك عن ثلاث خصال بحقّ اللّات والعزّى إلاّ ما أخبرتنيها، فغضب رسول الله ﷺ عند ذكر اللّات والعزّى، وقال: لا تسألني بهما، فوالله ما أبغضت شيئاً كبغضهما، إنّهما صنمان من حجارة لقومي، فقال بحيراء: هذه واحدة، ثمّ قال: فبالله إلاّ ما أخبرتني، فقال: سل عمّا بدا لك فإنّك قد سألتني بإلهي وإلهك الّذي ليس كمثله شيء، فقال: أسالك عن نومك ويقظتك، فأخبره عن نومه ويقظته وأُموره وجميع شأنه، فوافق ذلك ما عند بحيراء، فأكبّ عليه بحيراء يقبّل رجليه ويقول: يا بني ما أطيب ريحك! يا أكثر النبيّين أتباعاً، يا من بهاء نور الدنيا من نوره، يا من بذكره تعمر المساجد، كأنّني بك قد قدمت الأجناد والخيل الجياد، وتبعك العرب والعجم طوعاً وكرهاً، وكأنّني باللاّت والعزّى وقد كسرتهما، وقد صار البيت العتيق لا يملكه غيرك، تضع مفاتيحه حيث تريد، كم من بطل من قريش والعرب تصرعه! معك مفاتيح الجنان والنيران، معك الذبح الأكبر وهلاك الأصنام، أنت الّذي لا تقوم الساعة حتّى تدخل الملوك كلّها في دينك صاغرة قمئة، فلم يزل يقبّل يديه مرّة ورجليه مرّة ويقول: لئن أدركت زمانك لأضربنّ بين يديك بالسيف ضرب الزند بالزند، أنت سيّد ولد آدم، وسيّد المرسلين، وإمام المتّقين، وخاتم النبيّين، والله لقد ضحكت الأرض يوم ولدت فهي ضاحكة إلى يوم القيامة

فرحاً بك، والله لقد بكت البيع والأصنام، والشياطين فهي باكية إلى يوم القيامة، أنت بدعوة إبراهيم، وبشارة عيسى، أنت المقدّس المطهّر من أنجاس الجاهليّة، ثمّ التفت إلى أبي طالب فقال: ما يكون هذا الغلام منك فإنّي أراك لا تفارقه؟ فقال أبو طالب: هو ابني، فقال: ما هو ابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون والده الّذي ولده حيّاً ولا أُمّه، فقال: إنّه ابن أخي وقد مات أبوه وأُمّه حاملة به، وماتت أُمّه وهو ابن ستّ سنين، فقال: صدقت هكذا هو، ولكنّي أرى لك أن تردّه إلى بلده عن هذا الوجه، فإنّه ما بقي على ظهر الأرض يهوديّ ولا نصرانيّ ولا صاحب كتاب إلاّ وقد علم بولادة هذا الغلام، ولئن رأوه وعرفوا منه ما قد عرفت أنا منه ليبغنّه شرّاً، وأكثر ذلك من اليهود، فقال أبو طالب: ولم ذلك؟ قال: لأنّه كائن لابن أخيك الرسالة والنبّوة، ويأتيه الناموس الأكبر الّذي كان يأتي موسى وعيسى، فقال أبو طالب: كلاّ إن شاء الله لم يكن الله ليضيّعه[1]، ثمّ خرجنا به إلى الشام فلمّا قربنا من الشام رأيت والله قصور الشامات كلّها قد اهتزّت، وعلا منها نور أعظم من نور الشمس، فلمّا توسّطت الشام ما قدرنا أن نجوز سوق الشام من كثرة ما ازدحم الناس ينظرون إلى وجه رسول الله ﷺ، وذهب الخبر إلى جميع الشامات حتّى ما بقي فيها حبر ولا راهب إلاّ اجتمع عليه، فجاء حبر عظيم كان اسمه نسطور فجلس مقابله ينظر إليه ولا يكلمه بشيء، حتّى فعل ذلك ثلاثة أيّام متوالية، فلمّا كانت اللّيلة الثالثة لم يصبر حتّى قام إليه فدار خلفه كأنّه يلتمس منه شيئاً، فقلت: يا راهب كأنّك تريد منه شيئاً؟ قال: أجل إنّي أُريد منه شيئاً، ما اسمه؟ قلت: محمّد بن عبد الله، فتغيّر والله لونه، ثمّ قال: فترى أن تأمره أن يكشف لي عن ظهره لأنظر إليه؟ فكشف عن ظهره فلمّا رأى الخاتم أكبّ عليه يقبّله ويبكي، ثمّ قال: يا هذا أسرع بردّ هذا الغلام إلى موضعه الّذي ولد فيه، فإنّك لو تدري كم عدوّ له في أرضنا لم تكن بالذي تقدمه معك، فلم يزل يتعاهده في كلّ يوم ويحمل إليه الطعام، فلمّا خرجنا منها أتاه بقميص من عنده، فقال له: ترى أن تلبس هذا القميص لتذكرني به؟ فلم يقبله، ورأيته كارهاً لذلك، فأخذت أنا القميص مخافة أن يغتمّ، وقلت: أنا أُلبسه، وعجلت به حتّى رددته إلى مكّة، فوالله ما بقي بمكّة يومئذٍ امرأة ولا كهل ولا شابّ ولا صغير ولا كبير إلاّ استقبله شوقاً إليه ما خلا أبو جهل لعنه الله، فإنّه كان فاتكاً ماجناً قد ثمل من السكر[2].

بيان: قوله: حشيّة زكتاً الزكت: الملأ، وفي بعض النسخ دكتاً، ولم أعرف له معنى، وفي بعضها ريشاً وكتّاناً كثيراً، وهو أصوب. قوله وضاق الماء بنا، لعلّ المراد به في غير هذه المرّة أو أوّلاً. والمرج بالتحريك: الفساد والغلق والاضطراب. قوله: قمئة أي ذليلة.

---

(١) الروايات المنقولة من طرق العامّة في قصّة بحيرا مع رسول الله ﷺ وأبي طالب في طريق الشام، مفصلة راجع كتاب الغدير ج ٧ ص٢٧٥ و٣٤٢ طبعة مؤسسة الأعلمي [النمازي].

(٢) كمال الدين، ص ١٨٧.

والزند: الّذي يقدح به النار. والفاتك: الّذي يرتكب ما دعت إليه النفس. والجريّ: الشجاع. والماجن: الّذي لا يبالي قولاً وفعلاً. والثمل: السكر، يقال: ثمل كفرح. والمراد هنا شدّته، أو السكر بالتحريك، وهو الخمر، ونبيذ يتّخذ من التمر.

١٥ - **ك:** بالإسناد المتقدّم عن عبد الله بن محمّد، عن أبيه، وعبد الرحمن بن محمّد، عن محمّد بن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن هرثم، عن أبيه، عن جدّه أنّ أباطالب قال: لمّا فارقه بحيراء بكى بكاءً شديداً وأخذ يقول: ابن آمنة كأنّي بك وقد رمتك العرب بوترها، وقد قطعك الأقارب، ولو علموا لكنت لهم بمنزلة الأولاد، ثمّ التفت إليّ وقال: أمّا أنت يا عمّ فارع فيه قرابتك الموصولة، واحفظ فيه وصيّة أبيك، فإنّ قريشاً ستهجرك فيه، فلا تبال فإنّي أعلم أنّك لا تؤمن به، ولكن، سيؤمن به ولد تلده، وسينصره نصراً عزيزاً، اسمه في السّماوات البطل الهاصر، والشجاع الأقرع، منه الفرخان المستشهدان، وهو سيّد العرب ورئيسها، وذو قرنيها، وهو في الكتب أعرف من أصحاب عيسى عليه السلام، فقال أبو طالب: قد رأيت والله كلّ الّذي وصفه بحيراء وأكثر[1].

١٦ - **عم:** أورد محمّد بن إسحاق بن يسار، وساق مثل هذا الخبر ثمّ قال: وفي ذلك يقول أبو طالب في قصيدته الداليّة أوردها محمّد بن إسحق بن يسار:

إنّ ابن آمنة النبيّ محمّداً ... عندي بمثل منازل الأولاد
لمّا تعلّق بالزمام رحمته ... والعيس قد قلّصن بالأزواد
فارفضّ من عينيّ دمع ذارف ... مثل الجمان مفرّد الأفراد
راعيت فيه قرابة موصولة ... وحفظت فيه وصيّة الأجداد
وأمرته بالسير بين عمومة ... بيض الوجوه مصالت الأنجاد
ساروا لأبعد طيّة معلومة ... ولقد تباعد طيّة المرتاد
حتّى إذا ما القوم بصرى عاينوا ... لاقوا على شرف من المرصاد
حبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً ... عنه وردّ معاشر الحسّاد
قوماً يهوداً قد رأوا ما قد رأى ... ظلّ الغمام وعزّ ذي الأكباد
ساروا لقتل محمّد فنهاهم ... عنه وأجهد أحسن الإجهاد[2]

بيان: البطل: الشجاع، والهاصر: الأسد الشديد الّذي يفترس ويكسر، والأقرع المراد به الأصلع، وأمّا قوله: أعلم أنّك لا تؤمن به المراد به الإيمان الظاهريّ، والعيس بالكسر: الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة. قوله: قد قلّصن، أي اجتمعن وانضممن، والأزواد جمع الزاد وهو الطعام المتّخذ للسّفر، والجمان هو اللّؤلؤ الصغار، وقيل: حبّ

(١) كمال الدين، ص ١٨٢.
(٢) اعلام الورى، ص ٣٢.

يتخذ من الفضّة أمثال اللّؤلؤ، والمصالت جمع المصلت بالكسر وهو الماضي في الأمور، والأنجاد جمع نجد بالفتح وهو الشجاع، وقال الجوهريّ: قال الخليل: الطيّة تكون منزلاً، وتكون منتأىً، تقول: من مضى لطيّة أي لنيّته الّتي انتواها، وبعدت عنّا طيته، وهو المنزل الّذي انتواه.

١٧ - **ك:** أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان يرفعه قال: لمّا بلغ رسول الله ﷺ أراد أبو طالب يخرج إلى الشام في عير قريش، فجاء رسول الله ﷺ وتشبّث بالزمام وقال: يا عمّ على من تخلفني؟ لا على أمّ، ولا على أب وقد كانت أمّه توفّيت، فرقّ له أبو طالب ورحمه وأخرجه معه، وكانوا إذا ساروا تسير على رأس رسول الله الغمامة تظلّه من الشمس، فمرّوا في طريقهم برجل يقال له: بحيراء، فلمّا رأى الغمامة تسير معهم نزل من صومعته، فأخذ لقريش طعاماً وبعث إليهم يسألهم أن يأتوه فأتوه، وخلّفوا رسول الله ﷺ في الرحل، فنظر بحيراء إلى الغمامة قائمة، فقال لهم: هل بقي منكم أحد لم يأتني؟ فقالوا: ما بقي منّا إلا غلام حدث خلّفناه في الرحل، فقال: لا ينبغي أن يتخلّف عن طعامي أحد منكم، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ فلمّا أقبل أقبلت الغمامة، فلمّا نظر إليه بحيراء قال: من هذا الغلام؟ قالوا: ابن هذا، وأشاروا إلى أبي طالب، فقال له بحيراء: هذا ابنك؟ فقال أبو طالب: هذا ابن أخي، قال: ما فعل ابوه؟ قال: توفّي وهو حمل، فقال بحيراء لأبي طالب: ردّ هذا الغلام في بلاده، فإنّه إن علمت منه اليهود ما أعلم منه قتلوه، فإنّ لهذا شأناً من الشأن، هذا نبيّ هذه الأمّة، هذا نبيّ السيف[1].

١٨ - **ك:** القطّان وابن موسى والسّنانيّ جميعاً، عن ابن زكريّا القطّان، عن محمّد بن إسماعيل، عن عبد الله بن محمّد، قال: حدّثني أبي وحدّثني الهيثم بن عمر المزنيّ، عن عمّه، عن يعلى النسّابة قال: خرج خالد بن أسيد بن أبي العاص وطليق بن أبي سفيان بن أميّة تجّاراً إلى الشام سنة خرج رسول الله ﷺ فيها، فكانا معه، وكانا يحكيان أنّهما رأيا في مسيره وركوبه ممّا يصنع الوحش والطير، فلمّا توسّطنا سوق بصرى إذا نحن بقوم من الرهبان قد جاءوا متغيّري الألوان، كأنّ على وجوههم الزعفران نرى منهم الرعد، فقالوا: يجب أن تأتوا أكبرنا، فإنّه هاهنا قريب في الكنيسة العظمى، فقلنا: ما لنا ولكم؟ فقالوا: ليس يضرّكم من هذا شيء، ولعلّنا نكرمكم، وظنّوا أنّ واحداً منّا محمّد، فذهبنا معهم حتّى دخلنا معهم الكنيسة العظيمة البنيان، فإذا كبيرهم قد توسّطهم وحوله تلامذته، وقد نشر كتاباً في يده، فأخذ ينظر إلينا مرّة، وفي الكتاب مرّة، فقال لأصحابه: ما صنعتم شيئاً، لم تأتوني بالّذي أريد، وهو الآن هاهنا، ثمّ قال لنا: من أنتم؟ قلنا: رهط من قريش، فقال: من أيّ قريش؟ فقلنا: من بني عبد شمس، فقال لنا: معكم غيركم؟ فقلنا: نعم شابّ من بني هاشم، نسمّيه

---

(١) كمال الدين، ص ١٨٢.

يتيم بني عبد المطّلب، فوالله لقد نخر نخرةً كاد أن يغشى عليه، ثمّ وثب فقال: أوّه أوّه هلكت النصرانيّة والمسيح، ثمّ قام واتّكأ على صليب من صلبانه وهو مفكّر وحوله ثمانون رجلاً من البطارقة والتلامذة، فقال لنا: فيخفّ عليكم أن ترونيه؟ فقلنا له: نعم، فجاء معنا، فإذا نحن بمحمّد، قائم في سوق بصرى، والله لكأنّا لم نر وجهه إلا يومئذٍ، كأن هلالاً يتلألأ من وجهه، قد ربح الكثير، واشترى الكثير فأردنا أن نقول للقين: هو هذا، فإذا هو قد سبقنا فقال: هو قد عرفته والمسيح فدنا منه، وقبّل رأسه، وقال: أنت المقدّس، ثمّ أخذ يسأله عن أشياء من علاماته فأخذ النبيّ ﷺ يخبره فسمعناه يقول: لئن أدركت زمانك لأعطينّ السيف حقّه، ثمّ قال لنا: أتعلمون ما معه؟ معه الحياة والموت، من تعلّق به حيي طويلاً، ومن زاغ عنه مات موتاً لا يحيى بعده أبداً، هو الّذي معه الربح الأعظم، ثمّ قبل وجهه ورجع راجعاً[1].

بيان: قوله: للقين: القين العبد، ولعلّهم أرادوا أن يغلّطوه ويكذّبوه فأرادوا أن يشيروا إلى عبد أنّه هو فعرفه قبل ذلك، وفي بعض النسخ للقسّ وهو الظاهر.

١٩ - **ك:** القطّان وابن موسى والسنانيّ جميعاً، عن ابن زكريّا القطّان، عن محمّد بن إسماعيل، عن عبد الله بن محمّد، عن أبيه، وقيس بن سعد الدئليّ، عن عبد الله بن بحير الفقعسيّ، عن بكر بن عبد الله الأشجعيّ، عن آبائه قالوا: خرج سنة خرج رسول الله ﷺ إلى الشام عبد مناة بن كنانة، ونوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن نعمان بن عديّ تجاراً إلى الشام، فلقاهما أبو المويهب الرّاهب فقال لهما: من أنتما؟ قالا: نحن تجّار من أهل الحرم من قريش، فقال لهما: من أيّ قريش؟ فأخبراه، فقال لهما: هل قدم معكما من قريش غيركما؟ قالا: نعم شابّ من بني هاشم اسمه محمّد، فقال أبو المويهب: إيّاه والله أردت، فقالا: والله ما في قريش أخمل منه ذكراً، إنّما يسمّونه بيتيم قريش، وهو أجير لامرأة منّا يقال لها: خديجة، فما حاجتك إليه؟ فأخذ يحرّك رأسه ويقول: هو هو، فقال لهما: تدلّاني عليه، فقالا: تركناه في سوق بصرى، فبينا هم في الكلام إذ طلع رسول الله ﷺ، فقال: هو هذا، فخلا به ساعة يناجيه ويكلّمه، ثمّ أخذ يقبّل بين عينيه، وأخرج شيئاً من كمّه لا ندري ما هو ورسول الله ﷺ يأبى أنّ يقبله، فلمّا فارقه قال لنا: تسمعان منّي؟ هذا والله نبيّ آخر الزمان، والله سيخرج إلى قريب يدعو النّاس إلى شهادة أن لا إله إلا الله فاذا رأيتم ذلك فاتّبعوه، ثمّ قال: هل ولد لعمّه أبي طالب ولد يقال له: عليّ؟ فقلنا: لا، فقال: إمّا أن يكون قد ولد، أو يولد في سنته، هو أوّل من يؤمن به، نعرفه، وإنا لنجد صفته عندنا بالوصيّة كما نجد صفة محمّد بالنّبوّة، وإنّه سيّد العرب وربّانيها وذو قرنيها، يعطي السّيف حقّه، اسمه في الملأ الأعلى عليّ، وهو أعلى الخلائق يوم القيامة بعد الأنبياء ذكراً، وتسمّيه الملائكة البطل الأزهر المفلح لا يتوجّه إلى وجه إلا أفلح وظفر، والله هو أعرف بين أصحابه في السماء من الشمس الطالعة[2].

---

(١) كمال الدين، ص ١٨٣.
(٢) كمال الدين، ص ١٨٥.

٢٠ - **ك:** أحمد بن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن يعقوب بن يوسف، عن أحمد بن عبد الجبّار العطارديّ، عن يونس بن بكير، عن محمّد بن إسحاق بن بشّار المدنيّ قال: كان زيد بن عمرو بن نفيل أجمع على الخروج من مكّة يضرب في الأرض، ويطلب الحنيفيّة دين إبراهيم عليه السلام، وكانت امرأته صفيّة بنت الحضرميّ كلّما أبصرته قد نهض إلى الخروج وأراده آذنت به الخطّاب بن نفيل، فخرج زيد إلى الشام يلتمس ويطلب في أهل الكتاب دين إبراهيم عليه السلام ويسأل عنه، فلم يزل في ذلك فيما يزعمون حتّى أتى الموصل والجزيرة كلّها، ثمّ أقبل حتّى أتى الشام فجال فيها حتّى أتى راهباً من أهل البلقاء فتبعه، كان ينتهي إليه علم النصرانيّة فيما يزعمون، فسأله عن الحنيفيّة دين إبراهيم عليه السلام فقال له الراهب: إنّك لتسأل عن دين ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم، لقد درس علمه، وذهب من كان يعرفه، ولكنّه قد أظلّك خروج نبيّ يبعث بأرضك الّتي خرجت منها بدين إبراهيم الحنيفيّة، فعليك ببلادك فإنّه مبعوث، الآن هذا زمانه، ولقد كان شامّ اليهوديّة والنصرانيّة فلم يرض شيئاً منهما، فخرج مسرعاً حين قال له الراهب ما قال يريد مكّة حتّى إذا كان بأرض لخم عدوا عليه فقتلوه، فقال ورقة بن نوفل وكان قد اتّبع مثل رأي زيد ولم يفعل في ذلك ما فعل فبكاه ورقة وقال فيه:

رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنّما تجنّبت تنّوراً من النّار حاميا
بدينك ربّاً ليس ربّ كمثله وتركك أوثان الطواغي كما هيا
وقد تدرك الإنسان رحمة ربّه ولو كان تحت الأرض ستّين واديا[1]

٢١ - **قب:** عن محمّد بن إسحاق مثله.

بيان: قوله: شامّ اليهودية، بتشديد الميم، قال الجزريّ: يقال شاممت فلاناً: إذا قاربته وتعرّفت ما عنده بالاختبار والكشف، وهي مفاعلة من الشمّ، كأنّك تشمّ ما عندك، ويشمّ ما عنده لتعملا بمقتضى ذلك انتهى.

واللّخم بالتحريك: وادٍ بالحجاز، وبسكون الخاء بلا لام حيّ باليمن.

٢٢ - **ك:** بهذا الإسناد عن محمّد بن إسحاق بن بشّار المدنيّ، عن محمّد بن جعفر بن الأثير، ومحمّد بن عبد الرحمان بن عبد الله بن الحصين التميميّ أنّ عمر بن الخطّاب وسعيد ابن زيد قالا: يا رسول الله تستغفر لزيد؟ قال: نعم فاستغفروا له، إنّه يبعث أُمّة واحدة[2].

٢٣ - **ك:** بالإسناد المتقدّم عن يونس بن بكير، عن المسعوديّ، عن نفيل بن هشام، عن أبيه أنّ جدّه سعيد بن زيد سأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن أبيه زيد بن عمر، فقال: يا رسول الله إنّ زيد بن عمرو كان كما رأيت وكما بلغك فلو أدركك لآمن بك، فأستغفر له؟ قال: نعم فاستغفر له، وقال: إنّه يجيء يوم القيامة أُمّة واحدة، وكان فيما ذكروا أنّه يطلب الدين فمات وهو في طلبه[3].

(١) كمال الدين، ص ١٩٢. (٢) - (٣) كمال الدين، ص ١٩١-١٩٣.

٢٤ - **ك**: أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير والبزنطيّ معاً، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: لمّا دعا رسول الله ﷺ بكعب بن أسد ليضرب عنقه فأُخرج وذلك في غزوة بني قريظة نظر إليه رسول الله ﷺ فقال له: يا كعب أما نفعك وصيّة ابن حواش الحبر المقبل من الشام؟ فقال: «تركت الخمر والخمير، وجئت إلى البؤس والتمور لنبيّ يبعث، هذا أوان خروجه، يكون مخرجه بمكّة، وهذه دار هجرته، وهو الضّحوك القتّال، يجتزئ بالكسرة والتميرات، ويركب الحمار العاري، في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوّة، يضع سيفه على عاتقه، لا يبالي بمن لاقى، يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر» قال كعب: قد كان ذلك يا محمّد، ولولا أنّ اليهود تعيّرني أنّي جبنت عند القتل لآمنت بك وصدّقتك، ولكنّي على دين اليهوديّة عليه أحيا وعليه أموت، فقال رسول الله ﷺ: قدّموه واضربوا عنقه، فقدّم وضربت عنقه(١).

٢٥ - **ص**: بالإسناد إلى الصّدوق بإسناده إلى ابن أُورمة، عن عيسى بن العبّاس، عن محمّد بن عبد الكريم التفليسيّ، عن عبد المؤمن بن محمّد رفعه قال: قال رسول الله ﷺ: أوحى الله تعالى جلّت عظمته إلى عيسى عليه السلام: جدّ في أمري ولا تترك، إنّي خلقتك من غير فحل آيةً للعالمين، أخبرهم آمنوا بي وبرسولي النبيّ الأمّي نسله من مباركة، وهي مع أُمّك في الجنّة طوبى لمن سمع كلامه، وأدرك زمانه، وشهد أيّامه. قال عيسى: يا ربّ وما طوبى؟ قال: شجرة في الجنّة تحتها عين، من شرب منها شربةً لم يظمأ بعدها أبداً، قال عيسى: يا ربّ اسقني منها شربةً؟ قال: كلا يا عيسى، إنّ تلك العين محرّمة على الأنبياء حتّى يشربها ذلك النبيّ، وتلك الجنّة محرّمة على الأمم حتّى يدخلها أُمّة ذلك النبيّ(٢).

٢٦ - **يج**: فصل ونذكر هاهنا شيئاً ممّا في الكتب المتقدّمة من ذكر نبيّنا، وكيف بشّرت الأنبياء قبله بألفاظهم، منها ألفاظ التوراة في هذا الباب في السفر الأوّل منه: إنّ الملك نزل على إبراهيم فقال له: إنّه يولد في هذا العالم لك غلام اسمه إسحاق فقال إبراهيم: ليت إسماعيل يعيش بين أيديك يخدمنّك، فقال الله لإبراهيم: لك ذلك، قد استجيب في إسماعيل وإنّي أبرّكه وآمنه وأُعظّمه بما استجبت فيه، وتفسير هذا الحرف محمّد، ويلد اثني عشر عظيماً، وأُصيّره لأُمّة كثيرة.

وقال في التوراة: إنّ الملك نزل على هاجر أُم إسماعيل وقد كانت خرجت مغاضبة لسارة وهي تبكي، فقال لها: ارجعي واخدمي مولاتك، واعلمي أنّك تلدين غلاماً يسمّى إسماعيل، وهو يكون معظّماً في الأُمم، ويده على كلّ يد.

ولم يكن ذلك لإسماعيل ولا لأحد من ولده غير نبيّنا.

وقال في التوراة: إنّ إبراهيم لمّا أخرج إسماعيل وأُمّه هاجر أصابهما عطش، فنزل

(١) كمال الدين، ص ١٩٣.
(٢) قصص الأنبياء، ص ٢٧.

عليهما ملك وقال لها : لا تهاوني بالغلام، وشدّي يديك به، فإنّي أريد أن أصيّره لأمر عظيم.

فإن قيل: هذا تبشير بملك وليس فيه ذكر نبوّة، قلنا : الملك ملكان: ملك كفر وملك هدى، ولا يجوز أن يبشّر الله إبراهيم عليه السلام وهاجر بظهور الكفر في ولدهما، ويصفه بالعظم. وقال في التوراة: أقبل من سيناء، وتجلّى من ساعير، وظهر من جبل فاران.

فسيناء: جبل كلّم الله عليه موسى، وساعير هو الجبل الّذي بالشام كان فيه عيسى، وجبل فاران مكّة. وفي التوراة: إنّ إسماعيل سكن بريّة فاران، ونشأ فيها، وتعلّم الرمي.

فذكر الله مع طور سيناء وساعير الّتي جاء منها بأنبيائه، ومجيء الله إتيان دينه وأحكامه، فلقد ظهر دين الله من مكّة وهي فاران، فأتمّ الله تعالى هذه المواعيد لإبراهيم عليه السلام بمحمّد صلى الله عليه وآله، فظهر دين الله في مكّة بالحجّ إليها، واستعلن ذكره بصراخ أصحابه بالتلبية على رؤوس الجبال وبطون الأودية، ولم يكن موجوداً إلا بمجيء محمّد صلى الله عليه وآله وغيره من ولد إسماعيل عبّاد أصنام، فلم يظهر الله بهم تبجيله.

ويدلّ على تأويلنا ما قال في كتاب حيقوق: سيّد يجيء من اليمن، يقدّس من جبل فاران، يغطي السماء بهاء، ويملأ الأرض نوراً، ويسيل الموت بين يديه، وينقر الطير بموضع قدميه.

وقال في كتاب حزقيل النبيّ لبني إسرائيل: إنّي مؤيّد بني قيدار بالملائكة، وقيدار جدّ العرب ابن إسماعيل لصلبه وأجعل الدين تحت أقدامهم فيريثونكم بدينهم، وليشمّون أنفسكم بالحميّة والغضب، ولا ترفعون أبصاركم ولا تنظرون إليهم، وجميع رضاي يصنعونه بكم.

وإن محمّداً أخرج إليهم بمن أطاعه من بني قيدار فيقتل مقاتليهم، وأيّدهم الله بالملائكة في بدر والخندق وحنين.

وقال في التوراة في السفر الخامس: إنّي أقيم لبني إسرائيل نبيّاً من إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي على فمه.

وإخوة بني إسرائيل ولد إسماعيل، ولم يكن في بني إسماعيل نبيّ مثل موسى، ولا أتى بكتاب ككتاب موسى غير نبيّنا صلى الله عليه وآله.

ومن قول حيقوق النبيّ ومن قول دانيال: جاء الله من اليمن، والتقديس من جبال فاران، فامتلأت الأرض من تحميد أحمد وتقديسه، وملك الأرض بهيبته.

وقال أيضاً: يضيء له نوره الأرض، وتحمل خيله في البرّ والبحر.

وقال أيضاً: ستنزع في قبيك أغرافاً، وترتوي السهام بأمرك، يا محمّد ارتواءً.

وهذا إيضاح باسمه وصفاته.

وفي كتاب شعيا النبيّ: عبدي خيرتي من خلقي، رضى نفسي أفيض عليه روحي، أو قال: أنزل فيظهر في الأمم عدلي، لا يسمع صوته في الأسواق، يفتح العيون العور، ويسمع

الآذان الصمّ، ولا يميل إلى اللّهو، ركن المتواضعين، وهو نور الله الّذي لا يُطفأ حتّى تثبت في الأرض حجّتي، وينقطع به العذر.

وقال في الفصل الخامس: أثر سلطانه على كتفه.

يعني علامة النبوّة، وكان على كتفه خاتم النبوّة.

وأعلامه في الزبور: قال داود في الزبور: سبّحوا الربّ تسبيحاً حديثاً، وليفرح إسرائيل بخالقه ونبوءة صهيون، من أجل أنّ الله اصطفى له أُمّته، وأعطاه النصر، وسدّد الصالحين منهم بالكرامة، يسبّحونه على مضاجعهم، وبأيديهم سيوف ذات شفرتين. لينتقم الله تعالى من الأُمم الّذين لا يعبدونه.

وفي مزمور آخر من الزبور: تقلّد أيّها الخيار السيف، فإنّ ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك، وسهامك مسنونة، والأُمم يجرون تحتك.

وفي مزمور آخر: إنّ الله أظهر من صهيون إكليلاً محموداً.

ضرب الإكليل مثلاً للرّئاسة والإمامة، ومحمود هو محمّد ﷺ.

وذكر أيضاً في صفته: ويجوز من البحر إلى البحر من لدن الأنهار إلى مقطع الأرض، وإنّه ليخرّ أهل الخزائن بين يديه، يأتيه ملوك الفرس، وتسجد له وتدين له الأُمم بالطاعة، ينقذ الضعيف، ويرقّ بالمساكين.

وفي مزمور آخر: اللّهمّ ابعث جاعل السنّة كي يعلم النّاس أنّه بشر.

هذا إخبار عن محمّد يخبر النّاس أنّ المسيح بشر.

وفي كتاب شعيا النبيّ: قيل لي: قم نظاراً فانظر ماذا ترى فخبّر به، فقلت: أرى راكبين مقبلين: أحدهما على حمار، والآخر على جمل، يقول أحدهما لصاحبه: سقطت بابل وأصنامها.

فكلّ أهل الكتاب يؤمن بهذه الكتب، وتنفرد النصارى بالإنجيل، وأعلامه في الإنجيل: قال المسيح للحواريّين: أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط بروح الحقّ الّذي لا يتكلّم من قبل نفسه، إنّما هو كما يقال له، ويشهد عليّ وأنتم تشهدون، لأنّكم معه من قبل النّاس، وكلّ شيء أعدّه الله لكم يخبركم به.

وفي حكاية يوحنا عن المسيح قال: الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب، فإذا جاء وبّخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه، ولكنّه يكلّمكم ممّا يسمع، وسيؤتيكم بالحقّ، ويخبركم بالحوادث والغيوب.

وقال في حكاية أُخرى: الفارقليط روح الحقّ الّذي يرسله باسمي، هو يعلّمكم كلّ شيء.

وقال: إنّي سائل ربّي أن يبعث إليكم فارقليط آخر يكون معكم إلى الأبد، وهو يعلمكم كلّ شيء.

وقال في حكاية أُخرى: ابن البشر ذاهب، والفارقليط يأتي بعده، يحيي لكم الأسرار، ويفسّر لكم كلّ شيء، وهو يشهد لي كما شهدت له، فإنّي أجيئكم بالأمثال، وهو يجيئكم بالتأويل.

ومن أعلامه في الإنجيل أنّه لمّا حبس يحيى بن زكريّا ليقتل بعث بتلاميذه إلى المسيح وقال لهم: قولوا: أنت هو الآتي أو نتوقّع غيرك؟ فأجابه المسيح وقال: الحقّ اليقين أقول لكم: إنّه لم تقم النساء عن أفضل من يحيى بن زكريّا، وإنّ التوراة وكتب الأنبياء يتلو بعضها بعضاً بالنبوّة والوحي حتّى جاء يحيى، فأمّا الآن فإن شئتم فاقبلوا أنّ الإليا متوقّع أن يأتي، فمن كانت له أُذنان سامعتان فليسمع.

روي أنّه كان فيه: إنّ أحمد متوقّع فغيّروا الاسم وجعلوا إليا لقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ وإليا هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقيل: إنّما ذكر إليا لأنّ عليّاً قدّام محمّد صلى الله عليه وآله في كلّ حرب وفي كلّ حال حتّى يوم القيامة، فإنّه صاحب رايته، وكان اسم محمّد بالسريانيّة مشفّحاً، ومشفّح هو محمّد بالعربيّة، وإنهم يقولون: شفّح لالاها: إذا أرادوا أن يقولوا: الحمد لله، وإذا كان الشّفح الحمد فمشفّح محمد.

وفي كتاب شعيا في ذكر الحجّ: ستمتلي البادية فتصفر لهم من أقاصي الأرض فإذا هم سراع يأتون، يبثّون تسبيحه في البرّ والبحر، يأتون من المشرق كالصعيد كثرة.

وقال شعيا: قال الربّ: ها أنا ذا مؤسس بصهيون من بيت الله حجراً، وفي رواية: مكرمةً، فمن كان مؤمناً فلا يستعجلنا.

وقال دانيال في الرؤيا الّتي رآها بخت نصّر ملك بابل وعبّرها: أيّها الملك رأيت رؤياً هائلة، رأيت صنماً بارع الجمال، قائماً بين يديك، رأسه من الذهب، وساعده من الفضّة، وبطنه وفخذه نحاس، وساقاه حديد، وبعض رجليه خزف، ورأيت حجراً صكّ رجليْ ذلك الصنم فدقّهما دقاً شديداً، فتفتّت ذلك الصنم كلّه حديده ونحاسه وفضّته وذهبه، وصار رفاتاً كدقاق البيدر، وعصفته الريح فلم يوجد له أثر، وصار ذلك الحجر الّذي دقّ الصنم جبلاً عالياً امتلأت منه الأرض، فهذه رؤياك، قال: نعم، ثمّ عبّرها له فقال: إنّ الرأس الّذي رأيت من الذهب مملكتك، فتقوم بعدك مملكة أُخرى دونك، والمملكة الثالثة التي تشبه النحاس تتسلّط على الأرض كلّها، والمملكة الرابعة قوّتها قوّة الحديد كما أنّ الحديد يدقّ كلّ شيء، وأمّا الرجل الّذي كان بعضها من حديد، وبعضها من خزف، فإنّ بعض تلك المملكة يكون عزّاً، وبعضها ذلاً، ويكون كلمة أهل المملكة متشتّة، ويقيم إله السماء في تلك الأيّام ملكاً عظيماً دائماً أبديّاً، لا يتغيّر ولا يتبدّل ولا يزول، ولا يدع لغيره من الأمم سلطاناً، ويقوم دهر الداهرين.

فتأويل الرؤيا بعث محمّد، تمزّقت الجنود لنبوّته، ولم ينتقض مملكة فارس لأحد قبله، وكان ملكها أعزّ ملوك الأرض وأشدّها شوكة، وكان أوّل ما بدا فيه انتقاص قتل شيرويه بن

أبرويز أباه، ثمّ ظهر الطاعون في مملكته وهلك فيه، ثمّ هلك ابنه أردشير، ثمّ ملك رجل ليس من أهل بيت الملك فقتلته بوران بنت كسرى، ثمّ ملك بعده رجل يقال له: كسرى بن قباد ولد بأرض الترك، ثمّ ملكت بوران بنت كسرى، فبلغ رسول الله ﷺ ملكها فقال: «لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة»، ثمّ ملكت بنت أخرى لكسرى فسمّت وماتت، ثمّ ملك رجل ثمّ قتل، فلمّا رأى أهل فارس ما هم فيه من الانتشار أمّروا ابن لكسرى يقال له: يزدجرد فملكوه عليهم، فأقام بالمدائن على الانتشار ثماني سنين، وبعث إلى الصّين بأمواله، وخلّف أخاً بالمدائن لرستم فأتى لقتال المسلمين، ونزل بالقادسيّة، وقتل بها، فبلغ ذلك يزدجرد فهرب إلى سجستان وقتل هناك.

وقال في التوراة: أحمد عبدي المختار، لا فظ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيّئة السيّئة، ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكّة، وهجرته طيبة، وملكه بالشام، وأمّته الحامدون، يحمدون الله على كلّ نجد، ويسبّحونه في كلّ منزل، ويقومون على أطرافهم وهم رعاة الشمس، موذّنهم في جو السماء، صفّهم في الصلاة وصفّهم في القتال سواء، رهبان باللّيل، أسد بالنهار، لهم دويّ كدويّ النحل، يصلّون الصّلاة حيثما أدركهم الصلاة.

وممّا أوحى الله إلى آدم: أنا الله ذو بكّة، أهلها حبرتي، وزوّارها وفدي وأضيافي، أعمره بأهل السماء وأهل الأرض، يأتونه أفواجاً شعثاً غبراً، يعجّون بالتكبير والتلبية، فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارني، وهو وفد لي، ونزل بي، وحق لي أن أتحفه بكرامتي، أجعل ذلك البيت ذكره وشرفه ومجده وسناءه لنبيّ من ولدك يقال له: إبراهيم، أبني له قواعده، وأجري على يديه عمارته، وأنبط له سقايته، وأريه حلّه وحرمه، وأعلمه مشاعره، ثمّ يعمره الأمم والقرون حتّى ينتهي إلى نبيّ من ولدك يقال له: محمّد وهو خاتم النبيّين، فأجعله من سكّانه وولاته.

ومن أعلامه اسمه، إنّ الله حفظ اسمه حتّى لم يسمّ باسمه أحد قبله صيانة من الله لاسمه، ومنع منه كما فعل بيحيى بن زكريّا، ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾، وكما فعل بإبراهيم وإسحاق ويعقوب وصالح وأنبياء كثيرة منع من مسمّاتهم قبل مبعثهم ليعرفوا به إذا جاءوا، ويكون ذلك أحد أعلامهم.

وعن سراقة بن جعشم قال: خرجت رابع أربعة، فلمّا قدمنا الشام نزلنا على غدير فيه شجرات وقربه قائم لديرانيّ، فأشرف علينا قال: من أنتم؟ قلنا: قوم من مضر، قال: من أيّ المضرين؟ قلنا: من خندف، قال: أما إنّه سيبعث فيكم وشيكاً نبيّ اسمه محمّد، فلمّا صرنا إلى أهلنا ولد لكلّ رجل منّا غلام فسمّاه محمداً، وهذا أيضاً من أعلامه[1].

٢٧ - **يج:** روي أنّ تبّع بن حسّان سار إلى يثرب وقتل من اليهود ثلاثمائة وخمسين رجلاً

(١) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٧٣ ح ١٣٢.

صبراً، وأراد خرابها فقام إليه رجل من اليهود له مأتان وخمسون سنة، وقال: أيّها الملك مثلك لا يقبل قول الزور، ولا يقتل على الغضب، وإنك لا تستطيع أن تخرب هذه القرية، قال: ولِم؟ قال: لأنّه يخرج منها من ولد إسماعيل نبيّ يظهر من هذه البنيّة - يعني البيت الحرام - فكفّ تبّع ومضى يريد مكّة ومعه اليهود، وكسا البيت وأطعم النّاس، وهو القائل:[1]

شهدت على أحمد أنه ... رسول من الله باريء النسم
فلو مد عمري إلى عمره ... لكنت وزيراً له وابن عمّ

ويقال: هو تبّع الأصغر، وقيل: هو الأوسط.

٢٨ - **يج:** روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: فنشأ رسول الله صلى الله عليه وآله في حجر أبي طالب، فبينما هو غلام يجيء بين الصفا والمروة إذ نظر إليه رجل من أهل الكتاب فقال: ما اسمك؟ قال: اسمي محمّد، قال: ابن من؟ قال: ابن عبد الله، قال: ابن من؟ قال: ابن عبد المطّلب، قال: فما اسم هذه؟ وأشار إلى السماء، قال: السماء، قال: فما اسم هذه؟ وأشار إلى الأرض، قال: الأرض، قال: فمن ربّهما؟ قال: الله، قال: فهل لهما ربّ غيره؟ قال: لا، ثمّ إنّ أبا طالب خرج به معه إلى الشام في تجارة قريش فلمّا انتهى به إلى بصرى وفيها راهب لم يكلّم أهل مكّة، إذا مرّوا به، ورأى علامة رسول الله صلى الله عليه وآله في الركب، فإنّه رأى غمامة تظلّه في مسيره، ونزل تحت شجرة قريبة من صومعته، فثنّيت أغصان الشجرة عليه، والغمامة على رأسه بحالها، فصنع لهم طعاماً، واجتمعوا إليه، وتخلّف النبيّ محمّد، فلمّا نظر بحيراء الراهب إليهم ولم ير الصفة الّتي يعرف قال: : فهل تخلّف منكم أحد؟ قالوا: لا واللّات والعزّى إلا صبيّ، فاستحضره فلمّا لحظ إليه نظر إلى أشياء من جسده قد كان يعرفها من صفته، فلمّا تفرّقوا قال: يا غلام أتخبرني عن أشياء أسألك عنها؟ قال: سل، قال: أُنشدك باللّات والعزّى إلا أخبرتني عمّا أسألك عنه، وإنّما أراد أن يعرف، لأنّه سمعهم يحلفون بهما، فذكروا أنّ النبيّ قال له: لا تسألني باللّات والعزّى، فإنّي والله لم أبغض بغضهما شيئاً قطّ، قال: فوالله لأخبرتني عمّا أسألك عنه؟ قال: فجعل يسأله عن حاله في نومه وهيئته في أُموره فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره، فكان يجده موافقة لمّا عنده، فقال له: اكشف عن ظهرك، فكشف عن ظهره فرأى خاتم النبوّة بين كتفيه على الموضع الّذي يجده عنده، فأخذه الأفكل وهو الرعدة واهتزّ الديرانيّ فقال: من أبو هذا الغلام؟ قال أبو طالب: هو ابني، قال: لا والله لا يكون أبوه حيّاً، قال أبو طالب: إنّه هو ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وهو ابن شهرين قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلادك، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأته وعرفوا منه الّذي عرفته ليبغنّه شرّاً، فخرج أبو طالب فردّه إلى مكّة[2].

٢٩ - **يج:** روى أنّ قريشاً أرسلت النضر بن الحارث وعلقمة بن أبي معيط بيثرب إلى

---

(١) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٨١ ح ١٣٣. (٢) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٧١ ح ١٣٠.

اليهود، فقالوا لهما: إذا قدمتما عليهم فاسألوهم عنه، فلمّا قدما سألوهم، فقالوا: صفوا لنا صفته، فوصفوه، قالوا: ومن تبعه؟ قالوا: سفلتنا، فصاح حبر منهم ثمّ قال: هذا النبيّ الّذي نجد نعته في التوراة، ونجد قومه أشدّ النّاس عداوة له(١).

٣٠ - يج: روى أنّ سيف بن ذي يزن حين ظهر بالحبشة وفد عليهم قريش، وفيهم عبد المطّلب، فسأله عن محمّد سرّاً، فأخبره به، ثمَّ بعد مدّة طويلة دخلوا عليه فسألهم عنه ووصف لهم صفته فأقرّوا جميعاً أنّ هذه الصفة في محمّد، فقال: هذا أوان مبعثه، ومستقرّه يثرب، وموته بها(٢).

٣١ - يج: روى عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه قال: إنّ الله أمر نبيّه أنّ يدخل الكنيسة ليدخل رجل الجنّة، فلمّا دخلها ومعه جماعة فإذا هو بيهود يقرأون التوراة، وقد وصلوا إلى صفة النبيّ ﷺ، فلمّا رأوه أمسكوا، وفي ناحية الكنيسة رجل مريض، فقال النبيّ ﷺ: ما لكم أمسكتم؟ فقال المريض: إنّهم أتوا على صفة النبيّ ﷺ فأمسكوا، ثمَّ جاء المريض يجثو حتّى أخذ التوراة فقرأها حتّى أتى على آخر صفة النبيّ وأمّته، فقال هذه صفتك وصفة أُمّتك، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، ثمَّ مات، فقال النبيّ ﷺ: ولّوا أخاكم(٣).

٣٢ - يج: روى عن بعضهم قال: حضرت سوق بصرى فإذا راهب في صومعة يقول: سلوا أهل هذا الموسم هل فيكم أحد من أهل الحرم؟ قالوا نعم، فقالوا: سلوه هل ظهر أحمد بن عبد المطّلب؟ فهذا هو الشهر الّذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، ومخرجه من الحرم، ومهاجرته إلى نخل وحرّة وسباخ. قال الراوي: فلمّا رجعت إلى مكّة قلت: هل هاهنا من حدث؟ قالوا: أتانا محمّد بن عبد الله الأمين(٤).

٣٣ - يج: روى عن زيد بن سلام أنّ جدّه أبا سلام حدّثه أنّ رسول الله ﷺ بينما هو في البطحاء قبل النبوّة فإذا هو برجلين عليهما ثياب سفر، فقالا: السّلام عليك، فقال لهما النبي ﷺ: وعليكما السلام، فقال أحدهما لصاحبه: لا إله إلا الله ما لقيت أحداً منذ ولدتني أُمي يردّ السلام قبلك، وقال الآخر: سبحان الله ما لقيت رجلاً يسلّم منذ ولدتني أمّي، فقال له الراكب: هل في القرية رجل يدعى أحمد؟ فقال: ما فيها أحمد ولا محمّد غيري، قال: من أهلها أنت؟ قال: نعم من أهلها، وولدت فيها، فضرب ذراع راحلته وأناخها، ثمّ كشف عن كتف رسول الله ﷺ حتّى نظر إلى الخاتم الذي بين كتفيه، فقال: أشهد أنّك رسول الله، وتبعث بضرب رقاب قومك، فهل من زاد تزوّدني؟ فأتاه بخبز وتميرات، فجعلهنّ في ثوبه حتّى أتى صاحبه، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتّى حمل لي

---

(١) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١١٤ ح ١٨٨. (٢) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١١٤ ح ١٩٠.
(٣) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٢٤ ح ٢٠٨. (٤) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٢٥ ح ٢٠٩.

نبيّ الله الزاد في ثوبه، ثمّ قال النبيّ ﷺ: هل من حاجة سوى هذا؟ قال: تدعو الله أن يعرّف بيني وبينك يوم القيامة، فدعا له، ثمّ انطلق.

وفي كتب الله المتقدّمة: لمّا خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس، فقال له ربّه: قل الحمد لله، ثمّ قال له ربّه: يرحمك ربّك، ائت أولئك الملأ من الملائكة وقل لهم: السّلام عليكم، فقالوا: وعليك السّلام ورحمة الله وبركاته، ثمّ قال له ربّه: هذه تحيّتك وتحيّة ذرّيتك[١].

٣٤ - **يج:** روي أنّه سئل ابن عبّاس: بلغنا أنّك تذكر سطيحاً وتزعم أنّ الله خلقه ولم يخلق من ولد آدم شيئاً يشبهه، قال: نعم، إنّ الله خلق سطيحاً الغسّانيّ لحماً على وضم، والوضم شرائح من جرائد النخل، وكان يحمل على وضم، ويؤتى به حيث يشاء، ولم يكن فيه عظم ولا عصب إلا الجمجمة والعنق، وكان يطوى من رجليه إلى ترقوته، كما يطوى الثوب، ولم يكن يتحرّك منه شيء سوى لسانه، فلمّا أراد الخروج إلى مكّة حمل على وضمة فأتي به مكّة، فخرج إليه أربعة من قريش فقالوا: أتيناك لنزورك لما بلغنا من علمك، فأخبرنا عمّا يكون في زماننا، وما يكون من بعد، قال: يا معشر العرب لا علم عندكم ولا فهم، وينشأ من عقبكم دهم، يطلبون أنواع العلم، يكسرون الصنم، ويقتلون العجم، ويطلبون المغنم، قالوا: يا سطيح من يكونون أولئك؟ قال: والبيت ذي الأركان لينشأنّ من عقبكم ولدان يوحّدون الرّحمان، ويتركون عبادة الشيطان، قالوا: فمن نسل من يكونون أولئك؟ قال: أشرف الأشراف من عبد مناف، قالوا: من أي بلدة يخرج؟ قال: والباقي الأبد ليخرجنّ من ذا البلد، يهدي إلى الرشد، يعبد ربّاً انفرد[٢].

بيان: قال الجوهريّ: الوضم: كلّ شيء يجعل عليه اللّحم من خشب أو بارية يوقى به من الأرض وقال: الدّهم: العدد الكثير.

٣٥ - **يج:** روي أنّ عبد المطّلب قدم اليمن فقال له حبر من أهل الزّبور: أتأذن لي أن أنظر إلى بعضك؟ قال: نعم إلا إلى عورة، ففتح إحدى منخريه فنظر فيه، ثمّ نظر في الأُخرى، فقال: أشهد أنّ في إحدى يديك الملك، وفي الأُخرى النبوّة، وإنا نجد في بني زهرة فكيف ذلك، قال: قلت: لا أدري قال: هل من شاعة؟ قلت: ما الشّاعة؟ قال: الزوجة، قال: فإذا رجعت فتزوّج منهم، فرجع إلى مكّة فتزوّج هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة[٣].

٣٦ - **يج:** روي أنّ بعد مولد النبيّ ﷺ بسنتين أتت أشراف العرب سيف بن ذي يزن الحميريّ، لمّا ظهر على الحبشة، وفد عليه قريش للتّهنئة، وفيهم عبد المطّلب، وقال: أيّها الملك سلفك خير سلف، وأنت لنا خير خلف، قال: من أنت؟ قال: عبد المطّلب بن

(١) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٢٦ ح ٢١٠. (٢) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٢٧ ح ٢١٢.
(٣) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٢٨ ح ٢١٣.

هاشم، قال: ابن أختنا، ثمّ أدناه، وقال: إنّي مفض إليك خيراً عظيماً، يولد نبيّ أو قد ولد، اسمه محمّد، الله باعثه جهاراً، وجاعل له منّا أنصاراً، فقال عبد المطّلب: كان لي ابن زوجته كريمة فجاءت بغلام سميته محمداً، ثمّ أمر لكلّ قرشي بنعمة عظيمة، ولعبد المطلب بأضعافها عشرة، وهم يغبطونه بها، فقال: لو علمتم بفخري وذكري لغبطتم به(١).

٣٧ - **يج**: روي أنّ جبير بن مطعم قال: كنت آذى قريش بمحمّد، فلمّا ظننت أنّهم سيقتلونه خرجت حتّى لحقت بدير، فأقاموا لي الضيافة ثلاثاً، فلمّا رأوني لا أخرج قالوا: إنّ لك لشأناً؟ قلت، إنّي من قرية إبراهيم، وابن عمّي يزعم أنّه نبي، فآذاه قومه فأرادوا قتله فخرجت لئلا أشهد ذلك، فأخرجوا إليّ صورة، قلت: ما رأيت شيئاً أشبه بشيء من هذه الصورة بمحمّد، كأنّه طوله وجسمه، وبعد ما بين منكبيه، فقالوا: لا يقتلونه، وليقتلنّ من يريد قتله، وإنّه لنبيّ، وليظهرنّه الله، فلمّا قدمت مكّة إذا هو خرج إلى المدينة، وسئلوا من أين لكم هذه الصورة؟ قالوا: إنّ آدم عليه السلام سأل ربّه أن يريه الأنبياء من ولده، فأنزل عليه صورهم، وكان في خزانة آدم عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من هناك فدفعها إلى دانيال(٢).

٣٨ - **يج**: من معجزاته صلى الله عليه وآله حديث كعب بن مانع بينما هو في مجلس ورجل من القوم معهم يحدّث أصحابه يقول: رأيت في النوم أنّ النّاس حشروا، وأن الأمم تمرّ كل أمّة مع نبيّها، ومع كلّ نبيّ نوران يمشي بينهما، ومع كلّ من اتّبعه نور يمشي به حتّى مرّ محمّد صلى الله عليه وآله في أمّته، فإذا ليس معه شعرة إلا وفيها نوران من رأسه وجلده، ولا من اتبعه من أمّته إلا ومعه نوران مثل الأنبياء فقال كعب: والتفت إليهما ما هذا الّذي يحدث به؟ فقال: رؤيا رأيتها، فقال: والّذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحقّ إنّه لفي كتاب الله كما رأيت(٣).

٣٩ - **يج**: روي أنّ زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل خرجا يلتمسان الدين حتّى انتهيا إلى راهب بالموصل، فقال لزيد: من أين أقبلت يا صاحب البعير؟ قال: من بنيّة إبراهيم قال: وما تلتمس؟ قال: الدين، قال: ارجع فإنّه يوشك أن يظهر الّذي تطلب في أرضك، فرجع يريد مكّة حتّى إذا كان بأرض لخم عدوا عليه فقتلوه، وكان يقول: أنا على دين إبراهيم عليه السلام، وأنا ساجد على نحو البنية الّتي بناها إبراهيم عليه السلام، وكان يقول: إنا ننتظر نبيّاً من ولد إسماعيل من ولد عبد المطّلب(٤).

٤٠ - **يج**: روي عن جرير بن عبد الله البجلي قال: بعثني النبيّ صلى الله عليه وآله بكتابه إلى ذي الكلاع وقومه، فدخلت عليه فعظّم كتابه وتجهّز وخرج في جيش عظيم، وخرجت معه، فبينما نسير إذ رفع إلينا دير راهب، فقال: أريد هذا الراهب، فلمّا دخلنا عليه سأله أين تريد؟

(١) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٢٩ ح ٢١٥. (٢) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٣٠ ح ٢١٦.
(٣) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٣٦ ح ٢٢٢. (٤) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٣٥ ح ٢٢١.

قال: هذا النبيّ الّذي خرج في قريش، وهذا رسوله، قال الراهب: لقد مات هذا الرسول، فقلت: من أين علمت بوفاته؟ قال: إنّكم قبل أن تصلوا إليّ كنت أنظر في كتاب دانيال، مررت بصفة محمّد ونعته وأيّامه وأجله، فوجدت أنّه توفّي في هذه الساعة، فقال ذو الكلاع: أنا أنصرف، قال جرير: فرجعت فإذا رسول الله توفّي ذلك اليوم[١].

٤١ - **قب:** قال داود في زبوره: اللّهمّ ابعث مقيم السنّة بعد الفترة.

وقال عيسى في الإنجيل: إنّ البرّ ذاهب، والبارقليطا جائي من بعده، وهو يخفّف الآصار، ويفسّر لكم كلّ شيء ويشهد لي كما شهدت له، أنا جئتكم بالأمثال، وهو يأتيكم بالتأويل[٢].

٤٢ - **د، قب:** كان كعب بن لؤيّ بن غالب يجتمع إليه النّاس في كلّ جمعة، وكانوا يسمّونها عروبة، فسمّاه كعب يوم الجمعة، وكان يخطب فيه النّاس ويذكر فيه خبر النبيّ آخر خطبته كلّما خطب، وبين موته والفيل خمسمأة وعشرون سنة فقال: أما والله لو كنت فيها ذا سمع وبصر ويد ورجل لتنصّبت فيها تنصّب الجمل، ولأرقلت فيها إرقال الفحل، ثمّ قال:

يا ليتني شاهد فحوى دعوته حين العشيرة تبغي الحقّ خذلانا[٣]

بيان: قوله: لتنصّبت، أي حمّلت النصب والتعب، أو انتصبت وقمت بخدمته. والإرقال: الإسراع.

٤٣ - وروى محمّد بن مسعود الكازرونيّ في كتاب المنتقى بإسناده عن أبي سلمة قال: كان كعب بن لؤيّ بن غالب يجمع قومه يوم الجمعة، وكانت قريش تسمّي الجمعة عروبة، فيخطبهم فيقول: أمّا بعد فاسمعوا وتعلّموا، وافهموا واعلموا، ليل ساج، ونهار ضاح والأرض مهاد، والسماء بناء والجبال أوتاد، والنجوم أعلام، والأوّلون كالآخرين، والأنثى والذكر زوج، فصلوا أرحامكم، واحفظوا أظهاركم، وثمروا أولادكم، فهل رأيتم من هالك رجع؟ أو ميّت نشر؟ الدّار أمامكم، وأظنّ غير ما تقولون، عليكم بحرمكم زيّنوه وعظّموه وتمسّكوا به، فسيأتي له نبأ عظيم، وسيخرج منه نبيّ كريم، ثمّ يقول:

نهار وليل كلّ أوب بحادث سواء علينا ليلها ونهارها
يؤوبان بالأحداث حين تأوّبا وما للفم الضافي عليها ستورها
على غفلة يأتي النبيّ محمد فيخبر أخباراً صدوقاً خبيرها

ثمّ يقول: والله لو كنت فيها لتنصّبت فيها تنصّب الجمل، وأرقلت فيها إرقال الفحل، قال أهل العلم: إنّما ذكر كعب صفة النبيّ صلى الله عليه وآله ونبوّته من صحف إبراهيم عليه السلام.

---

(١) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٥١٧ ح ٢٧. (٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٣٧.
(٣) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٣٨.

٤٤ - د، قب: كان تبع الأوّل من الخمسة الّتي كانت لهم الدنيا بأسرها، فسار في الآفاق، وكان يختار من كلّ بلدة عشرة أنفس من حكمائهم فلمّا وصل إلى مكّة كان معه أربعة آلاف رجل من العلماء، فلم يعظّمه أهل مكّة، فغضب عليهم وقال لوزيره عمياريسا في ذلك، فقال الوزير: إنّهم جاهلون ويعجبون بهذا البيت، فعزم الملك في نفسه أن يخربها ويقتل أهلها، فأخذه الله بالصّدام، وفتح عن عينيه وأُذنيه وأنفه وفمه ماء منتناً عجزت الأطباء عنه، وقالوا: هذا أمر سماويّ، وتفرّقوا. فلمّا أمسى جاء عالم إلى وزيره وأسرّ إليه إن صدق الأمير بنيّته عالجته، فاستأذن الوزير له فلمّا خلا به قال له: هل أنت نويت في هذا البيت أمراً؟ قال: كذا وكذا، فقال العالم: تب من ذلك ولك خير الدنيا والآخرة، فقال: قد تبت ممّا كنت نويت فعوفي في الحال، فآمن بالله، وبإبراهيم الخليل عليه‌السلام، وخلع على الكعبة سبعة أثواب، وهو أوّل من كسا الكعبة، وخرج إلى يثرب، ويثرب هي أرض فيها عين ماء، فاعتزل من بين أربعة آلاف رجل عالم أربعمأة رجل عالم على أنّهم يسكنون فيها، وجاءوا إلى باب الملك، وقالوا: إنّا خرجنا من بلداننا وطفنا مع الملك زماناً وجئنا إلى هذا المكان ونريد المقام إلى أن نموت فيه، فقال الوزير: ما الحكمة في ذلك؟ قالوا: اعلم أيّها الوزير أنّ شرف هذا البيت بشرف محمّد صاحب القرآن والقبلة واللّواء والمنبر. مولده بمكّة، وهجرته إلى هاهنا، إنّا على رجاء أن ندركه أو تدركه أولادنا، فلمّا سمع الملك ذلك تفكّر أن يقيم معهم سنة رجاء أن يدرك محمداً صلى‌الله‌عليه‌وآله، وأمر أن يبنوا أربع مأة دارلكلّ واحد دار، وزوّج كلّ واحد منهم بجارية معتقة، وأعطى لكلّ واحد منهم مالاً جزيلاً[1].

بيان: قال الفيروزآباديّ: الصدام ككتاب: داء في رؤوس الدوابّ.

٤٥ - د، قب: روى ابن بابويه في كتاب النبوّة أنّه قال أبو عبد الله عليه‌السلام: إنّ تبّعاً قال للأوس والخزرج: كونوا هاهنا حتّى يخرج هذا النبيّ، أمّا أنا لو أدركته لخدمته ولخرجت معه.

وروى أنّه قال:

قالوا بمكّة بيت مال داثر	وكنوزه من لؤلؤ وزبرجد
بادرت أمراً حال ربّي دونه	والله يدفع عن خراب المسجد
فتركت فيه من رجالي عصبة	نجباء ذوي حسب وربّ محمد

وكتب كتاباً إلى النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله يذكر فيه إيمانه وإسلامه، وأنّه من أُمّته فليجعله تحت شفاعته، وعنوان الكتاب: إلى محمّد بن عبد الله، خاتم النبيّين، ورسول ربّ العالمين من تبّع الأوّل، ودفع الكتاب إلى العالم الّذي نصح له، وسار حتى مات بغلسان بلد من بلاد الهند، وكان بين موته ومولد النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ألف سنة، ثمّ إنّ النبيّ لمّا بعث وآمن به أكثر أهل المدينة أنفذوا

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٣٩.

الكتاب إليه على يد أبي ليلى، فوجد النبيّ ﷺ في قبيلة بني سليم فعرفه رسول الله ﷺ، فقال له: أنت أبو ليلى؟ قال: نعم، قال: ومعك كتاب تبّع الأوّل؟ فتحيّر الرجل؟ فقال: هات الكتاب، فأخرجه ودفعه إلى رسول الله ﷺ فدفعه النبيّ إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقرأه عليه، فلمّا سمع النبيّ ﷺ كلام تبّع قال: مرحباً بالأخ الصالح ثلاث مرّات، وأمر أبا ليلى بالرجوع إلى المدينة[1].

٤٦ - **قب:** أبو بكر البيهقيّ في دلائل النبوّة أنّه قال: قال راهب لطلحة في سوق بصرى: هل ظهر أحمد فهذا شهره الّذي يظهر فيه، في كلام له.

وقال عفكلان الحميريّ لعبد الرحمان بن عوف: ألا أبشّرك ببشارة وهي خير لك من التجارة؟ أنبّئك بالمعجبة وأبشرك بالمرغبة، إنّ الله قد بعث في الشهر الأوّل من قومك نبيّاً ارتضاه، وصفيّاً أنزل عليه كتاباً، جعل له ثواباً، ينهى عن الأصنام، ويدعو إلى الإسلام أخفّ الوقفة، وعجّل الرجعة، وكتب إلى النبيّ ﷺ:

أشهد بالله ربّ موسى ... أنك أُرسلت بالبطاح
فكن شفيعي إلى مليك ... يدعو البرايا إلى الفلاح

فلمّا دخل على النبيّ ﷺ قال: أحملت إليّ وديعة أم أرسلك إليّ مرسل برسالة؟ فهاتها.

وبشّر أوس بن حارثة بن ثعلبة قبل مبعثه بثلاثمائة عام، وأوصى أهله باتّباعه في حديث طويل، وهو القائل:

إذا بعث المبعوث من آل غالب ... بمكّة فيما بين زمزم والحجر
هنالك فاشروا نصره ببلادكم ... بني عامر إنّ السعادة في النصر

وفيه يقول النبيّ ﷺ: رحم الله أوساً مات في الحنيفيّة، وحث على نصرتنا في الجاهليّة[2].

د: وبشّر أوس بن حارثة وذكر نحوه[3]. .

٤٧ - **قب:** ذكر الماورديّ أنّ عبد المطّلب رأى في منامه كأنّه خرج من ظهره سلسلة بيضاء، لها أربعة أطراف: طرف قد أخذ المغرب، وطرف أخذ المشرق، وطرف لحق بأعنان السماء، وطرف لحق بثرى الأرض، فبينما هو يتعجّب إذ التفت الأنوار فصارت شجرة خضراء، مجمعة الأغصان، متدلّية الأثمار، كثيرة الأوراق، قد أخذ أغصانها أقطار الأرض في الطول والعرض، ولها نور قد أخذ الخافقين، وكأنّي قد جلست تحت الشجرة

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٣٩. (٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٤٧.
(٣) العدد القوية: ص ١١٢.

وبإزائي شخصان بهيّان وهما نوح وإبراهيم عليهما السلام، قد استظلّا به، فقصّ ذلك على كاهن ففسّره بولادة النبيّ صلى الله عليه وآله[1].

٤٨ - قب: المفسّرون عن عبد الله بن عبّاس في قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ أنّه كانت لهم في كلّ سنة رحلتان باليمن والشام، فكان من وقاية أبي طالب أنّه عزم على الخروج في ركب من قريش إلى الشام تاجراً سنة ثمان من مولده، أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله بزمام ناقته وقال: يا عمّ على من تخلّفني ولا أب لي ولا أم؟ وكان قيل لي: ما يفعل به في هذا الحرّ وهو غلام صغير؟! فقال: والله لأخرجنّ به ولا أفارقه أبداً[2].

٤٩ - شي: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فقال: كانت اليهود تجد في كتبها أنّ مهاجر محمّد صلى الله عليه وآله ما بين عير وأحد، فخرجوا يطلبون الموضع، فمرّوا بجبل تسمّى حداد، فقالوا: حداد وأحد سواء، فتفرّقوا عنده، فنزل بعضهم بفدك، وبعضهم بخيبر، وبعضهم بتيماء، فاشتاق الّذين بتيماء إلى بعض إخوانهم، فمرّ بهم أعرابيّ من قيس فتكاروا منه، وقال لهم: أمرّ بكم ما بين عير وأحد، فقالوا له: إذا مررت بهما فأرناهما، فلمّا توسّط بهم أرض المدينة قال لهم: ذاك عير، وهذا أحد، فنزلوا عن ظهر إبله فقالوا له: قد أصبنا بغيتنا فلا حاجة لنا في إبلك، فاذهب حيث شئت، وكتبوا إلى إخوانهم الّذين بفدك وخيبر أنّا قد أصبنا الموضع فهلمّوا إلينا، فكتبوا إليهم: إنّا قد استقرّت بنا الدار، واتّخذنا الأموال، وما أقربنا منكم، وإذا كان ذلك فما أسرعنا إليكم، فاتّخذوا بأرض المدينة الأموال، فلمّا كثرت أموالهم بلغ تبّع فغزاهم فتحصنوا منه فحاصرهم، وكانوا يرقّون الضعفاء أصحاب تبّع فيلقون إليهم باللّيل التمر والشعير، فبلغ ذلك تبّع فرقّ لهم وآمنهم، فنزلوا إليه، فقال لهم: إنّي قد استطبت بلادكم ولا أراني إلاّ مقيماً فيكم، فقالوا له: إنّه ليس ذلك لك، إنّها مهاجر نبيّ، وليس ذلك لأحد حتّى يكون ذلك، فقال لهم: فإنّي مخلف فيكم من أسرتي من إذا كان ذلك ساعده ونصره، فخلّف فيهم حين بوّأهم الأوس والخزرج، فلمّا كثروا بها كانوا يتناولون أموال اليهود، فكانت اليهود يقول لهم: أما لو بعث محمّد لنخرجنكم من ديارنا وأموالنا، فلمّا بعث الله محمّداً عليه الصلاة والسّلام آمنت به الأنصار، وكفرت به اليهود، وهو قول الله: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ - إلى - فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[3].

كا: محمّد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن الأهوازيّ، عن النضر، عن زرعة، عن أبي بصير مثله. «الروضة ح ٤٨١».

٥٠ - شي: عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قوله: ﴿يَجِدُونَهُۥ﴾ يعني اليهود

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٤٩. (٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٦٥.
(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٦٨ ح ٦٩ من سورة البقرة.

والنصارى صفة محمّد واسمه ﴿مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(١).

٥١ - جا: الحسين بن محمّد التمّار، عن محمّد بن القاسم الأنباريّ، عن حميد بن محمّد ابن حميد، عن محمّد بن نعيم العبديّ، عن أبي عليّ الرواسيّ عبد الله، عن عبيد بن سميع، عن الكلبيّ، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس قال: لمّا قدم على النبيّ ﷺ وفد إياد قال لهم: ما فعل قسّ بن ساعدة؟ كأنّي أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل أورق، وهو يتكلّم بكلام عليه حلاوة ما أجدني أحفظه، فقال رجل من القوم: أنا أحفظه يا رسول الله، سمعته وهو يقول بسوق عكاظ: أيّها النّاس اسمعوا وعوا، واحفظوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكلّ ما هو آتٍ آتٍ، ليل داج، وسماء ذات أبراج، وبحار ترجرج، ونجوم تزهر، ومطر ونبات، وآباء وأمّهات، وذاهب وآتٍ، وضوء وظلام، وبرّ وأثام، ولباس ورياش، ومركب ومطعم ومشرب. إنّ في السّماء لخبراً، وإنّ في الأرض لعبراً، ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا بالمقام هناك فأقاموا، أم تركوا فناموا؟ يقسم بالله قسّ بن ساعدة قسماً برًّا لا إثم فيه ما لله على الأرض دين أحبّ إليه من دين قد أظلّكم زمانه، وأدرككم أوانه، طوبى لمن أدرك صاحبه فبايعه، وويل لمن أدركه ففارقه، ثمّ أنشأ يقول:

في الذاهبين الأوّلين من القرون لنا بصائر ... لمّا رأيت مواراداً للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمضي الأصاغر والأكابر ... لا يرجع الماضي إليك ولا من الماضين غابر
أيقنت أنّي لا محالة حيث صار القوم صائر

فقال رسول الله ﷺ: يرحم الله قسّ بن ساعدة، إنّي لأرجو أن يأتي يوم القيامة أمّة وحده، فقال رجل من القوم: يا رسول الله لقد رأيت من قسّ عجباً، قال: وما الّذي رأيت؟ قال: بينما أنا يوماً بجبل في ناحيتنا يقال له: سمعان في يوم قائظ شديد الحرّ إذا أنا بقسّ بن ساعدة في ظلّ شجرة عندها عين ماء، وإذا حواليه سباع كثيرة، وقد وردت حتّى تشرب من الماء، وإذا زأر سبع منها على صاحبه ضربه بيده، وقال: كفّ حتّى يشرب الّذي ورد قبلك، فلمّا رأيته وما حوله من السباع هالني ذلك ودخلني رعب شديد، فقال لي: لا بأس عليك، لا تخف إن شاء الله، وإذا أنا بقبرين بينهما مسجد، فلمّا أنست به قلت: ما هذان القبران؟ قال: قبر أخوين كانا لي يعبدان الله في هذا الموضع معي، فماتا فدفنتهما في هذا الموضع، واتّخذت فيما بينهما مسجداً أعبد الله فيه حتّى ألحق بهما، ثم ذكر أيّامهما وفعالهما فبكى ثمّ قال:

خليليّ هبّا طال ما قد رقدتما ... أجدكما لا تقضيان كراكما
ألم تعلما أنّي بسمعان مفرد ... وما لي بهما ممّن حببت سواكما

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٥ ح ٨٧ من سورة الأعراف.

أقيم على قبريكما لست بارحاً طوال اللّيالي أو يجيب صداكما
أبكّيكما طول الحياة وما الّذي يردّ على ذي عولة إن بكاكما
كأنّكما والموت أقرب غاية بروحي في قبري كما قد أتاكما
فلو جعلت نفس لنفس وقاية لجدت بنفسي أن أكون فداكما[1]

بيان: قوله ﷺ: ما أجدني لعلّه كان في الأصل ما أجودني فصحّف، ويحتمل أن يكون قال ذلك على جهة المصلحة ليسمع الناس من القوم، والزئير: صوت الأسد من صدره، وقد زأر كضرب ومنع وسمع، والهبّ: الانتباه من النوم، ونشاط كلّ سائر وسرعته. والكرى: النوم.

وقال الجوهريّ: الصدى: الّذي يجيبك بمثل صوتك في الجبال وغيرها، يقال: صمّ صداه، وأصمّ الله صداه أي أهلكه، لأنّ الرجل إذا مات لم يسمع الصدى منه شيئاً فيجيبه.

وقال الفيروزآباديّ: الصدى: الجسد من الآدميّ بعد موته. وطائر يخرج من رأس المقتول إذا بلي بزعم الجاهليّة انتهى. وما في البيت يحتمل المعنيين، وعلى التقديرين (أو) بمعنى (إلى أن) أي أقيم على قبريكما إلى أن تحيا وتجيباني.

٥٢ - **نجم:** وجدت في كتاب درّة الإكليل تأليف محمّد بن أحمد بن عمرو بن حسين القطيعيّ في الجزء الثالث منه عند قوله: مفاريد الأسماء على التقييد، فذكر في ترجمة عبد الأوّل بن عيسى بن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق الشجريّ الأصل الهرويّ المولد الصوفيّ الشيخ الثقة أبي الوقت بن أبي عبد الله حديث دلالة النجوم عند هرقل ملك الروم على نبوّة نبيّنا محمّد صلوات الله عليه وعلى آله، والحديث طويل يتضمّن سؤال هرقل لبعض قريش عن صفات النبيّ ﷺ، ولفظ كتاب النبيّ ﷺ إلى هرقل، ثمّ قال ما هذا لفظه: وكان ابن الناطور صاحب إيليا وهرقل أسقفاً على نصارى الشام يحدّث أنّ هرقل حين قدم إيليا أصبح يوماً خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك، قال ابن الناطور: وكان هرقل جيّداً ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إنّي رأيت اللّيلة حين نظرت ملك قد ظهر من مختتن هذه الأُمّة، قالوا: ليس مختتن إلا اليهود فلا يهمّنك شأنهم، واكتب إلى مدائن ملكك يقتلون من بهم من اليهود، فبينا هم على أمرهم إذ أتى هرقل برجل أرسل إليه ملك غسّان يخبر عن رسول الله ﷺ، فلمّا استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا، فنظروا فحدّثوه أنّه مختتن، وسأله عن العرب فقال: هم يختتنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأُمّة قد ظهر، ثمّ كتب إلى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص فلم يرم حمص حتّى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبيّ ﷺ أنّه نبيّ، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ثمّ أمر بأبوابها فغلقت، ثمّ اطلع فقال: يا معشر

(١) أمالي المفيد، ص ٣٤١.

الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فبايعوا هذا الرجل، فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلمّا رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردّوهم عليّ، وقال: إنّي قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدّتكم على دينكم وقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل[١].

بيان: قوله: فلم يرم حمص، أي لم يبرحه ولم يزل عنه، من رام يريم، والدسكرة: القرية، والصومعة. وحاص عنه يحيص حيصاً وحيصة: عدل وحاد.

٥٣ - **كا:** عليّ عن أبيه، عن صفوان بن يحيى، عن إسحاق بن عمّار قال: سالت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ قال: كان قوم فيما بين محمّد صلى الله عليه وآله وعيسى عليه السلام وكانوا يتوعّدون أهل الأصنام بالنبيّ صلى الله عليه وآله، ويقولون: ليخرجنّ نبيّ فليكسرنّ أصنامكم، وليفعلنّ بكم وليفعلنّ، فلمّا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله كفروا به[٢].

٥٤ - **د:** البشائر به: من ذلك بشائر موسى في السفر الأوّل، وبشائر إبراهيم عليه السلام في السفر الثاني، وفي السفر الخامس عشر، وفي الثالث والخمسين من مزامير داود عليه السلام، وبشائر عويديا وحيقوق وحزقيل ودانيال وشعيا، وقال داود في زبوره: اللّهمَّ ابعث مقيم السنّة بعد الفترة.

وقال عيسى عليه السلام في الإنجيل: إنّ البرّ ذاهب، والبارقليطا جائي من بعده، وهو يخفّف الآصار، ويفسّر كلّ شيء، ويشهد لي كما شهدت له، أنا جئتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل[٣].

٥٥ - **كنز الكراجكي:** قال: ذكر الرواة من أهل العلم أنّ ربيعة بن نصر رأى رؤياً هالته، فبعث في أهل مملكته فلم يدع كاهناً ولا ساحراً ولا قائفاً ولا منجماً إلا أحضره إليه، فلمّا جمعهم قال لهم: إنّي قد رأيت رؤياً هالتني، فأخبروني بتأويلها، قالوا: اقصصها علينا لنخبرك بتأويلها، قال: إنّي إن أخبرتكم بها لم أطمئنّ إلى خبركم عن تأويلها، إنّه لا يعرف تأويلها إلا من يعرفها قبل أن أُخبره بها، فلمّا قال لهم ذلك قال رجل من القوم: إن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيح وشق، فإنّه ليس أحد أعلم منهما فهما يخبرانك بما سألت، فلمّا قيل له ذلك بعث إليهما، فقدم عليه سطيح قبل شقّ، ولم يكن في زمانهما مثلهما من الكهان، فلمّا قدم عليه سطيح دعاه فقال له: يا سطيح إنّي قد رأيت رؤياً هالتني وفظعت بها، فأخبرني بها، فإنّك إن أصبتها أصبت تأويلها، قال: أفعل، رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة، فأكلت منها كلّ ذات جمجمة، قال له الملك: ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح،

---

(١) فرج المهموم: ص ٣٠.
(٢) روضة الكافي، ص ٨١٨ ح ٤٨٢.
(٣) العدد القوية، ص ١١١.

فما عندك في تأويلها؟ فقال: أحلف بما بين الحرّتين من حنش، ليهبطنّ أرضكم الحبش، فليملكنّ ما بين أنين إلى جرش، قال له الملك: وأبيك يا سطيح إنّ هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن يا سطيح؟ أفي زماني أم بعده؟ قال: لا بل بعده بحين أكثر من ستّين أو سبعين يمضين من السنين، ثمّ يقتلون بها أجمعون ويخرجون منها هاربين، قال الملك: من ذا الّذي يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم؟ قال: يليه إرم ذي يزن، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك منهم أحداً باليمن، قال: أفيدوم ذلك من سلطانه أو ينقطع؟ قال: بل ينقطع قال: ومن يقطعه؟ قال: نبيّ زكيّ، يأتيه الوحي من قبل العليّ، قال: وممّن هذا النبيّ؟ قال: رجل من ولد غالب ابن فهر بن مالك بن النضر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر، قال: وهل للدّهر يا سطيح من آخر؟ قال: نعم يوم يجمع فيه الأوّلون والآخرون، ويسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون، قال: أحقٌّ ما تخبرنا يا سطيح؟ قال: نعم والشفق والفلق، واللّيل إذا اتّسق، إنّ ما أنبأتك به لحقّ، فلمّا فرغ قدم عليه شقّ فدعاه فقال له: يا شقّ إنّي رأيت رؤياً هالتني وفظعت بها، فأخبرني عنها، فإنّك إن أصبتها أصبت تأويلها كما قال لسطيح، وقد كتمه ما قال سطيح لينظر أيتفقان أم يختلفان، قال: نعم رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كلّ ذات نسمة، قال له الملك: ما أخطأت منها، فما عندك في تأويلها؟ قال: أحلف بما بين الحرّتين من إنسان، لينزلنّ أرضكم الحبشان، فليغلبنّ على كلّ طفلة البنان، وليملكنّ ما بين أنين إلى نجران، فقال له الملك: وأبيك إنّ هذا لنا لغائظ موجع، فمتى كائن أفي زماني أم بعده؟ قال: بعده بزمان، ثمّ يستنقذكم منهم عظيم الشأن. ويذيقهم أشدّ الهوان، قال: ومن هذا العظيم الشأن؟ قال: غلام ليس بدنيّ ولا مدن، يخرج من بيت ذي يزن، قال: فهل يدوم سلطانه أو ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول مرسل، يأتي بالحقّ والعدل، بين أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل، قال: وما يوم الفصل؟ قال: يوم يجزى فيه الولاة، يدعى فيه من السماء بدعوات، يسمع منها الأحياء والأموات، ويجمع النّاس للميقات، يكون فيه لمن اتّقى الفوز والخيرات، قال: أحقّ ما تقول يا شقّ؟ قال: إي وربّ السماء والأرض، وما بينهما من رفع وخفض، إنّما أنبأتك لحقّ ما فيه أمض[1].

بيان: قال في النهاية: قيل: الحنش: ما أشبه رأسه رؤوس الحيّات من الوزغ والحرباء وغيرهما، وقيل: الأحناش: هوامّ الأرض، ومنه حديث سطيح: أحلف بما بين الحرّتين من حنش، وفي القاموس: الجرش: بالتحريك: بلد بالأردن، وقال: أمض كفرح: لم يبال من المعاتبة، وعزيمته ماضية في قلبه، وكذا إذا أبدى لسانه غير ما يريده.

٥٦ - **كنز الكراجكي:** روى أنّ رجلاً حدّث رسول الله صلى الله عليه وآله فقال في حديثه: خرجت

(١) كنز الفوائد، ج ١ ص ١٩٣.

في طلب بعير لي ضلّ، فوجدته في ظلّ شجرة يهشّ من ورقها، فدنوت منه فزممته واستويت على كوره، ثمّ اقتحمت وادياً فإذا أنا بعين خرّارة، وروضة مدهامّة، وشجرة عادية، وإذا أنا بقسّ قائماً يصلّي بين قبرين، قد اتّخذ له بينهما مسجداً، قال: فلمّا انفتل من صلاته قلت له: ما هذان القبران؟ فقال: هذان قبرا أخوين كانا لي، يعبدان الله عزّوجلّ معي في هذا المكان، فأنا أعبد الله بينهما إلى أن ألحق بهما، قال: ثمّ التفت إلى القبرين فجعل يبكي وهو يقول:

خليليّ هبّا طال ما قد رقدتما ... أجدكما أم تقضيان كراكما
أرى خللاً في الجلد والعظم منكما ... كأن الّذي يسقي العقار سقاكما
ألم تعلما أنّي بسمعان مفرد ... وما لي بسمعان حبيب سواكما
فلو جعلت نفس لنفس فدائها ... لجدت بنفسي أن تكون فداكما

قال: فقلت له: فلم لا تلحق بقومك فتكون معهم في خيرهم وشرّهم؟ فقال: ثكلتك أمك، أما علمت أنّ ولد إسماعيل تركوا دين أبيهم، واتبعوا الأضداد، وعظموا الأنداد، قلت: فما هذه الصلاة الّتي لا تعرفها العرب؟ فقال: أصليها لإلّه السماء فقلت: وللسّماء إله غير اللّات والعزّى؟ فأسقط وامتقع لونه، وقال: إليك عنّي يا أخا إياد، إنّ للسّماء إلهاً هو الّذي خلقها، وبالكواكب زيّنها، وبالقمر المنير أشرقها، أظلم ليلها، وأضحى نهارها، وسوف تعمّهم من هذه الرحمة - وأومأ بيده نحو مكّة - برجل أبلج من ولد لؤيّ بن غالب يقال له: محمّد، يدعو إلى كلمة الإخلاص، ما أظنّ أنّي أدركه، ولو أدركت أيّامه لصفقت بكفّي على كفه، ولسعيت معه حيث يسعى، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: رحم الله أخي قسّاً يحشر يوم القيامة أمّة وحده[1].

بيان: قال في النهاية: في حديث قسّ ذكر العقار، وهو بالضمّ من أسماء الخمر، وفي القاموس: العقار بالضمّ: الخمر لمعاقرته، أي ملازمته الدنّ، أو لعقرها شاربها عن المشي.

٥٧ - **أقول:** وجدت في كتاب سليم بن قيس عن أبان بن أبي عيّاش عنه قال: أقبلنا من صفّين مع أمير المؤمنين عليه السلام فنزل العسكر قريباً من دير نصرانيّ، إذ خرج علينا من الدير شيخ جميل حسن الوجه، حسن الهيئة والسمت، معه كتاب في يده، حتّى أتى أمير المؤمنين عليه السلام فسلّم عليه بالخلافة، فقال عليّ عليه السلام: مرحباً يا أخي شمعون بن حمون، كيف حالك رحمك الله؟ فقال: بخير يا أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، ووصيّ رسول ربّ العالمين، إنّي من نسل رجل من حواريّي عيسى بن مريم عليه السلام.

وفي رواية أخرى: أنا من نسل حواريّي أخيك عيسى بن مريم عليه السلام.

من نسل شمعون بن يوحنّا، وكان أفضل حواريّي عيسى بن مريم عليه السلام الإثني عشر،

(١) كنز الفوائد، ج ٢ ص ١٣٥.

وأحبّهم إليه، وآثرهم عنده، وإليه أوصى عيسى عليه السلام، وإليه دفع كتبه وعلمه وحكمته، فلم يزل أهل بيته على دينه متمسّكين عليه لم يكفروا ولم يبدّلوا ولم يغيّروا، وتلك الكتب عندي إملاء عيسى بن مريم عليه السلام، وخطّ أبينا بيده، وفيه كلّ شيء يفعل النّاس من بعده ملك ملك وما يملك، وما يكون في زمان كلّ ملك منهم حتّى يبعث الله رجلاً من العرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الله، من أرض تدعى تهامة، من قرية يقال لها: مكّة، يقال له: أحمد، الأنجل العينين، المقرون الحاجبين، صاحب الناقة والحمار، والقضيب والتاج، يعني العمامة، له اثنا عشر اسماً، ثمّ ذكر مبعثه ومولده وهجرته، ومن يقاتله ومن ينصره ومن يعاديه، وكم يعيش، وما تلقى أمّته بعده إلى أن ينزل الله عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، فذكر في ذلك الكتاب ثلاثة عشر رجلاً من ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الله صلّى الله عليهم هم خير من خلق الله، وأحبّ من خلق الله إلى الله، وأنّ الله وليّ من والاهم، وعدوّ من عاداهم، من أطاعهم اهتدى، ومن عصاهم ضلّ، طاعتهم لله طاعة ومعصيتهم لله معصية، مكتوبة فيه أسماؤهم وأنسابهم ونعتهم، وكم يعيش كلّ رجل منهم واحد بعد واحد، وكم رجل منهم يستر أدلّة للناس حتّى ينزل الله عيسى عليه السلام على آخرهم، فيصلّي عيسى عليه السلام خلفه، ويقول: إنّكم أئمّة لا ينبغي لأحد أن يتقدّمكم، فيتقدّم فيصلّي بالناس، وعيسى عليه السلام خلفه في الصفّ، أوّلهم وأفضلهم وخيرهم، له مثل أجورهم، وأجور من أطاعهم، واهتدى بهداهم، أحمد رسول الله صلى الله عليه وآله، واسمه محمّد، وياسين، والفتّاح، والختام، والحاشر، والعاقب، والماحي.

وفي نسخة أخرى: مكان الماحي الفتّاح والقائد، وهو نبيّ الله، وخليل الله، وحبيب الله، وصفيّه وأمينه وخيرته، يرى تقلّبه في الساجدين.

وفي نسخة أخرى: يراه تقلّبه في الساجدين، يعني في أصلاب النبيّين.

ويكلّمه برحمته، فيذكر إذا ذكر وهو أكرم خلق الله على الله، وأحبّهم إلى الله، لم يخلق الله خلقاً ملكاً مقرّباً ولا نبيّاً مرسلاً آدم فمن سواه خيراً عند الله ولا أحبّ إلى الله منه، يقعده يوم القيامة على عرشه، ويشفّعه في كلّ من شفع فيه، باسمه جرى القلم في اللّوح المحفوظ، في أمّ الكتاب، ثمّ أخوه صاحب اللواء إلى يوم المحشر الأكبر، ووصيّه ووزيره وخليفته في أمّته، وأحبّ خلق الله إلى الله بعده عليّ بن أبي طالب عليه السلام. وليّ كلّ مؤمن بعده، ثمّ أحد عشر إماماً من ولد محمّد وولد الأوّل: اثنان منهم سميّا ابني هارون: شبّر وشبير. وفي نسخة أخرى: ثمّ أحد عشر من ولد ولده: أوّلهم شبّر، والثاني شبير، وتسعة من شبير، واحد بعد واحد.

وفي نسخة الأولى: وتسعة من ولد أصغرهما وهو الحسين، واحد بعد واحد، آخرهم الّذي يصلّي عيسى بن مريم عليه السلام خلفه، فيه تسمية كلّ من يملك منهم، ومن يستتر بدينه، ومن يظهر، فأوّل من يظهر منهم يملأ جميع بلاد الله قسطاً وعدلاً، ويملك ما بين المشرق والمغرب حتّى يظهره الله على الأديان كلها.

فلما بعث النبيّ ﷺ وأبي حيّ صدّق به وآمن به، وشهد أنّه رسول الله ﷺ، وكان شيخاً كبيراً لم يكن به شخوص فمات، وقال: يا بنيّ إنّ وصيّ محمّد ﷺ وخليفته الّذي اسمه في هذا الكتاب ونعته سيمرّ بك إذا مضى ثلاثة من أئمّة الضلالة، يسمّون بأسمائهم وقبائلهم، فلان وفلان وفلان، ونعتهم، وكم يملك كلّ واحد منهم، فإذا مرّ بك فاخرج إليه وبايعه وقاتل معه عدوّه، فانّ الجهاد معه كالجهاد مع محمّد ﷺ، والموالي له كالموالي لمحمّد ﷺ، والمعادي له كالمعادي لمحمّد ﷺ، وفي هذا الكتاب يا أمير المؤمنين اثنى عشر إماماً من قريش، ومن قومه من أئمّة الضلالة يعادون أهل بيته، ويدعون حقّهم، ويمنعونهم منه، ويطردونهم، ويتبرّأون منهم، ويخيفونهم، مسمّون واحداً واحداً بأسمائهم ونعتهم، وكم يملك كلّ واحد منهم وما يلقى منهم ولدك وأنصارك وشيعتك من القتل والحرب والبلاء والخوف، وكيف يديلكم الله منهم ومن أوليائهم وأنصارهم، وما يلقون من الذّل والحرب والبلاء والخزي والقتل والخوف منكم أهل البيت، يا أمير المؤمنين ابسط يدك أبايعك بأنّي أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وأشهد أنّك خليفة رسول الله ﷺ في أُمّته، ووصيّه وشاهده على خلقه، وحجّته في أرضه، وأنّ الإسلام دين الله، وأني أبرأ من كلّ دين خالف دين الإسلام، فإنّه دين الله الّذي اصطفاه لنفسه، ورضيه لأوليائه، وإنّه دين عيسى ابن مريم عليه السلام ومن كان قبله من أنبياء الله ورسله، وهو الّذي دان به من مضى من آبائي، وإنّي أتولّاك وأتولّى أولياءك، وأبرأ من عدوّك، وأتولّى الأئمّة من ولدك، وأبرأ من عدوّهم وممّن خالفهم وبرئ منهم وادّعى حقّهم، وظلمهم من الأوّلين والآخرين، ثمّ تناول يده فبايعه، ثم قال له أمير المؤمنين عليه السلام: ناولني كتابك، فناوله إياه، وقال عليّ عليه السلام لرجل من أصحابه: قم مع الرجل فأحضر ترجماناً يفهم كلامه فلينسخه لك بالعربيّة، فلمّا أتاه به قال لابنه الحسن: يا بنيّ أئتني بالكتاب الّذي دفعته إليك، يا بني اقرأه، وانظر أنت يا فلان في نسخة هذا الكتاب فإنّه خطّي بيدي، وإملاء رسول الله ﷺ، فقرأه فما خالف حرفاً واحداً ليس فيه تقديم ولا تأخير، كأنّه إملاء رجل واحد على رجلين، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: الحمد لله الّذي لو شاء لم تختلف الأُمّة ولم تفترق، والحمد لله الّذي لم ينسني، ولم يضع أمري، ولم يخمل ذكري عنده وعند أوليائه، إذ صغر وخمل عنده ذكر أولياء الشيطان وحزبه، ففرح بذلك من حضر من شيعة عليّ عليه السلام وشكر كثير ممّن حوله حتّى عرفنا ذلك في وجوههم وألوانهم(١).

٥٨ - وقال السيّد ابن طاوس روّح الله روحه في كتاب سعد السعود: وجدت في صحف إدريس النبيّ عليه السلام فيما خاطب الله به إبليس وأنظره إلى يوم الوقت المعلوم، قال: وانتخبت لذلك الوقت عباداً لي امتحنت قلوبهم للإيمان - إلى أن قال -: أُولئك أوليائي، اخترت لهم

(١) سليم بن قيس، ص ١٣٩.

نبيّاً مصطفى، وأميناً مرتضى، فجعلته لهم نبيّاً ورسولاً، وجعلتهم له أولياءً وأنصاراً، تلك أمّة اخترتها لنبيّي المصطفى، وأميني المرتضى، ثمّ قال: ونظر آدم إلى طائفة من ذرّيّته يتلألأ نورهم، قال آدم: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأنبياء من ذرّيّتك، قال: يا ربّ فما بال نور هذا الأخير ساطعاً على نورهم جميعاً؟ قال: لفضله عليهم جميعاً، قال: ومن هذا النبيّ يا ربّ؟ وما اسمه؟ قال: هذا محمّد نبيّي ورسولي وأميني ونجيبي ونجيّي وخيرتي وصفوتي وخالصتي وحبيبي وخليلي وأكرم خلقي عليّ، وأحبّهم إليّ، وآثرهم عندي، وأقربهم منّي، وأعرفهم لي، وأرجحهم حلماً وعلماً وإيماناً ويقيناً وصدقاً وبرّاً وعفافاً وعبادة وخشوعاً وورعاً وسلماً وإسلاماً، أخذت له ميثاق حملة عرشي فما دونهم من خلائقي في السّماوات والأرض بالإيمان به، والإقرار بنبوّته، فآمن به يا آدم تزدد منّي قربة ومنزلة وفضلاً ونوراً ووقاراً، قال: آمنت بالله، ورسوله محمّد ﷺ، قال الله: قد أوجبت لك يا آدم وقد زدتك فضلاً وكرامة، وأنت يا آدم أوّل الأنبياء والرسل، وابنك محمّد خاتم الأنبياء والرسل، وأوّل من تنشقّ عنه الأرض يوم القيامة، وأوّل من يكسى ويحمل إلى الموقف، وأوّل شافع، وأوّل مشفّع، وأوّل قارع لأبواب الجنان، وأوّل من يفتح له، وأوّل من يدخل الجنّة، وقد كنيتك به، فأنت أبو محمد، فقال آدم: الحمد لله الّذي جعل من ذرّيّتي من فضله بهذه الفضائل، وسبقني إلى الجنّة، ولا أحسده، ثمّ ذكر ما نقله الراونديّ عن التوراة والإنجيل، وبسط الكلام فيها، وإنّما تركناه مخافة التطويل، ثمّ قال: رأيت في السورة السابعة عشر من الزبور: داود اسمع ما أقول، ومُر سليمان يقول بعدك: إنّ الأرض أورثها محمّداً وأمته، وهم خلافكم، ولا تكون صلاتهم بالطنابير، ولا يقدّسون الأوتار، فازدد من تقديسك، وإذا زمرتم بتقديسي فأكثروا البكاء بكلّ ساعة، وساعة لا تذكرني فيها عدمتها من ساعة. انتهى[1].

٥٩ - **أقول:** وروى محمّد بن مسعود الكازرونيّ بإسناده إلى الأعمش، عن أبي صالح، عن كعب قال: نجد مكتوباً محمّد رسول الله، لا فظّ ولا غليظ، ولا صخّاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيّئة السيّئة، ولكن يعفو ويغفر، أمّته الحامدون، يكبّرون الله على كلّ نجد، ويحمدونه في كلّ منزل، يتأزّرون على أنصافهم، ويتوضّأون على أطرافهم، مناديهم يناديهم في جوّ السماء، صفّهم في القتال وصفّهم في الصلاة سواء، لهم باللّيل دويّ كدويّ النحل، مولده بمكّة، ومهاجره بطابة، وملكه بالشام.

أقول: وذكر بشائر كثيرة في كتابه لا نطيل الكلام بإيرادها، وفي ما ذكرناه كفاية.

٦٠ - مقتضب الأثر في النصّ على الاثني عشر لأحمد بن محمّد بن عيّاش، عن محمّد بن لاحق بن سابق الأنباريّ، عن جدّه سابق بن قرين، عن هشام بن محمّد بن السائب الكلبيّ، عن أبيه، عن الشرقيّ بن قطامي، عن تميم بن وهلة المرّيّ، عن الجارود بن المنذر العبدي

(١) سعد السعود، ص ٤٨.

وكان نصرانيّاً فأسلم عام الحديبيّة وحسن إسلامه، وكان قارئاً للكتب، عالماً بتأويلها على وجه الدهر وسالف العصر، بصيراً بالفلسفة والطبّ، ذا رأي أصيل، ووجه جميل، أنشأ يحدّثنا في إمارة عمر بن الخطّاب قال: وفدت على رسول الله ﷺ في رجال من عبد القيس ذوي أحلام وأسنان، وفصاحة وبيان، وحجّة وبرهان، فلمّا بصروا به ﷺ راعهم منظره ومحضره، وأفحموا عن بيانهم وعنّ بهم العرواء في أبدانهم، فقال زعيم القوم لي: دونك من أقمت بنا أممه، فما نستطيع كلمة، فاستقدمت دونهم إليه ووقفت بين يديه، وقلت: السلام عليك يا نبيّ الله، بأبي أنت وأمّي، ثمّ أنشأت أقول «شعر»:

يا نبيّ الهدي أتتك رجال	قطعت فردداً وآلاً فآلا
جابت البيد والمهامه حتى	غالها من طوي السرى ما غالا
قطعت دونك الصحاصح تهوي	لا تعدّ الكلال فيك كلالا
كلّ دهناء تقصر الطرف عنها	أرقلتها قلاصنا إرقالا
وطوتها العتاق تجمح فيها	بكماة مثل النجوم تلالا
ثمّ لمّا رأتك أحسن مرأى	أفحمت عنك هيبة وجلالا
تتّقي شرّ بأس يوم عصيب	هائل أوجل القلوب وهالا
ونداءً لمحشر النّاس طرّاً	وحساباً لمن تأدّى ضلالا
نحو نور من الإله وبرهان	وبرّ ونعمة لن تنالا
وأمان منه لدى الحشر والنشر	إذ الخلق لا يطيق السؤالا
فلك الحوض والشفاعة والكوثر	والفضل إذ ينص السؤالا
فلك الحوض خصّك يابن آمنة	الخير إذا ما تلت سجال سجالا
أنبأ الأوّلون باسمك فينا	وبأسماء بعده تتتالا

فأقبل عليّ رسول الله بصفحة وجهه المبارك شمت منه ضياءً لامعاً ساطعاً كوميض البرق، فقال: يا جارود لقد تأخّر بك وبقومك الوعد - وقد كنت وعدته قبل عامي ذلك أن أفد إليه بقومي فلم آته، وأتيته في عام الحديبيّة - فقلت: يا رسول الله بأبي أنت ما كان إبطائي عنك إلا أنّ جلّه قومي أبطأوا عن إجابتي حتّى ساقها الله إليك لمّا أراد لها به إليك من الخير، فأمّا من تأخّر فحظّه فات منك، فتلك أعظم حوبة، وأكبر عقوبة، ولو كانوا ممّن سمع بك أو رآك لما ذهبوا عنك، فإنّ برهان الحقّ في مشهدك محتدك، وقد كنت على دين النصرانيّة قبل أتيتي إليك الأولى، فها أنا تاركه بين يديك، إذ ذلك ممّا يعظّم الأجر، ويمحو المآثم والحوب، ويرضي الربّ عن المربوب، فقال رسول الله ﷺ: أنا ضامن لك يا جارود، قلت: أعلم يا رسول الله أنّك مذ كنت ضمين قمين، قال: فدن الآن بالوحدانيّة، ودع عنك النصرانيّة، قلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّك عبده ورسوله، ولقد أسلمت على علم بك ونبإ فيك، علمته من قبل، فتبسّم ﷺ كأنّه علم ما أردته من الإنباء فيه، فأقبل عليّ وعلى

قومي، فقال: أفيكم من يعرف قسّ بن ساعدة الإياديّ؟ قلت: يا رسول الله كلّنا نعرفه، غير أنّي من بينهم عارف بخبره، واقف على أثره، كان قسّ بن ساعدة يا رسول الله سبطاً من أسباط العرب، عمر خمسمأة عام، تقفر منها في البراري خمسة أعمار، يضجّ بالتسبيح على منهاج المسيح، لا يقرّه قرار، ولا يكنّه جدار، ولا يستمع منه جار، لا يفتر من الرهبانيّة، ويدين الله بالوحدانيّة، يلبس المسوح ويتحسّى في سياحته بيض النعام، ويعتبر بالنور والظلام، يبصر فيتفكّر، ويفكّر فيختبر، يضرب بحكمته الأمثال، أدرك رأس الحواريّين شمعون، وأدرك لوقا ويوحنّا، وفقه منهم، تحوّب الدهر، وجانب الكفر، وهو القائل بسوق عكاظ وذي المجاز: شرق وغرب، ويابس ورطب، وأجاج وعذب، وحبّ ونبات، وجمع أشتات، وذهاب وممات، وآباء وأمهات، وسرور مولود، ورزء مفقود نبأ لأرباب الغفلة، ليصلحنّ العامل عمله قبل أن يفقد أجله، كلّا بل هو الله الواحد، ليس بمولود ولا والد، أمات وأحيا، وخلق الذكر والأنثى، وهو ربّ الآخرة والأولى، ثمّ أنشد (شعر) كلمه له:

ذكر القلب من جواه اذكار ... وليال خلا لهنّ نهار
وشموس تحتها قمر ... الليل وكلّ متابع موّار
وجبال شوامخ راسيات ... وبحار مياههنّ غزار
وصغير وأشمط ورضيع ... كلّهم في الصعيد يوماً بوار
كلّ هذا هو الدليل على الله ... ففيه لنا هدىً واعتبار

ثمّ صاح: يا معشر إياد فأين ثمود؟ وأين عاد؟ وأين الآباء والأجداد؟ وأين العليل والعوّاد؟ وأين الطالبون والروّاد؟ كلّ له معاد، أقسم قسّ بربّ العباد، وساطح المهاد، وخالق سبع الشداد، سماوات بلا عماد، ليحشرنّ على الانفراد، وعلى قرب وبعاد، إذا نفخ في الصّور، ونقر في الناقور، وأشرقت الأرض بالنور، فقد وعظ الواعظ، وانتبه القايظ، وأبصر اللّاحظ، ولفظ اللّافظ، فويل لمن صدف عن الحقّ الأشهر، وكذب بيوم المحشر، والسراج الأزهر، في يوم الفصل، وميزان العدل، ثمّ أنشأ يقول:

يا ناعي الموت والأموات في جدث ... عليهم من بقايا بزّهم خرق
منهم عراة وموتى في ثيابهم ... منها الجديد ومنها الأورق الخلق
دعهم فإنّ لهم يوماً يصاح بهم ... كما ينبّه من رقداته الصعق
حتّى يجيئوا بحال غير حالهم ... خلق مضوا ثمّ ماذا بعد ذاك لقوا

ثمّ أقبلت على اصحابه فقلت: على علم به آمنتم قبل مبعثه، كما آمنت به أنا، فنصّت إلى رجل منهم وأشارت إليه وقالوا: هذا صاحبه وطالبه على وجه الدهر، وسالف العصر، وليس فينا خير منه، ولا أفضل، فبصرت به أغرّ أبلج، قد وقذته الحكمة، أعرف ذلك في أسارير وجهه، وإن لم أحط علماً بكنهه، قلت: ومن هو؟ قالوا: هذا سلمان الفارسيّ، ذو البرهان

العظيم، والشأن القديم، فقال سلمان: عرفته يا أخا عبد القيس من قبل إتيانه، فأقبلت على رسول الله ﷺ وهو يتلألأ ويشرق وجهه نوراً وسروراً، فقلت: يا رسول الله إنّ قسّاً كان ينتظر زمانك، ويتوكّف إبّانك، ويهتف باسمك وأبيك وأمّك، وبأسماء لست أصيبها معك، ولا أراها فيمن اتّبعك، قال سلمان: فأخبرنا فأنشأت أحدّثهم ورسول الله ﷺ يسمع والقوم سامعون واعون، قلت: يا رسول الله لقد شهدت قسّاً خرج من ناد من أندية إياد، إلى صحصيح ذي قتاد، وسمرة وعاد وهو مشتمل بنجاد، فوقف في أضحيان ليل كالشمس، رافعاً إلى السماء وجهه وإصبعه فدنوت منه فسمعته يقول: اللّهمّ ربّ هذه السبعة الأرقعة، والأرضين الممرعة، وبمحمّد والثلاثة المحامدة معه، والعليّين الأربعة، وسبطيه التبعة والأرفعة الفرعة، والسريّ اللامعة، وسميّ الكليم الضرعة أولئك النقباء الشفعة، والطريق المهيعة، درسة الإنجيل، وحفظة التنزيل، على عدد النقباء من بني إسرائيل، محاة الأضاليل، ونفاة الأباطيل، الصادقو القيل، عليهم تقوم الساعة، وبهم تنال الشفاعة، ولهم من الله فرض الطاعة، ثمّ قال اللّهمّ ليتني مدركهم ولو بعد لأي من عمري ومحياي، ثمّ أنشأ يقول:

متى أنا قبل الموت للحقّ مدرك ... وإن كان لي من بعد هاتيك مهلك
وإن غالني الدهر الخؤون بغوله ... فقد غال من قبلي ومن بعد يوشك
فلا غرو إنّي سالك مسلك الأولى ... وشيكاً ومن ذا للرّدى ليس يسلك

ثمّ آب يكفكف دمعه، ويرنّ رنين البكرة، وقد برئت ببراة وهو يقول:

أقسم قسّ قسماً، ليس به مكتتما ... لو عاش ألفي سنة، لم يلق منها سأما
حتّى يلاقي أحمداً، والنقباء الحكما ... هم أوصياء أحمد، أكرم من تحت السما
يعمى العباد عنهم وهم جلاء للعمى ... لست بناس ذكرهم حتّى أحلّ الرجما

ثمّ قلت: يا رسول الله أنبئني أنبأك الله بخير عن هذه الأسماء الّتي لم نشهدها وأشهدنا قسّ ذكرها، فقال رسول الله ﷺ: يا جارود ليلة أسري بي إلى السماء أوحى الله عزّوجلّ إليّ أن سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا على ما بعثوا، فقلت: على ما بعثتم؟ قالوا: على نبوّتك، وولاية عليّ بن أبي طالب والأئمّة منكما، ثمّ أوحى إليّ أن التفت عن يمين العرش، فالتفتُّ فإذا عليّ، والحسن، والحسين، وعليّ بن الحسين، ومحمّد بن عليّ، وجعفر بن محمّد، وموسى بن جعفر، وعليّ بن موسى، ومحمّد بن عليّ، وعليّ بن محمّد، والحسن بن عليّ، والمهديّ، في ضحضاح من نور يصلّون، فقال الربّ تعالى: هؤلاء الحجج لأوليائي، وهذا المنتقم من أعدائي، قال الجارود: فقال سلمان: يا جارود هؤلاء المذكورون في التوراة والإنجيل والزبور كذلك، فانصرفت بقومي وقلت في توجّهي إلى قومي:

أتيتك يا بن آمنة الرسولا ... لكي بك أهتدي النهج السبيلا
فقلت وكان قولك قول حقّ ... وصدق ما بدا لك أن تقولا

وبصّرت العمى من عبد قيس وكلّ كان من عمه ضليلا
وأنبأناك عن قسّ الإيادي مقالاً فيك ظلت به جديلا
وأسماء عمت عنّا فآلت إلى علم وكنت بها جهولا[1]

بيان: قال الجوهريّ: العرواء مثال الغلواء: قرّة الحمّى، ومسّها في أوّل ما تأخذ بالرعدة، وفلان قمين بكذا أي جدير خليق، وفلان يتحوب من كذا، أي يتأثّم. والتحوّب أيضاً التوجّع والتحزّن.

قوله: قد وقذته الحكمة أي أثرت فيه وبانت فيه آثارها، قال الجوهريّ: وقذه يقذه وقذاً: ضربه حتّى استرخى وأشرف على الموت، ويقال: وقذه النعاس: إذا غلبه، وفي النهاية: فيه فيقذه الورع أي يسكنه ويمنعه من انتهاك ما لا يحلّ ولا يحمد، يقال: وقذه الحلم: إذا سكته.

أقول: سيأتي الخبر مختصراً مع شرح بعض أجزائه في باب المعراج.

٣ - باب تاريخ ولادته صلى الله عليه وآله وما يتعلق بها، وما ظهر عندها من المعجزات والكرامات والمنامات

اعلم أنّه اتّفقت الإماميّة إلا من شذّ منهم على أنّ ولادته ﷺ في سابع عشر شهر ربيع الأوّل، وذهب أكثر المخالفين إلى أنّها كانت في الثاني عشر منه، واختاره الكليني رحمه الله على ما سيأتي إمّا اختياراً، أو تقيّة، وذهب شاذّ من المخالفين إلى أنّه ولد في شهر رمضان، لأنّهم اتّفقوا على أنّ بدء الحمل به ﷺ كان في عشيّة عرفة، أو أوسط أيّام التشريق، واشتهر بينهم أنّ مدّة الحمل كانت تسعة أشهر، فيلزم أن تكون الولادة في شهر رمضان، وسيأتي الكلام فيه، وذهب شرذمة منهم إلى أنّ الولادة كانت في ثامن ربيع الأوّل، فأمّا يوم الولادة فالمشهور بين علمائنا ومدلول أخبارنا أنّه كان يوم الجمعة، والمشهور بين المخالفين يوم الاثنين، ثمّ الأشهر بيننا وبينهم أنه ﷺ ولد بعد طلوع الفجر، وقيل: عند الزوال، وذكر جماعة من المؤرّخين وأرباب السير أنّه كان في ساعة الولادة غفر من منازل القمر طالعاً، وكان اليوم موافقاً للعشرين أو للثّامن والعشرين أو الغرّة من شهر نيسان الروميّ، والسابع عشر من دي ماه بحساب الفرس، وكانت في عهد كسرى أنوشيروان بعد مضيّ اثنين وأربعين من ملكه، وبعد مضيّ اثنين وثمانين وثمانمأة من وفاة إسكندر الروميّ، وكان في عام الفيل بعد مضيّ خمس وخمسين، أو أربعين من الواقعة، وقيل: في يوم الواقعة، وقيل: بعد ثلاثين سنة منها، وقيل: بعد أربعين منها، والأصحّ أنّها كانت في تلك العام.

وذكر أبو معشر البلخيّ من المنجّمين أنّه كان طالع ولادته ﷺ الدرجة العشرون من الجدي، وكان الزحل والمشتري في العقرب، والمرّيخ في بيته في الحمل، والشمس في

---

(١) كنز الفوائد للكراجكي، ج ٢ ص ١٣٧.

الحمل في الشرف، والزهرة في الحوت في الشرف، والعطارد أيضاً في الحوت، والقمر في أوّل الميزان، والرأس في الجوزاء، والذنب في القوس، وكانت في الدار المعروف بدار محمّد بن يوسف، وكان للنبيّ ﷺ فوهبه لعقيل بن أبي طالب، فباعه أولاده محمّد بن يوسف أخا الحجّاج فأدخله في داره، فلمّا كان زمن هارون أخذته خيزران أُمّه فأخرجته وجعلته مسجداً، وهو الآن معروف يزار ويصلّى فيه، وسنذكر الأخبار والأقوال في تفاصيل تلك الأحوال.

١ - **د:** في كتاب أسماء حجج الله: ولد ﷺ سابع عشرة ليلة من شهر ربيع الأوّل في عام الفيل، في كتاب الدرّ الصحيح: أنّه ولد ﷺ عند طلوع الفجر من يوم الجمعة السابع عشر من ربيع الأوّل بعد خمس وخمسين يوماً من هلاك أصحاب الفيل، وقال العامّة: يوم الاثنين الثامن أو العاشر من ربيع الأوّل لسبع بقين من ملك أنوشيروان، ويقال: في ملك هرمز بن أنوشيروان، وذكر الطبريّ أنّ مولده ﷺ كان لاثنتي وأربعين سنة من ملك أنوشيروان وهو الصحيح، لقوله ﷺ «ولدت في زمن الملك العادل أنوشيروان» ووافق شهر الروم العشرين من شباط.

في كتاب مواليد الأئمّة عليهم السلام: ولد النبيّ ﷺ لثلاث عشرة بقيت من شهر ربيع الأوّل في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال، وروي عند طلوع الفجر قبل المبعث بأربعين سنة، وحملت به أُمّه في أيّام التشريق عند الجمرة الوسطى، وكانت في منزل عبد الله بن عبد المطّلب، وولدته في شعب أبي طالب في دار محمّد بن يوسف في الزاوية القصوى، وقيل: ولد يوم الاثنين آخر النهار ثاني عشر شهر ربيع الأوّل سنة ثمان وتسعمائة للإسكندر في شعب أبي طالب في ملك أنوشيروان(١).

٢ - **قل:** ذكر محمّد بن بابويه رضوان الله عليه في الجزء الرابع من كتاب النّبوة حديث أنّ الحمل بسيّدنا رسول الله ﷺ كان ليلة الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة(٢).

٣ - **قل:** إنّ الّذين أدركناهم من العلماء كان عملهم على أنّ ولادته المقدّسة ﷺ كان يوم الجمعة السابع عشر من ربيع الأوّل في عام الفيل عند طلوع فجره(٣).

٤ - وذكر شيخنا المفيد في كتاب حدائق الرياض: السابع عشر منه مولد سيّدنا رسول الله ﷺ عند طلوع الفجر من يوم الجمعة عام الفيل، وقال رحمه الله في كتاب التواريخ الشرعية نحوه(٤).

---

(١) العدد القوية، ص ١١٠.
(٢) اقبال الأعمال، ص ١١٠.
(٣) - (٤) اقبال الأعمال، ص ٨٢.

٥ - **كا:** ولد النبيّ ﷺ لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأوّل في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال، وروي أيضاً، عند طلوع الفجر قبل أن يبعث بأربعين سنة، وحملت به أُمّه في أيّام التشريق عند الجمرة الوسطى، وكانت في منزل عبد الله بن عبد المطلّب، وولدته في شعب أبي طالب في دار محمّد بن يوسف في الزاوية القصوى عن يسارك وأنت داخل، وقد أخرجت الخيزران[1] ذلك البيت فصيّرته مسجداً يصلّي النّاس فيه[2].

بيان: اعلم أنّ هاهنا إشكالاً مشهوراً أورده الشهيد الثاني رحمه الله وجماعة، وهو أنّه يلزم على ما ذكره الكلينيّ رحمه الله من كون الحمل به ﷺ في أيّام التشريق وولادته في ربيع الأوّل أن يكون مدّة حمله إمّا ثلاثة أشهر، أو سنة وثلاثة أشهر، مع أنّ الأصحاب اتّفقوا على أنّه لا يكون الحمل أقلّ من ستّة أشهر، ولا أكثر من سنة، ولم يذكر أحد من العلماء أنّ ذلك من خصائصه، والجواب أنّ ذلك مبني على النسيء الّذي كانوا يفعلونه في الجاهليّة، وقد نهى الله تعالى عنه، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾[3]. قال الشيخ الطبرسيّ رحمه الله في تفسير هذه الآية نقلاً عن مجاهد: كان المشركون يحجّون في كلّ شهر عامين فحجّوا في ذي الحجّة عامين، ثمّ حجّوا في المحرّم عامين، وكذلك في الشهور حتّى وافقت الحجّة الّتي قبل حجّة الوداع في ذي القعدة، ثمّ حج النبيّ ﷺ في العام القابل حجّة الوداع فوافقت ذا الحجة، فقال في خطبته: ألا وإنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنى عشر شهراً، منها أربعة حرم: ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجّة، ومحرّم، ورجب، مضر بين جمادى وشعبان، أراد بذلك أنّ أشهر الحرم رجعت إلى مواضعها، وعاد الحجّ إلى ذي الحجّة، وبطل النسيء انتهى[4].

إذا عرفت هذا فقيل: إنّه على هذا يلزم أن يكون الحجّ عام مولده ﷺ في جمادى الأولى، لأنّه ﷺ توفّي وهو ابن ثلاث وستّين سنة، ودورة النسيء أربعة وعشرون سنّة ضعف عدد الشهور، فإذا أخذنا من السنة الثانية والستّين ورجعنا تصير السنة الخامس عشر ابتداء الدورة، لأنّه إذا نقص من اثنين وستّين ثمانية وأربعون تبقى أربعة عشر، الاثنتان الأخيرتان منها لذي القعدة، واثنتان قبلهما لشوّال، وهكذا فتكون الأوليان منها لجمادى الأولى، فكان الحجّ عام مولد النبيّ ﷺ وهو عام الفيل في جمادى الأولى، فإذا فرض

---

(١) قال المصنف: الخيزران أم الهادي والرشيد. قال المؤرخون كانت هذه الدار للنبي ﷺ ووهبها عقيل بن أبي طالب ثم باعها أولاد عقيل بعد أبيهم محمد بن يوسف وهو أخو الحجاج، فاشتهرت بدار محمد بن يوسف، فأدخلها محمد في قصره الذي كانوا يسمونه البيضاء، ثم بعد انقضاء دولة بني أمية حجّت خيزران فأفرزتها من القصر وجعلتها مسجداً. (منه رحمه الله).

(٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٦٢ باب مولد النبي ﷺ ح ١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣٧.

(٤) مجمع البيان، ج ٥ ص ٥٤.

أنه ﷺ حملت به أُمّه في الثاني عشر منه، ووضعت في الثاني عشر من ربيع الأوّل تكون مدة الحمل عشرة أشهر بلا مزيد ولا نقيصة.

أقول: ويرد عليه أنّه قد أخطأ رحمه الله في حساب الدورة، وجعلها أربعة وعشرين سنة، إذ الدورة على ما ذكر إنّما تتمّ في خمسة وعشرين سنة، إذ في كلّ سنتين يسقط شهر من شهور السنّة باعتبار النسيء، ففي كلّ خمسة وعشرين سنة تحصل أربعة وعشرون حجّة تمام الدورة، وأيضاً على ما ذكره يكون مدّة الحمل أحد عشر شهراً، إذ لمّا كان عام مولده أوّل حجّ في جمادى الأولى يكون في عام الحمل الحجّ في ربيع الثاني، فالصواب أن يقال: كان في عام حمله ﷺ الحجّ في جمادى الأُولى، وفي عام مولده في جمادى الثانية، فعلى ما ذكرنا يتمّ من عام مولده إلى خمسين سنة من عمره ﷺ دورتان في الحادية والخمسين، تبتدئ الدورة الثالثة من جمادى الثانية، وتكون لكلّ شهر حجّتان إلى أن ينتهي إلى الحادية والستّين والثانية والستّين، فيكون الحجّ فيهما في ذي القعدة، ويكون في حجّة الوداع الحجّ في ذي الحجة، فتكون مدّة الحمل عشرة أشهر.

فإن قلت: على ما قرّرت من أنّ في كلّ دورة متأخّر سنة ففي نصف الدورة تتأخّر ستّة أشهر، ومن ربيع الأوّل الّذي هو شهر المولد إلى جمادى الثانية الّتي هي شهر الحجّ نحو من ثلاثة أشهر، فكيف يستقيم الحساب على ما ذكرت؟ قلت: تاريخ السنة محسوبة من شهر الولادة، فمن ربيع الأوّل من سنة الولادة إلى مثله من سنة ثلاث وستّين تتمّ اثنتان وستّون، ويكون السابع عشر منه ابتداء سنة الثالث والستّين، وفي الشهر العاشر من تلك السنة أعني ذي الحجّة وقع الحجّ الحادي والستون، وتوفّي قبل إتمام تلك السنة على ما ذهبت إليه الشيعة بتسعة عشر يوماً، فصار عمره ﷺ ثلاثاً وستّين إلا تلك الأيّام المعدودة، وأمّا ما رواه في كتاب النّبوة فيمكن أن يكون الحمل في أوّل سنة وقع الحج في جمادى الثانية، ومن سنة الحمل إلى سنة حجّة الوداع أربع وستّون سنة، وفي الخمسين تمام الدورتين، وتبتدئ الثالثة من جمادى الثانية، ويكون في حجّة الوداع، والّتي قبلها الحجّ في ذي الحجّة، ولا يخالف شيئاً إلا ما مرّ عن مجاهد أنّ حجّة الوداع كانت مسبوقة بالحجّ في ذي القعدة، وقوله غير معتمد في مقابلة الخبر إن ثبت أنّه رواه خبراً، وتكون مدّة الحمل على هذا تسعة أشهر إلا يوماً، فيوافق ما هو المشهور في مدّة حمله ﷺ عند المخالفين.

٦ - **ص:** روي أنه ﷺ ولد في السابع عشر من شهر ربيع الأوّل عام الفيل يوم الاثنين، وقيل: يوم الجمعة، وقال ﷺ: «ولدت في زمن الملك العادل» يعني أنوشيروان بن قباد قاتل مزدك والزنادقة[1].

٧ - **ك، لي:** الدقّاق، عن ابن ذكريا القطّان، عن البرمكيّ، عن عبد الله بن محمّد، عن

(١) قصص الأنبياء، ص ٣١٦.

أبيه، عن خالد بن إلياس، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جهم، عن أبيه، عن جدّه قال: سمعت أبا طالب حدث عن عبد المطّلب قال: بينا أنا نائم في الحجر إذ رأيت رؤيا هالتني، فأتيت كاهنة قريش وعليّ مطرف خزّ، وجمّتي تضرب منكبي، فلمّا نظرت إليّ عرفت في وجهي التغيّر فاستوت وأنا يومئذ سيّد قومي، فقالت: ما شأن سيّد العرب متغيّر اللّون؟ هل رابه من حدثان الدهر ريب؟ فقلت لها: بلى إنّي رأيت اللّيلة وأنا نائم في الحجر، كأنّ شجرة قد نبتت على ظهري قد نال رأسها السّماء، وضربت بأغصانها الشرق والغرب، ورأيت نوراً يزهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً، ورأيت العرب والعجم ساجدة لها، وهي كلّ يوم تزداد عظماً ونوراً، ورأيت رهطاً من قريش يريدون قطعها، فإذا دنوا منها أخذهم شابّ من أحسن النّاس وجهاً، وأنظفهم ثياباً، فيأخذهم ويكسر ظهورهم، ويقلع أعينهم، فرفعت يدي لأتناول غصناً من أغصانها، فصاح بي الشاب وقال: مهلاً ليس لك منها نصيب، فقلت: لمن النصيب والشجرة منّي؟ فقال: النصيب لهؤلاء الّذين قد تعلّقوا بها وسيعود إليها، فانتبهت مذعوراً فزعاً متغيّر اللّون، فرأيت لون الكاهنة قد تغيّر، ثمّ قالت: لئن صدقت ليخرجنّ من صلبك ولد يملك الشرق والغرب، وينبأ في النّاس، فتسرّى عنّي غمّي، فانظر أبا طالب لعلّك تكون أنت، وكان أبو طالب يحدّث بهذا الحديث والنبيّ ﷺ قد خرج، ويقول: كانت الشجرة والله أبا القاسم الأمين[1].

توضيح: قال الجزريّ: المطرف بكسر الميم وفتحها وضمّها: الثوب الّذي في طرفيه علمان، وقال: الجمّة من شعر الرأس: ما سقط على المنكبين، وقال الجوهريّ: هي بالضمّ مجتمع شعر الرأس.

أقول: لعلّ ذكر هذا إمّا لبيان شرافته بأن يكون إرسال الجمّة من خواصّ الشرفاء، أو اضطرابه وارتعاده، والريب: نازلة الدهر. ورابه أمر: رأى منه ما يكره، قوله: وسيعود إليها، يحتمل أن يكون المراد بالّذين تعلّقوا بها الّذين يريدون قلعها، ويكون قوله: وستعود بالتاء، أي ستعود تلك الجماعة بعد منازعتهم ومحاربتهم إلى هذه الشجرة، ويؤمنون بها، فيكون لهم النصيب منها، أو بالياء فيكون المستتر راجعاً إلى الرسول ﷺ، والبارز في منها إلى الجماعة، أي سيعود النبيّ ﷺ إليهم بعد إخراجهم له فيؤمنون به، فيكون إشارة إلى فتح مكّة، أو يكون المستتر راجعاً إلى الشاب، والبارز إلى الشجرة، أي سيرجع هذا الشاب إلى الشجرة في اليقظة، كما تعلّق بها في النوم، وعلى هذا يحتمل أن يكون المراد بالذين تعلّقوا بها أبا طالب وأضرابه ممّن لم يذكروا قبل، ويحتمل أن يكون المستتر راجعاً إلى النصيب، والبارز إلى الشجرة، أي يكون له ﷺ ثواب إسلامهم، ويحتمل أن يكون ستعود بصيغة الخطاب، أي

---

(١) كمال الدين، ص ١٧١، أمالي الصدوق ص ٢١٦ مجلس ٤٥ ح ١.

ستعود يا عبد المطّلب إليه ﷺ عند ولادته، لكن لا تبلغ ولا تدرك وقت نبوّته، قوله: لعلّك تكون أنت، أي ذلك الشابّ، ويحتمل أن يكون الشابّ أمير المؤمنين عليه السلام.

٨ - **ك، لي:** القطّان، عن ابن زكريّا القطّان، عن محمّد بن إسماعيل، عن عبد الله بن محمّد، عن أبيه، عن سعيد بن مسلم مولى لبني مخزوم، عن سعيد بن أبي صالح، عن أبيه، عن ابن عبّاس قال: سمعت أبي العبّاس يحدّث قال: ولد لأبي عبد المطّلب عبد الله، فرأينا في وجهه نوراً يزهر كنور الشمس، فقال أبي: إنّ لهذا الغلام شأناً عظيماً، قال: فرأيت في منامي أنّه خرج من منخره طائر أبيض، فطار فبلغ المشرق والمغرب، ثمّ رجع راجعاً حتّى سقط على بيت الكعبة فسجدت له قريش كلّها، فبينما النّاس يتأمّلونه إذ صار نوراً بين السماء والأرض، وامتدّ حتّى بلغ المشرق والمغرب، فلمّا انتبهت سألت كاهنة بني مخزوم فقالت: يا عبّاس لئن صدقت رؤياك ليخرجنّ من صلبه ولد يصير أهل المشرق والمغرب تبعاً له، قال أبي: فهمّني أمر عبد الله إلى أن تزوّج بآمنة، وكانت من أجمل نساء قريش وأتمّها خلقاً، فلمّا مات عبد الله وولدت آمنة رسول الله ﷺ أتيته فرأيت النور بين عينيه يزهر، فحملته وتفرّست في وجهه فوجدت منه ريح المسك، وصرت كأنّي قطعة مسك من شدّة ريحي، فحدّثتني آمنة وقالت لي: إنّه لمّا أخذني الطلق، واشتدّ بي الأمر سمعت جلبةً وكلاماً لا يشبه كلام الآدميّين، ورأيت علماً من سندس على قضيب من ياقوت قد ضرب بين السماء والأرض، ورأيت نوراً يسطع من رأسه حتّى بلغ السماء، ورأيت قصور الشامات كأنّها شعلة نار نوراً، ورأيت حولي من القطاة أمراً عظيماً قد نشرت أجنحتها حولي، ورأيت شعيرة الأسديّة قد مرّت وهي تقول: آمنة ما لقيت الكهّان والأصنام من ولدك؟ ورأيت رجلاً شابّاً من أتمّ النّاس طولاً، وأشدّهم بياضاً، وأحسنهم ثياباً ما ظننته إلاّ عبد المطّلب قد دنا منّي فأخذ المولود فتفل في فيه، ومعه طست من ذهب مضروب بالزمرّد، ومشط من ذهب، فشقّ بطنه شقّاً، ثمّ أخرج قلبه فشقّه، فأخرج منه نكتة سوداء فرمى بها، ثم أخرج صرّة من حريرة خضراء ففتحها، فإذا فيها كالذريرة البيضاء فحشاه، ثمّ ردّه إلى ما كان، ومسح على بطنه واستنطقه فنطق، فلم أفهم ما قال إلاّ أنّه قال: في أمان الله وحفظه وكلاءته، قد حشوت قلبك إيماناً وعلماً وحلماً ويقيناً وعقلاً وشجاعةً، أنت خير البشر، طوبى لمن اتّبعك، وويل لمن تخلّف عنك، ثمّ أخرج صرّة أُخرى من حريرة بيضاء ففتحها فإذا فيها خاتم فضرب على كتفيه، ثمّ قال: أمرني ربّي أن أنفخ فيك من روح القدس، فنفخ فيه، وألبسه قميصاً، وقال: هذا أمانك من آفات الدنيا، فهذا ما رأيت يا عبّاس بعيني، قال العبّاس: وأنا يومئذ أقرأ فكشفت عن ثوبه فإذا خاتم النبوّة بين كتفيه، فلم أزل أكتم شأنه وأنسيت الحديث فلم أذكره إلى يوم إسلامي حتّى ذكّرني رسول الله ﷺ[1].

---

(١) كمال الدين، ص ١٧٢.

بيان: الجلبة: اختلاط الاصوات. والسندس بالضمّ: ما رقّ من الديباج ورفع.

٩ - **لي:** ابن البرقيّ، عن أبيه، عن جدّه، عن البزنطيّ، عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: كان إبليس لعنه الله يخترق السماوات السبع، فلمّا ولد عيسى عليه السلام حجب عن ثلاث سماوات، وكان يخترق أربع سماوات، فلمّا ولد رسول الله صلى الله عليه وآله حجب عن السبع كلّها، ورميت الشياطين بالنجوم، وقالت قريش: هذا قيام الساعة الّذي كنّا نسمع أهل الكتب يذكرونه، وقال عمرو بن أميّة: وكان من أزجر أهل الجاهليّة: انظروا هذه النجوم الّتي يهتدى بها، ويعرف بها أزمان الشتاء والصيف، فإن كان رمي بها فهو هلاك كلّ شيء، وإن كانت ثبتت ورمي بغيرها فهو أمر حدث، وأصبحت الأصنام كلّها صبيحة ولد النبيّ صلى الله عليه وآله ليس منها صنم إلا وهو منكب على وجهه، وارتجس في تلك الليلة إيوان كسرى، وسقطت منه أربعة عشر شرفة، وغاضت بحيرة ساوة، وفاض وادي السماوة، وخمدت نيران فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ورأى الموبذان في تلك اللّيلة في المنام إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً، قد قطعت دجلة، وانسربت في بلادهم، وانقصم طاق الملك كسرى من وسطه، وانخرقت عليه دجلة العوراء، وانتشر في تلك اللّيلة نور من قبل الحجاز ثمّ استطار حتّى بلغ المشرق، ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلّا أصبح منكوساً، والملك مخرساً لا يتكلّم يومه ذلك وانتزع علم الكهنة، وبطل سحر السحرة، ولم تبق كاهنة في العرب إلاّ حجبت عن صاحبها، وعظمت قريش في العرب، وسمّوا آل الله عزَّ وجلَّ.

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام : إنّما سمّوا آل الله لأنّهم في بيت الله الحرام، وقالت آمنة: إنّ ابني والله سقط فاتّقى الأرض بيده، ثمّ رفع رأسه إلى السماء فنظر إليها، ثمّ خرج منّي نور أضاء له كلّ شيء، وسمعت في الضّوء قائلاً يقول: إنّك قد ولدت سيّد النّاس فسّميه محمّداً، وأتي به عبد المطّلب لينظر إليه وقد بلغه ما قالت أمّه، فأخذه فوضعه في حجره ثمّ قال: الحمد لله الّذي أعطاني هذا الغلام الطيّب الأردان، قد ساد في المهد على الغلمان.

ثمّ عوّذه بأركان الكعبة، وقال فيه أشعاراً، قال: وصاح إبليس لعنه الله في أبالسته فاجتمعوا إليه، فقالوا: ما الّذي أفزعك يا سيّدنا؟ فقال لهم: ويلكم لقد أنكرت السماء والارض منذ اللّيلة، لقد حدث في الأرض حدث عظيم ما حدث مثله منذ رفع عيسى بن مريم عليه السلام ، فاخرجوا وانظروا ما هذا الحدث الّذي قد حدث، فافترقوا ثمّ اجتمعوا إليه فقالوا: ما وجدنا شيئاً، فقال إبليس لعنه الله: أنا لهذا الأمر، ثمّ انغمس في الدنيا فجالها حتّى انتهى إلى الحرم فوجد الحرم محفوظاً بالملائكة، فذهب ليدخل فصاحوا به، فرجع ثمّ صار مثل الصرّ وهو العصفور فدخل من قبل حرى، فقال له جبرئيل: وراك لعنك الله، فقال له: حرف أسألك عنه يا جبرئيل، ما هذا الحديث الّذي حدث منذ اللّيلة في الارض؟ فقال

له: ولد محمّد ﷺ، فقال له: هل لي فيه نصيب؟ قال: لا، قال: ففي أمته؟ قال: نعم، قال: رضيت(١).

توضيح: الزجر بالفتح: العيافة وهو نوع من التكهّن، تقول: زجرت أنّه يكون كذا. والارتجاس: الاضطراب والتزلزل الّذي يسمع منه الصوت الشديد. وغاض الماء بالغين والضاد المعجمتين، أي قلّ ونضب، قال الجزريّ: ومنه حديث سطيح وغاضت بحيرة ساوة، أي غار ماؤها وذهب. والسماوة بالفتح: موضع بين الكوفة والشام، وقال الخليل في العين: هي فلاة بالبادية تتّصل بالشام. والموبذان بضمّ الميم وفتح الباء: فقيه الفرس وحاكم المجوس كالموبذ ذكره الفيروزآباديّ. وقال الجزري: في حديث سطيح فأرسل كسرى إلى الموبذان، المؤبذان للمجوس كقاضي القضاة للمسلمين، والموبذ كالقاضي. وانسرب الثعلب في جحره أي دخل.

قوله عليه السلام: وانخرقت عليه دجلة العوراء يظهر ممّا سيأتي أنّ كسرى كان سكر بعض الدجلة وبنى عليها بناء، فلعلّه لذلك وصفوا الدجلة بعد ذلك بالعوراء لأنّه عور وطمّ بعضها فانخرقت عليه، وانهدم بنيانه، ورأيت في بعض المواضع بالغين المعجمة من إضافة الموصوف إلى الصفة، أي العميقة. والأردان جمع الردن بالضمّ، وهو أصل الكمّ، ولعلّه إنّما خصّها بالطيب لأنّ الرائحة الخبيثة غالباً تكون فيها لمجاورتها للآباط، قال الشاعر:

وعمرة من سروات النساء تنفح بالمسك أردانها

قوله: ثمّ عوّذه بأركان الكعبة، أي مسحه بها، أودعا له عندها، أو كتب أسماءها وعلقه عليه ﷺ.

قال الفيروزآباديّ: الصرّ: طائر كالعصفور أصفر، وقال الجزريّ: هو عصفور أو طائر في قدّه، أصفر اللّون، وفي بعض النسخ والعصفور، وقال الفيروزآباديّ: حرى كعلى: جبل بمكّة، معروف فيه الغار، وقال الجوهريّ وغيره: إنّه بالكسر والمدّ.

١٠ - **ما:** الجعابيّ، عن ابن عقدة، عن أحمد بن يوسف الجعفيّ، عن محمّد بن حسّان، عن حفص بن راشد الهلاليّ، عن محمّد بن عباد، عن سريع البارقي قال:

سمعت جعفر بن محمّد عليه السلام يقول: لمّا ولد النبيّ ﷺ ولد ليلاً فأتى رجل من أهل الكتاب إلى الملأ من قريش وهم مجتمعون: هشام بن المغيرة، والوليد بن المغيرة، وعتبة، وشيبة، فقال: أولد فيكم اللّيلة مولود؟ قالوا: لا وما ذاك، قال: لقد ولد فيكم اللّيلة أو بفلسطين مولود اسمه أحمد، به شامة، يكون هلاك أهل الكتاب على يديه، فسألوا فأخبروا فطلبوه، فقالوا: لقد ولد فينا غلام، فقال: قبل أن أنبئكم أو بعد؟ قالوا: قبل، قال: فانطلقوا

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٢٣٥ مجلس ٤٨ ح ١.

معي أنظر إليه، فأتوا أُمّه وهو معهم فأخبرتهم كيف سقط، وما رأت من النور، قال اليهوديّ: فأخرجيه، فنظر إليه، ونظر إلى الشامة فخرّ مغشيّاً عليه، فأدخلته أُمّه، فلمّا أفاق قالوا له: ويلك ما لك؟ قال: ذهبت نبوّة بني إسرائيل إلى يوم القيامة، هذا والله مبيرهم، ففرحت قريش بذلك، فلمّا رأى فرحهم قال والله ليسطونّ بكم سطوة يتحدّث بها أهل الشرق وأهل الغرب[1].

بيان: فلسطين بكسر الفاء وفتح اللاّم: الكورة المعروفة ما بين الأُردن وديار مصر، وأُمّ بلادها بيت المقدس، ولعلّ ترديده لأنّه رأى علامة ولادة نبيّ فشك أنّه خاتم الأنبياء فيكون مولده بمكّة أو غيره، فيكون في بيت المقدس، أو لم يكن يتبيّن له أنّ مولد خاتم الأنبياء مكّة، أو فلسطين، والسطو: القهر والبطش، يقال: سطا به وعليه.

١١ - **ج:** عن موسى بن جعفر عليه السلام في خبر اليهوديّ الذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن معجزات الرسول عليه السلام قال: فإنّ هذا عيسى بن مريم يزعمون أنّه تكلّم في المهد صبيّاً، قال له عليّ عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمّد صلى الله عليه وآله سقط من بطن أُمّه واضعاً يده اليسرى على الأرض، ورافعاً يده اليمنى إلى السمّاء، ويحرّك شفتيه بالتوحيد، وبدا من فيه نور رأى أهل مكّة منه قصور بصرى من الشام وما يليها، والقصور الحمر من أرض اليمن وما يليها، والقصور البيض من إصطخر وما يليها، ولقد أضاءت الدنيا ليلة ولد النبيّ صلى الله عليه وآله حتّى فزعت الجنّ والإنس والشياطين وقالوا: يحدث في الأرض حدث، ولقد رأت الملائكة ليلة ولد تصعد وتنزل، وتسبّح وتقدّس، وتضطرب النجوم وتتساقط النجوم علامات لميلاده، ولقدهمّ إبليس بالظعن في السماء لما رأى من الأعاجيب في تلك الليلة، وكان له مقعد في السماء الثالثة، والشياطين يسترقون السمع، فلمّا رأوا الأعاجيب أرادوا أن يسترقوا السمع، فإذا هم قد حجبوا من السماوات كلّها، ورموا بالشهب دلالة لنبوّته صلى الله عليه وآله[2].

بيان: بصرى: بلد بالشام، وإصطخر بالفارس معروف، قوله عليه السلام: ولقد رأت الملائكة، أي الشياطين رأوهم.

١٢ - **لي:** ابن المتوكّل، عن عليّ، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن زياد بن المنذر، عن ليث بن سعد قال: قلت لكعب وهو عند معاوية: كيف تجدون صفة مولد النبيّ صلى الله عليه وآله؟ وهل تجدون لعترته فضلاً؟ فالتفت كعب إلى معاوية لينظر كيف هواه، فأجرى الله عزّ وجلّ على لسانه فقال: هات يا أبا إسحاق رحمك الله ما عندك، فقال كعب: إنّي قد قرأت اثنين وسبعين كتاباً كلّها أُنزلت من السّماء، وقرأت صحف دانيال كلّها، ووجدت في كلّها ذكر مولده ومولد عترته، وإنّ اسمه لمعروف وإنّه لم يولد نبيّ قطّ فنزلت عليه الملائكة ما خلا عيسى وأحمد صلوات الله عليهما، وما ضرب على آدميّة حجب الجنّة غير مريم وآمنة أُمّ

---

(١) أمالي الطوسي، ص ١٤٥ مجلس ٥ ح ٢٣٩.

(٢) الاحتجاج، ص ٢٢٣.

أحمد ﷺ، وما وكلت الملائكة بأنثى حملت غير مريم أمّ المسيح عليه السلام وآمنة أمّ أحمد ﷺ، وكان من علامة حمله أنّه لمّا كانت اللّيلة الّتي حملت آمنة به ﷺ نادى مناد في السماوات السبع: أبشروا، فقد حمل اللّيلة بأحمد، وفي الارضين كذلك حتّى في البحور، وما بقي يومئذ في الأرض دابّة تدبّ ولا طائر يطير إلاّ علم بمولده، ولقد بني في الجنّة ليلة مولده سبعون ألف قصر من ياقوت أحمر، وسبعون ألف قصر من لؤلؤ رطب، فقيل: هذا قصور الولادة، ونجّدت الجنان، وقيل لها: اهتزّي وتزيّني، فإنّ نبيّ أوليائك قد ولد، فضحكت الجنّة يومئذ فهي ضاحكة إلى يوم القيامة، وبلغني أنّ حوتاً من حيتان البحر يقال له: طموسا وهو سيّد الحيتان له سبعماة ألف ذنب، يمشي على ظهره سبعماة ألف ثور الواحد منها أكبر من الدنيا، لكلّ ثور سبعماة ألف قرن من زمرد أخضر، لا يشعر بهن، اضطرب فرحاً بمولده، ولولا أنّ الله تبارك وتعالى ثبّته لجعل عاليها سافلها، ولقد بلغني أنّ يومئذٍ ما بقي جبل إلاّ نادى صاحبه بالبشارة، ويقول: لا إله إلاّ الله، ولقد خضعت الجبال كلّها لأبي قبيس كرامةً لمحمّد ﷺ، ولقد قدّست الأشجار أربعين يوماً بأنواع أفنانها وثمارها فرحاً بمولده ﷺ، ولقد ضرب بين السماء والارض سبعون عموداً من أنواع الأنوار لا يشبه كلّ واحد صاحبه، وقد بشر آدم عليه السلام بمولده فزيد في حسنه سبعين صنفاً، وكان قد وجد مرارة الموت وكان قد مسّه ذلك فسرّي عنه ذلك، ولقد بلغني أنّ الكوثر اضطرب في الجنّة واهتزّ فرمي بسبعمائة ألف قصر من قصور الدرّ والياقوت نثاراً لمولد محمّد ﷺ، ولقد زم إبليس وكبّل وألقي في الحصن أربعين يوماً، وغرق عرشه أربعين يوماً، ولقد تنكست الأصنام كلّها وصاحت وولولت، ولقد سمعوا صوتاً من الكعبة: يا آل قريش قد جاءكم البشير، جاءكم النذير، معه العزّ الأبد، والربح الأكبر، وهو خاتم الأنبياء، ونجد في الكتب أنّ عترته خير النّاس بعده، وأنّه لا يزال النّاس في أمان من العذاب ما دام من عترته في دار الدنيا خلق يمشي، فقال معاوية: يا أبا إسحاق ومن عترته؟ قال كعب: ولد فاطمة، فعبس وجهه، وعضّ على شفتيه، وأخذ يعبث بلحيته، فقال كعب: وإنّا نجد صفة الفرخين المستشهدين، وهما فرخا فاطمة عليها السلام، يقتلهما شرّ البريّة، قال: فمن يقتلهما؟ قال: رجل من قريش، فقام معاوية وقال: قوموا إن شئتم فقمنا[1].

بيان: التنجيد: التزيين، والأفنان: الأغصان، وسرّي عنه الهمّ بالتشديد على بناء المفعول أي انكشف، والزمّ: الشدّ، والكبل: القيد الضخم، يقال كبلت الأسير وكبّلته.

١٣ - **مع:** الدقّاق، عن الكلينيّ، عن الحسن بن محمّد، عن محمّد بن يحيى الفارسيّ عن أبي حنيفة محمّد بن يحيى، عن الوليد بن أبان، عن محمّد بن عبد الله بن مسكان، عن أبيه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ فاطمة بنت أسد رحمها الله جاءت إلى أبي طالب رضي الله عنه تبشره

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٤٨١ مجلس ٨٨ ح ١.

بمولد النبيّ ﷺ فقال لها أبوطالب: اصبري لي سبتاً آتيك بمثله إلاّ النبوة، وقال: السبت: ثلاثون سنة، وكان بين رسول الله ﷺ وأميرالمؤمنين عليه‌السلام ثلاثون سنة[1].

بيان: قال الجوهريّ والفيروزآباديّ: السبت: الدهر.

١٤ - **ك:** أحمد بن محمّد بن رزمة، عن الحسن بن عليّ بن نصر، عن عليّ بن حرب الموصليّ، عن يعلى بن عمران، عن ولد جرير بن عبد الله، عن مخزوم بن هاني، عن أبيه وأتت له مأة وخمسون سنة، قال: لمّا كانت ليلة ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى، وسقطت منه أربعة عشر شرفة، وغاضت بحيرة ساوة، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك ألف سنة، ورأى الموبذان إبلا صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها، فلمّا أصبح كسرى هاله ما رأى فتصبر عليها تشجّعاً، ثمّ رأى أن لا يسرّ ذلك عن وزرائه فلبس تاجه، وجلس على سريره، وجمعهم فأخبرهم بما رأى، فبينا هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بخمود النّار فازداد غمّاً إلى غمّه، فقال الموبذان: وأنا أصلح الله الملك قد رأيت في هذه اللّيلة، ثمّ قص عليه رؤياه في الإبل والخيل، فقال: أيّ شيء يكون هذا يا موبذان؟ وكان أعلمهم في أنفسهم، فقال: حادث يكون في ناحية المغرب، فكتب عند ذلك: من كسرى الملك إلى النعمان بن المنذر، أمّا بعد فتوجّه إليّ برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه، فوجّه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيّان بن تغلبة الغساني، فلمّا قدم عليه قال: عندك علم ما أريد أن أسألك عنه؟ قال ليسألني الملك ويخبرني، فإنّ كان عندي علم منه وإلّا أخبرته من يعلمه، فأخبره بما رأى، فقال: علم ذلك عند خالٍ لي يسكن بمشارف الشام يقال له: سطيح، قال: فأته فاسأله وأخبرني بما يردّ عليك، فخرج عبد المسيح حتّى ورد على سطيح وقد أشرف على الموت فسلّم عليه وحياه، فلم يردّ عليه سطيح جواباً، فأنشأ عبد المسيح يقول:

أصمّ أم يسمع غطريف اليمن ... أم فاز فازلمّ به شأو العنن
يا فاصل الخطّة أعيت من ومن ... وكاشف الكربة في الوجه الغضن
أتاك شيخُ الحيّ من آل سنن ... وأمّه من آل ذئب بن حجن
أزرق ضخم الناب صرّار الأذن ... أبيض فضفاض الرداء والبدن
رسول قيل العجم كسرى للوسن ... لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن
تجوب في الأرض علنداة شجن ... ترفعني طوراً وتهوي بي دجن
حتّى أتى عاري الجآجئ والقطن ... تلفّه في الريح بوغاء الدّمن

فلمّا سمع سطيح شعره فتح عينيه فقال: عبد المسيح، على جميل يسيح، إلى سطيح، وقد أوفى على الضريح، بعثك ملك بني ساسان، لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا

---

(١) معاني الأخبار، ص ٤٠٣.

المؤبذان، رأى إبلاً صعاباً، تقود خيلاً عراباً، قد قطعت دجلة، وانتشرت في بلادها، وغاض بحيرة ساوة، فقل يا عبد المسيح: إذا كثرت التلاوة، وبعث صاحب الهراوة، وفاض وادي السماوة، وغاضت بحيرة ساوة، فليس الشام لسطيح شاماً، يملك منهم ملوك وملكات، على عدد الشرفات، وكلّ ما هو آتٍ آتٍ، ثمّ قضى سطيح مكانه، فنهض عبد المسيح إلى رحله وهو يقول:

شمّر فإنّك ماضي العزم شمّير	لا يفزعنّك تفريق وتغيير
إن يمس ملك بني ساسان أفرطهم	فإن ذا الدهر أطوار دهارير
وربّما كان قد أصخو بمنزلة	تهاب صولهم الأسد المهاصير
فيهم أخو الصرح بهرام وإخوته	والهرمزان وسابور وسابور
والنّاس أولاد علّات فمن علموا	أن قد أقلّ فمحقور ومهجور
وهم بنو الأم إمّا إن رأوا نشباً	فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان في قرن	والخير متّبعٌ والشرّ محذور

قال: فلمّا قدم على كسرى أخبره بما قال سطيح، فقال: إلى أن يملك منّا أربعة عشر ملكاً قد كانت أمور، قال: فملك منهم عشرة في أربع سنين، وملك الباقون إلى أمارة عثمان، وكان سطيح ولد في سيل العرم فعاش إلى ملك ذي نواس، وذلك أكثر من ثلاثين قرناً، وكان مسكنه بالبحرين، فتزعم عبد القيس أنّه منهم، وتزعم الازد أنّه منهم، وأكثر المحدّثين قالوا: إنّه من الأزد، ولا يدرى ممّن هو غير أنّ عقبه يقولون: نحن من الأزد[1].

ايضاح: قال في النهاية: المشارف: القرى الّتي تقرب من المدن، وقيل: القرى الّتي بين بلاد الريف وجزيرة العرب، قيل لها ذلك لانّها أشرفت على السواد. والغطريف بالكسر: السيد، وقال الجزريّ: فاز يفوز فوزاً: مات، وقال: يردى بالدال بمعناه، وقال: ازلمّ أي ذهب مسرعاً، وأصله ازلأمّ فحذفت الهمزة تخفيفاً، والشأو: السبق والغاية، والعنن: اعتراض، وشأو العنن: اعتراض الموت وسبقه، وقيل: ازلم: قبض، والعنن: الموت، أي عرض له الموت فقبضه، قوله: يا فاصل الخطّة، الفاصل: المبيّن الحاكم. والخطّة بضم الخاء، وتشديد الطاء: الخطب، والأمر، والحال، اي يا من يبيّن ويظهر اموراً أعيت وأعجزت، من ومن، أي جماعة كثيرة، قال في الفائق: أراد أنّ تلك الخطّة لصعوبتها أعجزت من الحكماء والبصراء من جل قدره، فحذفت الصلة، كماحذفت في قولهم: بعد اللّتيا والّتي، إيذاناً بأنّ ذلك ممّا تقصر العبارة عنه لعظمه.

وقال الجزريّ: الوجه الغضن هو الوجه الّذي فيه تكسّر وتجعّد من شدّة الهمّ والكرب

(١) كمال الدين، ص ١٨٦.

الّذي نزل به، والازرق: صفة البعير ولونه، وفي بعض الكتب أورق، وهو أيضاً لون، وفي بعضها: أصكّ أي الّذي يصكّ قدماه.

قوله: ضخم الناب: في بعض الروايات: مهم الناب، قيل: أي تامّ السّن، وقال الجزريّ: في حديث سطيح أزرق مهم الناب، صرّار الأذن، أي حديد الناب، قال الازهريّ: هكذا روي، وأظنّه مهو الناب بالواو، يقال: سيف مهو، أي حديد ماضٍ، وأورده الزمخشريّ ممهي الناب، وقال: الممهي: المحدّد، من أمهيت الحديدة إذا حدّدتها، شبّه بعيره بالنمر لزرقة عينيه، وسرعة سيره، وقال: صرّ أذنه وصرّرها: سوّاها، ونصبها، والأصوب كون هذا المصرع بعد ذلك في سياق ذكر البعير كما في سائر الكتب فإنّه فيها بعد قوله: والقطن.

والفضفاض: الواسع، والبدن: الدرع، قال الجزريّ: يريد به كثرة العطاء، وقال غيره: كناية عن سعة الصدر، والقيل بالفتح: الملك.

قوله: للوسن، أي لشأن الرؤيا التى رآها الملك، وفي بعض النسخ (يسري) بدل (كسرى) أي يجري، لا يرهب الرعد، في بعض الروايات لا يرهب الدهر، وتجوب أي تقطع، والعلنداة: الناقة الصلبة القويّة، والشجن بالتحريك: الناقة المتداخلة الخلق، كأنّها شجرة متشجّنة: أي متّصلة الاغصان، وفي بعض الروايات: شزن، أي تمشي من نشاطها على جانب، وشزن فلان: إذا نشط، وقيل: الشزن: الّذي أعيى من الجفاء، وقيل: الغليظ المرتفع، كأنّه مصدر، أي ذات شجن، ويقال: بات فلان على شزن، أي على قلقٍ يتقلّب من جنب إلى جنب، وأشزان الخيل: ضروب نشاطها.

قوله: ترفعني طوراً، في الفائق والنهاية وغيرهما: ترفعني وجناً، وتهوي بي وجن. وفي بعض الكتب: وجناء تهوي من وجن، والوجْن والوجَن جمع الوجين وهو الأرض الغليظة، والوجناء: الناقة الشديدة، أي لم تزل الناقة الّتي هذه صفتها ترفعني مرّة في الأرض بهذه الصفة، وتخفضني أخرى، وفي أكثر نسخ الكتاب: دجن بالدال المهملة. والدجنة: الظلمة، ولعلّه تصحيف. والجآجىء جمع الجؤجؤ، وهو الصدر، والقطن بالتحريك: ما بين الوركين، يعني أنّ السير قد هزلها، وذهب بلحمها، وفي بعض الروايات عالي الجآجىء، وهو قريب من العاري، لأنّ العظم إذا عري عن اللّحم يرى مرتفعاً عالياً، والبوغاء: التراب الناعم، والدمن بكسر الدال وفتح الميم: ما تجمّع وتلبّد منه، قال الجزريّ: كأنه من المقلوب، تقديره تلفّه الريح في بوغاء الدمن، وتشهد له الأخرى: تلفه الريح ببوغاء الدمن.

وفي الفائق والنهاية وغيرهما بعدها: كأنّما حثحث من حضني تكن.

حثحث: أسرع وحثّ، والحضن: الجانب، وتكن: اسم جبل حجازيّ، والمعنى أنّ من

كثرة التراب والغبار الّذي أصابه في سرعة سيره كأنّما أعجل من هذا الموضع الذي اجتمع فيه التراب الكثير.

قوله: على جمل يسيح، في سائر الكتب على جمل مشيح، جاء إلى سطيح، والمشيح بضمّ الميم والحاء المهملة: الجادّ المسرع، وقد أوفى أي أشرف، والضريح: القبر، أي قرب أن يدخل القبر.

قوله: إذا كثرت التلاوة، أي تلاوة القرآن، والهراوة: العصا، وصاحب الهراوة النبيّ ﷺ لأنّه كان يأخذ العنزة بيده ويصلّي إليها.

قوله: فليس الشام لسطيح شاماً، أي لم يبق حينئذٍ سطيح، أو يتغيّر أحوال الشام، وفي بعض الروايات بعد قوله على عدد الشرفات: ثمّ تكون هنات وهنات، أي شدائد وأمور عظام، والشمّير: الشديد التشمير.

قوله: تفريق وتغيير، في بعض الروايات: تشريد وتغير.

قوله: أفرطهم، على صيغة الماضي، أي تركهم وزال عنهم، والأطوار: الحالات.

قوله: دهارير، قال الجزريّ: حكى الهرويّ عن الأزهريّ أنّ الدهارير جمع الدهور، أراد أنّ الدهر ذو حالتين: من بؤس ونعم، وقال الجوهريّ: يقال: دهر دهارير، أي شديد، كقولهم: يوم أيوم، وقال الزمخشريّ: الدهارير: تصاريف الدهر ونوائبه، مشتقّ من لفظ الدهر، ليس له واحد من لفظه، كعباديد. والمهاصير: جمع المهصار، وهو الشديد الّذي يفترس. والصرح: القصر. قوله: أولاد علّات، أي من أمّهات شتى، كناية عن عدم الألفة والمحبّة بينهم. قوله: أن قد أقل، أي افتقر وقلّ ما في يده.

قوله: هم بنو الأمّ، أي يعطف بعضهم على بعض، كما هو شأن أولاد أمّ واحدة. والنشب بالتحريك: المال والعقار، وكلمة إمّا زائدة، وفي بعض النسخ لمّا، وهو أظهر.

١٥ - ك: أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان يرفعه بإسناده قال: لمّا بلغ عبد الله بن عبد المطّلب زوّجه عبد المطّلب آمنة بنت وهب الزهريّ، فلمّا تزوّجها حملت برسول الله ﷺ، فروي عنها أنّها قالت: لمّا حملت برسول الله ﷺ لم أشعر بالحمل ولم يصبني ما يصيب النساء من ثقل الحمل، ورأيت في نومي كأنّ آتياً أتاني وقال لي: قد حملت بخير الأنام، فلمّا حان وقت الولادة خفّ ذلك عليّ حتّى وضعته ﷺ، وهو يتّقي الأرض بيديه، وسمعت قائلاً يقول: وضعت خير البشر، فعوّذيه بالواحد الصمد، من شرّ كلّ باغ وحاسد، فولدت رسول الله ﷺ عام الفيل لاثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الأوّل يوم الاثنين، فقالت آمنة: لمّا سقط إلى الأرض اتقى الأرض بيديه وركبتيه، ورفع رأسه إلى السّماء، وخرج منّي نور أضاء ما بين السّماء والأرض، ورميت الشياطين بالنجوم، وحجبوا عن السّماء، ورأت قريش الشهب والنجوم تسير في السّماء،

ففزعوا لذلك وقالوا: هذا قيام الساعة، واجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة فأخبروه بذلك، وكان شيخاً كبيراً مجرّباً، فقال: انظروا إلى هذه النجوم الّتي يهتدى بها في البرّ والبحر، فإن كانت قد زالت فهو قيام الساعة، وإن كانت هذه ثابتة فهو لأمر قد حدث، وأبصرت الشياطين ذلك فاجتمعوا إلى إبليس فأخبروه بأنّهم قد منعوا من السّماء، ورموا بالشهب، فقال: اطلبوا، فإنّ أمراً قد حدث، فجالوا في الدّنيا ورجعوا فقالوا: لم نر شيئاً، فقال: أنا لهذا، فخرق ما بين المشرق والمغرب فانتهى إلى الحرم فوجد الحرم محفوفاً بالملائكة، فلمّا أراد أن يدخل صاح به جبرئيل فقال: اخسأ ياملعون، فجاء من قبل حراء فصار مثل الصرّ قال: يا جبرئيل ما هذا؟ قال: هذا نبيّ قد ولد وهو خير الأنبياء، قال: هل لي فيه نصيب؟ قال: لا، قال: ففي أمّته؟ قال: نعم، قال: قد رضيت، قال: وكان بمكة يهودي، يقال له: يوسف، فلمّا رأى النجوم يقذف بها وتتحرك قال: هذا نبيّ قد ولد في هذه اللّيلة، وهو الّذي نجده في كتبنا أنّه إذا ولد وهو آخر الأنبياء رجمت الشياطين، وحجبوا عن السّماء، فلمّا أصبح جاء إلى نادي قريش وقال: يا معشر قريش هل ولد فيكم اللّيلة مولود؟ قالوا: لا، قال: أخطأكم والتوراة، ولد إذا بفلسطين، وهو آخر الأنبياء وأفضلهم، فتفرق القوم فلمّا رجعوا إلى منازلهم أخبر كلّ رجل أهله بما قال اليهودي، فقالوا: لقد ولد لعبد الله بن عبد المطّلب ابن في هذه اللّيلة، فأخبروا بذلك يوسف اليهوديّ، فقال: قبل أن أسألكم أو بعده، فقالوا: قبل ذلك، قال: فاعرضوه عليّ، فمشوا إلى باب آمنة فقالوا: أخرجي ابنك ينظر إليه هذا اليهوديّ، فأخرجته في قماطه فنظر في عينيه، وكشف عن كتفيه، فرأى شامة سوداء بين كتفيه، عليها شعرات، فلمّا نظر إليه وقع إلى الأرض مغشيّاً عليه، فتعجّبت منه قريش وضحكوا، فقال: أتضحكون يا معشر قريش، هذا نبيّ السيف ليبيرنّكم، وقد ذهبت النبوّة من بني إسرائيل إلى آخر الأبد، وتفرّق النّاس يتحدّثون بما أخبر اليهوديّ، ونشأ كما ينشأ غيره في الجمعة، وينشأ في الجمعة كما ينشأ غيره في الشهر[١].

فس: روي عن آمنة أمّ النبيّ ﷺ أنّها قالت: لمّا حملت برسول الله ﷺ لم أشعر بالحمل. وساق الحديث إلى آخره بأدنى تغيير في اللّفظ والترتيب ولم يذكر فيه التاريخ[٢].

١٦ - **يج:** روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: لمّا ولد رسول الله ﷺ قال إبليس الأبالسة: قد أنكرت اللّيلة الأرض، فصاح في الأبالسة فاجتمعوا إليه، فقال: اخرجوا فانظروا ما هذا الأمر الّذي حدث، فذهبوا ثمّ رجعوا وقالوا: ما وجدنا شيئاً، قال: أنا لها، ثمّ ضرب بذنبه على قذاله ثمّ اغتمس في الدنيا حتّى انتهى إلى الحرم، فوجده منطبقاً بالملائكة، فذهب ليدخل فصاح به جبرئيل عليه السلام فقال: وراءك، فقال: حرف أسألك عنه إليّ فيه نصيب؟ قال: لا، قال: في أمّته؟ قال: نعم، فلمّا أصبحوا أقبل رجل من أهل الكتاب

(١) كمال الدين، ص ١٨٩.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٧٥.

إلى الملأ من قريش قال: أولد فيكم مولود اللّيلة؟ قالوا: لا، قال: فولد إذاً بفلسطين غلام اسمه أحمد، به شامة كلون الخزّ الأدكن، فتفرّق القوم فبلغهم أنّه ولد لعبد الله بن عبد المطّلب غلام، قالوا: فطلبناه وقلنا له: إنّه ولد فينا غلام، قال: قبل أن قلت لكم أو بعده؟ قالوا: قبل، قال: فانطلقوا بنا ننظر إليه، فانطلقوا فقالوا لأمّه: اخرجي ابنك حتّى ننظر إليه، قالت: إنّ ابني والله لقد سقط، فما سقط كما تسقط الصبيان، لقد اتّقى الأرض بيده، ثمّ رفع رأسه إلى السّماء فنظر إليها، ثمّ خرج منه نور حتّى نظرت إلى قصور بصرى، وسمعت هاتفاً يقول: قد ولدت سيّد هذه الأمّة، فإذا وضعته فقولي:

أعيذه بالواحد من شر كلّ حاسد وكل خلق مارد يأخذ بالمراصد في طرق الموارد من قائم وقاعد وسمّيه محمّداً، فأخرجته فنظر إليه وإلى الشامة الّتي بين كتفيه، فخرّ مغشيّاً عليه، فأخذوا الغلام وردّوه إلى أمّه، وقالوا: بارك الله لك فيه، فلمّا أفاق قالت له: ما لك؟ قال: ذهبت نبوّة بني إسرائيل إلى يوم القيامة، هذا والله الغلام الّذي يبيرهم، ثمّ قال لقريش: أفرحتم؟ أما والله ليسطونّ بكم سطوة يتحدّث بها أهل المشرق والمغرب، فكان أبو سفيان يقول: إنّما يسطو بمضر، وأُتي به عبد المطّلب فأخذه ووضعه في حجره فقال:

الحمد لله الّذي أعطاني هذا الغلام الطيّب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان[1]

بيان: قال الفيروزآباديّ: القذال كسحاب: جماع مؤخّر الرأس، ومعقد العذار من الفرس خلف الناصية. وقال: الدكنة بالضم: لون إلى السواد.

١٧ - **قب:** أبان بن عثمان رفعه بإسناده قالت آمنة ﷺ: لمّا قربت ولادة رسول الله ﷺ رأيت جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي، فذهب الرّعب عنّي، وأُتيت بشربة بيضاء، وكنت عطشى فشربتها، فأصابني نور عال، ثمّ رأيت نسوة كالنخل طوالاً تحدّثني، وسمعت كلاماً لا يشبه كلام الآدميّين، حتّى رأيت كالديباج الأبيض، قد ملأ بين السّماء والأرض، وقائل يقول: خذوه من أعزّ النّاس، ورأيت رجالاً وقوفاً في الهواء بأيديهم أباريق، ورأيت مشارق الأرض ومغاربها، ورأيت علماً من سندس على قضيب من ياقوتة قد ضرب بين السّماء والأرض في ظهر الكعبة، فخرج رسول الله ﷺ رافعاً إصبعه إلى السّماء ورأيت سحابة بيضاء تنزل من السّماء حتّى غشيته فسمعت نداءً: طوفوا بمحمّد شرق الأرض وغربها والبحار لتعرّفوه باسمه ونعته وصورته، ثمّ انجلت عنه الغمامة فإذا أنا به في ثوب أبيض من اللّبن، وتحته حريرة خضراء، وقد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللّؤلؤ الرطب، وقائل يقول: قبض محمّد على مفاتيح النّصرة والريح والنبوّة، ثمّ أقبلت سحابة أخرى فغيّبته عن وجهي أطول من المرّة الأولى، وسمعت نداءً: طوفوا بمحمّد الشرق والغرب، واعرضوه على

---

(١) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٦٩ ح ١٢٩.

روحانيّي الجنّ والإنس، والطير والسباع، وأعطوه صفاء آدم، ورقّة نوح، وخلّة إبراهيم، ولسان إسماعيل، وكمال يوسف وبشرى يعقوب، وصوت داود، وزهد يحيى، وكرم عيسى، ثمّ انكشف عنه فإذا أنا به وبيده حريرة بيضاء قد طويت طيّاً شديداً وقد قبض عليها، وقائل يقول: قد قبض محمّد على الدنيا كلّها، فلم يبق شيء إلاّ دخل في قبضته، ثمّ إنّ ثلاثة نفر كأنّ الشمس تطلع من وجوههم في يد أحدهم إبريق فضّة ونافجة مسك، وفي يد الثاني طست من زمردة خضراء لها أربع جوانب، من كلّ جانب لؤلؤة بيضاء، وقائل يقول: هذه الدنيا فاقبض عليها يا حبيب الله، فقبض على وسطها، وقائل يقول: قبض الكعبة، وفي يد الثالث حريرة بيضاء مطويّة فنشرها فأخرج منها خاتماً تحار أبصار الناظرين فيه، فغسل بذلك الماء من الإبريق سبع مرّات، ثمّ ضرب الخاتم على كتفيه، وتفل في فيه، فاستنطقه فنطق فلم أفهم ما قال إلاّ أنّه قال: في أمان الله وحفظه وكلاءته، قد حشوت قلبك إيماناً وعلماً ويقيناً وعقلاً وشجاعةً، أنت خير البشر، طوبى لمن اتّبعك، وويل لمن تخلّف عنك، ثمّ أدخل بين أجنحتهم ساعة، وكان الفاعل به هذا رضوان، ثمّ انصرف وجعل يلتفت إليه ويقول: أبشر يا عزّ الدنيا والآخرة، ورأيت نوراً يسطع من رأسه حتّى بلغ السّماء، ورأيت قصور الشامات كأنها شعلة نار نوراً، ورأيت حولي من القطا أمراً عظيماً قد نشرت أجنحتها[١].

١٨ - قب: المفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لمّا ولد رسول الله صلى الله عليه وآله فتح لآمنة بياض فارس، وقصور الشام، فجاءت فاطمة بنت أسد إلى أبي طالب ضاحكة مستبشرة فأعلمته ما قالته آمنه، فقال لها أبو طالب: وتتعجّبين من هذا؟ إنّك تحبلين وتلدين بوصيّه ووزيره[٢].

١٩ - قب: قال عبد المطّلب: لمّا انتصفت تلك اللّيلة إذا أنا ببيت الله قد اشتمل بجوانبه الأربعة، وخرّ ساجداً في مقام إبراهيم، ثمّ استوى البيت منادياً: الله أكبر رب محمّد المصطفى، الآن قد طهّرني ربّي من أنجاس المشركين، وأرجاس الكافرين، ثمّ انتقضت الأصنام، وخرّت على وجوهها، وإذا أنا بطير الأرض حاشرة إليها، وإذا جبال مكّة مشرفة عليها، وإذا بسحابة بيضاء بإزاء حجرتها فأتيتها وقلت: أنا نائم أو يقظان؟ قالت: بل يقظان، قلت فأين نور جبهتك؟ قالت: قد وضعته، وهذه الطير تنازعني أن أدفعه إليها فتحمله إلى أعشاشها، وهذه السحاب تظلّني لذلك، قلت: فهاتيه أنظر إليه، قالت: حيل بينك وبينه إلى ثلاثة أيّام، فسللت سيفي وقلت: لتخرجنّه أو لأقتلنّك، قالت: شأنك وإيّاه، فلمّا هممت أن ألج البيت بدر إليّ من داخل البيت رجل، وقال لي: ارجع وراك، فلا سبيل لأحد من ولد آدم إلى رؤيته أو أن تنقضي زيارة الملائكة، فارتعدت وخرجت[٣].

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٥٣.
(٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٥٨.
(٣) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٥٥.

٢٠ - **قب:** عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لمّا ولد رسول الله صلى الله عليه وآله أُلقيت الأصنام في الكعبة على وجوهها، فلمّا أمسى سمع صيحة من السماء: جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً.

وورد أنّه أضاء تلك اللّيلة جميع الدنيا، وضحك كلّ حجر ومدر وشجر، وسبّح كلّ شيء في السّماوات والأرض لله عزّوجلّ وانهزم الشيطان وهو يقول: خير الأمم، وخير الخلق، وأكرم العبيد، وأعظم العالم محمّد صلى الله عليه وآله [١].

٢١ - **قب:** من إبانة ابن بطّة قال: ولد النبيّ صلى الله عليه وآله مختوناً مسروراً، فحكي ذلك عند جدّه عبد المطّلب، فقال: ليكوننّ لابني هذا شأن[٢].

٢٢ - **قب:** قال المأمون للحكيم إيزد خواه ما شاء الله لمّا صحح عنده إحكاماً: لم لا تؤمن بنبيّنا وأنت بهذا المحلّ من العلم والكياسة؟ فقال: كيف أؤمن وأصدق كاذباً وأنا أعلم كذبه، والنّبيّ لا يكذب؟ فقال المأمون: كيف؟ قال: قوله: أنا آخر نبيّ وخاتم الأنبياء، ولا يكون بعدي نبي أبداً، وهو الّذي قال في علمي كذب لا محالة، لأنّه ولد بالطالع الّذي لو ولد فيه مولود لا بدّ أن يكون نبيّاً، فظهر لي بهذا كذبه، إذ قال: لا نبيّ بعدي، فكيف أؤمن به وأصدّقه؟ فخجل المأمون من ذلك، وتحيّر الفقهاء، فقال متكلّم: من هاهنا قلنا إنّه صادق، وإنّه خاتم الأنبياء لأنّ الحكماء كلّهم اجتمعوا على أنّ نجمه صلى الله عليه وآله كان المشتري وعطارد والزهرة والمرّيخ، ولا يولد بها ولد إلاّ ويموت من ساعته، وإن عاش فيموت لا محالة، ولا يجاوز يوم السابع، وهو قد عاش وبقي ثلاثاً وستّين سنة، فصحّ أنّه آية، وقد أتى من المعجزات الباهرة بما لم يأت بمثله أحد قبله ولا بعده، فأقرّ إيزد خواه، وأسلم، فسمّي ما شاء الله الحكيم، فمن نظر المشتري له العلم والحكمة والفطنة والسياسة والرئاسة، ومن نظر عطارد اللّطافة والظرافة والملاحة والفصاحة والحلاوة، ومن نظر الزهرة الصباحة والهشاشة والبشاشة والحسن والطيب والجمال والبهاء والغنج والدلال، ومن نظر المرّيخ السيف والجلادة والقتال والقهر والغلبة والمحاربة، فجمع الله فيه جميع المدائح.

وقال بعض المنجّمين: موالد الأنبياء السنبلة والميزان، وكان طالع النّبيّ صلى الله عليه وآله: الميزان، وقال صلى الله عليه وآله: ولدت بالسّماك، وفي حساب المنجّمين أنّه السماك الرامح[٣].

٢٣ - **قب:** حملت به أمّه في أيّام التشريق، عند جمرة العقبة الوسطى، في منزل عبدالله ابن عبد المطّلب، وولد بمكّة عند طلوع الفجر من يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الأوّل، بعد خمس وخمسين يوماً من هلاك أصحاب الفيل، وقالت العامّة: يوم الاثنين

---

(١) - (٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٥٨-٥٩.

(٣) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ١٨١.

الثاني أو العاشر منه، لسبع بقين من ملك أنوشيروان، ويقال: في ملك هرمز لثمان سنين وثمانية أشهر مضت من ملك عمرو بن هند ملك العرب، ووافق شهر الروم العشرين من شباط في السنة الثانية من ملك هرمز بن أنوشيروان، والأوّل هو الصحيح لقوله: «ولدت في زمن الملك العادل أنوشيروان».

قال الكلينيّ: في شعب أبي طالب، في دار محمّد بن يوسف، في الزّاوية القصوى عن يسارك، وأنت داخل الدار. وقال الطبريّ: في بيت من الدار الّتي تعرف اليوم بدار يوسف، وهو أخو الحجّاج بن يوسف، وكان قد اشتراها من عقيل، وأدخل ذلك البيت في الدار حتى أخرجته خيزران واتّخذته مسجداً يصلّى فيه.

الزهرة، عن أبي عبد الله الطرابلسيّ: البيت الّذي ولد فيه رسول الله في دار محمّد بن يوسف[1].

٢٤ - **نجم:** حدّثنا ابن حميد، عن سلمة، عن محمّد بن إسحاق قال: كان من حديث كسرى كما حدّثني به بعض أصحابي عن وهب بن منبّه: كان سكر دجلة الغوراء، وأنفق عليها من الأموال ما يدرى ما هو، وكان طاق مجلسه قد بني بنياناً لم ير مثله، وكان يعلّق به تاجه فيجلس فيه إذا جلس للنّاس، وكان عنده ستّون وثلاث مائة رجل من العلماء من بين كاهن وساحر ومنجّم، قال: وكان فيهم رجل من العرب يقال له: السائب، يعتاف اعتياف العرب، قلّما يخطىء، بعث إليه باذان من اليمن، وكان كسرى إذا حزنه أمر جمع كهّانه وسحّاره ومنجّميه وقال: انظروا في هذا الأمر ما هو، فلمّا أن بعث الله نبيّه محمّداً ﷺ أصبح كسرى ذات غداة وقد انقضت طاق ملكه من وسطها، وانخرقت عليه دجلة الغوراء، فلمّا رأى ذلك حزنه، وقال: انقضت طاق ملكي من وسطها من غير ثقل، وانخرقت دجلة الغوراء «شاه بشكست» يقول: الملك انكسر، ثمّ دعا بكهّانه وسحّاره ومنجّميه ودعا السائب معهم وقال: انقضت طاق ملكي من غير ثقل، وانخرقت دجلة الغوراء «شاه بشكست» انظروا في هذا الأمر ما هو، فخرجوا من عنده فنظروا في أمره فأُخذ عليهم بأقطار السماء، وأظلمت عليهم الأرض، وتسكّعوا في علمهم، فلا يمضي لساحر سحره، ولا لكاهن كهانته، ولا يستقيم لمنجّم علم نجومه، وبات السائب في ليلة ظلّ على ربوة من الأرض يرمق برقاً نشأ من قبل الحجاز، ثمّ استطار حتّى بلغ المشرق، فلمّا أصبح ذهب ينظر إلى ما تحت قدميه فإذا روضة خضراء، فقال فيما يعتاف: لئن صدق ليخرجنّ من الحجاز سلطان يبلغ المشرق، يخصب عنه الأرض كأفضل ما أخصبت عن ملك كان قبله، فلمّا خلص الكهّان والمنجّمون بعضهم إلى بعض ورأوا ما قد أصابهم ورأى السائب ما قد رأى قال بعضهم لبعض: تعلمون؟ والله ما حيل بينكم وبين علمكم إلاّ لأمرٍ جاء من السّماء، وإنّه لنبيّ قد بعث أو هو مبعوث يسلب هذا

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٢٢.

الملك ويكسره، ولئن نفيتم لكسرى ملكه ليقتلنكم، فأقيموا بينكم أمراً تقولونه حتّى تؤخّرونه عنكم إلى أمر ما شاع، فجاءوا إلى كسرى فقالوا له: قد نظرنا في هذا الأمر فوجدنا حسابك الّذي وضعت به طاق ملكك وسكرت دجلة الغوراء وضعوه على النحوس، فلمّا اختلف عليهم اللّيل والنهار وقعت النحوس على مواقعها، فذلك كلّ وضع عليها، وإنّا سنحسب لك حساباً تضع عليه بنيانك فلا تزول، قال: فاحسبوا، فحسبوا له، ثمّ قالوا له: ابنه، فبنى فعمل في دجلة ثمانية أشهر، وأنفق فيها من الأموال ما لا يدرى ما هو حتّى إذا فرغ قال لهم: أجلس على سورها؟ قالوا: نعم، فأمر البسط والفرش والرياحين فوضعت عليها، وأمر بالمرازبة فجمعوا إليه النقّابون، ثمّ خرج حتّى جلس عليها، فبينا هو هنالك إذ انتسفت دجلة بالبنيان من تحته فلم يخرج إلاّ بآخر رمق، فلمّا أخرجوه جمع كهّانه وسحّاره ومنجّميه فقتل منهم قريباً من مائة، وقال: نمّيتكم وأدنيتكم دون النّاس فأجريت عليكم أرزاقي تلعبون بي؟ قالوا: أيّها الملك أخطأنا كما أخطأ من قبلنا، ولكنّا سنحسب حساباً فنبيّنه حتّى تضعها على الوثاق من السعود، قال: انظروا ما تقولون، قالوا: فإنّا نفعل، قال: فاحسبوا، فحسبوا ثمّ قالوا له: ابنه فبنى وأنفق من الأموال ما لا يدرى ما هو ثمانية أشهر، فلمّا فرغوا قال: أفأخرج وأقعد عليها؟ قالوا: نعم، فهاب الجلوس عليها، وركب برذوناً له، وخرج يسير عليها فبينا هو يسير إذ انتسفت دجلة بالبنيان فلم يدرك إلاّ بآخر رمق، فدعاهم فقال: والله لآمرن على آخركم، ولأنزعن أكتافكم، ولأطرحنكم تحت أيدي الفيلة، أو لتصدقني ما هذا الأمر الذي تلفقون عليّ؟ قالوا لا نكذبنّك أيّها الملك، أمرتنا حين انخرقت عليك دجلة وانقضت عليك طاق مجلسك من غير ثقل أن ننظر في علمنا، فأظلمت علينا بأقطار السّماء فتردّد علمنا في أيدينا، فلا يستقيم لساحر سحره، ولا لكاهن كهانته، ولا لمنجّم علم نجومه فعرفنا أنّ هذا الأمر حدث من السّماء، وأنّه قد بعث نبيّ أو هو مبعوث، فلذلك حيل بيننا وبين علمنا، فخشينا إن نفينا إليك ملكك أن تقتلنا، فكرهنا من الموت ما يكره الناس فعلّلناك عن أنفسنا بما رأيت، قال: ويحكم فهلاّ يكون بيّنتم لي هذا فأرى فيه رأيي؟! قالوا: منعنا من ذلك ما تخوّفنا منك، فتركهم ولها عن دجلة حين غلبته[1].

بيان: التسكّع: التحيّر والتمادي في الباطل. والمرازبة: رؤساء الفرس وأمراؤهم، ويقال: نمّيته تنمية أي رفعته، ولفّق الحديث: زخرفه، ثمّ الظاهر أنّ قوله: فلمّا أن بعث الله نبيّه، من سهو الرواة أو الكتّاب، وكان مكانه فلمّا ولد النبيّ ﷺ كما عرفت في الأخبار السابقة، على أنّه يحتمل وقوع مثل هذا في الوقتين معاً.

٢٥ - **عم:** ولد ﷺ يوم الجمعة عند طلوع الشمس، السابع عشر من شهر ربيع الأوّل عام الفيل، وفي رواية العامّة ولد ﷺ يوم الاثنين، ثمّ اختلفوا فمن قائل يقول: لليلتين من

---

(١) فرج المهموم: ص ٣٢.

شهر ربيع الاوّل، ومن قائل يقول: لعشر ليال خلون منه، وذلك لأربع وثلاثين سنة وثمانية أشهر مضت من ملك كسرى أنوشيروان بن قباد، وهو قاتل مزدك والزنادقة ومبيرهم، وهو الذي عنى رسول الله ﷺ على ما يزعمون ولدت في زمان الملك الصالح، ولثماني سنين وثمانية أشهر من ملك عمرو بن هند ملك العرب، وكنيته أبو القاسم، وروى أنس بن مالك قال: لمّا ولد إبراهيم ابن النبيّ ﷺ من مارية أتاه جبرئيل فقال: السلام عليك أبا إبراهيم، أو يا أبا إبراهيم، ونسبه محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب، واسمه شيبة الحمد بن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف، واسمه المغيرة بن قصيّ، واسمه زيد بن كلاب بن مرّة بن كعب ابن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر، وهو قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، روي عنه ﷺ أنّه قال: إذا بلغ نسبي عدنان فامسكوا. وروي عن أمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ قالت: سمعت النبيّ ﷺ يقول: معد بن عدنان بن أدد بن زيد بن ثرا بن أعراق الثرى، قالت أمّ سلمة: زيد هميسع، وثرا نبت، وأعراق الثرى، إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، قالت: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾[1] لا يعلمهم إلاّ الله.

وذكر الشيخ أبو جعفر بن بابويه رحمه الله: عدنان بن أدّ بن أُدد بن يامين بن يشجب بن منحر ابن صابوغ بن الهميسع، وفي رواية أُخرى: عدنان بن أدد بن زيد بن يقدد بن يقدم بن الهميسع ابن نبت بن قيذار بن إسماعيل عليه السلام. وقيل: الأصحّ الّذي اعتمد عليه أكثر النسّاب وأصحاب التواريخ أنّ عدنان هو أدّ بن ادد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل ابن قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام بن تارخ بن ناحور بن ساروع بن ارغوا بن فالع بن عابر - وهو هود عليه السلام - بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح بن ملك بن متوشلح بن أُخنوخ ويقال: أحنوخ - وهو إدريس عليه السلام - ابن يازد بن هلايل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام، وأمّه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب، وأرضعته حتّى شبّ حليمة بنت عبد الله بن الحارث بن شجنة السعديّة، من بني سعد بن بكر بن هوازن، وكانت ثوبية مولاة أبي لهب بن عبد المطّلب أرضعته أيضاً بلبن ابنها مسروح، وذلك قبل أن تقدم حليمة، وتوفّيت ثوبية مسلمةً سنة سبع من الهجرة، ومات ابنها قبلها، وكانت قد أرضعت ثوبية قبل حمزة بن عبد المطّلب عمّه، لذلك قال رسول الله ﷺ لابنة حمزة: إنّها ابنة أخي من الرضاعة، وكان حمزة أسنّ من رسول الله ﷺ بأربع سنين، وأمّا جدّته أمّ أبيه عبد الله فهي فاطمة بنت عمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وأمّ عبد المطّلب سلمى بنت عمرة من بني النجّار، وأمّ هاشم عاتكة بنت مرّة بن هلال من بني سليم، وأمّ قصيّ وزهرة فاطمة بنت سعد من أزد السّراة، وصدع ﷺ بالرسالة يوم السابع

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٨.

والعشرين من رجب، وله يومئذٍ أربعون سنة، وقبض ﷺ يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة عشرين من الهجرة وهو ابن ثلاث وستّين سنة[(١)].

٢٦ - **نجم:** ذكر الزمخشريّ في ربيع الأبرار أنّه قال بعض المنجّمين: إنّ مواليد الأنبياء السنبلة والميزان، وكان طالع النبيّ ﷺ الميزان، وقال ﷺ: ولدت بالسّماك، وفي حساب المنجّمين أنّه السّماك الرامح، وكان في ثاني طالعه زحل. فلم يكن له ملك ولا عقار[(٢)].

٢٧ - **يل:** قال الواقديّ: أوّل ما افتتح به عقيل بن أبي وقّاص أن قال: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، الحمد لله الّذي جعلنا من نسل إبراهيم، ومن شجرة إسماعيل، ومن غصن نزار، ومن ثمرة عبد مناف، ثمّ أثنى على الله تعالى ثناءً بليغاً، وقال فيه جميلاً، وأثنى على اللاّت والعزّى، وذكرهم بالجميل، وعقد النكاح، ونظر إلى وهب، وقال: يا أبا الوداح زوّجت كريمتك آمنة من ابن سيّدنا عبد المطّلب على صداق أربعة آلاف درهم بيض هجريّة جياد، وخمس مائة مثقال ذهب احمر؟ قال: نعم، ثمّ قال: يا عبد الله قبلت هذا الصداق يا أيّها السيّد الخاطب؟ قال نعم، ثمّ دعا لهما بالخير والكرامة، ثمّ أمر وهب أن تقدّم المائدة فقدّمت مائدة خضرة فأُتي من الطعام الحارّ والبارد والحلو والحامض فأكلوا وشربوا، قال: ونثر عبد المطّلب على ولده قيمة ألف درهم من النثار، وكان متّخذاً من مسك بنادق، ومن عنبر ومن سكر ومن كافور، ونثر وهب بقيمة ألف درهم عنبراً، وفرح الخلق بذلك فرحاً شديداً.

قال الواقديّ: فلمّا فرغوا من ذلك نظر عبد المطّلب إلى وهب وقال: وربّ السّماء إنّي لا أُفارق هذا السقف أو أُؤلّف بين ولدي وحليلته، فقال وهب: بهذه السرعة لا يكون، فقال عبد المطّلب: لا بدّ من ذلك، فقام وهب ودخل على امرأته برّة وقال لها: اعلمي أنَّ عبد المطّلب قد حلف بربّ السّماء أنّه لا يفارق هذا السقف أو يؤلّف بين ولده عبد الله وبين زوجته آمنة، فقامت المرأة من وقتها ودعت بعشر من المشّاطات وأمرتهنّ أن يأخذن في زينة آمنة، فقعدن حول آمنة، فواحدة منهنَّ تنقش يديها، وواحدة تخضب، وواحدة تسرّح ذؤابتها، فلمّا كان عند غروب الشمس وقد فرغن من زينتها نصبوا سريراً من الخيزران، وقد فرشوا عليه من ألوان الديباج والوشي، وقعدت الجارية على السرير وعقدن على رأسها تاجاً، وعلى جبينها إكليلاً، وعلى عنقها مخانق الدرّ والجواهر، وتخوتمت بأنواع الخواتيم، وجاء وهب وقال لعبد المطّلب: يا سيّدي اقدم على العروس، فقام عبد المطّلب إلى العروس وهي كأنّها فلقة قمر من حسنها، وتقدّم عبد المطّلب إلى السرير وقبّله وقبّل عين العروس، فقال عبد المطّلب لولده عبد الله: اجلس يا ولدي معها على السرير وافرح برؤيتها، قال: فرفع عبد الله قدمه وصعد إلى السرير، وقعد إلى جنب العروس، وفرح

---

(١) اعلام الورى، ص ١٩.

(٢) فرج المهموم: ص ١١٤.

عبد المطّلب، وكان من عبد الله إلى أهله ما يكون من الرجال إلى النساء، فواقعها، فحملت بسيّد المرسلين وخاتم النبيّين، وقام من عندها إلى عند أبيه فنظر إليه أبوه وإذا النور قد فارق من بين عينيه، وبقي عليه من أثر النور كالدرهم الصحيح، وذهب النور إلى ثدي آمنة، فقام عبد المطّلب إلى عند آمنة ونظر إلى وجهها فلم يكن النور كما كان في عبد الله بل أنور، فذهب عبد المطّلب إلى عند حبيب الراهب فسأله عن ذلك، فقال حبيب: اعلم أنّ هذا النور هو صاحب النور بعينه، وصار في بطن أمّه، فقام عبد المطّلب وخرج مع الرجل وبقي عبد الله عند أهله إلى أن ذهبت الصفرة من يديه، وذلك أنّ العرب كانوا إذا دخلوا بأهلهم خضبوا أيديهم بالحنّاء، ولا يخرجون من عندهم وعلى أيديهم أثر من الحنّاء، وبقي عبد الله أربعين يوماً، وخرج ونظر أهل مكّة إلى عبد الله والنور قد فارق موضعه، فرجع عبد المطّلب من عند حبيب وقد أتى على رسول الله ﷺ شهر واحد في بطن أمّه، ونادت الجبال بعضها بعضاً، والأشجار بعضها بعضاً والسّماوات بعضها بعضاً، يستبشرون ويقولون: ألا إنّ محمّداً قد وقع في رحم أمّه آمنة، وقد أتى عليه شهر ففرح بذلك الجبال والبحار والسّماوات والأرضون، فورد عليه كتاب من يثرب بموت فاطمة بنت عبد المطّلب، وكان في الكتاب أنّها ورثت مالاً كثيراً خطيراً، فاخرج أسرع ما تقدر عليه، فقال عبد المطّلب لولده عبد الله: يا ولدي لا بدّ لك أن تجيء معي إلى المدينة، فسافر مع أبيه ودخلا مدينة يثرب، وقبض عبد المطّلب المال، ولمّا مضى من دخولهما المدينة عشرة أيّام اعتلّ عبد الله علّة شديدة، وبقي خمسة عشر يوماً، فلمّا كان اليوم السادس عشر مات عبد الله، فبكى عليه أبوه عبد المطّلب بكاءً شديداً، وشقّ سقف البيت لأجله في دار فاطمة بنت عبد المطّلب، وإذا بهاتف يهتف ويقول: قد مات من كان في صلبه خاتم النبيّين، وأيّ نفر لا يموت؟ فقام عبد المطّلب، فغسّله وكفّنه ودفنه في سكّة يقال لها: شين، وبنى على قبره قبّة عظيمة من جصّ وآجر، ورجع إلى مكّة، واستقبلته رؤساء قريش وبنو هاشم، واتّصل الخبر إلى آمنة بوفاة زوجها، فبكت ونتفت شعرها، وخدشت وجهها، ومزقت جيبها، ودعت بالنائحات ينحن على عبد الله، فجاء بعد ذلك عبد المطّلب إلى دار آمنة وطيّب قلبها، ووهب لها في ذلك الوقت ألف درهم بيض، وتاجين قد اتّخذهما عبد مناف لبعض بناته، وقال لها: يا آمنة لا تحزني فإنّك عندي جليلة، لأجل من في بطنك ورحمك، فلا تهتك أمرك، فسكتت وطيّب قلبها.

قال الواقديّ: فلمّا أتى على رسول الله ﷺ في بطن أمّه شهران أمر الله تعالى منادياً في سماواته وأرضه أن ناد في السماوات والأرض والملائكة: أن استغفروا لمحمّد ﷺ وأمّته، كلّ هذا ببركة النبيّ ﷺ.

قال الواقديّ: فلمّا أتى على رسول الله ﷺ في بطن أمّه ثلاثة أشهر كان أبو قحافة راجعاً من الشام، فلمّا بلغ قريباً من مكّة وضعت ناقته جمجمتها على الأرض ساجدةً، وكان بيد أبي قحافة قضيب فضربها بأوجع ضرب، فلم ترفع رأسها، فقال أبو قحافة: فما أرى ناقة تركت

صاحبها، وإذا بهاتف يهتف ويقول: لا تضرب يا أبا قحافة من لا يطيعك، ألا ترى أنّ الجبال والبحار والأشجار سوى الآدميّين سجدوا لله، فقال أبو قحافة: يا هاتف وما السبب في ذلك؟ قال اعلم أنّ النّبيّ الأميّ قد أتى عليه في بطن أُمّه ثلاثة أشهر، قال أبو قحافة: ومتى يكون خروجه، قال: سترى يا أبا قحافة إن شاء الله تعالى، فالويل كلّ الويل لعبدة الأصنام من سيفه وسيف أصحابه، فقال أبو قحافة: فوقفت ساعة حتّى رفعت الناقة رأسها، وجئت إلى عبد المطّلب فأخبرته.

قال الواقديّ: فلمّا أتى على رسول الله ﷺ أربعة أشهر كان زاهد على الطريق من الطائف، وكان له صومعة بمكّة على مرحلة، قال: فخرج الزاهد وكان اسمه حبيباً، فجاء إلى بعض أصدقائه بمكّة، فلمّا بلغ أرض الموقف، إذا بصبيّ قد وضع جبينه على الأرض، وقد سجد على جمجمته، قال حبيب: فدنوت منه فأخذته، وإذا بهاتف يهتف ويقول: خلّ عنه يا حبيب، ألا ترى إلى الخلائق من البرّ والبحر والسهل والجبل قد سجدوا لله شكراً لما أتى على النبيّ الزكيّ الرضيّ المرضيّ في بطن أُمّه خمسة أشهر، وهذا الصبي قد سجد لله، قال حبيب: فتركت الصبيّ ودخلت مكّة وبيّنت ذلك لعبد المطّلب، وعبد المطّلب يقول: اكتم هذا الاسم، فإنّ لهذا الاسم أعداء، قال: وذهب حبيب إلى صومعته فإذا الصومعة تهتزّ ولا تستقرّ، وإذا على محرابه مكتوب وعلى محراب كلّ راهب: يا أهل البيع والصوامع آمنوا بالله وبرسوله محمّد بن عبد الله، فقد آن خروجه، فطوبى ثمّ طوبى لمن آمن به، والويل كلّ الويل لمن كفر به، وردّ عليه حرفاً ممّا يأتي به من عند ربّه، قال حبيب: فقلت: السمع والطاعة، إنّي لمؤمن وطائع غير منكر.

قال الواقديّ: فلمّا أتى على رسول الله ﷺ في بطن أُمّه ستّة أشهر خرج أهل المدينة واليمن إلى العيد، وكان رسمهم أنّهم يمرّون في كلّ سنة ستّة أعياد، وكانوا يذهبون عند شجرة عظيمة يقال لها: ذات أنواط، وهي الّتي سماها الله تعالى في كتابه: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ فذهبوا في ذلك وأكلوا وشربوا وفرحوا وتقاربوا من الشجرة، وإذا بصيحة عظيمة من وسط الشجرة وهو هاتف يقول: يا أهل اليمن، ويا أهل اليمامة، ويا أهل البحرين، ويا عبدة الأصنام، ويا من سجد للأوثان، جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً، يا قوم قد جاءكم الهلاك، قد جاءكم التلف، قد جاءكم الويل والثبور، قال: ففزعوا من ذلك وانهزموا راجعين إلى منازلهم متحيّرين متعجّبين من ذلك.

قال الواقديّ: فلمّا أتى على رسول الله ﷺ في بطن أُمّه سبعة أشهر جاء سواد بن قارب إلى عبد المطّلب، وقال له: اعلم يا أبا الحارث أنّي كنت البارحة بين النوم واليقظة، فرأيت أبواب السّماء مفتّحة، ورأيت الملائكة ينزلون إلى الأرض، معهم ألوان الثياب يقولون: زيّنوا الأرض فقد قرب خروج من اسمه محمّد، وهو نافلة عبد المطّلب رسول الله إلى

الأرض، وإلى الأسود والأحمر والأصفر، وإلى الصغير والكبير والذكر والأنثى، صاحب السيف القاطع، والسهم النافذ، فقلت لبعض الملائكة: من هذا تزعمون؟ فقال: ويلك هذا محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف، فهذا ما رأيت، فقال له عبد المطّلب: اكتم الرؤيا ولا تخبر به أحداً لننظر ما يكون.

قال الواقديّ: فلمّا أتى على النبيّ ﷺ في بطن أُمّه ثمانية أشهر كان في بحر الهواء حوتة يقال لها: طينوسا، وهي سيّدة الحيتان، فتحرّكت الحيتان، وتحرّكت الحوتة، واستوت قائمة على ذنبها، وارتفعت وارتفع الأمواج عنها، فقالت الملائكة: إلهنا وسيّدنا ترى إلى ما تفعل طينوسا ولا تطيعنا، وليس لنا بها قوّة، قال: فصاح إستحيائيل الملك كصيحة عظيمة، وقال لها: قرّي يا طينوسا ألا تعرفين من تحت، فقالت طينوسا: يا إستحيائيل أمر ربّي يوم خلقني إذا ولد محمّد بن عبد الله استغفري له ولأمّته، والآن سمعت الملائكة يبشّر بعضهم بعضاً فلذلك قمت وتحرّكت، فناداها استحيائيل قرّي واستغفري، فإنّ محمّداً قد ولد، فلذلك انبطحت في البحر، وأخذت في التسبيح والتهليل والتكبير والثناء على ربّ العالمين.

قال الواقديّ: فلمّا أتى على رسول الله ﷺ في بطن أُمّه تسعة أشهر أوحى الله إلى الملائكة في كلّ سماء: أن اهبطوا إلى الأرض، فهبط عشرة آلاف ملك بيد كلّ ملك قنديل يشتعل بالنور بلا دهن، مكتوب على كلّ قنديل: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، يقرأه كلّ عربيّ كاتب، ووقفوا حول مكّة في المفاوز، وإذا بهاتف يهتف ويقول: هذا نور محمّد رسول الله ﷺ، قال: فورد الخبر على عبد المطّلب فأمر بكتمانه إلى أن يكون.

قال الواقديّ: فلمّا كملت تسعة أشهر لرسول الله ﷺ صار لا يستقرّ كوكب في السماء إلاّ من موضع إلى موضع يبشّرون بعضهم بعضاً، والناس ينظرون إلى الكواكب في السّماء مسيّرات لا يستقرّون، فأقام ذلك ثلاثين يوماً.

قال الواقديّ: فلمّا تمّ لرسول الله ﷺ تسعة أشهر نظرت أمّ رسول الله ﷺ آمنة إلى أُمّها برّة وقالت: يا أمّاه إنّي أحبّ أن أدخل البيت فأبكي على زوجي ساعة وأقطر دمعي على شبابه وحسن وجهه، فإذا دخلت البيت وحدي فلا يدخل عليّ أحد، فقالت لها برّة: ادخلي يا آمنة فابكي، فحقٌّ لك البكاء، قال: فدخلت آمنة البيت وحدها وقعدت وبكت وبين يديها شمع يشتعل، وبيدها مغزل من آبنوس، وعلى مغزلها فلقة من عقيق أحمر، وآمنة تبكي وتنوح إذ أصابها الطلق، فوثبت إلى الباب لتفتحه فلم ينفتح، فرجعت إلى مكانها، وقالت: وا وحدتاه، وأخذها الطلق والنفاس، وما شعرت بشيء حتّى انشقّ السقف، ونزلت من فوق أربع حوريّات، وأضاء البيت لنور وجوههنّ، وقلن لآمنة: لا بأس عليك يا جارية إنّا جئناك لنخدمك، فلا يهمّنك أمرك، وقعدت الحوريّات واحدة على يمينها، وواحدة على شمالها، وواحدة بين يديها، وواحدة من ورائها، فهوّمت عين آمنة وغفت غفوة، قال ابن عبّاس: ما

كان من أمر أمّ الصبيّ إلاّ أنّها كانت نائمة عند خروج ولدها من بطنها، فانتبهت أمّ النبيّ ﷺ فاذا النبيّ تحت ذيلها، قد وضع جبينه على الأرض ساجداً لله، ورفع سبابتيه مشيراً بهما لا إله إلاّ الله.

قال الواقديّ: ولد رسول الله ﷺ في ليلة الجمعة قبل طلوع الفجر في شهر ربيع الأوّل لسبعة عشر منه في سنة تسعة آلاف سنة وتسعمائة وأربعة أشهر وسبعة أيّام من وفاة آدم عليه السلام.

قال الواقديّ: ونظرت أمّه آمنة إلى وجه رسول الله ﷺ فإذا هو مكتحل العينين، منقّط الجبين والذقن، وأشرق من وجنتي النبيّ ﷺ نور ساطع في ظلمة اللّيل، ومرّ في سقف البيت، وشقّ السقف، ورأت آمنة من نور وجهه كلّ منظر حسن وقصر بالحرم، وسقط في تلك اللّيلة أربعة وعشرون شرفاً من إيوان كسرى، وأخمدت في تلك اللّيلة نيران فارس، وأبرق في تلك اللّيلة برق ساطع في كلّ بيت وغرفة في الدنيا ممّن قد علم الله تعالى وسبق في علمه أنّهم يؤمنون بالله ورسوله محمّد ﷺ، ولم يسطع في بقاع الكفر بأمر الله تعالى، وما بقي في مشارق الأرض ومغاربها صنم ولا وثن إلاّ وخرّت على وجوهها ساقطة على جباهها خاشعة، وذلك كلّه إجلالاً للنبيّ ﷺ.

قال الواقديّ: فلمّا رأى إبليس لعنه الله تعالى وأخزاه ذلك وضع التراب على رأسه وجمع أولاده وقال لهم: يا أولادي اعلموا أنّني ما أصابني منذ خلقت مثل هذه المصيبة، قالوا: وما هذه المصيبة؟ قال: اعلموا أنّه قد ولد في هذه اللّيلة مولود اسمه محمّد بن عبد الله ﷺ يبطل عبادة الأوثان، ويمنع السجود للأصنام، ويدعو الناس إلى عبادة الرحمن، قال: فنثروا التراب على رؤوسهم، ودخل إبليس لعنه الله تعالى في البحر الرابع وقعد فيه للمصيبة هو وأولاده مكروبين أربعين يوماً.

قال الواقديّ: فعند ذلك أخذت الحوريّات محمّداً ﷺ ولففنه في منديل روميّ، ووضعنه بين يدي آمنة، ورجعن إلى الجنّة يبشّرون الملائكة في السّماوات بمولد النبيّ ﷺ، ونزل جبرئيل وميكائيل عليهما السلام ودخلا البيت على صورة الآدميّين وهما شابّان، ومع جبرئيل طشت من ذهب، ومع ميكائيل إبريق من عقيق أحمر، فأخذ جبرئيل رسول الله ﷺ وغسله، وميكائيل يصبّ الماء عليه فغسلاه، وآمنة في زاوية البيت قاعدة فزعة مبهوتة، فقال لها جبرئيل: يا آمنة لا نغسله من النجاسة، فإنّه لم يكن نجساً، ولكن نغسله من ظلمات بطنك، فلمّا فرغوا من غسله وكحلوا عينيه ونقطوا جبينه بورقة كانت معهم مسك وعنبر وكافور مسحوق بعضه ببعض فذروه فوق رأسه ﷺ قالت آمنة: وسمعت جلبة وكلاماً على الباب، فذهب جبرئيل إلى الباب فنظر ورجع إلى البيت وقال: ملائكة سبع سماوات يريدون السّلام على النبيّ ﷺ فاتّسع البيت ودخلوا عليه موكب بعد موكب وسلّموا عليه، وقالوا: السّلام عليك يا محمّد، السّلام عليك يا محمود، السلام عليك يا أحمد، السّلام عليك يا حامد.

قال الواقديّ: فلمّا دخل من اللّيل ثلثه أمر الله تعالى جبرئيل عليه السلام أن يحمل من الجنّة أربعة أعلام، فحمل جبرئيل الأعلام ونزل إلى الدّنيا، ونصب علماً أخضر على جبل قاف مكتوباً عليه بالبياض سطران: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، ونصب علماً آخر على جبل أبي قبيس له ذؤابتان مكتوب على واحدة منهما: شهادة أن لا إله إلاّ الله، وفي الثانية: لا دين إلاّ دين محمّد بن عبد الله، ونصب علماً آخر على سطح بيت الله الحرام له ذؤابتان مكتوب على واحدة منهما: طوبى لمن آمن بالله وبمحمّد، والويل لمن كفر به وردّ عليه حرفاً ممّا يأتي به من عند ربّه، ونصب علماً آخر على ضراح بيت الله المقدّس وهو أبيض عليه خطّان مكتوبان بالسواد، الأوّل: لا غالب إلاّ الله، والثاني: النصر لله ولمحمّد صلى الله عليه وآله.

قال الواقديّ: وذهب إستحيائيل ووقف على ركن جبل أبي قبيس ونادى بأعلى صوته: يا أهل مكّة آمنوا بالله ورسوله، والنور الّذي أنزلنا، وأمر الله غمامة أن ترفع فوق بيت الله الحرام، وتنثر على البيت الحرام ريش الزعفران والمسك والعنبر، وتمطر على البيت، فلمّا أصبحوا رأوا ريش الزعفران والمسك والعنبر، وارتفعت الغمامة وأمطرت على البيت، وخرجت الأصنام من بيت الله الحرام، وجاءوا إلى عند الحجر وانكبّوا على وجوههم، وجاء جبرئيل بقنديل أحمر له سلسلة من جزع أصفر، وهو يشتعل بلا دهن بقدرة الله تعالى.

قال الواقديّ: وبرق من وجه النبيّ صلى الله عليه وآله برق وذهب في الهواء حتّى التزق بعنان السّماء، وما بقي بمكّة دار ولا منظر إلاّ دخله ذلك النور، ممّن سبق في قدر الله تعالى وعلمه أنّه يؤمن بالله، وبرسوله محمّد صلى الله عليه وآله، وما بقي في تلك اللّيلة كتاب من التوراة والإنجيل والزبور وممّا كان فيه اسمه صلى الله عليه وآله أو نعته إلاّ وقطر تحت اسمه قطرة دم، وقال: لأن الله تعالى بعثه بالسيف، وما بقي في تلك اللّيلة دير ولا صومعة إلاّ وكتب على محاريبها اسم محمّد صلى الله عليه وآله، فبقيت الكتابة إلى الصباح حتّى قرأ الرهبانيّة والديرانيّة، وعلموا أنّ النبيّ الأميّ صلى الله عليه وآله قد ولد.

قال الواقديّ: فعندها قامت آمنة رضي الله عنها وفتحت الباب، وصاحت صيحة وغشي عليها، ثمّ دعت بأمّها برّة وأبيها وهب وقالت: ويحكما أين أنتما؟ فما رأيتما ما جرى عليّ؟ إنّي وضعت ولدي، وكان كذا وكذا، تصف لهما ما رأته، قال: فقام وهب ودعا بغلام وقال: اذهب إلى عبد المطّلب وبشّره، وأهل مكّة على المغاير قد صعدوا والصروح ينظرون إلى العجائب ولا يدرون ما الخبر، وكذلك عبد المطّلب قد صعد مع أولاده فما شعروا بشيء حتّى قرع الغلام الباب، ودخل على عبد المطّلب وقال: يا سيّدنا أبشر فإنّ آمنة قد وضعت ولداً ذكراً، فاستبشر بذلك، وقال: قد علمت أنّ هذه براهين ودلائل لمولودي، فذهب عبد المطّلب إلى آمنة مع أولاده ونظروا إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ووجهه كالقمر ليلة البدر يسبّح ويكبّر في نفسه، فتعجب منه عبد المطّلب.

قال الواقديّ: فأصبح أهل مكّة يوم الثاني ونظروا إلى القنديل وإلى السلسلة وإلى ريش

الزعفران والعنبر ينزل من الغمامة، وإلى الأصنام وقد خرجن منكبّات على وجوههنّ، وبقي الخلق على ذلك، وجاء إبليس أخزاه الله على صورة شيخ زاهد وقال: يا أهل مكّة لا يهمنّكم أمر هذا فإنّما أخرج الأصنام اللّيل العفاريت والمردة، وسجدوا لهنّ، فلا يهمنّكم، وأمر إبليس لعنه الله أن تدخل الأصنام إلى جوف بيت الله الحرام ففعلوا ذلك، وإذا بهاتف يهتف ويقول: جاء الحقّ وزهق الباطل، ، إنّ الباطل كان زهوقاً.

قال الواقديّ: فأرسل الله تعالى إلى البيت جللاً من الديباج الأبيض مكتوب عليها بخطّ أسود: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم: يا أيّها النبيّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

قال الواقديّ: فتعجب الناس من ذلك وبقيت الجلل على البيت أربعين يوماً، فذهب رجل من آل إدريس وكان بيده مدّ سمناً فتمسّح بذلك الجلل والتحف به فارتفع الجلل من ليلته، ولو لم يلتحف به لبقي على بيت الله الحرام هذا الديباج إلى يوم القيامة.

قال الواقديّ: فاجتمع رؤساء بني هاشم وذهبوا إلى حبيب الراهب وقالوا: يا حبيب بيّن لنا خبر هذا الجلل وإخراج الأصنام من جوف بيت الله الحرام، والكواكب السّائرات، والبرق الذي برق في هذه اللّيلة، والجلبات الّتي سمعنا ممّا هي، فقال حبيب: أنتم تعلمون أنَّ ديني ليس دينكم، وأنا أقول الحقّ، إن شئتم فاقبلوا، وإن شئتم لا تقبلوا، ما هذه العلامات إلاّ علامات نبيّ مرسل في زمانكم، ونحن وجدنا في التوراة ذكر وصفه وفي الإنجيل نعته، وفي الزبور اسمه، واسمه في الصحف، وهو الّذي يبطل عبادة الأوثان والأصنام، ويدعو إلى عبادة الرَّحمن، ويكون على العلم قاطع السيف، طاعن الرمح، نافذ السهم، تخضع له ملوك الدنيا وجبابرتها، فالويل الويل لأهل الكفر والطغيان، وعبدة الأوثان من سيفه ورمحه وسهمه. فمن آمن به نجا، ومن كفر به هلك، فقام الخلق من عنده مغمومين مكروبين، ورجعوا إلى مكّة محزونين.

قال الواقديّ: وأصبح عبد المطّلب اليوم الثاني ودعا بآمنة وقال لها: هاتي ولدي، وقرّة عيني، وثمرة فؤادي، فجاءت آمنة ومحمّد على ساعدها، فقال عبد المطّلب: اكتميه يا آمنة ولا تبديه لأحدٍ، فإنّ قريشاً وبني أميّة يرصدون في أمره، قالت آمنة: السمع والطاعة، فجاء عبد المطّلب ومحمّد على ساعده، وأتى به إلى بيت الله الحرام، وأراد أن يمسح بدنه باللاّت والعزّى لتسكن دمدمة قريش وبني هاشم، ودخل عبد المطّلب بيت الله الحرام، فلمّا وضع رجله في البيت سمع النبيّ ﷺ يقول: بسم الله وبالله، وإذا البيت يقول: السّلام عليك يا محمد ورحمة الله وبركاته، وإذا بهاتف يهتف ويقول: جاء الحقّ وزهق الباطل، إنّ الباطل كان زهوقاً، فتعجّب عبد المطّلب من صغر سنّه وكلامه وممّا قال له البيت، فأمر عبد المطّلب خزنة البيت أنّ يكتموا ما سمعوا من البيت ومن محمّد ﷺ.

قال الواقديّ: فتقدّم عبد المطّلب إلى اللاّت والعزّى وأراد أن يمسح بدن النبيّ ﷺ باللاّت والعزّى فجذب من ورائه، فالتفت إلى ورائه فلم ير أحداً، فتقدّم ثانية فجذبه من ورائه جاذب، فنظر إلى ورائه فلم ير أحداً، ثمّ تقدّم ثالثة فجذبه الجاذب جذبةً شديدة حتّى أقعده على عجزه، وقال: يا أبا الحارث أتمسح بدناً طاهراً ببدن نجس؟!

قال الواقديّ: فعند ذلك وقف عبد المطّلب على باب بيت الله الحرام والنبيّ على ساعده وأنشأ يقول:

الحمد لله الّذي أعطاني هذا الغلام طيّب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان أعيذه بالبيت ذي الأركان
حتّى أراه مبلغ الغشيان أعيذه من كلّ ذي شنآن
من حاسد ذي طرف العينان

قال: وخرج عبد المطّلب متفكّراً ممّا سمع، ورأى من محمّد ﷺ إلى أمه، وقد وقعت الدمدمة في قريش وبين بني هاشم بسبب محمّد ﷺ.

قال الواقديّ: فلمّا كان اليوم الثالث اشترى عبد المطّلب مهداً من خيزران أسود، له شبكات من عاج، مرصّع بالذهب الأحمر، وله بركتان من فضّة بيضاء، ولونه من جزع أصفر، وغشّاه بجلال ديباج أبيض، مكوكب بذهب، وبعث إليها من الدرّ واللّؤلؤ الكبار الّذي تلعب به الصبيان في المهد بألوان الخرز، وكان النبيّ ﷺ إذا انتبه من نومه يسبّح الله تعالى بتلك الخرز.

قال الواقديّ: فلمّا كان اليوم الرابع جاء سواد بن قارب إلى عبد المطّلب، وكان عبد المطّلب قاعداً على باب بيت الله الحرام وقد حفّ به قريش وبنو هاشم، فدنا سواد بن قارب وقال: يا أبا الحارث اعلم أنّي قد سمعت أنّه قد ولد لعبد الله ذكر، وأنّهم يقولون فيه عجائب، فأريد أن أنظر إلى وجهه هنيئةً، وكان سواد بن قارب رجلاً إذا تكلّم سمع منه، وكان رجلاً صدوقاً، فقام عبد المطّلب ومعه سواد بن قارب وجاء إلى دار آمنة ﷺ ودخلا جميعاً والنبي ﷺ نائم، فلمّا دخلا القبّة قال عبد المطّلب: اسكت يا سواد حتّى ينتبه من نومه، فسكت فدخلا قليلاً قليلاً حتّى دخلا القبّة، ونظر إلى وجه النبيّ ﷺ وهو في مهده نائم، وعليه هيئة الأنبياء، فلمّا كشف الغطاء عن وجهه برق من وجهه برق شقّ السّقف بنوره، والتزق بأعنان السّماء، فألقى عبد المطّلب وسوادُ أكمامهما على وجهيهما من شدّة الضوء، فعندها انكبّ سوادُ على النّبيّ ﷺ وقال لعبد المطّلب: أُشهدك على نفسي أنّي آمنت بهذا الغلام، وبما يأتي به من عند ربّه، ثمّ قبّل وجنات النبيّ ﷺ وخرجا جميعاً، ورجع سواد إلى موضعه، وبقي عبد المطّلب فرحاً نشيطاً.

قال محمّد بن عمر الواقديّ: فلمّا أتى على النبيّ ﷺ شهر كان إذا نظر إليه الناظرون

توهّموا أنّه من أبناء سنة لوقارة جسمه، وتمام فهمه، وكانوا يسمعون من مهده التسبيح والتحميد والثناء على الله تعالى.

قال الواقديّ: فلمّا أتى على رسول الله ﷺ شهران مات وهب جدّه أبو أُمّه آمنة، وجاء عبد المطّلب وجماعة من قريش وبني هاشم وغسّلوا وهباً وحنّطوه وكفّنوه ودفنوه على ذيل الصفا[١].

بيان: المخانق: جمع المخنقة كمكنسة وهي القلادة. والتهويم: هزّ الرأس من النعاس. وغفت: نامت. والصرح: القصر وكلّ بناءٍ عالٍ.

٢٨ - **كا:** عليّ بن محمّد بن بندار، عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر، عن أحمد بن الحسين، عن أبي العبّاس، عن جعفر بن إسماعيل، عن إدريس، عن أبي السائب، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام قال: عقّ أبو طالب عن رسول الله ﷺ يوم السابع ودعا آل أبي طالب فقالوا: ما هذه؟ فقال: هذه عقيقة أحمد، قالوا: لأيّ شيء سمّيته أحمد؟ قال: سمّيته أحمد لمحمدة أهل السّماء والأرض[٢].

٢٩ - **كا:** عليّ عن أبيه، عن البزنطيّ، عن أبان، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا ولد النبيّ ﷺ جاء رجل من أهل الكتاب إلى ملأ من قريش، فيهم هشام بن المغيرة والوليد بن المغيرة، والعاص بن هشام، وأبو وجزة بن أبي عمرو بن أميّة وعتبة بن ربيعة، فقال: أولد فيكم مولود اللّيلة؟ فقالوا: لا، قال فولد إذاً بفلسطين غلام اسمه أحمد، به شامة كلون الخزّ الأدكن، ويكون هلاك أهل الكتاب واليهود على يديه، قد أخطأكم والله يا معشر قريش، فتفرّقوا وسألوا فأخبروا أنّه ولد لعبدالله بن عبد المطّلب غلام، فطلبوا الرجل فلقوه، فقالوا: إنّه قد ولد فينا والله غلام، قال: قبل أن أقول لكم أو بعدما قلت لكم؟ قالوا: قبل أن تقول لنا، قال: فانطلقوا بنا إليه حتّى ننظر إليه، فانطلقوا حتّى أتوا أُمّه فقالوا: أخرجي ابنك حتّى ننظر إليه، فقالت: إنَّ ابني والله لقد سقط وما سقط كما يسقط الصبيان، لقد اتّقى الأرض بيديه، ورفع رأسه إلى السّماء فنظر إليها، ثمّ خرج منه نور حتّى نظرت إلى قصور بصرى، وسمعت هاتفاً في الجوّ يقول: لقد ولدتيه سيّد الأمّة، فإذا وضعتيه فقولي: أُعيذه بالواحد، من شر كلّ حاسد، وسمّيه محمّداً، قال الرجل: فأخرجته فنظر إليه ثمّ قلّبه ونظر إلى الشامة بين كتفيه فخرّ مغشياً عليه، فأخذوا الغلام فأدخلوه إلى أمّه وقالوا: بارك الله لك فيه، فلمّا خرجوا أفاق، فقالوا له: ما لك ويلك؟ قال: ذهبت نبوّة بني إسرائيل إلى يوم القيامة، هذا والله من يبيرهم، ففرحت قريش بذلك فلمّا رآهم قد فرحوا قال: فرحتم، أما والله ليسطونّ بكم سطوة يتحدّث بها أهل المشرق والمغرب، وكان أبو سفيان يقول: يسطو بمصره[٣].

---

(١) الفضائل لابن شاذان، ص ١٤.
(٢) الكافي، ج ٦ ص ٩١٣ باب ٢٢ ح ١.
(٣) روضة الكافي، ص ٨١٤ ح ٤٥٩-٤٦٠.

٣٠ - **كا:** حميد بن زياد، عن محمّد بن أيّوب، عن محمّد بن زياد، عن أسباط بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان حيث طلقت آمنة بنت وهب وأخذها المخاض بالنبيّ صلى الله عليه وآله حضرتها فاطمة بنت أسد امرأة أبي طالب، فلم تزل معها حتّى وضعت، فقالت إحداهما للأخرى: هل ترين ما أرى؟ فقالت: وما ترين؟ قالت: هذا النور الّذي قد سطع ما بين المشرق والمغرب، فبينما هما كذلك إذ دخل عليهما أبو طالب فقال لهما: ما لكما؟ من أيّ شيء تعجبان؟ فأخبرته فاطمة بالنور الّذي قد رأت. فقال لها أبو طالب: ألا أبشّرك؟ فقالت: بلى، فقال: أما إنّك ستلدين غلاماً يكون وصيّ هذا المولود[1].

٣١ - **كا:** الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن أحمد بن محمّد بن عبد الله، عن ابن مسعود، عن عبد الله بن إبراهيم الجعفريّ قال: سمعت إسحاق بن جعفر يقول: سمعت أبي يقول: الأوصياء إذا حملت بهم أمّهاتهم أصابها فترة شبه الغشية، فأقامت في ذلك يومها ذلك إن كان نهاراً، أو ليلتها إن كان ليلاً، ثمّ ترى في منامها رجلاً يبشّرها بغلام عليم حليم فتفرح لذلك، ثمّ تنتبه من نومها فتسمع من جانبها الأيمن في جانب البيت صوتاً يقول: حملت بخير، وتصيرين إلى خير، وجئت بخير، أبشري بغلام حليم عليم، وتجد خفّة في بدنها، ثمّ تجد بعد ذلك اتّساعاً من جنبيها وبطنها، فإذا كان لتسع من شهورها سمعت في البيت حسّاً شديداً، فإذا كانت اللّيلة الّتي تلد فيها ظهر لها في البيت نور تراه لا يراه غيرها إلّا أبوه، فإذا ولدته ولدته قاعداً، وتفتّحت له حتّى يخرج متربّعاً، ثمّ يستدير بعد وقوعه إلى الأرض، فلا يخطىء القبلة حيث كانت بوجهه، ثمّ يعطس ثلاثاً يشير بإصبعه بالتحميد، ويقع مسروراً مختوناً، ورباعيّتاه من فوق وأسفل وناباه وضاحكاه، ومن بين يديه مثل سبيكة الذهب نور، ويقيم يومه وليلته تسيل يداه ذهباً، وكذلك الأنبياء إذا ولدوا، وإنّما الأوصياء أعلاق من الأنبياء[2].

أقول: سيأتي شرح الخبر مع سائر الأخبار في ذلك في كتاب الإمامة.

٣٢ - **ن:** في خبر الشاميّ أنّه سأل أمير المؤمنين عليه السلام من خلق الله من الأنبياء مختوناً؟ قال: خلق الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام مختوناً، وولد شيث عليه السلام مختوناً، وإدريس ونوح وسام بن نوح وإبراهيم وداود وسليمان ولوط، وإسماعيل وموسى وعيسى ومحمّد، صلوات الله عليهم[3].

٣٣ - **د:** روي أنّ قريشاً كانت في جدب شديد، وضيق من الزمان، فلمّا حملت آمنة بنت

---

(١) روضة الكافي، ص ٨١٤ ح ٤٥٩-٤٦٠.

(٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٣٠ باب مواليد الأئمة عليهم السلام، ح ٥.

(٣) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢١٩ باب ٢٤ ح ١.

وهب برسول الله ﷺ اخضرّت لهم الأرض، وحملت لهم الأشجار، وأتاهم الوفد من كلّ مكان، فأخصب أهل مكّة خصباً عظيماً، فسمّيت السنة الّتي حمل فيها برسول الله ﷺ سنة الفتح والاستيفاء والابتهاج، ولم تبق كاهنة إلاّ حجبت عن صاحبها، وانتزع علم الكهنة، وبطل سحر السحرة، ولم يبق سرير لملك من الملوك إلاّ أصبح منكوساً، والملك مخرّساً لا يتكلّم يومه ذلك، وفي كلّ شهر من الشهور نداء من السماء أن أبشروا فقد آن لمحمّد أن يخرج إلى الأرض ميموناً مباركاً(١).

٣٤ - **د:** عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعت آبائي يحدّثون: كانت لقريش كاهنة يقال لها: جرهمانيّة، وكان لها ابن من أشدّ قريش عبادة للأصنام، فلمّا كانت اللّيلة الّتي ولد فيها رسول الله ﷺ جاءت إليها تابعتها، وقالت لها جرهمانيّة: حيل بيني وبينك، جاء النور الممدود الّذي من دخل في نوره نجا، ومن تخلّف عن نوره هلك، أحمد صاحب اللّواء الأكبر، والعزّ الأبديّ، وابنها يسمع، فلمّا كانت اللّيلة الثانية عاد بمثل قوله، ثمّ مرّ، فلمّا كانت اللّيلة الثالثة عاد بمثل قوله فقالت: ويحك ومن أحمد؟ قالت: ابن عبد الله بن عبد المطّلب يتيم قريش صاحب الغرّة الحجلاء، والنور الساطع، فلمّا تكلّمت بهذا الكلام نظرت إلى صنمها يمشي مرّة ويعدو مرّة، ويقول: ويلي من هذا المولود، هلكت الأصنام، قال: فكانت الجرهمانيّة تنوح على نفسها بهذا الحديث(٢).

٣٥ - **د:** قيل: لمّا ولد رسول الله ﷺ قال أبو طالب لفاطمة بنت أسد: أيّ شيء خبّرتك به آمنة أنّها رأت حين ولدت هذا المولود؟ قالت: خبّرتني أنّها لمّا ولدته خرج معتمداً على يده اليمنى، رافعاً رأسه إلى السّماء، يصعد منه نور في الهواء حتّى ملأ الأفق، فقال لها أبو طالب: استري هذا، ولا تعلمي به أحداً، أما إنّك ستلدين مولوداً يكون وصيّه(٣).

٣٦ - **كا:** عليّ بن محمّد، عن عبد الله بن إسحاق العلوي، عن محمّد بن زيد الرزاميّ، عن محمّد بن سليمان الديلميّ، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: حججنا مع أبي عبد الله عليه السلام في السنة الّتي ولد فيها ابنه موسى عليه السلام - وساق الحديث إلى أن قال: وذكرت حميدة أنّه سقط من بطنها حين سقط واضعاً يده على الأرض، رافعاً رأسه إلى السّماء، فأخبرتها أنّ ذلك أمارة رسول الله ﷺ، وأمارة الوصيّ عليه السلام من بعده، فقال لي: إنّه لمّا كانت اللّيلة الّتي علق فيها بجدّي أتى آتٍ جدّ أبي بكأس فيه شربة أرقّ من الماء، وألين من الزبد، وأحلى من الشهد، وأبرد من الثلج، وأبيض من اللّبن، فسقاه إيّاه وأمره بالجماع، فقام فجامع فعلق بجدّي، ولمّا أن كانت اللّيلة الّتي علق فيها بأبي أتى آتٍ جدّي فسقاه كما سقى جدّ أبي وأمره بمثل الّذي أمره، فقام فجامع فعلق بأبي، ولمّا أن كانت اللّيلة الّتي علق فيها بي أتى آتٍ أبي فسقاه بما سقاهم، وأمره بالّذي أمرهم به، فقام فجامع فعلق بي، ولمّا أن

---

(١) العدد القوية، ص ١٢٥.

(٢) - (٣) العدد القوية، ص ١٢٥.

كانت اللّيلة الّتي علق فيها بابني أتاني آتٍ كما أتاهم ففعل بي كما فعل بهم، فقمت بعلم الله، وإنّي مسرور بما يهب الله لي فجامعت فعلق بابني هذا المولود، فدونكم، فهو والله صاحبكم من بعدي، وإنّ نطفة الإمام ممّا أخبرتك، وإذا سكنت النطفة في الرحم أربعة أشهر وأنشيء فيها الروح بعث الله تبارك وتعالى ملكاً يقال له: حيوان فكتب على عضده الأيمن: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ وإذا وقع من بطن أمّه وقع واضعاً يديه على الأرض، رافعاً رأسه إلى السّماء، فأمّا وضعه يديه على الأرض فإنّه يقبض كلّ علم لله أنزله من السّماء إلى الأرض، وأمّا رفعه رأسه إلى السّماء فإنّ منادياً ينادي به من بطنان العرش من قبل ربّ العزّة من الأفق الأعلى باسمه واسم أبيه، يقول: يا فلان بن فلان اثبت تثبّت، فلعظيمٍ ما خلقتك، أنت صفوتي من خلقي، وموضع سرّي، وعيبة علمي، وأميني على وحيي، وخليفتي في أرضي، لك ولمن تولّاك أوجبت رحمتي، ومنحت جناني، وأحللت جواري، ثمّ وعزّتي وجلالي لأصلينّ من عاداك أشدّ عذابي، وإن وسّعت عليه في دنياي من سعة رزقي، فإذا انقضى الصوت صوت المنادي أجابه هو واضعاً يديه، رافعاً رأسه إلى السّماء يقول: «شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو، والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم» قال: فإذا قال ذلك أعطاه الله العلم الأوّل والعلم الآخر، واستحقّ زيارة الروح في ليلة القدر(١).

٣٧ - **أقول:** روى الشيخ أبو الحسن البكريّ في كتاب الأنوار عن أبي عمرو الشيبانيّ وجماعة من أهل الحديث أنّ السحرة والكهنة والشياطين والمردة والجانّ قبل مولد رسول الله ﷺ كانوا يظهرون العجائب ويأتون بالغرائب، ويحدّثون الناس بما يخفون من السرائر، ويكتمون في الضمائر، وتنطق السحرة والكهنة على ألسنة الجنّ والشياطين والمردة بما يسترقون من السمع من الملائكة، ولم تحجب السّماء عن الشياطين حتّى بعث النبيّ ﷺ.

قال البكريّ: ولقد بلغنا أنّه كان بأرض اليمامة كاهنان عظيمان فاقا على أهل زمانهما في الكهانة ويتحدّث الناس بهما في كلّ مكان، وكان أحدهما اسمه ربيعة بن مازن ويعرف بسطيح، وهو أعلم الكهّان، والآخر اسمه وشق بن باهلة اليمانيّ، فأمّا سطيح فإنّ الله تعالى قدخلقه قطعة لحم بلا عظم ولا عصب سوى جمجمة رأسه، وكان يطوى كما يطوى الثوب، وينشر ويجعل على وضمة كما يجعل اللّحم على وضمة القصّاب، لا ينام من اللّيل إلاّ اليسير، يقلّب طرفه إلى السّماء، وينظر إلى النجوم الزاهرات، والأفلاك الدائرات، والبروق اللاّمعات، ويحمل على وضمه إلى الأمصار، ويرفع إلى الملوك في تلك الأعصار، يسألونه عن غوامض الأخبار، وينبّئهم بما في قلوبهم من الأسرار، ويخبر بما يحدث في الزمان من

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٢٨ باب مواليد الأئمة عليهم السلام، ح ١.

العجائب، وهو ملقى على ظهره، وشاخص ببصره، لا يتحرّك منه غير عينيه ولسانه، وقد لبث دهراً طويلاً على هذه الحالة، فبينا هو كذلك ذات ليلة شاخصاً إلى السّماء إذ لاحت له برقة ممّا يلي مكّة ملأت الأقطار، ثمّ رأى الكواكب قد علا منها النيران، فظهر بها دخان، وتصادم بعضها ببعض، واحد بعد واحد. حتّى غابت في الثرى، فلم ير لها نور ولا ضياء، فلمّا نظر سطيح إلى ذلك دهش وحار وأيقن بالهلاك والدمار، وقال: كواكب تظهر بالنهار، وبرق يلمع بالأنوار، يدلّ على عجائب وأخبار، وظلّ يومه ذلك حتّى انقضى النهار، فلمّا أدركه اللّيل أمر غلمانه أن يحملوه إلى موضع فيه جبل هناك، وكان شامخاً في الجبال، فأمرهم أن يرفعوه عليه، فجعل يقلّب طرفه يميناً وشمالاً، فإذا هو بنور ساطع، وضياء لامع، قد علا على الأنوار، وأحاط على الأقطار، وملأ الآفاق، فقال لغلمانه: أنزلوني فإنّ عقلي قد طار، ولبّي قد حار، من أجل هذه الأنوار، وإنّي أرى أمراً جليلاً، وقد دنا منّي الرحيل، بلا شكّ عن قليل، قالوا له: وكيف ظهر لك ذلك يا سطيح؟ قال: يا ويلكم إنّي رأيت أنواراً قد نزلت من السّماء إلى الأرض، وأرى الكواكب قد تساقطت إلى الأرض وتهافتت، وإنّي أظن أنّ خروج الهاشميّ قد دنا، فإن كان الأمر كذلك فالسّلام على الوطن من أهل الأمصار واليمن، إلى آخر الزمن، فحار غلمانه من كلامه، وأنزلوه، وقد أرق تلك اللّيلة أرقاً، وأصبح قلقاً، لم يتهنّأ برقاد، ولم يوطأ له مهاد، كثير الفكر والسهاد، وجمع قومه وعشيرته وقال لهم: إنّي أرى أمراً عظيماً، وخطباً جسيماً، وقد غاب عنّي خبره، وخفي عليّ أثره، وسأبعث إلى جميع إخواني من الكهّان، فكتب إلى سائر البلدان، وكتب إلى وشق يخبره عن الحال، ويشرح له المقال، فردّ عليه الجواب: قد ظهر عندي بعض الّذي ذكرت، وسيظهر نور الّذي وصفت، غير أنّي لا علم لي فيه، ولا أعرف شيئاً من دواعيه، فعند ذلك كتب إلى الزرقاء ملكة اليمن، وكانت من أعظم الكهنة والسحرة، قد ملكت قومها بشرّها وسحرها، وكان المجاورون لها آمنين في معايشهم، لا يخافون من عدو، ولا يجزعون من احد، وكانت حادّة البصر، عظيمة الخطر، تنظر من مسيرة ثلاثة أيّام، كما ينظر الإنسان الّذي بين يديه، وإذا أراد أحد من أعدائها الخروج إلى بلدها تخبر قومها، وتقول: احذروا فقد جاءكم عدوّكم من جهة كذا وكذا، فيجدون الأمر كما ذكرت.

قال أبو الحسن البكريّ: ولقد بلغني أنّ أهل اليمامة قتلوا قتيلاً من غسّان وكان قد قتل منهم رجلاً قبل ذلك فبلغ قومه قتله فأجمعوا أن يكبسوا قومها في أربعة آلاف مدرّع، وقال لهم سيّدهم من غسّان: يا ويحكم أتطمعون في الدخول إلى اليمامة وفيها الزرقاء؟ أما تعلمون أنّها تنظر إلى الوافدين، وتعاين الواردين من البعد؟ فكيف إذا رأت ركائبكم قد أقبلت فتخبر قومها ويأخذون حذرهم وأنشأ يقول:

إنّي أخاف من الزرقاء وصولتها ... إذا رأت جمعكم يسري إلى البلد
ترميكم بأسود لا قوام لكم ... بشرّها ثمّ لا تبقي على أحد

كم من جموع أتوها قاصدين لها فراح جمعهم بالخوف والنكد

فقالوا: ما الّذي تشير به علينا؟ قال: رأيت رأياً وأنا أرجو أن يكون فيه الظفر إن ساعدني فيه القدر، قالوا: وما ذلك؟ قال: إنّي أقول لكم: انزلوا عن خيلكم، ثمّ اعمدوا إلى الشجر، فيقطع كلّ واحد منكم ما يستره ثمّ تحملونه في أيديكم، ثمّ تقودون خيلكم، وتسيرون في ظلّ الشجر، فعسى أن يتغير عليها النظر، قالوا: نعم الرأي ما رأيت، ففعلوا ما قال حتّى بقي بينهم وبين اليمامة ثلاثة أيّام، جعلوا أمامهم رجلاً معه كتف بعير يلوّح به، ونعل يخصفه، لينكر عليها النظر، فلمّا نظرت إليهم الزرقاء وكانت في صومعتها صاحت بأعلا صوتها وقالت: يا أهل اليمامة أقبلوا، فأقبل إليها الناس وقالوا: ما عندك من خبر؟ قالت: إنّي رأيت عجباً عجيباً، وأظنّ أنّ الملبسة تسير إلينا في ظلّ الشجر، وهم جمع كثير، يتقدّمهم رجل في يده كتف بعير، ومعه نعل يخصفه تارةً، وتارةً يلوح بكتف البعير، فلمّا سمعوا كلامها أعرضوا عنها وقال بعضهم لبعض: إنّ الزرقاء قد خرفت، وتغيّر نظرها، فهل رأيتم شجراً يسير، ورجلاً يلوح بكتف بعير، إنّ هذا وسواس وجنون قد عارضها، فلمّا سمعت منهم ذلك أغلقت صومعتها، وكان لا يقدر عليها أحد قط، فلم يلبثوا بعد ذلك إلاّ قليلاً حتّى كبسوا اليمامة، وهدموا البنيان، وسبوا النسوان، وقتلوا الرجال، وأخذوا الأموال، ثمّ ولوا راجعين، فوقع بقومها الندامة، وأعقبتهم الملامة حيث لم يسمعوا منها وخالفوها.

ثمّ إنّ سطيحاً كتب إليها كتاباً يقول فيه: باسمك اللّهمّ من سطيح، صاحب القول الفصيح، إلى فتاة اليمامة، المنعوتة بالشهامة من سطيح الغسّاني، الّذي ليس له في عصره ثاني، أمّا بعد فإنّي كتبت إليك كتابي وأنا في هموم وسكرات، وغموم وخطرات، وقد تعلمين ما الّذي يحلّ بنا من الدمار والهلاك، من خروج التهاميّ الهاشميّ الأبطحيّ العربيّ المكيّ المدنيّ السفّاك للدماء، وقد رأيت برقة لمعت، وكواكباً سطعت وإنّي أظن أنّ ذلك من علاماته، ولا شكّ أنّه قرب أوانه، وما كتبت إليك إلاّ بما أرى عندك من التحصيل، وما في نساء عصرنا لك من مثيل، فإذا ورد رسولي إليك وقدم كتابي عليك ردّي جوابي بما عندك من الخطاب، وما ترينه من الصواب، فإنّه لا يقرّ لي قرار، لا في اللّيل ولا في النهار، ولم أقف على هذه الدلائل والآثار والسّلام.

ثمّ دعا بغلام له اسمه صبيح، وقال له: سر بهذا الكتاب إلى اليمامة، وأتني بالجواب، فأخذ صبيح الكتاب ومضى به حتّى صار بينه وبين اليمامة ثلاثة أيّام فرمقته الزرقاء والكتاب في طيّ عمامته، فصاحت في قومها قد جاءكم راكب قاصد، إلى بلدكم وارد، قد أرسل زمام ناقته، والكتاب في طيّ عمامته، فجعل القوم يرتقبونه إلى أن وصل بعد ثلاثة أيّام، فلمّا رأته انحدرت إليه، وفتحت الباب، فدفع إليها الكتاب، فقرأته ثمّ قالت: خبر قبيح، أتانا به صبيح، من كاهن اليمن سطيح، يسأل عن نور ساطع، وضياء لامع، ذلك وربّ الكعبة من

دلائل خراب الأطلال، ويتم الأطفال، فإنّه يظهر من عبد مناف، محمّد النبيّ بلا خلاف، قال صبيح: فتعجّبت من كلامها، وطلبت الجواب، فكتبت: إلى سطيح يقول: بسم الله من الزرقاء الّذي ليس عليها شيء يخفى، إلى سيّد غسّان، وأفضل الكهّان، المعروف بسطيح، صاحب القول الفصيح، أمّا بعد فإنّه ورد كتابك عليّ، وقدم رسولك لدي، تذكر أمراً عظيماً، قد هجس بقلبك، واختلج بلبّك، أمّا نزول الكواكب فكأنّك بآيات الهاشميّ قد قربت، فإذا قرأت كتابي فأيقظ نفسك، واحذر من الغفلة والتقصير، وبادر إلى التشمير والمسير لنلتقيَ بمكّة، فإنّي راحلة إليها لأعرف هذا الأمر على حقيقته، فلعلّنا نتساعد على هذا المولود، فنعمل فيه الحيلة عسى أن نظفر بهلاكه، ونخمد نوره قبل إشراقه، فلمّا قرأ كتابها انتحب وبكى بكاء شديداً، ثمّ قال:

لا صبر لا صبر أضحى بعد معرفة — تعذو الجلادة كالمستضعف الوهن
إن كان حقّاً خروج الهاشميّ دنا — فارحل بنفسك لا تبكي على اليمن
ثمّ اجعل القفر أوطاناً تقيم بها — واغدُ عن الأهل ثم الدار والوطن
فالعيش في مهمه من غيرما جزع — أهنأ من العيش في ذلّ وفي حزن

قال: ثمّ أخذ في أهبة السفر، وخرج من ساعته إلى مكّة، وقال لقومه: إنّي سائر إلى نار قد تأجّجت، فإن أدركت إخمادها رجعت إليكم، وإن كانت الأخرى فالسّلام منّي عليكم؛ فإنّي لاحق بالشّام أقيم بها حتّى أموت، فلمّا وصل مكّة أقبل إلى سطيح رجال من قريش، وفيهم أبو جهل وأخوه أبو البختريّ وشيبة وعتيبة بن أبي معيط والعاص بن وائل، فقالوا: يا سطيح ما قدمت إلاّ لأمر عظيم، ألك حاجة فتقضى؟ فقال لهم: بورك فيكم، ما لي لديكم حاجة، فقالوا له: تمضي معنا إلى منازلنا؟ فقال: بل أنزل عند من إليهم قصدت، ونحوهم أردت، وبفنائهم أنخت، وقد علمتم فضلي، وقد جئتكم أحدّثكم بما كان وما يكون إلهاماً ألهمني الله بالصواب، وأنطقني بالجواب، فأين المتقدّمون في العهد ومن لهم السابقة في الحمد والمجد؟ لقد أردت أفضل قريش من بني عبد مناف، فأنا لهم المبشّر بالبشير النذير، والقمر المستنير، فقد قرب ما ذكرته، فأين عبد المطّلب وسلالته الأشبال، فعظم ذلك على أبي جهل وتفرّقوا عنه يميناً وشمالاً، واتصل الخبر إلى بني عبد مناف، فجمع أبو طالب إخوته: عبد الله والعبّاس وحمزة وعبد العزّى، وقال لهم: إنّ هذا القادم عليكم هو كاهن اليمن وسيّدها، وقد كان قديماً ورد على أبيكم وأخبره بمولود يخرج من ظهره، مبارك في عمره، يملك الأقطار، ويدعو إلى عبادة الملك الجبّار، فساروا إليه، وقال لهم: أنكروه أنسابكم، ولا تعرفنّ أحسابكم، ثمّ إنّ أبا طالب سار في إخوته حتّى وردوا إليه، وكان في ظلّ الكعبة جالساً، والنّاس حوله، فلمّا نظر إليهم فرح بهم، ثمّ دفع أبو طالب سيفه ورمحه إلى غلامه وقال: هذه هدية منّي إلى سطيح، فإنّه لواجب الحقّ علينا، ثمّ انحرف إليه من قبل أن يخبره غلامه، فلمّا وصل إليه قال: حيّيت بالكرامة، وخلّدت في النعمة، فإنّا قد أتيناك زائرين،

ولواجب حقّك غير منكرين، فقال سطيح: حيّيتم بالسّلام، وأتحفتم بالإنعام، فمن أيّ العرب أنتم؟ فأراد أبو طالب أن يعلم مقدار علمه، قال: نحن قوم من بني جمح، فقال سطيح: ادن منّي أيّها الشيخ وضع يدك على وجهي، فإنّ لي في ذلك حاجة، فدنا منه، ووضع يده على وجهه، فقال سطيح: وعلاّم الأسرار، المحتجب عن الأبصار، الغافر للخطيئة، وكاشف البليّة إنّك صاحب الذمم الرفيعة، والأخلاق المرضيّة، والمسلم إلى غلامي الهديّة: قناة خطيّة، وصفيحة هنديّة، وإنّكم لأشرف البريّة، وإنّ لك ولأخيك أشرف الذرّيّة، وإنّك ومن أتى معك من سلالة هاشم الأخيار، وإنّك لا شكّ عمّ نبيّ المختار، المنعوت في الكتب والأخبار، فلا تكتم نسبك فإنّي عارف بنسبكم، فتعجّب أبو طالب من كلامه وقال له: يا شيخ لقد صدقت في المقال، وأحسنت الخصال فنريد أن تخبرنا بما يكون في زماننا، وما يجري علينا، فقال سطيح: والدائم الأبد، ورافع السّماء بلا عمد، الواحد الأحد، الفرد الصمد، ليبعثنّ من هذا وأشار إلى عبد الله عن قريب الأمد، نبيّ يهدي إلى الرشد، يدمّر كلّ صنم، ويهلك كلّ من لها عبد، لا يرفع سيفه عن أحد، يدعو إلى عبادة الله الأحد، يعينه على ذلك معينٌ، هو ابن عمّه له قرينٌ، صاحب صولات عظام، وضربات بالحسام، أبوه لا شكّ هذا - وأشار بيده إلى أبي طالب - فقالوا له: يا شيخ نحبّ أن تصف لنا هذا النبيّ، وتبيّن لنا نعته، فقال: اسمعوا منّي كلاماً صحيحاً، سيظهر منكم عن قليل شخصٌ نبيلٌ، وهو رسول الملك الجليل، وإنّ لسان سطيح عنه لكليل، وهو رجل لا بالقصير اللاّصق، ولا بالطويل الشاهق، حسن القامة، مدوّر الهامة، بين كتفيه علامة، على رأسه عمامة، تقوم له الدعامة، إلى يوم القيامة، ذلك والله سيّد تهامة، يزهر وجهه في الدجى، وإذا تبسّم أشرقت الأرض بالضياء، أحسن من مشى، وأكرم من نشأ، حلو الكلام، طلق اللّسان، نقيّ زاهد، خاشع عابد، لا متجبّر ولا متكبّر، إن نطق أصاب، وإن سئل أجاب، طاهر الميلاد، بريء من الفساد، رحمةٌ على العباد، بالنور محفوفٌ، وبالمؤمنين رؤوف، وعلى أصحابه عطوفٌ، اسمه في التوراة والإنجيل معروفٌ، يجير الملهوف، وبالكرامة موصوف، اسمه في السّماء أحمد، وفي الأرض محمّد ﷺ.

فقال له أبو طالب: يا سطيح هذا الشخص الّذي ذكرت أنّه يعينه، ويقاربه في حسبه ونسبه انعته لنا كما نعتّ لنا هذا، فقال: إنّه همّامٌ، وليثٌ ضرغامٌ، وأسدٌ قمقامٌ، وقائدٌ مقدامٌ، كثير الانتقام، يسقى كأس الحمام، عظيم الجولة، شديد الصولة، كثير الذكر في الملأ، يكون لمحمد ﷺ وزيراً، ويدعى بعد موته أميراً، اسمه في التوراة برءيا، وفي الإنجيل إليا، وعند قومه عليّاً، ثمّ أمسك مليّاً كأنّه قد سلب عقله، وهو متفكّر في أمره، والناس ينظرون إليه، ثمّ التفت إلى أبي طالب وقال: أيّها السيّد ردّ يدك على وجهي ثانيةً، ففعل أبو طالب، فلمّا حسّ سطيح بيد أبي طالب تنفّس الصعداء، وأنّ كمداً وقال: يا أبا طالب خذ بيد أخيك عبد الله فقد ظهر سعدكما، فأبشرا بعلوّ مجدكما، فالغصنان من شجرتكما، محمّد لأخيك،

وعليّ لك، فبهت أبو طالب من كلامه، وشاع في قريش ما قاله سطيح، فعند ذلك قال أبو جهل لعنه الله: معاشر الناس من قريش ليس هذه بأوّل حادثة نزلت بنا من بني هاشم، فقد سمعتم من سطيح من ظهور هذا الرجل الذي يفسد أدياننا، ومن يشاركه من ولد أبي طالب، فبينا هم كذلك إذ جاء أبو طالب ووقف وسط الناس ونادى بأعلى صوته: يا معاشر قريس اصرفوا عن قلوبكم الطيش، ولا تنكروا ما سمعتم، فنحن بالقدمة أولى، وعلى يدنا نبعت زمزم، والله ما سطيح بكاذب، بل إنّه في كلامه لصائب، وما نطق بكلمة إلاّ ظهر برهانها، أليس هو القائل لكم بأنّه يطلع عليكم سيف لا يترك منكم أحداً في بلد اليمن، فلم يكن إلاّ كرقدة النائم، وإذا قد ظهر ما قال، وعن قليل سيظهر ما ذكر على رغم من يعاديه، ثمّ إنّ أبا طالب أمر بسطيح أن يرفع إلى منزله فأكرمه وحباه وقرّبه، وخلع عليه وكساه، وباتت مكّة تموج تلك اللّيلة، فلمّا برق الصباح فأوّل من خرج إلى الأبطح أبو جهل، ثمّ بعث عبيده إلى سادات قريش فقدموا عليه، فلمّا ارتفع النهار ضاق الأبطح من كلّ جانب، فقام أبو جهل ونادى: يا آل غالب، يا آل طالب، يا ذوي العلا والمراتب، أترضون لأنفسكم أن ترموا بالمناكب، كما ذكر أبو طالب؟ إنّ هذا من العجائب، لنقل جلاميد الصفا إلى البحر الأقصى أيسر ممّا ذكر سطيح: أنّه سيظهر من بني عبد مناف نبيّ عن قليل، يرمينا بالبوار والتنكيل، تبّاً لكم إن كانت أنفسكم بما ذكره راضية، وإلى ما أخبر به واعية، فإن رضيتم بذلك فمن الآن عليكم منّي السّلام، وأنا راحل عنكم خارج عن أرضكم، فمجاورة الترك أحبّ إليّ من المقام عندكم، ثمّ تركهم ومضى، فضجّت المحافل، وبقي الأبطح يموج بأهله، فمضوا إليه وقالوا له: يا أبا الحكم أنت السيّد فينا، وإنّ رأينا رأيك، وأمرنا إليك، فقال: إنّي أرى من الرأي أن تحضروا منزل أبي طالب، وتخاطبوه في قول هذا الكاهن، لئلاّ يكون سبب العداوة بيننا وبينه، فإمّا أن يسلّم إلينا سطيحاً، أو يخرجه من أرضنا، فإن أبى كان السيف أمضى، والموت أقضى، وأنشد شعراً:

لضرب عنقي بسيفي، يا قوم عمداً بكفّي وقطع أحجار أرض، إلى قرار بخسف
أولى وأهون عندي، من أن أرام بعسف

فلمّا بلغ أبا طالب مقالة أبي جهل جمع إخوته وأقاربه وقال: تجلّلوا بالسلاح، واستعدّوا للكفاح، وقال: إنّي أرى دماءً قد غلت، وآجالاً قد قربت، ثمّ سار حتى قدم الأبطح، فشخصت إليهم الأبصار، وخرست الألسن، وجلس كلّ قائم هيبةً لأبي طالب ثمّ تخطّى القبائل، حتّى توسّط الناس، ثمّ رفع صوته وقال: يا سكّان زمزم والصفا، وأبي قبيس وحرى، من الثالب لبني عبد المطّلب منكم؟ وإنّي أذكّركم بهذا اليوم العبوس، الّذي تقطع فيه الرؤوس، ويكون بأيدينا هذه النفوس، وإنّي قائل لكم: وحقّ إله الحرم، وبارىء النسم، إنّي لأعلم عن قليل ليظهرن المنعوت في التوراة والإنجيل الموصوف بالكرم والتفضيل، الّذي

ليس له في عصره مثيل، ولقد تواترت الأخبار، أنّه يبعث في هذه الأعصار، رسول الملك الجبّار، المتوج بالأنوار، ثمّ قصد الكعبة وأتى النّاس وراءه إلاّ أبا جهل وحده، وقد حلّت به الذلّة والصغار، والذلّ والانكسار، فلمّا دنا أبو طالب من الكعبة قال: اللّهمّ ربّ هذه الكعبة اليمانيّة، والأرض المدحيّة، وعزّاً فوق عزّنا بالنّبيّ المشفّع الّذي بشّر به سطيح فأظهر اللّهمّ يا ربّ تبيانه، وعجّل برهانه، واصرف عنّا كيد المعاندين، يا أرحم الراحمين.

ثمّ جلس أبو طالب والناس حوله فوثب إليه منبّه بن الحجّاج وكان جسوراً عليه، فقام وتطاولت الناس تنظر ما يقول له، فنادى برفيع صوته: يا أبا طالب ظهرت عزّتك، وأنارت طلعتك، وابتهج شكرك بالكرم السنيّ، والشرف العليّ، وقد علمت رؤساؤكم من القبائل وأهل النهى والفضائل، أنّكم أهل الشرف الأصيل، وأنت سيّد مطاع قاهر، ولكن ليس لمثلك أن يسمع ما قاله كاهن، وأنت تعلم أنّهم أوعية الشيطان، يأتون بالكذب والبهتان، فلعلّك أن تصيّره إلينا ولعلّه يظهر شيئاً ممّا قاله، فإنّ النبوّة لها دلائل وآثار، لا تخفى على العاقل، فأمر أبو طالب أن يحضر سطيح، فلمّا وضعوه على الأرض نادى سطيح: يا معاشر قريش لقد أكثرتم الاختلاف، وزادت قلوبكم بالارتجاف، بذيتم بألسنتكم على آل عبد مناف، تكذّبونه فيما نطق، وتلومونه إذا صدق، وقد أرسلتم إليّ تسألوني عن الحال الظاهر، وعن أمر النبيّ الطاهر، صاحب البرهان، وقاصم الأوثان، ومذلّ الكهّان، وأيم الله ما فرحنا بظهوره، لأنّ الكهانة عند ولادته تزول، ولكنّي أقول: إذا كان ذلك فلا خير لسطيح في الحياة، وعندها يتمنّى الوفاة، فإنّه قد قرب، فأتوني بأمّهاتكم ونسائكم لترونّ العجب العجيب، الّذي ليس فيه تكذيب، حتّى أوقفكم هذه الساعة، وأعرفكم أيّتهنّ الحامل به، فقالوا له: أتعلم الغيب؟ قال: لا، ولكن لي صاحب من الجنّ يخبرني ويسترق السمع، ثمّ إن القوم افترقوا إلى منازلهم، وأتوا بنسائهم، ولم تبق واحدة من النساء إلاّ جاءوا بها، فأقبل أبو طالب وقال لأخيه: أمسك زوجك ولا تحضرها، وأمسك هو زوجته فاطمة عليها السلام وأقبلت النسوان جمع، فنظر إليهنّ، ثمّ قال اعزلوا النساء عن الرجال، ثمّ أمر النساء أن يتقدّمن إليه، فجعل سطيح ينظر إليهنّ بعينه ولا يتكلّم، قالوا له: خرس لسانك، وخاب ظنّك، فقال: والله ما خاب ظنّي، ورفع رأسه وطرفه إلى السّماء، وقال: وحقّ الحرمين لقد تركتم من نسائكم اثنتين، الواحدة منهنّ الحامل بالمولود الهادي إلى الرشاد محمّد، والأخرى ستحمل عن قريب، وتلد غلاماً أميناً يدعى بأمير المؤمنين، وسيّد الوصيين، ووارث علوم الأنبياء والمرسلين، فلمّا سمع العرب منه ذلك دهشوا وخابوا، وانطلق أبو طالب إلى منزله وعنده إخوته، وأتى بزوجته فاطمة بنت أسد، وآمنة زوجة أخيه عبد الله، فلمّا وصلتا بجمع الناس من النساء صاح سطيح بأعلى صوته وجعل يبكي ويقول: يا ذوي الشرف، هذه والله الحاملة بالنبيّ المختار رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا دنت آمنة منه قال لها: ألست حاملة؟ قالت: نعم، فالتفت عند ذلك إلى قريش، وقال الآن شهد قلبي، وثبت لبّي، وصدقني صاحباي، هذه

سيدة نساء العرب والعجم، وهي الحامل بأفضل الأُمم، ومبيد كلّ وثن وصنم، يا ويح العرب منه، قد دنا ظهوره، ولاح نوره، وكأنّي أرى من يخالفه قتيلاً، وفي التراب جديلاً، وطوبى لمن صدق منكم بنبوّته، وآمن برسالته، ثمّ طوبى له قد أخذ الأرض، ورجعت له بالأمن طولها والعرض، ثمّ التفت إلى فاطمة وصاح صيحة، وشهق شهقة، وخرّ مغشياً عليه، فلمّا أفاق من غشيته انتحب وبكى، وقال بأعلى صوته: هذه والله فاطمة بنت أسد، أمّ الإمام الّذي يكسر الأصنام، وهو الأمير الّذي ليس في عقله طيش، قاتل الشجعان، ومبيد الأقران، الفارس الكميّ، والضيغم القويّ، المسمّى بأمير المؤمنين عليّ، ابن عمّ النبيّ عليهما أفضل الصلاة والسّلام، آه ثم آه، كم ترى عيني من بطل مكبوب، وفارس منهوب، فلمّا سمع قريش كلام سطيح وثبوا عليه بالسيوف ليقتلوه، فمنعهم بنو هاشم وجميع قريش، ونادى أبو جهل لعنه الله: افسحوا لي عن هذا الكاهن، فلا بدّ لنا من قتله حتّى نشتفي منه، وإن حلتم دونه لأجعلنّ لكم الدمار، ولأردّنكم البوار فالتفت أبو طالب إليه وقال له: ويحك يا أخسّ العرب وأذلها، إنّي أراك تحبّ فراق العشيرة، مثلك من يتكلّم بهذا الكلام وأنت أخسّ اللّئام، ثمّ عاجله بضربة، وحالوا بينه وبينه فلحقه بعض السيف فشجّه شجّة موضحة، وصار الدم يسيل على وجهه، فنادى أبو جهل: يا آل المحافل، ورؤساء القبائل، أترضون أن تحملوا العار، وترموا بالشنار، اقتلوا سطيحاً وآمنة وفاطمة بنت أسد وبني هاشم جميعاً، وأخمدوا نارهم، وأطفئوا شرارهم، فحمل قريش بأجمعهم على سطيح، ولم يكن لبني هاشم طاقة، فالتجأت النساء بالكعبة، وثار الغبار، وطار الشّرار، وكثرت الزعقات، وارتجّت الأرض بطولها والعرض.

ويروى عن آمنة أمّ النبيّ ﷺ قالت: حين رأيت السيوف قد دارت حولي ذهلت في أمري، والقوم يريدون قتلي، فبينا أنا كذلك إذ اضطرب الجنين في بطني، وسمعت شيئاً كالأنين، وإذا بالقوم قد صيح بهم صيحة من السّماء، وصرخ بهم صارخ من الهواء، فذهلت العقول، وسقطت الرجال والنساء على الوجوه صرعى، كأنّهم موتى، قالت آمنة: فرفعت بصري نحو السّماء فرأيت أبواب السّماء قد فتحت، وإذا أنا بفارس في يده حربة من نار، ومن ينادي ويقول: لا سبيل لكم إلى رسول الملك الجليل، وأنا أخوه جبرئيل، قالت: فعند ذلك سكن قلبي، ورجع إليّ جناني، وتحقّقت دلائل النبوّة لولدي محمّد ﷺ، ثمّ انصرفنا إلى منازلنا، وأقبل أبو طالب آخذاً بيد أخيه عبد الله، وجلسا بفناء الكعبة يهنّئان أنفسهما بما رزقا من الكرامة والنصر، والقوم صرعى، فلبثوا كذلك ثلاث ساعات من النهار، ثمّ قاموا كأنّهم سكارى، ثمّ تقدّم منبّه بن الحجّاج، ووقف إلى جانب أبي طالب، وقال: إنّك لم تزل عالياً في المراتب ولمن ناواك غالباً لكن نريد منك أن تصرف عنّا سطيحاً، فإن كان ما تكلّم به صحيحاً فنحن أولى بأن نعاضده، وأنشأ يقول:

أبا طالب إنّا إليك عصابة لنرجوك فارحم من أتى لك راجيا

ونحن فجيران لكم ومعاضد على كلّ من أضحى وأمسى معاديا
أبا طالب حيّيت بالرشد والحبا ووقّيت ريب الدهر ما دمت باقيا
فإن كان ربّ العرش يرسل منكم إلينا رسولاً وهو للحقّ هاديا
فنحن لنرجو أحمداً في زماننا نجالد عنه بالسيوف الأعاديا
أبا طالب فاصرف سطيحاً فإنّه أتى منه آتٍ بالأذى والدّواهيا
ودع عنك حرب الأهل والطف تكرّماً ولا تتركنّ الدّم في الأرض جاريا

فرقّ أبو طالب رحمةً لقريش، وقال: حبّاً وكرامةً، ساصرفه عنكم إذا كرهتموه ولكن سوف تعلمون صحّة ما ذكر لكم، ثمّ أمر بسطيح أن يحضر، فلمّا حضر قال: أتدري لماذا أحضرتك؟ فقال: نعم، لقد سألوني الخروج عن مكانهم، والانتزاح عن بلادهم، وأنا عازم، ثمّ قال: إذا ظهر فيكم البشير النذير فاقرئوه منّي السلام الكثير، وقولوا له: إنّ سطيحاً أخبرنا بخروجك فكذّبناه، ومن جوارك طردناه، وستأتيكم مبشّرةٌ عندها من العلم أكثر ممّا عندي، ولا شكّ أنّها قد دخلت بلادكم، وحلّت بساحتكم، ثمّ إنّ سطيحاً عزم على الخروج، ورفعوه على بعيره، وأحاط به بنو هاشم ليودّعوه، فبينما هم كذلك إذ أشرفت راحلة تركض براكبها، والغبار يطير من تحت أخفافها فنظر إليها عمرو بن عامر وقال: يا سادات مكّة أتتكم الداهية الدهياء زرقاء اليمامة بنت مرهل، كاهنة اليمامة، فما استتمّ كلامه وإذا بها قد صارت في أوساطهم، ونادت بأعلى صوتها: يا معاشر قريش حيّيتم بالإكثار، وعمرت بكم الديار، فإنّي فارقت أهلي وخرجت من أوطاني، وجعلت قصدي إليكم لأخبركم عن أشياء قد دنت وقربت، وسوف يظهر في دياركم عن قريب العجب العجيب، فإن أذنتم لي بالنزول نزلت، وإن أحببتم الرحيل رحلت، ثمّ قالت شعراً:

إنّي لأعلم ما يأتي من العجب بأرضكم هذه يا معشر العرب
لقد دنا وقت مبعوث لأمّته محمّد المصطفى المنعوت في الكتب
فعن قليل سيأتي وقت بعثته يرمي معانده بالذلّ والحرب
يدعو إلى دين غير اللّات مجتهداً ولا يقول بأصنام ولا نصب
وقد أتيت لأخبركم ببيّنة ممّا رأيت من الأنوار والشهب
عمّا قليل ترى النيران مضرمة ببطن مكّة ترمي الجمع باللّهب
فإن أذنتم وإلاّ رحت راجعة وتندمون إذا ما جاء بالعطب
وآخر بذباب السيف يعضده قرن يدانيه في الأحساب والنسب

فلمّا سمع قريش كلامها وشعرها أمروها بالنزول، فنزلت، وقالوا: هل تنطق بما نطق به سطيح أم لا، فقال لها عتبة: ما الّذي راع سيّدة اليمامة؟ هل لك من حاجة فتقضى؟ فقالت: إنّي لست ذات فقر ولا إقلال، ولا محتاجة إلى رفد ولا مال، بل جئتكم ببشارة أبشّركم،

وحذر أحذّركم، وليست البشارة لي، بل هي وبال عليّ، فقال عتبة: يا زرقاء وما هذا الكلام؟ أراك توعدين نفسك وإيّانا بالبوار والدمار، فقلت: يا أبا الوليد، ومن هو بالمرصاد، ليخرجنّ من هذا الواد، نبيّ يدعو إلى الرشاد، وينهى عن الفساد، نوره في وجهه يتردّد، واسمه محمّد عليه أفضل الصلاة والسّلام، كأنّي به عن قريب يولد، يساعده على ذلك مساعد، ويعاضده معاضد، يقاربه في الحسب، ويدانيه في النسب، مبيد الأقران، ومجدّل الشجعان، أسد ضرغام، وسيف قصام، جسور في الغمرات، هزبر في الفلوات، له ساعد قويّ، وقلب جريّ، واسمه أمير المؤمنين عليّ، ثمّ قالت: آه ثمّ آه، من يوم سألقاه، وا عظم مصيبتاه ستكونن لي قصّة عجيبة، ومصيبة وأيّ مصيبة، فلو أردت النجاة سارعت إلى إجابته، وتركت ما أنا عليه من مكايدته، ولكن أرى خوض البحار، والعرض على النار أيسر من الذلّ والصغار، ولا أنا شارية بعزّي ذلاّ، ولا بعلمي جهلاً، ثمّ أنشأت تقول:

ذوي القبائل والسادات ويحكم ... إنّي أقول مقالاً كالجلاميد
لو كنت من هاشم أو عبد مطّلب ... أو عبد شمس ذوي الفخر الصناديد
أو من لويّ سراة النّاس كلّهم ... ذوي السماحة والإفضال والجود
أو من بني نوفل أو من بني أسد ... أو من بني زهرة الغرّ الأماجيد
لكنت أوّل من يحظى بصاحبكم ... إذا جرى ماؤه في يابس العود
لكن أرى أجلي قد حان مدّته ... لمّا دنا مولدك يا خير مولود

ثمّ قالت: هيهات، لا جزع ممّا هو آت، وخالق الشمس والقمر، ومن إليه مصير البشر، لقد صدقكم سطيح الخبر، فلمّا سمعوا ما قالت حاروا، ثمّ نظرت إلى أبي طالب وأخيه عبد الله، وكانت عارفة بعبد الله قبل ذلك، لأنّه كان مسافراً إلى نحو اليمن قبل أن يتزوّج بآمنة بنت وهب، وكان نور النبيّ ﷺ في وجهه، وإنّ الزرقاء نظرت إليه وقد نزل بقصر من قصور اليمامة، وذهب أبوه عبد المطّلب في حاجة وتركه عند متاعه وسيفه عند رأسه، فنزلت الزرقاء مسرعة، وفي يدها كيس من الورق، فوثبت عليه ثمّ قالت له: يا فتى حيّاك الله بالسّلام، وجلّلك بالإنعام، من أيّ العرب أنت؟ فما رأيت أحسن منك وجهاً، قال: أنا عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف، سيّد الأشراف، ومطعم الأضياف، سادات الحرم، ومن لهم السابقة في القدم، فقالت: فهل لك يا سيّدي في فرحتين عاجلتين؟ قال: وما هما؟ قالت: تجامعني الساعة، وتأخذ هذه الدراهم، وأبذل لك مائة من الإبل محملة تمراً وبسراً وسمناً، فلمّا استتمّ كلامها قال: إليك عنّي، فما أقبح صورتك يا ويلك، أما علمت أنّا قوم لا نركب الآثام، اذهبي، وتناول سيفاً كان عنده فانهزمت ورجعت خائبة، فأقبل أبوه فوجده وسيفه مسلول وهو يقول شعراً:

أنرتكب الحرام بغير حلّ ... ونحن ذوو المكارم في الأنام

إذا ذكر الحرام فنحن قوم جوارحنا تصان عن الحرام

فقال أبوه: يا ولدي ما جرى عليك بعدي؟ فأخبره بخبره، ووصف له صفاتها فعرفها، وقال له: يا بني هذه زرقاء اليمامة، قد نظرت إلى النور الّذي في وجهك يلوح، فعرفت أنّه الشرف الوكيد، والعزّ الذي لا يبيد، فأرادت أن تسلبه منك، والحمد لله الّذي عصمك عنها، ثمّ رحل به إلى مكّة، وزوّجه بآمنة بنت وهب، فلمّا رأته الزرقاء عرفته، وعلمت أنّه تزوّج، فقالت: ألست صاحبي باليمامة في يوم كذا؟ قال لها: نعم، فلا أهلاً بك ولا سهلاً، يا ابنة اللّخناء، قالت: أين نور الّذي كان في غرّتك؟ قال: في بطن زوجتي آمنة بنت وهب، قالت: لا شكّ أنّها لذلك أهل، ثمّ نادت برفيع صوتها: يا ذوي العزّ والمراتب إنّ الوقت متقارب، وإنّ الأمر لواقع، ما له من دافع، فتفرّقوا عنّي، فقد جاء المساء، وفي الصباح يسمع منّي الأخبار، وأوقفكم على حقيقة الآثار، فتفرّقوا عنها.

قال: فلمّا مضى من اللّيل شطره مضت إلى سطيح، وقد خرج من مكّة فقالت له: ما ترى؟ قال: أرى العجب، والوقت قد قرب، وحدّثها بما قد جرى من قريش، قالت له: ما تشير به عليّ؟ قال لها: أمّا أنا فقد كبر سنّي ولولا خيفة العار لأمرت من يريحني من الحياة، ولكنّي سأذهب إلى الشام، وأقيم بها حتّى يأتيني الحمام، فإنّه لا طاقة لي به، فإنّه المؤيّد المنصور، ومن يعاديه مقهور؛ قالت: يا سطيح وأين أعوانك؟ لم لا يساعدونك على هذا الأمر، ويعينونك على هلاك آمنة قبل أن يخرج من الأحشاء؟ قال لها: يا زرقاء وهل يقدر أحد أن يتعرّض لآمنة؟ فإنّ من تعرّض لها عاجله التدمير، من اللّطيف الخبير، أمّا أنا وأصحابي فلا نتعرّض لها، والآن أنصحك، فإيّاك أن تصلي إلى آمنة، فإنّ حافظها ربّ السّماوات والأرض، فإن لم تقبلي نصيحتي فدعيني وما أنا عليه، فلعلّي أموت اللّيلة أو غداً، فلمّا سمعت مقالته أعرضت عنه، وباتت ليلتها ساهرة، فلمّا أصبح الصباح أقبلت إلى بني هاشم، وقالت: أنعم الله لكم الصباح، لقد أشرفت بكم المحافل، ووفّقتم، إذ ظهر فيكم المنعوت في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، فيا ويل من يعاديه، وطوبى لمن اتّبعه، فلم يبق أحد من بني هاشم إلاّ فرح بما ذكرت الزرقاء، ووعدوها بخير، فقالت لهم: لست محتاجة إلى مال ولا رفاد، ولكن ما جئت من الأقطار إلاّ لأخبركم بحقيقة الأخبار، فقال أبو طالب: قد وجب حقّك علينا، فهل لك من حاجة؟ قالت: نعم، أريد أن تجمع بيني وبين آمنة حتّى أتحقّق ما أخبركم به، قال: سمعاً وطاعةً، فجاء بها إلى منزل آمنة، فطرق الباب، فقامت آمنة لفتح الباب فلاح من وجهها نور ساطع، وضياء لامع فسقطت الزرقاء حسداً، وأظهرت تجلّداً، فلمّا دخلت المنزل أتوها بطعام فلم تأكل، وقالت: سوف يكون لمولودكم هذا عجب عجيب، وسوف تسقط الأصنام، وتخمد الأزلام، وينزل على عبّادها الدمار، ويحلّ بهم البوار، ثمّ إنّها خرجت من المنزل متفكّرة في قتل آمنة، وكيف تعمل الحيلة، وجعلت

تتردّد إلى سطيح وتطلب منه المساعدة، فلم يلتفت إليها ولا إلى قولها، فأقبلت حتّى نزلت على امرأة من الخزرج اسمها تكنا، وكانت ماشطة لآمنة، فلمّا كان في بعض اللّيالي استيقظت تكنا فرأت عند رأس الزرقاء شخصاً يحدّثها، ويقول:

كاهنة اليمامة جاءت بذي تهامة
ستدرك الندامة إذا أتاها من له العمامة

فلمّا سمعت الزرقاء ذلك، وثبت قائمة، وقالت له: لقد كنت صاحب الوفاء، فلم حبست نفسك عنّي هذه المدّة، فإنّي في هموم متواترات، وأهوال وكربات، فقال لها: يا ويلك يا زرقاء لقد نزل بنا أمر عظيم، لقد كنّا نصعد إلى السّماء السابعة، ونسترق السمع، فلمّا كان في هذه الأيّام القليلة طردنا من السّماء، وسمعنا منادياً ينادي في السّماوات: إنّ الله قد أراد أن يظهر المكسّر للأصنام، ومظهر عبادة الرّحمن، فامتنعوا جملة الشياطين من السّماء، وتحدّرت علينا ملائكة بأيديهم شهب من نار، فسقطنا كأنّنا جذوع النخل، وقد جئتك لأحذّرك، فلمّا سمعت كلامه قالت له: انصرف عنّي، فلا بدّ أن أجتهد غاية المجهود، في قتل هذا المولود، فراح عنها وهو يقول:

إنّي نصحتك بالنصيحة جاهداً فخذي لنفسك واسمعي من ناصح
لا تطلبي أمراً عليك وباله فلقد أتيتك باليقين الواضح
هيهات أن تصلي إلى ما تطلبي من دون ذلك عظم أمر فادح
فالله ينصر عبده ورسوله من شرّ ساحرة وخطب فاضح
عودي إلى أرض اليمامة واحذري من شرّ يوم سوف يأتي كادح

ثمّ إنّه طار عنها، وتكنا تسمع ما جرى بينهما، وكأنّها لم تسمع ما جرى، فلمّا أصبحت جلست بين يدي الزرقاء فقالت: ما لي أراك مغمومة؟ قالت لها: يا أختاه إنّ الّذي نزل بي من الهموم والغموم لخروجي من الأوطان، وذهابي من البلدان، وتشتّي في كلّ مكان، وتفرّدي عن الخلاّن، قالت لها: ولم ذلك؟ قالت لها: يا ويلك من حامل مولود، يدعو إلى أكرم معبود، يكسّر الأصنام، ويذلّ السحرة والكهّان، يخرب الديار، ولا يترك بمكّة أحداً من ذوي الأبصار، وأنت تعلمين أنّ القعود على النار، أيسر من الذلّ والصغار، فلو وجدت من يساعدني على قتل آمنة بذلت له المنا، وأعطيته الغنا، وعمدت إلى كيس كان معها فأفرغته بين يدي تكنا، وكان مالاً جزيلاً، فلمّا نظرت تكنا إلى المال لعب بقلبها، وأخذ بعقلها، وقالت لها: يا زرقاء لقد ذكرت أمراً عظيماً، وخطباً جسيماً، والوصول إليه بعيدٌ، وإنّي ماشطة لجملة نساء بني هاشم، ولا يدخل عليهنّ غيري، ولكن سوف أُفكر لك فيما ذكرت، وكيف أجسر على ما وصفت، والوصول إلى ما ذكرت، قالت الزرقاء: إذا دخلت على آمنة وجلست عندها فاقبضي على ذوائبها، واضربيها بهذا الخنجر، فإنّه مسموم، فإذا اختلط الدم

بالسمّ هلكت، فإذا وقع عليك تهمة، أو وجب عليك دية فأنا أقوم بخلاصك، وأدفع عنك عشر ديات غير الّذي دفعته إليك في وقتي هذا، فما أنت قائلة؟ قالت: إنّي أجبتك، لكن أُريد منك الحيلة بأن تشغلي بني هاشم عنّي، قالت الزرقاء: إنّي هذه الساعة آمر عبيدي أن يذبحوا الذبائح، ويعملوا الخمور، ويطرحوها في الجفان، فإذا أكلوا وشربوا من ذلك ظفرت بحاجتك، قالت لها تكنا: الآن تمّت الحيلة، فافعلي ما ذكرت، فصنعت الزرقاء ما ذكرت، وأمرت عبيدها ينادون في شوارع مكّة أن يجمعوا الناس، فلم يبق أحد إلاّ وحضر وليمتها من أهل مكّة، فلمّا أكلوا وشربوا وعلمت أنّ القوم قد خالط عقولهم الشراب أقبلت إلى تكنا وقالت: قومي إلى حاجتك، فقامت تكنا وجاءت بالخنجر ورشّت في جوانبه السمّ، ودخلت على آمنة فرحّبت بها آمنة، وسألتها عن حالها، وقالت: يا تكنا ما عوّدتيني بالجفاء فقالت: اشتغلت بهمّي وحزني، ولولا أياديكم الباسطة علينا لكنّا بأقبح حال، ولا أحد أعزّ عليّ منك، هلمي يا بنيّة إليّ حتّى أزيّنك، فجاءت آمنة وجلست بين يدي تكنا، فلمّا فرغت من تسريح شعرها عمدت إلى الخنجر وهمّت أن تضربها به، فحسّت تكنا كأنّ أحداً قبض على قلبها فغشي على بصرها، وكأنّ ضارباً ضرب على يدها فسقط الخنجر من يدها إلى الأرض، فصاحت: وا حزناه، فالتفتت آمنة إليها وإذا الخنجر قد سقط من يد تكنا، فصاحت آمنة فتبادرت النسوان إليها، وقلن لها: ما دهاك؟ قالت: يا ويلكنّ أما ترين ما جرى عليّ من تكنا، كادت أن تقتلني بهذا الخنجر، فقلت: يا تكنا ما أصابك؟ ويلك تريدين أن تقتلي آمنة على أيّ جرم؟ فقالت: يا ويلكنّ قد أردت قتل آمنة، والحمد لله الّذي صرف عنها البلاء، فقالت: الحمد لله على السّلامة من كيدك يا تكنا، فقالت لها النساء: يا تكنا ما حملك على ذلك؟ قالت: لا تلوموني، حملني طمع الدنيا الغرور، ثمّ أخبرتهنّ بالقصّة، وقالت لهنّ: ويحكنّ دونكنّ الزرقاء اقتلنها قبل أن تفوتكنّ، ثمّ سقطت ميتة، فصاحت النسوان صيحة عالية، فأقبل بنو هاشم إلى منزل آمنة، فإذا بتكنا ميتة، وقد تجلل نور آمنة، ونظروا إلى الخنجر، وحكوا لهم القصّة، فخرج أبو طالب ينادي: أدركوا الزرقاء وقد وصلها الخبر، فخرجت هاربة فتبعها الناس من بني هاشم وغيرهم فلم يدركوها ولم يلحقوها، فسمع أبو جهل ذلك فقال: وددت أنّها قتلت آمنة، ولكن حاد عنها أجلها، وأرجو بسطيح أن يعمل أحسن ممّا عملت الزرقاء، فلمّا سمع سطيح بخبر الزرقاء أمر غلمانه أن يحملوه على راحلته، وسافر إلى الشام.

فلمّا ولد رسول الله ﷺ لم يبق صنم إلاّ سقط وغارت بحيرة ساوة، وفاض وادي سماوة، وخمدت نيران فارس، وارتجّ إيوان كسرى وهو جالس، ووقع منه أربع عشرة شرفة، فلمّا أصبح كسرى نظر إلى ذلك وهاله، فدعا بوزرائه وقال لهم: ما هذا الّذي حدث في هذه البلاد؟ فهل عندكم من علم؟ فقال الموبذان: أيّها الملك العظيم الشأن لقد رأيت إبلاً صعاباً تقودها خيل عراب، وقد خاضت في الوادي، وانتشرت في البلاد، وما ذاك إلاّ لأمر

عظيم، فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران كلّها، فزادهم همّاً وغمّاً، ثمّ أتاه بعد ذلك خبر البحيرة والوادي، فأقبل على الموبذان فقال: إنّا لا نعلم أحداً من العلماء نسأله عن ذلك، فقال الموبذان: إنّا نكتب إلى النعمان بن المنذر كتاباً لعلّه يعرف أحداً يعلم ذلك، فكتب إلى النعمان كتاباً فأرسل إليه رجلاً اسمه عبد المسيح، وكان ابن أُخت سطيح، فقال له كسرى: هل عندك علم ممّا أُريد أن أسألك عنه؟ فقال: لا، ولكن لي خال اسمه سطيح، ويسكن في مشارف الشام، يعرف خبرك، ويعرف ما تريد، فقال له كسرى: اخرج إليه واسأله عمّا أُريد أن أسألك عنه، فإن أجاب عد إليّ بالجواب، أُجزل لك الجائزة والنوال، ثمّ خرج عبد المسيح إلى أن وصل إلى الشام، فوجد سطيحاً يجود بنفسه، ويعالج سكرات الحمام، فسلّم عليه، فلم يردّ عليه السلام، فلمّا كان بعد ساعة فتح عينيه وقال: جاء عبد المسيح، على جمل يسيح، من عند كسرى يصيح، بلسان فصيح، مرسولاً إلى سطيح، سيّد بني غسّان، يسأل عن ارتجاع الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان، كأن إبلاً صعاباً تقودها خيل عراب، وقد قطعت الوادي، وانتشرت في البلاد، ذلك والله ما كنّا نتوقع من خروج السّفاك، ومالك الأملاك، يا عبد المسيح أقول لك قولاً صحيحاً، إذا فاض وادي سماوة، وغارت بحيرة ساوة، فليست الشام لسطيح بشام، تظهر الدلالات ويملك منهم ملوك على عدد الشرفات المتساقطات، وكلّ ما هو آتٍ آتٍ ويكون الراحة لسطيح في الممات، ثمّ صرخ صرخة ومات، ثمّ إنّ عبد المسيح خرج إلى كسرى فأخبره بما قاله سطيح، فأعطاه وأنعم عليه لما أخبر بأن يملك منهم أربعة عشر ملكاً.

قال أبو الحسن البكريّ: حدّثنا أشياخنا وأسلافنا الرواة لهذا الحديث، أنّه لمّا تتابعت أشهر آمنة سمعت منادياً ينادي من السماء: مضى لحبيب الله كذا وكذا، وكان تهتف بآمنة الهواتف في اللّيل والنهار، وتخبر زوجها عبد الله بذلك، فيقول لها: اكتمي أمرك عن كلّ أحد، فلمّا مضى لها ستّة أشهر لم تجد ثقلاً، ولمّا كان الشهر السابع دعا عبد المطّلب ولده عبد الله وقال: يا بني إنّه قرب ولادة آمنة، ونحن نريد أن نعمل وليمة، وليس عندنا شيء، فامض إلى يثرب واشتر لنا منها ما يصلح لذلك، فخرج عبد الله من وقته، وسافر حتّى وصل إلى يثرب، وطرقته حوادث الزمان فمات بها، ووصل خبره إلى مكّة، فعظم عليهم ذلك، وبكى أهل مكّة جميعاً عليه، وأُقيمت المآتم في كلّ ناحية، وناح عليه أبوه وآمنة وإخوته، وكان مصاباً هائلاً فظيعاً، فلمّا كان الشهر التاسع أراد الله تعالى خروج النبيّ ﷺ وهي لم يظهر لها أثر الحمل، ولا ما تعتاده النساء، وكانت تحدّث نفسها كيف وضعي، ولم يعلم بي أحد من قومي؟ وكانت دار آمنة وحدها، فبينما هي كذلك إذ سمعت وجبة عظيمة ففزعت من ذلك، فإذا قد دخل عليها طير أبيض، ومسح بجناحه على بطنها، فزال عنها ما كانت تجده من الخوف، فبينما هي كذلك إذ دخل عليها نسوان طوال، يفوح منهنّ رائحة المسك والعنبر، وقد تنقّبن بأطمارهنّ، وكانت من العبقريّ الأحمر، وبأيديهنّ أكواب من البلّور

الأبيض، قالت آمنة: فقلن لي: اشربي يا آمنة من هذا الشراب، فلمّا شربت أضاء نور وجهي، وعلاه نور ساطع، وضياء لامع، وجعلت أقول: من أين دخلن عليّ هذه النسوة، وكنت قد أغلقت الباب؟ فجعلت أنظر إليهنّ ولم أعرفهنّ ثمّ قلن: يا آمنة اشربي من هذا الشراب، وأبشري بسيّد الأوّلين والآخرين محمّد المصطفى ﷺ، وسمعت قائلاً يقول:

صلّى الإله وكلّ عبد صالح — والطيّبون على السراج الواضح
المصطفى خير الأنام محمّد — الطاهر العلم الضياء اللائح
زين الأنام المصطفى علم الهدى — الصادق البرّ التقيّ الناصح
صلّى عليه الله ما هبّ الصبا — وتجاوبت ورق الحمام النائح

ثمّ قمن النسوة وخرجن، فإذا أنا بأثواب من الديباج قد نشرت بين السماء والأرض وسمعت قائلاً يقول: خذوه وغيّبوه عن أعين الناظرين والحاسدين، فإنّه وليّ ربّ العالمين، قالت آمنة: فداخلني الجزع والفزع، وإذا أنا بخفقان أجنحة الملائكة، وإذا بهاتف قد نزل، وسمعت تسبيحاً وتقديساً وأرياشاً مختلفة هذا ولم يكن في البيت أحد إلاّ أنا، فبينما أنا أقول في نفسي: أنا نائمة أو يقظانة؟ إذ لمع نور أضاء لأهل السماء والأرض حتّى شقّ سقف البيت، وسمعت تسبيح الملائكة، فبينما أنا متعجّبة من ذلك إذ وضعت ولدي محمّداً ﷺ، فلمّا سقط إلى الأرض سجد تلقاء الكعبة رافعاً يديه إلى السّماء كالمتضرّع إلى ربّه، وسمعت من داخل البيت جلبة عظيمةً، وقائلاً يقول شعراً:

كم آية من أجله ظهرت فما — تخفى وزادت في الأنام ظهورا
ورأته آمنة يسبّح ساجداً — عند الولادة للسّماء مشيرا

قالت آمنة: وسمعت أصواتاً مختلفة، وإذا بسحابة بيضاء قد نزلت على ولدي، فأخذته وغيّبته عنّي، فلم أره فصحت خوفاً على ولدي، وإذا بقائل يقول لي: لا تخافي، وسمعت قائلاً يقول: طوفوا بمحمّد مشارق الأرض ومغاربها، وبرّها، وبحرها، ووعرها، واعرضوه على الجنّ والإنس، ليعرفوا نعته، قالت آمنة: كان ما بين غيبته ورجوعه أسرع من طرفة عين، وإذا هو قد جاءوا به إليّ وهو مدرج في ثوب أبيض من صوف، وهو قابض على مفاتيح ثلاثة، ورجل قائم على رأسه وهو يقول: قبض محمّد على مفاتيح النصر، ومفاتيح النبوّة، ومفاتيح الكعبة، فبينا أنا كذلك وإذا أنا بسحابة أُخرى أعظم من الأولى، وسمعت منها تسبيحاً وخفقان أجنحة الملائكة، فنزلت وأخذت ولدي فدمعت عيني، ورجف قلبي، وإذا أنا بقائل يقول: طوفوا بمحمّد على مولد النبيّين، واعرضوه على سائر المرسلين، وأعطوه صفوة آدم عليه السلام، ورأفة نوح عليه السلام، وحلم إبراهيم عليه السلام، ولسان إسماعيل عليه السلام، وجمال يوسف عليه السلام، وصبر أيّوب عليه السلام، وصوت داود عليه السلام، وزهد يحيى عليه السلام، وكرم عيسى عليه السلام، وشجاعة موسى عليه السلام، وأعطوه من أخلاق الأنبياء، قالت آمنة: ورأيته

قابضاً على حريرة بيضاء مطويّة طيّاً شديداً، والماء يخرج منها، وقائل يقول: قبض محمّد على الدّنيا بأسرها، ولم يبق شيئاً إلاّ وقد دخل في قبضته، قالت: فبينما أنا كذلك وإذا أنا بثلاثة نفر قد دخلوا عليّ والنور يظهر من وجوههم، يكاد نورهم يخطف الأبصار، في يد أحدهم إبريق من فضّة، وفي يد آخر طست من زبرجد أخضر، فوضع الطست بين يديه وقال له: يا حبيب الله اقبض من حيث شئت، قالت آمنة: فنظرت إلى موضع قبضته، فإذا هو قد قبض على وسطها، قالت: فسمعت قائلاً يقول: قبض محمّد على الكعبة وما حولها، ورأيت في يد الثالث حريرة مطويّة، وإذا بخاتم من نور يشرق كالشمس، ثمّ حمل ولدي فناوله صاحب الطست، وصبّ عليه الآخر من الإبريق سبع مرّات، ثمّ ختم بذلك الخاتم بين كتفيه، ثمّ لفّه تحت جناحه، وغيّبه عنّي، وكان ذلك رضوان خازن الجنان، ثمّ أخرجه وتكلّم في أذنه بكلام لا أفهمه، ثمّ قبله، وقال: أبشر يا محمّد فإنّك سيّد الأوّلين والآخرين، وأنت الشفيع فيهم يوم الدّين، ثمّ خرجوا وتركوه، ثمّ رأيت ثلاثة أعلام منصوبة: واحد بالمشرق، وواحد بالمغرب، والثالث على الكعبة، وتلك الأعلام من النور مثل قوس السحاب.

قالت آمنة: ثمّ رأيت بعد ذلك غمامة بيضاء قد نزلت من السّماء على ولدي، وغيبته عنّي ساعة طويلة، فلم أره، فحنّ عليه قلبي، وقد حيل بيني وبينه، وكأنّي نائمة ممّا جرى عليه، فبينا أنا كذلك وإذا بولدي قد ردّوه عليّ، وإذا به مكحول مقمّط بقماط من حرير الجنّة، تفوح منه رائحة المسك الأذفر.

قال عبد المطّلب: كنت في الساعة الّتي ولد فيها رسول الله ﷺ أطوف بالكعبة، وإذا بالأصنام قد تساقطت وتناثرت، والصنم الكبير سقط على وجهه، وسمعت قائلاً يقول: الآن آمنة قد ولدت رسول الله ﷺ، فلمّا رأيت ما حلّ بالأصنام تلجلج لساني، وتحيّر عقلي، وخفق فؤادي حتّى صرت لم أستطع الكلام، فخرجت مسرعاً أريد باب بني شيبة، وإذا الصفا والمروة يركضان بالنور فرحاً، ولم أزل مسرعاً إلى أن قربت من منزلة آمنة، وإذا بغمامة بيضاء قد عمّت منزلها، فقربت من الباب وإذا روائح المسك الأذفر والندّ والعنبر قد عبقت بكلّ مكان حتّى عمّتني الرائحة، فدخلت على آمنة وإذا بها قاعدة، وليس عليها أثر النفاس، فقلت: أين مولودك أريد أن أنظر إليه؟ قالت: قد حيل بيني وبينه، ولقد سمعت منادياً ينادي: لا تخافي على مولودك، وسيرد عليك بعد ثلاثة أيّام، فسلّ عبد المطّلب سيفه وقال أخرجي لي ولدي هذه الساعة وإلاّ علوتك به، فقالت: إنّهم قد دخلوا به هذه الدار، قال عبد المطّلب: فهممت بالدخول إلى الدار إذ برز لي شخص من داخل الدار كأنّه النخلة السحوق، لم أر أهول منه، وبيده سيف وقال لي: ارجع ليس لك إلى ذلك من سبيل، ولا لغيرك حتّى تنقضي زيارة الملائكة، فخرجت خائفاً ممّا رأيت من الأهوال.

قال صاحب الحديث: بلغنا أنّ الساعة الّتي ولد فيها رسول الله ﷺ طردت الشياطين

والمردة هاربين، ومنهم من غمي عليه، ومنهم من مات، وأمّا سطيح ووشق فماتا في تلك اللّيلة، وأمّا زرقاء اليمامة فإنّها كانت جالسة مع خدمها وجواريها إذ صرخت صرخة عظيمة وغشي عليها، فلما أفاقت أنشأت تقول:

أمّا المحال فقد مضى لسبيله ومضت كهانة معشر الكهّان
جاء البشير فكيف لي بهلاكه هيهات جاء الوحي بالإعلان

فلمّا تمّت له ثلاثة أيّام دخل عليه جدّه عبد المطّلب فلمّا نظر إليه قبله، وقال: الحمد لله الّذي أخرجك إلينا، حيث وعدنا بقدومك، فبعد هذا اليوم لا أبالي أصابني الموت أم لا، ثمّ دفعه إلى آمنة فجعل يهشّ ويضحك لجدّه وأمّه، كأنّه ابن سنة، قال عبد المطّلب: يا آمنة احفظي ولدي هذا، فسوف يكون له شأن عظيم، وأقبل الناس من كلّ فجّ عميق يهنّئون عبد المطّلب، وجاءت جملة النساء إلى آمنة وقلن لها: لمَ لمْ ترسلي إلينا؟ فهنّأوها بالمولود وقد عبقت بهنّ جمع رائحة المسك، فكان يقول الرجل لزوجته: من أين لك هذا؟ فتقول: هذا من طيب مولود آمنة، فأقبلت القوابل ليقطعن سرّته فوجدنه مقطوع السرّة، فقلن لآمنة: ما كفاك أنّك وضعت به حتّى قطعت سرّته بنفسك؟ فقالت لهنّ: والله لم أره إلاّ على هذه الحالة، فتعجّبت القوابل من ذلك، وكانت تأتيها القوابل بعد ذلك وإذا به مكحولاً، مقموطاً، فيتعجّبن منه، فلمّا مضى له من الوضع سبعة أيّام أولم عبد المطّلب وليمة عظيمة وذبح الأغنام، ونحر الابل، وأكل الناس ثلاثة أيّام، ثمّ التمس له مرضعة تربّيه على عادة أهل مكّة[1].

ايضاح: الأطلال جمع الطلل بالتحريك، وهو ما شخص من آثار الدّار. والهمام بالضمّ وتخفيف الميم: الملك العظيم الهمّة. والضرغام بالكسر: الأسد. والقمقام بالفتح: السيّد. والمقدام بالكسر: الرجل الكثير الإقدام على العدوّ. والحمام بالكسر: الموت. والمناكب لعلّه من النكبة بمعنى المصيبة، ويقال: كافحوهم: إذا استقبلوهم في الحرب بوجوههم ليس دونها ترس ولا غيره. والكميّ: الشجاع. وذباب السيف بالضمّ: طرفه الذي يضرب به. والقصم: الكسر. والهزبر بكسر الهاء وفتح الزاء: الأسد. والجلاميد جمع الجلمود وهو الصخر. والسّراة بالضمّ جمع سريّ وهو الشريف. قولها: من يحظى هو على بناء المجهول من الحظوة وهي القدر والمنزلة. وقال الجوهريّ: لخن السقاء بالكسر أي أنتن، ومنه قولهم: أمة لخناء، ويقال: اللّخناء: الّتي لم تختن انتهى. والورق بالضمّ جمع الأورق، وهو الّذي في لونه بياض إلى سواد. وفي القاموس: الندّ: طيّب معروف أو العنبر. والسّحوق من النخل: الطويلة، وغمي على المريض وأغمي مضمومتين: غشي عليه ثمّ أفاق.

تتمة مفيدة: اعلم أنّ ظاهر أخبار المولد السعيد أنّ الشهب لم تكن قبله، وإنّما حدثت

(١) الأنوار في مولد النبي ﷺ، ص ٧٦-١٠٨.

في هذا الوقت، وهو خلاف المشهور، ويمكن أن تكون كثرتها إنّما حدثت عند ذلك، وكانت قبل ذلك نادرة.

قال الرازيّ في تفسير قوله سبحانه: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ ما ملخصه: فإن قيل: هذه الشهب كانت موجودة قبل المبعث، لأنّ جميع الفلاسفة تكلّموا في أسباب انقضاضها وقد جاء وصفها في شعر الجاهلية، وقد روي عن ابن عبّاس أيضاً ما يدلّ على كونها في الجاهليّة، فما معنى تخصيصها بمبعثه ﷺ؟ ثمّ أجاب بوجهين: الأوّل أنّها ما كانت قبل المبعث، وهذا قول ابن عبّاس وأُبي بن كعب وجماعة، وهؤلاء زعموا أنّ كتب الأوائل قد توالت عليها التحريفات، فلعلّ المتأخرين ألحقوا هذه المسألة طعناً منهم في هذه المعجزة، وكذا الأشعار المنسوبة إلى أهل الجاهليّة لعلّها مختلقة عليهم ومنحولة، والخبر غير ثابت. والثاني وهو الأقرب إلى الصواب أنّها كانت موجودة إلاّ أنّها زيدت بعد المبعث، وجعلت أكبر وأقوى انتهى[1].

وأقول: يحتمل وجه ثالث وهو أن تكون هذه موجودة قبل الإسلام بمدّة، ثمّ ارتفعت وزالت مدّة مديدة، ثمّ حدثت بعد الولادة أو البعثة، ويؤيّده ما روي عن أُبيّ بن كعب أنّه قال: لم يرم بنجم منذ رفع عيسى عليه السلام حتّى بعث رسول الله ﷺ، وسيأتي مزيد تحقيق في كتاب السّماء والعالم إن شاء الله تعالى.

٤ - باب منشأه ورضاعه وما ظهر من إعجازه عند ذلك إلى نبوته ﷺ

١ - **يج:** روي أنّه لمّا ولد النبيّ ﷺ قدمت حليمة بنت أبي ذؤيب في نسوة من بني سعد ابن بكر تلتمس الرضعاء بمكّة، قالت: فخرجت معهنّ على أتان ومعي زوجي، ومعنا شارف لنا ما يبّض بقطرة من لبن، ومعنا ولد ما نجد في ثديي ما نعلّله وما ننام ليلنا جوعاً، فلمّا قدمنا مكّة لم تبق منّا امرأة إلاّ عرض عليها محمّد فكرهناه فقلنا: يتيم، وإنّما يكرم الظئر الوالد، فكلّ صواحبي أخذن رضيعاً ولم آخذ شيئاً، فلمّا لم أجد غيره رجعت إليه فأخذته فأتيت به الرحل فأمسيت وأقبل ثدياي باللّبن حتّى أرويته وأرويت ولدي أيضاً، وقام زوجي إلى شارفنا تلك يلمسها بيده، فإذا هي حافل، فحلبها وأرواني من لبنها، وروى الغلمان، فقال: يا حليمة لقد أصبنا نسمة مباركة، فبتنا بخير ورجعنا، فركبت أتاني ثمّ حملت محمّداً معي، فوالذي نفس حليمة بيده لقد طفت بالركب حتّى أنّ النسوة يقلن: يا حليمة أمسكي علينا، أهذه أتانك الّتي خرجت عليها؟ قلت: نعم، ما شأنها؟ قلن: حملت غلاماً مباركاً، ويزيدنا الله كلّ يوم وليلة خيراً، والبلاد قحط، والرعاة يسرحون، ثمّ يريحون، فتروح أغنام بني سعد جياعاً، وتروح غنمي شباعاً بطاناً حفّلاً فتحلب وتشرب[2].

---

(١) تفسير فخر الرازي، ج ٣٠ المجلد ١٠ ح ٦٦٩. (٢) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٨١ ح ١٣٤.

بيان: الشارف: المسنّة من النوق. قوله: ما بيّض أي الإناء، قال الجوهريّ: بيّضت الإناء: أي ملأته من الماء، أو اللّبن، والأصوب أنّه ما تبضّ بالتاء، ثمّ الباء التحتانية الموحدّة المكسورة، ثمّ الضاد المشدّدة، قال الجزريّ: فيه ما تبضّ ببلال أي ما يقطر منها لبن، يقال: بضّ الماء: إذا قطر وسال، وقال الجوهريّ: ضرع حافل، أي ممتلئ لبناً.

٢ - **قب:** ذكرت حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث من مضر زوجة الحارث بن عبد العزّى المضريّ أنّ البوادي أجدبت، وحملنا الجهد على دخول البلد، فدخلت مكّة، ونساء بني سعد قد سبقن إلى مراضعهنّ، فسألت مرضعاً فدلّوني على عبد المطّلب، وذكر أنّ له مولوداً يحتاج إلى مرضع له، فأتيت إليه فقال: يا هذه عندي بُنيّ لي يتيم اسمه محمّد، فحملته ففتح عينيه لينظر إليّ بهما فسطع منهما نور، فشرب من ثديي الأيمن ساعة، ولم يرغب في الأيسر أصلاً، واستعمل في رضاعه عدلاً، فناصف فيه شريكه، واختار اليمين اليمين، وكان ابني لا يشرب حتّى يشرب رسول الله ﷺ، فحملته على الأتان وكانت قد ضعفت عند قدومي مكّة فجعلت تبادر سائر الحمر إسراعاً قوّةً ونشاطاً، واستقبلت الكعبة وسجدت لها ثلاث مرّات، وقالت: برئت من مرضي، وسلمت من غثّي وعليّ سيّد المرسلين، وخاتم النبيّين وخير الأوّلين والآخرين، فكان الناس يتعجّبون منها ومن سمني وبرئي ودرّ لبني، فلمّا انتهينا إلى غار خرج رجل يتلألأ نوره إلى عنان السّماء وسلّم عليه، وقال: إنّ الله تعالى وكلني برعايته، وقابلنا ظباء وقلن: يا حليمة لا تعرفين من تربّين هو أطيب الطيّبين، وأطهر الطاهرين، وما علونا تلعة ولا هبطنا وادياً إلاّ سلّموا عليه، فعرفت البركة والزيادة في معاشنا ورياشنا حتّى أثرينا وكثرت مواشينا وأموالنا، ولم يحدث في ثيابه، ولم تبد عورته، ولم يحتج في يوم إلاّ مرّة، وكان مسروراً مختوناً، وكنت أرى شابّاً على فراشه يعد له ثيابه، فربّيته خمس سنين ويومين، فقال لي يوماً: أين يذهب إخواني كلّ يوم؟ قلت: يرعون غنماً فقال: إنّني اليوم أوافقهم، فلمّا ذهب معهم أخذه ملائكة وعلوه على قلّة جبل، وقاموا بغسله وتنظيفه، فأتاني ابني وقال: أدركي محمّداً فإنّه قد سلب، فأتيته فإذا هو بنور يسطع في السّماء فقبّلته فقلت: ما أصابك؟ قال: لا تحزني إنّ الله معنا، وقصّ عليها قصّته، فانتشر منه فوح مسك أذفر، وقال الناس: غلبت عليه الشياطين، وهو يقول: ما أصابني شيء، وما عليّ من بأس، فرآه كاهن وصاح وقال: هذا الّذي يقهر الملوك، ويفرق العرب[1].

إيضاح: قوله: واختار اليمين، أي صاحب اليمن والبركة، والغثّ: المهزول، والمراد هنا المصدر، ويقال: أثرى الرجل: إذا كثرت أمواله.

٣ - **قب:** روي عن حليمة أنّه جلس محمّد وهو ابن ثلاثة أشهر، ولعب مع الصبيان وهو

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٥٩.

ابن تسعة، وطلب منّي أن يسير مع الغنم يرعى وهو ابن عشرة، وناضل الغلمان بالنبل وهو ابن خمشة عشر، وصارع الغلمان وهو ابن ثلاثين، ثمّ رددته إلى جدّه.

ابن عبّاس: إنّه كان يقرب إلى الصبيان تصبيحهم فيخلسون ويكفّ، ويصبح الصبيان غمصاً رمصاً، ويصبح صقيلاً دهيناً، ونادى شيخ على الكعبة: يا عبد المطّلب إنّ حليمة امرأة عربيّة، وقد فقدت ابناً اسمه محمّد، فغضب عبد المطّلب وكان إذا غضب خاف النّاس منه، فنادى: يا بني هاشم، ويا بني غالب اركبوا فُقد محمّد، وحلف أن لا أنزل حتّى أجد محمداً، أو أقتل ألف أعرابيّ ومأة قرشيّ، وكان يطوف حول الكعبة، وينشد أشعاراً منها:

يا ربّ رد راكبي محمّدا ... ردّ إليّ واتّخذ عندي يدا

يا ربّ إن محمّداً لن يوجدا ... تصبح قريش كلّهم مبدّدا

فسمع نداءً: إنّ الله لا يضيّع محمّداً، فقال: أين هو؟ قال: في وادي فلان، تحت شجرة أمّ غيلان، قال ابن مسعود: فأتينا الوادي فرأيناه يأكل الرطب من أمّ غيلان، وحوله شابّان، فلمّا قربنا منه ذهب الشابّان وكانا جبرئيل وميكائيل عليهما السلام، فسألناه من أنت؟ وماذا تصنع؟ قال: أنا ابن عبد الله بن عبد المطّلب، فحمله عبد المطّلب على عنقه وطاف به حول الكعبة، وكانت النّساء اجتمعن عند آمنة على مصيبته، فلمّا رآها تمسّك بها، وما التفت إلى أحد.

وكان عبد المطّلب أرسل رسول الله ﷺ إلى رعاته في إبل قد ندّت له يجمعها، فلمّا أبطأ عليه نفذ وراءه في كلّ طريق وكلّ شعب، وأخذ بحلقة باب الكعبة وهو يقول: يا ربّ إن تهلك آلك، إن تفعل فأمر ما بدا لك، فجاء رسول الله ﷺ بالإبل، فلمّا رآه أخذه فقبّله، فقال: بأبي لا وجّهتك بعد هذا في شيء، فإنّي أخاف أن تغتال فتقتل[(١)].

بيان: قال الجزريّ: في حديث المولد أنّه كان يتيماً في حجر أبي طالب، وكان يقرب إلى الصبيان تصبيحهم فيختلسون ويكفّ، أي غداؤهم، وهو اسم على تفعيل كالترغيب والتنوير، وقال: في حديث ابن عبّاس كان الصبيان غمصاً رمصاً، ويصبح رسول الله صقيلاً دهيناً، يقال: غمصت عينيه مثل رمصت، يقال: غمصت العين ورمصت من الغمص والرمص، وهو البياض الّذي يجمع في زوايا الأجفان، فالرمص: الرطب، والغمص: اليابس، والغمص والرمص جمع أغمص وأرمص، وانتصبا على الحال لا على الخبر، لأنّ أصبح تامّة وهي بمعنى الدخول في الصباح، قاله الزمخشريّ.

٤ - **قب:** عن ابن عبّاس قال: قال أبو طالب لأخيه: يا عبّاس أخبرك عن محمّد أنّي ضممته فلم أفارقه ساعة من ليل أو نهار، فلم أئتمن أحداً حتّى نوّمته في فراشي، فأمرته أن يخلع ثيابه وينام معي، فرأيت في وجهه الكراهية، فقال: يا عمّاه اصرف بوجهك عنّي حتّى

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٦٠.

أخلع ثيابي وأدخل فراشي، فقلت له: ولم ذاك؟ فقال: لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى جسدي، فتعجّبت من قوله وصرفت بصري عنه حتّى دخل فراشه، فإذا دخلت أنا الفراش إذا بيني وبينه ثوب، والله ما أدخلته في فراشي، فأمسّه فإذا هو ألين ثوب، ثمّ شممته كأنّه غمس في مسك، وكنت إذا أصبحت فقدت الثوب، فكان هذا دأبي ودأبه، وكنت كثيراً ما أفتقده في فراشي، فإذا قمت لأطلبه بادرني من فراشي، ها أناذا يا عمّ فارجع إلى مكانك.

وكان النبيّ ﷺ يأتي زمزم فيشرب منها شربة، فربما عرض عليه أبو طالب الغداء فيقول: لا أريده أنا شبعان. وكان أبو طالب إذا أراد أن يعشّي أولاده أو يغدّيهم يقول: كما أنتم حتّى يحضر ابني، فيأتي رسول الله فيأكل معهم فيبقى الطعام[1].

٥ - قب: القاضي المعتمد في تفسيره قال أبو طالب: لقد كنت كثيراً ما أسمع منه إذا ذهب من اللّيل كلاماً يعجبني، وكنّا لا نسمّي على الطعام ولا على الشراب حتّى سمعته يقول: بسم الله الأحد، ثمّ يأكل، فإذا فرغ من طعامه قال: الحمد لله كثيراً، فتعجّبت منه، وكنت ربما أتيت غفلةً فأرى من لدن رأسه نوراً ممدوداً قد بلغ السّماء، ثمّ لم أر منه كذبة قطّ، ولا جاهليّة قطّ، ولا رأيته يضحك في موضع الضحك، ولا وقف مع صبيان في لعب، ولا التفت إليهم، وكان الوحدة أحبّ إليه والتواضع.

وكان النبيّ ابن سبع سنين فقالت اليهود: وجدنا في كتبنا أن محمّداً يجنبه ربّه من الحرام والشبهات فجرّبوه، فقدّموا إلى أبي طالب دجاجة مسمنة، فكانت قريش يأكلون منها، والرسول تعدل يده عنها، فقالوا: ما لك؟ قال: أراها حراماً يصونني ربّي عنها، فقالوا: هي حلال فنلقمك، قال: فافعلوا إن قدرتم، فكانت أيديهم يعدل بها إلى الجهات، فجاءوه بدجاجة أخرى قد أخذوها لجار لهم غائب على أن يؤدّوا ثمنها إذا جاء، فتناول منها لقمة فسقطت من يده، فقال عليه السلام: وما أراها إلاّ من شبهة يصونني ربّي عنها، فقالوا: نلقمك منها، فكلّما تناولوا منها ثقلت في أيديهم، فقالوا: لهذا شأن عظيم.

ولما ظهر أمره ﷺ عاداه أبو جهل، وجمع صبيان بني مخزوم وقال: أنا أميركم، وانعقد صبيان بني هاشم وبني عبد المطّلب على النبيّ وقالوا: أنت الأمير، قالت أمّ عليّ عليه السلام: وكان في صحن داري شجرة قد يبست وخاست، ولها زمان يابسة، فأتى النبيّ ﷺ يوماً إلى الشجرة فمسّها بكفّه فصارت من وقتها وساعتها خضراء، وحملت الرطب، فكنت في كلّ يوم أجمع له الرطب في دوخلّة، فإذا كانت وقت ضاحي النهار يدخل يقول: يا أمّاه أعطيني ديوان العسكر، وكان يأخذ الدوخلّة ثمّ يخرج ويقسّم الرطب على صبيان بني هاشم، فلمّا كان بعض الأيّام دخل وقال: يا أمّاه أعطيني ديوان العسكر، فقلت:

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٦٣.

يا ولدي اعلم أنّ النخلة ما أعطتنا اليوم شيئاً، قالت: فوحقّ نور وجهه لقد رأيته وقد تقدّم نحو النخله وتكلّم بكلمات وإذا بالنخلة قد انحنت حتّى صار رأسها عنده، فأخذ من الرطب ما أراد، ثمّ عادت النخلة إلى ما كانت، فمن ذلك اليوم قلت: اللّهمّ ربّ السّماء ارزقني ولداً ذكرا يكون أخاً لمحمّد، ففي تلك اللّيلة واقعني أبو طالب فحملت بعليّ بن أبي طالب فرزقته، فما كان يقرب صنماً ولا يسجد لوثن، كلّ ذلك ببركة محمّد ﷺ [(١)].

بيان: خاست أي لم تثمر، من قولهم: خاس بوعده: إذا أخلفه، أو فسدت من قولهم: خاس الشيء: إذا فسد. والدوخلّة: بالتشديد كالزنبيل يعمل من الخوص والقوصرة، يترك فيها التمر وغيره، وفي الخبر غرابة من جهة أنّ الحمل بأمير المؤمنين عليه السلام إنّما كان بعد ثلاثين من سنّه ﷺ، ويظهر منه أنّه كان في صباه.

٦ - **قب:** كتاب العروس وتاريخ الطبريّ إنّه أرضعته ثويبة مولاة أبي لهب بلبن ابنها مسروح أيّاماً، وتوفّيت مسلمةً سنة سبع من الهجرة، ومات ابنها قبلها، ثمّ أرضعته حليمة السعديّة فلبث فيهم خمس سنين وكانت أرضعت قبله حمزة وبعده أبا سلمة المخزوميّ، وخرج مع أبي طالب في تجارته وهو ابن تسع سنين، ويقال: ابن اثنتي عشرة سنة، وخرج إلى الشام في تجارة لخديجة وله خمس وعشرون سنة[(٢)].

٧ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن النعمان، عن سعيد بن عبد الله الأعرج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ قريشاً في الجاهليّة هدموا البيت، فلمّا أرادوا بناءه حيل بينهم وبينه، وألقي في روعهم حتّى قال قائل منهم: ليأتي كلّ رجل منكم بأطيب ماله، ولا تأتوا بمال اكتسبتموه من قطيعة رحم، أو حرام، ففعلوا فخلّي بينهم وبين بنائه، فبنوه حتّى انتهوا إلى موضع الحجر الأسود فتشاجروا فيهم أيّهم يضع الحجر الأسود في موضعه، حتّى كاد أن يكون بينهم شرّ، فحكّموا أوّل من يدخل من باب المسجد، فدخل رسول الله ﷺ، فلمّا أتاهم أمر بثوب فبسط ثمّ وضع الحجر في وسطه، ثمّ أخذت القبائل بجوانب الثوب فرفعوه، ثمّ تناوله ﷺ فوضعه في موضعه، فخصّه الله به[(٣)].

٨ - **كا:** عليّ بن إبراهيم وغيره بأسانيد مختلفة رفعوه قالوا: إنّما هدمت قريش الكعبة لأنّ السيل كان يأتيهم من أعلى مكّة فيدخلها فانصدعت، وسرق من الكعبة غزال من ذهب رجلاه جوهر، وكان حائطها قصيراً، وكان ذلك قبل مبعث النبيّ ﷺ بثلاثين سنة، فأرادت قريش أن يهدموا الكعبة ويبنوها ويزيدوا في عرصتها، ثمّ أشفقوا من ذلك وخافوا إن وضعوا فيها المعاول أن تنزل عليهم عقوبة، فقال الوليد بن المغيرة: دعوني أبدأ فإن كان لله رضى لم يصبني شيء، وإن كان غير ذلك كففت، فصعد على الكعبة، وحرّك منها حجراً، فخرجت

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٦٣. (٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٢٣.

(٣) الكافي، ج ٤ ص ٤٠٨ باب ١٣٦ ح ٣ و٤.

عليه حيّة، وانكسفت الشمس، فلمّا رأوا ذلك بكوا وتضرّعوا وقالوا: اللّهمّ إنّا لا نريد إلاّ الصلاح، فغابت عنهم الحيّة فهدموه ونحوا حجارته حوله حتّى بلغوا القواعد الّتي وضعها إبراهيم عليه السلام، فلمّا أرادوا أن يزيدوا في عرصته وحرّكوا القواعد الّتي وضعها إبراهيم عليه السلام أصابتهم زلزلة شديدة وظلمة فكفّوا عنه، وكان بنيان إبراهيم عليه السلام الطول ثلاثون ذراعاً، والعرض اثنان وعشرون ذراعاً، والسمك تسعة أذرع، فقالت قريش: نزيد في سمكها، فبنوها فلمّا بلغ البناء إلى موضع الحجر الأسود تشاجرت قريش في وضعه، قال كلّ قبيلة: نحن أولى به، ونحن نضعه، فلمّا كثر بينهم تراضوا بقضاء من يدخل من باب بني شيبة، فطلع رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا: هذا الأمين قد جاء فحكّموه، فبسط رداءه - وقال بعضهم: كساء طارونيّ كان له - ووضع الحجر فيه، ثمّ قال: يأتي من كلّ ربع من قريش رجل، فكانوا عتبة ابن ربيعة من عبد شمس، والأسود بن المطّلب من بني أسد بن عبد العزّى، وأبو حذيفة بن المغيرة من بني مخزوم، وقيس بن عديّ من بني سهم فرفعوه، ووضعه النبيّ صلى الله عليه وآله في موضعه، وقد كان بعث ملك الرّوم بسفينة فيها سقوف وآلات وخشب وقوم من الفعلة إلى الحبشة ليبنى له هناك بيعة فطرحتها الريح إلى ساحل الشريعة فبطحت، فبلغ قريشاً خبرها فخرجوا إلى الساحل فوجدوا ما يصلح للكعبة من خشب وزينة وغير ذلك فابتاعوه وصاروا به إلى مكّة، فوافق ذلك ذرع الخشب البناء ما خلا الحجر، فلمّا بنوها كسوها الوصائل وهي الأردية[1].

بيان: الطارونيّ: ضرب من الخزّ. والربع: المحلّة، ويحتمل الضمّ. قوله عليه السلام: فبطحت على بناء المجهول، أي انقلبت، يقال: بطحه، أي ألقاه على وجهه، وقوله: ذرع الخشب بيان لقوله: ذلك، والبناء مفعول وافق، وقوله: ما خلا الحجر، ولعلّ المراد به الأحجار المنصوبة في ظاهر البيت، أي كان طول الخشب موافقاً لطول بناء البيت إلاّ بقدر الحجر المنصوب في الجانبين، لئلاّ تظهر رؤوس الأخشاب من خارج، ويحتمل على بُعدٍ أن يقرأ الحجر بالكسر، أي لم يكن حجر إسماعيل داخلاً في طول الخشب. وقال الجوهريّ: الوصائل: ثياب مخطّطة يمانيّة، وفي بعض النسخ بالدال، أي الثياب المنسوجة. قال في القاموس: الوصد محرّكة: النسج، والأوّل أظهر.

٩ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن داود بن سرحان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ساهم قريشاً في بناء البيت، فصار لرسول الله من باب الكعبة إلى النصف ما بين الركن اليمانيّ إلى الحجر الأسود.

وفي رواية أخرى: كان لبني هاشم من الحجر الأسود إلى الركن الشاميّ[2].

بيان: قوله عليه السلام: ما بين الركن اليمانيّ، أي إلى منتصف الضلع الّذي بين الركن اليمانيّ

(١) الكافي، ج ٤ ص ٤٠٨ باب ١٣٦ ح ٣ و٤. (٢) الكافي، ج ٤ ص ٤٠٨ باب ١٣٦ ح ٥.

والحجر، والرّواية الأخرى تنافي ذلك، إذ لو كان المراد جميع بني هاشم فكان ينبغي أن يدخل فيه جميع ما كان للنّبيّ ﷺ مع أنّه لا يدخل فيه إلاّ ما كان منه بين الحجر والباب، وإن كان المراد سائر بني هاشم غيره ﷺ فكان ينبغي أن لا يدخل فيه ما بين الحجر إلى الباب إلاّ أن يتكلّف بأنّهم كانوا أشركوه مع بني هاشم في هذا الضلع، وخصّوه من الضلع الآخر بالنصف، فجعل بنو هاشم له ﷺ فكان ينبغي أن لا يدخل فيه ما بين الحجر إلى الباب إلاّ أن يتكلّف بأنّهم كانوا أشركوه مع بني هاشم في هذا الضلع، وخصّوه من الضلع الآخر بالنصف، فجعل بنو هاشم له ﷺ ما بين الحجر والباب، وفي بعض النسخ بدل الشاميّ اليمانيّ، والإشكال والتوجيه مشتركان.

١٠ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن أبي عبيدة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا تنكح المرأة على عمّتها ولا على خالتها ولا على أختها من الرضاعة، وقال: إنّ عليّاً عليه السلام ذكر لرسول الله ﷺ ابنة حمزة، فقال رسول الله ﷺ: أما علمت أنّها ابنة أخي من الرضاعة، وكان رسول الله ﷺ وعمّه حمزة عليه السلام قد رضعا من امرأة(١).

١١ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن سعد بن عبد الله، عن إبراهيم بن محمّد الثقفيّ، عن عليّ ابن المعلّى، عن أخيه محمّد، عن درست بن أبي منصور، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا ولد النبيّ ﷺ مكث أيّاماً ليس له لبن، فألقاه أبو طالب على ثدي نفسه، فأنزل الله فيه لبناً فرضع منه أيّاماً حتّى وقع أبو طالب على حليمة السعديّة فدفعه إليها(٢).

قب: عنه عليه السلام مثله(٣).

١٢ - **د:** قالت حليمة السعديّة: كانت في بني سعد شجرة يابسة ما حملت قطّ، فنزلنا يوماً عندها ورسول الله ﷺ في حجري فما قمت حتّى اخضرّت وأثمرت ببركةٍ منه، وما أعلم أنّي جلست موضعاً قطّ إلاّ كان له أثر، إمّا نبات، وإمّا خصب، ولقد دخلت على امرأة من بني سعد يقال لها: أمّ مسكين وكانت سيّئة الحال، فحملته فأدخلته منزلها، فإذا هي قد أخصبت وحسن حالها، فكانت تجيء كلّ يوم فتقبّل رأسه.

قالت حليمة: ما نظرت في وجه رسول الله ﷺ وهو نائم إلاّ ورأيت عينيه مفتوحتين كأنّه يضحك، وكان لا يصيبه حرّ ولا برد.

قالت حليمة: ما تمنّيت شيئاً قطّ في منزلي إلاّ أعطيته من الغد، ولقد أخذ ذئب عنيزةً لي

(١) الكافي، ج ٥ ص ٨٢٨ باب ٢٨٢ ح ١١.
(٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٦٨ باب مولد النبي ﷺ، ح ٢٧.
(٣) مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٥٩.

فتداخلني من ذلك حزن شديد، فرأيت النبيّ ﷺ رافعاً رأسه إلى السّماء، فما شعرت إلاّ والذئب والعنيزة على ظهره قد ردّها عليّ ما عقر منها شيئاً. قالت حليمة: ما أخرجته قطّ في شمس إلاّ وسحابة تظلّه، ولا في مطر إلاّ وسحابة تكنّه من المطر.

قالت حليمة: فما زال من خيمتي نور ممدود بين السّماء والأرض، ولقد كان الناس يصيبهم الحرّ والبرد فما أصابني حرّ ولا برد منذ كان عندي، ولقد هممت يوماً أن أغسل رأسه فجئته وقد غسل رأسه ودهّن وطيّب، وما غسلت له ثوباً قطّ، وكلّما هممت بغسل ثوبه سبُقتُ إليه فوجدت عليه ثوباً غيره جديداً.

قالت: ما كنت أخرج لمحمّد ثديي إلاّ وسمعت له نغمة، ولا شرب قطّ إلاّ وسمعته ينطق بشيء، فتعجبت منه حتّى إذا نطق وعقد كان يقول: بسم الله ربّ محمّد إذا أكل، وفي آخر ما يفرغ من أكله وشربه يقول: الحمد لله ربّ محمّد[1].

١٣ - **يل**: قال الواقديّ: فلمّا أتى على رسول الله ﷺ أربعة أشهر ماتت أمّه آمنة رضي الله عنها، فبقي ﷺ بلا أب ولا أمّ، وهو من أبناء أربعة أشهر، فبقي يتيماً في حجر جدّه عبد المطّلب، فاشتدّ عليه موت آمنة ليتم محمّد ﷺ، ولم يأكل ولم يشرب ثلاثة أيّام، فبعث عبد المطّلب إلى بنتيه، عاتكة وصفيّة وقال لهما: خذا محمّداً ﷺ، والنّبيّ ﷺ لا يزداد إلاّ بكاء ولا يسكن، وكانت عاتكة تلعقه عسلاً صافياً مع الثريد، وهو لا يزداد إلاّ تمادياً في البكاء.

قال الواقديّ: فضجر عبد المطّلب فقال لعاتكة: فلعلّه يقبل ثدي واحدة منهنّ ويرضعن ولدي وقرّة عيني فبعثت عاتكة بالجواري والعبيد نحو نساء بني هاشم وقريش ودعتهنّ إلى رضاع النبيّ ﷺ، فجئن إلى عاتكة واجتمعن عندها في أربعمائة وستّين جارية من بنات صناديد قريش، فتقدمت كلّ واحدة منهنّ ووضعن ثديهنّ في فم رسول الله ﷺ فما قبل منهنّ أحداً، وبقين متحيّرات، وكان عبد المطّلب جالساً فأمر بإخراجهنّ والنبيّ ﷺ لا يزداد إلاّ بكاء وحزناً، فخرج عبد المطّلب مهموماً وقعد عند ستارة الكعبة ورأسه بين ركبتيه، كأنّه امرأة ثكلاء، وإذا بعقيل بن أبي وقّاص وقد أقبل وهو شيخ قريش وأسنّهم، فلمّا رأى عبد المطّلب مغموماً قال له: يا أبا الحارث، ما لي أراك مغموماً؟ قال: يا سيّد قريش إنّ نافلتي يبكي ولا يسكن شوقاً إلى اللّبن من حين ماتت أمّه، وأنا لا أتهنّأ بطعام ولا شراب، وعرضت عليه نساء قريش وبني هاشم فلم يقبل ثدي واحدة منهنّ، فتحيّرت وانقطعت حيلتي، فقال عقيل: يا أبا الحارث إنّي لأعرف في أربعة وأربعين صنديداً من صناديد العرب امرأة عاقلة هي أفصح لساناً، وأصبح وجهاً، وأرفع حسباً ونسباً، وهي حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن سخنة بن ناصر بن سعد بن بكر بن زهر بن منصور بن عكرمة بن قيس بن غيلان بن

(١) العدد القوية، ص ١٢٢.

مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن يشخب بن يعرب بن نبت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرّحمن، فقال عبد المطّلب: يا سيّد قريش لقد نبّهتني لأمر عظيم وفرّجت عنّي، ثمّ دعا عبد المطّلب بغلام اسمه شمردل وقال له: قم يا غلام واركب ناقتك، واخرج نحو حيّ بني سعد بن بكر، وادع لي أبا ذؤيب عبد الله بن الحارث العدويّ، فذهب الغلام واستوى على ظهر ناقته، وكان حيّ بني سعد من مكّة على ثمانية عشر ميلاً في طريق جدّة، قال: فذهب الغلام نحو حيّ بني سعد فلحق بهم وإذا خيمتهم من مسح وخوص، وكذلك خيم الأعراب والبوادي، فدخل شمردل الحيّ وسأل عن خيمة عبد الله بن الحارث فأعطوه الأثر، فذهب شمردل إلى الخيمة فإذا بخيمة عظيمة، وإذا على باب الخيمة غلام أسود، فاستأذن شمردل في الدخول فدخل الغلام وقال: أنعم صباحاً يا أبا ذؤيب، قال: فحيّاه عبد الله، وقال له: ما الخبر يا شمردل؟ فقال: اعلم يا سيّدي إنّ مولاي أبا الحارث عبد المطّلب قد وجّهني نحوك، وهو يدعوك، فإن رأيت يا سيّدي أنّ تجيبه فافعل، قال عبد الله: السمع والطاعة، وقام عبد الله من ساعته ودعا بمفتاح الخزانة فأعطي المفتاح. ففتح باب الخزانة، وأخرج منها جوشنة فأفرغها على نفسه، وأخرج بعد ذلك درعاً فاضلاً فأفرغه على نفسه فوق جوشنه، واستخرج بيضة عادية فقلبها على رأسه، وتقلّد بسيفين، واعتقل رمحاً، ودعا بنجيب فركبه، وجاء نحو عبد المطّلب، فلمّا دخل تقدّم شمردل وأخبر عبد المطّلب، وكان جالساً مع رؤساء مكّة، مثل عتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وعقبة بن أبي معيط، وجماعة من قريش، فلمّا رأى عبد المطّلب عبد الله قام على قدميه واستقبله وعانقه وصافحه وأقعده إلى جنبه، وألزق ركبتيه بركبتيه، ولم يتكلّم حتّى استراح، ثمّ قال له عبد المطّلب: يا أبا ذؤيب أتدري بما دعوتك؟ قال: يا سيّدي وسيّد قريش ورئيس بني هاشم حتّى تقول فأسمع منك وأعمل بأحسنه، قال: اعلم يا أبا ذؤيب أنّ نافلتي محمّد بن عبد الله مات أبوه، ولم يبن عليه أثره، ثمّ ماتت أمّه وهو ابن أربعة أشهر، وهو لا يسكن من البكاء عيمةً إلى اللّبن، وقد أحضرت عنده أربعمائة وستّين جارية من أشرف وأجلّ بني هاشم، فلم يقبل من واحدة منهنّ لبناً، والآن سمعنا أنّ لك بنتاً ذات لبن، فإن رأيت أن تنفذها لترضع ولدي محمّداً، فإن قبل لبنها فقد جاءتك الدّنيا بأسرها، وعليّ غناك وغنى أهلك وعشيرتك، وإن كان غير ذلك ترى ممّا رأيت من النّساء غيرها فافعل، ففرح عبد الله فرحاً شديداً، ثمّ قال: يا أبا الحارث إنّ لي بنتين، فأيّتهما تريد؟ قال عبد المطّلب: أريد أكملهما عقلاً، وأكثرهما لبناً، وأصونهما عرضاً، فقال عبد الله: هاتيك حليمة لم تكن كأخواتها، بل خلقها الله تعالى أكمل عقلاً، وأتمّ فهماً، وأفصح لساناً، وأثجّ لبناً، وأصدق لهجة، وأرحم قلباً منهنّ جمع.

قال الواقديّ: فقال عبد المطّلب إنّي وربّ السّماء ما أريد إلاّ ذلك، فقال عبد الله: السمع والطاعة، فقام من ساعته واستوى على متن جواده وأخذ نحو بني سعد بعد أن أضافه، فلمّا أن وصل إلى منزله دخل على ابنته حليمة وقال لها: أبشري فقد جاءتك الدّنيا بأسرها، فقالت

حليمة: ما الخبر؟ قال عبد الله: اعلمي أنّ عبد المطّلب رئيس قريش وسيّد بني هاشم سألني إنفاذك إليه لترضعي ولده، وتبشّري بالعطاء الجزيل، ففرحت حليمة بذلك، وقامت من وقتها وساعتها واغتسلت وتطيّبت وتبخّرت وفرغت من زينتها، فلمّا ذهب من اللّيل نصفه قام عبد الله وزيّن ناقته فركبت عليها حليمة، وركب عبد الله فرسه وكذلك زوجها بكر بن سعد السعديّ، وخرجوا من دارهم في داج من اللّيل، فلمّا أصبحوا كانوا على باب مكّة ودخلوها، وذهبت إلى دار عاتكة، وكانت تلاطف محمّداً وتلعقه العسل والزبد الطريّ، فلمّا دخلت الدار وسمع عبد المطّلب بمجيئها جاء من ساعته ودخل الدار، ووقف بين يدي حليمة، ففتحت حليمه جيبها وأخرجت ثديها الأيسر، وأخذت رسول الله ﷺ فوضعته في حجرها ووضعت ثديها في فمه، والنبيّ ﷺ ترك ثديها الأيسر واضطرب إلى ثديها الايمن، فأخذت حليمة ثديها الأيمن من يد النبيّ ﷺ ووضعت ثديها الأيسر في فمه، وذلك أنّ ثديها الأيمن كان جهاماً لم يكن فيه لبن، وخافت حليمة أنّ النبيّ ﷺ إذا مصّ الثدي ولم يجد فيه شيئاً لا يأخذ بعده الأيسر، فيأمر عبد المطّلب بإخراجها من الدار، فلمّا ألحّت على النبيّ ﷺ أن يأخذ الأيسر والنبيّ يميل إلى الأيمن فصاحت عليه وقالت: يا ولدي مصّ الأيمن حتّى تعلم أنّه جهام يابس لا شيء فيه، قال: فلمّا مصّ النبيّ الأيمن امتلأ فانفتح باللبن حتّى ملأ شدقيه بأمر الله تعالى وببركته، فضجّت حليمة وقالت: وا عجباه منك يا ولدي، وحقّ ربّ السّماء ربّيت بثديي الأيسر اثني عشر ولداً، وما ذاقوا من ثديي الأيمن شيئاً والآن قد انفتح ببركتك، وأخبرت بذلك عبد الله فأمرها بكتمان ذلك، فقال عبد المطّلب: تكونين عندي فآمر لك بإفراغ قصر بجنب قصري، وأعطيك كلّ شهر ألف درهم بيض، ودست ثياب روميّة، وكلّ يوم عشرة أمنان خبز حوّارى ولحماً مشويّاً، قال: فلمّا سمع أبوها عبد الله ذلك أوحى لها أن لا تقيمي عنده، قالت: يا أبا الحارث لو جعلت لي مال الدّنيا ما أقمت عندك ولا تركت الزوج والأولاد، قال عبد المطّلب: فإن كان هكذا فأدفع إليك محمّداً على شرطين، قالت: وما الشرطين؟ قال عبد المطّلب: أن تحسني إليه، وتنوّميه إلى جنبك، وتدثّريه بيمينك، وتوسّديه بيسارك، ولا تنبذيه وراء ظهرك، قالت حليمة: وحقّ ربّ السّماء إنّي منذ وقع عليه نظري قد ثبت حبّه في فؤادي، فلك السمع والطاعة يا أبا الحارث، ثمّ قال: وأمّا الشرط الثاني أن تحمليه إليّ في كلّ جمعة حتّى أتمتّع برؤيته، فإنّي لا أقدر على مفارقته، قالت: أفعل ذلك إن شاء الله تعالى، فأمر عبد المطّلب أن تغسل رأس محمّد ﷺ فغسلت رأسه، ولفّفته في خرق السندس، ثمّ إن عبد المطّلب دفعه إليها وأخذ أربعة آلاف درهم، وقال لها: يا حليمة نمضي إلى بيت الله حتّى أسلّمه إليك فيه، فحمله على ساعده ودخل وطاف بالنبيّ ﷺ سبعاً وهو على ساعده ملفّفاً بخرق السندس، ثمّ إنّه دفعه إليها وأربعة الآف درهم بيض، وأربعين ثوباً من خواصّ كسوته، ووهب لها أربع جوار

روميّة، وحلل سندس، ثم إنّ عبد الله بن الحارث أتى بالناقة فركبتها حليمة، وأخذت رسول الله ﷺ في حجرها وشيّعه عبد المطّلب إلى خارج مكّة، ثمّ أخذت حليمة رسول الله ﷺ إلى جنبها من داخل خمارها، فلمّا بلغت حليمة حيّ بني سعد كشفت عن وجه رسول الله ﷺ فأبرق من وجناته نور فارتفع في الهواء طولاً وعرضاً إلى أعنان السّماء.

قال الواقديّ: فلمّا رأى الخلق ذلك لم يبق في حيّ بني سعد صغير ولا كبير ولا شيخ ولا شاب إلاّ استقبلوا حليمة وهنّأوها بما رزقها الله تعالى من الكرامة الكبرى، فذهبت حليمة إلى باب خيمتها وبركت الناقة والنّبي ﷺ في حجرها، فما وضعته عند الصغير إلاّ حمله الكبير، وما وضعته عند الكبير إلاّ وأخذه الصغير، وذلك كلّه لمحبّة النبيّ ﷺ.

قال الواقديّ: فبقي النبيّ ﷺ عند حليمة ترضعه وكانت تقول: يا ولدي وربّ السّماء إنّك لعندي أعزّ من ولدي ضمرة وقرّة عيني، أترى أعيش حتّى أراك كبيراً كما رأيتك صغيراً؟ وكانت تؤثر محمّداً على أولادها جدّاً، ولا تفارقه ساعةً.

قال الواقديّ: قالت حليمة: والله ما غسلت لمحمّد ثوباً من بول ولا غائط، بل كان إذا جاء وقت حاجته ينقلب من جنب إلى جنب حتّى تعلم حليمة بذلك وتأخذه وتخدمه حتّى تقضي حاجته، ولا شممت وربّ السّماء من محمّد رائحة النتن قطّ، بل كان إذا خرج من قبله أو دبره شيء يفوح منه رائحة المسك والكافور، قالت حليمة: فلمّا أتى على النبيّ ﷺ تسعة أشهر ما رأيت ما يخرج من دبره، لأنّ الأرض كانت تبتلع ما يخرج منه فلهذا لم أره.

قال الواقديّ: ولمّا كملت له عشرة أشهر قامت حليمة يوم الخميس وقعدت على باب الخيمة منتظرة لانتباه النبيّ ﷺ لتزيّنه وتحمله إلى عند جدّه عبد المطّلب، قال: فلم ينتبه النبيّ ﷺ وأبطأ الخروج من الخيمة إلى حليمة، فلم يخرج إلاّ بعد أربع ساعات، فخرج رسول الله ﷺ مغسول الرأس، مسرح الذوائب، وقد زوّق جبينه وذقنه، وعليه ألوان الثياب من السندس والإستبرق، فتعجّبت حليمة من زينة النبيّ ﷺ ومن لباسه ممّا رأت عليه، فقالت: يا ولدي من أين لك هذه الثياب الفاخرة والزينة الكاملة؟ فقال لها محمّد ﷺ: أمّا الثياب فمن الجنّة، وأمّا الزينة فمن الملائكة، قال: فتعجّبت حليمة من ذلك عجباً شديداً، ثمّ حملته إلى جدّه في يوم الجمعة، فلمّا نظر إليه عبد المطّلب قام إليه واعتنقه، وأخذه إلى حجره، فقال له: يا ولدي من أين لك هذه الثياب الفاخرة والزينة الكاملة؟ فقال له النبيّ ﷺ: يا جدّ استخبر ذلك من حليمة، فكلّمته حليمة وقالت: ليس ذلك من أفعالنا، فأمر عبد المطّلب حليمة أن تكتم ذلك، وأمر لها بألف درهم بيض، وعشرة دسوت ثياب، وجارية روميّة، فخرجت حليمة من عنده فرحة مسرورة إلى حيّها.

قال الواقديّ: فلمّا أتى على النبيّ خمسة عشر شهراً كان إذا نظر إليه الناظر يتوهّم أنّه من أبناء خمس سنين لإتمام وقارة جسمه وملاحة بدنه.

قال الواقديّ: فلمّا حملت حليمة النبيّ ﷺ إلى حيّها حين أخذته من عند عبد المطّلب وكان لها اثنان وعشرون رأساً من المواشي فوضعت في تلك السنة كلّ شاة توأماً ببركة النبيّ ﷺ، وخرج من عندها ولها ألف وثلاثون رأساً من الثاغية والراغية.

قال الواقديّ: وكان لرسول الله ﷺ إخوة من الرضاعة يخرجون بالنهار إلى الرعاية ويعودون باللّيل إلى منازلهم، فرجعوا ذات ليلة مغمومين، فلمّا دخلوا الدار قالت لهم حليمة: ما لي أراكم مغمومين؟ قالوا: يا أمّنا إنّ في هذا اليوم جاء ذئب وأخذ شاتين من شياهنا وذهب بهما، فقالت حليمة: الخلف والخير على الله تعالى، فسمع النبيّ قولهم، فقال لهم: لا عليكم، فإنّي أسترجع الشاتين من الذئب بمشيّة الله تعالى، فقال ضمرة: وا عجباً منك يا أخي قد أخذهما بالأمس، فكيف تسترجعهما باليوم؟ فقال النبيّ ﷺ: إنّه صغير في قدرة الله تعالى، فلمّا أصبحوا قام ضمرة وأخذ رسول الله على كتفه فقال النبيّ ﷺ: مرّ بي إلى الموضع الّذي أخذ الذئب فيه الشاتين، قال: فذهب برسول الله ﷺ إلى ذلك الموضع، فعند ذلك نزل النبيّ ﷺ عن كتف أخيه ضمرة وسجد سجدة لله تعالى وقال: إلهي وسيّدي ومولاي تعلم حقّ حليمة عليّ، وقد تعدّى ذئب على مواشيها، فأسألك أن تلزم الذئب برد المواشي إلي، قال: فما استتمّ دعاءه حتّى أوحى الله تعالى إلى الذئب أن يردّ المواشي إلى صاحبها.

قال الواقديّ: إنّ الذئب لمّا ذهب بالشاتين حين أخذهما نادى مناد: يا أيّها الذئب احذر الله وبأسه وعقوبته، واحفظ الشاتين اللّتين أخذتهما حتّى تردّهما على خير الأنبياء والمرسلين، محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب ﷺ، فلمّا سمع الذئب النداء تحيّر ودهش، ووكل بهما راعياً يرعاهما إلى الصباح، فلمّا حضر النبيّ عليه السلام ودعا بدعائه قام الذئب وردّهما، وقبّل قدم النبيّ ﷺ، وقال: يا محمّد اعذرني فإنّي لم أعلم أنّهما لك، فأخذ ضمرة الشاتين، ولم ينقص منهما شيء فقال ضمرة: يا محمّد ما أعجب شأنك وأنفذ أمرك! فبلغ ذلك عبد المطّلب فأمرهم بكتمانه فكتموه مخافة أن يحسده قريش.

قال الواقديّ: فبقي رسول الله ﷺ سنتين ونظر إلى حليمة وقال لها: ما لي لا أرى إخوتي بالنّهار وأراهم باللّيل؟ فقالت له: يا سيّدي سألتني عن إخوتك وهم يخرجون في النهار إلى الرعاء، فقال لها النبيّ ﷺ: يا أماه أحبّ أن أخرج معهم إلى الرعاء، وأنظر إلى البرّ والسهل والجبل، وأنظر إلى الإبل كيف تشرب اللّبن من أمّهاتها، وأنظر إلى القطائع، وإلى عجائب الله تعالى في أرضه، وأعتبر من ذلك، وأعرف المنفعة من المضرّة، فقالت له حليمة: أفتحبّ يا ولدي ذلك؟ قال: نعم، فلمّا أصبحوا اليوم الثاني قامت حليمة فغسلت رأس محمّد ﷺ، وسرحت شعره، ودهنته ومشّطته وألبسته ثياباً فاخرة، وجعلت في رجليه نعلين من حذى مكّة، وعمدت إلى سلّة وجعلت فيها أطعمة جيّدة، وبعثته مع أولادها،

وقالت لهم: يا أولادي أوصيكم بسيّدي محمّد ﷺ أن تحفظوه، وإذا جاع فأطعموه، وإذا عطش فاسقوه، فإذا عيي فأقعدوه حتّى يستريح، فخرج النبيّ ﷺ وعلى يمينه عبد الله بن الحارث، وعن يساره ضمرة، وقرّة قدّامه، والنبيّ ﷺ بينهم كالبدر بين النجوم، فما بقي حجر ولا مدر إلاّ وهم ينادون: السّلام عليك يا محمّد، السّلام عليك يا أحمد، السّلام عليك يا حامد، السّلام عليك يا محمود، السّلام عليك يا صاحب القول العدل لا إله إلاّ الله، محمّدٌ رسول الله، طوبى لمن آمن بك، والويل لمن كفر بك، وردّ عليك حرفاً تأتي به من عند ربّك، والنبيّ ﷺ يردّ عليه السلام، وقد تحيّر الّذين معه ممّا يرون من العجائب، ثمّ إنّ النبيّ ﷺ أصابه حرّ الشمس، فأوحى الله تعالى إلى إستحيائيل: أن مدّ فوق رأس محمّد ﷺ سحابة بيضاء، فمدّها فأرسلت عزاليها كأفواه القرب، ورشّ القطر على السهل والجبل، ولم تقطر على رأس محمّد ﷺ قطرة، وسالت من ذلك المطر الأودية، وصار الوحل في الأرض ما خلا طريق محمّد ﷺ، وكان ينزل من تلك السحابة ريش الزعفران، وسنابل المسك، وكان في تلك البريّة نخلة يابسة عادية قد يبست أغصانها، وتناثرت أوراقها منذ سنتين، فاستند النبيّ ﷺ إليها فأورقت وأرطبت وأثمرت وأرسلت ثمارها من ثلاثة أجناس: أخضر، وأحمر، وأصفر، وقعد النبيّ ﷺ هنالك يكلّم إخوته ورأى النبيّ ﷺ روضة خضراء، فقال: يا إخوتي أريد أن أمرّ بهذه الروضة، وكان وراء الروضة تلّ كؤود، وعليه أنواع النباتات، فقال: يا إخوتي ما ذلك التلّ؟ فقالوا له: يا محمّد وراء ذلك التلّ البراري والمفاوز، فقال النبيّ ﷺ إنّي قد اشتهيت أن أنظر إليه، فقال القوم: نحن نمضي معك إليه، فقال لهم النبيّ ﷺ: بل اشتغلوا أنتم بأعمالكم، وأنا أمضي وحدي وأرجع إليكم سريعاً إن شاء الله تعالى، فقالوا جميعاً: مُرّ يا محمّد فإنّ قلوبنا متفكّرة بسببك.

قال الواقديّ: ثمّ إنّ النبيّ ﷺ مرّ في تلك الروضة وحده ونظر إلى تلك البراري والمفاوز، وهو يعتبر ويتعجّب من الروضة حتّى بلغ التلّ، ونظر إلى جبل شاهق في الهواء كالحائط ولا يتهيّأ له صعوده لاعتداله وارتفاعه في الهواء، فقال النبيّ ﷺ في نفسه: إنّي أريد أن أصعد هذا التلّ فأنظر إلى ما وراءه من العجائب.

قال الواقديّ: فأراد النبيّ ﷺ أن يصعد الجبل فلم يتهيّأ له ذلك لاستوائه في الهواء فصاح إستحيائيل في الجبل صيحة أرعشته فاهتزّ اهتزازاً، وقال له: أيّها الجبل ويحك أطع محمّداً ﷺ خير المرسلين، فإنّه يريد أن يصعد عليك، ففرح الجبل وتراكم بعضه إلى بعض كما يتراكم الجلد في النار، فصعد النبيّ ﷺ أعلاه، وكانت تحت هذا الجبل حيّات كثيرة من ألوان شتّى، وعقارب كالبغال، فلمّا همّ النبيّ ﷺ بالنزول إلى تحت الجبل صاح الملك استحيائيل صيحة عظيمة، وقال: أيّتها الحيّات والعقارب غيّبوا أنفسكم في جحوركم وتحت صخوركم لا يراكم سيّد الأوّلين والآخرين، فسارع الحيات والعقارب إلى ما أمرهم

استحيائيل، وغيّبوا أنفسهم في كلّ جحر وتحت كلّ حجر، ونزل النبيّ ﷺ من الجبل فرأى عين ماء بارد أحلى من العسل وألين من الزبد، فقعد النبيّ ﷺ عند العين، فنزل جبرئيل عليه السلام في ذلك الموضع وميكائيل وإسرافيل ودردائيل، فقال جبرئيل: السّلام عليك يا محمّد، السّلام عليك يا أحمد، السّلام عليك يا حامد، السّلام عليك يا محمود، السّلام عليك يا طه السّلام عليك يا أيّها المدثّر، السّلام عليك يا أيّها المليح، السّلام عليك يا طاب طاب، السّلام عليك يا سيّد يا سيّد، السّلام عليك يا فارقليط، السّلام عليك يا طس، السّلام عليك يا طسم، السّلام عليك يا شمس الدنيا، السّلام عليك يا قمر الآخرة، السّلام عليك يا نور الدنيا والآخرة، السّلام عليك يا شمس القيامة، السّلام عليك يا خاتم النبيّين، السلام عليك يا زهرة الملائكة، السّلام عليك يا شفيع المذنبين، السّلام عليك يا صاحب التاج والهراوة، السّلام عليك يا صاحب القرآن والناقة، السّلام عليك يا صاحب الحجّ والزيارة، السّلام عليك يا صاحب الركن والمقام، السّلام عليك يا صاحب السيف القاطع، السّلام عليك يا صاحب الرمح الطاعن، السّلام عليك يا صاحب السهم النافذ، السّلام عليك يا صاحب المساعي، السّلام عليك يا أبا القاسم، السّلام عليك يا مفتاح الجنّة، السّلام عليك يا مصباح الدين، السّلام عليك يا صاحب الحوض المورود، السّلام عليك يا قائد المسلمين، السّلام عليك يا مبطل عبادة الأوثان، السّلام عليك يا قائد المرسلين، السّلام عليك يا مظهر الإسلام، السّلام عليك يا صاحب قول لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، طوبى لمن آمن بك، والويل لمن كفر بك، وردّ عليك حرفاً ممّا تأتي به من عند ربّك، والنبيّ ﷺ يردّ عليه السّلام، فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن عباد الله، وقعدوا حوله، قال: فنظر النبيّ ﷺ إلى جبرائيل عليه السلام قال: ما اسمك؟ قال: عبد الله، ونظر إلى إسرافيل وقال له: ما اسمك؟ قال: اسمي عبد الله، ونظر إلى ميكائيل وقال له: ما اسمك؟ قال: عبد الجبّار، ونظر إلى دردائيل وقال له: ما اسمك؟ قال: عبد الرّحمن، فقال النبيّ ﷺ كلّنا عباد الله، وكان مع جبرئيل طست من ياقوت أحمر، ومع ميكائيل إبريق من ياقوت أخضر وفي الإبريق ماء من الجنّة، فتقدّم جبرئيل عليه السلام ووضع فمه على فم محمّد ﷺ إلى أن ذهبت ثلاث ساعات من النهار، ثمّ قال: يا محمّد اعلم وافهم ما بيّنته لك، قال: نعم إن شاء الله تعالى، وقد ملأ جوفه علماً وفهماً وحكماً وبرهاناً، وزاد الله تعالى في نور وجهه سبعة وسبعين ضعفاً، فلم يتهيّأ لأحد أن يملأ بصره من رسول الله ﷺ، فقال له جبرائيل عليه السلام: لا تخف يا محمّد، فقال له النبيّ ﷺ: ومثلي من يخاف؟ وعزّة ربّي وجلاله وجوده وكرمه وارتفاعه في علوّ مكانه لو علمت شيئاً دون جلال عظمته لقلت: لم أعرف ربّي قطّ، قال: ونزل جبرائيل إلى ميكائيل وقال: حقّ لربّنا أن يتّخذ مثل هذا حبيباً، ويجعله سيّد ولد آدم، ثمّ إنّ جبرائيل عليه السلام ألقى رسول الله ﷺ على قفاه ورفع أثوابه، فقال له النبيّ ﷺ: ما تريد

تصنع يا أخي جبرائيل؟ فقال جبرائيل: لا بأس عليك، فأخرج جناحه، وشقّ بطن النبيّ ﷺ وأدخل جناحه في بطنه، وخرق قلبه، وشقّ المقلبة وأظهر نكتة سوداء فأخذها جبرائيل عليه السلام فغسلها، وميكائيل يصبّ الماء عليه، فنادى مناد من السّماء يقول: يا جبرائيل لا تقشر قلب محمّد ﷺ فتوجعه، ولكن اغسله بزغبك - والزغب، هو الريش الّذي تحت الجناح - فأخذ جبرئيل زغبة وغسل بها قلب محمّد ﷺ ثمّ ردّ المقلبة إلى القلب، والقلب إلى الصدر، فقال عبد الله بن العبّاس ذات يوم والنبيّ ﷺ قد بلغ مبلغ الرجال: سألت النبيّ ﷺ بأيّ شيء غسل قلبك يا رسول الله؟ ومن أي شيء؟ قال: غسل من الشكّ والفتن لا من الكفر، فإنّي لم أكن كافراً قطّ، لأنّي كنت مؤمناً بالله من قبل أن أكون في صلب آدم عليه السلام فقال له عمر بن الخطّاب: متى نبّئت يا رسول الله؟ قال: يا أبا حفص نبّئت وآدم بين الروح والجسد.

قال الواقديّ: فقال إسرافيل لمحمّد ﷺ: ما اسمك يا فتى؟ فقال النبيّ ﷺ: أنا محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف ولي اسم غير هذا، قال إسرافيل: صدقت يا محمّد، ولكنّي أُمرت بأمر فأفعل، قال النبيّ ﷺ: افعل ما أُمرت به، فقام إسرافيل إلى رسول الله ﷺ وحلّ أزرار قميصه، وألقاه على قفاه، وأخرج خاتماً كان معه وعليه سطران: الأوّل لا إله إلاّ الله، والثاني محمّد رسول الله، وذلك خاتم النبوّة، فوضع الخاتم بين كتفي النبيّ ﷺ، فصار الخاتم بين كتفيه كالهلال الطالع بجسمه، واستبان السطران بين كتفيه كالشامة يقرأهما كلّ عربيّ كاتب، ثمّ دنا دردائيل وقال: يا محمّد تنام الساعة، فقال له: نعم، فوضع النبيّ ﷺ رأسه في حجر دردائيل وغفا غفوة فرأى في المنام كأنّ شجرة نابتة فوق رأسه، وعلى الشجرة أغصان غلاظ مستويات كلّها، وعلى كلّ غصن من أغصانها غصن وغصنان وثلاثة وأربعة أغصان، ورأى عند ساق الشجرة من الحشيش ما لايتهيّأ وصفه، وكانت الشجرة عظيمة غليظة الساق ذاهبة في الهواء، ثابتة الأصل، باسقة الفرع، فنادى منادياً: يا محمد! أتدري ما هذه الشجرة؟ فقال النبيّ ﷺ: لا يا أخي، قال: اعلم أنّ هذه الشجرة أنت، والأغصان أهل بيتك، والّذي تحتها محبّوك ومواليك، فأبشر يا محمّد بالنبوّة الأثيرة، والرئاسة الخطيرة، ثمّ إنّ دردائيل أخرج ميزاناً عظيماً كلّ كفّة منه ما بين السمّاء والأرض، فأخذ النبيّ ﷺ ووضعه في كفّة، ووضع مائة من أصحابه في كفّة فرجح بهم النبيّ ﷺ، ثمّ عمد إلى ألف رجل من خواصّ أمّته فوضعهم في الكفّة فرجح بهم النبيّ ﷺ، ثمّ عمد إلى نصف أمّته فرجح بهم النبيّ، ثمّ عمد إلى أمّته كلّهم ثمّ الأنبياء والمرسلين ثمّ الملائكة كلّهم أجمعين ثمّ الجبال والبحار ثمّ الرمال ثمّ الأشجار ثمّ الأمطار ثمّ جميع ما خلق الله تعالى فوزن بهم النبيّ ﷺ فلم يعدلوه، ورجح النبيّ ﷺ بهم، فلهذا قال: خير الخلق محمّد ﷺ، لأنّه رجح بالخلق أجمعين، وهذا كلّه يراه بين النوم واليقظة، فقال دردائيل: يا محمّد طوبى لك، ثمّ طوبى لك ولأمّتك، وحسن مآب، والويل

كلّ الويل لمن كفر بك وردّ عليك حرفاً ممّا تأتي به من عند ربّك، ثمّ عرج الملائكة إلى السّماء.

قال الواقديّ: فلمّا طال مكث النبيّ طلبه في تلك المفاوز إخوته أولاد حليمة، فلم يجدوه فرجعوا إلى حليمة فأعلموها بقصّته، فقامت ذاهلة العقل، تصيح في حيّ بني سعد، فوقعت الصيحة في حيّ بني سعد أنّ محمّداً قد افتقد، فقامت حليمة ومزقت أثوابها، وخدشت وجهها، وكشفت شعرها وهي تعدو في البراري والمفاوز والقفار حافية القدم، والشوك يدخل في رجليها، والدّم يسيل منهما، وهي تنادي: وا ولداه، وا قرّة عيناه، وا ثمرة فؤاداه، ومعها نساء بني سعد يبكين معها، مكشّفات الشعور، مخدشات الوجوه، وحليمة تسقط مرّة، وتقوم أخرى، وما بقي في الحيّ شيخ ولا شابّ ولا حرّ ولا عبد إلاّ يعدو في البريّة في طلب محمّد ﷺ وهم يبكون كلّهم بقلب محترق، وركب عبد الله بن الحارث وركب معه آل بني سعد، وحلف إن لا وجدت محمّداً ﷺ الساعة وضعت سيفي في آل بني سعد وغطفان، وأقتلهم عن آخرهم، وأطلب بدم محمّد ﷺ، وذهبت حليمة على حالتها مع نساء بني سعد نحو مكّة ودخلتها، وكان عبد المطّلب قاعداً عند أستار الكعبة مع رؤساء قريش وبني هاشم، فلمّا نظر إلى حليمة على تلك الحالة ارتعدت فرائصه وصاح وقال: ما الخبر؟ فقالت حليمة: اعلم أنّ محمّداً قد فقدناه منذ أمس، وقد تفرّق آل سعد في طلبه، قال: فغشي عليه ساعة، ثمّ أفاق وقال كلمة لا يخذل قائلها: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، ثمّ قال: يا غلام هات فرسي وسيفي وجوشني، فقام عبد المطّلب وصعد إلى أعلى الكعبة ونادى: يا آل غالب، يا آل عدنان، يا آل فهر، يا آل نزار، يا آل كنانة، يا آل مضر، يا آل مالك، فاجتمع عليه بطون العرب ورؤساء بني هاشم وقالوا له: ما الخبر يا سيّدنا؟ فقال لهم عبد المطّلب: إنّ محمّداً ﷺ لا يرى منذ أمس فاركبوا وتسلّحوا، فركب ذلك اليوم مع عبد المطّلب عشرة آلاف رجل، فبكى الخلق كلّهم رحمة لعبد المطلب، وقامت الصيحة والبكاء في كلّ جانب حتّى المخدّرات خرجن من الستور مرافقة لعبد المطّلب مع القوم إلى حيّ بني سعد، وسائر الأطراف، وانجذب عبد المطلب نحو حيّ عبد الله بن الحارث وأصحابه باكين العيون، ممزّقين الثياب، فلمّا نظر عبد الله إلى عبد المطّلب رفع صوته بالبكاء وقال: يا أبا الحارث واللاّت والعزّى وأساف ونائلة إن لم أجد محمّداً وضعت سيفي في حيّ بني سعد وغطفان وأقتلهم عن آخرهم، قال: فرق قلب عبد المطّلب على حيّ آل سعد وقال: ارجعوا أنتم إلى حيكم إن لم أجد محمّداً الساعة رجعت إلى مكّة ولا أدع فيها يهوديّاً ولا يهوديّة، ولا أحداً ممّن أتّهمه بمحمّد، فأمدّهم تحت سيفي مدّاً طلباً لدم محمّد ﷺ.

قال الواقديّ: وأقبل من اليمن أبو مسعود الثقفيّ وورقة بن نوفل وعقيل بن أبي وقّاص وجازوا على الطريق الّذي فيه محمّد ﷺ، وإذا بشجرة نابتة في الوادي، فقال ورقة لأبي

مسعود: إنّي سلكت هذا الطريق ثلاثين مرّة، وما رأيت قطّ هاهنا هذه الشجرة، قال عقيل: صدقت، فمرّوا بنا حتّى ننظر ما هي، قال: فذهبوا جميعاً وتركوا الطريق الأوّل، فلمّا قربوا من الشجرة رأوا تحت الشجرة غلاماً أمرد ما رأى الراؤون مثله، كأنّه قمر، فقال عقيل وورقة: ما هو إلاّ جنّيّ! فقال أبو مسعود: ما هو إلاّ من الملائكة وهم يقولون والنبيّ ﷺ يسمع كلامهم، فاستوى قاعداً فرأى القوم وراءه، فقال أبو مسعود: ما أنت يا غلام؟ أجنّيّ أنت أم إنسيّ؟ فقال النبيّ ﷺ: بل أنا إنسيّ، فقال: ما اسمك؟ قال: محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف، فقال أبو مسعود: أنت نافلة عبد المطلب؟ قال: نعم، قال: كيف وقعت هاهنا؟ فقصّ عليهم القصّة من أوّلها إلى آخرها، فنزل أبو مسعود عن ظهر ناقته وقال له: أتريد أن أمرّ بك إلى جدّك؟ فقال النبيّ ﷺ: نعم، فأخذه على قربوس سرجه ومرّوا جميعاً حتّى بلغوا قريباً من حيّ بني سعد، فنظر النبيّ ﷺ في البريّة فرأى جدّه عبد المطّلب وأصحابه لا يرونه، فقالوا: يا محمّد إنّا لا نراه، وذلك أنّ نظرته نظرة الأنبياء ﷺ، فقال لهم: مروا حتّى أريكم، فمرّوا وإذا عبد المطّلب مقبل هو وأصحابه، فلمّا نظر عبد المطّلب إلى محمّد ﷺ وثب عن فرسه، وأخذ رسول الله ﷺ إلى سرجه، وقال له: أين كنت يا ولدي؟ وقد كنت عزمت أن أقتل أهل مكّة جميعاً، فقصّ النبيّ ﷺ القصّة على جدّه من أوّلها إلى آخرها، ففرح عبد المطّلب فرحاً شديداً، وخرج من خيله ورجله ودخل مكّة، ودفع إلى أبي مسعود خمسين ناقة، وإلى ورقة بن نوفل وعقيل ستّين ناقة، قال: وذهبت حليمة إلى عبد المطّلب وقالت له: ادفع إليّ محمّداً ﷺ، فقال عبد المطّلب: يا حليمة إنّي أحببت أن تكوني معنا بمكّة وإلاّ ما كنت بالّذي أسلّمه إليك مرّة أخرى، فوهب لعبد الله بن الحارث أبيها ألف مثقال ذهب أحمر، وعشرة آلاف درهم بيض، ووهب لبكر بن سعد جملة بغير وزن، ووهب لإخوان النبيّ ﷺ أولاد حليمة وهما ضمرة وقرّة أخواه من الرضاعة مأتي ناقة، وأذن لهم بالرجوع إلى حيّهم[1].

بيان: اعتقل رمحه أي جعله بين ركابه وساقه. والعيمة: شهوة اللّبن. والثجّ: السيلان. والجهام بالفتح: السحاب لا ماء فيه. والحوّارى بالضمّ وتشديد الواو والراء المفتوحة: ما حوّر من الطعام أي بيض. والوحي: الإشارة والكلام الخفيّ. والتزويق: التزيين والتحسين والنقش. والثاغية: الشاة. والراغية: البعير، ولعلّ المقلبة ما في جوف القلب ولم أجده في كتب اللّغة. والأثيرة: المكرّمة المختارة.

أقول: هذا الخبر وإن لم نعتمد عليه كثيراً لكونه من طرق المخالفين إنّما أوردته لما فيه من الغرائب الّتي لا تأبى عنها العقول، ولذكره في مؤلّفات أصحابنا.

١٤ - **د:** عن آمنة بنت أبي سعيد السهميّ قالت: امتنع أبو طالب من إتيان اللاّت والعزّى

---

(١) الفضائل لابن شاذان، ص ٢٥.

بعد رجوعه من الشام في المرّة الأولى حتّى وقع بينه وبين قريش كلام كثير، فقال لهم أبو طالب: إنّه لا يمكنني أن أفارق هذا الغلام ولا مخالفته، وإنّه يأبى أن يصير إليهما، ولا يقدر أن يسمع بذكرهما، ويكره أن آتيهما أنا، قالوا: فلا تدعه وأدّبه حتّى يفعل ويعتاد عبادتهما، فقال أبو طالب: هيهات ما أظنّكم تجدونه ولا ترونه يفعل هذا أبداً، قالوا: ولم ذاك؟ قال: لأنّي سمعت بالشام جميع الرهبان يقولون: هلاك الأصنام على يد هذا الغلام، قالوا: فهل رأيت يا أبا طالب منه شيئاً غير هذا الّذي تحكيه عن الرهبان؟ فإنّه غير كائن أبداً أو نهلك جميعاً، قال: نعم، نزلنا تحت شجرة يابسة فاخضرّت وأثمرت، فلمّا ارتحلنا وسرنا نثرت على رأسه جميع ثمرها ونطقت، فما رأيت شجرة قطّ تنطق قبلها وهي تقول يا أطيب الناس فرعاً، وأزكاهم عوداً، امسح بيديك المباركتين عليّ لأبقى خضراء إلى يوم القيامة، قال: فمسح يده عليها فازدادت الضعف نوراً وخضرةً، فلمّا رجعنا للانصراف ومررنا عليها ونزلنا تحتها فإذا كلّ طير على ظهر الأرض له فيها عشّ وفرخ، ولها بعدد كلّ صنف من الطير أغصان كأعظم الأشجار على ظهور الأرضين، قال: فما بقي طير إلاّ استقبله يمدّ جناحه على رأسه، قال: فسمعت صوتاً من فوقها وهي تقول: ببركتك يا سيّد النبيّين والمرسلين قد صارت هذه الشجرة لنا مأوى، فهذا ما رأيت، فضحكت قريش في وجهه، وهم يقولون: أترى يطمع أبو طالب أن يكون ابن أخيه ملك هذا الزمان[1].

١٥ - د: عن أبي جعفر محمّد الباقر عليه السلام قال: لمّا أتى على رسول الله صلى الله عليه وآله اثنان وعشرون شهراً من يوم ولادته رمدت عيناه، فقال عبد المطّلب لأبي طالب: اذهب بابن أخيك إلى عرّاف الجحفة وكان بها راهب طبيب في صومعته، فحمله غلام له في سفط هنديّ حتّى أتى به الراهب فوضعه تحت الصومعة، ثمّ ناداه أبو طالب: يا راهب، فأشرف عليه فنظر حول الصومعة إلى نور ساطع، وسمع حفيف أجنحة الملائكة، فقال له: من أنت؟ قال: أبو طالب بن عبد المطّلب، جئتك بابن أخي لتداوي عينه، فقال: وأين هو؟ قال: في السفط قد غطّيته من الشمس، قال: اكشف عنه، فكشف عنه، فإذا هو بنور ساطع في وجهه قد أذعر الراهب، فقال له: غطّه فغطّاه، ثمّ أدخل الراهب رأسه في صومعته فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّك رسول الله حقّاً حقّاً، وأنّك الّذي بشّر به في التوراة والإنجيل على لسان موسى وعيسى عليهما السلام، فأشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنك رسوله، ثمّ أخرج رأسه وقال: يا بني انطلق به فليس عليه بأس، فقال له أبو طالب: ويلك يا راهب لقد سمعت منك قولاً عظيماً، فقال: يا بني شأن ابن أخيك أعظم ممّا سمعت منّي، وأنت معينه على ذلك ومانعه ممّن يريد قتله من قريش، قال: فأتى أبو طالب عبد المطّلب فأخبره بذلك، فقال له عبد المطّلب: اسكت يا بنيّ لا يسمع هذا الكلام منك أحد، فوالله ما يموت محمّد حتّى يسود العرب والعجم[2].

---

(١) العدد القوية، ص ١٣٢.

(٢) العدد القوية، ص ١٢٤.

١٦ - ٥٥ حدّث بكر بن عبد الله الأشجعيّ، عن آبائه قالوا: خرج سنة خرج رسول الله ﷺ إلى الشام عبد مناف بن كنانة ونوفل بن معاوية بن عروة تجّاراً إلى الشام، فلقاهما أبو المويهب الراهب فقال لهما: من أنتما؟ قالا: نحن تجّار من أهل الحرم من قريش، قال لهما: من أي قريش؟ فأخبراه، فقال لهما: هل قدم معكما من قريش غيركما؟ قالا: نعم شابٌ من بني هاشم اسمه محمّد، فقال أبو المويهب: إيّاه والله أردت، فقالا: والله ما في قريش أخمل ذكراً منه، إنّما يسمّونه يتيم قريش، وهو أجير لامرأة منّا يقال لها: خديجة، فما حاجتك إليه؟ فأخذ يحرّك رأسه ويقول: هو هو، فقال لهما: تدلاّني عليه، فقالا: تركناه في سوق بصرى، فبينما هم في الكلام إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فقال: هو هذا، فخلا به ساعة يناجيه ويكلّمه، ثمّ أخذ يقبّل بين عينيه، وأخرج شيئاً من كمه لا ندري ما هو ورسول الله ﷺ يأبى أن يقبله، فلمّا فارقه قال لنا: تسمعان منّي، هذا والله نبيّ هذا الزمان، سيخرج إلى قريب يدعو الناس إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله، فإذا رأيتم ذلك فاتبعوه، ثمّ قال: هل ولد لعمّه أبي طالب ولد يقال له: عليّ؟ فقلنا: لا، قال: إمّا أن يكون قد ولد أو يولد في سنته، وهو أوّل من يؤمن به، نعرفه، وإنّا لنجد صفته عندنا في الوصيّة كما نجد صفة محمّد بالنبوّة، وإنّه سيّد العرب وربانيّها وذو قرنيها، يعطي السيف حقّه، اسمه في الملأ الأعلى عليّ، هو أعلى الخلائق يوم القيامة بعد الأنبياء ذكراً، وتسمّيه الملائكة البطل الأزهر المفلح، لا يتوجّه إلى وجه إلاّ أفلح وظفر، والله لهو أعرف بين أصحابه في السّماوات من الشمس الطالعة.

وحدّث العبّاس، عن أبي طالب قال أبو طالب: يا عبّاس ألا أخبرك عن محمّد ﷺ بما رأيت منه؟ قلت: بلى، قال: إنّي ضممته إليّ فلم أفارقه في ليل ولا نهار، وكنت أنومه في فراشي، وآمره أن يخلع ثيابه وينام معي، فرأيت في وجهه الكراهة، وكره أن يخالفني، فقال: يا عمّاه اصرف وجهك عنّي حتّى أخلع ثيابي وأدخل فراشي، قلت له: ولم ذلك؟ قال: لا ينبغي لأحد من الناس أن ينظر إلى جسدي، قال: فتعجّبت من ذلك، وصرفت بصري عنه حتّى دخل فراشه، فلمّا دخلت أنا الفراش إذا بيني وبينه ثوب ألين ثوب مسسته قطّ، ثمّ شممته فإذا كأنّه قد غمس في المسك، فكنت إذا أصبحت افتقدت الثوب فلم أجده، فكان هذا دأبي ودأبه، فجهدت وتعمّدت أن أنظر إلى جسده، فوالله ما رأيت له جسداً، ولقد كنت كثيراً ما أسمع إذا ذهب من اللّيل شيء كلاماً يعجبني، وكنت ربما أتيته غفلةً فأرى من لدن رأسه نوراً ممدوداً قد بلغ السّماء، فهذا ما رأيت يا عباس.

قال ليث بن أبي نعيم: حدّثني أبي، عن جدّي، عن أبي طالب قال: كنا لا نسمّي على الطعام ولا على الشراب، ولا ندري ما هو حتّى ضممت محمّداً ﷺ إليّ، فأوّل ما سمعته يقول: بسم الله الأحد، ثمّ يأكل، فإذا فرغ من طعامه قال: الحمد لله كثيراً، فتعجّبنا منه، وكان يقول: ما رأيت جسد محمّد قطّ، وكان لا يفارقني اللّيل والنهار، وكان ينام معي في

فراشي فأفقده من فراشه، فإذا قمت لأطلبه بادرني من فراشه فيقول: ها أنا يا عمّ ارجع إلى مكانك، ولقد رأيت ذئباً يوماً قد جاءه وشمّه وبصبص حوله. ثمّ ربض بين يديه، ثمّ انصرف عنه، ولقد دخل ليلاً البيت فأضاء ما حوله، ولم أر منه نجواً قطّ، ولا رأيته يضحك في غير موضع الضحك، ولا وقف مع صبيان في لعب ولا التفت إليهم، وكان الوحدة أحبّ إليه والتواضع، ولقد كنت أرى أحياناً رجلاً أحسن الناس وجهاً يجيء حتّى يمسح على رأسه ويدعو له ثمّ يغيب، ولقد رأيت رؤياً في أمره ما رأيتها قطّ، رأيته وكأنّ الدّنيا قد سيقت إليه، وجميع الناس يذكرونه، ورأيته وقد رفع فوق النّاس كلّهم، وهو يدخل في السّماء، ولقد غاب عنّي يوماً فذهبت في طلبه، فإذا أنابه يجيء ومعه رجل لم أر مثله قطّ، فقلت له: يا بني أليس قد نهيتك أنّ تفارقني؟ فقال الرّجل: إذا فارقك كنت أنا معه أحفظه، فلم أر منه في كلّ يوم إلاّ ما أُحب حتّى شبّ، وخرج يدعو إلى الدّين[1].

١٧ - **سر**: من جامع البزنطيّ عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر وأبا عبد الله عليهما السلام يقولان: حجّ رسول الله صلى الله عليه وآله عشرين حجّة مستسراً، منها عشرة حجج، أو قال: سبعة الوهم من الراوي قبل النبوّة، وقد كان صلّى قبل ذلك وهو ابن أربع سنين، وهو مع أبي طالب في أرض بصرى، وهو موضع كانت قريش تتّجر إليه من مكّة[2].

١٨ - **نهج**: في وصف الرسول صلى الله عليه وآله: ولقد قرن الله به من لدن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت معه أتّبعه اتباع الفصيل أثر أمّه، يرفع لي في كلّ يوم علماً من أخلاقه، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشمّ ريح النبوّة[3].

أقول: قال عبد الحميد بن أبي الحديد: روي أن بعض أصحاب أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام سأله عن قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ فقال عليه السلام: يوكّل الله تعالى بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم، ويؤدّون إليهم تبليغهم الرسالة، ووكّل بمحمّد ملكاً عظيماً منذ فصل عن الرضاع يرشده إلى الخيرات، ومكارم الأخلاق، ويصدّه عن الشرّ ومساوي الأخلاق، وهو الذي كان يناديه: السّلام عليك يا محمّد يا رسول الله، وهو شابّ لم يبلغ درجة الرسالة بعد، فيظنّ أنّ ذلك من الحجر والأرض، فيتأمل فلا يرى شيئاً.

وروى الطبريّ في التاريخ عن محمّد بن الحنفيّة، عن أبيه عليّ عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما هممت بشيء ممّا كان أهل الجاهليّة يعملون به غير مرّتين، كلّ ذلك

(١) العدد القوية، ص ١٤٤.
(٢) السرائر، ج ٣ ص ٥٧٥.
(٣) نهج البلاغة، ص ٤١١ خطبة ١٩٠.

يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك، ثمّ ما هممت بسوء حتّى أكرمني الله برسالته، قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى معي بأعلى مكّة: لو أبصرت لي غنمي حتّى أدخل مكّة فأسمر بها كما يسمر الشباب، فخرجت أريد ذلك حتّى إذا جئت أوّل دار من دور مكّة سمعت عزفاً بالدفّ والمزامير، فقلت: ما هذا؟ قالوا: هذا فلان تزوّج ابنة فلان، فجلست أنظر إليهم، فضرب الله على أُذني، فكنت فما أيقظني إلاّ مسّ الشمس، فجئت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فقلت: ما صنعت شيئاً ثمّ أخبرته الخبر، ثمّ قلت له ليلة أُخرى مثل ذلك، فقال: افعل، فخرجت فسمعت حين دخلت مكّة مثل ما سمعت حين دخلتها تلك اللّيلة، فجلست أنظر فضرب الله على أُذني، فما أيقظني إلاّ مسّ الشمس، فرجعت إلى صاحبي فأخبرته الخبر، ثمّ ما هممت بعدها بسوء حتّى أكرمني الله برسالته.

وروى محمّد بن حبيب في أماليه قال: قال رسول الله ﷺ: أذكر وأنا غلام ابن سبع سنين، وقد بنى ابن جذعان داراً له بمكّة، فجئت مع الغلمان نأخذ التراب والمدر في حجورنا فنتقله فملأت حجري تراباً، فانكشفت عورتي فسمعت نداءً من فوق رأسي: يا محمد أرخ إزارك، فجعلت أرفع رأسي فلا أرى شيئاً إلاّ أنّي أسمع الصوت، فتماسكت لم أرخه، فكأنّ إنساناً ضربني على ظهري فخررت لوجهي، وانحلّ إزاري وسقط التراب إلى الأرض، فقمت إلى دار أبي طالب عمّي ولم أعد.

فأمّا حديث مجاورته ﷺ بحراء فمشهور، وقد ورد في الكتب الصحاح أنّه كان يجاور في حراء من كلّ سنة شهراً، وكان يطعم في ذلك الشهر من جاءه من المساكين، فإذا قضى جواره من حراء كان أوّل ما يبدأ به إذا انصرف أن يأتي باب الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك، ثمّ يرجع إلى بيته حتّى جاءت السنة الّتي أكرمه الله تعالى فيها بالرسالة فجاور في حراء في شهر رمضان ومعه أهله خديجة وعلي بن أبي طالب وخادم لهم، فجاءه جبرئيل بالرسالة، قال ﷺ: جاءني وأنا نائم بنمط فيه كتاب فقال: اقرأ، قلت: ما أقرأ؟ فغتّني حتّى ظننت أنّه الموت ثمّ أرسلني فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ إلى قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فقرأته ثمّ انصرف عنّي، فهببت من نومي، وكأنّما كتب في قلبي كتاب، وذكر تمام الحديث.

وأمّا حديث أنّ الإسلام لم يجتمع عليه بيت واحد يومئذٍ إلاّ النبيّ وهو ﷺ وخديجة فخبر عفيف الكنديّ مشهور، وقد ذكرناه من قبل، وأنّ أبا طالب قال له: أتدري من هذا؟ قال: لا، قال: هذا محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب، وهذا ابني عليّ بن أبي طالب، وهذه المرأة خلفهما خديجة بنت خويلد زوجة محمّد ابن أخي، وأيم الله ما أعلم على الأرض كلّها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٣ ص ١٤٣.

وقال أيضاً: روى محمّد بن إسحاق بن يسار في كتاب السيرة النبويّة، ورواه أيضاً محمّد ابن جرير الطبريّ في تاريخه قال: كانت حليمة بنت أبي ذؤيب السعديّة أمّ رسول الله ﷺ الّتي أرضعته تحدّث أنّها خرجت من بلدها ومعها زوجها وابن لها ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر يلتمسن الرضعاء بمكة في سنة شهباء لم تبق شيئاً، قالت: فخرجت على أتان لنا قمراء عجفاء، ومعنا شارف لنا ما تبضّ بقطرة، ولا ننام ليلنا أجمع من بكاء صبيّنا الّذي معنا من الجوع، ما في ثديي ما يغنيه، ولا في شارفنا ما يغذيه، ولكنّا نرجو الغيث والفرج، فخرجت على اتاني تلك ولقد راثت بالركب ضعفاً وعجفاً حتّى شقّ ذلك عليهم، حتّى قدمنا مكّة نلتمس الرضعاء، فما منّا امرأة إلاّ وقد عرض عليها محمّد فتأباه إذا قيل لها: إنّه يتيم، وذلك أنا إنّما كنا نرجوالمعروف من أبي الصبيّ، فكنّا نقول: يتيم، ما عسى أن تصنع أمّه وجدّه، فكنّا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة ذهبت معي إلاّ أخذت رضيعاً غيري، فلمّا اجتمعنا للانطلاق قلت لصاحبي: والله إنّي لأكره أن أرجع من بين صواحبي لم آخذ رضيعاً، والله لأذهبنّ إلى ذلك اليتيم فلآخذنّه، قال: لا عليك أن تفعلي، وعسى الله أن يجعل لنا فيه بركة، فذهبت إليه فأخذته وما يحملني على أخذه إلاّ أنّي لم أجد غيره، قالت: فلمّا أخذته رجعت إلى رحلي فلمّا وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فرضع حتّى روي، وشرب معه أخوه حتّى روي، وما كنّا ننام قبل ذلك من بكاء صبيّنا جوعاً، فنام وقام زوجي إلى شارفنا تلك فنظر إليها فإذا أنّها حافل فحلب منها ما شرب وشربت حتّى انتهينا ريّاً وشبعاً، فبتنا بخير ليلة، قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمين والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة، فقلت: والله إنّي لأرجو ذلك، ثمّ خرجنا وركبت أتاني تلك وحملته معي عليها، فو الله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حميرهم حتّى أنّ صواحبي ليقلن لي: ويحك يا بنت أبي ذؤيب اربعي علينا، أليس هذه أتانك الّتي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهنّ: بلى والله، إنّها لهي، فيقلن: والله إنّ لها لشأناً، قالت: ثمّ قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أعلم أرضاً من أرض العرب أجدب منها، فكانت غنمي تروح عليّ حين قدمنا به معنا شباعاً ملاءً لبناً، فكنّا نحتلب ونشرب وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع حتّى أنّ الحاضر من قومنا ليقولون لرعاتهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي ابنة أبي ذؤيب، فيفعلون فيروح أغنامهم جياعاً ما تبضّ بقطرة، وتروح غنمي شباعاً لبناً، فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير به حتّى مضت سنتاه وفصلته، فكان يشبّ شباباً لا يشبه الغلمان حتّى كان غلاماً جفراً فقدمنا به على أمّه آمنة بنت وهب ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما كنا نرى من بركته، فكلّمنا أمّه وقلنا لها: لو تركتيه عندنا حتّى يغلظ فإنّا نخشى عليه وباء مكّة، فلم نزل بها حتّى ردّته معنا فرجعنا به إلى بلاد بني سعد، فوالله إنّه لبعد ما قدمنا بأشهر مع أخيه في بهم لنا خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يشدّ فقال لي ولأبيه: ها هو ذاك أخي القرشيّ قد جاءه

رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقّا بطنه فهما يسوطانه، قالت: فخرجت أنا وأبوه نشتدّ نحوه فوجدناه قائماً منتقعاً وجهه، فالتزمته والتزمه أبوه وقلنا: ما لك يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني، ثمّ شقا بطني، فالتمسا فيه شيئاً لا أدري ما هو، قالت: فرجعنا به إلى خبائنا، وقال لي أبوه: يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فألحقيه بأهله، قالت: فاحتملته حتّى قدمت به على أمّه، فقالت: ما أقدمك به يا ظئر وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك؟ فقلت لها: قد بلغ الله بابني وقضيت الّذي عليّ، وتخوفت عليه الأحداث، وأدّيته إليك كما تحبّين، قالت: ما هذا شأنك فأصدقيني خبرك، قالت: فلم تدعني حتّى أخبرتها الخبر، قالت: أفتخوّفت عليه الشيطان؟ قلت: نعم، قالت: كلاّ والله ما للّشيطان عليه من سبيل وإنّ لابني لشأناً، أفلا أُخبرك خبره؟ قلت: بلى، قالت: رأيت حين حملت به أنّه خرج منّي نور أضاءت له قصور بصرى من الشام، ثمّ حملت به فوالله ما رأيت حملاً قطّ كان أخفّ ولا أيسر منه، ثمّ وقع حين ولدته وإنّه واضع يديه بالأرض، ورافع رأسه إلى السّماء، دعيه عنك، وانطلقي راشدة.

وروى الطبريّ في تاريخه عن شدّاد بن أوس قال: سمعت رسول الله ﷺ يحدّث عن نفسه ويذكر ما جرى له وهو طفل في أرض بني سعد بن بكر، قال: لمّا ولدت استرضعت في بني سعد، فبينا أنا ذات يوم منتبذاً من أهلي في بطن واد مع أتراب لي من الصبيان نتقاذف بالجلّة إذ أتاني رهط ثلاثة، معهم طست من ذهب مملوّة ثلجاً، فأخذوني من بين أصحابي، فخرج أصحابي هراباً حتّى انتهوا إلى شفير الوادي، ثمّ عادوا إلى الرهط فقالوا: ما رابكم إلى هذا الغلام فإنّه ليس منّا، هذا ابن سيّد قريش وهو مسترضع فينا غلام يتيم ليس له أب، فماذا يردّ عليكم قتله؟ وماذا تصيبون من ذلك؟ ولكن إن كنتم لا بدّ قاتليه فاختاروا منّا أيّنا شئتم فاقتلوه مكانه، ودعوا هذا الغلام، فإنّه يتيم، فلمّا رأى الصبيان أنّ القوم لا يحيرون لهم جواباً انطلقوا هراباً مسرعين إلى الحيّ يؤذنونهم ويستصرخونهم على القوم، فعمد أحدهم فأضجعني إضجاعاً لطيفاً، ثمّ شقّ ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي وأنا أنظر إليه فلم أجد لذلك مسّاً، ثمّ أخرج أحشاء بطني فغسلها بذلك الثلج، فأنعم غسلها ثمّ أعادها مكانها، ثمّ قام الثاني منهم فقال لصاحبه: تنحّ، فنحّاه عنّي، ثمّ أدخل يده في جوفي وأخرج قلبي وأنا أنظر إليه فصدعه، ثمّ أخرج منه مضغة سوداء فرماها، ثمّ قال بيده: يمنة منه، وكأنّه يتناول شيئاً فإذا في يده خاتم من نور تحار أبصار الناظرين دونه، فختم به قلبي، ثمّ أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهراً، ثمّ قال الثالث لصاحبه: تنحّ عنه، فأمرّ يده ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي، فالتأم ذلك الشقّ، ثمّ أخذ بيدي فأنهضني من مكاني إنهاضاً لطيفاً، وقال للأوّل الّذي شقّ بطني: زنه بعشرة من أمّته، فوزنني بهم فرجحتهم، فقال: دعوه فلو وزنتموه بأمّته كلّها لرجحهم، ثمّ ضمّوني إلى صدورهم وقبّلوا رأسي وما بين عينيّ، وقالوا: يا حبيب لا ترع إنّك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرّت عيناك فبينا أنا كذلك إذا أنا

بالحيّ قد جاءوا بحذافيرهم، وإذا أُمي وهي ظئري أمام الحيّ تهتف بأعلى صوتها وتقول: يا ضعيفاه، فانكبّ عليّ أولئك الرهط فقبّلوا رأسي وبين عينيّ وقالوا: حبّذا أنت من ضعيف، ثمّ قالت ظئري: يا وحيداه، فانكبّوا عليّ وضمّوني إلى صدورهم وقبّلوا رأسي وبين عينيّ ثمّ قالوا: حبّذا أنت من وحيدٍ، وما أنت بوحيدٍ، إنّ الله وملائكته معك والمؤمنين من أهل الأرض، ثمّ قالت ظئري: يا يتيماه استضعفت من بين أصحابك فقتلت لضعفك، فانكبّوا عليّ وضمّوني إلى صدورهم وقبّلوا رأسي وما بين عينيّ وقالوا: حبّذا أنت من يتيم، ما أكرمك على الله، لو تعلم ما يراد بك من الخير، قال: فوصل الحيّ إلى شفير الوادي فلمّا بصرت بي أُمي وهي ظئري قالت: يا بني لا أراك حيّاً بعد، فجاءت حتّى انكبّت عليّ وضمّتني إلى صدرها، فوالذي نفسي بيده إنّي لفي حجرها قد ضمّتني إليها وإنّ يدي لفي يد بعضهم، فجعلت ألتفت إليهم وظننت أنّ القوم يبصرونهم، فإذا هم لا يبصرونهم، فيقول بعض القوم: إنّ هذا الغلام قد أصابه لمم أو طائف من الجنّ، فانطلقوا به إلى كاهن بني فلان حتّى ينظر إليه ويداويه، فقلت: ما بي شيء ممّا يذكر، إنّ نفسي سليمة، وإنّ فؤادي صحيح ليست بي قلبة، فقال أبي وهو زوج ظئري: ألا ترون كلامه صحيحاً؟ إنّي لأرجو أن لا يكون على ابني بأس، فاتّفقوا على أن يذهبوا بي إلى الكاهن، فاحتملوني حتّى ذهبوا بي إليه، فقصّوا عليه قصّتي، فقال: اسكتوا حتّى أسمع من الغلام فهو أعلم بأمره منكم، فسألني فقصصت عليه أمري وأنا يومئذٍ ابن خمس سنين، فلمّا سمع قولي وثب وقال: يا للعرب اقتلوا هذا الغلام، فهو واللاّت والعزّى لئن عاش ليبدلنّ دينكم، وليخالفنّ أمركم، وليأتينكم بما لم تسمعوا به قطّ، فانتزعتني ظئري من حجره، وقالت: لو علمت أنّ هذا يكون من قولك ما أتيتك به، ثمّ احتملوني، فأصبحت وقد صار في جسدي أثر الشقّ ما بين صدري إلى منتهى عانتي كأنّه الشراك[1].

بيان: أقول: رواه الكازرونيّ في المنتقى بأسانيد ولنشرح بعض ألفاظها: الرضعاء جمع رضيع، وقال الجزريّ: في حديث حليمة في سنة شهباء أي ذات قحط وجدب، وقال: القمراء: الشديدة البياض. قولها: راثت من الريث بمعنى الإبطاء، وفي أكثر رواياتهم: ولقد أذمّت، قال الجزريّ: ومنه حديث حليمة فلقد أذمّت بالركب، أي حبستهم لانقطاع سيرها، كأنّها حملت النّاس على ذمّها انتهى. والعجف: الهزال. حتّى انتهينا ريّاً أي بلغنا غايته. لقطعت بالركب أي من سرعة سيرها وشدّة تقدّمها انقطع الركب عنها. واربعي أي ارفقي بنا، وانتظري بنا. واللّبن بمعنى اللّبون.

وقال الجزريّ: في حديث حليمة كان يشبّ في اليوم شباب الصبيّ في الشهر فبلغ ستّاً وهو جفر، استجفر الصبيّ: إذا قوي على الأكل، وأصله في أولاد المعز إذا بلغ أربعة أشهر وفصل عن أُمّه وأخذ في الرعي، قيل له: جفر، والأُنثى جفرة انتهى.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٣ ص ١٣٩.

والبهم جمع بهمة وهي أولاد الضّأن. والسوط: خلط الشيء بعضه ببعض، والمسواط: ما يساط به القدر ليختلط بعضه ببعض. قوله: منتقعاً أي متغيّراً. والجلّة بالفتح: البعر. قوله: ما رابكم أي ما شكّكم، ومعناه هاهنا: ما دعاكم إلى أخذ هذا. قوله: ماذا يردّ عليكم، أي ما ينفعكم ذلك. قوله: فأنعم غسلها، أي بالغ فيه. قوله: ثمّ قال بيده يمنة، أي أشار بيده، أو مدّها إلى جانب يمينه. والقبلة: الداء.

١٩ - د: كتاب التذكرة ولد ﷺ مختوناً مسروراً، فأعجب جدّه عبد المطّلب وقال: ليكوننّ لابني هذا شأن، فكان له أعظم شأن وأرفعه، أمّه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهير ابن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب، شهد الفجار وهي حرب كانت بين قريش وقيس وهو ابن عشرين سنة، وبنيت الكعبة بعد الفجار بخمس عشرة سنة فرضيت به قريش في نصب الحجر الأسود، وكان طول الكعبة قبل ذلك تسعة أذرع ولم تكن تسقف فبنتها قريش ثمانية عشر ذراعاً وسقفتها، وكان يدعى في قريش بالصّادق الأمين، وخرج مع عمّه أبي طالب في تجارة إلى الشام وله تسع سنين، وقيل: اثنتي عشر سنة، ونظر إليه بحيرا الراهب فقال: احفظوا به فإنّه نبيّ، وخرج إلى الشام في تجارة لخديجة بنت خويلد وله خمس وعشرون سنة، وتزوّجها بعد ذلك بشهرين وأيّام، ودفعه جدّه عبد المطّلب إلى الحارث بن عبد العزّى ابن رفاعة السعدي زوج حليمة الّتي أرضعته، وهي بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث، وأخته أسماء، وهي الّتي كانت تحضنه، وسبيت يوم حنين، ومات عبد المطّلب وله ثمان سنين، وأوصى به إلى أبي طالب، ودخل الشعب مع بني هاشم بعد خمس سنين من مبعثه، وقيل: بعد سبع، لمّا حصرتهم قريش، وخرج منه سنة تسع من مبعثه، ثمّ رجع إلى مكّة في جوار مطعم بن عديّ، ثمّ كانت بيعة العقبة من الأنصار، ثمّ كان من حديثها أنّه خرج في موسم من المواسم يعرض نفسه ويدعو الناس إلى الإسلام، فلقي ستّة نفر من الأنصار، وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة، وعقبة بن عامر بن ناي، وقطنة بن عامر، وعون بن الحارث، ورافع بن مالك، وجابر بن عبد الله، ثمّ كانت بيعة العقبة الأولى بايعه اثنا عشر رجلاً منهم، ثمّ بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلاً، وامرأتين، واختار ﷺ منهم اثني عشر نقيباً ليكونوا كفلاء قومه: جابر بن عبد الله، والبراء بن معرور، وعبادة بن الصامت، وعبد الله بن عمرو بن حزام، وأبو ساعدة سعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، وعبدالله بن رواحة، وسعد بن الربيع، ورافع بن مالك العجلان، وأبو عبد الأشهل أسيد بن حضير، وأبو الهيثم بن التيّهان حليف بني عمرو بن عوف، وسعد بن خثيمة، فكانوا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، وأوّل من بايع منهم البراء بن معرور، ثمّ تتابع الناس، ثمّ هاجر إلى المدينة ومعه أبو بكر وعامر بن فهر مولى أبي بكر وعبد الله بن أريقط، وخلّف عليّ بن أبي طالب آخر ليلة من صفر، وأقام في الغار ثلاثة أيّام، ودخوله إلى المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاوّل، فنزل بقباء في بني عمرو بن عوف على كلثوم بن الهرم، فأقام

إلى يوم الجمعة، ودخل المدينة فجمّع في بني سالم، فكانت أوّل جمعة جمعها ﷺ في الإسلام، ويقال: إنّهم كانوا مائة رجل، ويقال: بل كانوا أربعين، ثمّ نزل على أبي أيّوب الأنصاريّ، فأقام عنده سبعة أيّام، ثمّ بنى المسجد فكان يبنيه بنفسه، ويبني معه المهاجرون والأنصار، ثمّ بنى البيوت، وكان يصلّي حين قدم المدينة ركعتين ركعتين، فأمر بإتمام أربع للمقيم وذلك في يوم الثلثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الثاني بعد مقدمه بشهر(١).

٢٠ - **أقول**: قال أبو الحسن البكريّ في كتاب الأنوار: حدّثنا أشياخنا وأسلافنا الرواة لهذه الاحاديث أنّه كان من عادة أهل مكّة إذا تمّ للمولود سبعة أيّام التمسوا له مرضعة ترضعه، فذكر الناس لعبد المطّلب انظر لابنك مرضعة ترضعه، فتطاولت النساء لرضاعته وتربيته، وكانت آمنة يوماً نائمة إلى جانب ولدها فهتف بها هاتف: يا آمنة إن أردت مرضعة لابنك ففي نساء بني سعد امرأة تسمّى حليمة بنت أبي ذؤيب، فتطاولت آمنة إلى ذلك، وكان كلّما أتتها من النساء تسألهنّ عن أسمائهنّ فلم تسمع بذكر حليمة بنت أبي ذؤيب، وكان سبب تحريك حليمة لرضاعة رسول الله ﷺ أنّ البلاد الّتي تلي مكّة أصابها قحط وجدب إلاّ مكّة، فإنّها كانت مخصبة زاهرة ببركة رسول الله ﷺ، وكانت العرب تدخل وتنزل بنواحيها من كلّ مكان، فخرجت حليمة مع نساء من بني سعد، قالت حليمة: كنّا نبقى اليوم واليومين لا نقتات فيه بشيء، وكنّا قد شاركنا المواشي في مراعيها، فكنت ذات ليلة بين النوم واليقظة وإذا قد أتاني آتٍ ورماني في نهر ماء أبيض من اللّبن، وأحلى من العسل، وقال لي: اشربي فشربت، ثمّ ردّني إلى مكاني، وقال لي: يا حليمة عليك ببطحاء مكّة، فإنّ لك بها رزقاً واسعاً، وسوف تسعدين ببركة مولود ولد بها، وضرب بيده على صدري، وقال: أدرّ الله لك اللّبن، وجنّبك المحق والمحن، قالت حليمة: فانتبهت وأنا لا أطيق حمل ثديي من كثرة اللّبن، واكتسيت حسناً وجمالاً، وأصبحت بحالة غير الحالة الأولى، ففزعت إليّ نساء قومي وقلن: يا حليمة قد عجبنا من حالك، فما الّذي حلّ بك؟ ومن أين لك هذا الحسن والجمال الّذي ظهر فيك؟ قالت: فكتمت أمري عليهنّ فتركنني وهنّ أحسد الناس لي، ثمّ بعد يومين هتف بي هاتف فسمعه بنو سعد عن آخرهم وهو يقول: يا نساء بني سعد نزلت عليكم البركات، وزالت عنكم الترحات برضاعة مولود ولد بمكّة، فضّله الواحد الأحد، فهنيئاً لمن له قصد، فلمّا سمعوا ما قاله الهاتف قالوا: إنّ لهذا المولود شأناً عظيماً، فرحل بنو سعد عن آخرهم إلى مكّة، قالت حليمة: ولم يبق أحد إلاّ وقد خرج إلى مكّة، قالت: وكنّا أهل بيت فقر ولم يكن عندنا شيء نحمل عليه، وقد ماتت مواشينا من القحط، وكانت حليمة من أطهر نساء قومها وأعفّهنّ، ولذلك ارتضاها الله تعالى لترضع رسول الله ﷺ، وكانت النساء إذا دخلن على آمنة تسألهنّ عن أسمائهنّ، فإذا لم تسمع بذكر حليمة تقول: ولدي يتيم لا أب له ولا مال، فيذهبن عنها،

(١) العدد القوية، ص ١١٨.

فأقبلت حليمة مع بعلها ودخلت مكّة وخلفت بعلها خارج البلد وقالت له: مكانك حتّى أدخل مكّة، وأسأل عن هذا المولود الّذي بشّرنا به، فلمّا دخلت حليمة مكّة أرشدها الله تعالى إلى أن دخلت على عبد المطّلب وهو جالس بالصفا، وكان له سرير منصوب عند الكعبة يجلس عليه للقضاء بين الناس، فلمّا أتته قالت له: نعمت صباحاً أيّها السيّد، فقال لها: من أين أنت أيّتها المرأة؟ قالت: من بني سعد أتينا نطلب رضيعاً نتعيّش من أجرته، وقد أُرشدت إليك، فقال: نعم عندي ولد لم تلد النساء مثله أبداً، غير أنّه يتيم من أبيه وأنا جدّه أقوم مقام أبيه، فإن أردت أن ترضعيه دفعته إليك وأعطيتك كفايتك، فلمّا سمعت ذلك أمسكت عن الكلام، ثمّ قالت: يا سيّد بني عبد مناف لي بعلٌ بظهر مكّة وهو مالك أمري وأنا أرجع إليه أشاوره في ذلك، فإن أمرني بأخذه رجعت إليه وأخذته، فقال لها عبد المطّلب: شأنك، فوصلت إلى بعلها وقالت له: إنّي وردت على عبد المطّلب فقال: عندي مولود أبوه ميّت، وأنا أقوم مقامه، فما تقول؟ قال: يرجعن نساء بني سعد بالإحسان والإكرام وترجعين أنت بصبيّ يتيم؟ وكانت جملة نساء بني سعد قد دخلن مكّة، فمنهنّ من حصل لها رضيع، ومنهنّ من لم يحصل لها شيء، فقالت حليمة: ترجع نساء بني سعد بالغنائم، وأرجع أنا خائبة؟ وأسبلت عبرتها، فقال بعلها: ارجعي إلى هذا الطفل اليتيم وخذيه فعسى أن يجعل الله فيه خيراً كثيراً، فإنّ جدّه مشكور بالإحسان، فرجعت حليمة فوجدته في مكانه الأوّل فذكرت له قول زوجها، فقام عبد المطّلب ومضى بها إلى منزل آمنة وأخبرها بذلك وأعلمها باسمها وقومها، فقالت: هذه الّتي أمرت أن أدفع إليها ولدي، فقالت لها آمنة: أبشري يا حليمة بولدي هذا، فوالله ما أخصبت بلادنا إلاّ ببركة ولدي هذا، ثمّ أدخلتها آمنة البيت الّذي فيه المصطفى ﷺ، فقالت حليمة: أتوقدين يا آمنة مع ولدك المصباح في النهار؟ قالت: لا، فوالله من حيث ولد ما أوقدت عنده النار، بل هو يغنيني عن المصباح، فنظرت حليمة إلى رسول الله ﷺ وهو ملفوف في ثوب من صوف أبيض، يفوح منه رائحة المسك والعنبر، فوقعت في قلبها محبّة محمّد ﷺ، وفرحت وسرّت به سروراً عظيماً، وكان نائماً فأشفقت عليه أن توقظه من نومه فأمسكت عنه ساعة، فخشيت أن تبطىء على بعلها فمدّت يدها إليه لتوقظه ففتح عينيه وجعل يهشّ لها ويضحك في وجهها، فخرج من فمه نور فتعجّبت حليمة من ذلك، ثمّ ناولته ثديها اليمنى فرضع، فناولته الأخرى فلم يرضع، وكان ذلك إلهاماً من الله عزّ وجلّ ألهمه العدل والإنصاف من صغره، إذ كان لها ابن ترضعه، وكان لا يرضع حتّى يرضع أخوه ضمرة، فرجعت حليمة بمحمّد ﷺ، فقال لها عبد المطّلب: مهلاً يا حليمة حتّى نزوّدك، قالت: حسبي من الزاد هذا المولود، وهو أحبّ إليّ من الذهب والفضّة ومن جميع الأطعمة، وأعطاها من المال والزاد والكسوة فوق الطاقة والكفاية، وأعطتها آمنة كذلك، فأخذت عند ذلك آمنة ولدها وقبّلته وبكت لفراقه، فربط الله على قلبها، فدفعته إلى حليمة، وقالت: يا

حليمة احفظي نور عيني وثمرة فؤادي، ثمّ خرجت حليمة من بيت آمنة وشيّعها عبد المطّلب، قالت حليمة: والله ما مررت بحجر ولا مدر إلاّ ويهنّئني بما وصل إليّ، فلمّا أقبلت على بعلها نظر إلى النور يشرق في غرّته فتعجّب من ذلك، وألقى الله في قلبه الرحمة له، فقال لها: يا حليمة قد فضّلنا الله بهذا المولود على سائر العالم، فلا شكّ أنّه من أبناء الملوك، فلمّا ارتحلت القافلة ركبت حليمة على أتان وجعلت تقول لزوجها: لقد سعدنا بهذا المولود سعادة الدّنيا والآخرة.

وسمعت آمنة هاتفاً يقول:

قفي ساعة حتّى نشاهد حسنه ... قليلاً ونمسي في وصال وفي قرب
فأين ذهاب الركب عن ساكن الحمى ... وأين رواح الصبّ عن ساكن الشعب
إذا جئت واديه وجئت خيامه ... وعاينت بدر الحسن في طيبة قف بي
وطف بالمطايا حول حجرة حسنة ... وعند طواف العيس يا صاحبي طف بي
فعند مليح اللّون مهجتي الّتي ... براها الأسى وجداً كما عنده قلبي
قفي يا حليمة ساعةً فلعلّني ... أناشده إذ كان ذا شخصه قربي
إذا طفت يا عيني اليمين تقرّباً ... إلى الله يوم الحجّ يا مهجتي طف بي
طواف شجيّ القلب لا شيء مثله ... فإنّ دموعي جاريات من السحب
ألا أيّها الركب الميمّم قاصداً ... إلى ساكن الأحباب هل عندكم حبّي

قالت حليمة: فصارت الأتان تمرّ كالريح العاصف، فبينا نحن سائرون إذ مررنا على أربعين راهباً من نصارى نجران، وإذا بواحد يصف لهم النبيّ ﷺ ويقول: إنّه يظهر في هذا الزمان أو قد ظهر بمكّة مولود من صفاته كذا وكذا، يكون على يده خراب دياركم، وقطع آثاركم، وإذا إبليس قد تصوّر لهم في صوره إنسان وقال لهم: الّذي تذكرونه مع هذه المرأة الّتي مرت بكم، قالت حليمة: فقاموا إليه ونظروا وإذا النور يخرج من وجهه، ثمّ زعق بهم الشيطان وقال لهم: اقتلوه، فشهروا سيوفهم وقصدوني، فرفع ولدي محمّد رأسه إلى السّماء شاخصاً فإذا هم بداهية عظيمة كالرّعد العاصف نزلت إلى الأرض، وفتحت أبواب السّماء، ونزلت منها نيران، وإذا بهاتف يقول: خاب سعي الكهّان، قالت حليمة: فعاينت ناراً قد نزلت فخفت على ولدي منها، فنزلت على واديهم فأحرقته ومن فيه عن آخرهم، فخفت وكدت أن أسقط عن الأتان، وكان ذلك أول ما ظهر من فضائله ﷺ.

قال صاحب الحديث: إنّ أوّل ليلة نزل رسول الله ﷺ بحيّ بني سعد اخضرّت أرضهم، وأثمرت أشجارهم، وكانوا في قحط عظيم، وكانوا يحبّونه لذلك محبّة عظيمة، وكان إذا مرض منهم مريض يأتون به إليه فيشفى، وكثرت معجزاته، فكان بنو سعد يقولون: يا حليمة لقد أسعدنا الله بولدك هذا، قالت: والله ما غسلت له ثوباً قطّ من نجاسة، وكان له وقت

يتوضّأ فيه ولا يعود إلاّ إلى الغداة وكنت أسمع منه الحكمة، فلمّا كبر وترعرع كان يقول: الحمد لله الّذي أخرجني من أفضل نبات، من الشجرة الّتي خلق منها الأنبياء، وكنت أتعجّب منه ومن كلامه، وكان يصبح صغيراً، ويمسي كبيراً، ويزيد في اليوم مثل ما يزيد غيره في الشهر، ويزيد في الشهر مثل ما يزيد غيره في السنة حتّى كبر ونشأ، ولم يكن في زمانه أحسن منه خلقاً، ولا أيسر منه مؤونة، ولقد كنّا نجعل القليل من الطعام قدّامنا ونجتمع عليه ونأخذ يده ونضعها فيه فنأكل، ويبقى أكثر الطعام، فلمّا صار ابن سبع سنين قال لأمه حليمة: يا أمّي أين إخوتي، قالت: يا بنيّ إنّهم يرعون الغنم الّتي رزقنا الله إيّاها ببركتك، قال: يا أمّاه ما أنصفتني، قالت: كيف ذلك يا ولدي؟ قال: أكون أنا في الظلّ وإخوتي في الشمس والحرّ الشديد، وأنا أشرب منها اللّبن قالت: يا بنيّ أخشى عليك من الحسّاد، وأخاف أن يطرقك طارق، فيطلبني بك جدّك، قال لها: لا تخشي عليّ يا أمّاه من شيء، ولكن إذا كان غداة غد أخرج مع إخوتي، فلمّا رأته وقد عزم على الخروج وهي خائفة عليه عمدت إليه وشدّته من وسطه، وجعلت في رجليه نعلين، وأخذ بيده عكازاً، وخرج مع إخوته، فلمّا رأى أهل الحي أتوا مسرعين إلى حليمة، فقالوا لها: كيف يطيب قلبك بخروج هذا البدر وما يصلح له الرعاية؟ قالت: يا قوم ما الّذي تأمرونني به ولقد نهيته فلم ينته، فأسأل الله تعالى أن يصرف عنه السّوء، ثمّ قالت شعراً:

يا ربّ بارك في الغلام الفاضل	محمّد سليل ذي الأفاضل
وابلغه في الأعوام غير آفل	حتّى يكون سيّد المحافل

فلمّا كان وقت العشاء أقبل مع إخوته كأنّه البدر الطالع، فقالت له: يا ولدي لقد اشتغلت قلبي بخروجك عنّي في هذه البريّة، قالت حليمة: وكان في الغنم شاة قد ضربها ولدي ضمرة فكسر رجلها، فأقبلت إلى ولدي محمّد ﷺ تلوذ به كأنّها تشكو إليه، فمسح عليها بيده، وجعل يتكلّم عليها حتّى انطلقت مع الأغنام كأنّها غزال، وكان كلّ يوم يظهر منه آيات ومعجزات، وكان إذا قال للغنم: سيري سارت، وإذا أمرها بالوقوف وقفت، وهي مطيعة له، فخرج في بعض الأيّام مع إخوته وقد وصلوا إلى واد عشيب، وكانت الرعاة تهابه لكثرة سباعه، وإذا قد أقبل عليهم أسد وهو يزمجر، هائل الخلقة، فلمّا وصل إلى الأغنام فتح فاه وهمّ أن يهجم عليها، فتقدّم إليه محمّد رسول الله ﷺ، فلمّا نظر إليه الأسد نكس رأسه وولّى هارباً، فعند ذلك تقدّم إخوته إليه فقال لهم: ما شأنكم؟ قالوا: لقد خفنا عيك من هذا الأسد، وأنت ما خفت منه وكنت تكلّمه، قال: نعم كنت أقول له: لا تعود بقرب هذا الوادي بعد هذا اليوم، فلمّا كان بعد ذلك رأت حليمة رؤياً وانتبهت فزعة مرعوبة، وقالت لبعلها: إن سمعت منّي احمل محمّداً إلى جدّه، فإنّي أخشى أن يطرقه طارق، فيعظم مصيبتنا عند جدّه، ولقد رأيت كأنّ ولدي محمّداً مع إخوته كما كان يخرج كلّ يوم إذ أتاه رجلان عظيمان لم أر

أعظم منهما، عليهما ثياب من إستبرق، وقصداه، فجاءه واحدٌ منهما بخنجر وشقّ به جوفه، فانتبهت فزعة مرعوبة، والرأي عندي أن تحمله إلى جدّه، فقال لها: إنّ الّذي تذكرينه في حقّ محمّد ممتنع، فإنّه معصوم من الله تعالى، ولقد رأيت الرهبان والأسد وغيره، قالت: نعم، ولكن لكلّ شيء آخر ونهاية، فكم كبير مات، وصغير عاش، فقال لها: إنّ منامك الّذي رأيتها أضغاث أحلام، ثمّ لمّا أصبح الصباح وأراد محمّد ﷺ أن يخرج مع إخوته على العادة قالت: لا تخرج اليوم يا قرّة عيني، فإنّي أحبّ أن تكون معي هذا اليوم حتّى أشبع من النظر إليك، فإنّك في كلّ يوم تخرج بكرة ولا تأتي إلاّ عشيّة، فقال لها: وكيف ذلك يا أُمّاه وأيّ شيء خفت عليّ منه، لا تخافي عليّ من شيء، فلم يقدر أحد أن يصل إليّ بسوء ولا ضرّ ولا نفع إلاّ الله ربي، فخرج مع إخوته وهي راعبة عليه، فلمّا كان وقت القائلة أقبل أولاد حليمة يبكون، فخرجت حليمة تعثر في أذيالها حيث سمعت أولادها يبكون، وحثت التراب على وجهها وشعرها، وشهرت بنفسها، فقالت: ما الّذي دهاكم؟ أخبروني، قالوا: خرجنا نحن وأخونا محمّد ﷺ وجلسنا تحت شجرة، وإذا قد أقبل عليه رجلان عظيمان لم نر مثلهما، فلمّا وصلا إلينا أخذا أخانا محمّداً ﷺ من بيننا، ومضيا به إلى أعلى الجبل فأضجعه واحد منهما، وأخذ سكّيناً، وشقّ بطنه، وأخرج قلبه وأمعاءه، ولا شكّ أنّك لا تلحقيه إلاّ هالكاً، فعند ذلك لطمت خدّها، وقالت: هذا تأويل رؤياي البارحة، وا أسفي عليك يا محمّداه، وا جزعي عليك يا ولداه يا قرّة عيني، ثمّ صرخت في الحيّ وخرجت وخرج بنو سعد كلّهم في أثرها، وخرج زوجها الحارث يجرّ قناته وبيده حربة، فلمّا أشرفوا على رسول الله ﷺ وجدوه جالساً، والأغنام حوله محيطة به، فتبادر القوم إليه ورفعوه وأتوا به وهم يقولون: كلّ شيء تلقاه نحن وأولادنا وأموالنا فداك، فجاءت إليه حليمة وأخذته وقبّلته وهي تبكي بكاءً عظيماً، وكشفت عن بطنه فلم تر أثراً فيه، ولم تر في أثوابه دماً، فرجعت إلى أولادها وقالت: كيف كذبتم على أخيكم؟ فقال رسول الله ﷺ: لا تلوميهم فإنّي كنت عندهم إذ أتاني رجلان، وأخذاني وأضجعاني، وأخذ واحد منهما سكّيناً فشقّ بها فؤادي، وأخرج منه نكتةً سوداء ورمى بها، وقال لي: هذا حظّ الشيطان منك يا محمّد، ثمّ غسلا فؤادي بالماء وأعاداه كما كان، ثمّ أخرج أحدهما خاتماً يشرق منه النور فختم به فؤادي، ثمّ مسح على ما شقّه فعاد كما كان، ثمّ قالا لي: يا محمّد لو علمت ما لله عليك من السابقة لقرّت عيناك، ثمّ قال أحدهما للآخر: زنه، فوزنني بعشره من أُمّتي فرجحت بهم، ثمّ زاد عشرة فرجحت بهم، ثمّ قال: لو وزنته بجميع الأمم لرجح بهم، ثمّ عرجا نحو السّماء وأنا أنظر إليهما، فقالت حليمة لبعلها: الرأي أنّا نحمل محمّداً إلى جدّه، فقال: يمنعني من ذلك خبث نفسي من فراقنا له، وإنّه أعزّ عندنا من الأولاد، فلمّا سمعت كلام بعلها قالت: ما يوصل هذا الصبيّ إلى جدّه إلاّ أنا بنفسي، ثمّ أقبلت إليه وقالت: يا

ولدي إنّ جدك إليك مشتاق وعمومتك، فهل لك أن تسير إليهم؟ قال: نعم، فقامت حليمة وشدّت على راحلتها وركبت، وأخذت محمّداً قدّامها وسارت طالبة مكّة، وكان عبد المطّلب قد أنفذ إليها أن تحمل ولده إليه، فكانت إذا نزلت في هبوط ضمّته إليها، وإذا رأت راكباً غمّته خوفاً عليه إلى أن وصلت حيّاً من أحياء العرب، وكان عندهم كاهنٌ وقد سقط حاجباه على عينيه من طول السنين، والناس عاكفون عليه، فلمّا جازت عليهم غشي عليه، فلمّا أفاق قال: يا ويلكم بادروا إلى المرأة الّتي مرت راكبة، وخذوا منها الصبيّ الّذي عندها واقتلوه قبل أن يخرب بلادكم، قالت حليمة: وإذا أنا بالرجال قد أقبلوا إليّ، فوقعت عليهم ريح صرعتهم في الحال، فسرت عنهم ولم أحفل بهم، وجعلت أسير حتّى بلغت إلى مكّة، فوضعت ولدي محمّداً ﷺ عند أناس جلوس، ومضيت عنه ناحية لحاجة، فسمعت وجبةً وصوتاً عالياً، فالتفتّ إلى ولدي فلم أره، فسألت عنه القوم الّذين كانوا جلوساً قالوا: ما رأيناه، فسألوني عن اسمه، فقلت: محمّد بن عبد الله ابن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف، فقلت: وحقّ الكعبة والمقام لئن لم أجده رميت بنفسي من أعلى هذا الحائط حتّى أموت، وسألتهم وأخذت في جدّ السؤال فلم تعط خبراً، فأخذت جيبها، ومزقت أثوابها، ولطمت وجهها، وبكت وأكثرت البكاء، وحثت التراب على رأسها، وجعلت تقول: وا ولداه، وا قرة عيناه، وا ثمرة فؤاداه، وا محمّداه. فبينا هي كذلك إذ خرج إليها شيخ كبير يتوكّأ على عصا، فقال لها: ما قصّتك أيّتها المرأة؟ فقالت: فقدت ولدي محمّداً، ولم أدر أين مضى، قال لها: لا تبكين، أنا أدلّك على من يعلم أين ذهب، قالت: افعل يا سيّدي، فمضى قدّامها إلى أن أتى الكعبة، وطاف على صنم يقال له: هبل، وقال: يا هبل أين محمّد؟ فسقط الصنم لمّا ذكر محمّداً، فخرج الرجل خائفاً، قالت حليمة: فحسست في نفسي أنّه قد أخذه آخذ وذهب به إلى جدّه، فقصدته مسرعة، فلمّا رآني قال: ما قصّتك؟ قلت: ولدك محمّد أتيت به ووضعته على باب مكّة أقضي حاجة فرجعت فلم أره، فقال: إنّي أخشى أن يكون أخذه بعض الكهّان، فنادى عبد المطّلب: يا آل غالب، وكانوا يتباركون بهذه الكلمة، فلمّا سمع قريش صوت عبد المطّلب أجابوه من كلّ مكان، فقال لهم: إنّ حليمة قد أقبلت بولدي محمّد، وطرحته على باب الكعبة، ومضت لقضاء حاجة لها وعادت فلم تره، وأنا أخاف عليه أن يغتاله ساحر أو كاهن، فقالوا: نحن معك سر بنا أين شئت، إن خضت بحراً خضناه، وإن ركبت برّاً ركبناه، ثمّ ركبوا وساروا فلم يقفوا له على خبر، فأتى عبد المطّلب إلى الكعبة وطاف بها سبعاً، وتعلّق بأستارها، ثمّ دعا وتضرّع في دعائه، فسمع هاتفاً يقول: يا عبد المطّلب لا تخف على ولدك، ولكن اطلبه بوادي دعاية عند شجرة الموز، فمضى عبد المطّلب إلى المكان المذكور فوجده قاعداً تحت الشجرة، وقد تدلّت عليه أثمارها، فبادر إليه جدّه، فأخذه وقبّله، وقال له: يا ولدي من أتى بك إلى هذا الموضع؟ قال: اختطف بي

طير أبيض، وحملني على جناحه، وأتى بي إلى هاهنا، وقد جعت وعطشت فأكلت من ثمرة هذه الشجرة، وشربت من الماء، وكان الطائر جبرئيل عليه السلام.

ثمّ إنّ حليمة قالت لعبد المطلب: إنّ ولدك قد صار له عندنا كذا وكذا، قال: يا حليمة لا بأس عليك، إمضي إلى أُمّه وأخبريها بذلك، فإنّها أخبرتني يوم ولد أنّه سطع منه نور صعد إلى السّماء. وذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ الآية.

ثمّ إنّ عبد المطّلب كفل النبيّ صلى الله عليه وآله إلى أن رمد النبيّ صلى الله عليه وآله رمدة شديدة وكان بالجحفة طبيب فوطأ له جدّه راحلة وسار به إلى الجحفة، فلمّا دخل صاح عبد المطّلب أيّها الطبيب عندي غلام أريد أن تطبّ عينه، فرفع رأسه وقال له: اكشف لي عن وجهه، فلمّا كشف عن وجهه سقطت الصومعة، فرفع الراهب رأسه ونادى بالشهادتين والإقرار بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله، ثمّ قال: وما عسى أن أقول فيه لا بأس عليه ممّا نزل به، ولكن أيّها الشيخ اسمع ما أقول لك، إنّه سيّد العرب، بل سيّد الأوّلين والآخرين، والمشفّع فيهم يوم الدّين، تنصره الملائكة المقرّبون، ويأمره الله أن يقاتل من يخالفه، وينصره الله نصراً عزيزاً، وأشدّ الناس عليه قومه، فقال عبد المطّلب: يا راهب ما تقول؟ فقال: والّذي لا إله إلاّ هو، لئن أدركت زمانه لأنصرنّه، فاحفظ ولدك، فرجع بولده إلى مكّة فأقام بها حتّى حضرته الوفاة، فأوصى به إلى عمّه أبي طالب فكفله أبو طالب، وأقبل به إلى منزله، ودعا بزوجته فاطمة بنت أسد، وكانت شديدة المحبّة لرسول الله صلى الله عليه وآله، شفيقة عليه، فقال لها أبو طالب: اعلمي أنّ هذا ابن أخي، وهو أعزّ عندي من نفسي ومالي، وإيّاك أن يتعرّض عليك أحد فيما يريد، فتبسّمت فاطمة من قوله، وكانت تؤثره على سائر أولادها، وكان لها عقيل وجعفر، فقالت له: توصيني في ولدي محمّد وإنّه أحبّ إليّ من نفسي وأولادي، ففرح أبو طالب بذلك، فجعلت تكرمه على جملة أولادها، ولا تجعله يخرج عنها طرفة عين أبداً، وكان يطعم من يريد فلا يمنع، وقد كان يشبّ في اليوم ما يشبّ غيره في السنة وينمو، فتعجّب أهل مكّة من ذلك وحسنه وجماله، فلمّا نظر أبو طالب إلى حسنه وجماله قال شعراً:

نور وجهك الّذي فاق في الحسن ... على نور شمسنا والهلال
أنت والله يا مناي وسؤلي ... الّذي فاق نوره المتعالي
أنت نور الأنام من هاشم الغرّ ... فقت كلّ العلا وكلّ الكمال
وعلوّ الفخار والمجد أيضاً ... ولقد فقت أهل كلّ المعالي

ثمّ بعد ذلك شاع ذكره في البلاد، ثمّ إنّه توجّه يوماً إلى نحو الكعبة وأهل مكّة حولها، وكان قد عمروا فيها عمارة، وشالوا الحجر الأسود من مكانه، فلمّا عزموا أن يردّوه إلى مكانه الأوّل اختلفوا فيمن يردُّه، فكان كلّ منهم يقول: أنا أردّه، يريد الفخر لنفسه، فقال لهم ابن المغيرة: يا قوم حكّموا في أمركم من يدخل من هذا الباب، وأجمعوا على ذلك، وإذا بالنّبيّ صلى الله عليه وآله قد أقبل

عليهم، فقالوا: هذا محمّد، نعم الصّادق الأمين، ذو الشرف الأصيل، ثمّ نادوه فأقبل عليهم، فقالوا: قد حكّمناك في أمرنا، من يحمل الحجر الأسود إلى محلّه؟ فقال ﷺ: هذه فتنة، ائتوني بثوب، فأتوه به، فقال: ضعوا الحجر فوقه، وارفعوه من كلّ طرف قبيلة، فرفعوه إلى مكانه، والنبيّ ﷺ هو الّذي وضعه في مكانه، فتعجّبت القبائل من فعله[1].

بيان: الزعق: الصياح والزمجرة: الصوت. قوله: غمّته أي غطّته.

٢١ - **أقول:** روى الكازرونيّ: في المنتقى عن برّة قال: أوّل من أرضع رسول الله ﷺ ثويبة بلبن ابن لها يقال له: مسروح أيّاماً قبل أن تقدم حليمة، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطّلب، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزوميّ، وكانت تدخل على رسول الله ﷺ فيكرمها، وكان رسول الله ﷺ يبعث إليها بعد الهجرة بكسوة وصلة حتّى ماتت بعد فتح خيبر.

٢٢ - وأورد الحافظ أبو القاسم الإصبهانيّ في دلائل النبوّة مسنداً عن العبّاس بن عبد المطّلب قال: قلت: يا رسول الله دعاني إلى الدخول في دينك أمارة لنبوّتك، رأيتك في المهد تناغي القمر، وتشير إليه بإصبعك، فحيث أشرت إليه مال، قال: إنّي كنت أحدّثه ويحدّثني ويلهيني عن البكاء، وأسمع وجبته يسجد تحت الكرسيّ. قوله: وجبته أي سقطته.

٢٣ - وروى عن مجاهد قال: قلت لابن عبّاس: وقد تنازعت الظئر في رضاع محمّد ﷺ؟ قال: إي والله، وكلّ نساء الجنّ، وذلك لمّا ردّ إلى آمنة من السّماوات نادى الملك في سماء الدّنيا: هذا محمّد سيّد الأنبياء، فطوبى لثدي أرضعته، فتنافست الطير والجنّ، في رضاعه، قال: فنوديت كلّها: أن كفّوا، فقد أجرى الله ذلك على أيدي الإنس، فخصّ الله بذلك حليمة.

٢٤ - وروي أنّه لمّا مضى على رسول الله ﷺ شهران وهو عند حليمة ترضعه خرج عبد المطّلب فأتى إليها فقال لها: ادفعي إليّ ابني. فقالت له: جعلني الله فداك يا عبد المطّلب دعه عندي فإنّه قد ألفني، قال: كيف لم تريديه قبل اليوم وتتمسكين به الآن؟ قالت: لأنّه والله نسمة مباركة، قد بورك لنا في جميع أبداننا وأموالنا، فدعه عندي لا أُريد منك عليه شيئاً أبداً، فتركه عندها، وانصرف عبد المطّلب، فمكثت حليمة لا تدخل في اللّيل إلى بيتها إلاّ ونظرت إلى الستر قد انفجر ونزل عليه القمر يناغيه، فيقول زوجها: إنّ لهذا الغلام لشأناً عظيماً، ليسودنّ العرب كلّها.

٢٥ - وروى حديث حليمة برواية أُخرى عن ابن عبّاس أوردتها أيضاً لفوائد فيها، وهي أنّه روي أنّه كان من سببها أن الله أجدب البلاد والزمان، فدخل ذلك على عامة الناس،

---

(١) الأنوار في مولد النبي ﷺ، ص ١٠٩.

وكانت حليمة تحدّث عن زمانها وتقول: كان الناس في زمان رسول الله ﷺ في جهد شديد، وكنّا أهل بيت مجدبين، وكنت امرأة طوّافة، أطوف البراري والجبال، ألتمس الحشيش والنبات، فكنت لا أمرّ على شيء من النبات إلاّ قلت: الحمد لله الّذي أنزل بي هذا الجهد والبلاء، ولمّا ولد النبيّ ﷺ خرجت إلى ناحية مكّة ولم أكن ذقت شيئاً منذ ثلاثة أيّام، وكنت ألتوي كما تلتوي الحيّة، وكنت ولدت ليلتي تلك غلاماً فلم أدر أجهدُ الولادة أشكو أم جهد نفسي، فلمّا بتّ ليلتي تلك أتاني رجل في منامي فحملني حتّى قذفني في ماء أشدّ بياضاً من اللّبن، وقال: يا حليمة أكثري من شرب هذا الماء ليكثر لبنك، فقد أتاك العزّ وغناء الدهر، تعرفينني؟ قلت: لا، قال: أنا الحمد لله الّذي كنت تحمدينه في سرّائك وضرّائك، فانطلقي إلى بطحاء مكّة، فإن لك فيها رزقاً واسعاً، واكتمي شأنك ولا تخبري أحداً، ثمّ ضرب بيده على صدري، فقال: أدر الله لك اللّبن، وأكثر لك الرزق، فانتبهت وأنا أجمل نساء بني سعد، لا أطيق أن أسبل ثديي، كأنّهما الجرّ العظيم، يتسيّب منهما لبن، وأرى النّاس حولي من نساء بني سعد ورجالهم في جهد من العيش، إنّما كنّا نرى البطون لازقة بالظهور، والألوان شاحبة متغيّرة، لا نرى في الجبال الرّاسيات شيئاً، ولا في الأرض شجراً، وإنّما كنّا نسمع من كلّ جانب أنيناً كأنين المرضى، وكادت العرب أن تهلك هزالاً وجوعاً، فلمّا أصبحت حليمة وإنّها لفي جهد من العيش وتغيّر من الحال، وقد أصبحت اليوم تشبه بنات الملوك، قلن: إنّ لها شأناً عظيماً، ثمّ أحدقن بي يسألنني عن قصّتي، فكنت لا أحير جواباً، فكتمت شأني لأنّي بذلك كنت أمرت، ولم تبق امرأة في بني سعد ذات زوج إلاّ وضعت غلاماً، ورأيت الرؤوس المشتعلة بالشيب قد عادت سوداً لبركة مولد رسول الله ﷺ، فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوتاً ينادي: ألا إنّ قريشاً قد وضعت العام كلّ بطونها، وإنّ الله قد حرّم على نساء العام أن يلدن البنات من أجل مولود في قريش، وشمس النهار، وقمر اللّيل، فطوبى لثدي أرضعته، ألا فبادرن إليه يا نساء بني سعد، قالت: فنزلنا في جبل وعزمنا على الخروج إلى مكّة، فخرج نساء بنيّ سعد على جهد منهنّ ومخمصة، وخرجت أنا مع بني لي على أتان لي معناق تسمع لها في جوفها خضخضة، قد بدا عظامها من سوء حالها، وكانت تخفضني طوراً، وترفعني آخر، ومعي زوجي، فكنت في طريقي أسمع العجائب من كلّ ناحية، لا أمرّ بشيء إلاّ استطال إليّ فرحاً، وقال لي: طوبى لثديك يا حليمة، انطلقي فإنّك ستأتين بالنّور الساطع، والهلال البدريّ، فاكتمي شأنك وكوني من وراء القوم، فقد نزلت بشاراتك، قالت: فكنت أقول لصاحبي: تسمع ما أسمع؟ فيقول: لا، ما لي أراك كالخائفة الوجلة تلتفتين يمنةً ويسرةً، مرّي أمامك، فقد تقدّم نساء بني سعد، وإنّي أخاف أن يسبقنني إلى كلّ مولود بمكّة، قالت: فجعلنا نجدّ في المسير والأتان كأنّها تنزع حوافرها من الظهر نزعاً، فبينا أنا في مسيري إذا أنا برجل في بياض الثلج، وطول النخلة

الباسقة، ينادي من الجبل: يا حليمة مرّي أمامك، فقد أمرني الله عزّ وجلّ أن أدفع عنك كلّ شيطان رجيم، قالت: حتّى إذا صرنا على فرسخين من مكّة بتنا ليلتنا تلك، فرأيت في منامي كأن على رأسي شجرة خضراء، قد ألقت بأغصانها حولي، ورأيت في فروعها شجرة كالنخلة، قد حملت من أنواع الرّطب، وكان جميع من خرج معي من نساء بني سعد حولي، فقلن: يا حليمة أنت الملكة علينا، فبينا أنا كذلك إذ سقطت من تلك الشجرة في حجري تمرة فتناولتها ووضعتها في فمي، فوجدت لها حلاوة كحلاوة العسل، فلم أزل أجد طعم ذلك في فمي حتّى فارقني رسول الله ﷺ، فلمّا أصبحت كتمت شأني، قلت: إن قضى الله لي أمراً فسوف يكون، ثمّ ارتحلنا حتّى نزلنا مكّة يوم الاثنين وقد سبقني نساء بني سعد، وكان الصبيّ الّذي معي قد ولدته لا يبكي ولا يتحرّك ولا يطلب لبناً، فكنت أقول لصاحبي: هذا الصبيّ ميّت لا محالة، فكنت إذا قلت ذلك يلتفت إليّ الصبيّ فيفتح عينية ويضحك في وجهي، وأنا متعجّبة من ذلك، فلمّا توسّطنا مكّة قلت لصاحبي: سل من أعظم الناس قدراً بمكّة، فسأل عن ذلك فقيل له: عبد المطّلب بن هاشم، فقلت له: سل من أعظم قريش ممّن ولد له في عامه هذا، فقيل لي: آل مخزوم، قالت: فأجلست صاحبي في الرحل وانطلقت إلى بني مخزوم، فإذا أنا بجميع نساء بني سعد قد سبقنني إلى كلّ مولود بمكّة، فبقيت لا أدري ما أقول، وندمت على دخولي مكّة، فبينا أنا كذلك إذا بعبد المطّلب، وجمّته تضرب منكبه، ينادي بنفسه بأعلى صوته: هل بقي من الرضّاع أحد، فإنّ عندي بنيّاً لي يتيماً وما عند اليتيم من الخير، إنّما يلتمس كرامة الآباء، قالت: فوقفت لعبد المطّلب وهو يومئذٍ كالنخلة طولاً، فقلت: أنعم صباحاً أيّها الملك المنادي، عندك رضيع أرضعه، فقال هلمّي، فدنوت منه، فقال لي: من أين أنت؟ فقلت: امرأة من بني سعد، فقال لي: إيه إيه كرم وزجر، ثمّ قال لي: ما اسمك؟ فقلت: حليمة، فضحك وقال: بخ بخ خلّتان حسنتان: سعد وحلم، هاتان خلّتان فيهما غنى الدهر، ويحك يا حليمة عندي بنيّ لي يتيم اسمه محمّد، وقد عرضته على جميع نساء بني سعد فأبين أن يقبلنه، وأنا أرجو أن تسعدي به، قالت: فقلت له: إنّي منطلقة إلى صاحبي ومشاورته في ذلك، قال لي: إنّك لترضعين غير كارهة، قالت: قلت: بالله لأرجعنّ إليك، قالت: فرجعت إلى صاحبي فلمّا أخبرته الخبر كأنّ الله قد قذف في قلبه فرحاً، ثمّ قال لي: يا حليمة بادري إليه لا يسبقك إليه أحدٌ، قالت: وكان معي ابن أخت لي يتيم، قال: هيهات إنّي أراكم لا تصيبون في سفركم هذا خيراً، هؤلاء نساء بني سعد يرجعن بالرضاع والشرف، وترجعون أنتم باليتيم، قالت: فأردت والله لأرجع إليه، فكأنّ الله قذف في قلبي إن فارقك محمّد لا تفلحين، وأخذتني الحميّة وقلت: هؤلاء نساء بني سعد يرجعن بالرضاع والشرف، وأرجع أنا بلا رضاع؟ والله لآخذنّه وإن كان يتيماً، فلعلّ الله أن يجعل فيه خيراً، قالت: فرجعت إلى عبد المطّلب، فقلت له: أيها الملك الكريم هلمّ الصبيّ، قال: هل

نشطت لأخذه؟ قالت: قلت: نعم، فخر عبد المطّلب ساجداً، ورفع رأسه إلى السّماء وهو يقول: اللّهمّ ربّ المروة والحطيم، أسعدها بمحمّد، ثمّ مرّ بين يديّ يجرّ حلّته فرحاً حتّى دخل بي على آمنة أمّ رسول الله ﷺ، فإذا أنا بامرأة ما رأيت في الآدميّين أجمل وجهاً منها، هلالية بدريّة، فلمّا نظرت إليّ ضحكت في وجهي، وقالت: ادخلي يا حليمة، فدخلت الدّار فأخذت بيدي، فأدخلتني بيتاً كان فيه رسول الله ﷺ، فإذا أنا به ووجهه كالشمس إذا طلعت في يوم ديجانها، فلمّا رأيته على هذه الصفة استدرّ كلّ عرق في جسدي بالضربان، فناولتني النبيّ ﷺ، فلمّا أن وضعته في حجري فتح عينيه لينظر إليّ فسطع منهما نور كنور البرق إذا خرج من خلال السحاب فألقمته ثديي الأيمن فشرب منه ساعة، ثمّ حوّلته إلى الأيسر فلم يقبله، وجعل يميل إلى اليمنى - فكان ابن عبّاس يقول: ألهم العدل في رضاعه، علم أنّ له شريكاً، فناصفه عدلاً - وكانت الثدي اليمنى تدّر لرسول الله ﷺ، والثدي اليسرى تدرّ لابني، وكان ابني لا يشرب حتّى ينظر إلى محمّد ﷺ قد شرب، وكنت كثيراً ما أسبق إلى مسح شفتيه، فكنت أسبق إلى ذلك فنام في حجري، فجعلت أنظر إلى وجهه، فرأيت عينيه مفتوحتين، وهو كالنائم، فلم أتمالك فرحاً، وأخذتني العجلة بالرجوع إلى صاحبي، فلمّا أن نظر إليه صاحبي لم يتمالك أن قام وسجد، وقال: يا حليمة ما رأيت في الآدميّين أجمل وجهاً من هذا، قالت: فلمّا كان في اللّيل وطاب النوم وهدأت الأصوات انتبهت فإذا به وقد خرج منه نور متلألئ، وإذا أنا برجل قائم عند رأسه عليه ثوب أخضر، فأنبهت صاحبي وقلت: ويحك ألا ترى إلى هذا المولود؟ قالت: فرفع رأسه فلمّا نظر إليه قال لي يا حليمة اكتمي شأنه، فقد أخذت شجرةً كريمةً لا يذهب رسمها أبداً، قالت: فأقمنا بمكّة سبعة أيّام بلياليهنّ ما من يوم إلاّ وأنا أدخل على آمنة، فلمّا عزمنا على الخروج دعتني آمنة فقالت: لا تخرجي من بطحاء مكّة حتّى تعلميني، فإنّ لي فيك وصايا أوصيك بها، قالت: فبتنا فلمّا كان في بعض اللّيل انتبهت لأقضي حاجة، فإذا برجل عليه ثياب خضرٌ قاعدٌ عند رأسه يقبّل بين عينيه، فأنبهت صاحبي رويداً فقلت: انظر إلى العجب العجيب، قال: اسكتي واكتمي شأنك، فمنذ ولد هذا الغلام قد أصبحت أحبار الدّنيا على أقدامها قياماً، لا يهنؤها عيش النهار، ولا نوم اللّيل، وما رجع أحدٌ من البلاد أغنى منّا، فلمّا أصبحنا من الغد وعزمنا على الخروج ركبت أتاني وحملت بين يدي محمّداً ﷺ، وخرجت معي آمنة تشيّعني، فجعلت الأتان تضرب بيدها ورجلها الأرض وترفع رأسها إلى السّماء فرحة مستبشرة، ثمّ تحوّلت بي نحو الكعبة، فسجدت ثلاث سجدات، حتّى استوينا مع الركب سبقت الأتان كلّ دوابّهم، فقالت نساء بني سعد: يا بنت أبي ذؤيب أليس هذا أتانك الّتي كانت تخفضك طوراً وترفعك آخر؟ فقلت: نعم، فقلن: بالله إنّ لها لشأناً عظيماً، فكنت أسمع الأتان تقول: إي والله إنّ لي لشأناً، ثمّ شأناً، أحياني الله عزّ وجلّ بعد موتي، وردّ عليّ سمني بعد هزالي، ويحكنّ يا نساء

بني سعد إنكن لفي غفلة، أتدرين من حملت؟ حملت سيّد العرب محمّداً رسول الله ربّ العالمين، هذا ربيع الدُّنيا وزهرة الآخرة، وأنا أُنادي من كلّ جانب: استغنيت يا حليمة آخر دهرك، فأنت سيّدة نساء بني سعد، قالت: فمررت براع يرعى غنماً له، فلمّا نظرت الغنم إليّ جعلن يستقبلن وتعدو إليّ كما تعدو سخالها، فسمعت من بينها قائلاً يقول: أقرّ الله عينك يا حليمة، أتدرين ما حملت؟ هذا محمّد رسول ربّ العالمين، إلى كلّ ولد آدم من الأوّلين والآخرين، قالت: فشيّعتني أمّه ساعة وأوصتني فيه بوصايا، ورجعت كالباكية، قالت: وليس كلّ الّذي رأيت في طريقي أحسن وصفه، إلاّ أنّي لم أنزل منزلاً إلاّ أنبت الله عزّوجلّ فيه عشباً، وخيراً كثيراً، وأشجاراً قد حملت من أنواع الثمر، حتّى أتيت به منزل بني سعد، وما نعلم والله أنّ أرضاً كانت أجدب منها، ولا أقلّ خيراً، وكانت لنا غنيمات دبرات مهزولات، فلمّا صار رسول الله ﷺ في منزلي صارت غنمي تروح شباعاً حافلة، تحمل وتضع وتدرّ وتحلب، ولا تدرّ في بني سعد لأحد من الناس غيري، فجمعت بنو سعد رعاتها وقالوا لهم: ما بال أغنام حليمة بنت أبي ذؤيب تحمل وتضع وتدرّ وتحلب، وأغنامنا لا تحمل ولا تضع ولا تأتي بخير؟ اسرحوا حيث تسرح رعاة بنت أبي ذؤيب حتّى تروح غنمكم شباعاً حافلة، قالت: فلم نزل نتعرّف من الله الزيادة والبركة والفضل والخير ببركة النبيّ ﷺ حتّى كنا نتفضّل على قومنا، وصاروا يعيشون في أكنافنا، فكنت أرى من يومه عجباً، ما رأيت له بولاً قطّ، ولا غسلت له وضوءاً قطّ، طهارة ونظافةً، وذلك أنّي كنت أسبق إلى ذلك، وكان له في كلّ يوم وقت واحد يتوضّأ فيه ولا يعود إلى وقته من الغد، ولم يكن شيء أبغض إليه من أن يرى جسده مكشوفاً، فكنت إذا كشفت عن جسده يصيح حتّى أسترعليه، فانتبهت ليلة من اللّيالي فسمعته يتكلّم بكلام لم أسمع كلاماً قطّ أحسن منه، يقول: «لا إله إلاّ الله قدّوساً قدّوساً، وقد نامت العيون والرّحمن لا تأخذه سنة ولا نوم» وهو عند أوّل ما تكلم، فكنت أتعجّب من ذلك، وكان يشبّ شباباً لا يشبه الغلمان، ولم يبك قطّ، ولم يسيء خلقه، ولم يتناول بيساره، وكان يتناول بيمينه، فلمّا بلغ النطق لم يمسّ شيئاً إلاّ قال: (بسم الله) فكنت معه في كلّ دعة وعيش وسرور، وكنت قد اجتنبت الزوج لا أغتسل منه هيبةً لرسول الله ﷺ، حتّى تمّت له سنتان كاملتان، وقد ثمّر الله لنا الأموال، وأكثر لنا من الخير، فكانت تحمل لنا الأغنام، وتنبت لنا الأرض، وقد ألقى الله محبّته على كلّ من رآه، فبينا هو قاعد في حجري إذا مرّت به غنيماتي فأقبلت شاة من الغنم حتّى سجدت له، وقبّلت رأسه، فرجعت إلى صويحباتها، وكان ينزل عليه في كلّ يوم نور كنور الشمس فيغشاه ثمّ ينجلي عنه، وكان أخواه من الرضاعة يخرجان فيمرّان بالغلمان فيلعبان معهم، وإذا رآهم محمّد ﷺ اجتنبهم وأخذ بيد أخويه ثمّ قال لهما: إنّا لم نخلق لهذا، فلمّا تمّ له ثلاث سنين قال لي يوماً: يا أُماه ما لي لا أرى أخويّ بالنهار؟ قلت له: يا بنيّ إنّهما يرعيان غنيمات، قال: فما لي لا

أخرج معهما؟ قلت له: تحبّ ذلك؟ قال: نعم، فلمّا أصبح دهنته وكحلته وعلّقت في عنقه خيطاً فيه جزع يمانيّة، فنزعها ثمّ قال لي: مهلاً يا أمّاه فإنّ معي من يحفظني، قالت: ثمّ دعوت بابنيّ فقلت لهما: أوصيكما بمحمّد خيراً، لا تفارقاه، وليكن نصب أعينكما، قالت: فخرج مع أخويه في الغنم، فبينا هم يترامون بالجلّة يعني البعر إذ هبط جبرائيل وميكائيل ومعهما طست من ذهب فيه ماء وثلج فاستخرجاه من الغنم والصبية فأضجعاه وشقّا بطنه، وشرحا صدره، فاستخرجا منه نكتة سوداء وغسلاه بذلك الماء والثلج، وحشيا بطنه نوراً، ومسحا عليه فعاد كما كان، قالت: فلمّا رأى أخواه ذلك أقبل أحدهما اسمه ضمرة يعدو وقد علاه النفس وهو يقول: يا أمّه أدركي أخي محمّداً وما أراك تدركينه، قالت: فقلت: وما ذاك؟ قال: أتاه رجلان عليهما ثياب خضر فاستخرجاه من بيننا وبين الغنم فأضجعاه وشقّا بطنه، وهما يتوطّآنه، قالت: فخرجت أنا وأبوه ونسوة من الحيّ فإذا أنا به قائماً ينظر إلى السّماء، كأنّ الشمس تطلع من وجهه، فالتزمته والتزمه أبوه، ووالله لكأنّما غمس في المسك غمسة، وقال له أبوه: يا بنيّ ما لك؟ قال: خير يا أبه، أتاني رجلان انقضّا عليّ من السّماء كما ينقضّ الطير فأضجعاني وشقّا بطني، وحشياه بشيء كان معهما، ما رأيت ألين منه، ولا أطيب ريحاً ومسحا على بطني، فعدت كما كنت، ثمّ وزناني بعشرة من أمّتي فرجحتهم، فقال أحدهما: فلو وزنته بأمّته كلّها لرجح، وطارا كذلك حتّى دخلا السّماء، قالت: فحملناه إلى خيم لنا، فقال الناس: اذهبوا به إلى كاهن حتّى ينظر إليه ويداويه، فقال محمد: ما بي شيء ممّا تذكرون، وإنّي أرى نفسي سليمة، وفؤادي صحيحاً بحمد الله، فقال الناس: أصابه لمم أو طائف من الجنّ.

قالت: فغلبوني على رأيي حتّى انطلقت به إلى كاهن، فقصصت قصّته، قال: دعيني أن أسمع من الغلام؟ فإنّ الغلام أبصر بأمره منكم، تكلّم يا غلام، قالت حليمة: فقصّ ابني محمّد ﷺ قصّته من أوّلها إلى آخرها، فوثب الكاهن قائماً على قدميه وضمّه إلى صدره ونادى بأعلى صوته: يا آل العرب يا آل العرب، من شرّ قد اقترب، اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه، فإنكم إن تركتموه وأدرك مدرك الرجال ليسفهنّ أحلامكم، وليبدلنّ أديانكم، وليدعونكم إلى ربّ لا تعرفونه، ودين تنكرونه، قالت: فلمّا سمعت مقالته انتزعته من يده وقلت: أنت أعته وأجنّ من ابني، ولو علمت أنّ هذا يكون منك ما أتيتك به، اطلب لنفسك من يقتلك فإنّا لا نقتل محمداً، فاحتملته وأتيت به منزلي، فما بقي يومئذٍ في بني سعد بيت إلاّ ووجد منه ريح المسك.

وكان ينقضّ عليه كلّ يوم طيران أبيضان يغيبان في ثيابه ولا يظهران، فلمّا رأى أبوه ذلك قال لي: يا حليمة إنّا لا نأمن على هذا الغلام، وقد خشيت عليه من تبّاع الكهنة فألحقيه بأهله قبل أن يصيبه عندنا شيء، قالت: فلمّا عزمت على ذلك سمعت صوتاً في جوف اللّيل ينادي: ذهب ربيع الخير، وأمان بني سعد، هنيئاً لبطحاء مكّة إذا كان مثلك فيها يا محمّد، فالآن قد

أمنت أن تخرب، أو يصيبها بؤس بدخولك إليها يا خير البشر، قالت: فلمّا أصبحت ركبت أتاني ووضعت النبيّ ﷺ بين يدي، فلم أكن أقدر أفارقه ممّا كنت أنادى يمنةً ويسرةً حتّى انتهيت به إلى الباب الأعظم من أبواب مكّة وعليه جماعة مجتمعون، فنزلت لأقضي حاجةً وأنزلت النبيّ ﷺ فغشيتني كالسّحابة البيضاء وسمعت وجبة شديدة، ففزعت، وجعلت ألتفت يمنةً ويسرة ونظرت فلم أر النبيّ ﷺ، فصحت: يا معشر قريش الغلام الغلام، قالوا: ومن الغلام؟ قلت: محمّد بن آمنة، قالوا: ومن أين كان معك محمّد لعلّك تحلمين أو منك هذيان؟ قلت: لا والله ما حلمت وإنّي لفي يقين من أمري، فجعلت أبكي وأنادي: وا محمّداه، فبينا أنا كذلك إذا أنا بشيخ كبير فقال لي: أيّتها السعديّة إنّ لك لقصّة عجيبة، قالت: قلت: إي والله لقصّتي عجيبة، محمّد بن آمنة أرضعته ثلاثة أحوال لا أفارقه ليله ونهاره، فنعشني الله به، وأنضر وجهي، ومنّ عليّ، وأفضل ببركته حتّى إذا ظننت أنّي قد بلغت به الغاية أدّيت إلى أمّه الأمانة لأخرج من عهدي وأمانتي، فاختلس منّي اختلاساً قبل أن يمسّ قدمه الأرض، وإنّي أحلف بإله إبراهيم لئن لم أجده لأرمينّ بنفسي من حالق الجبل، قالت: وقال لي الشيخ: لا تبكي أيّتها السعديّة ادخلي على هبل، فتضرّعي إليه فلعلّه يردّه عليك فإنّه القويّ على ذلك العالم بأمره، قالت: فقلت له: أيّها الشيخ كأنّك لم تشهد ولادة محمّد ليلة ولد ما نزل باللّات والعزّى؟ فقال لي: أيّتها السعديّة إنّي أراك جزعة، فأنا أدخل على هبل وأذكر أمرك له، فقد قطعت أكبادنا ببكائك، وما لأحد من الناس على هذا صبر، قالت: فقعدت مكاني متحيّرة، ودخل الشيخ على هبل وعيناه تذرفان بالدموع فسجد له طويلاً، وطاف به أسبوعاً، ثمّ نادى: يا عظيم المنّ، يا قويّاً في الأمور، إنّ منّتك على قريش لكثيرة، وهذه السعديّة رضيعة محمّد تبكي، قد قطع بكاؤها الأنياط، وأبرز العذارى، فإن رأيت أن تردّه عليها إن شئت، قالت: فارتجّ والله الصنم، وتنكّس ومشى على رأسه وسمعت منه صوتاً يقول: أيّها الشيخ أنت في غرور، ما لي ولمحمّد، وإنّما يكون هلاكنا على يديه، وإنّ ربّ محمّد لم يكن ليضيّعه ويحفظه، أبلغ عبدة الأوثان أنّ معه الذبح الأكبر، إلا أن يدخلوا في دينه، قالت: فخرج الشيخ فزعاً مرعوباً، نسمع لسنّه قعقعة، ولركبتيه اصطكاكاً يقول لي: يا حليمة ما رأيت من هبل مثل هذا، فاطلبي ابنك، إنّي أرى لهذا الغلام شأناً عظيماً، قالت: فقلت لنفسي: كم تكتم أمره عبد المطّلب، أبلغه الخبر قبل أن يأتيه من غيري، قالت: فدخلت على عبد المطّلب، فلمّا نظر إليّ قال لي: يا حليمة ما لي أراك جزعة باكية، ولا أرى معك محمّداً؟ قالت: قلت: يا أبا الحارث جئت بمحمّد أسرّ ما كان، فلمّا صرت على الباب الأعظم من أبواب مكّة نزلت لأقضي حاجةً فاختلس منّي اختلاساً قبل أن يمسّ قدمه الأرض، فقال لي: اقعدي يا حليمة، قالت: ثمّ علا الصفا فنادى: يا آل غالب، يعني يا آل قريش، فاجتمع إليه الرجال فقالوا له: قل يا أبا الحارث فقد أجبناك، فقال لهم:

إنّ ابني محمّداً قد فقد، قالوا له: فاركب يا أبا الحارث حتّى نركب معك، قالت: فدعا عبد المطّلب براحلته فركبها، وركب الناس معه، فأخذ أعلى مكّة وانحدر على أسفلها. فلمّا أن لم ير شيئاً ترك الناس واتّزر بثوب، وارتدى بآخر، وأقبل إلى البيت الحرام فطاف به أسبوعاً وأنشأ يقول:

يا ربّ ردّ راكبي محمّدا ردّ إليّ واتّخذ عندي يدا
أنت الذي جعلته لي عضدا يا ربّ إن محمّداً لم يوجدا
فجمع قومي كلّهم تبدّدا

قال: فسمعنا منادياً ينادي من جوّ الهواء: معاشر الناس، لا تضجّوا، فإنّ لمحمّد ربّاً لا يضيّعه ولا يخذله، قال عبد المطّلب: يا أيّها الهاتف من لنا به؟ وأين هو؟ قال: بوادي تهامة، فأقبل عبد المطّلب راكباً متسلحاً، فلمّا صار في بعض الطريق تلقاه ورقة بن نوفل فصارا جميعاً يسيران، فبينما هم كذلك إذا النبيّ ﷺ تحت شجرة، وقال بعضهم: بينا أبو مسعود الثقفيّ وعمرو بن نوفل يدوران على رواحلهما إذا هما برسول الله قائماً عند شجرة الطلحة وهي الموز يتناول من ورقها، فقال أبو مسعود لعمرو: شأنك بالغلام، فأقبل إليه عمرو وهو لا يعرفه، فقال له: من أنت يا غلام؟ فقال: أنا محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم، فاحتمله بين يديه على الراحلة حتّى أتى به عبد المطّلب.

قال إسحاق: فحدّثني سلمة، عن محمّد، عن يزيد، عن ابن عبّاس أنّه قال: لمّا أن ردّ الله محمّداً على عبد المطّلب تصدّق ذلك اليوم على فقراء قريش بألف ناقة كوماء، وخمسين رطلاً من ذهب، ثمّ جهّز حليمة بأفضل الجهاز.

٢٦ - وروي أنّه لمّا سلّمته أمّه إلى حليمة السعدية لترضعه، وقامت سوق عكاظ، انطلقت به إلى عرّاف من هذيل يريه الناس صبيانهم، فلمّا نظر إليه صاح: يا معشر هذيل، يا معشر العرب، فاجتمع الناس من أهل المواسم، فقال: اقتلوا هذا الصبيّ، فانسلّت به حليمة، فجعل الناس يقولون: أيّ صبيّ؟ فيقول: هذا الصبيّ، فلا يرون شيئاً قد انطلقت به أمّه، فيقال: ما هو؟ فيقول: رأيت غلاماً وآلهته ليقتلنّ أهل دينكم، وليكسرنّ آلهتكم، وليظهرنّ أمره عليكم، فطلب بعكاظ فلم يوجد، ورجعت به حليمة إلى منزلها فكانت بعد لا تعرضه لعرّاف ولا لأحد من الناس.

٢٧ - وروي بإسناد ذكره عن شدّاد بن أوس قال: بينا رسول الله ﷺ يحدّثنا على باب الحجرات إذ أقبل شيخ من بني عامر هو مدرة قومه وسيّدهم، شيخ كبير يتوكّأ على عصاه، فمثل بين يدي رسول الله ﷺ ونسبه إلى جدّه، فقال: يابن عبد المطّلب إنّي أنبئت أنّك رسول الله إلى الناس، أرسلك بما أرسل به إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الانبياء عليهم السلام، ألا وإنّك تفوّهت بعظيم، إنّما كانت الأنبياء والخلفاء في بيتين من بيوت بني

إسرائيل: بيت خلافة، وبيت نبوّة، فلا أنت من أهل هذا البيت، ولا من أهل هذا البيت، إنّما أنت رجل من العرب، ممّن كان يعبد هذه الحجارة والأوثان، فما لك وللنّبوّة؟ ولكن لكلّ قول حقيقةٌ فأتني بحقيقة قولك، وبدء شأنك، فأعجب النبيّ ﷺ مساءلته، ثمّ قال: يا أخا بني عامر إنّ للحديث الّذي تسأل عنه نبأ فاجلس فسل، فثنى رجله وبرك كما يبرك البعير، فاستقبله رسول الله ﷺ بالحديث، فقال: يا أخا بني عامر إنّ حقيقة قولي وبدء شأني أنّي دعوة إبراهيم عليه السلام، وبشرى أخي عيسى بن مريم عليه السلام وإنّي كنت بكر أمي، وإنّها حملتني كأثقل ما تحمل النساء حتّى جعلت تشتكي إلى صواحباتها ثقل ما تجد، ثمّ إنّ أمّي رأت في المنام أنّ الّذي في بطنها نور حتّى أضاءت له مشارق الأرض ومغاربها، ثمّ إنّها ولدتني، فلمّا نشأت بغضت إليّ الأوثان، وبغض إليّ الشعر، وكنت مسترضعاً في بني بكر، فبينا أنا ذات يوم مع أتراب لي من الصبيان في بطن وادٍ وإذا أنا برهطٍ معهم طشت من ذهب ملآن ثلجاً، فأخذوني من بين أصحابي، وانطلقوا أصحابي هراباً حتّى إذا انتهوا إلى شفير الوادي أقبلوا على الرهط، فقالوا: ما رابكم إلى هذا الغلام، فإنّه ليس منّا، هذا ابن سيّد قريش وهو مسترضع فينا من غلام ليس له أب ولا أمّ، فماذا يردّ عليكم قتله، وما تصيبون من ذلك؟ فإن كنتم لا بدّ قاتليه فاختاروا منّا أيّنا شئتم فاقتلوه مكانه، ودعوا هذا الغلام، فلمّا رأى الصبيان أنّ القوم لا يحيرون إليهم جواباً انطلقوا هراباً مسرعين إلى الحيّ، يؤذنونهم بي ويستصرخونهم على القوم، فعمد أحدهم فأضجعني على الأرض إضجاعاً لطيفاً، ثمّ شقّ ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي، وأنا أنظر إليه، لا أجد لذلك مسّاً، ثمّ أخرج أحشاء بطني فغسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها، ثمّ أعادها مكانها، ثمّ قام الثاني منهم فقال لصاحبه: تنحّ، فنحّاه عنّي، ثمّ أدخل يده في جوفي فأخرج قلبي فصدعه، فأخرج منه مضغة سوداء فرمى بها، ثمّ قال بيده: يمنةً منه، كأنّه تناول شيئاً، فإذا أنا في يده بخاتم نور تحار أبصار الناظرين دونه، فختم به قلبي فامتلأ نوراً، وذلك نور النبوّة والحكمة، ثمّ أعاده إلى مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم، ثمّ قام الثالث منهم فقال لصاحبه: تنحّ، فنحّاه عنّي وأمرّ يده ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي فالتأم ذلك الشقّ بإذن الله عزّ وجلّ ثمّ أخذ بيدي فأنهضني من مكاني إنهاضاً لطيفاً، ثمّ قال للأوّل الّذي شقّ بطني: زنه بعشرة من أمّته، فوزنني بهم فرجحتهم، ثمّ قال: زنه بمائة من أمّته، فوزنني بهم فرجحتهم، ثمّ قال: زنه بألف من أمّته فوزنني بهم فرجحتهم، فقال: دعوه فلو وزنتموه بأمّته كلّها رجحهم، ثمّ انكبّوا عليّ فضمّوني إلى صدورهم فقبّلوا رأسي وما بين عيني، ثمّ قالوا: يا حبيب لم ترع، إنّك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرّت عينك فبينا نحن كذلك إذا نحن بالحيّ قد جاؤا بحذافيرهم، وإذا أمّي وهي ظئري أمام الحيّ تهتف بأعلى صوتها وهي تقول: يا ضعيفاه استضعفت من بين أصحابك فقتلت لضعفك، فانكبّوا عليّ وضمّوني إلى صدورهم وقبّلوا رأسي وما بين عينيّ وقالوا: حبّذا أنت من

ضعيف، قالت ظئري: يا وحيداه، فانكبّوا عليّ وقالوا: حبّذا أنت من وحيد، وما أنت بوحيد، إنّ الله عزّوجلّ معك، والملائكة والمؤمنون من أهل الأرض، ثمّ قالت ظئري: يا يتيماه، فانكبّوا عليّ وقالوا: حبّذا أنت من يتيم، ما أكرمك على الله عزّوجلّ ولو تدري ما يراد بك من الخير، فلمّا بصرت بي أمّي وهي ظئري قالت: يا بني لا أراك حيّاً بعد؟ فجاءت فأخذتني وضمّتني إلى صدرها، وأجلستني في حجرها، فوالّذي نفسي بيده إنّي لفي حجرها، وإنّ يدي لفي يد بعضهم، فجعلت ألتفت إليهم فظننت أنّهم يبصرونهم، فإذا هم لا يبصرونهم، فيقول بعض القوم: قد أصاب هذا الغلام لمم أو طيف من الجنّ، فاذهبوا به إلى كاهننا حتّى ينظر إليه ويداويه، فقلت: يا هذا ما بي شيء ممّا تذكرون، إنّي لأرى نفسي سليمة، وفؤادي صحيحاً، ليس بي قلبة، فقال أبي وهو زوج ظئري: ألا ترون إلى كلامه صحيحاً؟ إنّي لأرجو أن لا يكون بابني بأس، فأتوا بي كاهنهم فقصّوا عليه قصّتي، فقال: اسكتوا حتّى أسمع من الغلام أمره، فهو أعلم بأمره منكم، فسألني فقصصت عليه أمري من أوّله إلى آخره، فوثب إليّ وضمّني إلى صدره، ثمّ نادى بأعلى صوته: يا للعرب، مرّتين، اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه، فواللّات والعزّى لئن تركتموه وأدرك ليخالفنّ أمركم، وليسفهنّ عقولكم وعقول آبائكم، وليبدلنّ دينكم، وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله، فعمدت ظئري فانتزعتني من حجره وقالت: لأنت أعته وأجنّ من ابني هذا، ولو علمت أنّ هذا قولك ما أتيتك به، فاطلب لنفسك من يقتلك، فإنّا غير قاتل هذا الغلام، ثمّ احتملوني فأدّوني إلى أهلي، وأصبحت معرى ممّا فعل بي، وأصبح أثر الشقّ ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي كأنّه الشراك، فذاك يا أخا بني عامر حقيقة أمري، وبدء نشأتي.

فقال العامريّ: أشهد بالله الّذي لا إله غيره أنّ أمرك حقّ، فأنبئني عن أشياء أسألك عنها، قال: سل عنك، كلّمه بلغة عامر، قال: يابن عبد المطّلب ماذا يزيد في العلم قال: التعلّم، قال: فما يزيد في الشر؟ قال: التمادي، قال: هل ينفع البرّ بعد الفجور؟ قال: نعم التوبة تغسل الحوبة، والحسنات يذهبن السيّئات، وإذا ذكر العبد ربّه عزّوجلّ في الرخاء أجابه عند البلاء، قال يابن عبد المطّلب: وكيف ذاك؟ قال: لأنّ الله عزّوجلّ يقول: وعزّتي وجلالي لا أجمع أبداً لعبدي أمنين، ولا أجمع عليه أبداً خوفين، إن هو أمنني في الدنيا خافني يوم أجمع فيه عبادي لميقات يوم معلوم، فيدوم له خوفه، وإن هو خافني في الدّنيا أمنني يوم أجمع فيه عبادي في حظيرة القدس، فيدوم له أمنه، ولا أمحقه فيمن أمحق، قال: يابن عبد المطّلب فإلى ما تدعو؟ قال: أدعو إلى عبادة الله عزّوجلّ ، وحده لا شريك له، وأن تخلع الأنداد، وتكفر باللّات والعزّى، وتقرّ بما جاء به الله عزّوجلّ من كتاب أو رسول، وتصلّي الصلوات الخمس بحقائقهنّ، وتؤدّي زكاة مالك يطهّرك الله عزّوجلّ ويطهّر لك مالك، وتصوم شهراً من السنة، وتحجّ البيت إذا وجدت إليه سبيلاً، وتغتسل من الجنابة، وتؤمن بالموت، وبالبعث بعد الموت، وبالجنّة والنار، قال: يابن عبد المطّلب فإذا فعلت ذلك فما لي؟ قال: جنّات

عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكّى، قال: يابن عبد المطّلب فهل مع هذا شيء من الدنيا؟ فإنّه يعجبني الوطأة في العيش، قال: نعم النصر والتمكين في البلاد، فأجاب وأناب.

هذا حديث حسن غريب بهذا السياق يعدّ في إفراد محمّد بن يعلى.

ومدره القوم: خطيبهم، والمتكلّم عنهم. وقوله: فمثل، أي قام، وتفوّهت أي تكلّمت.

وقوله: دعوة إبراهيم هي قول الله عزّ وجلّ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾. وقوله: إنّي كنت بكر أمّي، أي أوّل ولد ولدته، وفي نسخة: كنت في بطن أمّي وقوله: ما رابكم أي ما شكّكم، ومعناه هاهنا: ما دعاكم إلى أخذ هذا الغلام، وقوله: فماذا يردّ عليكم قتله؟ أي ما ينفعكم ذلك. ولا يحيرون أي لا يرجعون ولا يردّون. ويؤذنونهم: يعلمونهم. ويستصرخون أي يستغيثون بهم. وقوله: فأنعم غسلها، أي بالغ فيه. وقوله: فصدعه، أي فشقّه. وقوله: ثمّ قال بيده يمنةً منه، أي أشار بيده إلى جانب يمينه. قوله: فإذا أنا في يده بخاتم نور، أي رأيت حينئذٍ ذلك في يده. وقوله: رجحهم، أي رجح بهم وعليهم. وقوله: لم ترع، أي لا تخف. وجواب قوله: «ولو تدري ما يراد بك» في المرّة الأخيرة محذوف، تقديره: لقرّت عينك. والقلبة: الدّاء. واللاّم في يا للعرب للاستغاثة. وقوله: معرى من العرواء وهي الرعدة. وقوله: سل عنك، وفي رواية أخرى قال: كان النبيّ ﷺ يقول للسّائلين قبل ذلك: سل عمّا شئت وعما بدا لك، فقال للعامريّ: سل عنك، لأنّها لغة بني عامر، فكلّمه بما يعرف. قوله: فأتيني بحقيقة ذلك وفي رواية: فأنبئني. والحوبة: الإثم. والوطأ: النعمة.

٢٨ - **كنز الكراجكي:** روي عن حليمة السعديّة قالت: لمّا تمّت للنّبيّ ﷺ سنة تكلّم بكلام لم أسمع أحسن منه، سمعته يقول: «قدّوس قدّوس، نامت العيون والرّحمن لا تأخذه سنة ولا نوم» ولقد ناولتني امرأة كفّ تمرّ من صدقة فناولته منه وهو ابن ثلاث سنين فردّه عليّ، وقال: يا أمّه لا تأكلي الصدقة، فقد عظمت نعمتك، وكثر خيرك، فإنّي لا آكل الصدقة، قالت: فوالله ما قبلتها بعد ذلك[1].

٢٩ - ثمّ قال الكازرونيّ: روي أنّ شقّ صدره ﷺ كان في سنة ثلاث من مولده وقيل: في سنة أربع على ما روي عن محمّد بن سعد، عن محمّد بن عمر، عن أصحابه قال: مكث ﷺ عندهم سنتين حتّى فطم، وكان ابن أربع سنين فقدموا به على أمّه زائرين لها به، وأخبرتها حليمة خبره وما رأوا من بركته، فقالت آمنة: ارجعي بابني فإنّي أخاف عليه وباء مكّة، فوالله ليكوننّ له شأن، فرجعت به، ولمّا بلغ أربع سنين أتاه الملكان فشقّا بطنه، ثمّ نزلت به إلى آمنة وأخبرتها خبره، ثمّ رجعت به أيضاً، وكان عندها سنة ونحوها لا تدعه

(١) كنز الفوائد، ج ١ ص ١٦٨.

يذهب مكاناً بعيداً، ثمّ رأت غمامة تظلّه إذا وقف وقفت، وإذا سار سارت، فأفزعها ذلك أيضاً من أمره، فقدمت به إلى أمّه لتردّه وهو ابن خمس سنين، فأضلّته في الناس فالتمسته فلم تجده، وذكر نحو ما تقدّم.

وقد روي أنّ عبد المطّلب بعثه ﷺ في حاجة وضاع، وفي الأخبار أنّ حليمة قدمت على رسول الله ﷺ بمكّة وقد تزوّج بخديجة فشكت إليه جدب البلاد وهلاك الماشية فكلّم رسول الله ﷺ خديجة، فأعطتها أربعين شاةً وبعيراً، وانصرفت إلى أهلها، ثمّ قدمت عليه ﷺ بعد الإسلام فأسلمت هي وزوجها.

وروي في الحديث: استأذنت امرأة على النبيّ ﷺ كانت أرضعته، فلمّا دخلت عليه قال أمّي أمّي، وعمد إلى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه.

وروى عن أبي حازم قال: قدم كاهن مكّة ورسول الله ابن خمس سنين، وقد قدمت به ظئره إلى عبد المطّلب، وكانت تأتيه به في كلّ عام، فنظر إليه الكاهن مع عبد المطّلب فقال: يا معشر قريش اقتلوا هذا الصبي فإنّه يفرّقكم ويقتلكم، فهرب به عبد المطّلب فلم يزل قريش تخشى من أمره ما كان الكاهن حذّرهم من أمره.

وفي سنة ستّ من مولده ﷺ ماتت أمّه كما مرّ ذكره.

ولنذكر ما حدث في سنة سبع من مولده ﷺ: روي عن نافع بن حسين قال: كان رسول الله ﷺ يكون مع أمّه آمنة فلمّا توفّيت قبضه إليه جدّه عبد المطّلب، وضمّه ورقّ عليه رقّة لم يرقّها على ولده، وكان يقرّبه منه ويدنيه، ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام، وكان يجلس على فراشه، فيقول عبد المطّلب إذا رأى ذلك: دعوا ابني فإنّه يؤنس ملكاً، وقال قوم: من بني مدلج لعبد المطّلب احتفظ به فإنّا لم نر قدماً أشبه بالقدم الّتي في المقام منه، فقال عبد المطّلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء، فكان أبو طالب يحتفظه، وقال عبد المطّلب لأمّ أيمن وكانت تحضن رسول الله ﷺ: يا بركة لا تغفلي عن ابني، فإنّ أهل الكتاب يزعمون أنّ ابني نبيّ هذه الأمّة، وكان عبد المطّلب لا يأكل طعاماً إلا قال: عليّ بابني، فيؤتى به إليه، فلما حضرت عبد المطّلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله ﷺ وحياطته.

وممّا وقع في تلك السنة ما روي أنّه أصاب رسول الله ﷺ رمد شديد فعولج بمكّة فلم يغن عنه، فقيل لعبد المطّلب: إنّ في ناحية عكاظ راهباً يعالج الأعين، فركب إليه فناداه وديره مغلق فلم يجب، فتزلزل به ديره حتّى خاف أن يسقط عليه، فخرج مبادراً فقال: يا عبد المطّلب إنّ هذا الغلام نبيّ هذه الأمّة، ولو لم أخرج إليك لخرّ عليّ ديري فارجع به واحفظه لا يغتاله بعض أهل الكتاب، ثمّ عالجه وأعطاه ما يعالج به، وألقى الله له المحبّة في قلوب قومه وكلّ من يراه.

ومن ذلك خروج عبد المطّلب برسول الله ﷺ يستسقون كما روي بإسناد ذكره عن رقيقة بنت صيفي بن هاشم قالت: تتابعت على قريش سنون أقحلت الضرع، وأرمّت العظم - ويروى وأرقّت وأدقّت - فبينا أنا راقدة اللّهمّ أو مهوّمة ومعي صنوي فإذا أنا بهاتف صيت يصرخ بصوت صحل يقول: يا معشر قريش إنّ هذا النبيّ المبعوث منكم هذا إبان نجومه، فحيّ هلا بالحيا والخصب، ألا فانظروا رجلاً منكم طوالاً عظاماً، أبيض بضّاً، أشمّ العرنين، سهل الخدّين، له فخر، يكظم عليه. ويروى: رجلاً وسيطاً عظاماً جساماً أوطف الأهداب، ألا فليخلص هو وولده وليدلف إليه من كلّ بطن رجل، ألا فليشنّوا من الماء، وليمسّوا من الطيب، وليطوفوا بالبيت سبعاً، ألا وفيهم الطيّب الطاهر لداته، ألا فليستسق الرجل وليؤمّن القوم، ألا فغثتم إذا ما شئتم وعشتم، قالت: فأصبحت مذعورة قد قفّ جلدي، ودله عقلي، واقتصصت رؤياي فوالحرمة والحرم إن بقي أبطحيّ إلاّ قال: هذا شيبة الحمد، وتتامت عنده قريش، وانقضّ إليه من كلّ بطن رجل فشنّوا ومسّوا واستلموا وطوفوا، ثمّ ارتقوا أبا قبيس، وطفق القوم يدفّون حوله ما إن يدرك سعيهم مهله حتّى قرّوا بذروة الجبل، واستكفّوا جنابيه، فقام عبد المطّلب فاعتضد ابن ابنه محمّداً فرفعه على عاتقه وهو يومئذٍ غلام قد أيفع أو كرب، ثمّ قال: «اللّهمّ سادّ الخلة، وكاشف الكربة، أنت عالم غير معلّم، مسؤول غير مبخل، وهذه عبداؤك، وإماؤك، بعذرات حرمك يشكون إليك سنتهم الّتي أذهبت الخفّ والظلف، فاسمعنّ اللّهمّ، وأمطرنّ علينا غيثاً مريعاً مغدقاً» فما راموا البيت حتّى انفجرت السّماء بمائها، وكظّ الوادي بثجيجه، فسمعت شيخان العرب وجلّها: عبد الله بن جدعان وحرب بن أميّة وشهاب بن المغيرة يقولون لعبد المطّلب: هنيئاً لك أبا البطحاء! وفي ذلك قالت رقيقة:

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا ... فقد فقدنا الحيا واجلوّذ المطر
فجاد بالماء جونيّ له سبل ... سحاً فعاشت به الأنعام والشجر
منّاً من الله بالميمون طائره ... وخير من بشّرت يوماً به مضر
مبارك الاسم يستسقى الغمام به ... ما في الأنام له عدلٌ ولا خطر

قوله: أقحلت من قحل قحولاً: إذا يبس. راقدة أي نائمة. مهوّمة يقال: هوّم أي هزّ رأسه من النعاس. صيّت فيعل من صات يصوت كالميّت من مات. والصحل: الذي في صوته ما يذهب بحدّته من بحّة وهو مستلذّ في السمع. إبّان نجومه: وقت ظهوره، وهو فعلان من آب الشيء: إذا تهيّأ. وحيّ هلا أي ابدأ به واعجل بذكره. والحيا بفتح الحاء مقصوراً: المطر لأنّه حياة الأرض. وطوال مبالغة في طويل، وكذا عظام وجسام، وفعال مبالغة في فعيل، وفعّال أبلغ منه، نحو كرام وكرّام. والكظم الإمساك وترك الإبداء، أي إنّه من ذوي الحسب والفخر وهو لا يبدي ذلك. والبضّ بالباء الموحّدة المفتوحة، والضّاد المعجمة، من البضاضة وهو رقّة اللّون وصفاء البشرة. والعرنين بالكسر: الأنف، وقيل: رأسه.

والوسيط: أفضل القوم من الوسط. أوطف الأهداب: طويلها. فليخلص أي فليتميّز هو وولده من الناس من قوله تعالى: ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾. وليدلف إليه وليقبل إليه من الدليف وهو المشي الرويد، والتقدّم في رفق. وشنّ الماء: صبّه على رأسه، وقيل: الشنّ: صبّ الماء متفرّقاً. قوله: لداته على وجهين: أن يكون جمع لدة مصدر ولد نحو عدة وزنة، يعني أنّ مولده ومواليد من مضى من آبائه كلّها موصوف بالطهر والذكاء، وأن يراد أترابه، وذكر الأتراب أسلوب من أساليبهم في تثبيت الصفة وتمكينها، لأنّه إذا جعل من جماعة وأقران ذوي طهارة فذاك أثبت لطهارته وأدلّ على قدسه. غثتم: مطرتم بكسر الغين، أو بضمّه. قفّ: تقبّض واقشعر. والقفّة: الرعدة. دله: دهش وتحيّر. شيبة الحمد: اسم لعبد المطّلب عامر، وإنّما قيل له: شيبة لشيبة كانت في رأسه حين ولد، وقد مرّ سبب تسميته بعبد المطّلب. تتامت التّتام: التوافر. يدفّون الدفيف: المرّ السريع. والمهل بالإسكان: التؤدة. استكفّوا: أحدقوا من الكفّة وهي ما استدار ككفّة الميزان. جنابيه أي جانبيه. أيفع: ارتفع. كرب: قرب من الإيقاع، ومنه الكرّوبيّون: المقرّبون من الملائكة. والعبداء والعبدى بالمدّ والقصر: العبيد. والعذرة: الفناء. وكظيظ الوادي: امتلاؤه. والثجيج: الماء المثجوج، أي المصبوب. والشيخان: جمع شيخ كالضيفان في ضيف. وقيل له: أبو البطحاء لأنّ أهلها عاشوا به وانتعشوا، كما يقال للّطعام: أبو الأضياف. واجلوّذ أي كثر وامتدّ. جونيّ: سحاب أسود، وسبل: جار. سحاً أي منّصباً. والعدل: المثل، وكذلك الخطر.

ثمّ قال: ومن ذلك خروج عبد المطّلب لتهنئة سيف بن ذي يزن كما حدّثنا إسماعيل بن المظفّر بإسناده عن عفير بن زرعة بن سيف بن ذي يزن قال: لمّا ظفر جدّي سيف على الحبشة وذلك بعد مولد النبيّ ﷺ بسنتين أتت وفود العرب وأشرافها وشعراؤها لتهنئته، وتذكّر ما كان من بلائه وطلبه بثار قومه.

أقول: وساق الحديث مثل ما تقدّم برواية الصّدوق في باب البشائر.

ثمّ قال: هذا الحديث دالّ على أنّ الوفادة إلى ابن ذي يزن كان في سنة ثلاث من مولد رسول الله ﷺ، والأصحّ أنّها كانت سنة سبع، لأنّه يقول عبد المطّلب: توفّي أبوه وأمّه وكفلته أنا وعمّه، وأمّ رسول الله ﷺ لم تمت حتّى بلغ ستّ سنين.

ثمّ قال: وأمّا ما كان سنة ثمان من مولده ﷺ فمن ذلك موت عبد المطّلب رحمه الله، وكان يوصي برسول الله ﷺ عمّه أبا طالب، وذلك أنّ أبا طالب وعبد الله أبا رسول الله ﷺ كانا لأمّ، وكان الزبير من أمّهما أيضاً، لكن كانت كفالة أبي طالب له بسبب، فيه ثلاثة أقوال: أحدها: وصيّة عبد المطّلب لأبي طالب. والثاني: أنّهما اقترعا فخرجت القرعة لأبي طالب. والثالث: أنّ رسول الله ﷺ اختاره، ومات عبد المطّلب وهو يومئذٍ ابن ثنتين وثمانين سنة، ويقال: ابن مائة وعشرين سنة.

ومن ذلك كفالة أبي طالب رسول الله ﷺ، قالوا: لمّا توفّي عبد المطّلب قبض أبو طالب رسول الله ﷺ إليه، فكان يكون معه، وكان أبو طالب لا مال له وكان يحبّه حبّاً شديداً لا يحبّ ولده كذلك، وكان لا ينام إلاّ إلى جنبه، ويخرج فيخرج معه، وقد كان يخصّه بالطعام، وإذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا، فكان إذا أراد أن يغذّيهم قال: كما أنتم حتّى يحضر ابني، فيأتي رسول الله ﷺ فيأكل معهم، وكانوا يفضلون من طعامهم، وإذا لم يكن معهم لم يشبعوا، فيقول أبو طالب: إنّك لمبارك، وكان الصبيان يصبحون رمصاً شعثاً، ويصبح رسول الله ﷺ دهيناً كحيلاً، وكان أبو طالب يلقى له وسادة يقعد عليها، فجاء النبيّ ﷺ فقعد عليها، فقال أبو طالب: وآله ربيعة إنّ ابن أخي ليحسّ بنعيم.

وروي عن عمرو بن سعيد أنّ أبا طالب قال: كنت بذي المجاز ومعي ابن أخي يعني النبيّ ﷺ، فأدركني العطش فشكوت إليه، فقلت: يابن أخي قد عطشت، وما قلت له وأنا أرى أنّ عنده شيئاً إلاّ الجزع، قال: فثنى وركه ثمّ برك، فقال: يا عمّ أعطشت؟ قال: قلت: نعم، فأهوى بعقبيه إلى الأرض فإذا بالماء، فقال: اشرب يا عم، فشربت.

ومن ذلك هلاك حاتم الّذي يضرب به المثل في الجود والكرم.

ومن ذلك موت كسرى أنوشيروان وولاية ابنه هرمز.

ومما كان في سنة تسع من مولده ﷺ ما روي في بعض الروايات أنّ أبا طالب خرج برسول الله ﷺ إلى بصرى وهو ابن تسع سنين.

ومما كان سنة عشر من مولده ﷺ الفجار الأوّل، وهو قتال وقع بعكاظ، وكانت الحرب فيه ثلاثة أيّام.

ومما كان سنة إحدى عشرة من مولده ﷺ ما روي عن أبيّ بن كعب قال: إنّ أبا هريرة سأل رسول الله ﷺ ما أوّل ما رأيت من أمر النبوّة؟ فاستوى جالساً وقال: لقد سألت يا أبا هريرة إنّي لفي صحراء ابن عشر سنين وأشهر، وإذا بكلام فوق رأسي، وإذا رجل يقول لرجل: أهو هو؟ فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قطّ، وأرواح لم أجدها من خلق قطّ، وثياب لم أرها على خلق قطّ، فأقبلا إليّ يمشيان حتّى أخذ كلّ واحد منهما بعضدي لا أجد لأخذهما مسّاً، فقال أحدهما لصاحبه: أضجعه، فأضجعاني بلا قصر ولا هصر، فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره، ففلق أحدهما صدري بلا دم ولا وجع، فقال له: أخرج الغل والحسد، فأخرج شيئاً كرصّة العلقة، ثمّ نبذها فطرحها، ثمّ قال له: أدخل الرأفة والرحمة، فإذا مثل الّذي أخرج شبه الفضّة، ثمّ هز إبهام رجلي فقال: اعدوا بنبيّكم، فرجعت بهما أعدو بهما رأفة على الصغير ورحمة للكبير.

وأمّا ما كان سنة اثنتي عشرة من مولده ﷺ إلى ثلاث عشرة منه فخروجه ﷺ مع أبي

طالب إلى الشام، روي أنّه لمّا أتت لرسول الله ﷺ اثنتى عشرة سنة وشهران وعشرة أيّام ارتحل به أبو طالب للخروج إلى الشام، وذلك أنّه لمّا تهيّأ للخروج أضبّ به رسول الله ﷺ، فرقّ له أبو طالب، وفي رواية: لمّا تهيّأ أبو طالب للرّحيل وأجمع على السير هبّ له رسول الله ﷺ فأخذ بزمام ناقته، وقال: يا عمّ إلى من تكلني؟ لا أب لي، ولا أمّ، فرقّ، فقال: والله لأخرجنّ به معي، ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً، فخرج به معه، فلمّا نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له: بحيرا في صومعة له وكان ذا علم في النصرانيّة، ولم يزل في تلك الصومعة راهب يصير إليه علمهم من كتاب فيما يزعمون يتوارثون كابراً عن كابر.

يقال: أضبّ على ما في نفسه: إذا أخرجه، وأضبّ: تكلّم، ويقال: جاء فلان يضبّ لسانه أي اشتدّ حرصه.

وروي عن داود بن الحصين قال: لمّا خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه رسول الله ﷺ في المرّة الأولى وهو ابن اثنتي عشرة سنة، فلمّا نزل الركب بصرى الشام وبها راهب يقال له: بحيرا في صومعة له، وكان علماء النصارى يكونون في تلك الصومعة يتوارثونها عن كتاب يدرسونه، فلمّا نزلوا ببحيرا وكان كثيراً ما يمرّون به لا يكلّمهم حتّى إذا كان ذلك العام ونزلوا منزلاً قريباً من صومعته، قد كانوا ينزلونه قبل ذلك كلّما مرّوا، فصنع لهم طعاماً ثمّ دعاهم، وإنّما حمله على دعائهم أنّه رأى حين طلعوا غمامة تظلّ رسول الله ﷺ من بين القوم حتّى نزلوا تحت الشجرة، ثمّ نظر إلى تلك الغمامة أظلّت تلك الشجرة، واخضلت أغصان الشجرة على النبيّ ﷺ حين استظلّ تحتها، فلمّا رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام فأتي به، فأرسل إليهم فقال: إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريس، وأنا أحب أن تحضروه كلّكم ولا تخلّفون منكم صغيراً ولا كبيراً، حراً ولا عبداً، فإنّ هذا شيء تكرموني به، فقال له رجل: إنّ لك لشأناً يا بحيرا، ما كنت تصنع بنا هذا، فما شأنك اليوم؟ قال: فإنّي أحببت أن أكرمكم ولكم حقّ، فاجتمعوا إليه وتخلّف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنّه، ليس في القوم أصغر منه في رحالهم تحت الشجرة، فلمّا نظر بحيرا إلى القوم فلم ير الصفة الّتي يعرفها ويجدها عنده، وجعل ينظر فلا يرى الغمامة على أحد من القوم، ويراها متخلّفة على رأس رسول الله ﷺ، قال بحيرا: يا معشر قريش لا يتخلّفنّ أحد منكم عن طعامي، قالوا: ما تخلّف أحد إلاّ غلام هو أحدث القوم سنّاً في رحالهم، فقال: ادعوه فليحضر طعامي، فما أقبح أن تحضروا ويتخلّف رجل واحد، مع أنّي أراه من أنفسكم فقال القوم: هو والله أوسطنا نسباً، وهو ابن أخي هذا الرجل، يعنون أبا طالب، وهو من ولد عبد المطّلب، فقام الحارث بن عبد المطّلب بن عبد مناف وقال: والله إن كان بنا للؤم أن يتخلّف ابن عبد المطلب من بيننا، ثمّ قام إليه فاحتضنه وأقبل به حتّى أجلسه على الطعام، والغمامة تسير على رأسه، وجعل بحيرا يلحظه

لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده من صفته، فلمّا تفرّقوا عن طعامهم قام إليه الراهب فقال: يا غلام أسألك بحق اللاّت والعزّى إلاّ أخبرتني عمّا أسألك، فقال رسول الله ﷺ: لا تسألني باللاّت والعزّى، فوالله ما أبغضت شيئاً بغضهما، قال: بالله إلاّ ما أخبرتني عمّا أسألك عنه، قال: سلني عمّا بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله حتّى نومه، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عنده، ثمّ جعل ينظر بين عينيه، ثمّ كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوّة بين كتفيه على موضع الصفة الّتي عنده، فقبّل موضع الخاتم، وقالت قريش: إنّ لمحمّد ﷺ عند هذا الراهب لقدراً، وجعل أبو طالب لما يرى من الراهب يخاف على ابن أخيه، قال الراهب لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال أبو طالب: ابني، قال: ما هو ابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيّاً، قال: فابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: هلك وأُمّه حبلى به، قال: فما فعلت أمّه؟ قال: توفّيت قريباً، قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما أعرف ليبلغنّه غنّاً، فإنّه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، نجده في كتبنا، وما روينا عن آبائنا، واعلم أنّي قد أدّيت إليك النصيحة، فلمّا فرغوا من تجارتهم خرج به سريعاً، وكان رجال من يهود قد رأوا رسول الله ﷺ وعرفوا صفته فأرادوا أن يغتالوه فذهبوا إلى بحيرا فذاكروه أمره، فنهاهم أشدّ النهي، وقال لهم: أتجدون صفته؟ قالوا: نعم، قال: فما لكم إليه سبيلٌ، فصدّقوه وتركوه، ورجع به أبو طالب، فما خرج به سفراً بعد ذلك خوفاً عليه.

وكان في سنة أربع عشرة من مولده ﷺ الفجار الآخر بين هوازن وقريش، وحضره رسول الله ﷺ. وفي سنة سبع عشرة وثبت العظماء والأشراف بالمدائن فخلعوا هرمز، وسملوا عينيه وتركوه.

وفي سنة تسع عشرة قتلوا هرمز بعد خلعه، وفيها ولّي ابنه برويز وكان يسمّى كسرى.

وفي سنة ثلاث وعشرين كان هدم الكعبة وبنيانها في قول بعض العلماء.

وفي سنة خمس وعشرين كان تزويج خديجة ﵂ كما سيأتي شرحه.

وفي سنة خمس وثلاثين من مولده ﷺ هدمت قريش الكعبة على الأصحّ. قال ابن إسحاق: كانت الكعبة رضمة فوق القامة فأرادت قريش رفعها وتسقيفها، وكان نفر من قريش وغيرهم قد سرقوا كنز الكعبة، وكان يكون في بئر في جوف الكعبة فهدموها لذلك وذلك في سنة خمس وثلاثين من مولده ﷺ، وقيل في سبب هدمها: إنّه كان الجرف يطلّ على مكّة، وكان السيل يدخل من أعلاها حتّى يدخل البيت فانصدع، فخافوا أن ينهدم، وسرق منه حلية وغزال من ذهب كان عليه درٌّ وجوهرٌ، ولذلك هدم البيت، ثمّ إنّ سفينة أقبلت في البحر من الرّوم، ورأسهم باقوم وكان بانياً، فتحطّمت السفينة بنواحي جدّة، فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش إلى السفينة فابتاعوا خشبها، وكلّموا الروميّ باقوم فقدم معهم وقالوا: لو

بنينا بيت ربّنا، فأمروا بالحجارة فجمعت، فبينا رسول الله ﷺ ينقل معهم وهو يومئذٍ ابن خمس وثلاثين سنة وكانوا يضعون أزرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة، ففعل ذلك رسول الله ﷺ فلبط به ونودي: عورتك، وكان ذلك أوّل ما نودي، فقال له أبو طالب: يابن اخي اجعل إزارك على رأسك، قال: ما أصابني ما أصابني إلاّ في التعرّي، فما رئيت لرسول الله ﷺ عورة.

وفي البخاريّ عن جابر بن عبد الله قال: لمّا بنيت الكعبة ذهب النبيّ ﷺ وعبّاس ينقلان الحجارة، فقال العبّاس للنّبيّ: إجعل إزارك على رقبتك من الحجارة، فخرّ إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثمّ أفاق، فقال: إزاري إزاري، فشدّ عليه إزاره، ثمّ إنّهم أخذوا في بنائهم، وميّزوا البيت، واقترعوا عليه فوقع لعبد مناف وزهرة ما بين الركن الأسود إلى ركن الحجر وجه البيت، ووقع لبني أسد بن عبد العزّى وبني عبد الدار ما بين الحجر إلى ركن الحجر الآخر، ووقع لتيم ما بين ركن الحجر إلى الركن اليمانيّ، ووقع لسهم وجمح وعديّ وعامر بن لؤيّ ما بين الركن اليماني إلى الركن الأسود، فبنوا، فلمّا انتهوا إلى حيث موضع الركن من البيت قالت كلّ قبيلة: نحن أحقّ بوضعه، فاختلفوا حتّى خافوا القتال، ثمّ جعلوا بينهم أوّل رجل يدخل من باب بني شيبة فيكون هو الّذي يضعه، فقالوا: رضينا وسلّمنا، فكان رسول الله ﷺ أوّل من دخل من باب بني شيبة، فلمّا رأوه قالوا: هذا الأمين قد رضينا بما قضى بيننا، ثمّ أخبروه الخبر، فوضع رسول الله ﷺ رداءه وبسطه في الأرض ثمّ وضع الركن فيه، ثمّ قال: ليأت من كلّ ربع من أرباع قريش رجل، وكان في ربع عبد مناف عتبة بن ربيعة، وكان في الربع الثاني أبو زمعة، وكان في الربع الثالث أبو حذيفة بن المغيرة، وكان في الربع الرابع قيس بن عديّ، ثمّ قال رسول الله ﷺ: ليأخذ كلّ رجل منكم بزاوية من زوايا الثوب، ثمّ ارفعوه جميعاً فرفعوه، ثمّ وضعه رسول الله ﷺ بيده في موضعه ذلك، فذهب رجلٌ من أهل نجد ليناول النبيّ ﷺ حجراً يسدّ به الركن، فقال العبّاس بن عبد المطّلب: لا ونحّاه، وناول العبّاس رسول الله ﷺ حجراً فسدّ به الركن، فغضب النجديّ حين نحّي، فقال رسول الله ﷺ: إنّه ليس يبني معنا في البيت إلاّ منّا، ثمّ بنوا حتّى انتهوا إلى موضع الخشب، وسقفوا البيت، وبنوه على ستّة أعمدة، وأخرجوا الحجر من البيت. وفي هذه السنة ولدت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ، وفيها مات زيد بن عمرو بن نفيل.

وروي عن عامر بن ربيعة قال: كان زيد بن عمرو بن نفيل يطلب الدّين وكره النصرانيّة واليهوديّة وعبادة الأوثان والحجارة، وأظهر خلاف قومه، واعتزل آلهتهم، وما كان يعبد آباؤهم، ولا يأكل ذبائحهم، فقال لي: يا عامر إنّي خالفت قومي، واتّبعت ملّة إبراهيم عليه السلام وما كان يعبده وإسماعيل عليه السلام من بعده، فقال: وكانوا يصلّون إلى هذه القبلة، وأنا أنتظر نبيّاً من ولد إسماعيل عليه السلام يبعث، لا أراني أدركه، وأنا أؤمن به وأصدّقه، وأشهد أنّه نبيّ، فإن طالت بك مدّة فرأيته فاقرئه منّي السّلام، قال عامر: فلما نبّىء رسول الله ﷺ أسلمت

وأخبرته بقول زيد، وأقرأته منه السّلام، فردّ عليه رسول الله ﷺ السّلام وترحّم عليه، وقال: قد رأيته في الجنّة يسحب ذيولاً ﷺ.

وأمّا ما كان سنة ثمان وثلاثين من مولده ﷺ ففي هذه السنة رأى الضوء والنور، وكان يسمع الصوت ولا يدري ما هو.

وأمّا سنة أربعين من مولده ﷺ ففي هذه السنة قتل كسرى برويز النعمان بن المنذر لغضب كان له عليه، قتله قبل المبعث بسبعة أشهر.

بيان: قوله: ليحسّ بنعيم، أي يرى ويعلم أنّ له ملكاً ونعيماً. والهصر: الجذب، والإمالة، والكسر، والدفع، والإدناء، وعطف شيء رطب، ويقال: هصر ظهره، أي ثناه إلى الركوع. كرصّة العلقة أي كعلقة ارتصّ والتزق بعضها ببعض، أو التزقت بشيء. وهبّ أي نهض وأسرع. وفي القاموس: الخضل ككتف وصاحب كلّ ندى يترشّف نداه، واخضألّ الشجر كاطمأنّ واخضالّ كاحمارّ: كثرت أغصانها. ليبلعنّه بالعين المهملة، غثّاً بالغين المعجمة، والثاء المثلّثة أي وإن كان مهزولاً، أو بالتاء المثنّاة من غتّ الماء: إذا شرب جرعاً بعد جرع من غير إبانة الإناء عن فمه، وفي بعض النسخ ليبلغنّه عتاً، وهو ظاهر. وقال الجزريّ: الرضمة واحدة الرضم والرضام، وهي دون الهضاب، وقيل: صخور بعضها على بعض. قوله: فلبط به على بناء المجهول، أي صرع وسقط إلى الأرض.

أقول: إنّما أوردت سياق هذه القصص مع عدم الوثوق عليها، لاشتمالها على تعيين أوقات ما أسلفناه في الأخبار المتفرّقة، وكونها موضحة لبعض ما أبهم فيها.

بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

تحقيق وتصحيح

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين

طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق

العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره

الجزء السادس عشر

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص ب : ٧١٢٠

٥ - باب تزوجه ﷺ بخديجة رضي الله عنها وفضائلها وبعض أحوالها

أقول: سيأتي بعض فضائلها في باب أحوال أبي طالب.

١ - **ما:** المفيد، عن ابن قولويه، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن العبّاس بن عامر، عن أبان، عن بريد، عن الصادق عليه السلام قال: لمّا توفّيت خديجة رضي الله عنها جعلت فاطمة عليها السلام تلوذ برسول الله ﷺ وتدور حوله، وتقول: أبه أين أمّي؟ قال: فنزل جبرئيل عليه السلام فقال له: ربّك يأمرك أن تقرىء فاطمة السّلام وتقول لها: إنّ أمّك في بيت من قصب كعابه من ذهب، وعمده ياقوت أحمر، بين آسية ومريم بنت عمران، فقالت فاطمة عليها السلام: إنّ الله هو السلام، ومنه السّلام، وإليه السّلام[1].

٢ - **ما:** أبو عمرو، عن ابن عقدة، عن أحمد بن محمّد بن يحيى الجعفيّ، عن جابر بن الحرّ النخعيّ، عن عبد الرّحمن بن ميمون، عن أبيه قال: سمعت ابن عبّاس يقول: أوّل من آمن برسول الله ﷺ من الرجال عليّ عليه السلام، ومن النساء خديجة عليها السلام[2].

٣ - **ل:** محمّد بن عليّ بن إسماعيل، عن أبي القاسم بن منيع، عن شيبان بن فروخ، عن داود بن أبي الفرات، عن علباء بن أحمر، عن عكرمة عن ابن عبّاس قال: خط رسول الله ﷺ أربع خطط في الأرض، وقال: أتدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ: أفضل نساء الجنّة أربع: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون[3].

٤ - **ل:** سليمان بن أحمد اللّخميّ، عن عليّ بن عبد العزيز، عن حجّاج بن المنهال، عن داود بن أبي الفرات عن علباء، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: خطّ رسول الله ﷺ أربع خطوط، ثمّ قال: خير نساء الجنّة مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمّد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون[4].

٥ - **ل:** ابن إدريس، عن أبيه، عن الأشعريّ، عن أبي عبد الله الرازيّ، عن ابن أبي عثمان، عن موسى بن بكر، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله اختار من النساء أربعاً: مريم، وآسية، وخديجة، وفاطمة[5].

أقول: سيأتي فيما أجاب أمير المؤمنين عليه السلام اليهوديّ الّذي سأل عن خصال الأوصياء، فقال عليه السلام فيما قال: كنت أوّل من أسلم، فمكثنا بذلك ثلاث حجج، وما على وجه الأرض خلق يصلّي ويشهد لرسول الله ﷺ بما أتاه غيري، وغير ابنة خويلد رحمها الله وقد فعل.

---

(١) أمالي الطوسي، ص ١٧٥ مجلس ٦ ح ٢٩٤.

(٢) أمالي الطوسي، ص ٢٥٩ مجلس ١٠ ح ٤٦٧.

(٣) - (٤) الخصال، ص ٢٠٥ باب الأربعة ح ٢٢-٢٣.

(٥) الخصال، ص ٢٢٥ باب الأربعة ح ٥٨.

٦ - **ل:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن البرقيّ، عن أبي عليّ الواسطيّ، عن عبد الله بن عصمة، عن يحيى بن عبد الله، عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله منزله، فاذا عائشة مقبلة على فاطمة تصايحها وهي تقول: والله يا بنت خديجة ما ترين إلاّ أنّ لأمّك علينا فضلاً، وأيّ فضل كان لها علينا؟! ما هي إلاّ كبعضنا، فسمع مقالتها لفاطمة فلمّا رأت فاطمة رسول الله صلى الله عليه وآله بكت، فقال: ما يبكيك يا بنت محمّد؟! قالت: ذكرت أمي فتنقصتها فبكيت، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال: مه يا حميراء، فإنّ الله تبارك وتعالى بارك في الودود الولود، وإنّ خديجة رحمها الله ولدت منّي طاهراً وهو عبد الله وهو المطهّر، وولدت منّي القاسم وفاطمة ورقيّة وأمّ كلثوم وزينب، وأنت ممّن أعقم الله رحمه فلم تلدي شيئاً[1].

٧ - **ص:** تزوّج النبيّ صلى الله عليه وآله بخديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة، وتوفّيت خديجة بعد أبي طالب بثلاثة أيّام[2].

٨ - **يج:** روي عن جابر قال: كان سبب تزويج خديجة محمّداً أن أبا طالب قال: يا محمّد إنّي أريد أن أزوجك ولا مال لي أساعدك به، وإنّ خديجة قرابتنا، وتخرج كلّ سنة قريشاً في مالها مع غلمانها يتّجر لها ويأخذ وقر بعير ممّا أتى به، فهل لك أن تخرج؟ قال: نعم، فخرج أبو طالب إليها وقال لها ذلك، ففرحت وقالت لغلامها ميسرة: أنت وهذا المال كلّه بحكم محمّد صلى الله عليه وآله، فلمّا رجع ميسرة حدّث أنّه ما مرّ بشجرة ولا مدرة إلاّ قالت: السّلام عليك يا رسول الله، وقال: جاء بحيرا الراهب، وخدمنا لمّا رأى الغمامة على رأسه تسير حيثما سار تظلّه بالنهار، وربحا في ذلك السفر ربحاً كثيراً، فلمّا انصرفا قال ميسرة: لو تقدّمت يا محمّد إلى مكّة وبشرت خديجة بما قد ربحنا لكان أنفع لك، فتقدم محمّد على راحلته، فكانت خديجة في ذلك اليوم جالسة على غرفة مع نسوة فظهر لها محمّد راكباً، فنظرت خديجة إلى غمامة عالية على رأسه تسير بسيره، ورأت ملكين عن يمينه وعن شماله، في يد كلّ واحد سيف مسلول، يجيئان في الهواء معه، فقالت: إنّ لهذا الراكب لشأناً عظيماً ليته جاء إلى داري، فإذا هو محمّد صلى الله عليه وآله قاصد لدارها، فنزلت حافية إلى باب الدار، وكانت إذا أرادت التحوّل من مكان إلى مكان حوّلت الجواري السرير الّذي كانت عليه، فلمّا دنت منه قالت: يا محمّد اخرج وأحضرني عمّك أبا طالب الساعة، وقد بعثت إلى عمّها أن زوجني من محمّد إذا دخل عليك، فلمّا حضر أبو طالب قالت: اخرجا إلى عمّي ليزوّجني من محمّد فقد قلت له في ذلك، فدخلا على عمّها، وخطب أبو طالب الخطبة المعروفة، وعقد النكاح، فلمّا قام محمّد صلى الله عليه وآله ليذهب مع أبي طالب قالت خديجة: إلى بيتك، فبيتي بيتك، وأنا جاريتك[3].

(١) الخصال، ص ٤٠٥ باب السبعة ح ١١٦. (٢) قصص الأنبياء، ص ٣١٦.
(٣) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٣٩ ح ٢٢٦.

٩ - د، قب: زوّج أبو طالب خديجة من النبيّ، وذلك أن نساء قريش اجتمعن في المسجد في عيد، فإذا هنّ بيهوديّ يقول: ليوشك أن يبعث فيكنّ نبيّ، فأيّكنّ استطاعت أن تكون له أرضاً يطأها فلتفعل، فحصبنه، وقرّ ذلك القول في قلب خديجة، وكان النبيّ ﷺ قد استأجرته خديجة على أن تعطيه بكرين، ويسير مع غلامها ميسرة إلى الشام، فلمّا أقبلا في سفرهما نزل النبيّ ﷺ تحت شجرة فرآه راهب يقال له: نسطور، فاستقبله وقبّل يديه ورجليه وقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمّداً رسول الله، لمّا رأى منه علامات، وإنّه نزل تحت الشجرة، ثمّ قال لميسرة: طاوعه في أوامره ونواهيه فإنّه نبيّ، والله ما جلس هذا المجلس بعد عيسى ﵇ أحد غيره، ولقد بشّر به عيسى ﵇، ومبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، وهو يملك الأرض بأسرها، وقال ميسرة: يا محمّد لقد جزنا عقبات بليلة كنّا نجوزها بأيّام كثيرة، وربحنا في هذه السفرة ما لم نربح من أربعين سنة ببركتك يا محمّد، فاستقبل خديجة، وأبشرها بربحنا، وكانت وقتئذٍ جالسة على منظرة لها، فرأت راكباً على يمينه ملك مصلت سيفه، وفوقه سحابة معلّق عليها قنديل من زبرجدة، وحوله قبّة من ياقوتة حمراء فظنّت ملكاً يأتي بخطبتها وقالت: اللّهمّ إليّ وإلى داري، فلمّا أتى كان محمّداً وبشّرها بالأرباح، فقالت: وأين ميسرة؟ قال: يقفو أثري، قالت: فارجع إليه وكن معه، ومقصودها لتستيقن حال السحابة، فكانت السحابة تمرّ معه، فأقبل ميسرة إلى خديجة وأخبرها بحاله، وقال لها: إنّي كنت آكل معه حتّى يشبع ويبقى الطعام كما هو، وكنت أرى وقت الهاجرة ملكين يظلّلانه، فدعت خديجة بطبق عليه رطب، ودعت رجالاً ورسول الله ﷺ فأكلوا حتّى شبعوا، ولم ينقص شيئاً، فأعتقت ميسرة وأولاده وأعطته عشرة آلاف درهم لتلك البشارة، ورتّبت الخطبة من عمرو بن أسد عمّها.

قال النسويّ في تاريخه: أنكحه إيّاها أبوها خويلد بن أسد، فخطب أبو طالب بما رواه الخركوشيّ في شرف المصطفى، والزمخشريّ في ربيع الأبرار، وفي تفسيره الكشّاف، وابن بطّة في الإبانة، والجوينيّ في السير عن الحسن، والواقديّ وأبي صالح والعتبيّ فقال: الحمد لله الّذي جعلنا من زرع إبراهيم الخليل، ومن ذرّيّة الصفيّ إسماعيل، وصنصىء معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وسوّاس حرمه، وجعل مسكننا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكّام على النّاس، ثمّ إنّ ابن أخي هذا محمّد بن عبد الله لا يوازن برجل من قريش إلاّ رجح به، ولا يقاس بأحد منهم إلاّ عظم عنه، وإن كان في المال مقلاًّ، فإنّ المال ورق حائل، وظلّ زائل، وله والله خطبٌ عظيمٌ، ونبأ شائعٌ، وله رغبةٌ في خديجة، ولها فيه رغبة، فزوّجوه والصداق ما سألتموه من مالي عاجلةً وآجلةً فقال خويلد: زوّجناه ورضينا به.

وروي أنّه قال بعض قريش: يا عجبا أيمهر النساء الرجال، فغضب أبو طالب وقال: إذا كانوا مثل ابن أخي هذا طلبت الرجال بأغلى الأثمان، وإذا كانوا أمثالكم لم تزوّجوا إلاّ بالمهر الغالي، فقال رجلٌ من قريش يقال له عبد الله بن غنم:

هنيئاً مريئاً يا خديجة قد جرت لك الطير فيما كان منك بأسعد
تزوّجت خير البريّة كلها ومن ذا الّذي في الناس مثل محمّد؟
وبشّر به المر آن عيسى بن مريم وموسى بن عمران فيا قرب موعد
أقرّت به الكتّاب قدماً بأنّه رسول من البطحاء هاد ومهتد(١)

بيان: قوله: فحصبنه أي رمينه بالحصباء، وصنصىء بالمهملتين والمعجمتين: الأصل، قال في النهاية: في حديث الخوارج يخرج من ضئضىء هذا قوم يمرقون من الدين، الضئضئ: الأصل، يقال: ضئضىء صدق، وضؤضؤ صدق، وحكى بعضهم ضئضيء بوزن قنديل، يريد أنّه يخرج من نسله ومن عقبه، ورواه بعضهم بالصاد المهملة وهو بمعناه انتهى.

وفي القاموس: الورق مثلّثة، وككتف وجبل: الدراهم المضروبة، ومحرّكة الحيّ من كلّ حيوان، والمال من إبل ودراهم وغيرها انتهى. وفي الفقيه: رزق كما سيأتي، والحائل: المتغيّر.

١٠ - **قب:** خرج النبيّ ﷺ إلى الشام في تجارة لخديجة وله خمس وعشرون سنة، وتزوّج بها بعد أشهر، قال الكلينيّ: تزوّج خديجة وهو ابن بضع وعشرين سنة ولبث بها أربعاً وعشرين سنة وأشهراً، وبنيت الكعبة ورضيت قريش بحكمه فيها وهو ابن خمس وثلاثين سنة(٢).

أقول: أوردنا تاريخ وفاتها في باب المبعث.

١١ - **شي:** عن زرارة وحمران ومحمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: حدّث أبو سعيد الخدريّ أن رسول الله ﷺ قال: إنّ جبرئيل عليه السلام قال لي ليلة أسري بي حين رجعت وقلت: يا جبرئيل هل لك من حاجة؟ قال: حاجتي أن تقرأ على خديجة من الله ومني السلام، وحدّثنا عند ذلك أنّها قالت حين لقاها نبيّ الله ﷺ فقال لها الّذي قال جبرئيل، فقالت: إنّ الله هو السّلام، ومنه السّلام، وإليه السّلام، وعلى جبرئيل السّلام(٣).

١٢ - **كشف:** من مسند أحمد بن حنبل، عن عبد الله بن جعفر، عن عليّ بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: خير نسائها خديجة، وخير نسائها مريم.

ومنه، عن عبد الله بن جعفر قال: قال رسول الله ﷺ أمرت أن أبشّر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

ومنه، عن ابن عبّاس: إنّ أوّل من صلّى مع رسول الله ﷺ بعد خديجة علي عليه السلام، وقال مرّة: أسلم. وقد تقدّم ذكر تقدّم إسلامها رضي الله عنها وأنّها سبقت الناس كافّة، فلا حاجة إلى إعادة ذلك، وهو مشهور.

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٦٧. (٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٣٣.
(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٠٢ ح ١٢ من سورة الإسراء.

ومن المسند عن أنس بن مالك، عن النبيّ ﷺ قال: حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون.

ومنه، عن عبد الله بن أبي أوفى قال: بشّر رسول الله ﷺ خديجة ببيت في الجنّة لا صخب فيه ولا نصب.

وروي أن جبرئيل أتى النبيّ ﷺ فسأل عن خديجة فلم يجدها، فقال: إذا جاءت فأخبرها أن ربها يقرئها السلام.

وروى أبو هريرة قال: أتى جبرئيل النبيّ ﷺ فقال: هذه خديجة قد أتتك معها إناء مغطى فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ ﵇ من ربّها، ومنّي السّلام، وبشّرها ببيت في الجنّة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

وقال شريك: وقد سئل عن القصب قصب الذهب.

وقال الجوهريّ: القصب: أنابيب من جوهر وذكر الحديث.

وقال غيره: اللّؤلؤ، وقال صاحب النهاية في غريب الحديث: القصب: لؤلؤ مجوّف واسع كالقصر المنيف في هذا الحديث. والقصب من الجوهر: ما استطال منه في تجويف.

وروي أن عجوزاً دخلت على النبيّ ﷺ فألطفها، فلمّا خرجت سألته عائشة فقال: إنها كانت تأتينا في زمن خديجة، وإنّ حسن العهد من الإيمان.

وعن عليّ ﵇ قال: ذكر النبيّ ﷺ خديجة يوماً وهو عند نسائه فبكى، فقالت عائشة: ما يبكيك على عجوز حمراء من عجائز بني أسد؟ فقال: صدّقتني إذ كذّبتم، وآمنت بي إذ كفرتم، وولدت لي إذ عقمتم، قالت عائشة: فما زلت أتقرّب إلى رسول الله ﷺ بذكرها.

ونقلت من كتاب معالم العترة النبويّة لأبي محمّد بن عبد العزيز بن الأخضر الجنابذي الحنبلي ذكر خديجة بنت خويلد أُمّ المؤمنين، وتقدّم إسلامها، وحسن مؤازرتها، وخطر فضلها، وشرف منزلتها، ذكر مرفوعاً عن محمّد بن إسحاق قال: كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إيّاه بشيء تجعله لهم منه، وكانت قريش قوماً تجّاراً، فلمّا بلغها عن رسول الله ﷺ من صدق حديثه وعظيم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه وعرضت عليه أن يخرج في مالها تاجراً إلى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجّار، مع غلام لها يقال له: ميسرة، فقبله منها رسول الله ﷺ، وخرج في مالها ذلك، ومعه غلامها ميسرة حتّى قدم الشام، فنزل رسول الله ﷺ في ظلّ شجرة قريباً من صومعة راهب، فاطّلع الراهب إلى ميسرة فقال: من هذا الرجل الّذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة إلاّ نبيّ، ثمّ باع رسول الله ﷺ سلعته الّتي خرج فيها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثمّ أقبل قافلاً إلى مكّة ومعه ميسرة، وكان ميسرة فيما يزعمون قال: إذا كانت الهاجرة واشتدّ الحرّ نزل ملكان يظلاّنه من الشمس، وهو يسير على بعيره،

فلمّا قدم مكّة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فأضعف أو قريباً، وحدّثها ميسرة عن قول الراهب وعمّا كان يرى من إظلال الملكين، فبعثت إلى رسول الله فقالت له فيما يزعمون: يا ابن عمّ قد رغبت فيك لقرابتك منّي، وشرفك في قومك، وسطتك فيهم، وأمانتك عندهم، وحسن خلقك وصدق حديثك، ثمّ عرضت عليه نفسها، وكانت خديجة امرأةً حازمةً لبيبةً، وهي يومئذٍ أوسط قريش نسباً وأعظمهم شرفاً، وأكثرهم مالاً، وكلّ قومها قد كان حريصاً على ذلك لو يقدر عليه، فلمّا قالت لرسول الله ﷺ ما قالت ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه منهم حمزة بن عبد المطّلب حتّى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه فتزوّجها رسول الله ﷺ.

وروى بإسناده عن ابن شهاب الزهريّ قال: لمّا استوى رسول الله ﷺ وبلغ أشدّه وليس له كثير مال استأجرته خديجة بنت خويلد إلى سوق حباشة، وهو سوق بتهامة، واستأجرت معه رجلاً آخر من قريش، فقال رسول الله ﷺ: ما رأيت من صاحبة لأجير خيراً من خديجة، ما كنّا نرجع أنا وصاحبي إلاّ وجدنا عندها تحفة من طعام تخبأه لنا.

ومنه، قال الدولابيّ يرفعه عن رجاله: إنّه كان من بدء أمر رسول الله ﷺ أنّه رأى في المنام رؤياً فشقّ عليه، فذكر ذلك لصاحبته خديجة، فقالت له: أبشر، فإنّ الله تعالى لا يصنع بك إلاّ خيراً، فذكر لها أنّه رأى أن بطنه أخرج فطهر وغسل ثمّ أعيد كما كان، قالت: هذا خير فأبشر، ثمّ استعلن له جبرئيل فأجلسه على ما شاء الله أن يجلسه عليه، وبشّره برسالة الله حتّى اطمأنّ، ثمّ قال: اقرأ، قال كيف أقرأ؟ قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ فقبل رسول الله ﷺ رسالة ربّه واتّبع الّذي جاء به جبرئيل من عند الله، وانصرف إلى أهله، فلمّا دخل على خديجة قال: أرأيتك الّذي كنت أُحدّثك ورأيته في المنام فإنّه جبرئيل استعلن، وأخبرها بالّذي جاءه من عند الله وسمع، فقالت: أبشر يا رسول الله، فوالله لا يفعل الله بك إلاّ خيراً، فاقبل الّذي أتاك الله، وأبشر فإنّك رسول الله حقّاً. وروي مرفوعاً إلى الزهريّ قال: كانت خديجة أوّل من آمن برسول الله ﷺ.

وعن ابن شهاب: أنزل الله على رسوله القرآن والهدى وعنده خديجة بنت خويلد.

وقال ابن حمّاد: بلغني أن رسول الله ﷺ تزوّج خديجة على اثنتي عشرة أوقية ذهباً وهي يومئذٍ ابنة ثماني وعشرين سنة.

وحدّثني ابن البرقيّ أبو بكر، عن ابن هشام، عن غير واحد، عن أبي عمرو بن العلاء قال: تزوّج رسول الله ﷺ خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة.

وعن قتادة بن دعامة قال: كانت خديجة قبل أن يتزوّج بها رسول الله ﷺ عند عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، يقال: ولدت له جارية وهي أمّ محمّد بن صيفيّ المخزوميّ، ثمّ خلف عليها بعد عتيق أبو هالة هند بن زرارة التيميّ، فولدت له هند بن هند، ثمّ تزوّجها رسول الله ﷺ.

وبإسناده يرفعه إلى محمّد بن إسحاق قال: كانت خديجة أوّل من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاء من الله، ووازرته على أمره، فخفّف الله بذلك عن رسول الله ﷺ، وكان لا يسمع شيئاً يكرهه من ردٍ عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلاّ فرّج الله ذلك عن رسول الله ﷺ بها، إذا رجع إليها تثبته، وتخفّف عنه، وتهوّن عليه أمر الناس حتّى ماتت رحمها الله.

وعن إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير أنّه حدث عن خديجة أنّها قالت لرسول الله ﷺ: أي ابن عمّ أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الّذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرني، فجاء جبرئيل ﵇ فقال رسول الله ﷺ لخديجة: يا خديجة هذا جبرئيل قد جاءني، قالت: قم يابن عمّ فاجلس على فخذي اليسرى، فقام رسول الله ﷺ فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحوّل فاقعد على فخذي اليمنى، فتحوّل، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فاجلس في حجري، ففعل، قالت: هل تراه؟ قال: لا، قالت: يا بن عمّ اثبت وأبشر، فوالله إنّه لملك وما هو بشيطان.

قال ابن إسحاق: قد حدّثت بهذا الحديث عبد الله بن حسن قال: سمعت أُمي فاطمة بنت حسين تحدّث بهذا الحديث عن خديجة إلاّ أنّي سمعتها تقول: أدخلت رسول الله ﷺ بينها وبين درعها، فذهب عند ذلك جبرئيل، فقالت خديجة لرسول الله ﷺ: إنّ هذا لملك وما هو بشيطان.

وعن ابن إسحاق أن خديجة بنت خويلد وأبا طالب ماتا في عام واحد، فتتابع على رسول الله ﷺ هلاك خديجة وأبي طالب، وكانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام، وكان رسول الله ﷺ يسكن إليها.

وعن عروة بن الزبير قال: توفّيت خديجة قبل أن تفرض الصّلاة، وقال رسول الله ﷺ: أُريتُ بخديجة بيتاً من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

وقال ابن هشام: حدّثني من أثق به أن جبرئيل أتى النبيّ ﷺ فقال: أقرىء خديجة من ربّها السّلام فقال رسول الله ﷺ: يا خديجة هذا جبرئيل يُقرئك من ربّك السلام، فقالت خديجة: الله السّلام، ومنه السّلام. وعلى جبرئيل السّلام.

ورُوي أن آدم ﵇ قال: إنّي لسيّد البشر يوم القيامة إلاّ رجل من ذرّيّتي نبيّ من الأنبياء يقال له: محمّد ﷺ، فضّل عليّ باثنتين: زوجته عاونته وكانت له عوناً، وكانت زوجتي عليّ عوناً، وإنّ الله أعانه على شيطانه فأسلم، وكفر شيطاني.

وعن عائشة قالت: كان رسول الله إذا ذكر خديجة لم يسأم من ثناء عليها واستغفار لها. فذكرها ذات يوم فحملتني الغيرة فقلت: لقد عوّضك الله من كبيرة السنّ، قالت: فرأيت رسول الله ﷺ غضب غضباً شديداً، فسقطتُ في يدي، فقلت: اللّهمّ إنّك إن أذهبت بغضب رسولك ﷺ لم أعد بذكرها بسوء ما بقيت، قالت: فلمّا رأى رسول الله ﷺ ما

لقيت قال: كيف قلت؟ والله لقد آمنت بي إذ كفر الناس، وآوتني إذ رفضني النّاس، وصدّقتني إذ كذّبني النّاس، ورزقت منّي حيث حرمتموه، قالت: فغدا وراح عليّ بها شهراً.

وروي أن خديجة رضوان الله عليها كانت تُكنّى أمّ هند.

وعن ابن عبّاس أن عمّ خديجة عمرو بن أسد زوّجها رسول الله ﷺ، وأنّ أباها مات قبل الفجار.

وعن ابن عبّاس أنّه تزوّجها ﷺ وهي ابنة ثماني وعشرين سنة، ومهرها اثنتى عشرة أوقية، وكذلك كانت مهور نساؤه، وقيل: إنّها ولدت قبل الفيل بخمسة عشر سنة، وتزوّجها ﷺ وهي بنت أربعين سنة، ورسول الله ﷺ ابن خمس وعشرين سنة.

وحديث عفيف ورؤيته النبيّ ﷺ وخديجة وعليّاً يصلّون حين قدم تاجراً إلى العبّاس، وقوله: لا والله ما علمت على ظهر الأرض كلّها على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة قد تقدّم ذكره بطريقه فلا حاجة لنا إلى ذكره، لأنّه لم يختلف في أنّها ﵂ أوّل النّاس إسلاماً.

وقال ابن سعد يرفعه إلى حكم بن حزام: قال: توفّيت خديجة في شهر رمضان سنة عشرة من النبوّة، وهي ابنة خمس وستّين سنة، فخرجنا بها من منزلها حتّى دفنّاها بالحجون، فنزل رسول الله ﷺ في حفرتها، ولم يكن يومئذٍ صلاة على الجنازة، قيل: ومتى ذلك يا أبا خالد؟ قال: قبل الهجرة بسنوات ثلاث أو نحوها، وبعد خروج بني هاشم من الشعب بيسير، قال: فكانت أوّل امرأة تزوّجها رسول الله ﷺ، وأولاده كلّهم منها إلاّ إبراهيم، فإنّه من مارية القبطيّة. هذا آخر ما نقلته من كتاب الجنابذي[1].

بيان: قوله: وسطتك بكسر السّين، أي كونك وسطهم ومتوسّطاً بينهم، أي أشرفهم، قال الجوهريّ: وسطت القوم أسطهم وسطاً ووسطةً، أي توسّطتهم، وفلان وسيط في قومه: إذا كان أوسطهم نسباً وأرفعهم محلاً انتهى.

قوله ﷺ: ورزقت منّي، أي الولد، أو الإسلام. قولها: فغدا وراح عليّ بها شهراً، لعلّ المعنى أنّه ﷺ كان إلى شهر يذكر خديجة وفضلها في الغدوّ والرواح، أو لمّا علم ندامتي في أمرها كان يغدو ويروح إليّ لطفاً بي.

١٣ - **كا:** بعض أصحابنا، عن عليّ بن الحسين، عن عليّ بن حسّان، عن عبد الرّحمن ابن كثير، عن أبي عبد الله ﵇ قال: لمّا أراد رسول الله ﷺ أن يتزوّج خديجة بنت خويلد أقبل أبو طالب في أهل بيته ومعه نفر من قريش حتّى دخل على ورقة بن نوفل عمّ خديجة، فابتدأ أبو طالب بالكلام فقال: «الحمد لربّ هذا البيت الّذي جعلنا من زرع إبراهيم، وذرّية إسماعيل وأنزلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحكّام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الّذي نحن فيه،

(١) كشف الغمة، ج ١ ص ١٦.

ثمّ إنّ ابن أخي هذا يعني رسول الله ﷺ ممّن لا يوزن برجل من قريش إلاّ رجح به، ولا يقاس به رجل إلاّ عظم عنه، ولا عدل له في الخلق، وإن كان مقلاً في المال، فإنّ المال رفد جار، وظلّ زائل، وله في خديجة رغبة، ولها فيه رغبة، وقد جئناك لنخطبها إليك برضاها وأمرها، والمهر عليّ في مالي الّذي سألتموه عاجله وآجله، وله وربّ هذا البيت حظّ عظيم، ودين شائع، ورأي كامل؛ ثمّ سكت أبو طالب فتكلّم عمّها وتلجلج، وقصر عن جواب أبي طالب وأدركه القطع والبهر، وكان رجلاً من القسّيسين، فقالت خديجة مبتدئة: يا عمّاه إنّك وإن كنت أولى بنفسي منّي في الشهود فلست أولى بي من نفسي، قد زوّجتك يا محمّد نفسي، والمهر عليّ في مالي، فأمر عمّك فلينحر ناقة فليولم بها، وادخل على أهلك، قال أبو طالب: اشهدوا عليها بقبولها محمّداً وضمانها المهر في مالها، فقال بعض قريش: يا عجباه المهر على النساء للرّجال؟ فغضب أبو طالب غضباً شديداً وقام على قدميه، وكان ممّن يهابه الرجال ويكره غضبه، فقال: إذا كانوا مثل ابن أخي هذا طلبت الرجال بأغلى الأثمان، وأعظم المهر، وإذا كانوا أمثالكم لم يزوّجوا إلاّ بالمهر الغالي، ونحر أبو طالب ناقةً ودخل رسول الله ﷺ بأهله، فقال رجل من قريش يقال له عبد الله بن غنم:

هنيئاً مريئاً يا خديجة قد جرت ... لك الطير فيما كان منك بأسعد
تزوّجت خير البريّة كلّها ... ومن ذا الّذي في النّاس مثل محمّد؟
وبشّر به البرّان عيسى بن مريم ... وموسى بن عمران فيا قرب موعد
أقرّت به الكتّاب قدماً بأنّه ... رسول من البطحاء هاد ومهتد[1]

بيان: الزرع: الولد. قوله: فإنّ المال رفد جار أي عطاء مستمرّ، يجريه الله على عباده بقدر حاجتهم، وقد مرّ مكانه: ورق حائل، وسيأتي من الفقيه: رزق حائل.

والبهر بالضمّ: انقطاع النفس من الإعياء، قولها: وإن كنت أولى بنفسي منّي، لعلّ المعنى إنّك وإن كنت أولى بأمري في محضر الناس عرفاً، فلست أولى بأمري واقعاً، أو إن كنت أولى في الحضور والتكلّم بمحضر الناس، فلست أولى منّي في أصل الرضا والقبول، أو إن كنت قادراً على إهلاكي وأمكنك فيه، لكني لا أمكنك في ترك هذا الأمر، ولعلّ الأوسط أظهر، قوله: قد جرت لك الطير، يقال للحظّ من الخير والشرّ: طائر، لقول العرب: جرى لفلان الطائر بكذا من الخير والشرّ، على طريقة التفؤّل والطيرة، وأصله أنّهم كانوا يتفأّلون ويتطيّرون بالسوانح والبوارح من الطير عند توجّههم إلى مقاصدهم ويحتمل أن يكون المعنى انتشر أسعد الأخبار منك في الآفاق سريعاً بسبب ما كان منك من حسن الاختيار، فإنّ الطير أسرع في إيصال الأخبار من غيرها، والأوّل أظهر. والبرّ بالفتح: الصّادق، والكثير البرّ. والقدم بالكسر: خلاف الحدوث، يقال: قدماً كان كذا.

---

(١) الكافي، ج ٥ ص ٧٩٠ باب ٢٣٥ ح ٩.

١٤ - **كا:** أبو عليّ الأشعريّ، عن محمّد بن سالم، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على خديجة حيث مات القاسم ابنها وهي تبكي، فقال لها: ما يبكيك، فقالت: درّت دريرة فبكيت، فقال: يا خديجة أمّا ترضين إذا كان يوم القيامة أن تجيئي إلى باب الجنّة وهو قائم فيأخذ بيدك فيدخلك الجنّة، وينزلك أفضلها؟ وذلك لكلّ مؤمن، إنّ الله عزّ وجلّ أحكم وأكرم أن يسلب المؤمن ثمرة فؤاده ثم يعذّبه بعدها أبداً(١).

١٥ - **كا:** العدّة، عن البرقيّ، عن إسماعيل بن مهران، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: توفّي طاهر ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فنهى رسول الله صلى الله عليه وآله خديجة عن البكاء، فقالت: بلى يا رسول الله، ولكن درّت عليه الدريرة فبكيت، فقال لها: أما ترضين أن تجديه قائماً على باب الجنّة، فإذا رآك أخذ بيدك فأدخلك أطهرها مكاناً، وأطيبها؟ قالت: وإنّ ذلك كذلك؟ قال: فإنّ الله أعزّ وأكرم من أن يسلب عبداً ثمرة فؤاده فيصبر ويحتسب ويحمد الله عزّ وجلّ ثمّ يعذّبه(٢).

١٦ - **نهج:** ولم يجمع بيتٌ واحدٌ يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثها.

١٧ - **يه:** خطب أبو طالب رحمه الله لمّا تزوّج النبيّ صلى الله عليه وآله خديجة بنت خويلد رحمها الله بعد أن خطبها إلى أبيها، ومن النّاس مَن يقول: إلى عمّها، فأخذ بعضادتي الباب ومن شاهده من قريش حضور، فقال: «الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرّيّة إسماعيل، وجعل لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً، يجبى إليه ثمرات كلّ شيء وجعلنا الحكّام على النّاس في بلدنا الّذي نحن فيه ثمّ إنّ ابن أخي محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب لا يوزن برجل من قريش إلاّ رجح، ولا يقاس بأحد منهم إلاّ عظم عنه، وإن كان في المال قلّ فإنّ المال رزقٌ حائلٌ، وظلٌّ زائلٌ، وله في خديجة رغبةٌ، ولها فيه رغبةٌ، والصداق ما سألتم عاجله وآجله من مالي، وله خطرٌ عظيمٌ، وشأنٌ رفيعٌ، ولسانٌ شافعٌ جسيمٌ»، فزوّجه ودخل بها من الغد، فأوّل ما حملت ولدت عبد الله بن محمّد صلى الله عليه وآله(٣).

١٨ - **أقول:** قال الكازرونيّ في المنتقى: روي أن خزيمة بن حكيم السلميّ كانت بينه وبين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها قرابةٌ، وإنّه قدم عليها، وكان إذا قدم عليها أصابته بخير، فوجّهته مع رسول الله صلى الله عليه وآله وغلام لها يقال له: ميسرة في تجارة إلى بصرى من أرض الشام، فأحبّ خزيمة رسول الله صلى الله عليه وآله حبّاً شديداً، فكان لا يفارقه في نومه ولا في يقظته، فساروا حتّى إذا كانوا بين الشام والحجاز قام على ميسرة بعيران لخديجة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في

---

(١) - (٢) الكافي، ج ٣ ص ١١١ باب ١٥١ ح ٣ و٧.

(٣) من لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٥٦٣ ح ٤٤٠٠.

أوّل الركب فخاف ميسرة على نفسه وعلى البعيرين، فانطلق يسعى إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك فأقبل النبيّ ﷺ إلى البعيرين فوضع يديه على أخفافهما وعوّذهما، فانطلق البعيران يسعيان في أوّل الركب لهما رغاء، فلمّا رأى خزيمة ذلك علم أن له شأناً عظيماً، فحرص على لزومه ومحافظته، وساروا حتّى إذا دخلوا الشام نزلوا براهب من رهبان الشام، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة، ونزل الناس متفرّقين، وكانت الشجرة الّتي نزل تحتها شجرة يابسة قحلة، قد تساقط ورقها، ونخر عودها، فلمّا نزل رسول الله ﷺ واطمأنّ تحتها أنورت وأشرقت واعشوشب ما حولها، وأينع ثمرها، وتدلّت أغصانها، فرفرفت على رسول الله ﷺ، وكان ذلك بعين الراهب فلم يتمالك أن انحدر من صومعته، فقال له: سألتك باللاّت والعزّى، فقال: إليك عنّي ثكلتك أمّك، فما تكلّمت العرب بكلمة أثقل عليّ من هذه الكلمة، وكان ذلك مكراً من الراهب، وكان معه حين نزل من صومعته رقّ أبيض، فجعل ينظر فيه مرّة وإلى النبيّ ﷺ أخرى، ثمّ أكبّ ينظر فيه مليّاً؛ فقال: هو هو ومنزل الإنجيل، فلمّا سمع بذلك خزيمة ظنّ أن الراهب يريد بالنبيّ ﷺ مكراً، فضرب بيده إلى قائمة سيفه فانتزعه وجعل يصيح بأعلى صوته: يا آل غالب، فأقبل النّاس يهرعون إليه من كلّ ناحية يقولون: ما الّذي راعك؟ فلمّا نظر الراهب إلى ذلك أقبل يسعى إلى صومعته فدخلها وأغلق عليه بابها، ثمّ أشرف عليهم فقال: يا قوم ما الّذي راعكم منّي؟ فوالّذي رفع السماوات بغير عمدٍ ما نزل بي ركب هو أحبّ إليّ منكم، وإنّي لأجد في هذه الصحيفة أن النازل تحت هذه الشجرة - وأومأ بيده إلى الشجرة الّتي تحتها رسول الله ﷺ - هو رسول ربّ العالمين، يبعث بالسيف المسلول، وبالذبح الأكبر، وهو خاتم النبيّين، فمن أطاعه نجا، ومن عصاه غوى، ثمّ أقبل على خزيمة فقال: ما تكون من هذا الرجل؟ أرجلاً من قومه؟ قال: لا، ولكن خادم له، وحدّثه بحديث البعيرين، فقال له الراهب: أيّها الرجل إنّه النبيّ الّذي يبعث في آخر الزمان، وإنّي مفوّض إليك أمراً، ومستكتمك خبراً، وعاهد إليك عهداً، فقال: ما هو؟ فإنّي سامع لقولك، وكاتم لسرّك، ومطيع لأمرك، فقال: إنّي أجد في هذه الصحيفة أنّه يظهر على البلاد، وينصر على العباد، ولا تردّ له راية، ولا تدرك له غاية، وإنّ له أعداء أكثرهم اليهود أعداء الله، فاحذرهم عليه، فأسرّ خزيمة ذلك في نفسه، ثمّ أقبل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد إنّي لأرى فيك شيئاً ما رأيته في أحدٍ من الناس، إنّي لأحسبك النبيّ الّذي يذكر أنّه يخرج من تهامة، وإنّك لصريح في ميلادك، والأمين في أنفس قومك، وإنّي لأرى عليك من الناس محبّة، وإنّي مصدّقك في قولك، وناصرك على عدوّك، فانطلقوا يؤمّون الشام، فقضوا بها حوائجهم، ثمّ رجعوا، ثم قال: فأرسلت خديجة إلى عمّها عمرو بن أسد ليزوّجها، فحضر، ودخل رسول الله ﷺ في عمومته فتزوّجها وهو ابن خمس وعشرين سنة، وخديجة يومئذٍ بنت أربعين سنة. وقد روى قوم أنّه زوّجها أبوها في حال سكره.

قال الواقديّ: هذا غلطٌ، والصحيح أن عمّها زوّجها، وأنّ أباها مات قبل الفجار.

وذكر أن أبا طالب خطب يومئذٍ، وذكر ما مرّ، فلمّا أتمّ أبو طالب خطبته تكلّم ورقة بن نوفل، فقال: «الحمد لله الّذي جعلنا كما ذكرت، وفضّلنا على ما عدّدت، فنحن سادة العرب وقادتها، وأنتم أهل ذلك كلّه، لا تنكر العشيرة فضلكم، ولا يردّ أحد من النّاس فخركم وشرفكم، وقد رغبنا بالاتّصال بحبلكم وشرفكم، فاشهدوا عليّ معاشر قريش بأنّي قد زوّجت خديجة بنت خويلد من محمّد بن عبد الله على أربعمائة دينار»، ثمّ سكت ورقة، وتكلّم أبو طالب وقال: قد أحببت أن يشركك عمّها، فقال عمّها، اشهدوا عليّ يا معشر قريش أنّي قد أنكحت محمّد بن عبد الله خديجة بنت خويلد، وشهد عليّ بذلك صناديد قريش، فأمرت خديجة جواريها أن يرقصن ويضربن بالدفوف، وقالت: يا محمّد مر عمّك أبا طالب ينحر بكرة من بكراتك، وأطعم النّاس على الباب، وهلم فقل مع أهلك فأطعم النّاس، ودخل رسول الله ﷺ، فقال مع أهله خديجة.

١٩ - **أقول:** قال أبو الحسن البكريّ في كتاب الأنوار: مرّ النبيّ ﷺ يوماً بمنزل خديجة بنت خويلد، وهي جالسة في ملأ من نسائها وجواريها وخدمها، وكان عندها حبرٌ من أحبار اليهود، فلمّا مرّ النبيّ ﷺ نظر إليه ذلك الحبر وقال: يا خديجة اعلمي أنّه قد مرّ الآن ببابك شابّ حدث السن، فأمري من يأتي به، فأرسلت إليه جارية من جواريها، وقالت: يا سيّدي مولاتي تطلبك، فأقبل ودخل منزل خديجة، فقالت: أيّها الحبر هذا الّذي أشرت إليه، قال: نعم هذا محمّد بن عبد الله، قال له الحبر: اكشف لي عن بطنك، فكشف له، فلمّا رآه قال: هذا والله خاتم النبوّة، فقالت له خديجة: لو رآك عمّه وأنت تفتّشه لحلّت عليك منه نازلة البلاء، وإنّ أعمامه ليحذرون عليه من أحبار اليهود، فقال الحبر: ومن يقدر على محمّد هذا بسوء، هذا وحقّ الكليم رسول الملك العظيم في آخر الزمان، فطوبى لمن يكون له بعلاً، وتكون له زوجة وأهلاً، فقد حازت شرف الدنيا والآخرة، فتعجّبت خديجة، وانصرف محمّد وقد اشتغل قلب خديجة بنت خويلد بحبّه، وكانت خديجة ملكة عظيمة، وكان لها من الأموال والمواشي شيء لا يحصى، فقالت: أيّها الحبر بم عرفت محمّداً أنّه نبيّ؟ قال: وجدت صفاته في التوراة أنّه المبعوث آخر الزمان، يموت أبوه وأمّه، ويكفله جدّه وعمّه، وسوف يتزوّج بامرأة من قريش سيّدة قومها، وأميرة عشيرتها، وأشار بيده إلى خديجة، ثمّ بعد ذلك قال لها: احفظي ما أقول لك يا خديجة وأنشأ يقول:

يا خديجة لا تنسي الآن قولي	وخذي منه غاية المحصول
يا خديجة هذا النبيّ بلا شكّ	هكذا قد قرأت في الإنجيل
سوف يأتي من الإله بوحي	ثمّ يحبى من الإله بالتنزيل
ويزوّجه بالفخار ويحظى	في الورى شامخاً على كلّ جيل

فلمّا سمعت خديجة ما نطق به الحبر تعلّق قلبها بالنبيّ ﷺ، وكتمت أمرها، فلمّا خرج

من عندها قال: اجتهدي أن لا يفوتك محمّد، فهو الشرف في الدنيا والآخرة، وكان لخديجة عمّ يقال له: ورقة، وكان قد قرأ الكتب كلها، وكان عالماً حبراً، وكان يعرف صفات النبيّ الخارج في آخر الزمان، وكان عند ورقة أنّه يتزوّج بامرأة سيّدة من قريش، تسود قومها، وتنفق عليه مالها، وتمكّنه من نفسها، وتساعده على كلّ الأمور، فعلم ورقة أنّه ليس بمكة أكثر مالاً من خديجة، فرجا ورقة أن تكون ابنة أخيه خديجة، وكان يقول لها: يا خديجة سوف تتّصلين برجل يكون أشرف أهل الأرض والسّماء، وكان لخديجة في كلّ ناحية عبيد ومواشي حتّى قيل: إنّ لها أزيد من ثمانين ألف جمل متفرّقة في كلّ مكان، وكان لها في كلّ ناحية تجارة، وفي كلّ بلد مال، مثل مصر والحبشة وغيرها، وكان أبو طالب ﵁ قد كبر وضعف عن كثرة السفر، وترك ذلك من حيث كفل النبيّ ﷺ، فدخل عليه النبيُّ ﷺ ذات يوم فوجده مهموماً، فقال: ما لي أراك يا عمّ مهموماً؟ فقال: يا ابن أخي اعلم أنّه لا مال لنا، وقد اشتدّ الزمان علينا، وليس لنا مادّة، وأنا قد كبرت، وضعف جسمي، وقلّ ما بيدي، وأريد أن أنزل إلى ضريحي، وأريد أن أرى لك زوجة تسرّ قلبي يا ولدي لتسكن إليها، ومعيشة يرجع نفعها إليك، فقال له النبيّ ﷺ: ما عندك يا عمّ من الرأي؟ قال: اعلم يابن أخي أن هذه خديجة بنت خويلد قد انتفع بمالها أكثر النّاس، وهي تعطي مالها سائر من يسألها التجارة، ويسافرون به، فهل لك يا ابن أخي أن تمضي معي إليها ونسألها أن تعطيك مالاً تتّجر فيه، فقال: نعم، قم إليها وافعل ما بدا لك.

قال أبو الحسن البكريّ: لمّا اجتمع بنو عبد المطّلب قال أبو طالب لإخوته: امضوا بنا إلى دار خديجة بنت خويلد حتّى نسألها أن تعطي محمّداً مالاً يتّجر به، فقاموا من وقتهم وساعتهم وساروا إلى دار خديجة، وكان لخديجة دار واسعة تسع أهل مكّة جميعاً، وقد جعلت أعلاها قبّة من الحرير الأزرق، وقد رقمت في جوانبها صفة الشّمس والقمر والنجوم، وقد ربطته من حبال الإبريسم وأوتاد من الفولاذ، وكانت قد تزوجت برجلين أحدهما اسمه أبو شهاب وهو عمرو الكنديّ، والثاني اسمه عتيق بن عائذ، فلمّا ماتا خطبها عقبة بن أبي معيط، والصلت بن أبي يهاب، وكان لكلّ واحد منهما أربعمائة عبد وأمة، وخطبها أبو جهل ابن هشام وأبوسفيان، وخديجة لا ترغب في واحد منهم، وكان قد تولع قلبها بالنبيّ ﷺ لما سمعت من الأحبار والرهبان والكهّان، وما يذكرونه من الدلالات، وما رأت قريش من الآيات، فكانت تقول: سعدت من تكون لمحمّد قرينة، فإنّه يزين صاحبه، وازداد بها الوجد، ولجّ بها الشوق، فبعثت إلى عمّها ورقة بن نوفل فقالت له: يا عمّ أريد أن أتزوّج وما أدري بمن يكون، وقد أكثر عليّ النّاس وقلبي لا يقبل منهم أحداً، فقال لها ورقة: يا خديجة الا أعلمك بحديث غريب وأمر عجيب؟ قالت: وما هو يا عمّ؟ قال: عندي كتاب من عهد عيسى ﵇ فيه طلاسم وعزائم، أعزم بها على ماء وتأخذينه وتغسلين به، ثمّ أكتب كتاباً فيه كلمات من الزبور، وكلمات من الإنجيل، فتضعيه تحت رأسك عند النوم وأنت على فراشك

ملتفّة بثيابك، فإنّ الّذي يكون زوجك يأتيك في منامك حتّى تعرفيه باسمه وكنيته، فقالت: افعل يا عمّ، قال: حبّاً وكرامة، وكتب الكتاب، وأعطاها إيّاه، وفعلت ما أمرها به ونامت فرأت كأن قد جاء إليها رجل لا بالطويل الشاهق، ولا بالقصير اللاّذق، أدعج العينين، أزجّ الحاجبين، أحور المقلتين، عقيقي الشفتين، مورد الخدّين، أزهر اللّون، مليح الكون، معتدل القامة، تظلّه الغمامة، بين كتفيه علامة، راكب على فرس من نور، مزمّم بسلسلة من ذهب، على ظهره سرجٌ من العقيان، مرصّع بالدرّ والجوهر، له وجه كوجه الآدميّين منشقّ الذنب، له أرجل كالبقر، خطوته مدّ البصر، وهو يرقل بالراكب، وكان خروجه من دار أبي طالب، فلمّا رأته خديجة ضمّته إلى صدرها، وأجلسته في حجرها، ولم تنم باقي ليلتها إلى أن أقبلت إلى عمّها ورقة، وقالت: أنعمت صباحاً يا عمّ، قال: وأنت لقيت نجاحاً، فلعلّك رأيت شيئاً في منامك، قالت: رأيت رجلاً صفته كذا وكذا، فعندها قال ورقة: يا خديجة إن صدقت رؤياك تسعدين وترشدين، فإنّ الّذي رأيته متوّج بتاج الكرامة، الشفيع في العصاة يوم القيامة، سيّد العرب والعجم، محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم، قالت: وكيف لي بما تقول يا عمّ وأنا كما يقول الشاعر:

أسير إليكم قاصداً لأزوركم ... وقد قصرت بي عند ذاك رواحلي
وملك الأمانيّ خدعة غير أنّني ... أعلّل حدّ الحادثات بباطل
أحمّل برق الشرق شوقاً إليكم ... وأسأل ريح الغرب ردّ رسائلي

قال: فزاد بها الوجد، وكانت إذا خلت بنفسها فاضت عبرتها أسفاً، وجرت دمعتها لهفاً، وهي تقول:

كم أستر الوجد والأجفان تهتكه ... وأطلق الشوق والإغضاء تمسكه(١)
جفاني القلب لمّا أن تملّكه ... غيري فوا أسفا لو كنت أملكه
ما ضرّ من لم يدع منّي سوى رمقي ... لو كان يسمح بالباقي فيتركه

قال الراوي: وأعجب ما رأيت في هذا الأمر العجيب والحديث الغريب أنّ خديجة لم تفرغ من شعرها إلاّ وقد طرق الباب، فقالت لجاريتها: انزلي وانظري من بالباب، لعلّ هذا خبر من الأحباب، ثمّ أنشأت تقول:

أيا ريح الجنوب لعلّ علم ... من الأحباب يطفي بعض حرّي
ولم لا حملوك إليّ منهم ... سلاماً أشتريه ولو بعمري
وحقّ ودادهم إنّي كتوم ... وإنّي لا أبوح لهم بسرّي
أراني الله وصلهم قريباً ... وكم يُسر أتى من بعد عسر
فيوم من فراقكم كشهر ... وشهر من وصالكم كدهر

(١) في نسخة ثانية: والأعضاء، وهو أظهر.

قال: ثمّ نزلت الجارية وإذا أولاد عبد المطّلب بالباب، فرجعت إلى خديجة وقالت: يا سيدتي إنّ بالباب سادات العرب، ذوي المعالي والرتب، أولاد عبد المطّلب، فرمقت خديجة رمق الهوى، ونزل بها دهش الجوى، وقالت: افتحي لهم الباب، وأخبري ميسرة يعتدُّ لهم المساند والوسائد، فإنّي أرجو أن يكونوا قد أتوني بحبيبي محمّد، ثمّ قالت شعراً:

ألذّ حياتي وصلكم ولقاكم ... ولست ألذّ العيش حتّى أراكم
وما استحسنت عيني من النّاس غيركم ... ولا لذّ في قلبي حبيب سواكم
على الرأس والعينين جملة سعيكم ... ومن ذا الّذي في فعلكم قد عصاكم
فها أنا محسوب عليكم بأجمعي ... وروحي ومالي يا حبيبي فداكم
وما غيركم في الحبّ يسكن مهجتي ... وإن شئتم تفتيش قلبي فهاكم

قال صاحب الحديث: وبسط لهم ميسرة المجلس بأنواع الفرش فما استقرّ بالقوم الجلوس إلاّ وقد قدم لهم أصناف الطعام والفواكه من الطائف والشام، فأكلوا وأخذوا في الحديث، فقالت لهم خديجة من وراء الحجاب بصوت عذب، وكلام رطب: يا سادات مكّة أضاءت بكم الديار، وأشرقت بكم الأنوار، فلعلّ لكم حاجة فتقضى، أو ملمّة فتمضى، فإنّ حوائجكم مقضيّة، وقناديلكم مضيئة، فقال أبو طالب ﵁: جئناك في حاجة يعود نفعها إليك، وبركتها عليك، قالت: يا سيّدي وما ذلك؟ قال: جئناك في أمر ابن أخي محمّد، فلمّا سمعت ذلك غاب رشدها عن الوجود، وأيقنت بحصول المقصود، وقالت شعراً:

بذكركم يطفىء الفؤاد من الوقد ... ورؤيتكم فيها شفا أعين الرمد
ومن قال: إنّي أشتفي من هواكم ... فقد كذبوا لو متّ فيه من الوجد
وما لي لا أملأ سروراً بقربكم ... وقد كنت مشتاقاً إليكم على البعد
تشابه سرّي في هواكم وخاطري ... فأبدي الّذي أخفي وأخفي الّذي أبدي

ثمّ قالت بعد ذلك: يا سيّدي أين محمّد حتّى نسمع ما يقول؟ قال العبّاس ﵁: أنا آتيكم به، فنهض وسار يطلبه من الأبطح فلم يجده، فالتفت يميناً وشمالاً فقالوا: ما تريد؟ فقال: أريد محمّداً، فقالوا له: في جبل حرى، فسار إليه فإذا هو فيه نائماً في مرقد إبراهيم الخليل ﵇ ملتفاً ببرده وعند رأسه ثعبان عظيم في فمه طاقة ريحان يروّحه بها، فلمّا نظر إليه العبّاس قال: خفت عليه من الثعبان، فجذبت سيفي وهممت بالثعبان، فحمل الثعبان على العبّاس، فلمّا رأى العبّاس ذلك صاح من وقته أدركني يا ابن أخي، ففتح النبيّ ﷺ عينيه فذهب الثعبان كأنّه لم يكن، فقال النبيّ ﷺ: ما لي أرى سيفك مسلولاً؟ قال: رأيت هذا الثعبان عندك، فسللت سيفي وقصدته خوفاً عليك منه، فعرفت في نفسي الغلبة فصحت بك، فلمّا فتحت عينك ذهب كأنّه لم يكن، فتبسّم النبيّ ﷺ، وقال: يا عمّ ليس هذا بثعبان، ولكنّه ملك من الملائكة، ولقد رأيته مراراً، وخاطبته جهاراً، وقال لي: يا محمّد إنّي ملك

من عند ربّي موكّل بحراستك في اللّيل والنّهار من كيد الأعداء والأشرار، قال: ما ينكر فضلك يا محمّد، فقال له: سر معي إلى دار خديجة بنت خويلد تكون أميناً على أموالها، تسير بها حيث شئت، قال: أريد الشام، قال: ذلك إليك، فسار النبيّ ﷺ والعبّاس إلى بيت خديجة، وكان من عادته ﷺ إذا أراد زيارة قوم سبقه النور إلى بيتهم، فسبقه النور إلى بيت خديجة، فقالت لعبدها ميسرة: كيف غفلت عن الخيمة حتّى عبرت الشمس إلى المجلس؟ قال: لست بغافل عنها، وخرج فلم يجد تغيّر وتد ولا طنب، ونظر إلى العبّاس فوجده قد أقبل هو والنبي ﷺ معه، فرجع وقال لها: يا مولاتي هذا الّذي رأيته من أنوار محمّد ﷺ، فجاءت خديجة لتنظر إلى محمّد، فلمّا دخل المجلس نهض أعمامه إجلالاً له، وأجلسوه في أوساطهم، فلمّا استقرّ بهم الجلوس قدمت لهم خديجة الطعام فأكلوا، ثمّ قالت خديجة: يا سيّدي أنست بك الديار، وأضاءت بك الأقدار، وأشرقت من طلعتك الأنوار، أترضى أن تكون أميناً على أموالي تسير بها حيث شئت؟ قال: نعم رضيت، ثمّ قال: أريد الشّام، قالت: ذلك إليك، وإنّي قد جعلت لمن يسير على أموالي مائة وقيّة من الذهب الأحمر، ومائة وُقيّة من الفضّة البيضاء، وجملين وراحلتين، فهل أنت راض؟ فقال أبو طالب ﷺ: رضي ورضينا، وأنت يا خديجة محتاجة إليه، لأنّه من حين خلق ما وقف له العرب على صبوة، وأنّه مكين أمين، قالت خديجة: تحسن يا سيّدي تشدّ على الجمل وترفع عليه الأحمال؟ قال: نعم، قالت: يا ميسرة: ائتني ببعير حتّى أنظر كيف يشدّ عليه محمّد، فخرج ميسرة وأتى ببعير شديد المراس، قويّ الباس، لم يجسر أحد من الرعاة أن يخرجه من بين الإبل لشدّة بأسه، فأدناه ليركبه فهدر وشقشق واحمرّت عيناه، فقال له العبّاس: ما كان عندك أهون من هذا البعير تريد أن تمتحن به ابن أخينا؟ فعند ذلك قال النبيّ ﷺ: دعه يا عمّ، فلمّا سمع البعير كلام البشير النذير برك على قدمي النبيّ ﷺ، وجعل يمرّغ وجهه على قدمي النبيّ ﷺ ونطق بكلام فصيح وقال: من مثلي وقد لمس ظهري سيّد المرسلين؟ فقلن النسوة اللاّتي كن عند خديجة: ما هذا إلاّ سحر عظيم قد أحكمه هذا اليتيم، قالت لهم خديجة: ليس هذا سحراً، وإنّما هو آيات بيّنات، وكرامات ظاهرات، ثمّ قالت:

نطق البعير بفضل أحمد مخبرا ... هذا الّذي شرفت به أمّ القرى
هذا محمّد خير مبعوث أتى ... فهو الشفيع وخير من وطىء الثرى
يا حاسديه تمزّقوا من غيظكم ... فهو الحبيب ولا سواه في الورى

قال: وخرج أولاد عبد المطّلب وأخذوا في أهبة السفر، فالتفتت خديجة إلى النبيّ ﷺ وقالت: يا سيّدي ما معك غير هذه الثياب، فليست هذه تصلح للسّفر، فقال: لست أملك غيرها، فبكت خديجة وقالت: عندي يا سيّدي ما يصلح للسّفر، غير أنّهن طوال فامهل حتّى أقصرها لك، فقال: هلمّي بها، وكان ﷺ إذا لبس القصير يطول وإذا لبس الطويل يقصر، كأنّه مفصّل عليه، فأخرجت له ثوبين من قباطي مصر، وجبّة عدنيّة، وبردة يمنيّة، وعمامة

عراقيّة، وخفّين من الأديم، وقضيب خيزران، فلبس النبيّ ﷺ الثياب وخرج كأنّه البدر في تمامه، فلمّا نظرت إليه جعلت تقول:

أُوتيتَ من شرف الجمال فنونا ... ولقد فتنت بها القلوب فتونا
قد كوّنت للحسن فيك جواهر ... فيها دعيت الجوهر المكنونا
يا من أعار الظبي في لفتاته ... للحسن جيداً سامياً وجفونا
انظر إلى جسمي النحيل وكيف قد ... أجريت من دمع العيون عيونا
أسهرت عيني في هواك صبابة ... وملأت قلبي لوعةً وجنونا

ثمّ قالت: يا سيّدي عندك ما تركب عليه؟ قال: إذا تعبت ركبت أيّ بعير أردت، قالت: وما يحملني على ذلك؟ لا كانت الأموال دونك يا محمّد، ثمّ قالت لعبدها ميسرة: ائتني بناقتي الصهباء حتّى يركبها سيّدي محمّد، فأتى بها ميسرة وهي تزيد على الأوصاف، لا يلحقها في سيرها تعب، ولا يصيبها نصب، كأنّها خيمة مضروبة، أو قبّة منصوبة، ثمّ التفتت إلى ميسرة وناصح وقالت لهما: اعلما أنّني قد أرسلت إليكما أميناً على أموالي، وأنّه أمير قريش وسيّدها، فلا يدٌ على يده، فإن باع لا يمنع، وإن ترك لا يؤمر، وليكن كلامكما له بلطف وأدب، ولا يعلو كلامكما على كلامه، قال عبدها ميسرة: والله يا سيّدتي إنّ لمحمّد عندي محبّة عظيمة قديمة، والآن قد تضاعفت لمحبتك له، ثمّ إنّ النبيّ ﷺ ودّع خديجة وركب راحلته وخرج وميسرة وناصح بين يديه، وعين الله ناظرة إليه، فعندها قالت خديجة شعراً:

قلب المحبّ إلى الأحباب مجذوب ... وجسمه بيد الأسقام منهوب
وقائل كيف طعم الحبّ قلت له: ... الحبّ عذب ولكن فيه تعذيب
أفدى الّذين على خدّي لبعدهم ... دمي ودمعي مسفوح ومسكوب
ما في الخيام وقد سارت ركابهم ... إلاّ محبّ له في القلب محبوب
كأنّما يوسف في كلّ ناحية ... والحزّ في كلّ بيت فيه يعقوب

ثمّ إنّ النبيّ ﷺ سار مجدّاً للسير إلى الأبطح، فوجد القوم مجتمعين، وهم لقدومه منتظرون، فلمّا نظروا إلى جمال سيّد المرسلين وقد فاق الخلق أجمعين فرح المحبّ، واغتمّ الحاسد، وظهر الحسد والكمد فيمن سبقت له الشقاوة من المكذّبين، وزادت عقيدة من سبقت له السعادة من المؤمنين، فلمّا نظر العبّاس إليهم أنشأ يقول:

يا مخجل الشمس والبدر المنير إذا ... تبسّم الثغر لمع البرق منه أضا
كم معجزات رأينا منك قد ظهرت ... يا سيّداً ذكره يشفى به المرضى

فلمّا نظر النبيّ ﷺ إلى أموال خديجة على الأرض ولم يحمل منها شيء زعق على العبيد، وقال: ما الّذي منعكم عن شدّ رحالكم؟ قالوا يا سيّدنا لقلّة عددنا، وكثرة أموالنا، فأبرك راحلته، ونزل ولوى ذيله في دور منطقته وصار يزعق بالبعير فيقول: بإذن الله تعالى،

فتعجّب الناس من فعله، فنظر العبّاس إلى النبيّ ﷺ وقد احمرت وجناته من العرق، فقال: كيف أخلّي الشمس تقرح هذا الوجه الكريم؟ فعمد إلى خشبة وقال: لأتّخذنّ منها جحفة تظلّ محمّداً من حرّ الشمس، فارتجّت الأقطار وتجلّى الملك الجبّار، وأمر الأمين جبرئيل عليه السلام أن اهبط إلى رضوان خازن الجنان وقل له: يخرج لك الغمامة الّتي خلقتها لحبيبي محمّد ﷺ قبل أن أخلق آدم بألفي عام، وانشرها على رأس حبيبي محمّد، فلمّا رأوها شخصت نحوها الأبصار، وقال العبّاس: إنّ محمّداً لكريم على ربّه، ولقد استغنى عن جحفتي، ثمّ أنشأ يقول:

وقف الهوى بي حيث كنت فليس لي ... متقدّم عنكم ولا متأخّر

ثمّ سار القوم حتّى نزلوا بجحفة الوداع وحطّوا رحالهم حتّى يلحق بهم المتأخّرون فقال مطعم بن عديّ: يا قوم إنّكم سائرون إلى أرض كثيرة المهامه والأوعار، وليس لكم مقدّم تستشيرون به وترجعون إلى أمره، والرأي عندي أنكم تقدّمون عليكم رجلاً لتستندوا إلى رأيه، وترجعوا إلى أمره عن المنازع والمخالف، قالوا: نعم ما أشرت به، فقال بنو مخزوم: نحن نقدّم علينا أخانا عمرو بن هشام المخزوميّ، وقال بنو عديّ: نحن نقدّم علينا أميرنا مطعم بن عديّ، وقال بنو النضر: نحن نقدّم علينا أميرنا النضر بن الحارث، وقال بنو زهرة: نحن نقدم علينا أميرنا احيحة بن الجلاح، وقال بنو لؤي: نحن نقدّم علينا أبا سفيان صخر بن حرب، وقال ميسرة: والله ما نقدّم علينا إلاّ سيّدنا محمّد بن عبد الله، وقال بنو هاشم: ونحن أيضاً نقدّم علينا محمداً، فقال أبو جهل: لإن قدّمتم علينا محمّداً لأضعنّ هذا السيف في بطني، وأخرجه من ظهري، فقبض حمزة على سيفه وقال: يا وغد الرجال، ويا نذل الأفعال، والله ما أُريد إلاّ أن يقطع الله يديك ورجليك ويعمي عينيك، فقال له النبيّ ﷺ: اغمد سيفك يا عمّاه، ولا تستفتحوا سفركم بالشرّ، دعوهم يسيرون أوّل النهار، ونحن نسير آخره، فإنّ التقدّم لقريش، وكان ﷺ أوّل من تكلّم بهذه الكلمة، وسار أبو جهل ومن يلوذ به، وقد استغنم من بني هاشم الفرصة، وهو ينشد ويقول:

لقد ضلّت حلوم بني قصيّ ... وقد زعموا بتسييد اليتيم
وراموا للخلافة غير كفو ... فكيف يكون ذا الأمر العظيم؟
وإنّي فيهم ليث حميّ ... بمصقول ولي جدّ كريم
فلو قصدوا عبيدة أو ظليماً ... وصخر الحرب ذا الشرف القديم
لكنّا راضين لهم وكنّا ... لهم تبعاً على خلف ذميم

فأجابه العبّاس يقول:

ألا أيّها الوغد الّذي رام ثلبنا ... أتثلب قرناً في الرجال كريم
أتثلب يا ويك الكريم أخا التقى ... حبيب لربّ العالمين عظيم

ولولا رجال قد عرفنا محلّهم وهم عندنا في مجدب ومقيم
لدارت سيوف يفلق الهام حدّها بأيدي رجال كالليوث تقيم
حماة كماة كالأسود ضراغم إذا برزوا ردّوا لكلّ زعيم

ثمّ إنّ القوم ساروا إلى أن بعدوا عن مكّة، فنزلوا بواد يقال له: واد الأمواه، لأنّه مجتمع السيول وأنهار الشام، ومنه تنبع عيون الحجاز، فنزل به القوم وحطّوا رحالهم، وإذا بالسحاب قد اجتمع، فقال النبيّ ﷺ: ما أخوفني على أهل هذا الوادي أن يدهمهم السيل فيذهب بجميع أموالهم، والرأي عندي أن نستند إلى هذا الجبل، قال له العبّاس: نعم ما رأيت يا ابن أخي، فأمر النبيّ ﷺ أن ينادى في القافلة أن ينقلوا رحالهم إلى نحو الجبل مخافة السيل، ففعلوا إلاّ رجلاً من بني جمح يقال له: مصعب، وكان له مالٌ كثيرٌ: فأبى أن يتغيّر من مكانه، وقال: يا قوم ما أضعف قلوبكم! تنهزمون عن شيء لم تروه ولم تعاينوه؟ فما استتمّ كلامه إلاّ وقد ترادفت السحاب والبرق ونزل السيل وامتلأ الوادي من الحافّة إلى الحافّة، وأصبح الجمحيّ وأمواله كأنّه لم يكن، وأقام القوم في ذلك المكان أربعة أيّام والسيل يزداد، فقال ميسرة: يا سيّدي هذه السيول لا تنقطع إلى شهر، ولا تقطعه السفار، وإن أقمنا هاهنا أضر بنا المقام، ويفرغ الزاد، والرأي عندي أن نرجع إلى مكّة، فلم يجبه النبيّ ﷺ إلى ذلك، ثمّ نام فرأى في منامه ملكاً يقول له: يا محمّد لا تحزن، إذا كان غداة غد مر قومك بالرحيل، وقف على شفير الوادي، فإذا رأيت الطير الأبيض قد خطّ بجناحه فاتّبع الخطّ، وأنت تقول: بسم الله وبالله، وأمر قومك أن يقولوا هذه الكلمة، فمن قالها سلم، ومن حاد عنها غرق، فاستيقظ النبيّ ﷺ وهو فرح مسرور، ثمّ أمر ميسرة أن ينادي في النّاس بالرحيل، فرحلوا وشدّ ميسرة رحاله، فقال الناس: يا ميسرة وكيف نسير وهذا الماء لا تقطعه إلاّ السفن؟ فقال: أمّا أنا فإنّ محمّداً أمرني، وأنا لا أُخالفه فقال القوم: ونحن أيضاً لا نخالفه، فبادر القوم، وتقدّم النبيّ ﷺ ووقف على شفير الوادي، وإذا بالطير الأبيض قد أقبل من ذروة الجبل، وخطّ بجناحه خطّاً أبيض يلمع، فشمّر النبيّ ﷺ أذياله واقتحم الماء وهو يقول: بسم الله وبالله، فلم يصل الماء إلى نصف ساقه، ونادى أيّها النّاس لا يدخل أحد منكم الماء حتّى يقول هذه الكلمة، فمن قالها سلم، ومن حاد عنها هلك، فاقتحم القوم الماء وهم يقولون الكلمة، ولم يتأخّر من القوم سوى رجلين: أحدهما من بني جمح، والآخر من بني عديّ، فقال العدويّ: بسم الله وبالله، وقال الجمحيّ: بسم اللاّت والعزّى، فغرق الجمحيّ وأمواله، وسلم العدويّ وأمواله، فقال القوم للعدويّ: ما بال صاحبك غرق؟ قال: إنّه قد عوج لسانه وخالف قول النبيّ ﷺ فغرق، فاغتمّ أبو جهل لعنه الله وقومه، وقالوا: ما هذا إلاّ سحرٌ عظيمٌ، فقال له بعض أصحابه: يا ابن هشام ما هذا بسحر، ولكن والله ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء أفضل من محمّد، فلم يردّ جواباً، وساروا حتّى نزلوا على بئر وكان تنزل عليه العرب في طريق الشام، فقال أبو جهل: والله

لأجد في نفسي غبنة عظيمة إن ردّ محمّد من سفره هذا سالماً، ولقد عزمت على قتله، وكيف لي بالحيلة في قتله وهو ينظر من ورائه كما ينظر من أمامه، ولكن أفعل فسوف تنظرون، ثمّ عمد إلى الرمل والحصى وملأ حجره وكبس به البئر، فقال أصحابه: ولم تفعل ذلك؟ فقال: أريد دفن البئر حتّى إذا جاء ركب بني هاشم وقد أجهدهم العطش فيموتوا عن آخرهم، فتبادر القوم بالرمل والحصى ولم يتركوا للبئر أثراً، فقال أبو جهل لعنه الله: الآن قد بلغت مرادي، ثمّ التفت إلى عبد له اسمه فلاح وقال له: خذ هذه الراحلة، وهذه القربة والزاد واختف تحت الجبل، فإذا جاء ركب بني هاشم يقدمهم محمّد، وقد أجهدهم العطش والتعب ولم يجدوا للبئر أثراً فيموتوا فأتني بخبرهم، فإذا أتيتني وبشّرتني بموتهم أعتقتك وزوّجتك بمن تريد من أهل مكّة، فقال: حبّاً وكرامةً، ثمّ سار أبو جهل وتأخّر العبد كما أمره مولاه، وإذا بركب بني هاشم قد أقبل يتقدّمهم محمّد، فتبادر القوم إلى البئر فلم يجدوا له أثراً، فضاقت صدورهم وأيقنوا بالهلاك، فلاذوا بمحمّد ﷺ، فقال لهم: هل هنا موضع يعرف بالماء؟ قالوا نعم بئر قد ردمت بالرمل والحجارة، فمشى النبيّ ﷺ حتّى وقف على شفير البئر فرفع طرفه إلى السّماء ونادى: يا عظيم الأسماء، يا باسط الأرض، ويا رافع السّماء، قد أضرّ بنا الظماء، فاسقنا الماء، فإذا بالحجارة والرمل قد تصلصلت، وعين الماء قد نبعت وتفجّرت، وجرى الماء من تحت أقدامه، فسقى القوم دوابّهم، وملأوا قربهم، وساروا وسار العبد إلى مولاه، وقال: ما وراءك يا فلاح؟ وقال: والله ما أفلح من عادى محمّداً، وحدّثهم بما عاين منه، فامتلأ أبو جهل غيظاً، وقال للعبد: غيّب وجهك عنّي، فلا أفلحت أبداً، ثمّ سار حتّى وصل وادياً من أودية الشام يقال له: ذيبان، وكان كثير الأشجار، إذ خرج من ذلك الوادي ثعبان عظيم كأنّه النخلة السحوق، ففتح فاه وزفر، وخرج من عينيه الشرار، فجفلت منه ناقة أبي جهل لعنه الله، ولعبت بيديها ورجليها ورمته فكسرت أضلاعه، فغشي عليه، فلمّا أفاق قال لعبيده: تأخّروا إلى جانب الطريق، فإذا جاء ركب بني هاشم يتقدّمهم محمّد قدّموه علينا حتّى إذا رأت ناقته الثعبان فعسى أن ترميه إلى الأرض فيموت، ففعل العبيد ما أمرهم به، وإذا بركب بني هاشم قد أقبل يتقدّمهم محمّد، فقال النبيّ ﷺ: يا ابن هشام أراكم قد نزلتم وليس هو وقت نزولكم؟ فقال له: يا محمّد، والله قد استحييت أن أتقدّم عليك، وأنت سيّد أهل الصفا، وأعلا حسباً ونسباً، فتقدّم، فلعن الله من يبغضك، ففرح العبّاس بذلك، وأراد العبّاس أن يتقدّم فنهاه النبيّ ﷺ وقال: ارفق يا عمّ، فما تقديمهم لنا إلاّ لمكيدة لنا، ثمّ إنّه ﷺ تقدّم أمامهم ودخل إلى ذلك الشعب، وإذا بالثعبان قد ظهر فجفلت منه ناقة النبيّ ﷺ، فزعق بها النبيّ ﷺ وقال: ويحك كيف تخافين وعليك خاتم الرسل وإمام البشر؟

ثمّ التفت إلى الثعبان وقال له: ارجع من حيث أتيت، وإيّاك أن تتعرّض لأحدٍ من الركب، فنطق الثعبان بقدرة الله تعالى، وقال: السّلام عليك يا محمّد، السّلام عليك يا أحمد، فقال النبيّ ﷺ: السّلام على من اتّبع الهدى، وخشي عواقب الردى، وأطاع الملك الأعلى،

فعندها قال: يا محمّد ما أنا من هوام الأرض، وإنّما أنا ملك من ملوك الجنّ واسمي الهام بن الهيم، وقد آمنت على يد أبيك إبراهيم الخليل، وسألته الشفاعة، فقال: هي لولد يظهر من نسلي يقال له: محمّد، ووعدني أن أجتمع بك في هذا المكان، وقد طال بي الانتظار، وقد شاهدت المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ليلة عرج به إلى السماء وهو يوصي الحواريّين باتّباعك، والدخول في ملّتك، والآن قد جمع الله شملي بك، فلا تنسني من الشفاعة يا سيّد المرسلين، فقال له النبيّ ﷺ: لك ذلك عليّ، فعد من حيث جئت، ولا تتعرّض لأحد من الركب، فغاب الثعبان، فلمّا نظر القوم إلى كلامه عجبوا من ذلك وازداد أعمام النبيّ ﷺ يقيناً وفرحاً. وازداد الجنود غيظاً وحسداً، فأنشأ العبّاس يقول:

يا قاصداً نحو الحطيم وزمزم ... بلّغ فضائل أحمد المتكرّم
واشرح لهم ما عاينت عيناك من ... فضل لأحمد والسحاب الأركم
قل وأت بالآيات في السيل الّذي ... ملأ الفجاج بسيله المتراكم
ونجى الّذي لم يخط قول محمّد ... وهوى الّذي أخطا بوسط جهنّم
والبئر لمّا أن أضرّ بنا الظماء ... فدعا الحبيب إلى الإله المنعم
فاضت عيوناً ثمّ سالت أنهراً ... وغدا الحسود بحسرة وتغمغم
والهام بن الهيم لمّا أن رأى ... خير البريّة جاء كالمستسلم
ناداه أحمد فاستجاب ملبّياً ... وشكى المحبّة كالحبيب المغرم
من عهد إبراهيم ظلّ مكانه ... يرجو الشفاعة خوف جسر جهنّم
من ذا يقاس أحمد في الفضل من ... كلّ البريّة من فصيح وأعجم
وبه توسّل في الخطيئة آدم ... فليعلم الأخبار من لم يعلم

ولمّا فرغ العباس من شعره أجابه الزبير وأنشأ يقول شعراً:

يا للرّجال ذوي البصائر والنظر ... قوموا انظروا أمراً مهولاً قد خطر
هذا بيانٌ صادقٌ في عصرنا ... من سيّد عالي المراتب مفتخر
آياته قد أعجزت كلَّ الورى ... من ذا يقايس عدّها أو يختصر
منها الغمام تظلّه مهما مشى ... أنّى يسير تظلّه وإذا خطر
وكذلك الوادي أتى مترادفاً ... بالسيل يسحب للحجارة والشجر
ونجى الّذي قد طاع قول محمّد ... وهوى المخالف مستقرّاً في سقر
وأزال عنّا الضيم من حرّ الظماء ... من بعد ما بان التقلقل والضجر
والبئر فاضت بالمياه وأقبلت ... تجري على الأراض أشباه النهر
والهام فيه عبارة ودلالة ... لذوي العقول ذوي البصائر والفكر
كاد الحسود يذوب ممّا عاينت ... عيناه من فضل لأحمد قد ظهر

يا للرّجال ألا انظروا أنواره تعلو على نور الغزالة والقمر
الله فضّل أحمداً واختاره ولقد أذلّ عدوّه ثمّ احتقر

فأجابه حمزة رضي الله عنه يقول:

ما نالت الحسّاد فيك مرادهم طلبوا نقوص الحال منك فزادا
كادوا وما خافوا عواقب كيدهم والكيد مرجعه على من كادا
ما كلّ من طلب السعادة نالها بمكيدة أو أن يروم عنادا
يا حاسدين محمّداً يا ويلكم حسداً تمزّق منكم الأكبادا
الله فضّل أحمداً واختاره ولسوف يملكه الورى وبلادا
وليملأنّ الأرض من إيمانه وليهدينّ عن الغوى من حادا

قال: فشكرهم النبيّ صلى الله عليه وآله على ذلك وساروا جميعاً ونزلوا وادياً كانوا يتعاهدون فيه الماء قديماً فلم يجدوا فيه شيئاً من الماء، فشمّر النبيّ صلى الله عليه وآله عن ذراعيه، وغمس كفّيه في الرمل، ورمق السّماء، وهو يحرّك شفتيه فنبع الماء من بين أصابعه تيّاراً، وجرى على وجه الأرض أنهاراً، فقال العبّاس: أمسك يا ابن أخي حذراً من الماء أن يغرق أموالنا ثمّ شربوا، وملأوا قربهم، وسقوا دوابّهم، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله لميسرة: لعلّ عندك شيئاً من التمر فأحضره، وكان يأكل التمر، ويغرس النوى في الأرض، فقال له العبّاس: لم تفعل ذلك يابن أخي؟ قال: يا عمّ أريد أن أغرسها نخلاً، قال: ومتى تطعم؟ قال: الساعة نأكل منها ونتزوّد إن شاء الله تعالى، فقال له العبّاس: يابن أخي النخلة إذا غرست تثمر في خمس سنين، قال: يا عمّ سوف ترى من آيات ربّي الكبرى، ثمّ ساروا حتّى تواروا عن الوادي، فقال: يا عمّ ارجع إلى الموضع الّذي فيه النخلات واجمع لنا ما نأكله، فمضى العبّاس فرأى النخلات قد كبرت، وتمايلت أثمارها، وأزهرت فأوقر منها راحلته، والتحق بالنبيّ صلى الله عليه وآله، فكان يأكل من التمر ويطعم القوم فصاروا متعجّبين من ذلك، فقال أبو جهل لعنه الله: لا تأكلوا يا قوم ممّا يصنعه محمّد الساحر، فأجابه قومه وقالوا: يابن هشام أقصر عن الكلام، فما هذا بسحر، ثمّ سار القوم حتّى وصلوا عقبة أيلة، وكان بها دير، وكان مملوّاً رهباناً، وكان فيهم راهب يرجعون إلى رأيه وعقله يقال له: الفيلق بن اليونان بن عبد الصليب، وكان يكنّى أبا خبير، وقد قرأ الكتب، وعنده سفر فيه صفة النبيّ صلى الله عليه وآله من عهد عيسى بن مريم عليه السلام، وكان إذا قرأ الإنجيل على الرهبان ووصل إلى صفات النبيّ صلى الله عليه وآله بكى، وقال: يا أولادي متى تبشّروني بقدوم البشير النذير، الّذي يبعثه الله من تهامة، متوّجاً بتاج الكرامة، تظلّه الغمامة، يشفع في العصاة يوم القيامة، فقال له الرهبان: لقد قتلت نفسك بالبكاء والأسف على هذا الّذي تذكره، وعسى أن يكون قد قرب أوانه، فقال: إي والله إنّه قد ظهر بالبيت الحرام، ودينه عند الله الإسلام، فمتى تبشّروني بقدومه من أرض الحجاز، وهو تظلّه الغمامة، وأنشأ يقول شعراً:

لإن نظرت عيني جمال أحبّتي وهبتُ لبشرى الوصل ما ملكت يدي
وملّكته روحي ومالي غيرها وهذا قليل في محبّة أحمد
سألت إلهي أن يمنّ بقربه ويجمع شملي بالنبيّ محمّد

قال: وما زال الراهب كلّما ذكر الحبيب أكثر النحيب إلى أن حال منه النظر وزاد به الفكر، فعند ذلك أشرف بعض الرهبان، وقد أشرقت الأنوار من جبين النبيّ المختار، فنظر الرهبان إلى الأنوار وقد تلألأت من الركب، وقد أقبل من الفلا وأشرق وعلا، تقدّمهم سيّد الأمم، وقد نشرت على رأسه الغمامة، فقالوا: يا أبا الرهبان هذا ركب قد أقبل من الحجاز، فقال: يا أولادي وكم ركب قد أقبل وأتى وأنا أعلّل نفسي بلعلّ وعسى؟ قالوا: يا أبانا قد رأينا نوراً قد علا، فقال: الآن قد زال الشقاء، وذهب العناء، ثمّ رفع طرفه نحو السماء وقال: إلهي وسيّدي ومولاي بجاه هذا المحبوب الّذي زاد فيه تفكّري إلاّ ما رددت عليّ بصري، فما استتمّ كلامه حتّى ردّ الله عليه بصره، فقال الراهب للرّهبان: كيف رأيتم جاه هذا المحبوب عند علاّم الغيوب، ثمّ أنشأ يقول:

بدا النور من وجه النبيّ فأشرقا وأحيا محبّاً بالصبابة محرقا
وأبرأ عيوناً قد عمين من البكاء وأصبح من سوء المكاره مطلقا
ترى هل ترى عيناي طلعة وجهه وأصبح من رقّ الضلالة معتقا

ثمّ قال: يا أولادي إن كان هذا النبيّ المبعوث في هذا الركب ينزل تحت هذه الشجرة فإنّها تخضر وتثمر، فقد جلس تحتها عدّة من الأنبياء، وهي من عهد عيسى ابن مريم ﵇ يابسة، وهذه البئر لم نر فيها ماء فإنّه يأتي إليها ويشرب منها، فما كان إلاّ قليلاً وإذا الركب قد أقبل وحول البئر قد نزلوا، وحطّوا الأحمال عن الجمال، وكان النبيّ ﷺ يحبّ الخلوة بنفسه، فأقبل تحت الشجرة فاخضرّت وأثمرت من وقتها وساعتها، فما استقرّ بهم الجلوس حتّى قام النبيّ ﷺ فمشى إلى البئر فنظر إليها واستحسن عمارتها، وتفل فيها فتفجّرت منها عيون كثيرة، ونبع منها ماء معين، فلمّا رأى الراهب ذلك قال: يا أولادي هذا هو المطلوب فبادروا بصنع الولائم من أحسن الطعام لنتشرّف بسيّد بني هاشم، فإنّه سيّد الأنام، لنأخذ منه الذمّة لسائر الرهبان، فبادر القوم لأمره طائعين، وصنعوا الولائم، وقال لهم: انزلوا إلى أمير هذا القوم وقولوا له: إنّ أبانا يسلّم عليك، ويقول لك: إنّه قد عمل وليمة وهو يسألك أن تجيبه وتأكل من زاده، فنزل بعض الرهبان فما رأى أحسن من أبي جهل لعنه الله، ولم ير رسول الله ﷺ، فأخبر أبا جهل بمقالة الراهب، فنادى في العرب: إنّ هذا الراهب قد صنع لأجلي وليمة، وأريد أن تجيبوا لدعوته، فقال القوم: من نترك عند أموالنا؟ فقال أبو جهل: اجعلوا محمّداً عند أموالنا فهو الصّادق الأمين، وفي هذا المعنى قيل:

ومناقب شهد العدوّ بفضلها والفضل ما تشهد به الأعداءُ

فسار القوم إلى النبيّ ﷺ وسألوه أن يجلس عند متاعهم. وسار القوم إلى الراهب يتقدمهم أبو جهل لعنه الله، وقد أعجب بنفسه، فلمّا دخلوا الدير أحضر لهم الطعام وناداهم بالرحب والإكرام، فأخذ القوم في الأكل، وأخذ الراهب القلنسوة والسفر في يده وجعل ينظر فيه ويدور على القوم رجلاً رجلاً، وجعل ينظر فيهم رجلاً رجلاً، فلم ير صفة النبيّ ﷺ، فرمى القلنسوة عن رأسه ونادى: واخيبتاه، واطول شقوتاه، ثمّ جعل يقول شعراً:

يا أهل نجد تقضّى العمر في أسف ... منكم وقلبي لم يبلغ أمانيه

يا ضيعة العمر لا وصل ألوذ به ... من قربكم لا ولا وعد أرجّيه

قال: ثمّ بعد ذلك قال: يا سادات قريش هل بقي منكم أحد؟ فقال أبو جهل: نعم بقي منّا صبيٌّ صغيرٌ أجيرٌ على أموال بعض نسائنا، فما استتمّ كلامه حتّى قام له حمزة وضربه ضرباً وجيعاً، وألقاه على قفاه، وقال: يا وغد الأنام لم لا قلت: تأخّر منّا البشير النذير، السراج المنير، وما تركناه عند بضائعنا وأموالنا إلاّ لأمانته وما فينا أصلح منه، ثمّ التفت حمزة إلى الراهب وقال: أرني السفر، وأخبرني بما فيه، فقال: سيّدي هذا سفر فيه صفة النبيّ ﷺ، لا بالطويل الشاهق، ولا بالقصير اللاّصق، معتدل القامة، بين كتفيه علامة، تظلّه الغمامة، يبعث من تهامة، شفيع العصاة يوم القيامة، قال العبّاس: يا راهب إذا رأيته تعرفه؟ قال: نعم، قال: سر معي إلى الشجرة، فإنّ صاحب هذه الصفة تحتها، فخرج الراهب من الدير يهرول في خطواته حتّى لحق بالنبي ﷺ، فلمّا رآه نهض قائماً لا متكبّراً ولا متجبّراً، فقال: مرحباً بالفيلق، بعدما قال له الراهب: السّلام عليك يا أبا الفتيان، فقال له النبيّ ﷺ وعليك السّلام يا عالم الرهبان، ويا ابن اليونان يا ابن عبد الصليب، فقال الراهب: وما أدراك أنّي الفيلق بن اليونان بن عبد الصليب؟ قال: الّذي أخبرك أنّي أبعث في آخر الزمان بالأمر العجيب، فانكبّ الراهب على قدميه يقبّلهما وهو يقول: يا سيّد البشر، لعلّك أن تجيب لوليمتنا لتحصل لنا بها الكرامة، ونفوز بمحبّتك يوم القيامة، فقال له النبيّ ﷺ: اعلم أن القوم أودعوني في أموالهم، فقال: يا مولاي تصدّق علينا بالمسير، إن عدم لهم عقال عليّ ببعير، فقال له النبيّ ﷺ: سر، وسار معهم إلى ديرهم، وكان له بابان: واحد كبير، والآخر صغير، وقد وضعوا بحيال الباب الصغير كنيسة فيها تصاوير وتماثيل، فاذا دخل الرجل من الباب الصغير ينحني برأسه، وذلك برسم السجود للتّصاوير في الكنيسة، فخطر في نفسه أنّه يدخل النبيّ ﷺ من الباب الصغير ليتلذّذ بمعاجزه وغرائب كراماته، فلمّا دخل الراهب أمامه داخله الفزع من النبيّ ﷺ فلمّا دخل النبيّ ﷺ من الباب القصير أمر الله تعالى عضادتي الباب أن ترتفع، فارتفع الباب حتّى دخل النبيّ ﷺ منتصب القامة، فلمّا أشرف على القوم قاموا له إجلالاً، وأجلسوه في أوساطهم على أعلى مكان، ووقف الراهب بين يديه، والرهبان حوله، فقدّموا بين يديه طرائف الشام، ثمّ رمق الراهب بطرفه إلى السّماء فقال: إلهي وسيّدي ومولاي أرني خاتم النبوّة، فأرسل الله عزّوجلّ جبرئيل ورفع ثيابه

عن ظهره، فبان خاتم النبوّة بين كتفيه، فسطع منه نور ساطع، فلمّا رآه الراهب خرّ ساجداً هيبة من ذلك النور، ثمّ رفع رأسه وقال: هو أنت حقّاً، ثمّ إنّ حمزة أنشأ يقول:

أنت المظلّل بالغمام وقد رأى ... الرهبان أنّك ذاك وانكشف الخبر
ربّيت في بحبوح مكّة بعدما ... وضع الخليل وفاق فخرك من فخر
ورضعت في سعدٍ لثدي حليمةٍ ... كرماً ففاض الثدي نحوك وانحدر

قال: فشكره النبيّ ﷺ وتفرّق القوم إلى رحالهم، وقد كمد أبو جهل غيظاً، وبقي ميسرة والراهب مع النبيّ ﷺ فقال الراهب: يا سيّدي أبشر، فإنّ الله يوطئ لك رقاب العرب، وتملك سائر البلاد، وينزل عليك القرآن، وتدين لك الأنام، ودينك عند الله هو الإسلام، وتنكس الأصنام، وتمحق الأديان، وتخمد النيران، وتكسر الصلبان، ويبقى ذكرك إلى آخر الزمان، فأسألك يا سيّدي أن تتصدّق علينا بالذمام لسائر الرهبان لتأخذ منهم أمّتك الجزية في ذلك الزمان، فيا ليتني كنت معك حتّى تبعث يا سيّدي، فأعطاهم النبيّ ﷺ الذمام، وأكرمهم غاية الإكرام.

وقال الراهب لميسرة: يا ميسرة اقرىء مولاتك منّي السّلام، واعلم أنّها قد ظفرت بسيّد الأنام، وأنّه سيكون لها شأن من الشأن، وتفضل على سائر الخاصّ والعامّ، وأحذرها أن تفوتها القرب من هذا السيّد، فإنّ الله تعالى سيجعل نسلها من نسله، وتبقى ذكرها إلى آخر الزمان، ويحسدها عليه كلّ أحد، وأعلمها أنّه لا يدخل الجنّة إلاّ من يؤمن به، ويصدّق برسالته، وأنّه أشرف الأنبياء وأفضلهم، وأصفاهم سريرة، واحذر عليه من أعدائه اليهود في الشام حتّى يعود إلى البيت الحرام، ثمّ ودّع الراهب وخرج النبيّ ﷺ ولحق بالقوم، وساروا من وقتهم وساعتهم إلى أن نزلوا بأرض الشام، وحطّوا رحالهم، فبادر أهل المدينة، واشتروا بضاعتهم، وباعت قريش بضائعها بأغلى أثمان، في أحسن بيع، وأمّا ما كان من النبيّ ﷺ فإنّه لم يبع شيئاً من بضاعته، فقال أبو جهل لعنه الله: والله ما رأت خديجة سفرة أشأم من هذه، لم يبع من بضاعتها شيئاً، فلمّا أصبح الصباح نادى العرب، فلمّا أقبلت من كلّ جانب ومكان يريدون البضائع، فلم يجدوا إلاّ بضائع خديجة، فباعها النبيّ ﷺ بأضعاف ما باعت قريش، فاغتمّ أبو جهل لذلك غمّاً شديداً، ولم يبق من بضائع خديجة إلاّ حمل أديم، فجاء رجل من اليهود يقال له سعيد بن قطمور، وكان من أحبار اليهود وكهّانهم، وكان قد اطّلع على صفة النبيّ ﷺ فلمّا نظر إليه عرفه بالنور، وقال: هذا الّذي يسفه أحلامنا، ويعطّل أدياننا، ويرمل نسواننا، وأنا أحتال على قتله، ثمّ دنا من النبيّ ﷺ وقال: يا سيّدي بكم هذا الحمل؟ فقال: بخمسمائة درهم، لا ينقص منها شيء، قال: اشتريت بشرط أن تسير معي إلى منزلي، وتأكل من طعامي حتّى تحصل لنا البركة، فقال النبيّ ﷺ: نعم، فأخذ اليهوديّ حمل الأديم وسار إلى منزله، وسار النبيّ ﷺ، فلمّا قرب اليهوديّ من منزله سبق إلى زوجته، وقال لها: أريد منك أن تساعديني على قتل هذا

الّذي يعطّل أدياننا، قالت: وكيف أصنع به؟ قال: خذي فردة الرحى واقعدي على باب الدار، فإذا رأيتيه قبض منّا ثمن حمل الأديم وخرج ارمي عليه فردة الرحى حتّى تقتليه، ونستريح منه، قال: فأخذت زوجة اليهوديّ الرحى، وطلعت على سطح الدار، فلمّا خرج النبيّ ﷺ همّت أن تلقي عليه الرحى فأمسك الله يديها، ورجف قلبها، وقد غشي عليها من نور وجه رسول الله ﷺ، وكان لها ولدان قائمان بفناء الدار فسقطت الرحى عليهما فماتا، فلمّا نظر اليهوديّ إلى ما جرى على أولاده نادى بأعلى صوته: يا بني قريظة فأجابوه من كلّ جانب ومكان، وقالوا له: ما وراءك؟ قال: اعلموا أنّه قد حلَّ ببلدكم هذا الرجل الّذي يعطّل أديانكم، ويسفه أحلاكم، وقد دخل منزلي، وأكل من طعامي، وقتل أولادي، فلمّا سمعت اليهود ذلك منه ركبوا خيولهم، وجرّدوا سيوفهم، وحملوا على قريش بأجمعهم، فلمّا نظر أعمام النبيّ ﷺ إلى اليهود لبسوا دروعهم وبيضهم وركبوا خيولهم العربيّة، وارتفع الصياح، وشهروا الصفاح، وقالوا: ما أبركه من صائح صاح، وركب حمزة على جواده وهو أشقر مضمر، حسن المنظر، مليح المخبر، صافي الجوهر، من خيل قيصر، وتقلّد سيفه، واعتقل رمحه، ولبس درعه، وحمل على اليهود فهناك جاشت عليهم الخيل من كلّ مكان، وحلّ بهم الوبال، فأجمع رأيهم على أن ينفذوا منهم سبعة رجال من رؤسائهم بلا سلاح، فلمّا رأتهم قريش من غير سلاح قالوا: ما شأنكم! قالوا: يا معشر العرب إنّ هذا الرجل الّذي معكم - يعنون بذلك النبيّ ﷺ - أوّل من يبدأ بخراب دياركم، وقتل رجالكم، وتكسير أصنامكم، والرأي عندنا أن تسلّموه لنا حتّى نقتله ونستريح منه نحن وأنتم، فلمّا سمع حمزة الكلام قال: يا ويلكم هيهات هيهات أن نسلّمه إليكم، فهو نورنا وسراجنا، ولو تلفت فيه أرواحنا فهي فداه دون اموالنا، فلمّا سمع اليهود ذلك أيسوا من بلوغ مرادهم، ورجعوا على أعقابهم، فلمّا عاين قريش اليهود وقد انقلب بعضهم على بعض رأوها فرصة فرحل القوم يجدّون السير إلى ديارهم، وقد غنموا أسلاباً من اليهود، وخيلهم وسلاحهم، وقد فرحوا بالنصر والظفر، فلمّا استقاموا على الطريق قال لهم ميسرة: ما منكم أحد يا قوم إلاّ وقد سافر مرّة أو مرتين أو أكثر، فهل رأيتم أبرك من هذه السفرة، وأكثر من ربحها؟ وما ذلك إلاّ ببركة محمّد ﷺ، وهو قد نشأ فيكم وهو قليل المال، فهل لكم أن تجمعوا له شيئاً من بينكم على جهة الهديّة حتّى يستعين به على حاله، فقالوا له: والله لقد أصبت الرأي يا ميسرة، ثمّ إنّ القوم نزلوا منزلاً كثير الماء والأشجار والأنهار، فاستخرج كلّ واحد منهم شيئاً لطيفاً، وجاءوا به على سبيل الهديّة، وكان يحبّ الهديّة، ويكره الصدقة، فلمّا جمعوه بين يديه قالوا له: خذها مباركة عليك، فدفعها إلى ميسرة ولم يرد جواباً، ثمّ إنّ القوم رحلوا يجدّون السير، ويقطعون الفيافي والأودية إلى أن نزلوا دير الراهب، وهو الوادي الّذي تزوّدوا منه التمر، ثمّ إنّهم رحلوا حتّى قربوا من مكّة ونزلوا بجحفة الوداع، فأخذ النّاس ينفذون إلى أهاليهم يبشّرونهم

بقدومهم وغنمهم، قال أبو جهل لعنه الله: يا قوم ما رأيت ربحاً أكثر من سفرتنا هذه، فقالوا: نعم، قال: وأكثرنا أرباحاً محمّد ﷺ، قال: ما كنت أحسب أنّه يجلبهم من أماكنهم، ويبيع عليهم بأغلى الثمن، ثمّ أخذ القوم في إنفاذ رسلهم، ونفذ أبو جهل وغيره رسلا، فأقبل ميسرة إلى النبيّ ﷺ وقال: يا قرّة العين هل أرشدك إلى خير يصل إليك؟ قال: ما هو؟ قال: تسير من وقتك وساعتك إلى مولاتي خديجة، وتبشّرها بسلامة أموالنا، فإنّها تعطي من يبشّرها خيراً كثيراً، وأنا أحب أن يكون ذلك لك، فقم الآن وسر إلى مكّة، وادخل على مولاتي خديجة وبشّرها بسلامة أموالها، فقام النبيّ ﷺ وقال: يا ميسرة أوصيك بمالك ونفسك خيراً، وركب مستقبل الطريق وحده يريد مكّة، وغاب عن الأبصار، فبعث الله ملكاً يطوي له البعيد، ويهوّن عليه الصعب الشديد، فلمّا أشرف على الجبال أرسل الله عليه النوم، فنام، فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل أن اهبط إلى جنّات عدن، وأخرج منه القبّة الّتي خلقتها لصفوتي محمّد ﷺ قبل أن أخلق آدم ﵇ بألفي عام، وانشرها على رأسه، وكانت من الياقوت الأحمر، معلقة بعلائق من اللّؤلؤ الأبيض يرى باطنها من ظاهرها، وظاهرها من باطنها، لها أربعة أركان، وأربعة أبواب، ركن من الزبدجد، وركن من الياقوت، وركن من العقيان وركن من اللّؤلؤ، وكذا الأبواب، فنزل جبرئيل واستخرجها فتباشرت الحور العين، وأشرفت من قصورها، وقلن: لك الحمد يا رحمان، هذا الآن يبعث صاحب القبّة وهبّت ريح الرحمة، وصفقت الأشجار، ونشر جبرئيل ﵇ القبة على رأس النبيّ ﷺ، وأحدقت الملائكة بأركانها، ثمّ أعلنوا بالتقديس والتسبيح، ونشر جبرئيل بين يديه ثلاثة أعلام، وتطاولت الجبال، ونادت الأشجار والأطيار والأملاك، يقولون: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله ﷺ، هنيئاً لك من عبد، ما أكرمك على الله تعالى! قال: وكانت خديجة متّكئة على موضع عال وجواريها حولها، وعندها جماعة من نساء قريش، وهي تطيل النظر إلى شعاب مكّة، إذ كشف الله تعالى عن بصرها دون غيرها، وقد نظرت نوراً ساطعاً وضياءً لامعاً من جهة باب المعلّى، ثمّ إنّها حقّقت النظر فرأت القبّة والمحدقين بها، ناشرين أعلامها، والنبيّ ﷺ نائم بها، فحارت في أمرها، فجعلت تنظر إليه، فقلن لها النسوة: ما لنا نراك باهتة يا بنت العمّ؟ فقالت: يا بنات العرب أنا نائمة أم يقظانة؟ فقلن: نعيذك بالله، بل أنت يقظانة، قالت لهنّ: انظروا إلى باب المعلى وانظروا إلى القبّة، قلن: نعم رأينا، قالت لهنّ: وما الّذي ترون غير ذلك؟ قلن: نرى نوراً ساطعاً، وضياءً لامعاً، قد بلغ عنان السماء، قالت: وما الّذي ترون غير ذلك؟ قلن: لم نر شيئاً، قالت: أما ترون القبّة والراكب والأطيار الخضر المحدقين بالقبّة، فقلن لها: لم نر شيئاً، قالت: أرى راكباً أبهى من نور الشمس في قبّة خضراء لم أر أحسن منها على ناقة واسعة الخطى، ولا شكّ أن الناقة هي ناقتي الصهباء، والراكب محمّد ﷺ، فقلن: يا سيّدتنا ومن أين لمحمّد ﷺ ما تقولين، وليس يقدر على

هذا كسرى ولا قيصر؟ فقالت لهنّ: فضل محمّد أعظم من ذلك، ثمّ إنّ الناقة دخلت بين الشعاب، ثمّ قصدت باب المعلّى، ثمّ إنّ الملائكة عرجت إلى السّماء، وعرج جبرئيل عليه السلام بالقبّة والاعلام، وانتبه النبيّ صلى الله عليه وآله من نومه، ودخل مكّة، وقصد منزل خديجة فوجدها وهي تقول: متى يصل محمّد حتّى أُمتّع بالنظر إليه؟ وهي تقوم وتقعد، وإذا بالنبيّ صلى الله عليه وآله قد قرع الباب، قالت الجارية: من بالباب؟ قال: أنا محمّد، قد جئت أُبشّر خديجة بقدوم أموالها وسلامتها، فلمّا سمعت خديجة كلام رسول الله صلى الله عليه وآله انحدرت إلى وسط الدار، ووقفت بالحجاب، وفتحت الجارية الباب، فقال: السّلام عليكم يا أهل البيت، فقالت خديجة: هنيئاً لك السلامة يا قرّة عيني، قال: وأنت يهنئك سلامة أموالك، قالت خديجة: تهنئني سلامتك أنت يا قرّة العين، فوالله أنت عندي خير من جميع الأموال والأهل، ثمّ قالت شعراً:

جاء الحبيب الّذي أهواه من سفر والشمس قد أثّرت في وجهه أثرا
عجبت للشّمس من تقبيل وجنته والشمس لا ينبغي أن تدرك القمرا

ثمّ قالت: يا حبيبي أين خلّفت الركب؟ قال: بالجحفة، قالت: ومتى عهدك بهم؟ قال: ساعتي هذه، فلمّا سمعت خديجة كلامه اقشعرّ جلدها، وقالت: سألتك بالله إنّك فارقتهم بالجحفة؟ قال: نعم، ولكن طوى الله لي البعيد، قالت: والله ما كنت أُحبّ أن تجيء هكذا وحيداً، إنّما كنت أُحبّ أن تكون أوّل القوم، وأنظر إليك، وأنت مقدّم الرجال، وأُرسل إليك جواريّ على رؤوس الجبال بأيديهم المباخر والمعازف، وآمر عبيدي بالذبائح والعقائر، ويكون لك يومٌ مشهورٌ، قال: يا خديجة إنّي أتيت ولم يعلم بي أحدٌ من أهل مكّة، فإن أمرتيني بالرجوع رجعت من هذه الساعة وتفعلين مرادك؟ فقالت له: يا سيّدي أمهل قليلاً، ثمّ عملت له زاداً ساخناً فوضعته في مزادة، وكانت العرب تعرفه بنقائه وطيب ريحه، وملأت له قربة من ماء زمزم، وقالت له: ارجع أودعتك من طوى لك البعيد من الأرض، فرجع النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ إنّ خديجة رجعت إلى موضعها لتنظر هل تعود القبّة أم لا، وإذا بالقبّة قد عادت وجبرئيل قد نزل، والملائكة قد أحدقوا بها كالأوّل، ففرحت خديجة بذلك، وأنشأت تقول:

نعم لي منكم ملزم أيّ ملزم ووصل مدى الأيّام لم يتصرّم
ولو لم يكن قلب المتيّم فيكم جريحاً لما سالت دموعي بالدم
ولم يخل طرفي ساعة من خيالكم ومن حبّكم قلبي ومن ذكركم فمي
ولو جبلاً حمّلتموه بعادكم لمال وما زال جسمي وأعظمي
أشدّ على كبدي يدي فيردّها بما فيه من وجد من الشوق مضرم
طويت الهوى والشوق ينشر طيّه وكتمت أشجاني فلم تتكتّم
فيا ربّ قد طالت بنا شقّة النوى وأنت قدير تنظم الشمل فانظم

قال: ثمّ إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سار قليلاً والتحق بالقوم، وبعضهم يقظان، وبعضهم رقود، فلمّا

أحسّ به ميسرة قال: من الطارق في هذا اللّيل العاكر؟ قال: أنا محمّد بن عبد الله. قال: يا سيّدي ما عهدتك أن تهزأ وعهدي بك أنّك سائر، فما الّذي أرجعك يا سيّدي؟ فقال له: يا ميسرة إنّي سافرت ثمّ عدت، فضحك ميسرة وقال: سافرت إلى ذيل هذا الجبل، ثمّ عدت؟ قال النبيّ ﷺ: بل قصدت البيت الحرام، فقال له ميسرة: ما عهدت منك يا سيّدي إلاّ الصدق، فقال: يا ميسرة ما قلت لك إلاّ الصدق، فإن كان عندك شكّ فهذا خبز مولاتك خديجة، وهذا ماء زمزم، فلمّا نظر ميسرة إلى ذلك نهض قائماً على قدميه، ونادى: يا معاشر قريش، ويا بني النضر، ويا بني زهرة، ويا بني هاشم هل غاب محمّد عنكم غير ساعتين أو أقلّ من ذلك؟ فقالوا: نعم، قال: قد سار إلى مكّة ورجع، وهذا خبز مولاتي خديجة، وهذا ماء زمزم، فتعجب القوم ودهشت عقولهم، وصاح أبو جهل لعنه الله وقال: لا يبعد هذا على الساحر، فلمّا أصبح الصباح بلغ العرب سبق الخبر بقدوم القافلة، وخرج أهل مكّة مبادرين، وسبق عبيد خديجة وجواريها وتفرّقوا في شعاب مكّة وأوديتها، بأيديهم المعازف والمباخر، فكان النبيّ ﷺ ما يمرّ على عبد من عبيد خديجة إلاّ يعقر ناقة فرحاً بقدومه، ثمّ تفرّق النّاس إلى منازلهم، ونظرت خديجة إلى جمالها وقد أقبلت كالعرائس، وكانت معتادة أن يموت بعض جمالها ويجرب بعضها إلاّ تلك السفرة فإنّها لم تنقص منها شعرة، فوقف قريش متعجّبين من تلك الجمال، كلّما مرّ بهم جمل بإزائه ناقة هيفاء فيقولون: لمن هذا؟ فيقال هذا ما أفاده محمّد ﷺ لخديجة من الشام، فذهلت عقول قريش لذلك، فلمّا اجتمعت أموال خديجة فكّوا رحالها، وعرضوا الجميع على خديجة وكانت جالسة خلف الحجاب، والنبي ﷺ جالس وسط الدار، وميسرة يعرض عليها الأمتعة شيئاً فشيئاً، فنظرت خديجة إلى شيء قد أدهشها، فبعثت إلى أبيها تعرّفه بذلك، وترغّبه في محمّد ﷺ، فلم تك إلاّ ساعة واحدة وإذا بخويلد قد أقبل ودخل منزل ابنته خديجة، وهو متزيّن بالثياب، متقلّد سيفاً، فلمّا نظرت إليه قامت وأجلسته إلى جنبها، وابتدأته بالترحيب، وجعلت تعرض عليه البضائع، وهي تقول: يا أبت هذا كلّه ببركة محمّد ﷺ، والله يا أبتاه إنّه مبارك الطلعة، ميمون الغرّة فما ربحت ربحاً أغنم من هذه السفرة، ثمّ التفتت إلى ميسرة وقالت: حدّثني كيف كان سفركم؟ وما الّذي عاينتم من محمّد ﷺ؟ قال: يا سيّدتي وهل أطيق أن أصف لك بعضاً من صفاته وما عاينت منه ﷺ؟ ثمّ أخبرها بحديث السيل، والبئر، والثعبان، والنخل، وما أخبره الراهب، وما أوصاه إلى خديجة، فقالت: حسبك يا ميسرة: لقد زدتني شوقاً إلى محمّد ﷺ، اذهب فأنت حرّ لوجه الله، وزوجتك وأولادك، ولك عندي مائتا درهم، وراحلتان، وخلعت عليه خلعة سنيّة، وقد امتلأ سروراً وفرحاً، ثمّ إنّ خديجة التفتت إلى النبيّ ﷺ وقالت: ادن منّي فلا حجاب اليوم بيني وبينك، ثمّ رفعت عنها الحجاب، وأمرت أن ينصب له كرسيّ من العاج والآبنوس، وأجلسته عليه، وقالت: يا سيّدي كيف كان سفركم؟

فأخذ يحدّثها بما باعه وما شراه، فرأت خديجة ربحاً عظيماً، وقالت: يا سيّدي لقد فرحتني بطلعتك، وأسعدتني برؤيتك، فلا لقيت بؤساً، ولا رأيت نحوساً، ثمّ جعلت تقول شعراً:

فلو أنني أمسيت في كلّ نعمة ودامت لي الدنيا وملك الأكاسرة
فما سوّيت عندي جناح بعوضة إذا لم يكن عيني لعينك ناظرة

قال: ثمّ إنّ خديجة قالت: يا سيّدي لك عندي حقّ البشارة زيادة على ما كان بيننا فهل لك الساعة من حاجة فتقضى؟ قال ﷺ: حتّى أستريح وأعود إليك، ثمّ خرج ودخل منزل عمّه أبي طالب، وكان أبو طالب فرحاً بما عاين من ابن أخيه، فقبّل ما بين عينيه وجاءت أعمامه حوله، وقال أبو طالب: يا ولدي ما الّذي أعطتك خديجة؟ قال: وعدتني الزيادة على ما بيننا، قال: هذه نعمة جليلة، وقد عزمت أن أترك لك بعيرين تسافر عليهما، وراحلتين تصلح بهما شأنك، وأمّا الذهب والفضّة أخطب لك بهما فتاة من نسوان قريش من قومك ثمّ لا أبالي بالموت حيث أتى، وكيف نزل، فقال: يا عماه افعل ما بدا لك، فلمّا كان وقت الغداة اغتسل النبيّ ﷺ من وعك السفر، وتطيّب وسرّح رأسه، ولبس أفخر أثوابه وسار إلى منزل خديجة، فلم يجد عندها سوى ميسرة، فلمّا رأته فرحت بقدومه، وجعلت تقول:

دنا فرمى من قوس حاجبه سهما فصادفني حتّى قتلت به ظلما
وأسفر عن وجه وأسبل شعره فبات يباهي البدر في ليلة ظلما
ولم أدر حتّى زار من غير موعد على رغم واش ما أحاط به علما
وعلّمني من طيب حسن حديثه منادمة يستنطق الصخرة الصّما

قال: ثمّ التفت إليه وقالت: يا سيّدي نعمت الصباح، ودامت لك الأفراح، هل من حاجة فتقضى؟ فاستحيا وطأطأ رأسه وعرق جبينه، فأقبلت عليه تلاطفه في الكلام، ثمّ قالت: يا سيّدي إذا سألتك عن شيء تخبرني؟ قال: نعم، قالت خديجة: إذا أخذت الجمال والمال من عندي ما تريد أن تصنع به؟ قال لها: وما تريدين بذلك يا خديجة؟ قالت: أزيدك وما أقدر عليه، قال اعلمي أن عمّي أبا طالب قد أشار عليّ أن يترك لي بعيرين أسافر بهما، وبعيرين أُصلح بهما شأني، والذهب والفضّة يخطب لي بهما امرأة من قومي تقنع منّي بالقليل، ولا تكلّفني ما لا أطيق، فتبسّمت خديجة، وقالت: يا سيّدي أما ترضى أنّي أخطب لك امرأة تحسن بقلبي؟ قال: نعم، قالت: قد وجدت لك زوجة، وهي من أهل مكّة من قومك، وهي أكثرهنّ مالاً واحسنهنّ جمالاً وأعظمهنّ كمالاً، وأعفّهنّ فرجاً، وأبسطهنّ يداً، طاهرة مصونة، تساعدك على الأمور، وتقنع منك بالميسور ولا ترضى من غيرك بالكثير، وهي قريبة منك في النسب، يحسدك عليها جميع الملوك والعرب، غير أنّي أصف لك عيبها، كما وصفت لك خيرها، قال: وما ذلك؟ قال: عرفت قبلك رجلين، وهي أكبر منك سنّاً، قال ﷺ: سمّيها لي، قالت: هي مملوكتك خديجة، فأطرق منها خجلاً حتّى

عرق جبينه، وأمسك عن الكلام، فأعادت عليه القول مرّة أُخرى، وقالت: يا سيّدي ما لك لا تجيب؟ وأنت والله لي حبيب، وإنّي لا أُخالف لك أمراً، وأنشأت تقول:

يا سعد إن جزت بوادي الأراك ... بلّغ قليباً ضاع منّي هناك
واستفت غزلان الفلا سائلا ... هل لأسير الحبّ منهم فكاك؟
وإن ترى ركباً بوادي الحمى ... سائلهم عنّي ومن لي بذاك؟
نعم سروا واستصحبوا ناظري ... والآن عيني تشتهي أن تراك
ما فيّ من عضو ولا مفصل ... إلاّ وقد ركب منه هواك
عذّبتني بالهجر بعد الجفاء ... يا سيّدي ماذا جزاء بذاك؟
فاحكم بما شئت وما ترتضي ... فالقلب ما يرضيه إلاّ رضاك

قال: ثمّ ألحّت عليه بالكلام، فقال لها: يا ابنة العمّ أنت امرأة ذات مال، وأنا فقير لا أملك إلاّ ما تجودين به عليّ، وليس مثلك من يرغب في مثلي، وأنا أطلب امرأة يكون حالها كحالي، ومالها كمالي، وأنت ملكة لا يصلح لك إلاّ الملوك، فلمّا سمعت كلامه قالت: والله يا محمّد إن كان مالك قليلاً فمالي كثير، ومن يسمح لك بنفسه كيف لا يسمح لك بماله؟ وأنا ومالي وجواريّ وجميع ما أملك بين يديك وفي حكمك، لا أمنعك منه شيئاً، وحقّ الكعبة والصفا ما كان ظنّي أن تبعدني عنك، ثمّ ذرفت عبرتها وقالت شعراً:

والله ما هبّ نسيم الشمال ... إلاّ تذكّرت ليالي الوصال
ولا أضا من نحوكم بارق ... إلاّ توهّمت لطيف الخيال
أحبابنا! ما خطرت خطرة ... منكم غداة الوصل منّي ببال
جور الّليالي خصّني بالجفا ... منكم ومن يأمن جور الّليال؟
رقّوا وجودوا واعطفوا وارحموا ... لا بدّ لي منكم على كلّ حال

قال: ثمّ إنّ خديجة قالت: وربّ احتجب عن الأبصار، وعلم حقيقة الأسرار إنّي محقّة لك في هذا الأمر، قم إلى عمومتك وقل لهم: يخطبوني لك من أبي، ولا تخف من كثرة المهر، فهو عندي وأنا أقوم لك بالهدايا والمصانعات، فسر وأحسن الظنّ فيمن أحسن بك الظنّ، فخرج النبيّ ﷺ من عندها، ودخل على عمّه أبي طالب والسرور في وجهه، فوجد أعمامه مجتمعين، فنظر إليه أبوطالب وقال: يابن أخي يهنئك ما أعطتك خديجة وأظنّها قد غمرتك من عطاياها، قال محمّد ﷺ: يا عمّ لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال، تنهض أنت وأعمامي هذه الساعة إلى خويلد، وتخطبون لي منه خديجة، فلم يردّ أحد منهم عليه جواباً غير أبي طالب، فقال: يا حبيبي إليك نصير، وبأمرك نستشير في أُمورنا، وأنت تعلم أن خديجة امرأة كاملة ميمونة فاضلة تخشى العار، وتحذر الشنار، وقد عرفت قبلك رجلين: أحدهما عتيق بن عائذ، والآخر عمرو الكنديّ، وقد رزقت منه ولداً، وخطبها ملوك العرب

ورؤساؤهم وصناديد قريش وسادات بني هاشم وملوك اليمن وأكابر الطائف، وبذلوا لها الأموال، فلم ترغب في أحد منهم، ورأت أنّها أكبر منهم، وأنت يابن أخي فقير لا مال لك ولا تجارة، وخديجة امرأة مزّاحة عليك، فلا تعلّل نفسك بمزاحها، ولا تسمع قريشاً هذا الأمر، فقال أبو لهب: يا ابن أخي لا تجعلنا في أفواه العرب، وأنت لا تصلح لخديجة، فقام إليه العبّاس وانتهره، وقال: والله إنّك لرذل الرجال، رديّ الأفعال، وما عسى أن يقولوا في ابن أخي، والله إنّه أكثر منهم جمالاً، وأزيد كمالاً، وبماذا تتكبّر عليه خديجة؟ لمالها أم لزيادة كمالها وجمالها؟ فأُقسم بربّ الكعبة لئن طلبت عليه مالاً لأركبنّ جوادي وأطوف في الفلوات، ولأدخلنّ على الملوك حتّى أجمع له ما تطلب عليه خديجة. قال النبيّ ﷺ: يا معاشر الأعمام قد أطلتم الكلام فيما لا فائدة فيه، قوموا واخطبوا لي خديجة من أبيها، فما عندكم من العلم مثل ما عندي منها، فنهضت صفيّة بنت عبد المطّلب رضي الله عنها وقالت: والله أنا أعلم أن ابن أخي صادق فيما قاله، ويمكن أن تكون خديجة مازحة عليه، ولكن أنا أروح وأبيّن لكم الأمر، ثمّ لبست أفخر ثيابها وسارت نحو منزل خديجة، فلقيتها بعض جواريها في الطريق فسبقتها إلى الدار، وأعلمت خديجة بقدوم صفيّة بنت عبد المطلب، وكانت قد عزمت على النوم فأخلت لها المكان، وقد عثرت خديجة بذيلها، فقالت: لا أفلح من عاداك يا محمّد، فسمعت صفيّة كلام خديجة فقالت في نفسها: أجاد الدليل، ثمّ طرقت الباب، ففتح وجاءت إلى خديجة فلقيتها بالرحب والتحيّة، وأرادت أن تأتي لها بطعام، فقالت: يا خديجة ما جئت لآكل طعام، بل يا ابنة العمّ جئت أسألك عن كلام أهو صحيح أم لا؟ فقالت خديجة: بل هو صحيح إن شئت تخفيه أو شئت تبديه، وأنا قد خطبت محمّداً لنفسي، وتحمّلت عنه مهري، فلا تكذبوه إن كان قد ذكر لكم بشيء، وإنّي قد علمت أنّه مؤيد من ربّ السّماء، فتبسّمت صفيّة وقالت: والله إنّك لمعذورة فيمن أحببت، والله ما شاهدت عيني مثل نور جبينه، ولا أعذب من كلام ابن أخي، ولا أحلى من لفظه ثمّ أنشأت تقول شعراً:

الله أكبر كلّ الحسن في العرب	كم تحت غرّة هذا البدر من عجب
قوامه ثمّ إن مالت ذوائبه	من خلفه فهي تغنيه عن الادب
تبّت يد اللائمي فيه وحاسده	وليس لي في سواه قطّ من أرب

قال: ثمّ إن صفية رضي الله عنها عزمت على الخروج من بيتها، فقالت لها خديجة: أمهلي قليلاً، ثمّ أخرجت خلعة سنيّة وخلعتها على صفيّة، وضمّتها إلى صدرها، وقالت: يا صفيّة بالله عليك إلاّ ما أعنتيني على وصال محمّد ﷺ، قالت: نعم، ثمّ خرجت طالبة لإخوتها، فقالوا لها: ما وراءك يا صفيّة، يا ابنة الطيّبين؟ قالت: يا إخوتي قوموا إن كنتم قائمين، فوالله إنّ لها في ابن أخيكم محمّد ﷺ رغبة ليس تدرك، ففرحوا بذلك كلّهم غير أبي لهب، فإنّ كلامها زاده غيظاً وحسداً لمحمّد ﷺ، وذلك بسبب الشقاوة السابقة، فزعق بهم العبّاس

وقال: فما قعودكم إذ كان قد حصل الأمر؟ فنهضوا جميعاً إلى دار خويلد، وقد عمد أبو طالب إلى النبيّ ﷺ وألبسه أحسن الثياب، وقلّده سيفاً، وأركبه على جواده، ودار حوله عمومته وكلّهم محدقون به، فلقاهم أبو بكر بن أبي قحافة وقال: إلى أين تريدون يا أولاد عبد المطّلب؟ لقد كنت قاصداً إليكم في حاجة خطرت ببالي، فقال له العبّاس: وما هي؟ اذكرها، قال: رأيت في منامي كأنّ نجماً قد ظهر في منزل أبي طالب وارتفع إلى أفق السماء، وأنار واستنار إلى أن صار كالقمر الزاهر، ثمّ نزل بين الجدران فتبعته، فإذا هو قد دخل في بيت خديجة بنت خويلد، ودخل معها تحت الثياب، فما تأويله؟ قال له أبو طالب: ها نحن لها قاصدون، وعلى خطبتها معوّلون، ثمّ ساروا حتّى وصلوا منزل خويلد فسبقتهم الجواري إليه، وكان يشرب الخمر، وقد لعب الخمر في رأسه، فلمّا نظر إلى بني هاشم قام لهم وقال: مرحباً وأهلاً بأبناء آبائنا وأعزّ الخلق علينا، فقال أبو طالب: يا خويلد ما جئنا إلاّ لحاجة، وأنت تعلم قربنا منكم، ونحن في هذا الحرم أبناء أب واحد، وقد جئنا خاطبين ابنتك خديجة لسيّدنا، ونحن لها راغبون، فقال خويلد: ومن الخاطب منكم؟ ومن المخطوبة منّي؟ فقال أبو طالب: الخاطب منّا محمّد ابن أخي، والمخطوبة خديجة، فلمّا سمع ذلك خويلد تغيّر لونه وكبر عليه وقال: والله إنّ فيكم الكفاية، وأنتم أعزّ الخلق علينا، ولكن خديجة قد ملكت نفسها وعقلها أوفر من عقلي. وأنا لم تطب قلبي إن خطبها الملوك، فكيف وهذا محمّد فقير صعلوك؟ فقام إليه حمزة رضي الله عنه فقال له: لا يقدّر اليوم بأمس، ولا تشاكل القمر بالشمس يا بادي الجهل، ويا خسيف العقل، أما علمت أنّك قد ضل رشدك، وغاب عقلك، أتثلب ابن أخينا؟ أما علمت أنّه إذا أراد أموالنا وأرواحنا قدمنا الكلّ بين يديه، ولكن سوف يبيّن لك غبّ فعلك، ثمّ نفض أثوابه ونهض، ونهض إخوته وساروا إلى منازلهم، وبلغ الخبر خديجة من جارية لها، فقالت: ما وراءك؟ قالت: أمر يغمّ القلوب، فقالت لها: ماذا يا ويحك؟ قالت: إنّ أباك قد ردّ أولاد عبد المطّلب خائبين، فلمّا سمعت خديجة كلامها قالت: اطلبي لي عمّي ورقة، فخرجت الجارية وعادت ومعها ورقة، فلمّا جاءها استقبلته بأحسن قبول، وقالت: مرحباً بك يا عمّ، فلا غابت طلعتك عنّي، ثمّ طرقت إلى الأرض وقد قطب حاجباها، فقال ورقة: حاشاك يا خديجة من السوء، ما الّذي حلّ بك؟ قالت: يا عمّ ما حال السائل وما نال المسؤول؟ قال: في أنحس حال، قال: ولكن أراك يا خديجة تخاطبيني بهذا الكلام، كأنك تريدين الزواج؟ قالت: أجل، قال: يا خديجة لقد خطبك الملوك والصناديد، ولم ترضي بأحد منهم، قالت: ما أريد من يخرجني من مكّة، فقال: والله ما منها أحد إلاّ وقد خطبك، مثل شيبة بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط، وأبي جهل بن هشام، والصلت بن أبي يهاب فأبيت عنهم جميعاً، قالت: ما أريد من فيه عيب، ثمّ قالت: يا عمّ صف لي عيبهم، قال: يا خديجة أمّا شيبة ففيه سوء الظنّ، وأمّا عقبة فهو كثير السنّ، وأمّا أبو جهل فهو بخيل متكبّر، كريه

النفس، وأمّا الصلت فهو رجل مطلاق، فقالت: لعن الله من ذكرت، وهل تعلم أنّه خطبني غير هؤلاء؟ قال: سمعت أنّه قد خطبك محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم، قالت يا عمّ صف لي عيبه، وكان ورقة عنده علم من الكتب السالفة بما يكون من أمر محمّد ﷺ، فلمّا سمع كلامها طأطأ رأسه وقال: أصف لك عيبه؟ قالت: نعم، قال: أصله أصيل، وفرعه طويل وطرفه كحيل، وخلقه جميل، وفضله عميم، وجوده عظيم، والله يا خديجة ما كذبت فيما قلت، قالت: يا عمّ صف لي عيبه كما وصفت لي خيره، قال: يا خديجة: وجهه أقمر، وجبينه أزهر، وطرفه أحور، ولفظه أعذب من المسك الأذفر، وأحلى من السكّر، وإذا مشى كأنّه البدر إذا بدر، والوبل إذا أمطر، قالت: يا عمّ صف لي عيبه، قال: يا خديجة مخلوق من الحسن الشامخ، والنسب الباذخ، وهو أحسن العالم سيرة، وأصفاهم سريرة، إذا مشى تخاله ينحدر من صبب، شعره كالغيهب، وخدّه أزهر من الورد الأحمر، وريحه أزكى من المسك الأذفر، ولفظه أعذب من الشهد وأخير، أُشهدك يا خديجة أنّي أحبّه. قالت: يا عمّ أراك كلّما قلت لك: صف لي عيبه وصفت لي حسنه؟ قال: يا ابنتي وهل أنا أقدر على وصف خيره، ثمّ أنشأ يقول:

لقد علمت كلّ القبائل والملأ ... بأنّ حبيب الله أظهرهم قلبا
وأصدق من في الأرض قولاً وموعداً ... وأفضل خلق الله كلّهم قربا

فقالت: يا ورقة إنّ أكثر النّاس يثلبونه، قال: ثلبهم له إنّه فقير، قالت: يا عمّ أما سمعت قول الشاعر:

إذا سلمت رؤوس الرجال من الأذى ... فما المال إلاّ مثل قلم الأظافر

ولكن يا عمّ إذا كان ماله قليلاً فمالي كثير، وإنّي يا عمّ محبّة له على كلّ حال، فقال لها: إذن والله تسعدين وترشدين وتحظّين بنبيّ كريم، فقالت: يا عمّ أنا الّذي خطبته لنفسي، فقال لها ورقة: وما الّذي تعطيني وأنا أزوّجك في هذه اللّيلة بمحمّد؟ فقالت: يا عمّ وهل لي شيء دونك، أم يخفى عليك؟ وهذه ذخائري بين يديك، ومنزلي لك، وأنا كما قال القائل شعراً:

إذا تحقّقتم ما عند صاحبكم ... من الغرام فذاك العذر يكفيه
أنتم سكنتم بقلبي فهو منزلكم ... وصاحب البيت أدرى بالّذي فيه

ثمّ قال ورقة: يا خديجة لست أريد شيئاً من حطام الدنيا، وإنّما أُريد أن تشفعي لي عند محمّد ﷺ يوم القيامة واعلمي يا خديجة أن بين أيدينا حساب وكتاب وعقاب وعذاب، ولا ينجو إلاّ من تبع محمداً، وصدّق برسالته، فيا ويل من زحزح عن الجنّة وأُدخل النار، فلمّا سمعت خديجة كلامه قالت: يا عمّ لك عندي ما طلبت، فخرج ورقة ودخل على أخيه خويلد وقد غلب عليه السكر، فجلس ورقة وقد ظهر الغيظ في وجهه، وقال: يا أخي ما أغفلك عن نفسك؟ تريد أن تقتلها أنت بنفسك؟ فقال: ومن أين علمت يا أخي؟ فقال: لقد

خلّفت بني عبد المطّلب وقلوبهم تغلي عليك كغلي القدر، وقد أراد حمزة أن يهجم عليك في دارك، فقال خويلد: يا أخي وأيّ ذنب أذنبته عليهم حتّى يفعلوا بي ذلك؟ قال: سمعتهم يقولون إنّك تثلب ابن أخيهم وهو عليك قبيح، إن كان قد وقع منك ذلك والله ما وطىء الحصى مثل محمّد، أنسيت ما جرى له في صغره، وما بان له في كبره؟ والله ما يثلبه إلاّ لئيم، قال خويلد: والله يا أخي ما ثلبت الرجل، وإنّه خير منّي وإنّما أراد أن يتزوّج بخديجة، فقال له أخوه: ماذا تنكر منه؟ قال خويلد: والله يا أخي ما أقول فيه شيئاً، ولكن خشيت من وجهين: الأوّل تسبّني العرب حيث أنّي رددت أكابرهم وساداتهم، وأزوجها الآن بفقير لا مال له، والثاني أنّها لا ترضاه فقال ورقة: إنّ العرب ما منهم احد إلاّ ويحبّ أن يزوّجه بابنته، ويشتهي أن يكون محمّد نسيبه وقريبه، وأمّا خديجة فمذ عاينت فضله رضيت به، وأمّا أنت فقد جلبت لنفسك عداوة بني هاشم على غير شيء، وإنّهم ما يتركونك غير ساعة لا سيّما الأسد الهجوم، حمزة القضاء المحتوم، لا يصدّه عنك صادّ، ولا يردّه عنك رادّ، والله إن قبلت نصحي، وسرت معي إلى بني هاشم سألتهم أن يرفعوا عنك يد العداوة، وتزوّج محمّداً ﷺ بخديجة، والله ما تصلح إلاّ له، ولا يصلح إلاّ لها، فقال: يا أخي أخاف أن يهجموا بي ويقتلوني، فقال ورقة: ضمان هذا الأمر عليّ، فلا تخف، فنهضا جميعاً وسارا حتّى دخلا على أولاد عبد المطّلب، فوقفا على الباب وكان من الأمر المقدّر أن في ذلك الوقت كان أولاد عبد المطّلب جالسين، وبينهم النبيّ ﷺ، فنظر إليه حمزة وقال: يا قرّة العين ما تقول؟ والله لئن أمرتني لآتينّك في هذه الساعة برأس خويلد، فقال خويلد لورقة: اسمع يا أخي، فقال ورقة اسمع أنت، فقال، خويلد: دعني أرجع، قال ورقة: لا، وانظر الآن ما أصنع، دعنا نأتي إليهم فإنّهم لا يبعدون من يأتي إليهم، ثمّ إنّ ورقة قرع الباب فقال النبيّ ﷺ: لقد جاءكم خويلد وأخوه ورقة، فقام حمزة فأدخلهم، ويد خويلد في يد ورقة، ونادى: نعمتم صباحاً ومساءً وكفيتم شرّ الأعداء، يا أولاد زمزم والصفا، فناداه أبو طالب: وأنت يا خويلد كفيت ما تحذر وتخشى، فانتهره حمزة وقال: لا أهلاً ولا سهلاً لمن طلب منّا بعداً، وأرانا هجراً وصدّاً، قال خويلد: ما كان ذلك منّي يا سيّدي، وأنتم تعلمون أن خديجة وافرة العقل، مالكة نفسها، وإنّما تكلّمت بهذا الكلام حتّى أسمع ما تقول، والآن عرفت أن المرأة فيكم راغبة، فلا تؤاخذوني بما جرى، ونحن كما قال الشاعر:

ومن عجب الأيّام أنّك هاجري ... وما زالت الأيّام تبدي العجائبا
وما لي ذنب أستحقّ به الجفا ... وإن كان لي ذنب أتيتك تائبا

والآن قد رضيت لرضاها، ولأجل القرابة والنسب، وقال شعراً:

عوّدوني الوصال فالوصل عذب ... وارحموا فالفراق والهجر صعب
زعموا حين عاينوا أن جرمي ... فرط حبّي لهم وما ذاك ذنب

لا وحق الخضوع عند التلاقي ما جزى من يحبّ أن لا يحبّ

فقال عند ذلك حمزة: يا خويلد أنت عندنا عزيز كريم، ولكن ما كان يجوز منك إذا جئناك أن تبعّدنا، فقال ورقة: إنّا لنحبّ محمّداً أشدّ محبّة، ونحن على ما تقولون، ولكنّي أريد يا بني هاشم أن تكون هذه الخطبة في غداة غد على رؤوس الأنام، حتّى يسمع الغائب والحاضر، فقال حمزة: لا نخالفكم فيما تقولون، فقال ورقة: أعلمكم أن أخي له لسان لا يخلص به عند العرب، وأريد أن يوكّلني في أمر ابنته خديجة، حتّى أصير أنا المجاوب، وأنتم تعلمون أنّي قد قرأت سائر الكتب وعرفت سائر الأديان، فقال حمزة: وكله يا خويلد على ذلك، فقال خويلد: أشهدكم يا أولاد هاشم أنّي قد وكلت أخي ورقة في أمر ابنتي خديجة، فقال ورقة: أريد أن يكون هذا الأمر عند الكعبة، فساروا جميعاً إلى الكعبة، فوجدوا العرب مجتمعين بين زمزم والمقام، وهم جماعات كثيرة، منهم الصلت بن أبي يهاب، ولثيمة بن الحجّاج، وهاشم بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وعثمان بن مبارك العميريّ، وأسد بن غويلب الدارميّ، وعقبة بن أبي معيط، وأميّة بن خلف، وأبو سفيان بن حرب، فناداهم ورقة: نعمتم صباحاً يا سكّان حرم الله، فقالوا كلّهم: أهلاً وسهلاً يا أبا البيان، فقال ورقة: يا معشر قريش، يا جميع من حضر إنّي أسألكم، ما تقولون في خديجة بنت خويلد؟ فنطق العرب بأجمعهم فقالوا: بخ بخ، لقد ذكرت والله الشرف الأوفى، والنسب الأعلى، والرأي الأزكى، ومن لا يوجد لها نظير في نساء العرب والعجم، فقال: أتحمدون أن تكون بلا بعل؟ فقالوا: ليس بواجب، وقد وجدنا الخطّاب لها كثيراً، وهي تأبى، قال ورقة: يا سادات العرب ألا وإنّ هذا أخي قد وكّلني في أمرها، وهي قد أمرتني أن أزوجها، وأعلمتني أن لها رغبة في سيّد من سادات قريش، وسألتها أن تسمّيه لي، فأبت، وأحبّ أن تسمعوا الوكالة منه، وأن تحضروا كلّكم جميعاً غداة غد في منزلها، فما تسعكم غير دارها، وكان لها دارٌ واسعةٌ تسع أهل مكّة، فلمّا سمعوا كلامه لم يبق أحدٌ منهم إلاّ يقول: أنا هو المطلوب، فقالوا: نعم الوكيل والكفيل أنت، فقال ورقة لأخيه خويلد: تكلّم ما دامت السادات حاضرين، قال خويلد: أشهدكم يا سادات العرب على أنّي قد نزعت نفسي من أمر ابنتي خديجة، وجعلت وكيلي وكفيلي في هذا الأمر أخي، فلا رأي فوق رأيه، ولا أمر فوق أمره، فقال ورقة: اسمعوا أيّها السادات، وإنّه غير مجنون ولا مجبور ولا مخمور، وإنّي أزوّجها بمن شئت، فقال العرب: سمعنا وأطعنا وشهدنا، وخرج خويلد وقد ذهب حكمها من يده، وسار ورقة إلى منزل خديجة وهو فرح مسرور، فلمّا نظرت إليه قالت: مرحباً وأهلاً بك يا عمّ، لعلّك قضيت الحاجة، قال: نعم يا خديجة يهنتك، وقد رجعت أحكامك إلي، فأنا وكيلك، وفي غداة غد أزوّجك إن شاء الله تعالى بمحمّد ﷺ، فلمّا سمعت خديجة كلامه فرحت وخلعت عليه خلعة قد اشتراها عبدها ميسرة من الشام بخمسمائة دينار، فقال ورقة: لا ترغّبيني في مثل هذا، فلست براغب فيه، وإنّما الرغبة في

شفاعة محمّد ﷺ، فقالت: لك ذلك، ثمّ قال لها: يا خديجة قومي هذه الساعة، وجهّزي أمرك، وجمّلي منزلك، وأخرجي ذخائرك، وعلّقي ستورك، وانشري حللك، واكمدي عدوّك، فما يدّخر المال إلّا لمثل هذا اليوم، واصنعي وليمةً لا يعوزك فيها شيء، فإنّ العرب في غداة غد يأتون كلّهم إلى دارك، فلمّا سمعت منه ذلك نادت في عبيدها وجواريها، وأخرجوا الستور والمساند والوسائد والبسط المختلفة الألوان والحلل ذات الأثمان والعقود والقلائد ونشرت الرايات.

وقد روت الرواة الّذين شاهدوا تلك اللّيلة أن تلك العبيد والإماء الّذين كانوا برسم الخدمة لحمل الآنية ثمانون عبداً، وذبحت الذبائح، وعقرت العقائر، وعقدت الحلاوات من كلّ لون، وجمعت الفواكه من كلّ فاكهة، وقصد ورقة منزل أبي طالب فوجده وإخوته مجتمعين، فقال لهم: نعمتم صباحاً ومساءً، ما يحبسكم عن إصلاح أمركم، انهضوا في أمر خديجة، فقد صار أمرها بيدي، فإذا كان غداة غد إن شاء الله تعالى أزوّجها بمحمّد ﷺ، فعندها قال محمّد ﷺ: لا أنسى الله لك ذلك يا ورقة، وجزاك فوق صنيعك معنا، ثمّ قال أبو طالب: الآن والله طاب قلبي، وعلمت أن أخي قد بلغ المنى، وقام لعمل الوليمة وإخوته عنده، فعند ذلك اهتزّ العرش والكرسيّ، وسجد الملائكة وأوحى الله تعالى إلى رضوان خازن الجنان أن يزيّنها، ويصفّ الحور والولدان، ويهيّء أقداح الشراب، ويزيّن الكواعب والأتراب، وأوحى إلى الأمين جبرئيل عليه السلام، أن ينشر لواء الحمد على الكعبة، وتطاولت الجبال، وسبّحت بحمد الملك المتعال، على ما خصّ به محمّداً ﷺ، وفرحت الأرض، وباتت مكّة تغلي بأهلها كما يغلي المرجل على النار، فلمّا أصبحوا أقبلت الطوائف والأكابر والقبائل والعشائر، فلمّا دخلوا منزل خديجة وجدوها وقد أعدّت لهم المساند والوسائد والكراسيّ والمراتب، وجعلت مجلس كلّ واحد منهم في مرتبته ومحلّه، فدخل أبو جهل لعنه الله وهو يختال في مشيته وزينته، وقد أرخى ذوائبه من ورائه، وحمائل سيفه على منكبه، وقد أحدقت به بنو مخزوم، فنظر إلى صدر المجلس وقد نصب فيه كرسيّ عظيم، وتحته أحد عشر كرسيّاً، في أعلى مكان مصفوفاً لم ير أحسن منها، فتقدّم وأراد الجلوس على ذلك السرير العالي، فصاح به ميسرة وقال له: يا سيّدي تمهّل قليلاً ولا تعجل، فقد وضعت منزلك عند بني مخزوم، فرجع وهو خجلان، وجلس فما كان إلّا قليلاً وإذا بأصوات قد علت، والعرب قد تواثبت؛ وقد أقبل العبّاس وحمزة إلى جانبه، وسيفه مجرّد من غمده، وأبو طالب يقدمهم، وحمزة يقول: يا أهل مكّة الزموا الأدب، وقلّلوا الكلام، وانهضوا على الأقدام، ودعوا الكبر، فإنّه قد جاءكم صاحب الزمان محمّد المختار، من الملك الجبّار، المتوّج بالأنوار، صاحب الهيبة والوقار، قد ورد عليكم، فنظرت العرب وإذا بالنبيّ ﷺ قد جاء، وهو معتمّ بعمامة سوداء، تلوح ضياء جبينه من تحتها، وعليه قميص عبد المطّلب، وبردة الياس، وفي رجليه نعلان لجدّه عبد المطّلب، وفي يده قضيب إبراهيم الخليل، متختّم بخاتم

من العقيق الأحمر، والناس محدقون به، ينظرون إليه، وقد أحاطت به عشيرته، وحمزة يحجبه عن أعين الناظرين، وقد شخصت إليه جميع المخلوقات والموجودات بالإشارة يسلّمون عليه، وقد ذهلت العرب ممّا رأوا منه، وقام كلّ قاعد منهم على قدميه، وجلس النبيّ ﷺ وأعمامه في أعلى موضع ومكان، وهو المكان الّذي نحّي عنه أبو جهل وأصحابه، ولم يبق منهم جالس غير أبو جهل لعنه الله وأخزاه، وقال: إن كان الأمر لخديجة لتأخذنّ محمّداً، فتقدّم إليه حمزة كالأسد، وقبض على أطرافه، وقال له: قم لا سلمت من النوائب، ولا نجوت من المصائب، فأخذ أبو جهل يده وضربها في قائم سيفه، فسبقه حمزة، وقبض على يده حتّى نبع الدم من تحت أظفاره، ووكزه الحارث وقال له: ويلك يا ابن هشام ما أنت عديل من نهض إليك من جملة الناس، ورأيت أنّك أشرف منهم، لئن لم تقعد لآخذ رأسك، فخاف الفتنة وسكت وظنّ أنّه زوج خديجة، فلمّا استقرّ بالناس الجلوس إذا بخويلد قد أقبل، ودخل على خديجة وهي تحت حجابها، وقال: يا خديجة أين عقلك؟ وأين سؤددك؟ أنا لم أرض لك بالملوك، ورددتهم كبراً عليهم، وترضين الآن لنفسك بصبيّ صغير فقير يتيم ليس له مال أبداً، قد كان لك أجيراً، وهذا اليوم يكون لك بعلاً؟ لا كان ذلك أبداً، والآن إن قبلتيه لأعلينّك بهذا السيف، واليوم لا شكّ فيه تسفك الدماء، ونهض على قدميه وخرج كأنّه مجنون حتّى وقف على صدر المجلس وقال: يا معاشر العرب، ويا ذوي المعالي والرتب، أشهدكم على أنّي لم أرض محمّداً لابنتي بعلاً، ولو دفع لي وزن جبل أبي قبيس ذهباً، فما بيني وبينه إلاّ السيوف، فما مثلي من يخدع بشرب المدام، ثمّ قال:

ولو أنّها قالت: نعم لعلوتها ... بشفرة حدّ للجماجم فاصل
فمن رام تزويج ابنتي بمحمّد ... وإن رضيت يا قوم لست بقابل

قال: فلمّا سمع أعمام النبيّ ﷺ كلامه والحاضرون قال حمزة لأخيه أبي طالب مع إخوته: ما بقي للجلوس موضع، قوموا بنا، فبينا هم في ذلك إذ أقبلت جارية لخديجة، وأشارت إلى أبي طالب فقام معها، ووقف أبو طالب خلف الحجاب، فسلّمت عليه خديجة، وقالت: نعمت صباحاً ومساءً، يا سيّد الحرم، لا تغترّ بشقشقة أبي، فإنّه ينصلح بشيء قليل، ثمّ أعطته كيساً فيه ألفا دينار، وقالت: يا سيّدي خذ هذا وسر به إليه، كأنّك تعاتبه وصبّه في حجره، فإنّه يرضى، فسار أبو طالب والناس حاضرون، وقال له: يا خويلد ادن منّي، قال: لا أدنو منك أبداً، قال: يا خويلد إنّه كلام تسمعه، فإن لم يرضك فما أحد يقهرك، وفتح أبو طالب الكيس وصبّه في حجر خويلد، وقال له: هذه عطيّة من ابن أخي لك، غير مهر ابنتك، فلمّا رأى خويلد المال انطفت ناره، وأقبل ووقف في الموقف الأوّل على رؤوس الجمع ونادى بأعلى صوته: يا معاشر العرب، وذوي المعالي والرتب، فوالله ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء بأفضل من محمّد، ولقد رضيته لابنتي بعلاً وكفواً، فكونوا على ذلك من الشاهدين، ثمّ قام العبّاس وقال: يا معاشر العرب لم تنكرون الفضل لأهله، هل سقيتم

الغيث إلاّ بابن أخي؟ وهل اخضرّ زرعكم إلاّ به؟ وكم له عليكم من أياد كتمتموها، ولزمتم له الحسد والعناد؟ وبالله أقسم ما فيكم من يعادل صيانته ولا أمانته، واعلموا أن محمّداً ﷺ لم يخطب خديجة لمالها ولا جمالها، إنّ المال زائل وإلى نفاد، ثمّ إنّ خويلداً أقبل وجلس إلى جانب رسول الله ﷺ، وأمسك الناس عن الكلام حتّى يسمعوا ما يقول خويلد، فقال خويلد: يا أبا طالب ما الانتظار عمّا طلبتم؟ اقضوا الأمر، فإنّ الحكم لكم، وأنتم الرؤساء والخطباء، والبلغاء والفصحاء، فليخطب خطيبكم، ويكون العقد لنا ولكم، فنهض أبو طالب وأشار إلى النّاس أن انصتوا، فأنصتوا فقال: «الحمد لله الّذي جعلنا من نسل إبراهيم الخليل، وأخرجنا من سلالة إسماعيل، وفضّلنا وشرّفنا على جميع العرب، وجعلنا في حرمه، وأسبغ علينا من نعمه، وصرف عنّا شرّ نقمه، وساق إلينا الرزق من كلّ فجّ عميق، ومكان سحيق، والحمد لله على ما أولانا، وله الشكر على ما أعطانا، وما به حبانا وفضّلنا على الأنام، وعصمنا عن الحرام، وأمرنا بالمقاربة والوصل، وذلك ليكثر منّا النسل، وبعد فاعلموا يا معاشر من حضر، أن ابن أخينا محمّد بن عبد الله خاطبٌ كريمتكم الموصوفة بالسخاء والعفّة، وهي فتاتكم المعروفة، المذكور فضلها، الشامخ خطبها، وهو قد خطبها من أبيها خويلد على ما يحبّ من المال».

ثمّ نهض ورقة وكان إلى جانب أخيه خويلد وقال: نريد مهرها المعجّل دون المؤجّل أربعمائة ألف دينار ذهباً، ومائة ناقة سود الحدق، حمر الوبر، وعشر حلل، وثمانية وعشرين عبداً وأمةً، وليس ذلك بكثير علينا، قال له أبو طالب: رضينا بذلك، فقال خويلد: قد رضيت وزوّجت خديجة بمحمّد على ذلك، فقبل النبيّ ﷺ عقد النكاح، فنهض عند ذلك حمزة وكان معه دراهم فنثرها على الحاضرين، وكذلك أصحابه، فقام أبو جهل لعنه الله وقال: يا قوم رأينا الرجال يمهرون النساء أم النساء يمهرون الرجال؟ فنهض أبو طالب ﵁، وقال: ما لك يا لكع الرجال، ويا رئيس الأرذال؟ مثل محمّد ﷺ يحمل إليه ويُعطى، ومثلك من يهدي ولا يقبل منه، ثمّ سمع النّاس منادياً ينادي من السماء: إنّ الله تعالى قد زوج بالطاهر الطاهرة، وبالصادق الصادقة، ثمّ رفع الحجاب، وخرجت منه جوار بأيديهنّ نثار ينثرن على النّاس، وأمر الله ﷿ جبرئيل أن يرسل على الناس الطيب على البرّ والفاجر، فكان الرجل يقول لصاحبه: من أين لك هذا الطيب؟ فيقول: هذا من طيب محمّد، ثمّ نهض الناس إلى منازلهم، ومضى رسول الله ﷺ إلى منزل عمّه أبي طالب ﵁، وأعمامه حوله، وهو كالقمر، فاجتمعت نسوان قريش ونسوان بني عبد المطّلب وبني هاشم في دار خديجة، والفتيان يضربن الدفوف، وبعثت خديجة من يومها أربعة آلاف دينار إلى رسول الله ﷺ، وقالت: يا سيّدي أنفذها إلى عمّك العبّاس ينفذها إلى أبي، وأرسلت مع المال خلعةً سنيّةً، فسار بها العبّاس وأبو طالب إلى منزل خويلد وألبساه الخلعة، فقام خويلد من وقته وساعته إلى دار خديجة، وقال: يا بنتي ما الانتظار بالدخول؟ جهّزي نفسك، فهذا مهرك قد أتوا به

إليّ، وأعطوني هذه الخلعة، والله ما تزوّج أحد بزوج مثلك، لا في الحسن ولا في الجمال، فسمع أبو جهل ذلك فقام في النّاس يقول: هذا المال من عند خديجة، فبلغ الخبر أبا طالب فخرج من وقته وساعته متقلّداً سيفه، ووقف في الأبطح والعرب مجتمعون، وقال: يا معاشر العرب سمعنا قول قائل وعيب عائب، فإن كانت النساء قد أقمن بواجب حقّنا فليس ذلك بعيب، وحقّ لمحمّد أن يعطى ويهدى إليه، فهذا جرى منها على رغم أنف من تكلّم، وتكلّم بعض قريش من المبغضين بالإزراء على خديجة حيث تزوّجها محمّد ﷺ، وبلغ الخبر إلى خديجة فصنعت طعاماً ودعت نساء المبغضين، فلمّا اجتمعن وأكلن قالت لهنّ: معاشر النساء بلغني أن بعولتكنّ عابوا عليّ فيما فعلته من أنّي تزوجت محمّداً، وأنا أسألكم هل فيكم مثله، أو في بطن مكّة شكله من جماله وكماله وفضله وأخلاقه الرضيّة؟ وأنا قد أخذته لأجل ما قد رأيت منه، وسمعت منه أشياء ما أحد رآها، فلا يتكلّم أحد فيما لا يعنيه، فكفّ كلّ منهم عن الكلام.

ثمّ إنّ خديجة قالت لعمّها ورقة: خذ هذه الأموال وسر بها إلى محمّد ﷺ وقل له: إنّ هذه جميعها هديّة له، وهي ملكه يتصرّف فيها كيف شاء، وقل له: إنّ مالي وعبيدي وجميع ما أملك وما هو تحت يدي فقد وهبته لمحمّد ﷺ إجلالاً وإعظاماً له، فوقف ورقة بين زمزم والمقام ونادى بأعلى صوته: يا معاشر العرب إنّ خديجة تشهدكم على أنّها قد وهبت نفسها ومالها وعبيدها وخدمها وجميع ما ملكت يمينها والمواشي والصداق والهدايا لمحمّد ﷺ، وجميع ما بذل لها مقبولٌ منه، وهو هدية منها إليه إجلالاً له وإعظاماً ورغبة فيه، فكونوا عليها من الشاهدين، ثمّ سار ورقة إلى منزل أبي طالب ﷺ، وكانت خديجة قد بعثت جارية ومعها خلعة سنيّة، وقالت: أدخليها إلى محمّد ﷺ، فإذا دخل عليه عمّي ورقة يخلعها عليه ليزداد فيه حبّاً، فلمّا دخل ورقة عليهم قدم المال إليهم، وقال الّذي قالته خديجة، فقام النبيّ ﷺ وأفرغ عليه الخلعة، وزاده خلعة أخرى، فلمّا خرج ورقة تعجّب النّاس من حسنه وجماله، ثمّ أخذت خديجة في جهازها، وأعتدت صوافي الذهب والفضّة، وفيها الطيب والمسك والعنبر، فلمّا كانت اللّيلة الثالثة دخل عليها عمّات النبيّ ﷺ واجتمع السادات والأكابر في اليوم الثالث كعادتهم، ونهض العبّاس وهو يقول:

أبشروا بالمواهب آل فهر وغالب! افخروا يا آل قومنا بالثناء والرغائب
شاع في النّاس فضلكم وعلى في المراتب قد فخرتم بأحمد زين كلّ الأطايب
فهو كالبدر نوره مشرق غير غائب قد ظفرتي خديجة بجليل المواهب
بفتى هاشم الّذي ماله من مناسب جمع الله شملكم فهو ربّ المطالب
أحمد سيّد الورى خير ماش وراكب فعليه الصلاة ما سار عيس براكب

ثمّ إنّ خديجة قالت: اعلموا أن شأن محمّد ﷺ عظيمٌ، وفضله عميمٌ، وجوده جسيمٌ،

ثمّ نثرت عليهنّ من المال والطيب ما دهش الحاضرين، وشجر طوبى تنثر في الجنّة على الحور العين، فجعلن يلتقطن النثار، ثمّ يتهادينه، ثمّ إنّ خديجة أنفذت إلى أبي طالب غنماً كثيراً ودنانير ودراهم وثياباً وطيباً، وعمل أبو طالب وليمةً عظيمةً، ووقف النبيّ ﷺ وشدّ وسطه، وألزم نفسه خدمة جميع النّاس، وأقام لأهل مكّة الوليمة ثلاثة أيّام، وأعمام النبيّ ﷺ تحته في الخدمة، وأنفذت خديجة إلى الطائف وغيره، ودعت أهل الصنايع إلى منزلها، وصاغت المصاغ والحليّ، وفصلت الثياب، وعملت الشمع بالعنبر على هيئة الأشجار، وأجرت عليه الذهب، وعملت فيه التماثيل من المسك والعنبر، ولم تزل تعمل في شغل العرس ستّة أشهر حتّى فرغت من جميع ما تحتاج إليه، وعلقت ستور الديباج المطرّز، ونقشت فيها صورة الشمس والقمر، وفرشت المجالس، ووضعت المساند والوسائد من الديباج والخزّ، وفرشت لرسول الله ﷺ مجلساً على سرير تحت الأبريسم والوشي، والسرير من العاج والآبنوس، مصفّح بصفائح الذهب الوهّاج، وألبست جواريها وخدمها ثياب الحرير والديباج المختلفات الألوان، ونظمت شعورهنّ باللّؤلؤ والمرجان، وسوّرتهنّ، ووضعت في أعناقهنّ قلائد الذهب، وأوقفت الخدم بأيديهنّ المجامر من الذهب، وفيها الطيب والعنبر والبخور من العود والندّ، وجعلت في يد كلّ واحدة من الخدم مراوح منقوشة بالذهب، مقصبة بالفضّة، وأوقفتهنّ عند مجلس رسول الله ﷺ، ودفعت إلى بعضهنّ الدفوف والشموع، ونصبت في وسط الدار شمعاً كثيراً على أمثال النخيل، فلمّا فرغت من ذلك دعت نسوان أهل مكّة جميعهنّ فأقبلن إليها، ورفعت مجلس عمّات النبيّ ﷺ، ثمّ أرسلت إلى أبي طالب ليحضر وقت الزفاف، فلمّا كان تلك الليلة أقبل النبيّ ﷺ بين أعمامه، وعليه ثياب من قباطيّ مصر، وعمامة حمراء، وعبيد بني هاشم بأيديهم الشموع والمصابيح، وقد كثر الناس في شعاب مكّة ينظرون إلى محمّد ﷺ، ومنهم من وقف على السرادقات والنور يخرج من بين ثناياه ومن جبينه ومن تحت ثيابه، فلمّا وصلوا إلى دار خديجة دخل هو صلوات الله عليه وآله وهو كأنّه القمر في تمامه، قد خرج من الأفق، وأعمامه محدقون به كأنّهم اسود الشرى، في أحسن زينة وفرحة، يكبّرون الله ويحمدونه على ما وصلوا إليه من الكرامة، فدخلوا جميعاً إلى دارها، وجلس النبيّ ﷺ في المجلس الّذي هيّىء له في دار خديجة ؏ ونوره قد علا نور المصابيح، فذهلت النساء ممّا رأين من حسنه وجماله، ثمّ هيّأوا خديجة للجلاء، فخرجت أوّل مرّةٍ وعليها ثياب معمّدة، وعلى رأسها تاجٌ من الذهب الأحمر، مرصّع بالدرّ والجوهر، وفي رجليها خلخالان من الذهب، منقوش بالفيروزج، لم تر الأعين له نظيراً، وعليه قلائد لا تحصى من الزمرّد والياقوت، فلمّا برزت ضربن النساء الدفوف. وجعلت بعض النساء تقول شعراً:

أضحى الفخار لنا وعزّ الشأن ولقد فخرنا يا بني العدنان

أخديجة نلت العلا بين الورى وفخرت فيه جملة الثقلان

أعني محمّداً الّذي لا مثله ولد النساء في سائر الأزمان
فيه المكارم والمعالي والحيا ما ناحت الأطيار في الأغصان
صلّوا عليه وسلّموا وترحموا فهو المفضّل من بني عدنان
فتطاولي فيه خديجة! واعلمي أن قد خصصت بصفوة الرحمان

ثمّ أقبلن بها نساء بني هاشم للجلوة الثانية على رسول الله ﷺ، وقد أشرق من نور وجهها نور علا على جميع المصابيح والشموع، فتعجّبت منها بنات عبد المطّلب حتّى زاد فيها نور لم ير الراؤون مثله، وذلك فضل لرسول الله ﷺ وعطيّة من الله تعالى لها، وأقبلوا بها، وقد فاقت على جميع من حضر، وعليها سقلاط أبيض مذهّب، مرصّع بالجوهر الأحمر والأخضر والأصفر، ومن كلّ الألوان، وكانت خديجة امرأة طويلة شامخة عريضة من النساء بيضاء لم ير في عصرها ألطف منها، ولا أحسن، وخرجت بين يديها صفيّة بنت عبد المطّلب رضي الله عنها، وقالت شعراً:

جاء السرور مع الفرح ومضى النحوس مع الترح
أنوارنا قد أقبلت والحال فيها قد نجح
بمحمّد المذكور في كلّ المفاوز والبطح
لو أن يوازن أحمد بالخلق كلّهم رجح
ولقد بدا من فضله لقريش أمر قد وضح
ثمّ السعود لأحمد والسعد عنه ما برح
بخديجة نبت الكمال وبحر نايلها طفح
يا حسنها في حليها والحلم منها ما برح
هذا النبيّ محمّد ما في مدائحه كلح
صلّوا عليه تسعدوا والله عنكم قد صفح

ثمّ أقبلن بها رضي الله عنها حتّى أوقفوها بين يدي النبيّ ﷺ، ثمّ بعد ذلك أخذوا التاج ورفعوه من رأسها، ووضعوه على رأس النبيّ ﷺ، ثمّ أتوا بالدفوف وهنّ يضربن لها، وقلن لها: يا خديجة لقد خصصت هذه اللّيلة بشيء ما خصّ به غيرك، ولا ناله سواك من قبائل العرب والعجم، فهنيئاً لك بما أوتيته، ووصل إليك من العزّ والشرف، وخرجت في الجلوة الثالثة، وعليها ثوب أصفر، وعليها حليّ وجوهر، وقد أضاء الموضع من لمعان ذلك الجوهر الّذي في وسط الاكليل، وفي آخر الإكليل ياقوتة حمراء تضيء، وقد أشرقت الدار من ذلك الجوهر ومن نورها وحسنها، وأقبلت بين يديها صفيّة بنت عبد المطّلب رضي الله عنها، وهي تقول: شعراً:

أخذ الشوق موثقات الفؤاد وألقت السهاد بعد الرقاد
فليالي اللّقا بنور التداني مشرقات خلاف طول البعاد

فزت بالفخر يا خديجة إذ نلت ... من المصطفى عظيم الوداد
فغدا شكره على النّاس فرضاً ... شاملاً كلّ حاضر ثمّ بادي
كبّر النّاس والملائك جمعاً ... جبرئيل لدى السماء ينادي
فزت يا أحمد بكلّ الاماني ... فنحى الله عنك أهل العناد
فعليك الصلاة ما سرت العيس ... وحطّت لثقلها في البلاد

قال: ثمّ بعد ذلك أجلسوها مع النبيّ ﷺ وخرج جميع الناس عنها، وبقي عندها في أحسن حال، وأرخى بال، ولم يأخذ عليها أحداً من النساء حتّى ماتت بعدما بعث صلوات الله عليه وآله، وآمنت به، وصدّقته وانتقلت إلى جنّات عدن في أعلى علّيّين من قصور الجنّة(١).

أقول: وفي بعض النسخ بعد الأبيات: وخلا رسول الله ﷺ مع عروسه، وأوحى الله إلى جبرئيل: أن اهبط إلى الجنّة، وخذ قبضة من مسكها، وقبضة من عنبرها، وقبضة من كافورها، وانثرها على جبال مكّة، ففعل فامتلأت شعاب مكّة وأوديتها ومنازلها وطرقها من ذلك الطيب، حتّى أن الرجل يقول إذا خلا مع زوجته: ما هذا الطيب؟ فتقول: هذا من طيب خديجة ومحمّد ﷺ.

توضيح: المزمّم: هو الّذي شدّ عليه الزمام، وهو الّذي يقاد به البعير. والعقيان من الذهب: الخالص. والإرقال: ضرب من العدو، وفي بعض النسخ بالفاء من قولهم: فلان يرفل في مشيته، أي يتبختر. والإغضاء: إدناء الجفون. وباح بسرّه: أظهره. والجوى: الحرقة، وشدّة الوجد من عشق أو حزن. والصبوة: الميل إلى الجهل. والمراس بالكسر: الشدّة والقوّة. ويقال: لفت وجهه أي صرفه. والصبابة: رقّة الشوق وحرارته. ولوعة الحبّ: حرقته. والكمد بالتحريك: الحزن المكتوم. والجحفة: الترس. والوغد: الرجل الّذي يخدم بطعام بطنه. والنذل: الخسيس والثلب: التصريح بالعيب والتنقّص. والتغمغم: الكلام لا يبيّن. وأغرم بالشيء: أولع به. وخطر الرجل في مشيته: رفع يديه ووضعهما. وجفل: أسرع. والجافل: المنزعج. والغزالة: الشمس. والتيّار: الموج، ويقال: قطع عرقاً تيّاراً، أي سريعة الجري، واعتكر اللّيل، وأعكر: اشتدّ سواده. والهيف بالتحريك: ضمر البطن والخاصرة. وفرس هيفاء: ضامرة. والسحيق: البعيد. والسقلاط: شيء من صوف تلقيه المرأة على هودجها، أو ثياب ككتّان موشيّة، وكان وشيه خاتم. والعيس بالكسر: الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة.

أقول: إنّما أوردت تلك الحكاية لاشتمالها على بعض المعجزات والغرائب، وإن لم نثق بجميع ما اشتملت عليه، لعدم الاعتماد على سندها، كما أومأنا إليه، وإن كان مؤلّفه من الأفاضل والأماثل.

---

(١) الأنوار في مولد النبي ﷺ، ص ١٢٦.

٢٠ - د: في الدر: إنّ فاطمة عليها السلام ولدت بعدما أظهر الله نبوّة أبيها صلى الله عليه وآله بخمس سنين، وقريش تبني البيت، وروي أنّها ولدت عليها السلام في جمادى الآخرة يوم العشرين منه، سنة خمس وأربعين من مولد النبيّ صلى الله عليه وآله.

في المناقب روي أن فاطمة عليها السلام ولدت بمكة بعد المبعث بخمس سنين، وبعد الإسراء بثلاث سنين في العشرين من جمادى الآخرة، وولدت الحسن عليه السلام ولها اثنتا عشرة سنة؛ وقيل: إحدى عشرة سنة بعد الهجرة، وكان بين ولادتها الحسن وبين حملها بالحسين عليه السلام خمسون يوماً.

وروي أنّها ولدت خمس سنين قبل ظهور الرسالة، ونزول الوحي، وقيل: بينا النبيّ صلى الله عليه وآله جالس بالأبطح ومعه عمّار بن ياسر، والمنذر بن الضحضاح، وأبو بكر، وعمر، وعليّ بن أبي طالب، والعبّاس بن عبد المطّلب، وحمزة بن عبد المطّلب، إذ هبط عليه جبرئيل عليه السلام في صورته العظمى، قد نشر أجنحته حتّى أخذت من المشرق إلى المغرب، فناداه: يا محمّد العلّي الأعلى يقرأ عليك السّلام، وهو يأمرك أن تعتزل عن خديجة أربعين صباحاً، فشقّ ذلك على النبيّ صلى الله عليه وآله، وكان لها محبّاً وبها وامقاً، قال: فأقام النبيّ صلى الله عليه وآله أربعين يوماً، يصوم النهار، ويقوم اللّيل، حتّى إذا كان في آخر أيّامه تلك بعث إلى خديجة بعمّار بن ياسر وقال قل لها: يا خديجة لا تظنّي أن انقطاعي هجرة عنك ولا قلى، ولكن ربّي عزّ وجلّ أمرني بذلك لتنفذ أمره، فلا تظنّي يا خديجة إلاّ خيراً، فإنّ الله عزّ وجلّ ليباهي بك كرام ملائكته كلّ يوم مراراً، فإذا جنّك اللّيل فأجيفي الباب، وخذي مضجعك من فراشك، فإنّي في منزل فاطمة بنت أسد، فجعلت خديجة تحزن في كل يوم مراراً لفقد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا كان في كمال الأربعين هبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد العلي الأعلى يقرئك السلام، وهو يأمرك أن تتأهّب لتحيّته وتحفته، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل وما تحفة ربّ العالمين؟ وما تحيّته؟ قال: لا علم لي، قال: فبينا النبيّ صلى الله عليه وآله كذلك إذ هبط ميكائيل ومعه طبق مغطّى بمنديل سندس، أو قال: إستبرق، فوضعه بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله، وأقبل جبرئيل عليه السلام وقال: يا محمّد يأمرك ربّك أن تجعل اللّيلة إفطارك على هذا الطعام، فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذ أراد أن يفطر أمرني أن افتح الباب لمن يرد إلى الإفطار، فلمّا كان في تلك اللّيلة أقعدني النبيّ صلى الله عليه وآله على باب المنزل، وقال: يابن أبي طالب إنّه طعام محرّم إلاّ عليّ، قال عليّ عليه السلام: فجلست على الباب وخلا النبيّ صلى الله عليه وآله بالطعام، وكشف الطبق، فإذا عذقٌ من رطب، وعنقودٌ من عنب، فأكل النبيّ صلى الله عليه وآله منه شبعاً، وشرب من الماء ريّاً، ومدّ يده للغسل فأفاض الماء عليه جبرئيل، وغسل يده ميكائيل، وتمندله إسرافيل، وارتفع فاضل الطعام مع الإناء إلى السّماء، ثمّ قام النبيّ صلى الله عليه وآله ليصلّي فأقبل عليه جبرئيل، وقال: الصلاة محرّمة عليك في وقتك حتّى تأتي إلى منزل خديجة فتواقعها، فإنّ الله عزّ وجلّ آلى على نفسه أن يخلق من صلبك في هذه اللّيلة ذرّيّة طيّبة، فوثب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى منزل خديجة، قالت

خديجة رضوان الله عليها: وكنت قد ألفت الوحدة، فكان إذا جنّني اللّيل غطّيت رأسي، وأسجفت ستري، وغلقت بابي، وصلّيت وردي، وأطفأت مصباحي، وأويت إلى فراشي، فلمّا كان في تلك اللّيلة لم أكن بالنائمة ولا بالمتنبهة إذ جاء النبيّ ﷺ فقرع الباب، فناديت: من هذا الّذي يقرع حلقة لا يقرعها إلاّ محمّد ﷺ؟ قالت خديجة: فنادى النبيّ ﷺ بعذوبة كلامه وحلاوة منطقه: افتحي يا خديجة فإنّي محمّد، قالت خديجة: فقمت فرحة مستبشرةً بالنبي ﷺ، وفتحت الباب، ودخل النبيّ المنزل، وكان ﷺ إذا دخل المنزل دعا بالإناء فتطهّر للصّلاة، ثمّ يقوم فيصلّي ركعتين يوجز فيهما، ثمّ يأوي إلى فراشه، فلمّا كان في تلك اللّيلة لم يدع بالإناء، ولم يتأهّب بالصلاة غير أنّه أخذ بعضدي، وأقعدني على فراشه، وداعبني ومازحني، وكان بيني وبينه ما يكون بين المرأة وبعلها، فلا والّذي سمك السماء وأنبع الماء ما تباعد عنّي النبيّ ﷺ حتّى حسست بثقل فاطمة في بطني.

وفيه عن المفضّل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام: كيف كانت ولادة فاطمة عليها السلام؟ قال: نعم، إنّ خديجة عليها رضوان الله لمّا تزوّج بها رسول الله ﷺ هجرتها نسوة مكّة، فكنّ لا يدخلن عليها ولا يسلّمن عليها ولا يتركن امرأة تدخل عليها، فاستوحشت خديجة من ذلك، فلمّا حملت بفاطمة عليها السلام صارت تحدّثها في بطنها وتصبرها، وكانت خديجة تكتم ذلك عن رسول الله ﷺ، فدخل يوماً وسمع خديجة تحدّث فاطمة، فقال لها: يا خديجة من يحدّثك؟ قالت: الجنين الّذي في بطني يحدّثني ويؤنسني، فقال لها: هذا جبرئيل يبشّرني أنّها أنثى، وأنّها النسمة الطاهرة الميمونة، وأنّ الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمّة في الأمّة، يجعلهم خلفاءه في أرضه بعد انقضاء وحيه، فلم تزل خديجة رضي الله عنها على ذلك إلى أن حضرت ولادتها، فوجّهت إلى نساء قريش ونساء بني هاشم يجئن ويلين منها ما تلي النساء من النساء، فأرسلن إليها عصيتينا ولم تقبلي قولنا، وتزوّجت محمّداً يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له، فلسنا نجيء ولا نلي من أمرك شيئاً، فاغتمّت خديجة لذلك، فبينا هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة طوالٍ كأنّهنّ من نساء بني هاشم، ففزعت منهنّ، فقالت لها إحداهنّ: لا تحزني يا خديجة، فإنا رسل ربّك إليك، ونحن أخواتك: أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم، وهي رفيقتك في الجنّة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه صفراء بنت شعيب، بعثنا الله تعالى إليك لنلي من أمرك ما تلي النساء من النساء، فجلست واحدة عن يمينها، والأخرى عن يسارها، والثالثة من بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت خديجة فاطمة عليها السلام طاهرةً مطهّرةً، فلمّا سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتّى دخل بيوتات مكّة، ولم يبق في شرق الأرض ولا غربها موضع إلاّ أشرق فيه ذلك النور، فتناولتها المرأة الّتي كانت بين يديها فغسلتها بماء الكوثر، وأخرجت خرقتين بيضاوين أشدّ بياضاً من اللّبن، وأطيب رائحة من المسك والعنبر، فلفّتها بواحدة، وقنعتها بالأخرى، ثمّ استنطقتها فنطقت فاطمة عليها السلام بشهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ أبي رسول

الله صلى الله عليه وآله سيّد الأنبياء، وأن بعلي سيّد الأوصياء، وأنّ ولدي سيّد الأسباط، ثمّ سلّمت عليهن، وسمّت كلّ واحدة منهنّ باسمها، وضحكن إليها وتباشرت الحور العين، وبشّر أهل الجنّة بعضهم بعضاً بولادة فاطمة عليها السلام، وحدث في السّماء نورٌ زاهرٌ لم تره الملائكة قبل ذلك اليوم، فلذلك سمّيت الزهراء عليها السلام، وقالت: خذيها يا خديجة طاهرةً مطهّرةً زكيّةً ميمونةً، بورك فيها وفي نسلها، فتناولتها خديجة عليها السلام فرحة مستبشرةً، فألقمتها ثديها، فشربت فدر عليها، وكانت عليها السلام تنمي في كلّ يوم كما ينمي الصبّي في شهر، وفي شهر كما ينمي الصبّي في سنة، صلّى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها[1].

كتاب الدرّ النظيم مثل ما مرّ من الروايات كلّها.

أقول: سيأتي أحوال فاطمة صلوات الله عليها وولادتها في المجلّد العاشر، وأحوال سائر أولاد خديجة رضي الله عنها في باب أحوال أولاد النبيّ صلى الله عليه وآله.

٦ - باب أسماؤه صلى الله عليه وآله وعللها، ومعنى كونه أمّياً وأنه كان عالماً بكلّ لسان، وذكر خواتيمه ونقوشها وأثوابه وسلاحه، ودوابه وغيرها ممّا يتعلق به صلى الله عليه وآله

الآيات: الاعراف «٧»: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ «١٥٧».

وقال: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ﴾ «١٥٨».

التوبة «٩»: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

هود «١١»: ﴿إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ «٢».

العنكبوت: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

الاحزاب «٣٣»: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾.

الفتح «٤٨»: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ «٢٩».

المزمل «٧٣»: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾.

المدثر «٧٤»: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله الأمّي ذكر في معناه أقوال:

أحدها: الّذي لا يكتب ولا يقرأ.

وثانيها: أنّه منسوب إلى الأمّة، والمعنى أنّه على جبلّة الأمّة قبل استفادة الكتابة؛ وقيل: إنّ المراد بالأمّة العرب لانّها لم تكن تحسن الكتابة.

---

(١) العدد القوية، ص ٢١٩.

وثالثها: أنّه منسوب إلى الأمّ، والمعنى أنّه على ما ولدته أمّه قبل تعلّم الكتابة.

ورابعها: أنّه منسوب إلى أمّ القرى وهو مكّة، وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام [(١)].

وفي قوله: ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾: شديد عليه عنتكم، أي ما يلحقكم من الضرر بترك الإيمان[(٢)].

وفي قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾: أي ولو كنت تقرأ كتاباً أو تكتبه لوجد المبطلون طريقاً إلى الشكّ في أمرك، ولقالوا: إنّما يقرأ علينا ما جمعه من كتب الأوّلين، قال السيّد المرتضى قدّس الله روحه: هذه الآية تدلّ على أن النبيّ ﷺ ما كان يحسن الكتابة قبل النبوّة، فأمّا بعدها فالذي نعتقده في ذلك التجويز لكونه عالماً بالقراءة والكتابة، والتجويز لكونه غير عالم بهما من غير قطع على أحد الأمرين، وظاهر الآية يقتضي أن النفي قد تعلّق بما قبل النبوّة دون ما بعدها، ولأن التعليل في الآية يقتضي اختصاص النفي بما قبل النبوّة، لأنّ المبطلين إنّما يرتابون في نبوّته ﷺ لو كان يحسن الكتابة قبل النبوّة، فأمّا بعد النبوّة فلا تعلّق له بالريبة والتهمة، فيجوز أن يكون قد تعلّمها من جبرئيل عليه السلام بعد النبوّة[(٣)].

وقال البيضاويّ: ﴿الْمُزَّمِّلُ﴾ أصله المتزمّل، من تزمّل بثيابه: إذا تلفّف بها، سمّي به النبيّ ﷺ تهجيناً لما كان عليه، لأنّه كان نائماً أو مرتعداً ممّا دهشه بدء الوحي، متزمّلاً في قطيفة، أو تحسيناً له، إذ روي أنّه ﷺ كان يصلّي متلفّفاً ببقيّة مرط مفروش على عائشة، فنزل أو تشبيهاً له في تثاقله بالمتزمّل، لأنّه لم يتمرّن بعد في قيام اللّيل، أو من تزمّل الزمل: إذا تحمل الحمل، أي الّذي تحمّل أعباء النبوّة[(٤)].

وقال: ﴿الْمُدَّثِّرُ﴾ المتدثّر، وهو لابس الدثار، وسيأتي بيانه في باب المبعث.

١ - **ني**: بإسناده عن سليم بن قيس الهلاليّ قال: لمّا أقبلنا من صفّين مع أمير المؤمنين عليه السلام نزل قريباً من دير نصرانيّ، إذ خرج علينا شيخ من الدير جميل الوجه، حسن الهيئة والسمت، معه كتاب أتى أمير المؤمنين عليه السلام فسلم عليه، ثمّ قال: إني من نسل حواري عيسى بن مريم، وكان أفضل حواريّي عيسى بن مريم الأثني عشر وأحبّهم إليه وآثرهم عنده، وإنّ عيسى أوصى إليه ودفع إليه كتبه وعلمه وحكمته، فلم تزل أهل هذا البيت على دينه متمسّكين عليه لم يكفروا ولم يرتدّوا ولم يغيّروا، وتلك الكتب عندي إملاء عيسى بن مريم عليه السلام، وخط أبينا بيده، فيها كلّ شيء يفعل النّاس من بعده، واسم ملك ملك، وأنّ الله يبعث رجلاً من العرب من ولد إبراهيم خليل الله عليه السلام من أرض يقال لها: تهامة، من قرية يقال لها مكّة - وساق الحديث إلى أن قال -: اسمه محمّد، وعبدالله، ويس، والفتّاح، والخاتم، والحاشر، والعاقب، والماحي، والقائد، ونبيّ الله، وصفيّ الله، وجنب الله، وأنّه

---

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٧٣.
(٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ١٤٩.
(٣) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٢.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٣٧.

يذكر إذا ذكر، أكرم خلق الله على الله وأحبّهم إلى الله، لم يخلق الله ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً من آدم عليه السلام فمن سواه خيراً عند الله، ولا أحبّ إلى الله منه، يقعده يوم القيامة على عرشه، ويشفّعه في كلّ من يشفع فيه باسمه جرى القلم في اللّوح المحفوظ، محمّد رسول الله الخبر[1].

٢ - **فس:** أبي، عن القاسم بن محمّد، عن عليّ، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام قالا: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا صلّى قام على أصابع رجليه حتّى تورّمت، فأنزل الله تعالى: ﴿طه﴾ وهي بلغة طيّ يا محمّد ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾[2].

٣ - **كا:** حميد بن زياد، عن الحسن بن محمّد بن سماعة، عن وهيب بن حفص، عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام - وساق الحديث إلى أن قال: - وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم على أطراف أصابع رجليه، فأنزل الله سبحانه: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾[3].

٤ - **مع:** محمّد بن هارون الزنجانيّ، عن المعاذ بن المثنّى، عن عبد الله بن أسماء، عن جويرية، عن سفيان بن سعيد، عن الصادق عليه السلام في خبر طويل سيأتي في كتاب القرآن قال: وأمّا «طه» فاسم من أسماء النبيّ صلى الله عليه وآله، ومعناه يا طالب الحقّ الهادي إليه، وأمّا «يس» فاسم من أسماء النبيّ صلى الله عليه وآله، معناه يا أيّها السامع لوحيي ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾[4].

٥ - **م:** وبجاه ذرّيّته الطيّبة الطاهرة من آل طه ويس[5].

٦ - **فس:** قال الصادق عليه السلام: ﴿يسٓ﴾ اسم رسول الله صلى الله عليه وآله، والدليل عليه قوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾ قال: على الطريق الواضح ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال: القرآن ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ يعني نزل به العذاب ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[6].

٧ - **فر:** بإسناده عن سليمان بن قيس العامريّ قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: رسول الله صلى الله عليه وآله يس ونحن آله[7].

٨ - **كا:** العدّة، عن البرقيّ، عن محمّد بن عيسى، عن صفوان رفعه إلى أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قال: هذا محمّد أذن لهم في التسمية به، فمن أذن لهم في يس يعني التسمية وهو اسم النبيّ صلى الله عليه وآله[8].

٩ - **ن:** عن الريّان بن الصلت، عن الرضا عليه السلام في حديث طويل في الفرق بين العترة

---

(١) كتاب الغيبة، ص ٤٨.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٢.
(٣) أصول الكافي، ج ٢ ص ٣٨٢ باب الشكر ح ٦.
(٤) معاني الأخبار، ص ٢٢.
(٥) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٢٥٥.
(٦) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٨٦.
(٧) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ٣٥٦.
(٨) الكافي، ج ٦ ص ٩٠٦ باب ١٠ ح ١٣.

والأمّة، وساق الحديث إلى أن قال عليه السلام: أخبروني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يسٓ ۝١ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ۝٢﴾ فمن عنى بقوله: ﴿يسٓ﴾؟ قالت العلماء: ﴿يسٓ﴾ محمّد ﷺ لم يشكّ فيه أحد، قال أبو الحسن عليه السلام: فإنّ الله عزّ وجلّ أعطى محمّداً وآل محمّد من ذلك فضلاً لا يبلغ أحد كنه وصفه إلاّ من عقله، وذلك أن الله عزّ وجلّ لم يسلّم على أحد إلاّ على الأنبياء عليهم السلام فقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَٰلَمِينَ﴾ وقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ ولم يقل: سلام على آل نوح، ولم يقل: سلام على آل إبراهيم، ولا قال: سلام على آل موسى وهارون، وقال: «سلام على آل يس»: يعني آل محمّد، وساق الحديث إلى أن قال: في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا﴾ فالذكر رسول الله ونحن أهله[1].

أقول: سيأتي بتمامه في كتاب الإمامة.

١٠ - **فس:** «سلام على آل يس» قال: يس محمّد، وآل محمّد الأئمّة[2].

١١ - **مع:** الطالقانيّ، عن الجلوديّ، عن محمّد بن سهل، عن الخضر بن أبي فاطمة، عن وهب بن نافع، عن كادح، عن الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام في قوله عزّ وجلّ: «سلام على آل يس» قال: ﴿يسٓ﴾ محمد، ونحن آل يس[3].

١٢ - **كا:** أحمد بن مهران، وعليّ بن إبراهيم جميعاً عن محمّد بن عليّ، عن الحسن ابن راشد، عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم، عن أبي الحسن موسى عليه السلام في حديث طويل سأله نصرانيّ عن قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَالْكِتَٰبِ الْمُبِينِ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿مُنذِرِينَ﴾ ما تفسيرها في الباطن؟ فقال: أمّا ﴿حمٓ﴾ فهو محمّد، وهو في كتاب هود الّذي أُنزل عليه، وهو منقوص الحروف، وأمّا ﴿الْكِتَٰبِ الْمُبِينِ﴾ فهو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام الخبر[4].

١٣ - **فس:** ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ قال: النجم رسول الله ﷺ، ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ لما أسري به إلى السماء، وهو في الهواء، هذا رد على من أنكر المعراج، وهو قسم برسول الله ﷺ، وهو فضل له على الأنبياء[5].

بيان: هوى جاء بمعنى هبط، وبمعنى سعد، والمراد في الخبر الثاني.

١٤ - **فس:** ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ قال: النجم رسول الله ﷺ، وقد سمّاه الله في غير موضع، فقال: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ وقال: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ فالعلامات الأوصياء، والنجم رسول الله ﷺ، قلت: ﴿يَسْجُدَانِ﴾ قال: يعبدان، قوله: ﴿وَالسَّمَآءَ رَفَعَهَا

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٣٦ باب ٢٣ ح ١.

(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٩٩. (٣) معاني الأخبار، ص ١٢٢.

(٤) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٨٨ باب مولد الكاظم عليه السلام، ح ٤.

(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣١١.

﴿وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾ قال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ﴾ رسول الله صلى الله عليه وآله رفعه الله إليه و﴿ٱلۡمِيزَانَ﴾ أمير المؤمنين عليه السلام نصبه لخلقه، قلت: ﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ﴾ قال: لا تعصوا الإمام، قلت: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ قال: أقيموا الإمام العدل، قلت: ﴿وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ قال: لا تبخسوا الإمام حقّه ولا تظلموه(١).

١٥ - **كا:** عليّ بن محمّد، عن عليّ بن العبّاس، عن عليّ بن حمران، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ قال: أُقسم بقبض محمّد إذا قبض الخبر(٢).

١٦ - **فس:** أبي، عن سليمان الديلميّ، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ قال: ﴿ٱلشَّمۡسِ﴾ رسول الله صلى الله عليه وآله، أوضح الله به للنّاس دينهم، قلت: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ قال: ذاك أمير المؤمنين عليه السلام(٣).

١٧ - **فر:** بإسناده عن عكرمة وسئل عن قول الله: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ قال: هو محمّد صلى الله عليه وآله ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ أمير المؤمنين عليه السلام ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ آل محمّد، وهما الحسن والحسين ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ بنو أمية، وقال ابن عبّاس هكذا، وقال أبو جعفر عليه السلام هكذا، وقال الحارث الأعور للحسين بن عليّ عليه السلام: يا ابن رسول الله أخبرني عن قول الله في كتابه المبين: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ قال: ويحك يا حارث ذلك محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، قلت: قوله: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ قال: ذلك أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يتلو محمّداً صلى الله عليه وآله الخبر(٤).

١٨ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن محمّد بن سليمان، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ قال: ﴿ٱلشَّمۡسِ﴾ رسول الله صلى الله عليه وآله أوضح الله عزّ وجلّ به للناس دينهم، قال: قلت: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ قال: ذاك أمير المؤمنين عليه السلام تلا رسول الله صلى الله عليه وآله ونفثه بالعلم نفثاً الخبر(٥).

١٩ - **فس:** ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣﴾ قال: ﴿وَٱلتِّينِ﴾ رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَٱلزَّيۡتُونِ﴾ أمير المؤمنين عليه السلام ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ الحسن والحسين ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ الأئمّة عليهم السلام الخبر(٦).

٢٠ - **فس:** ﴿قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ۝١٠ رَّسُولٗا﴾ قال: (الذكر) اسم رسول الله صلى الله عليه وآله، ونحن أهل الذكر(٧).

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٢١.
(٢) روضة الكافي، ص ٨٤٩ ح ٥٧٤.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٢٢.
(٤) تفسير فرات الكوفي، ج ٢ ص ٥٦٢ ح ٧١٧-٧١٩.
(٥) روضة الكافي، ص ٦٩٦ ح ١٢.
(٦) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٢٩.
(٧) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٥٩.

٢١ - **ن:** في حديث طويل عن الرضا عليه السلام في مناظرته عليه السلام مع أصحاب المقالات قال عليه السلام لرأس الجالوت: في الإنجيل مكتوب: ابن البرّة ذاهب، والبارقليطا جاء من بعده، وهو يخفف الآصار، ويفسر لكم كلّ شيء، ويشهد لي كما شهدت له، أنا جئتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل، أتؤمن بهذا في الإنجيل؟ قال: نعم لا أنكره الخبر(١).

٢٢ - **ن:** في أسئلة الشاميّ سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن ستّة من الأنبياء لهم اسمان، فقال: يوشع بن نون، وهو ذو الكفل، ويعقوب بن إسحاق عليه السلام، وهو إسرائيل، والخضر عليه السلام، وهو حلقيا، ويونس عليه السلام، وهو ذو النون، وعيسى عليه السلام، وهو المسيح، ومحمّد ﷺ، وهو أحمد صلوات الله عليهم(٢).

٢٣ - **مع:** محمّد بن عمرو البصريّ، عن عبد الله بن عليّ الكرخيّ، عن محمّد بن عبد الله عن أبيه، عن عبد الرزّاق، عن معمّر، عن الزهريّ، عن أنس قال: صلّى رسول الله ﷺ صلاة الفجر، فلمّا انفتل من صلاته أقبل علينا بوجهه الكريم على الله عزّ وجلّ، ثمّ قال: معاشر الناس! من افتقد الشمس فليتمسّك بالقمر، ومن افتقد القمر فليتمسّك بالزهرة، ومن افتقد الزهرة فليتمسّك بالفرقدين، ثمّ قال رسول الله ﷺ: أنا الشمس، وعلي عليه السلام القمر، وفاطمة الزهرة، والحسن والحسين الفرقدان(٣).

٢٤ - **شي:** محمّد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ قال: نحن العلامات، والنجم رسول الله ﷺ(٤).

٢٥ - **ما:** المفيد، عن ابن قولويه، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن منصور بزرج، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ قال: النجم رسول الله ﷺ، والعلامات الأئمّة من بعده عليه وعليهم السّلام(٥).

٢٦ - **ما:** أحمد بن محمّد بن الصلت، عن أحمد بن محمّد بن سعيد، عن محمّد بن عيسى بن هارون الضرير، عن محمّد بن زكريّا المكيّ، عن كثير بن طارق، من ولد قنبر، عن زيد بن عليّ، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام: يا عليّ خذ هذا الخاتم وانقش عليه محمّد بن عبد الله، فأخذه أمير المؤمنين عليه السلام فأعطاه النقّاش، وقال له: انقش عليه محمّد بن عبد الله، فنقش النقّاش، فأخطأت يده فنقش عليه محمّد رسول الله، فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ما فعل الخاتم؟ فقال: هوذا، فأخذه ونظر إلى نقشه فقال: ما أمرتك

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٤٩ باب ١٢ ح ١.
(٢) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢٢ باب ٢٤ ح ١.
(٣) معاني الأخبار، ص ١١٤.
(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٧٧ ح ١٠ من سورة النحل.
(٥) أمالي الطوسي، ص ١٦٣ مجلس ٦ ح ٢٧٠.

بهذا، قال: صدقت ولكن يدي أخطأت، فجاء به إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله ما نقش النقّاش ما أمرت به، ذكر أن يده أخطأت، فأخذ النبيّ ﷺ ونظر إليه فقال: يا عليّ أنا محمّد بن عبد الله، وأنا محمّد رسول الله، وتختم به، فلمّا أصبح النبيّ ﷺ نظر إلى خاتمه، فإذا تحته منقوش «عليٌّ وليّ الله» فتعجّب من ذلك النبيّ ﷺ، فجاء جبرئيل فقال: يا جبرئيل كان كذا وكذا، فقال: يا محمّد كتبت ما أردت، وكتبنا ما أردنا[1].

٢٧ - **ع، ل، مع**: محمّد بن عليّ بن الشاه، عن محمّد بن جعفر بن أحمد البغداديّ، عن أبيه، عن أحمد بن السخت، عن محمّد بن الأسود الورّاق، عن أيّوب بن سليمان، عن أبي البختريّ، عن محمّد بن حميد، عن محمّد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أشبه النّاس بآدم عليه السلام، وإبراهيم عليه السلام أشبه النّاس بي خَلقه وخُلقه، وسمّاني الله من فوق عرشه عشرة أسماء، وبيّن الله وصفي، وبشّرني على لسان كلّ رسول بعثه إلى قومه، وسمّاني ونشر في التوراة اسمي، وبثّ ذكري في أهل التوراة والإنجيل، وعلّمني كلامه، ورفعني في سمائه، وشقّ لي اسمي من أسمائه، فسمّاني محمّداً وهو محمود، وأخرجني في خير قرن من أمّتي، وجعل اسمي في التوراة أحيد، فبالتوحيد حرم أجساد أمّتي على النّار، وسمّاني في الإنجيل أحمد، فأنا محمود في أهل السماء، وجعل أمّتي الحامدين، وجعل اسمي في الزبور ماح، محا الله عزّ وجلّ بي من الأرض عبادة الاوثان، وجعل اسمي في القرآن محمّداً، فأنا محمود في جميع القيامة في فصل القضاء، لا يشفع أحد غيري، وسمّاني في القيامة حاشراً، يحشر الناس على قدمي وسمّاني الموقف، أوقف النّاس بين يدي الله جلّ جلاله، وسمّاني العاقب، أنا عقب النبيّين، ليس بعدي رسول، وجعلني رسول الرحمة، ورسول التوبة، ورسول الملاحم والمقفّي، قفّيت النبيّين جماعة، وأنا القيّم الكامل الجامع، ومنّ عليّ ربّي وقال لي: يا محمّد صلّى الله عليك فقد أرسلت كلّ رسول إلى أمّته بلسانها، وأرسلتك إلى كلّ أحمر وأسود من خلقي، ونصرتك بالرعب الّذي لم أنصر به أحداً، وأحللت لك الغنيمة ولم تحلّ لأحد قبلك، وأعطيتك ولأمّتك كنزاً من كنوز عرشي: فاتحة الكتاب، وخاتمة سورة البقرة، وجعلت لك ولأمّتك الأرض كلّها مسجداً، وترابها طهوراً، وأعطيت لك ولأمّتك التكبير، وقرنت ذكرك بذكري حتّى لا يذكرني أحدٌ من أمّتك إلاّ ذكرك مع ذكري، فطوبى لك يا محمّد ولأمّتك[2].

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٧٠٥ مجلس ٤١ ح ١٥١٠. أقول: إستهزاء العامّة بهذه الرواية الشريفة وزياداتهم المتخلقة عليه التي لا صلة لها بالموضوع، وافتراؤهم أنّه دفع خاتمه إلى أبي بكر أن يكتب عليه: لا إله إلاّ الله فدفعه أبوبكر إلى النقاش وقال: أكتب عليه: لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله، فكتب عليه، فلمّا جاء به إلى النبيّ ﷺ وجد عليه: لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله أبوبكر الصدّيق. راجع كتاب الغدير ط٢ ج٧ ص٢٤٤. بيان كذب الرواية ص٢٤٥ و ٢٤٦. [مستدرك السفينة ج٣ لغة «ختم»]

(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٥٥ باب ١٠٦ ح ٣، الخصال ص ٤٢٥ باب العشرة ح ١، معاني الأخبار =

توضيح: قال شارح الشفاء للقاضي عياض: أُحيد بضم الهمزة، وفتح المهملة، وسكون التحتيّة، فدال مهملة، وقيل: بفتح الهمزة، وسكون المهملة، وفتح التحتيّة، قال: سمّيت أحيد لأنّي أحيد بأمّتي عن نار جهنّم، أي أعدل بهم انتهى.

وأما أحمد في اللّغة فأفعل مبالغة من صفة الحمد، ومحمّد مفعل مبالغة من كثرة الحمد، فهو ﷺ أجلّ من حمد، وأفضل من حمد، وأكثر الناس حمداً، فهو أحمد المحمودين الحامدين، فأحمد إمّا مبالغة من الفاعل، أو من مفعول.

قوله ﷺ: يحشر الناس على قدمي، كنايةٌ عن أنّه أوّل من يحشر من الخلق، ثمّ يحشر النّاس بعده، وقيل: أي في زمانه وعهده، ولا نبيّ بعده: وقيل: أي يقدم الخلق في المحشر وهم خلفه. والملاحم جمع الملحمة وهو القتال.

وقال الجزريّ: في أسمائه ﷺ المقفّي وهو المولّي الذاهب، وقد قفّى يقفّي فهو مقفّ، يعني أنّه آخر الأنبياء، المتّبع لهم، فإذا قفّى فلا نبيّ بعده.

قوله: القيّم، أي الكثير القيام بأمور الخلق، والمتولّي لارشادهم ومصالحهم، ويظهر من سائر الكتب أنّه بالثاء المثلّثة، وأنّ الكامل الجامع تفسيره، وهو بضمّ القاف وفتح الثاء، قال الجزريّ: فيه أتاني ملك فقال: أنت قثم، وخلقك قثم، القثم: المجتمع الخلق، وقيل: الجامع الكامل وقيل: الجموع للخير، وبه سمّي الرجل قثم، معدول عن قاثم، وهو الكثير العطاء انتهى.

وقال القاضي في الشفاء: روي أنّه ﷺ قال: أنا رسول الرحمة، ورسول الراحة، ورسول الملاحم، وأنا المقفّي، قفّيت النبيّين، وأنا قيّم، والقيّم: الجامع الكامل كذا وجدته ولم أروه، وأرى أن صوابه قثم بالثاء وهو أشبه بالتفسير انتهى.

٢٨ - **لي، ع، مع:** ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقيّ، عن عليّ بن الحسين الرقيّ، عن عبد الله بن جبلة، عن معاوية بن عمّار، عن الحسن بن عبد الله، عن آبائه، عن جدّه الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ، فسأله أعلمهم فيما سأله، فقال له: لأيّ شيء سمّيت محمّداً وأحمد وأبا القاسم وبشيراً ونذيراً وداعياً؟ فقال النبيّ ﷺ: أمّا محمّد فإنّي محمود في الأرض، وأمّا أحمد فإنّي محمود في السماء، وأمّا

= ص ٥١. أقول: ومن اسمائه ﷺ الحروف المقطّعة في أوائل سور القرآن المردفة بذكر القرآن أو الكتاب، كما هو المستفاد من كلمات مولانا الإمام السجّاد صلوات الله وسلامه عليه في دعاء عيد الفطر في ج٨٨ من هذا الكتاب ص٧ ح٣، مثل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ وقوله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾، ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ﴾، ﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾، ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾، ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾، ﴿طه﴾، ﴿يسٓ﴾ إلى غير ذلك. [النمازي].

أبو القاسم فإنّ الله عزّوجلّ يقسّم يوم القيامة قسمة النّار، فمن كفر بي من الأوّلين والآخرين ففي النار، ويقسّم قسمة الجنّة، فمن آمن بي وأقرّ بنبوّتي ففي الجنّة، وأمّا الداعي فإنّي أدعو الناس إلى دين ربي عزّوجلّ ، وأمّا النذير فإنّي أنذر بالنار من عصاني، وأمّا البشير فإنّي أبشر بالجنّة من أطاعني(١).

أقول: قد مرّ في باب نقوش الخواتيم في خبر الحسين بن خالد أنّه كان نقش خاتم النبيّ صلى الله عليه وآله : «لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله».

٢٩ - **ع، مع، ن:** الطالقانيّ، عن أحمد الهمدانيّ، عن عليّ بن الحسين بن فضّال، عن أبيه قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت له: لم كنّي النبيّ صلى الله عليه وآله بأبي القاسم؟ فقال: لأنه كان له ابن يقال له: قاسم فكنّي به، قال: فقلت: يا ابن رسول الله فهل تراني أهلاً للزّيادة؟ فقال: نعم، أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أنا وعليّ أبوا هذه الأمة»؟ قلت: بلى، قال: أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله أب لجميع أمّته، وعليّ بمنزلته فيهم؟ قلت: بلى، قال: أما علمت أن عليّاً قاسم الجنّة والنار؟ قلت: بلى، قال: فقيل له: أبو القاسم لأنّه أبو قاسم الجنّة والنار، فقلت له: وما معنى ذلك؟ فقال: إنّ شفقة الرسول على أمّته شفقة الآباء على الأولاد، وأفضل أمّته عليّ عليه السلام ، ومن بعده شفقة عليّ عليه السلام عليهم كشفقته، لأنّه وصيّه وخليفته والإمام بعده، فلذلك قال صلى الله عليه وآله : «أنا وعليّ أبوا هذه الأمّة» وصعد النبيّ صلى الله عليه وآله المنبر فقال: «من ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ وإليّ، ومن ترك مالاً فلورثته» فصار بذلك أولى بهم من آبائهم وأمّهاتهم، وصار أولى بهم منهم بأنفسهم، وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام بعده جرى له مثل ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وآله (٢).

بيان: قال الجزريّ: فيه من ترك ضياعاً فإليّ، الضياع: العيال، وأصله مصدر ضاع يضيع، فسمّي العيال بالمصدر، كما تقول: من مات وترك فقراً، أي فقراء، وإن كسرت الضاد كان جمع ضائع كجائع وجياع.

٣٠ - **ب:** هارون، عن ابن صدقة، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام إنّ خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله كان من فضّة، ونقشه «محمّدٌ رسول الله» قال: وكان نقش خاتم علي عليه السلام «الله الملك» وكان نقش خاتم والدي رضي الله عنه «العزّة لله»(٣).

٣١ - **ل:** أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن فضّال، عن ابن بكير، عن محمّد بن

(١) أمالي الصدوق، ص ١٥٨ مجلس ٣٥ ح ١، علل الشرائع ج ١ ص ١٥٤ باب ١٠٦ ح ١، معاني الأخبار ص ٥٢.

(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٥٤ باب ١٠٦ ح ٢، معاني الأخبار ص ٥٢، عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٩١ باب ٣٢ ح ٢٩.

(٣) قرب الإسناد، ص ٦٤ ح ٢٠٢.

مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ لرسول الله ﷺ عشرة أسماء: خمسة منها في القرآن، وخمسة ليست في القرآن، فأمّا الّتي في القرآن: فمحمّد، وأحمد، وعبدالله، ويس، ون، وأمّا الّتي ليست في القرآن: فالفاتح، والخاتم، والكاف، والمقفّي، والحاشر(١).

بيان: إنّما سمّي الفاتح لأنّه أوّل النبيّين، أو جميع المخلوقات خلقاً، أو به فتح الله أبواب الوجود والجود على العباد، والكاف لأنّه يكفّ ويدفع عن النّاس البلايا والشرور في الدنيا، والعذاب في الآخرة وفي بعض النسخ: الكافي.

٣٢ - **ل:** ابن الوليد، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن أبي عبد الله الرازيّ، عن عليّ بن سليمان، عن عبد الله بن عبيد الله الهاشميّ، عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان لرسول الله ﷺ خاتمان: أحدهما مكتوب عليه: «لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله» والآخر: «صدق الله»(٢).

٣٣ - **فس:** قال: وسأل بعض اليهود رسول الله ﷺ لم سُمّيتَ محمّداً وأحمداً وبشيراً ونذيراً؟ فقال: أمّا محمّد فإنّي في الأرض محمودٌ، وأمّا أحمد فإنّي في السّماء أحمد منه في الأرض، وأمّا البشير فأبشر من أطاع الله بالجنّة، وأمّا النذير فأنذر من عصى الله بالنار(٣).

٣٤ - **فس:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ قال: هو النبيّ ﷺ كان يتزمّل بثوبه وينام.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ قال: تدثّر الرسول، فالمدثّر يعني المتدثّر بثوبه ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ هو قيامه في الرجعة ينذر فيها(٤).

أقول: سيجيء في الأخبار أنّه قال النبيّ ﷺ: إنّ الله خلقني وعليّاً من نور واحد، وشقّ لنا اسمين من أسمائه، فذو العرش محمود وأنا محمّد، والله الأعلى وهذا عليّ.

٣٥ - **ع:** عبد الله بن محمّد القرشيّ، عن محمّد بن إبراهيم، عن أبي قريش، عن عبد الجبّار ومحمّد بن منصور الخزّاز معاً عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام عن جابر بن عبد الله أن النبيّ ﷺ كان يتختّم بيمينه(٥).

٣٦ - **ل:** ابن موسى، عن ابن زكريّا القطّان، عن ابن حبيب، عن عبد الرحيم بن عليّ الجبلي، وعبد الله بن الصلت، عن الحسن بن نصر الخزّاز، عن عمرو بن طلحة، عن أسباط ابن نصر، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: قدم يهوديّان فسألا أمير المؤمنين عليه السلام عن أشياء وسألا عن وصف النبيّ ﷺ فقال فيما قال: كان عمامته السّحاب، وسيفه ذو الفقار، وبغلته دلدل، وحماره يعفور، وناقته العضباء، وفرسه لزاز، وقضيبه الممشوق. الخبر(٦).

---

(١) الخصال، ص ٤٢٦ باب العشرة ح ٢. (٢) الخصال، ص ٦١ باب الاثنين ص ٨٥.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٤٦. (٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٨٢.
(٥) علل الشرائع، ج ١ ص ١٨٩ باب ١٢٧ ح ٢. (٦) الخصال، ص ٥٩٥ باب الواحد إلى المائة ح ١.

بيان: قال في النهاية: فيه أنّه كان اسم عمامة النبيّ ﷺ السحاب، سمّيت به تشبيهاً بسحاب المطر، لانسحابه في الهواء، وقال: دلدل في الأرض: ذهب ومرّ، يدلدل ويتدلدل في مشيه: إذا اضطرب، ومنه الحديث كان اسم بغلته دلدل. وقال: فيه إنّ اسم حمار النبيّ ﷺ عفير هو تصغير تحقير لأعفر، من العفرة وهي الغبرة، ولون التراب، وفي حديث سعد بن عبادة أنّه خرج على حماره يعفور ليعوده. قيل: سمّي يعفوراً للونه من العفرة، كما قيل في أخضر: يخضور، وقيل: سمّي به تشبيهاً في عدوه باليعفور وهو الظبي، وقيل: الخشف.

وقال: فيه كان اسم ناقته العضباء، هو علم لها، منقول من قولهم: ناقة عضباء، أي مشقوقة الأذن، ولم تكن مشقوقة الأذن، وقال بعضهم: إنّها كانت مشقوقة الأذن، والأوّل أكثر.

وقال الزمخشريّ: هو منقول من قولهم: ناقة عضباء، وهي القصيرة اليد.

وقال: فيه كان لرسول الله ﷺ فرس يقال له: اللّزاز، سمّي به لشدّة تلزّزه واجتماع خلقه، ولزّ به الشيء، أي لزق به، كأنّه يلزق بالمطلوب لسرعته.

وقال الفيروزآباديّ: جارية ممشوقة: حسنة القوام، وقضيب ممشوق: طويل دقيق.

٣٧ - **لي:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن عبد الله بن الصلت، عن يونس، عن ابن حميد، عن ابن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ اسم رسول الله ﷺ في صحف إبراهيم عليه السلام الماحي، وفي توراة موسى عليه السلام الحادّ، وفي إنجيل عيسى عليه السلام أحمد، وفي القرآن محمّد، قيل: فما تأويل الماحي؟ فقال: الماحي صورة الأصنام، وماحي الأوثان والأزلام وكلّ معبود دون الرّحمان، قيل: فما تأويل الحادّ؟ قال: يحادّ من حادّ الله ودينه، قريباً كان أو بعيداً، قيل: فما تأويل أحمد؟ قال: حسن ثناء الله عزّ وجلّ عليه في الكتب بما حمد من أفعاله، قيل: فما تأويل محمّد؟ قال: إنّ الله وملائكته وجميع أنبيائه ورسله وجميع أممهم يحمدونه ويصلّون عليه، وإنّ اسمه لمكتوب على العرش: محمّد رسول الله ﷺ وكان ﷺ يلبس من القلانس اليمنيّة والبيضاء والمضرّبة ذات الأذنين في الحرب، وكانت له عنزة يتكىء عليها، ويخرجها في العيدين فيخطب بها، وكان له قضيب يقال له: الممشوق، وكان له فسطاط يسمّى الكنّ، وكانت له قصعة تسمى المنبعة، وكان له قعب يسمّى الريّ، وكان له فرسان يقال لأحدهما: المرتجز، وللآخر السكب، وكان له بغلتان يقال لأحدهما: دلدل، وللأخرى الشهباء، وكانت له ناقتان يقال لإحداهما: العضباء، وللأخرى الجدعاء، وكان له سيفان يقال لأحدهما: ذو الفقار، وللآخر العون، وكان له سيفان آخران يقال لأحدهما: المخذم، وللآخر الرسوم، وكان له حمار يسمّى يعفور، وكانت له عمامة تسمى السحاب، وكان له درع تسمى ذات الفضول لها ثلاث حلقات فضّة: حلقة بين يديها، وحلقتان خلفها، وكانت له راية تسمّى العقاب، وكان له بعير يحمل عليه يقال له: الديباج، وكان له لواء يسمّى المعلوم، وكان له مغفرٌ يقال له: الأسعد، فسلّم ذلك

كلّه إلى عليّ عليه السلام عند موته، وأخرج خاتمه وجعله في إصبعه، فذكر عليّ عليه السلام أنّه وجد في قائمة سيف من سيوفه صحيفة فيها ثلاثة أحرف: صل من قطعك، وقل الحقّ ولو على نفسك: وأحسن إلى من أساء إليك، قال: وقال رسول الله ﷺ: خمس لا أدعهنّ حتّى الممات: الأكل على الحضيض مع العبيد، وركوبي الحمار مؤكفاً، وحلبي العنز بيدي، ولبس الصوف، والتسليم على الصبيان لتكون سنّة من بعدي[1].

يه: عن يونس مثله إلى قوله: من أساء إليك[2].

بيان: ضرب النجاد المضرّبة: خاطها، ذكره الجوهريُّ. وقال: العنزة بالتحريك: أطول من العصا، وأقصر من الرمح، وفيه زجّ كزجّ الرمح، والكنّ بالكسر: وقاء كلّ شيء وستره. والقعب: قدح من خشب مقعّر.

وقال الجزريّ: فيه كان لرسول الله ﷺ فرس يقال له: المرتجز، سمّي به لحسن صهيله.

وقال: فيه كان له فرس يسمّى السكب، يقال له فرس سكب، أي كثير الجري، كأنّما يصبّ جريه صبّاً، وأصله من سكب الماء يسكبه.

وقال الجوهريّ: الشهبة في الألوان: البياض الّذي غلب على السواد.

وقال الجزريّ: فيه إنّه خطب على ناقته الجدعاء، هي المقطوعة الأذن؛ وقيل: لم تكن ناقته مقطوعة الأذن، وإنّما كان هذا اسماً، وقال: إنّما سمّي سيفه ﷺ ذا الفقار لأنّه كان فيه حفر صغار حسان. وقال: الخذم: القطع، وبه سمّي السيف مخذماً.

وقال الفيروزآباديّ: الرسوم: الّذي يبقى على السير يوماً وليلة، والأصوب أنّه بالباء كما سيأتي.

قال في النهاية فيه كان لرسول الله ﷺ سيف يقال له: الرسوب، أي يمضي في الضريبة، ويغيب فيها، وهي فعول من رسب: إذا ذهب إلى أسفل، وإذا ثبت.

وفيه: إنّه كان اسم درعه ذات الفضول، وقيل: ذو الفضول لفضلة كان فيها وسعة.

وقال: فيه إنّه كان اسم رايته العقاب، وهي العلم الضخم.

أقول: سيأتي في باب وصيّة النبيّ ﷺ ذكر دوابّه وسلاحه وأثوابه.

٣٨ - **ص:** الصدوق، عن عبد الله بن حامد، عن أحمد بن حمدان، عن عمرو بن محمّد، عن محمّد بن مؤيد، عن عبد الله بن محمّد بن عقبة، عن أبي حذيفة، عن عبد الله بن حبيب الهذليّ، عن أبي عبد الرحمن السلميّ، عن أبي منصور قال: لمّا فتح الله على نبيّه خيبر أصابه حمار أسود، فكلم النبيّ ﷺ الحمار فكلّمه، وقال: أخرج الله من نسل جدّي ستّين حماراً لم يركبها إلاّ نبيّ، ولم يبق من نسل جدّي غيري، ولا من الأنبياء غيرك، وقد كنت أتوقّعك،

(١) أمالي الصدوق، ص ٦٧ مجلس ١٧ ح ٢. (٢) من لا يحضره الفقيه ج ٤ ح ٥٤٠٥.

كنت قبلك ليهوديّ أعثر به عمداً، فكان يضرب بطني، ويضرب ظهري، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: سمّيتك يعفور، ثمّ قال: تشتهي الإناث يا يعفور؟ قال: لا، وكلّما قيل: أجب رسول الله صلى الله عليه وآله خرج إليه، فلمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله جاء إلى بئر فتردّى فيها فصار قبره جزعاً[1].

٣٩ - ير: إبراهيم بن هاشم، عن أعمش بن عيسى، عن حمّاد الطيافيّ، عن الكلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: كم لمحمّد اسم في القرآن؟ قال: قلت: اسمان أو ثلاث، فقال: يا كلبيّ له عشرة أسماء ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ ﴿طه ۝١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۝٢﴾ ﴿يس ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ رسولاً فالذكر اسم من أسماء محمّد صلى الله عليه وآله ونحن أهل الذكر، فسل يا كلبيّ عمّا بدا لك، قال: فأنسيت والله القرآن كلّه فما حفظت منه حرفاً أسأله عنه[2].

٤٠ - قب: في أسمائه وألقابه صلى الله عليه وآله: سمّاه في القرآن بأربعمائة اسم: العالم ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ الحاكم ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ الخاتم ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ العابد ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ﴾ الساجد ﴿وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ الشاهد ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ المجاهد ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ الطاهر ﴿طه ۝١ مَا أَنزَلْنَا﴾ الشاكر ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ الصابر ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ﴾ الذاكر ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ القاضي ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الراضي ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ الداعي ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ الهادي ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ القارىء ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ التالي ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ﴾ الناهي ﴿وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ﴾ الآمر ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ الصادع ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ الصادق ﴿ص وَالْقُرْآنِ﴾ القانت ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ﴾ الحافظ ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ الغالب ﴿وَإِنَّ جُندَنَا﴾ العائل ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ الضالّ أي يهدي به الضال ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ الكريم ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ الرحيم ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ العظيم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ﴾ اليتيم ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ المستقيم ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ المعصوم ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾ البشير ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ النذير ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ العزيز ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ الشهيد ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا﴾ الحريص ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ القريب ﴿ق وَالْقُرْآنِ﴾ الحبيب، والمحبّ، والمحبوب، في سبع مواضع ﴿حم﴾ النبي ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ القوي ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ الوحي ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الأمي ﴿النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ الأمين ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ المكين ﴿عِندَ ذِي الْعَرْشِ﴾ المبين ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ﴾ المذكر ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ﴾ المبشّر ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ﴾ المنذر ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾ المستغفر ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ المسبّح ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ المصلّي ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ المصدق ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ المبلّغ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ المحدّث ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ المؤمن ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ المتوكّل

(١) قصص الأنبياء، ص ٣١٢.
(٢) بصائر الدرجات، ص ٤٦٦ ج ١٠ باب النوادر ح ٢٦.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ﴾ المزّمل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ المدثر ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ المتهجّد ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾ المنادي ﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ المهتدي ﴿وَهَدَيْنَٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ الحقّ ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ الصدق ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ الذكر ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ البرهان ﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ﴾ الفضل ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾ المرسل ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ المبعوث ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ﴾ المختار ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ﴾ المعفوّ ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ المغفور ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ المكفيّ ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ﴾ المرفوع والرفيع ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ﴾ المؤيّد ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ﴾ المنصور ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ﴾ المطاع ﴿مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ﴾ الحسنى ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ الهدى ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾ الرسول ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ الرؤوف ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾النعمة ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ الرحمة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ النور ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ الفجر ﴿وَٱلْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ المصباح ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ السراج ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ والضحى ﴿وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيْلِ﴾ النجم ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ الشمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ﴾ البدر ﴿طه﴾ الظلّ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ البشر ﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ الناس ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ الإنسان ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الرجل ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ الصاحب ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ العبد ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ المجتبى ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى﴾ المقتدي ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ المرتضى ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ المصطفى ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى﴾ أحمد ﴿مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ﴾ محمّد ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ كهيعص، يس، طه، حم، عسق، كلّ حرف تدلّ على اسم له، مثل الكافي والهادي، والعارف، والسخي، والطاهر، وغير ذلك.

وأسماؤه في الأخبار: العاقب، وهو الّذي يعقب الأنبياء، الماحي: الّذي يمحى به الكفر، ويقال: يمحى به سيّئات من اتّبعه، ويقال: الّذي لا يكون بعده أحد. الحاشر: الّذي يحشر النّاس على قدميه. المقفّي الّذي قفّى النبيّين جماعة. الموقف: يوقف الناس بين يدي الله. القثم وهو الكامل الجامع. ومنه الناشر، والناصح، والوفيّ والمطاع، والنجيّ، والمأمون، والحنيف، والحبيب، والطيّب، والسيد، والمقترب، والدافع، والشافع، والمشفّع، والحامد، والمحمود، والموجّه، والمتوكّل، والغيث.

وفي التوراة: مئيذ مئيذ، أي غفورٌ رحيم، وقيل: مئيد مئيد أي محمّد، وقيل: مود مود، وفي حكاية أنّ اسمه فيها مرقوفا، أي المحمود.

وفي الزبور: قليطا، مثل أبي القاسم، فقالوا: بلقيطا، وقالوا: فاروق، وقالوا: محياثا. وفي الإنجيل: طاب طاب، أي أحمد، ويقال: يعني طيّب طيّب.

وفي كتاب شعيا: نور الأمم، ركن المتواضعين، رسول التوبة، رسول البلا.

وفي الصحف: بلقيطا، وفي صحف شيث: طاليسا؛ وفي صحف إدريس: بهيائيل، وفي صحف إبراهيم: مود مود، وفي السماء الدّنيا المجتبى، وفي الثانية المرتضى، وفي الثالثة المزكّى؛ وفي الرابعة المصطفى، وفي الخامسة المنتجب؛ وفي السادسة المطهّر والمجتبى،

وفي السابعة المقرّب والحبيب، ويسمّيه المقرّبون عبد الواحد؛ والسفرة الأوّل؛ والبررة الآخر؛ والكرّوبيّون الصادق؛ والروحانيّون الطاهر؛ والأولياء القاسم؛ والرضوان الأكبر؛ والجنّة عبد الملك، والحور عبد العطاء، وأهل الجنّة عبد الديّان؛ ومالك عبد المختار؛ وأهل الجحيم عبد النجاة؛ والزبانية عبد الرحيم؛ والجحيم عبد المنّان؛ وعلى ساق العرش رسول الله، وعلى الكرسيّ نبيّ الله، وعلى طوبى صفي الله، وعلى لواء الحمد صفوة الله، وعلى باب الجنّة خيرة الله، وعلى القمر قمر الأقمار، وعلى الشمس نور الأنوار، والشياطين عبد الهيبة، والجنّ عبد الحميد؛ والموقف الداعي؛ والميزان الصاحب؛ والحساب الداعي؛ والمقام المحمود الخطيب؛ والكوثر الساقي؛ والعرش المفضّل، والكرسيّ عبد الكريم؛ والقلم عبد الحقّ؛ وجبرئيل عبد الجبّار؛ وميكائيل عبد الوهّاب؛ وإسرافيل عبد الفتّاح؛ وعزرائيل عبد التوّاب؛ والسحاب عبد السلام، والريح عبد الأعلى؛ والبرق عبد المنعم؛ والرعد عبد الوكيل؛ والأحجار عبد الجليل؛ والتراب عبد العزيز؛ والطيور عبد القادر؛ والسبع عبد العطاء؛ والجبل عبد الرفيع؛ والبحر عبد المؤمن، والحيتان عبد المهيمن؛ وأهل الروم الحليم؛ وأهل مصر المختار؛ وأهل مكّة الأمين؛ وأهل المدينة الميمون؛ والزنج مهمت؛ والترك صانجي؛ والعرب الأمّي؛ والعجم أحمد.

ألقابه: حبيب الله، صفي الله، نعمة الله، عبد الله، خيرة الله، خلق الله، سيّد المرسلين، إمام المتّقين، خاتم النبيّين، رسول الحمّادين، رحمة العالمين، قائد الغرّ المحجّلين، خير البريّة، نبيّ الرحمة، صاحب الملحمة، محلّل الطيّبات، محرّم الخبائث، مفتاح الجنّة، دعوة إبراهيم، بشرى عيسى، خليفة الله في الأرض، زين القيامة ونورها وتاجها، صاحب اللّواء يوم القيامة، واضع الإصر والأغلال، أفصح العرب، سيّد ولد آدم، ابن العواتك، ابن الفواطم، ابن الذبيحين، ابن بطحاء مكة، العبد المؤيّد، والرسول المسدّد، والنبيّ المهذّب، والصفيّ المقرّب، والحبيب المنتجب، والأمين المنتخب، صاحب الحوض والكوثر، والتاج والمغفر، والخطبة والمنبر، والركن والمشعر، والوجه الأنور، والخدّ الأقمر، والجبين الأزهر، والدين الأظهر، والحسب الأطهر، والنسب الأشهر، محمّدٌ خير البشر، المختار للرسالة، الموضح للدّلالة، المصطفى للوحي والنبوّة، المرتضى للعلم والفتوّة والمعجزات والأدلة، نورٌ في الحرمين، شمسٌ بين القمرين، شفيع من في الدارين، نوره أشهر، وقلبه أطهر، وشرائعه أظهر، وبرهانه أزهر، وبيانه أبهر، وأمّته أكثر، صاحب الفضل والعطاء، والجود والسخاء، والتذكرة والبكاء، والخشوع والدعاء، والإنابة والصفاء، والخوف والرجاء، والنور والضياء، والحوض واللّواء، والقضيب والرداء، والناقة العضباء، والبغلة الشهباء، قائد الخلق يوم الجزاء، سراج الأصفياء، تاج الأولياء، إمام الأتقياء، خاتم الأنبياء، صاحب المنشور والكتاب، والفرقان والخطاب، والحقّ والصواب، والدعوة والجواب، وقائد الخلق يوم الحساب، صاحب القضيب العجيب،

والفناء الرحيب، والرأي المصيب، المشفق على البعيد والقريب، محمّد الحبيب، صاحب القبلة اليمانيّة، والملّة الحنيفيّة، والشريعة المرضيّة، والأمّة المهديّة، والعترة الحسنيّة والحسينيّة، صاحب الدّين والإسلام، والبيت الحرام، والركن والمقام، والصلاة والصيام، والشريعة والأحكام، والحلّ والحرام، صاحب الحجّة والبرهان، والحكمة والفرقان، والحقّ والبيان، والفضل والإحسان، والكرم والامتنان، والمحبّة والعرفان، صاحب الخلق الجليّ، والنور المضيء، والكتاب البهيّ، والدّين الرضيّ، الرسول النبيّ الأمّي، صاحب الخلق العظيم، والدين القويم، والصّراط المستقيم، والذكر الحكيم، والركن والحطيم، صاحب الدين والطاعة، والفصاحة والبراعة، والكر، والشجاعة، والتوكّل والقناعة، والحوض والشفاعة، صاحب الدين الظاهر، والحقّ الزاهر، والزمان الباهر، واللّسان الذاكر، والبدن الصابر، والقلب الشاكر، والأصل الطاهر، والآباء الأخاير، والأمّهات الطواهر، صاحب الضياء والنور، والبركة والحبور، واليمن والسرور، واللّسان الذكور، والبدن الصبور، والقلب الشكور، والبيت المعمور.

كناه: أبو القاسم، وأبو الطاهر، وأبو الطيّب، وأبو المساكين، أبو الدرّتين، وأبو الريحانتين، وأبو السبطين.

وفي التوراة أبو الأرامل، وكنّاه جبرئيل بأبي إبراهيم لمّا ولد إبراهيم، وإنّما يكنّى بأبي القاسم بأوّل ولد يقال له: القاسم، ويقال: لأنّه يقسم الجنّة يوم القيامة.

صفاته: راكب الجمل، آكل الذراع، قابل الهديّة، محرّم الميتة، حامل الهراوة، خاتم النبوّة.

نسبه: العربيّ التهاميّ، الأبطحيّ اليثربيّ، المكّيّ المدنيّ، القرشيّ الهاشميّ المطّلبيّ، فهو من جهة الأب هاشمي، ومن جهة الأمّ زهريّ، ومن الرضاع سعدي، ومن الميلاد مكّي، ومن الإنشاء مدنيّ[1].

٤١ - **قب:** أفراسه: الورد، أهداه التميم الداريّ، والطرب سمّي لحسن صهيله، ويقال: هو الطرف، واللّزاز وقد أهداه المقوقس، سمّي بذلك لأنّه كان ملزّزاً موثقاً، واللّحيف أهداه ربيعة بن أبي البرا، وسمّي بذلك لأنّه كان كالملتحف بعرفه، والصحيح أنّه الورد الّذي أعطاه الداريّ، وسمّاه النبيّ ﷺ اللّحيف، والمرتجز، وهو المشترى من الأعرابيّ الّذي شهد فيه خزيمة، والسكب وكان أوّل فرس ركبه، وأوّل ما غزا عليه في أحد، وكان ابتاعه من رجل من فزارة، ويقال اسمه: بريدة الملاّح، ومنها اليعسوب، والسبحة، وذو العقال، والملاوح، وقيل: مراوح.

بغاله: أهدى إليه المقوقس دلدل، وكانت شهباء فدفعها إلى عليّ عليه السلام، ثمّ كانت

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ١٩٩.

للحسن عليه السلام ثمّ للحسين عليه السلام، ثمّ كبرت، وعميت، وهي أوّل بغلة ركبت في الإسلام، وقال التاريخيّ: أهدى إليه فروة بن عمرو الجذاميّ بغلة يقال لها: فضّة.

حمره: أهدى له المقوقس يعفور مع دلدل، وأعطاه فروة الجذاميّ عفير مع فضّة.

إبله: العضباء وكانت لا تسبق، والجدعاء، والقصواء، ويقال: القصواء، وهي ناقة اشتراها النبيّ صلى الله عليه وآله من أبي بكر بأربعمائة درهم، وهاجر عليها، ثمّ نفقت عنده، والصهباء، ومنها البغوم، والغيم، والنوق، ومروة، وكان له عشر لقاح يحلبها يسار كلّ ليلة قربتين عظيمتين يفرّقهما على نسائه، منها: مهرة، أرسل بها سعد بن عبادة والشقراء، والريّا ابتاعهما بسوق النبط، والحباء، والسمرا والعريس والسعديّة والبغوم واليسيرة وبردة وكانت منائح رسول الله صلى الله عليه وآله سبع أعنز يرعاهنّ ابن أمّ أيمن، وهي عجوة، وزمزم، وسقيا، وبركة، وورسة، وأطلال، وأطواف، وكانت له مائة من الغنم، وكان محزنبق أحد بني النضير حبراً عالماً أسلم، وقاتل مع رسول الله، وأوصى بماله لرسول الله صلى الله عليه وآله، وهو سبع حوائط، وهي المبيت، والصائفة، والحسنى، وبرقة، والعوّاف، والكلا، ومشربة أمّ إبراهيم، وكان له صفايا ثلاثة: مال بني النضير، وخيبر، وفدك، فأعطى فدك والعوالي فاطمة عليها السلام وروي أنّه وقف عليها، وكان له من الغنيمة الخمس، وصفي يصطفيه من المغنم ما شاء قبل القسمة، وسهمه مع المسلمين كرجل منهم، وكانت له الأنفال، وكان ورث من أبيه أمّ أيمن فأعتقها، وورث خمسة أجمال أوارك وقطعة غنم وسيفاً.

سيوفه: ذو الفقار، والمخذم، والرسوب، ورثه من أبيه، والعضب، أعطاه سعد بن عبادة، وأصاب من بني قينقاع بتّاراً، وحتفاً، وسيفاً قلعيّاً.

رماحه: أصاب ثلاثاً من بني قينقاع، وكان له رمح يقال له: المستوفي، وكان له عنزة يقال لها: المثنّى، أنفذها النجاشيّ، ويقال: إنّ النجاشيّ أعطى للزّبير عنزة، فلمّا جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أعطاه إيّاها، فكان بلال يحملها بين يديه يوم العيد، ويخرج بها في أسفاره، فتركز بين يديه يصلّي إليها، ويقولون: هي الّتي تحمل المؤذّنون بين يدي الخلفاء.

دروعه: ذات الفضول أعطاها سعد بن عبادة، والفضّة، ودرعان أصابهما من بني قينقاع، وهما السعديّة، وذات الوشاح، ويقال: كانت عنده درع داود الّتي لبسها لمّا قتل جالوت.

قسيّه: البيضاء، وكان من شوحط، والصفراء من نبع، والروحاء، أصاب هذه الثلاثة من بني قينقاع، والكرع ويقال: كرّار، وكان له ترس يقال له: الزلوق، وترس فيه تمثال رأس كبش أذهبه الله، وكان له جعبة يقال لها: الكافورة، ودخل مكّة وعلى رأسه مغفر يقال له: ذو السبوغ، ورايته العقاب، ولواؤه أبيض، وكان له قضيب يسمّى الممشوق، ومحجن ومخصرة تسمّى العرجون، ومنطقة من أديم مبشور، فيها ثلاث حلق من فضّة والإبزيم، والطرف من فضّة، وكان له قدح مضبّب بثلاث ضبّات فضّة، وتور من حجارة يقال له:

المخضّب، وقدح من زجاج، ومغتسل من صفر، وقطيفة، وقصعة، وخاتم فضّة نقشه: «محمّدٌ رسول الله» وأهدى له النجاشيّ خفّين أسودين ساذجين، فلبسهما، وقالت عائشة: كان فراش النبيّ ﷺ الّذي يرقد فيه من أدم حشوه ليف، وكانت ملحفته مصبوغة بورس أو زعفران، وكان يلبس يوم الجمعة برده الأحمر، ويعتمّ بالسحاب. ودخل مكّة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء، وكانت له ربعةٌ فيها مشط عاج ومكحلة ومقراض ومسواك، ويقال: ترك يوم مات عشرة أثواب: ثوب حبرة، وإزاراً عمانيّاً، وثوبين صحاريّين، وقميصاً صحاريّاً، وقميصاً سحوليّاً، وجبّة يمنيّة، وخميصة، وكساءً أبيض، وقلانس صغاراً لاطئة ثلاثاً أو أربعاً، وإزاراً طوله ثلاثة أشبار، وتوفّي في إزار غليظ من هذه اليمانيّة، وكساء يدعى بالملتدة، وكان له سرير أعطاه أسعد بن زرارة، وكان منبره ثلاثة مراقي من الطرفاء استعملت امرأة لغلام لها نجّار اسمه ميمون، وكان مسجده بلا منارة، وكان بلال يؤذّن على الأرض، وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يا منصور أمت، وقال لمزينة: ما شعاركم؟ قالوا: حرام، قال: شعاركم حلال، وكان شعار المهاجرين يوم أُحد يا بني عبد الله، والخزرج يا بني عبد الرحمن، والأوس يا بني عبد الله[1].

توضيح: في القاموس: الورد من الخيل بين الكميت والأشقر. وفي المنتقى: إنّ تميم الداريّ أهدى لرسول الله ﷺ فرساً يقال له: الورد.

قوله: لحسن صهيله، يظهر منه أنّه صحّحه بالطاء المهملة، والمضبوط في سائر الكتب بالمعجمة، قال في النهاية: الظرب ككتف: الجبل الصغير، وفيه كان له ﷺ فرس يقال له: الظرب تشبيهاً بالجبل لقوّته، ويقال: ظربت حوافر الدابّة، أي اشتدّت وصلبت، وقال: فيه إنّه كان اسم فرسه ﷺ اللّجيف، رواه بعضهم بالجيم، فإن صحّ فهو من السرعة، لأنّ اللّجيف سهمٌ عريض النصل، ورواه بعضهم بالحاء المهملة لطول ذنبه، فعيل بمعنى فاعل، كأنّه يلحف الأرض بذنبه، أي يغطيها به.

وقال: فيه إنّه كان يوم بدر على فرس يقال له: سبحة، هو من قولهم: فرس سابح إذا كان حسن مدّ اليدين في الجري. وفي القاموس: السبحة بالفتح: فرس للنّبيّ ﷺ.

وفي النهاية: فيه إنّه كان للنّبيّ ﷺ فرس يقال له: ذو العقّال، العقّال بالتشديد: داء في رجلي الدوابّ، وقد يخفّف، سمّي به لدفع عين السوء عنه، وقال في أسماء دوابّه ﷺ: إنّ اسم فرسه ملاوح، وهو الضامر الّذي لا يسمن، والسريع العطش والعظيم الألواح، وقال في الحديث: إنّه خطب على ناقته القصواء: هو لقب ناقته، والقصواء. الناقة الّتي قطع طرف أُذنها، وكلّ ما قطع من الأُذن فهو جدع، فإذا بلغ الربع فهو قصو، فإذا جاوز فهو عضب، فإذا

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢١٨.

استؤصلت فهو صلم، ولم تكن ناقته ﷺ قصواء، وإنّما كان هذا لقباً لها؛ وقيل كانت مقطوعة الأذن انتهى.

واللّقاح جمع اللّقوح وهي الناقة الحلوب. والمهرة بالضمّ: ولد الفرس وغيره أوّل ما ينتج، والمنيحة والمنحة: الغنم فيها لبن.

أقول: ذكر جماعة من اللّغويّين وأهل السير والمناقب من العامّة أن العضباء والجدعاء والضرماء والصلماء والمخضرمة كلّها واحدةٌ، وعدّوا اللّقاح حنّا وسمر وعريس وسعديّة ويعوم ويسير وريّى ومهريّة وبردة.

والمنائح: زمزم، وسقيا، وبركة، ودر سينة وأطلال وأطراف وعجر، قوله: أوارك قال الكازرونيّ: اي تأكل الأراك، وقال الفيروزآباديّ: العضب: القطع. والسيف. وقال: البتر: القطع، وسيف باتر وبتّار، والحتف: الهلاك.

أقول: وعدّوا من سيوفه القضيب، وقالوا: إنّه أوّل سيف حمله، والقضيب: السيف اللّطيف الدقيق، ويقال: إنّه وصف بصاحب القضيب بهذا المعنى.

قوله: يقال له: المثنّى، قيل، هو المثوى، وقيل: هما رمحان. قال الجزريّ: فيه إنّ رمح النبيّ ﷺ كان اسمه المثوى، سمّي به لأنّه يثبت المطعون به من الثوى: الإقامة. قوله: السعديّة منهم من صحّحها بالعين المهملة، ومنهم بالمعجمة، ومنهم بالصاد والمعجمة، وزاد بعضهم في دروعه: الخريق والبتراء، والكازرونيّ صحّحه الخرنق بالنون كزبرج، وقال: لعلّها سمّيت بذلك تشبيهاً بالناقة إذا خرنقت، وإنّما يقال لها: خرنقت: إذا كثر لحم جنبيها، كالخرنق وهو ولد الأرنب. وقال الجزريّ: فيه كان لرسول الله ﷺ درع يقال لها: البتراء، سمّيت بذلك لقصرها انتهى. والشوحط: شجر يتّخذ منه القسيّ كالنبع، وعدّ من قسيه الكتوم، وقال الجزريّ: سميت به لانخفاض صوتها إذا رمي عنها ومنها السداد. قال الجزريّ: سمّيت به تفؤّلاً بإصابة ما يرمى عليها، وقال: فيه كان اسم ترسه ﷺ الزلوق، أي تزلق عنه السلاح فلا يخرقه.

قوله: أذهبه الله، روي أنّه أهدي إليه ﷺ ترس كان فيه تمثال كبش أو عقاب، وكان ﷺ يكرهه، فوضع يده عليه فمحاه الله، وقيل: إنّه وضعه فلمّا أصبح لم ير فيه التمثال، وعدّ من أتراسه ﷺ الفتق والوفر، واختلف في أن المصوّر كان أحد هذه الثلاثة أو غيرها، وقال الجزريّ: فيه إنّه كان اسم كنانته الكافور، تشبيهاً بغلاف الطلع وأكمام الفواكه لأنّها تسترها وتقيها كالسهام في الكنانة انتهى. وقيل: كان اسم الجعبة المنصّلة، وقيل: كان تسمى الجمع، وقال الجزريّ: سمّي درعه ﷺ ذو السبوغ لتمامها وسعتها، وقال بعضهم: كان ألويته ﷺ بيضاء، وربّما جعل فيها السواد، وربما كان من خمر نسائه، والمحجن بالكسر: عصاً معوجة الرأس كالصولجان، وقال الجزريّ: فيه أنّه خرج إلى البقيع

ومعه مخصرة له، المخصرة: ما يختصر الإنسان بيده فيمسكه من عصا أو عكّازة أو مقرعة أو قضيب، وقد يتكىء عليه. قوله: مبشور أي مقشور، قال الجزريّ: بشرت الأديم: إذا أخذت باطنه بالشفرة. وقال الفيروزآباديّ: الإبزيم بالكسر: الّذي في رأس المنطقة وما أشبهه، وهو ذو لسان يدخل فيه الطرف الآخر انتهى. والضبّ: اللّصوق، والضبّة: حديدة عريضة يضبّب بها الباب، والتور: شبه الإجّانة. وقال الجزريّ: الورس: نبت أصفر يصبغ به، وقال الربعة: إناء مربّع كالجونة، وقال: فيه كفّن رسول الله ﷺ في ثوبين صحاريّين، صحار: قرية باليمن نسب الثوب إليها، وقيل: هو من الصحرة، وهي حمرة خفيّة كالغبرة، يقال: ثوب أصحر وصحارى، وقال: فيه أنّه كفّن في ثلاثة أثواب سحوليّة، يروى بفتح السين وضمّها، فالفتح منسوب إلى السحول وهو القصار، أو إلى سحول وهي قرية باليمن، وأمّا بالضمّ فهو جمع سحل، وهو الثوب الأبيض النقيّ، ولا يكون إلاّ من قطن، وقيل: اسم القرية بالضمّ أيضاً، وقال: الخميصة: ثوب خزّ أو صوف معلم، وقيل: لا تسمّى خميصة إلاّ أن تكون سوداء معلمة. قوله: لاطئة أي لاصقة بالرأس، والملبّد: المرقّع.

٤٢ - **قب**: قوله: محمّد رسول الله قد سمّاه الله بهذا الإسم في أربعة مواضع: «وما محمّد إلاّ رسول * ما كان محمّدٌ أبا أحد وآمنوا بما نزّل على محمّد * ومحمّد رسول الله» قال سيبويه: أحمد على وزن أفعل يدلّ على فضله على سائر الأنبياء لأنّه ألف التفضيل، ومحمّد على وزن مفعّل، فالأنبياء محمودون، وهو أكثر حمداً من المحمود، والتشديد للمبالغة، يدلّ على أنّه كان أفضلهم.

أنس قال رجل في السوق: يا أبا القاسم، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال الرجل: إنّما أدعو ذاك، فقال ﷺ: سمّوا باسمي، ولا تكتنوا بكنيتي.

أبو هريرة إنّه قال: لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي، أنا أبو القاسم، الله يعطي وأنا أُقسّم.

وروي أن قريشاً لمّا بنت البيت وأرادت وضع الحجر تشاجروا في وضعه حتّى كاد القتال يقع، فدخل رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمّد الأمين قد رضينا بك، فأمر بثوب فبسط ووضع الحجر في وسطه، ثمّ أمر من كلّ فخذ من أفخاذ قريش أن يأخذ جانب الثوب، ثمّ رفعوا، فأخذه رسول الله ﷺ بيده فوضعه.

ويروى أنّه كان يسمّى الأمين قبل ذلك بكثير وهو الصحيح[1].

٤٣ - **عم**: البخاريّ في الصحيح عن جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ لي أسماء، أنا محمّد، وأنا أحمد، وأنا الماحي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الّذي ليس بعده أحد.

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٨٨.

وقيل: إنّ الماحي الّذي يمحى به سيّئات من اتبعه.

وفي خبر آخر: المقفيّ، ونبيّ التوبة، ونبيّ الملحمة، والخاتم، والغيث، والمتوكّل، وأسماؤه في كتب الله السالفة كثيرةٌ، منها مؤذ مؤذ بالعبريّة في التّوراة، وفارق في الزبور[1].

٤٤ - **كشف:** من أسمائه ﷺ أحمد، وقد نطق به القرآن أيضاً، واشتقاقه من الحمد كأحمر من الحمرة، ويجوز أن يكون نعتاً في الحمد، قال ابن عبّاس رضي الله عنه: اسمه في التوراة أحمد الضحوك القتّال، يركب البعير، ويلبس الشملة، ويجتزىء بالكسرة، سيفه على عاتقه.

ومن أسمائه الماحي، عن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: إن لي أسماء: أنا محمّد، وأنا أحمد، وأنا الماحي يمحى بي الكفر، وقيل: يمحى به سيّئات من اتّبعه، ويجوز أن يمحى به الكفر وسيّئات تابعيه، وأنا الحاشر يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب وهو الّذي لا نبيّ بعده، وكلّ شيء خلف شيئاً فهو عاقب، والمقفّي وهو بمعنى العاقب لأنّه تبع الأنبياء يقال: فلان يقفو أثر فلان أي يتبعه.

ومن أسمائه ﷺ: الشاهد، لأنّه يشهد في القيامة للأنبياء بالتبليغ، وعلى الأمم أنّهم بلّغوا، قال الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ أي شاهداً، وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ والمبشّر من البشارة، لأنّه بشّر أهل الجنّة بالجنّة، والنذير لأهل النار بالخزي نعوذ بالله العظيم، والداعي إلى الله لدعائه إلى الله وتوحيده وتمجيده، والسراج المنير، فلإضاءة الدنيا به، ومحو الكفر بأنوار رسالته، كما قال العبّاس عمّه رضي الله عنه، يمدحه:

وأنت لمّا ولدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

ومن أسمائه: نبيّ الرحمة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ قال ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة» والرحمة في كلام العرب العطف والرأفة والإشفاق، وكان بالمؤمنين رحيماً كما وصفه الله تعالى، وقال عمّه أبوطالب رضي الله عنه يمدحه:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمةٌ للأرامل

ومن أسمائه: نبيّ الملحمة، ورد في الحديث، والملحمة: الحرب، وسمّي بذلك لأنّه بعث بالذبح، روي أنّه سجد يوماً فأتى بعض الكفّار بسلى ناقة فألقاه على ظهره، والسلى بالقصر: الجلدة الرقيقة الّتي يكون فيها الولد من المواشي، فقال: يا معشر قريش أيّ جوار هذا؟ والّذي نفس محمّد بيده لقد جئتكم بالذبح، فقام إليه أبو جهل ولاذ به من بينهم، وقال: يا محمّد ما كنت جهولاً، وسمّي نبيّ الملحمة بذلك.

(١) اعلام الورى، ص ٢٢.

ومن أسمائه ﷺ: الضحوك كما تقدّم أنّه ورد في التوراة، وإنّما سمّي بذلك لأنّه كان طيّب النفس، وقد ورد أنّه كانت فيه دعابة، وقال: إنّي لأمزح ولا أقول إلاّ حقّاً، وقال لعجوز: الجنّة لا يدخلها العجز، فبكت فقال: إنّهنّ يعدن أبكاراً.

وروي عنه مثل هذا كثير، وكان يضحك حتّى يبدو ناجذه، وقد ذكر الله سبحانه لنبيّه لينه ورقّته، فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ وكذلك كانت صفته ﷺ على كثرة من ينتابه من جفاة العرب، وأجلاف البادية، لا يراه أحد ذا ضجر، ولا ذا جفاء، ولكن لطيفاً في المنطق، رفيقاً في المعاملات، ليّناً عند الجوار، كان وجهه إذا عبست الوجوه دارة القمر عند امتلاء نوره، صلّى الله عليه وآله الطاهرين.

ومن أسمائه: القتّال، سيفه على عاتقه، سمّي بذلك لحرصه على الجهاد، ومسارعته إلى القراع، ودؤوبه في ذات الله، وعدم إحجامه، ولذلك قال عليّ عليه السلام: كنّا إذا احمرّ البأس اتّقيناه برسول الله ﷺ، لم يكن أحد أقرب إلى العدوّ منه، وذلك المشهور من فعله يوم أحد، إذ ذهب القوم في سمع الأرض وبصرها، ويوم حنين إذ ولّوا مدبرين، وغير ذلك من أيّامه ﷺ حتّى أذلّ بإذن الله صناديدهم، وقتل طواغيتهم ودوّخهم، واصطلم جماهيرهم، وكلّفه الله القتال بنفسه، فقال: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ فسمّي ﷺ القتّال.

ومن أسمائه: المتوكّل، وهو الّذي يكل أموره إلى الله، فإذا أمره بشيء نهض غير هيوب ولا ضرع، واشتقاقه من قولنا: رجل وكل، أي ضعيف، وكان ﷺ إذا دهمه أمْر عظيمٌ، أو نزلت به ملمّة راجعاً إلى الله عزّ وجلّ غير متوكّلٍ على حول نفسه وقوّتها، صابراً على الضنك والشدّة، غير مستريح إلى الدنيا ولذّاتها، لا يسحب إليها ذيلاً، وهو القائل: «ما لي وللدّنيا إنّما مثلي والدنيا كراكب أدركه المقيل في أصل شجرة فقال في ظلّها ساعة ومضى».

وقال ﷺ: «إذ أصبحت آمناً في سِربك، معافى في بدنك، عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء» وقال لبعض نسائه: «ألم أنهك أن تحبسي شيئاً لغدٍ فإنّ الله يأتي برزق كلّ غد».

ومن أسمائه ﷺ: القثم، وله معنيان: أحدهما من القثم وهو الإعطاء لأنّه كان أجود بالخير من الريح الهابّة، يعطي فلا يبخل، ويمنح فلا يمنع، وقال الأعرابيّ الّذي سأله: إنّ محمّداً يعطي عطاء من لا يخاف الفقر.

وروي أنّه أعطى يوم هوازن من العطايا ما قوّم خمسمائة ألف ألف وغير ذلك ممّا لا يحصى، والوجه الآخر أنّه من القثم وهو الجمع يقال للرجل الجموع للخير: قثوم وقثم، كذا حدّث به الخليل، فإن كان هذا الاسم من هذا فلم تبق منقبةٌ رفيعةٌ ولا خلّةٌ جليلةٌ ولا فضيلة نبيلة إلاّ وكان لها جامعاً، قال ابن فارس: والأوّل أصحّ وأقرب.

ومن أسمائه: الفاتح: لفتحه أبواب الإيمان المنسدّة، وإنارته الظلم المسودة، قال الله تعالى في قصة من قال: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي احكم، فسمّي ﷺ فاتحاً

لأنّ الله سبحانه حكّمه في خلقه يحملهم على المحجّة البيضاء، ويجوز أن يكون من فتحه ما استغلق من العلم، وكذا روي عن عليّ عليه السلام أنّه كان يقول في صفته: «الفاتح لما استغلق» والوجهان متقاربان.

ومن أسمائه صلى الله عليه وآله: الأمين، وهو مأخوذ من الأمانة وأدائها، وصدق الوعد، وكانت العرب تسمّيه بذلك قبل مبعثه، لما شاهدوه من أمانته، وكلّ من أمِنتَ منه الخلف والكذب فهو أمينٌ، ولهذا وصف به جبرئيل عليه السلام فقال: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾.

ومن أسمائه صلى الله عليه وآله: الخاتم، قال الله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ من قولك: ختمت الشيء أي تمّمته، وبلغت آخره، وهي خاتمة الشيء وختامه، ومنه ختم القرآن ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ أي آخر ما يستطعمونه عند فراغهم من شربه ريح المسك، فسمّي به لأنّه آخر النبيّين بعثةً وإن كان في الفضل أوّلاً قال صلى الله عليه وآله: «نحن الآخرون السّابقون يوم القيامة» يريد أنّهم أتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فأمّا المصطفى فقد شاركه فيه الأنبياء صلّى الله عليه وعليهم أجمعين، ومعنى الاصطفاء الاختيار، وكذلك الصفوة والخيرة، إلاّ أن اسم المصطفى على الإطلاق ليس إلاّ له صلى الله عليه وآله، لأنّا نقول: آدم مصطفى، نوح مصطفى، إبراهيم مصطفى، فإذا قلنا: المصطفى تعيّن صلى الله عليه وآله، وذلك من أرفع مناقبه وأعلى مراتبه.

ومن أسمائه صلى الله عليه وآله، الرسول النبيّ الأمّي، والرسول والنبي، قد شاركه فيهما الأنبياء عليهم السلام والرسول من الرسالة والإرسال، والنبيّ يجوز أن يكون من الإنباء: الإخبار، ويحتمل أن يكون من نبا: إذا ارتفع، سمّي بذلك لعلوّ مكانه، ولأنّه خيرة الله من خلقه، وأمّا الأمي فقال قوم: إنّه منسوب إلى مكّة، وهي أمّ القرى، كما قال تعالى ﴿بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا﴾: وقال آخرون: أراد الّذي لا يكتب، قال ابن فارس: وهذا هو الوجه، لأنّه أدلّ على معجزه، وإنّ الله علّمه علم الأوّلين والآخرين، ومن علم الكائنات ما لا يعلمه إلاّ الله تعالى، وهو أمّيّ، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ وروي عنه: «نحن أمّة أمية لا نقرأ ولا نكتب» وقد روي غير هذا.

ومن أسمائه صلى الله عليه وآله: يا أيّها المزمّل، يا أيّها المدثّر، ومعناهما واحد، يقال: زمّله في ثوبه أي لفّه، وتزمّل بثيابه أي تدثّر، والكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ وسمّاه نوراً في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ ونعمة في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ وعبداً في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ [وقال:] لا تدعني إلاّ بيا عبده، فإنّه أشرف أسمائي، ورؤوفاً ورحيماً في قوله تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وسمّاه عبد الله في قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ وسمّاه طه ويس ومنذراً في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾ ومذكراً في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ نبيّ التوبة.

وروى البيهقيّ في كتاب دلائل النبوّة بإسناده عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن

الله خلق الخلائق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً، وذلك قوله تعالى: «وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال» فأنا من أصحاب اليمين، وأنا من خير أصحاب اليمين، ثمّ جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرهما ثلثاً» وقد رواه ابن الأخضر الجنابذيّ، وذكر في كتابه معالم العترة النبويّة، فذلك قوله: «وأصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة والسابقون السابقون» فأنا من السابقين، وأنا خير السّابقين، ثمّ جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرهما قبيلةً، وذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ فأنا أتقى وُلد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر، ثمّ جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً، وذلك قوله عزّوجلّ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فأنا وأهل بيتي مطهّرون من الذنوب.

قال عمّه أبو طالب رضي الله عنه:

وشقّ لـه مـن اسـمـه كـي يـجـلّـه ... فذو العرش محمودٌ وهذا محمّد

وقيل: إنّه لحسان من قصيدة أوّلها:

ألـم تـر أن الله أرسـل عـبـده ... وبـرهـانـه والله أعـلـى وأمـجـدُ

ومن صفاته ﷺ الّتي وردت في الحديث: راكب الجمل، ومحرّم الميتة، وخاتم النبوّة، وحامل الهراوة، وهي العصا الضخمة، والجمع الهراوى، بفتح الواو مثال المطايا، ورسول الرحمة، وقيل: إنّ اسمه في التوراة ماد ماد، وصاحب الملحمة، وكنيته أبو الأرامل، واسمه في الإنجيل الفارقليط، وقال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ أول في النبوّة، وآخر في البعثة، وكنيته أبو القاسم، وروى أنس أنّه لمّا ولد له إبراهيم من مارية القبطيّة أتاه جبريل عليه السلام فقال: السّلام عليك أبا إبراهيم، أو يا أبا إبراهيم ﷺ[1].

توضيح: قال في النهاية: الموت الأحمر: القتل، لما فيه من حمرة الدم أو لشدّته، يقال: موت أحمر، أي شديدٌ، ومنه حديث عليّ عليه السلام: «كنا إذا احمرّ البأس اتّقينا برسول الله ﷺ» أي إذا اشتدّت الحرب استقبلنا العدوّ به، وجعلناه لنا وقايةً، وقيل: أراد إذا اضطرمت نار الحرب وتسعّرت، كما يقال في الشرّ بين القوم: اضطرمت نارهم، تشبيهاً بحمرة النار، وكثيراً ما يطلقون الحمرة على الشدّة، وقال: في حديث قيلة: «لا تخبر أختي فتتّبع أخا بكر بن وائل سمع الأرض وبصرها» يقال: خرج فلان بين سمع الأرض وبصرها: إذا لم يدر أين يتوجّه لأنّه يقع على الطريق، وقيل: أرادت بين طول الأرض وعرضها، وقيل: أرادت بين سمع أهل الأرض وبصرها، فحذفت المضاف، ويقال للرجل إذا غرر بنفسه وألقاها حيث لا يدرى أين هو: ألقى نفسه بين سمع الأرض وبصرها، وقال الزمخشريّ: هو تمثيل، أي لا يسمع كلامهما ولا يبصرهما إلاّ الأرض، يعني أُختها والبكريّ الّذي تصحبه.

---

(١) كشف الغمة، ج ١ ص ١٣.

وقال في قوله عليه السلام: «فعلى الدنيا العفاء» أي الدروس، وذهاب الأثر، وقيل: العفاء: التراب.

٤٥ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يلبس من القلانس اليمنة والبيضاء والمضرّبة وذات الأذنين في الحرب، وكانت عمامته السحاب، وكانت له برنس يتبرنس به(١).

بيان: قال الجزريّ: البرنس هو كلّ ثوب رأسه منه ملتزق به من دراعة، أو جبّة أو ممطر أو غيره، قال الجوهريّ: هو قلنسوة طويلة كان يلبسها النسّاك في صدر الإسلام.

٤٦ - **كا:** عليّ عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يلبس قلنسوة بيضاء مضرّبة، وكان يلبس في الحرب قلنسوة لها أذنان(٢).

٤٧ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله من ورق(٣).

٤٨ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، ومعاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان خاتم رسول الله عليه السلام من ورق، قال: قلت له: كان فيه فصّ؟ قال: لا(٤).

٤٩ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن عبد الرّحمن بن هاشم، عن أبي خديجة قال: الفصّ مدوّر، وقال: هكذا كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله(٥).

٥٠ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن جعفر بن محمّد الأشعريّ، عن ابن القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يتختم بيمينه(٦).

٥١ - **ثو:** أبي، عن أحمد بن إدريس، عن الأشعريّ، عن يوسف بن السخت، عن الحسن بن سهل، عن ابن مهزيار قال: دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام فرأيت في يده خاتماً فصّه فيروزج نقشه «الله الملك»، قال: فأدمت النظر إليه فقال: ما لك تنظر فيه؟ هذا حجر أهداه جبرئيل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله من الجنّة، فوهبه رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام(٧).

٥٢ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن بعض أصحابه، عن واصل بن سليمان، عن عبد الله ابن سنان قال: ذكرنا خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال تحبّ أن أُريكه؟ فقلت: نعم، فدعا بحقّ

(١) الكافي، ج ٦ ص ١١٤٦ باب ٣٥٧ ح ١. (٢) الكافي، ج ٦ ص ١١٤٦ باب ٣٥٧ ح ٢.
(٣) الكافي، ج ٩ ص ١١٥٠ باب ٣٦٢ ح ١.
(٤) - (٦) الكافي، ج ٦ ص ١١٥٠ باب ٣٦٢ ح ١و٢و١١.
(٧) ثواب الأعمال، ص ٢١٠.

مختوم ففتحه وأخرجه في قطنة، فإذا حلقة فضّة، وفيه فصّ أسود، عليه مكتوب سطران: محمّد رسول الله، قال: ثمّ قال: إنّ فصّ النبيّ ﷺ أسود[١].

٥٣ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان نعل سيف رسول الله ﷺ وقائمته فضّة، وبين ذلك حلق من فضّة، ولبست درع رسول الله ﷺ فكنت أسحبها وفيها ثلاث حلقات فضّة من بين يديها وثنتان من خلفها[٢].

بيان: قال الجزريّ: فيه كان نعل سيف رسول الله ﷺ من فضّة، نعل السيف: الحديدة الّتي تكون في أسفل القراب انتهى، وقائم السيف وقائمته: مقبضه.

٥٤ - **كا:** الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن الوشّاء، عن مثنّى، عن حاتم بن إسماعيل، عن أبي عبد الله عليه السلام: إنّ حلية سيف رسول الله عليه السلام كان فضّة كلها، قائمه وقباعه[٣].

بيان: قال الجزريّ: فيه كانت قبيعة سيف رسول الله ﷺ من فضّة، هي الّتي تكون على رأس قائم السيف، وقيل هي ما تحت شاربي السيف.

٥٥ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عليّ بن عطيّة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما تختّم رسول الله ﷺ إلاّ يسيراً حتّى تركه[٤].

٥٦ - **كا:** العدّة، عن أحمد، عن ابن محبوب، عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان نقش خاتم النبيّ ﷺ «محمّد رسول الله» ﷺ[٥].

٥٧ - العدّة، عن سهل، عن محمّد بن عيسى، عن الحسين بن خالد، عن الرضا عليه السلام مثله.

٥٨ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن ابن شمّون، عن الأصمّ، عن مسمع بن عبد الملك عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كانت برة ناقة رسول الله ﷺ من فضّة[٦].

بيان: البرة بالضمّ: حلقة تجعل في لحم الأنف.

٥٩ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن بعض أصحابه، عن أبان عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في منزل رسول الله ﷺ زوج حمام أحمر[٧].

٦٠ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن ابن أشيم، عن صفوان قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن ذي الفقار سيف رسول الله ﷺ، فقال: نزل به جبرئيل عليه السلام من

---

(١) الكافي، ج ٦ ص ١١٥٤ باب ٣٦٧ ح ٧.
(٢) - (٣) الكافي، ج ٦ ص ١١٥٥ باب ٣٦٨ ح ٤ و٦.
(٤) الكافي، ج ٦ ص ١١٥١ باب ٣٦٢ ح ١٠. (٥) الكافي، ج ٦ ص ١١٥٣ باب ٣٦٥ ح ١.
(٦) الكافي، ج ٦ ص ١١٩٢ باب ٤١٣ ح ٦. (٧) الكافي، ج ٦ ص ١١٩٦ باب ٤١٧ ح ١٦.

السماء، وكانت حلقته فضّة[١].

٦١ - **كا:** حميد، عن عبيد الله الدهقان، عن الطاطريّ، عن محمّد بن زياد، عن أبان عن يحيى، عن أبي العلا قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: درع رسول الله صلى الله عليه وآله: ذات الفضول لها حلقتان من ورق في مقدّمها، وحلقتان من ورق في مؤخّرها، وقال: لبسها عليّ عليه السلام يوم الجمل[٢].

٦٢ - وبهذا الإسناد، عن أبان، عن أبي بصير قال: كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله القصواء، إذا نزل عنها علّق عليها زمامها، قال: فتخرج فتأتي المسلمين فيناولها الرجل الشيء، ويناولها هذا الشيء، فلا تلبث أن تشبع، قال فأدخلت رأسها في خباء سمرة بن جندب فتناول عنزة فضرب بها على رأسها فشجّها، فخرجت إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فشكته[٣].

٦٣ - **أقول:** روى الكازرونيّ في المنتقى بإسناده عن ابن عبّاس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يلبس القلانس تحت العمائم وبغير العمائم، ويلبس العمائم بغير القلانس، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يلبس القلانس اليمانيّة، ومن البيض المضرّبة، ويلبس ذوات الآذان في الحرب، ما كان من السيجان الخضر، وكان ربما نزع قلنسوته فجعلها سترة بين يديه وهو يصلّي، وكان من خلق رسول الله صلى الله عليه وآله أن يسمي سلاحه ومتاعه ودوابّه، وكان للنبيّ صلى الله عليه وآله أربعة أسياف: المجذم، والرسوب أهداهما له زيد الخير، وكان له أيضاً القضيب وذو الفقار صار إليه يوم بدر، وكان للعاص بن منبه بن الحجّاج، وكان لا يفارقه في الحرب، وكان قباع سيفه وقائمته وحلقته وذؤابته وبكراته ونعله من فضّة، وكانت له حلقتان في الحمائل في موضعها من الظهر، وكانت له أربع أدراع: ذات الوشاح، والبتراء، وذات المواشي، والخرنق، وقيل: كانت عنده درع داود النبيّ عليه السلام الّتي كان لبسها يوم قتل جالوت، وكانت له أربعة أفراس: المرتجز، وذو العقّال، والسكب، والشحاء، ويقال البحر، وكان يركب البحر، وكان كميتاً، وكانت منطقته من أديم مبشور فيها ثلاث حلق من فضّة، والإبزيم، والحلق على صنعة الفلك المضروبة من فضّة، وكان اسم رمحه المثوى، وكانت له حربة يقال لها: العنزة، وكان يمشي بها ويدعم عليها، وكانت تحمل بين يديه في الأعياد، فيركزها أمامه، ويستتر بها ويصلّي، وكان له محجن قدر ذراع يمشي به، ويركب به، ويعلّقه بين يديه على بعيره.

وفي رواية: ويأخذ الشيء، وكانت له مخصرة تسمّى العرجون، وكان اسم قوسه الكتوم، واسم كنانته الكافور، ونبله الموتصلة، وترسه الزلوق، ومغفره ذو السبوغ، واسم عمامته السحاب، واسم ردائه الفتح، واسم رايته العقاب، وكانت سوداء من صوف، وكانت ألويته بيضاء وربما جعل فيها السواد، وربما كان من خمر نسائه، وكانت له بغلة شهباء يقال لها: الدلدل، أهداها له المقوقس ملك الإسكندريّة، وهي الّتي قال لها في بعض الأماكن:

---

(١) روضة الكافي، ص٧٩٨ ح ٣٩١.
(٢) - (٣) روضة الكافي، ص ٨٢٧ ح ٥١١ و٥١٥.

اربضي دلدل فربضت، وكان عليّ عليه السلام يركبها بعد رسول الله ﷺ، وقال غير ابن عبّاس، وكان يركبها الحسن بعد عليّ، ثمّ ركبها الحسين، ومحمّد بن الحنفيّة حتّى كبرت وعميت، فدخلت مطبخة لبني مذحج فرماها رجل بسهم فقتلها، وكانت له بغلة يقال لها: الإيليّة، وكانت محذوفة طويلة، كأنّها تقوم على رماح، حسنة السير، فأعجبته، وكان له حمار يدعى عفيراً، قال ﷺ له: اليعفور، وكان أخضر، وكانت له ناقة تسمّى العضباء، ويقال: القصواء، وكانت صهباء، وكانت له شاة يشرب لبنها يقال لها: غينة، ويقال: غوثة، وكان له قدحان اسم أحدهما الريّان، والآخر المضبّب، وكان يسع كلّ واحد منهما قدر مدّ، فيه ثلاث ضبات حديد، وحلقة تعلّق بها، وكان له تور من حجارة يقال له: المخضب والمخضد يتوضأ فيه، وكان له مخضب من شبه يكون فيه الحناء والكتم من حرّ كان يجده في رأسه ﷺ، وكانت له أربعة اسكندرانيّة أهداها المقوقس ملك مصر، وكان له نعلان من السبت، وكان له مخصرة ذات قبالين، وكانت صفراء، وكان له خفّان ساذجان أهداهما النجاشيّ ملك الحبشة، وكان له سرير وقطيفة وقصعة وجارية اسمها روضة.

وفي رواية أخرى عن ابن عبّاس أيضاً أنّه قال: كان لرسول الله ﷺ سيف محلّى قائمه من فضّة، ونعله من فضّة، وفيه حلق من فضّة، وكان يسمّى ذا الفقار، وكانت له قوس نبع تسمّى السداد، وكانت له كنانة تسمّى الجمع، وكانت له درع وشجه بالنحاس تسمى ذات الفضول، وكانت له حربة تسمى البيضاء، وكان له مجنّ يسمّى الوفر، وكان له فرس أدهم يسمّى السكب، وكانت له بغلة شهباء تسمّى دلدل، وكانت له ناقة تسمّى العضباء، وكان له حمار يسمّى يعفور، وكان له فسطاط يسمّى التركي، وكان له عنز يسمّى اليمن، وكانت له ركوة تسمى الصادر، وكانت له مرآة تسمّى المدلّة، وكانت له مقراض تسمّى الجامع، وكانت له قضيب شوحط يسمّى الممشوق.

وفي بعض الروايات أنّه كان لرسول الله ﷺ ناقة جدعاء، وفي رواية حزماء، وفي رواية صرماء، وفي رواية صلماء، وفي رواية مخضرمة، وهي الّتي قطع طرف أذنها، والّتي هاجر عليها رسول الله ﷺ كانت القصواء، وقيل: الجدعاء، ابتاعها أبو بكر بأربعمائة درهم، فهاجر ﷺ عليها مع أبي بكر، وكانت عنده حتّى نفقت، وكانت حين قدم رسول الله ﷺ رباعيّة، قال بعض المحقّقين من علمائنا: هذه الصفات كلّها كأنّها لناقة واحدة كان بأذنها ما عبّر كلّ واحد من الرواة عنه بما يغلب على ظنّه، وبما يعرفه منها.

وروي عن موسى بن عبيد أنّه سأل ابن عمر يا أبا عبد الرحمن أكنتم تراهنون على عهد رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، لقد راهن على فرس يقال له: سبحة، فجاءت سابقة، فلهشّ ذلك وأعجبه.

وفي رواية عن سهل بن سعد قال: كان للنبيّ ﷺ عند أبي سعد ثلاثة أفراس يعلفهنّ، وسمعت أبي يسمّيهنّ اللّزاز، واللّحيف، والظرب، وقيل: اللّجيف؛ وقيل: إنّ تميم الداريّ

أهدى له ﷺ فرساً يقال له: الورد، فأعطاه عمر؛ وقيل: أوّل فرس ملكه رسول الله ﷺ كان فرساً ابتاعه بالمدينة من رجل من بني فزارة بعشرة أواق، وكان اسمه الظرب فسمّاه السكب، وكان أوّل ما غزى عليه في أحد، ويقال: إنّ المرتجز هو الّذي اشتراه ﷺ من أعرابيّ من بني مرّة فجحده فشهد له خزيمة بن ثابت، وكان فرساً أبيض.

ثمّ قال: السيجان جمع الساج وهو الطيلسان. قوله: فجعلها سترة بين يديه يدلّ على طولها، لأنّه ﷺ لمّا سئل عن قدر ما يستر المصلّي، قال: مثل آخرة الرحل. والقضيب: السيف اللّطيف في قول الاصمعيّ، تشبيهاً بالقضيب من الشجر، وقيل: بل القضيب من القضب بمعنى المقضوب، لا يسمّى قضيباً إلاّ بعد القطع. والقباع: ما يضبّب طرف قائمة السيف، وأكثر ما يقال له: القبيعة، والذؤابة ما يعلّق به من قائمه. والبكرات: الحلق. ونعل السيف: حديدة تكون في آخر الغمد، كانت فضّة في سيف رسول الله ﷺ. والسكب الواسع الجري كأنّه يسكب الأرض، أي يصبّها.

وقال الجزريّ: يقال: ناقة شحوى، أي واسعة الخطو، ومنه أنّه كان للنّبي ﷺ فرس يقال له الشحاء، هكذا روي بالمد وفسّر بأنّه الواسع الخطو.

وقال الكازرونيّ: وسمّي بالبحر لسعة جريه. والفلك بكسر الفاء جمع فلكة للثدي، أو فلكة المغزل. والعنزة: رمح صغيرٌ. ويدعم عليها أي يتكيء. والعرجون: من عيدان العنب. والموتصله من الوصل، كأنّه سمّي بذلك تفؤلاً بوصوله إلى العدوّ. والدلدل لعلّها سميت به تشبيهاً بالدلدل وهو القنفذ، أو بشيء يشبهه، فلعلّها شبّهت به لقلّة سكونها. والإيليّة: منسوبة إلى قرية بالشام. والمحذوفة: المقطوعة الذنب. والعفير: تصغير الأعفر كسويد وأسود حذفت همزتهما. والقياس أعيفر، وهو لون أبيض تعلوه حمرة؛ ويعفور مثل أعفر كأخضر ويخضور. والسبت بالكسر: جلود البقر المدبوغة وإنّما سمّيت الركوة بالصادر لأنّه يصدر عنها بالريّ. والجامع في اسم المقراض لأنّه يجمع ما يراد قرضه به، وذلك من جودته. قوله: فلهشّ أي فلقد هشّ، يقال هش للمعروف، أي اشتهاه، ورجل هشّ: طلق المحيا انتهى.

٦٤ - وقال القاضي عياض في الشفاء: روي عن محمّد بن جبير قال رسول الله ﷺ: لي خمسة أسماء: أنا محمّد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الّذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الّذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب، قد سمّاه الله في كتابه محمّداً وأحمد، فمن خصائصه تعالى له أن ضمّن أسماءه ثناءه، وطوى أثناء ذكره عظيم شكره، فأمّا اسمه أحمد فأفعل مبالغة من صفة الحمد، ومحمّد مفعّل مبالغة من كثرة الحمد، فهو ﷺ أجلّ من حمد، وأفضل من حمد، وأكثر الناس حمداً، فهو أحمد المحمودين، وأحمد الحامدين، ومعه لواء الحمد يوم القيامة ليتمّ له كمال الحمد، ويتشهّر في تلك العرصات بصفة الحمد، ويبعثه ربّه هناك مقاماً محموداً، كما وعده، يحمده فيه الأوّلون والآخرون بشفاعته لهم، ويفتح عليه من المحامد كما قال ﷺ ما لم يعط غيره، وسمّي أمّته في كتب أنبيائه

بالحامدين، فحقيق أن يسمّى محمّداً وأحمد، ثمّ في هذين الاسمين من عجائب خصائصه، وبدائع آياته فن آخر، وهو أن الله جل اسمه حمى أن يسمّى بهما أحدٌ قبل زمانه، أمّا أحمد الّذي أتى في الكتب وبشّرت به الأنبياء فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمّى به أحد غيره، ولا يدعى به مدعوّ قبله حتّى لا يدخل لبس على ضعيف القلب، أو شكّ، وكذلك محمّد أيضاً لم يسمّ به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده وميلاده أن نبيّاً يبعث اسمه محمّد، فسمّى قومٌ قليل أبناءهم لرجاء أن يكون أحدهم هو، والله أعلم حيث يجعل رسالته، وهم محمّد بن أحيحة بن الجلاح الأوسيّ، ومحمّد بن مسلمة الأنصاريّ، ومحمّد بن براء البكريّ، ومحمّد بن سفيان بن مجاشع، ومحمّد بن حمران الجعفيّ، ومحمّد بن خزاعي السلميّ لا سابع لهم، حتّى تحقّقت السمتان له ﷺ، ولم ينازع فيهما، وأمّا قوله: «وأنا الماحي» فقد ورد في الحديث في تفسيره أنّه الّذي محيت به سيّئات من اتّبعه، وقيل: معنى على قدمي، أي يحشر الناس بمشاهدتي، كما قال: «لتكونوا شهداء على النّاس ويكون الرسول عليكم شهيداً» وروي عنه ﷺ: لي عشرة أسماء، وذكر منه «طه ويس» حكاه مكيّ، وقد قيل في بعض التفاسير: «طه» أنه يا طاهر، يا هادي، وفي «يس» يا سيّد، حكاه السلميّ عن الواسطيّ، وعن جعفر بن محمّد.

ومن أسمائه ﷺ: رسول الرحمة، ورسول الراحة، ورسول الملاحم.

وفي حديثه ﷺ قال: «أتاني ملك فقال لي: أنت قثم» أي مجتمع، والقثوم: الجامع للخير، ومن أسمائه ﷺ: النور، والسراج المنير، والمنذر، والنذير، والمبشّر، والبشير، والشاهد، والشهيد، والحقّ المبين، وخاتم النبيّين، والرؤوف الرحيم، والأمين، وقدم صدق، ورحمة للعالمين، ونعمة الله، والعروة الوثقى، والصّراط المستقيم، والنجم الثاقب، والكريم، والنبيّ الأمّي، وداعي الله، والمصطفى، والمجتبى، وأبو القاسم، والحبيب، ورسول ربّ العالمين، والشفيع المشفّع، والمتّقي، والمصلح، والطاهر، والمهيمن، والصادق، والمصدّق، والهادي، وسيّد ولد آدم، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، وحبيب الله، وخليل الرحمن، وصاحب الحوض المورود والشفاعة، والمقام المحمود، وصاحب الوسيلة، وصاحب التاج والمعراج، واللّواء والقضيب، وراكب البراق والناقة والنجيب، وصاحب الحجّة والسلطان، والخاتم والعلامة والبرهان، وصاحب الهراوة والنعلين.

ومن أسمائه ﷺ في الكتب المتوكّل، والمختار، ومقيم السنّة، والمقدّس، وروح القدس، وهو معنى البارقليط في الإنجيل، وقال تغلب: البارقليط: الّذي يفرّق بين الحقّ والباطل.

ومن أسمائه ﷺ في الكتب السالفة ماذ ماذ، ومعناه طيّب طيّب، وحمطايا، والخاتم، والخاتم حكاه كعب الأحبار، وقال تغلب: فالخاتم الّذي ختم الأنبياء، والخاتم أحسن

الأنبياء خلقاً وخُلقاً، ويسمى بالسريانيّة مشفح والمتخمّنا، واسمه أيضاً في التوراة أحيد، روي ذلك عن ابن سيرين، ومعنى صاحب القضيب أي السيف، وقع ذلك مفسّراً في الإنجيل، قال: معه قضيب من حديد يقاتل به، وأمته كذلك، وقد يحمل على أنّه القضيب الممشوق الّذي كان يمسكه، وأمّا الهراوة فهي العصا، وأراها العصا المذكورة في حديث الحوض، وأمّا التاج فالمراد به العمامة، ولم يكن حينئذٍ إلاّ للعرب، والعمائم تيجان العرب، وكانت كنيته المشهورة أبا القاسم، وعن أنس أنّه لمّا ولد له إبراهيم جاء جبرئيل عليه السلام فقال له: السلام عليك يا أبا إبراهيم.

٦٥ - **ع:** العطّار، عن سعد، عن عبد الله بن عامر، عن ابن أبي نجران، عن يحيى الحلبيّ، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ قال: بكلّ لسان[1].

ير: عبد الله بن عامر[2].

بيان: اختلف في قوله تعالى: ﴿وَمَن بَلَغَ﴾ فقيل: المعنى ولا خوف به من بلغه القرآن إلى يوم القيامة، وروى الحسن في تفسيره عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: من بلغه أنّي أدعو إلى أن لا إله إلاّ الله فقد بلغه، يعني بلغته الحجّة، وقامت عليه، وسيأتي الأخبار الكثيرة في أن معناه ومن بلغ أن يكون إماماً من آل محمّد فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمّا هذا الخبر فلعلّه عليه السلام حمله على أحد المعنيين الأوّلين، والتقدير لأنذر به من بلغه القرآن من أهل كلّ لسان، ولا يختصّ بالعرب، أو لأنذر كلّ من بلغه دعوتي بلغتهم، وأكلمهم بلسانهم، وهو أظهر، والله يعلم.

٦٦ - **ع:** ابن الوليد، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الحسين بن سعيد، ومحمّد البرقيّ، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان النبيّ صلى الله عليه وآله يقرأ الكتاب ولا يكتب[3].

٦٧ - **ع:** أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن البزنطيّ، عن أبان، عن الحسن الصيقل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان ممّا منَّ الله عزّ وجلّ به على نبيّه صلى الله عليه وآله أنّه كان أُميّاً لا يكتب ويقرأ الكتاب[4].

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١٥٢ باب ١٠٥ ح ٣.

(٢) بصائر الدرجات، ج ٥ ص ٢٢١ باب ٤ ح ٢.

(٣) - (٤) علل الشرائع، ج ١ ص ١٥٣ باب ١٠٥ ح ٦ و٧. **أقول**: النفي يدلّ على نفي الوقوع ولا يدلّ على نفي القدرة، وهكذا الكلام في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ الآية ولا يحتاج ان يقال أنّه ظاهر في قبل النبوّة كما قاله السيّد المرتضى قدّس سرّه. وبالجملة قوله: ﴿وَلَا تَخُطُّهُ﴾ نفي على الظاهر او مشترك ولا وجه لحمله عن النهي فإنّه دعوى بلا دليل=

٦٨ - فس: أبي، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: «هو الّذي بعث في الأميّين رسولاً منهم» قال: كانوا يكتبون، ولكن لم يكن معهم كتاب من عند الله، ولا بعث إليهم رسولاً فنسبهم إلى الأميّين(١).

٦٩ - فس: قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾: وهو معطوف على قوله في سورة الفرقان: ﴿اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ فرد الله عليهم فقال: كيف يدّعون أن الّذي تقرأه أو تخبر به تكتبه عن غيرك وأنت ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطّه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون، أي شكّوا(٢).

٧٠ - مع، ع: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن محمّد البرقيّ، عن جعفر بن محمّد الصوفيّ قال: سألت أبا جعفر محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام فقلت: يا ابن رسول الله لم سمّي النبيّ ﷺ الأمّي؟ فقال: ما تقول الناس؟ قلت: يزعمون أنّه إنّما سمّي الأمي لأنّه لم يحسن أن يكتب، فقال عليه السلام: كذبوا عليهم لعنة الله، أنّى ذلك والله يقول في محكم كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ فكيف كان يعلّمهم ما لا يحسن؟ والله لقد كان رسول الله ﷺ يقرأ ويكتب باثنين وسبعين، أو قال: بثلاثة وسبعين لساناً، وإنّما سمّي الأمّي لأنه كان من أهل مكّة، ومكّة من أمّهات القرى، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾(٣).

ختص، ير: ابن عيسى مثله(٤).

٧١ - ع: ابن الوليد، عن سعد، عن الخشّاب، عن عليّ بن حسّان وعليّ بن أسباط وغيره رفعه عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: إنّ النّاس يزعمون أن رسول الله ﷺ لم يكتب ولا يقرأ فقال: كذبوا لعنهم الله، أنّى يكون ذلك وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فيكون يعلّمهم الكتاب والحكمة، وليس يحسن أن يقرأ أو يكتب؟ قال: قلت: فلم سمّي النبيّ الأمّيّ؟ قال: نسب إلى مكّة وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ فأمّ القرى مكّة، فقيل أمّي لذلك(٥).

= وقوله: ﴿وَلَا تَخُطُّهُ﴾ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ﴾ نفي الوقوع لا نفي القدرة، ويظهر من ذيل الآية حكمته وانّه لعدم ارتياب المبطلين. [مستدرك السفينة ج ٩ لغة «كتب»].

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٤٨. (٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٢٨.

(٣) معاني الأخبار، ص ٥٣، علل الشرائع، ج ١ ص ١٥٢ باب ١٠٥ ح ١.

(٤) الاختصاص، ص ٢٦٣ وبصائر الدرجات، ج ٥ ص ٢٢٠ باب ٤ ح ١.

(٥) علل الشرائع، ج ١ ص ١٥٢ باب ١٠٥ ح ٢.

ير: عبد الله بن محمّد، عن الخشّاب[١].

شي: عن ابن أسباط مثله[٢].

٧٢ - **ع:** أبي، عن سعد، عن معاوية بن حكيم، عن البزنطيّ، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان ممّا منّ الله عزّ وجلّ على رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه كان يقرأ ولا يكتب، فلمّا توجّه أبو سفيان إلى أحد كتب العباس إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فجاءه الكتاب وهو في بعض حيطان المدينة، فقرأه ولم يخبر أصحابه وأمرهم أن يدخلوا المدينة، فلمّا دخلوا المدينة أخبرهم[٣].

بيان: يمكن الجمع بين هذه الأخبار بوجهين: الأوّل أنه صلى الله عليه وآله كان يقدر على الكتابة، ولكن كان لا يكتب، لضرب من المصلحة، الثاني أن نحمل أخبار عدم الكتابة والقراءة على عدم تعلّمها من البشر، وسائر الأخبار على أنّه كان يقدر عليهما بالإعجاز، وكيف لا يعلم من كان عالماً بعلوم الأوّلين والآخرين أنّ هذه النقوش موضوعة لهذه الحروف، ومن كان يقدر بإقدار الله تعالى له على شقّ القمر وأكبر منه كيف لا يقدر على نقش الحروف والكلمات على الصحائف والألواح؟ والله تعالى يعلم.

٧٣ - **ع:** الطالقانيّ، عن أحمد بن إسحاق المادرائي، عن أبي قلابة عبد الملك بن محمّد، عن غانم بن الحسن السعديّ، عن مسلم بن خالد المكّيّ، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام قال: ما أنزل الله تبارك وتعالى كتاباً ولا وحياً إلاّ بالعربيّة، فكان يقع في مسامع الأنبياء بألسنة قومهم، وكان يقع في مسامع نبيّنا صلى الله عليه وآله بالعربيّة، فإذا كلّم به قومهم كلّمهم بالعربيّة، فيقع في مسامعهم بلسانهم، وكان أحد لا يخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله بأيّ لسان خاطبه إلاّ وقع في مسامعه بالعربيّة، كلّ ذلك يترجم جبرئيل عليه السلام له وعنه تشريفاً من الله عزّ وجلّ له صلى الله عليه وآله[٤].

٧٤ - **ير:** الحسن بن عليّ، عن أحمد بن هلال، عن خلف بن حمّاد، عن عبد الرحمن ابن الحجّاج قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يقرأ ويكتب ويقرأ ما لم يكتب[٥].

٧٥ - **قب:** قوله: ﴿ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ﴾ وقال عليه السلام: نحن أمّة أمّيّة لا نكتب ولا نحسب. وقيل: أمّي منسوبة إلى أمّة يعني جماعة عامّة، والعامّة لا تعلم الكتابة، ويقال: سمّي بذلك لأنّه من العرب، وتدعى العرب الأمّيّون.

قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾ وقيل: لأنّه يقول يوم القيامة: أمّتي أمّتي، وقيل: لأنّه الأصل، وهو بمنزلة الأمّ الّتي يرجع الأولاد إليها، ومنه أمّ القرى، وقيل: لأنّه لأمّته بمنزلة

(١) بصائر الدرجات ص ٢٢١ ج ٥ باب ٤ ح ٤. (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣١ ح ٨٦.
(٣) - (٤) علل الشرائع، ج ١ ص ١٥٣ باب ١٠٥ ح ٥ و٨.
(٥) بصائر الدرجات، ص ٢٢١ ج ٥ باب ٤ ح ٥.

الوالدة الشفيقة بولدها، فإذا نودي في القيامة: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ تمسّك بأُمّته، وقيل: منسوبة إلى أُمّ وهي لا تعلم الكتابة، لأنّ الكتابة من أمارات الرجال، وقالوا: نسب إلى أمة، يعني الخلقة، قال الأعشى:

وإن معاوية الأكرمين حسان الوجوه طوال الأُمم

قال المرتضى في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾ الآية، ظاهر الآية يقتضي نفي الكتابة والقراءة بما قبل النبوّة دون ما بعدها، ولأنّ التعليل في الآية يقتضي اختصاص النفي بما قبل النبوّة، لأنّهم إنّما يرتابون في نبوّته لو كان يحسنها قبل النبوّة، فأمّا بعدها فلا تعلّق له بالريبة، فيجوز أن يكون تعلّمهما من جبرئيل بعد النبوّة، ويجوز أن لم يتعلّم فلا يعلم، قال الشعبيّ وجماعة من أهل العلم: ما مات رسول الله ﷺ حتّى كتب وقرأ، وقد شهر في الصحاح والتواريخ قوله ﷺ: إيتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً.

٧ - باب آخر نادر في معنى كونه ﷺ يتيماً وضالاً وعائلاً، ومعنى انشراح صدره وعلة يتمه، والعلة التي من أجلها لم يبق له ﷺ ولد ذكر

الآيات: الضحى «٩٣»: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾.

[الانشراح]: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾.

تفسير: قال المفسّرون: في سبب نزول سورة الضحى: قال ابن عبّاس: احتبس الوحي عنه ﷺ خمسة عشر يوماً، فقال المشركون: إنّ محمّداً ﷺ قد ودعه ربّه وقلاه، ولو كان أمره من الله تعالى لتتابع عليه، فنزلت. وقيل: إنّما احتبس اثني عشر يوماً، وقيل أربعين يوماً، وقيل: سألت اليهود رسول الله ﷺ عن ذي القرنين، وأصحاب الكهف، وعن الروح، فقال: سأخبركم غداً، ولم يقل: إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي هذه الأيّام، فاغتمّ لشماتة الأعداء، فنزلت تسليةً لقلبه: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ أي وقت ارتفاع الشمس أو النهار ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أي سكن أهله، أو ركد ظلامه ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ ما قطعك ربّك قطع المودّع، وهو جواب القسم ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ أي ما أبغضك ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ أي من الحوض والشفاعة وسائر ما أعد له من الكرامة، أو في الدنيا أيضاً من إعلاء الدّين، وقمع الكافرين، ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: في معناه قولان: أحدهما أنّه تقرير لنعمة الله عليه حين مات أبوه وبقي يتيماً فآواه الله بأن سخّر له عبد المطّلب ثمّ أبا طالب، وكان ﷺ

مات أبوه وهو في بطن أمّه أو بعد ولادته بمدّة قليلة، وماتت أمّه وهو ابن سنتين، ومات جدّه وهو ابن ثماني سنين.

وسئل الصادق عليه السلام لم أوتم النبيّ صلى الله عليه وآله عن أبويه؟ فقال: لئلا يكون لمخلوق عليه حقّ.

والآخر أن يكون المعنى ألم يجدك واحداً لا مثل لك في شرفك وفضلك فآواك إلى نفسه، واختصك برسالته، من قولهم: درّة يتيمة: إذا لم يكن لها مثل، وقيل: فآواك، أي جعلك مأوى للأيتام بعد أن كنت يتيماً، وكفيلاً للأنام بعد أن كنت مكفولاً.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ فيه أقوال: أحدها وجدك ضالاً عمّا أنت عليه الآن من النبوّة والشريعة، أي كنت غافلاً عنهما فهداك إليهما، ونظيره «ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان» وقوله: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ فمعنى الضلال على هذا هو الذهاب عن العلم، مثل قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾.

وثانيها: أن المعنى وجدك متحيّراً لا تعرف وجوه معاشك فهداك إليها، فإنّ الرجل إذا لم يهتد إلى طريق مكسبه يقال: إنّه ضالّ.

وثالثها: أن المعنى وجدك لا تعرف الحقّ فهداك إليه بإتمام العقل، ونصب الأدلّة والألطاف حتّى عرفت الله بصفاته بين قوم ضلاّل مشركين.

ورابعها: وجدك ضالاً في شعاب مكّة فهداك إلى جدّك عبد المطّلب، فروي أنّه ضل في شعاب مكّة وهو صغير فرآه أبو جهل وردّه إلى جدّه عبد المطّلب، فمنَّ الله سبحانه بذلك عليه إذ ردّه إلى جدّه على يدي عدوّه عن ابن عبّاس.

وخامسها: ما روي أن حليمة بنت أبي ذؤيب لمّا أرضعته مدّة وقضت حقّ الرضاع ثمّ أرادت ردّه إلى جدّه جاءت به حتّى قربت من مكّة فضل في الطريق، فطلبته جزعة وكانت تقول: لئن لم أره لأرمينّ نفسي عن شاهق، وجعلت تصيح: وا محمّداه، قالت: فدخلت مكّة على تلك الحال، فرأيت شيخاً متوكّئاً على عصاً، فسألني عن حالي فأخبرته فقال: لا تبكي فأنا أدلّك على من يردّه عليك، فأشار إلى هبل صنمهم الأعظم، ودخل البيت وطاف بهبل وقبّل رأسه وقال: يا سيّداه لم تزل منّتك جسيمة، ردّ محمّداً على هذه السعديّة، قال: فتساقطت الأصنام لمّا تفوّه باسم محمّد صلى الله عليه وآله، وسمع صوت: إنّ هلاكنا على يدي محمّد، فخرج وأسنانه تصطكّ، وخرجت إلى عبد المطّلب وأخبرته بالحال، فخرج وطاف بالبيت، ودعا الله سبحانه فنودي وأشعر بمكانه، فأقبل عبد المطّلب فتلقّاه ورقة بن نوفل في الطريق، فبينا هما يسيران إذا النبيّ صلى الله عليه وآله قائم تحت شجرة يجذب الأغصان، ويعبث بالورق، فقال عبد المطّلب: فداك نفسي، وحمله وردّه إلى مكّة.

وسادسها: ما روي أنه صلى الله عليه وآله خرج مع عمّه أبي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة، فبينا هو راكب ذات ليلة ظلماء إذ جاء إبليس فأخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق، فجاء

جبرئيل عليه‌السلام فنفخ بإبليس نفخة وقع منها إلى الحبشة، وردّه إلى القافلة، فمنّ الله عليه بذلك.

وسابعها: أن المعنى وجدك مضلولاً عنك في قوم لا يعرفون حقّك فهداهم إلى معرفتك وأرشدهم إلى فضلك، والاعتراف بصدقك، والمراد أنّك كنت خاملاً لا تذكر ولا تعرف فعرّفك الله إلى النّاس حتّى عرفوك وعظّموك.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ أي فقيراً لا مال لك ﴿فَأَغْنَىٰ﴾ أي فأغناك بمال خديجة، ثمّ بالغنائم، وقيل: فأغناك بالقناعة، ورضّاك بما أعطاك وروى العيّاشيّ بإسناده عن أبي الحسن الرضا عليه‌السلام في قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾قال عليه‌السلام: فرداً لا مثل لك في المخلوقين فآوى الناس إليك.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ أي ضالّة في قوم لا يعرفون فضلك فهداهم إليك. ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ تعول أقواماً بالعلم فأغناهم بك.

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أي لا تقهره على ماله فتذهب بحقّه لضعفه. وقيل: أي لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيماً ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ أي لا تنهره ولا تردّه إذا أتاك يسألك، فقد كنت فقيراً، فإمّا أن تطعمه، وإمّا أن تردّه ردّاً ليّناً ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ معناه اذكر نعم الله تعالى وأظهرها وحدّث بها انتهى كلامه رفع الله مقامه[1].

وقال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾: ألم نفسحه حتّى وسع مناجاة الحقّ ودعوة الخلق، فكان غائباً حاضراً؟ أو ألم نفسحه بما أودعنا فيه من الحكم، وأزلنا عنه ضيق الجهل؟ أو بما يسّرنا لك تلقّي الوحي بعدما كان يشقّ عليك؟ وقيل: إنّه إشارة إلى ما روي أن جبرئيل أتى رسول الله ﷺ في صباه أو يوم الميثاق فاستخرج قلبه وغسله، ثمّ ملأه إيماناً وعلماً، ولعلّه إشارة إلى نحو ما سبق، ومعنى الاستفهام إنكار نفي الانشراح مبالغة في إثباته، ولذلك عطف عليه ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ عبأك الثقيل ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ الذي حمله على النقيض، وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل، وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة، أو جهله بالحكم والأحكام، أو حيرته، أو تلقّي الوحي، أو ما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن إرشادهم، أو من إصرارهم وتعدّيهم في إيذائه حين دعاهم إلى الإيمان.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ بالنبوة وغيرها ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾ كضيق الصدر والوزر المنقض للظّهر وضلال القوم وإيذائهم ﴿يُسْرًا﴾ كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة، فلا تيأس من روح الله إذا عراك ما يغمّك ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ تكرير للتّأكيد، أو استئناف وعدة بأنّ العسر مشفوع بيسر آخر، كثواب الآخرة ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من التبليغ ﴿فَٱنصَبْ﴾ فاتعب في العبادة شكراً بما عدّدنا عليك من النّعم السالفة، ووعدنا بالنعم الآتية، وقيل: فإذا فرغت من الغزو

---

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٣٨٣.

فانصب في العبادة، أو فإذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ بالسؤال، ولا تسأل غيره، فإنّه القادر وحده على إسعافه[1].

أقول: اعلم أن شقّ بطنه ﷺ في صغره في روايات العامّة كثيرة مستفيضة كما عرفت، وأمّا رواياتنا وإن لم يرد فيها بأسانيد معتبرة لم يرد نفيها أيضاً، ولا يأبى عنه العقل أيضاً، فنحن في نفيه وإثباته من المتوقّفين، كما أعرض عنه أكثر علمائنا المتقدّمين، وإن كان يغلب على الظنّ وقوعه، والله يعلم وحججه عليهم السلام.

١ - **ن:** بالأسانيد الثلاثة عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: سئل عليّ بن الحسين عليه السلام لم أوتم النبيّ ﷺ من أبويه؟ قال: لئلاّ يجب عليه حقّ لمخلوق[2].

٢ - **مع، ع:** حمزة العلويّ، عن أحمد الهمدانيّ، عن عليّ بن الحسين بن فضّال، عن أخيه أحمد، عن محمّد بن عبد الله بن مروان، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ أيتم نبيّه ﷺ لئلاّ يكون لأحدٍ عليه طاعة[3].

٣ - **ع:** عليّ بن حاتم القزوينيّ فيما كتب إليّ عن القاسم بن محمّد، عن حمدان بن الحسين بن الوليد، عن عبد الله بن حمّاد، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: لأيّ علّة لم يبق لرسول الله ﷺ ولد؟ قال: لأنّ الله عزّ وجلّ خلق محمّداً ﷺ نبيّاً وعليّاً عليه السلام وصيّاً، فلو كان لرسول الله ﷺ ولد من بعده كان أولى برسول الله ﷺ من أمير المؤمنين عليه السلام فكانت لا تثبت وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام[4].

٤ - **مع، ع:** القطّان، عن ابن زكريّا القطّان، عن ابن حبيب، عن ابن بهلول، عن أبيه، عن أبي الحسن العبديّ، عن سليمان بن مهران، عن عباية بن ربعيّ، عن ابن عبّاس قال: سئل عن قول الله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ قال: إنّما سمّي يتيماً لأنّه لم يكن له نظير على وجه الأرض من الأوّلين والآخرين، فقال عزّ وجلّ ممتنّاً عليه نعمه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ أي وحيداً لا نظير لك؟ ﴿فَـَٔاوَىٰ﴾ إليك الناس، وعرّفهم فضلك حتّى عرفوك ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ يقول: منسوباً عند قومك إلى الضلالة فهداهم بمعرفتك ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ يقول: فقيراً عند قومك يقولون: لا مال لك، فأغناك الله بمال خديجة، ثمّ زادك من فضله، فجعل دعاءك مستجاباً حتّى لو دعوت على حجر أن يجعله الله لك ذهباً لنقل عينه إلى مرادك، وأتاك بالطعام حيث لا طعام، وأتاك بالماء حيث لا ماء، وأعانك بالملائكة حيث لا مغيث فأظفرك بهم على أعدائك[5].

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٤٢٩.
(٢) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٥٠ باب ٣١ ح ١٦٩.
(٣) معاني الأخبار، ص ٥٣، علل الشرائع، ج ١ ص ١٥٩ باب ١١٠ ح ١.
(٤) علل الشرائع، ج ١ ص ١٥٩ باب ١١١ ح ١.
(٥) معاني الأخبار، ص ٥٣، علل الشرائع، ج ١ ص ١٥٨ باب ١٠٩ ح ١.

٥ - **ن:** في خبر ابن الجهم، عن الرضا عليه السلام قال الله عزّ وجلّ لنبيّه محمّد ﷺ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ يقول: ألم يجدك وحيداً فآوى إليك الناس؟ ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ يعني عند قومك ﴿فَهَدَىٰ﴾ أي هداهم إلى معرفتك ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ يقول: أغناك بأن جعل دعاءك مستجاباً[١].

٦ - **فس:** عليّ بن الحسين، عن البرقيّ، عن أبيه، عن خالد بن يزيد، عن أبي الهيثم. عن زرارة، عن الإمامين عليهما السلام في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ أي فآوى إليك الناس ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ أي هدى إليك قوماً لا يعرفونك حتّى عرفوك ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ أي وجدك تعول أقواماً فأغناهم بعلمك.

قال عليّ بن إبراهيم: ثمّ قال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ قال: اليتيم الّذي لا مثل له، ولذلك سمّيت الدرّة: اليتيمة، لأنّه لا مثل لها ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ بالوحي، فلا تسأل عن شيء أحداً ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ قال: وجدك ضالاً في قوم لا يعرفون فضل نبوّتك فهداهم الله بك[٢].

٧ - **صح:** عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: سئل محمّد بن عليّ بن الحسين عليه السلام لم أوتم النبيّ ﷺ من أبويه؟ قال: لئلاّ يوجد عليه حقّ لمخلوق[٣].

٨ - **كنز:** محمّد بن العبّاس، عن أبي داود، عن بكّار، عن عبد الرحمن، عن إسماعيل ابن عبد الله، عن عليّ بن عبيد الله بن العبّاس قال: عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمّته من بعده كفراً كفراً، فسرّ بذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾ قال: فأعطاه الله ألف قصر في الجنّة، ترابه المسك، في كلّ قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم[٤].

بيان: قال الجزريّ، أهل الشام يسمّون القرية كفراً، ومنه الحديث عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمّته بعده كفراً كفراً، فسر ذلك. أي قرية قرية.

٩ - **كنز:** محمّد بن العبّاس، عن محمّد بن أحمد بن الحكم، عن محمّد بن يونس، عن حمّاد بن عيسى، عن الصادق، عن أبيه عليهما السلام عن جابر بن عبد الله قال: دخل رسول الله ﷺ على فاطمة عليها السلام وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من أجلّة الإبل، فلمّا نظر إليها بكى وقال لها: يا فاطمة تعجّلي مرارة الدنيا لنعيم الآخرة غداً، فأنزل الله عليه: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾[٥].

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٧٧ باب ١٥ ح ١.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٢٦.
(٣) صحيفة الإمام الرضا، ص ١٠٣ ح ٢٠٢.
(٤) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٧٨٣.
(٥) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٧٨٣-٧٨٤.

١٠ - **كنز:** محمّد بن العبّاس، عن أحمد بن محمّد النوفليّ، عن أحمد بن محمّد الكاتب، عن عيسى بن مهران بإسناده إلى زيد بن عليّ عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ قال: إنّ رضا رسول الله صلى الله عليه وآله إدخال الله أهل بيته وشيعتهم الجنّة[1].

٨ - باب أوصافه صلى الله عليه وآله في خلقته وشمائله وخاتم النبوة

١ - **ك، لي:** الطالقانيّ، عن الجلوديّ، عن محمّد بن عطيّة، عن عبد الله بن عمرو، عن هشام بن جعفر، عن حمّاد، عن عبد الله بن سليمان وكان قارئاً للكتب قال: قرأت في الإنجيل يا عيسى جدّ في أمري، ولا تهزل، واسمع وأطع يابن الطاهرة الطهر البكر البتول، أنت من غير فحل أنا خلقتك آية للعالمين، فإيّاي فاعبد، وعليّ فتوكّل، خذ الكتاب بقوّة، فسّر لأهل سوريا السريانيّة، بلّغ من بين يديك أنّي أنا الله الدائم الّذي لا أزول، صدّقوا النبيّ الأمي، صاحب الجمل والمدرعة والتاج، وهي العمامة، والنعلين والهراوة وهي القضيب، الأنجل العينين، الصلت الجبين، الواضح الخدّين، الأقنى الأنف، مفلّج الثنايا، كأنّ عنقه إبريق فضّة، كأنّ الذهب يجري في تراقيه، له شعرات من صدره إلى سرّته، ليس على بطنه ولا على صدره شعر، أسمر اللّون، دقيق المسربة، شثن الكف والقدم، إذا التفت التفت جميعاً، وإذا مشى كأنّما يتقلّع من الصخرة، وينحدر من صبب، وإذا جاء مع القوم بذّهم، عرقه في وجهه كاللّؤلؤ، وريح المسك ينفح منه، لم ير قبله مثله ولا بعده، طيّب الريح، نكّاح النساء، ذو النسل القليل، إنّما نسله من مباركة لها بيت في الجنّة لا صخب فيه ولا نصب يكفلها في آخر الزمان كما كفل زكريّا أمّك، لها فرخان مستشهدان، كلامه القرآن ودينه الإسلام، وأنا السلام، طوبى لمن أدرك زمانه، وشهد أيّامه وسمع كلامه، قال عيسى: يا ربّ وما طوبى؟ قال: شجرة في الجنّة أنا غرستها، تظلّ الجنان، أصلها من رضوان، ماؤها من تسنيم، برده برد الكافور، وطعمه طعم الزنجبيل، من يشرب من تلك العين شربة لا يظمأ بعدها أبداً، فقال عيسى عليه السلام: اللّهمّ اسقني منها، قال: حرام يا عيسى على البشر أن يشربوا منها حتّى يشرب ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله، وحرام على الأمم أن يشربوا منها حتّى يشرب أمّة ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله، أرفعك إليّ ثمّ أهبطك في آخر الزمان لترى من أمّة ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله العجائب، ولتعينهم على اللّعين الدجّال، أهبطك في وقت الصلاة لتصلّي معهم إنّهم أمّة مرحومة[2].

بيان: لا يبعد أن يكون سوريا في تلك اللّغة اسم سورى، قال في القاموس: السورى كطوبى موضع بالعراق، وهو من بلد السريانيّين. وقال: المدرعة كمكنسة: ثوب كالدراعة، ولا تكون إلاّ من صوف، وقال: النجل بالتحريك: سعة العين فهو أنجل. قوله: صلت

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٧٨٣-٧٨٤.

(٢) كمال الدين، ص ١٥٩، أمالي الصدوق ص ٢٢٤ مجلس ٤٦ ح ٨.

الجبين، قال الجزريّ: أي واسعه، وقال الفيروزآباديّ: رجل مفلّج الثنايا: منفرجها، قوله: كأنّ الذهب يجري في تراقيه، لعلّه كناية عن حمرة ترقوته ﷺ، أو سطوع النور منها. قوله: بذّهم، قال الجزريّ: فيه بذّ العالمين، أي سبقهم وغلبهم.

أقول: فالمعنى أنّه كان يغلبهم في الحسن والبهاء، ويمتاز بينهم، أو يسبقهم في المشي، والأول أظهر، إذ سيأتي ما يخالف الثاني، والصخب بالتحريك: الصياح والجلبة.

٢ - **فس**: الحسين بن عبد الله السكّينيّ، عن أبي سعيد البجليّ، عن عبد الملك بن هارون، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام أن ملك الروم عرض على الحسين بن عليّ عليه السلام صور الأنبياء فعرض عليه صنماً يلوح، فلمّا نظر إليه بكى بكاءً شديداً، فقال له الملك: ما يبكيك؟ فقال: هذه صفة جدّي محمّد ﷺ: كثّ اللّحية، عريض الصدر، طويل العنق، عريض الجبهة، أقنى الأنف، أفلج الأسنان، حسن الوجه، قطط الشعر، طيّب الريح، حسن الكلام، فصيح اللسان، كان يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، بلغ عمره ثلاثاً وستّين سنة، ولم يخلف بعده إلاّ خاتم مكتوب عليه: «لا إله إلاّ الله محمّدٌ رسول الله» وكان يتختّم في يمينه، وخلف سيفه ذا الفقار، وقضيبه وجبّة صوف، وكساء صوف كان يتسرول به لم يقطعه ولم يخيطه حتّى لحق بالله، فقال الملك: إنّا نجد في الإنجيل أنّه يكون له ما يتصدّق على سبطيه، فهل كان ذلك؟ فقال له الحسن عليه السلام: قد كان ذلك، فقال الملك: فبقي لكم ذلك؟ فقال: لا، قال الملك: أوّل فتنة هذه الأمّة عليها، ثمّ على ملك نبيّكم واختيارهم على ذرّيّة نبيّهم، منكم القائم بالحقّ، الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر. الخبر(١).

بيان: قوله عليه السلام: قطط الشعر مناف لما سيأتي من الأخبار، ولعلّ المراد عدم الاسترسال التامّ كما سيأتي، ولا يبعد أن يكون تصحيف السبط.

٣ - **ما**: ابن الصلت، عن ابن عقدة، عن أحمد بن محمّد بن عبد الرحمن قراءةً عن محمّد ابن عيسى العبديّ قال: حدّثنا مولى عليّ بن موسى، عن عليّ بن موسى، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ عليه السلام أنّهم قالوا: يا عليّ صف لنا نبيّنا ﷺ كأنّنا نراه، فإنّا مشتاقون إليه، فقال: كان نبيّ الله ﷺ أبيض اللّون، مشرباً حمرة، أدعج العين، سبط الشعر، كثف اللّحية، ذا وفرة، دقيق المسربة، كأنّما عنقه إبريق فضّة، يجري في تراقيه الذهب، له شعر من لبّته إلى سرّته كقضيب خيط إلى السرّة، وليس في بطنه ولا صدره شعر غيره، شثن الكفّين والقدمين، شثن الكعبين، إذا مشى كأنّما يتقلّع من صخر، إذا أقبل كأنّما ينحدر من صبب، إذا التفت التفت جميعاً بأجمعه كلّه، ليس بالقصير المتردّد، ولا بالطويل المتمعّط، وكان في الوجه تدوير، إذا كان في الناس غمرهم، كأنّما عرقه في وجهه اللّؤلؤ،

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٤٣.

عرفه أطيب من ريح المسك، ليس بالعاجز ولا باللّئيم، أكرم الناس عشرةً، وألينهم عريكةً، وأجودهم كفّاً، من خالطه بمعرفة أحبّه، ومن رآه بديهة هابه، عزّه بين عينيه، يقول باغته: لم أر قبله ولا بعده مثله، صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً(١).

بيان: قال الجوهريّ: الإشراب: خلط لون بلون، كأنّ أحدهما سقي الآخر، وإذا شدّد يكون للتكثير والمبالغة، ويقال: أشرب الأبيض حمرة، أي علاه ذلك، وقال: الفيروزآباديّ: الدعج بالتحريك والدعجة: شدّة سواد العين مع سعتها، والأدعج: الأسود. وقال الجزريّ في صفته ﷺ: في عينيه دعج، يريد أن سواد عينيه كان شديد السواد، وقيل: الدعج: شدّة سواد العين في شدّة بياضها، وقال: السبط من الشعر: المنبسط المسترسل. وقال: الوفرة: شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن.

قوله: المتردد، قال الجزريّ أي المتناهي في القصر، كأنّه تردّد بعض خلقه على بعض وتداخلت أجزاؤه، وقال في صفته ﷺ: لم يكن بالطويل الممّغط، وهو بتشديد الميم الثانية: المتناهي في الطول، وامّغط النهار: إذا امتدّ، ومغّطت الحبل وغيره: إذا مددته، وأصله منمغط، والنون للمطاوعة فقلبت ميماً، وأدغمت في الميم، ويقال: بالعين المهملة بمعناه. قوله عليه السلام: غمرهم، قال الجزريّ: أي كان فوق كلّ من كان معه، والعريكة: الطبيعة، قوله عليه السلام: من رآه بديهة هابه، قال الجزريّ: أي مفاجأة وبغتة، يعني من لقيه قبل الاختلاط به هابه لوقاره وسكونه، وإذا جالسه وخالطه بان حسن خلقه، قوله: عزّه بين عينيه، تأكيدٌ للسّابق، ويفسّره اللاّحق، أي يظهر العزّ في وجهه أوّلاً قبل أن يعرف، يقول: باغته بالباء الموحّدة والغين المعجمة أي من رآه بغتةً، وفي بعض النسخ غرّة بالغين المعجمة والراء المهملة، ولعلّه من الغرّ بالفتح بمعنى حدّ السيف، فيرجع إلى الأوّل، أو هو بالضمّ بمعنى الغرّة وهي البياض في الجبهة، وفي بعض النسخ ناعته بالنون والعين المهملة، ولا يخفى توجيهه، وسيأتي شرح سائر الفقرات في الأخبار الآتية.

٤ - **ن:** الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكريّ، عن عبد الله بن محمّد بن عبد العزيز، عن إسماعيل بن محمّد بن إسحاق بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام، بمدينة الرسول ﷺ، قال: حدّثني عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد عليهم السلام عن موسى بن جعفر عليه السلام عن جعفر بن محمّد عليه السلام عن أبيه، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: قال الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله ﷺ وكان وصّافاً للنبيّ ﷺ، فقال: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذّب، عظيم الهامة رجل الشعر، إن انفرقت عقيقته فرق، وإلاّ فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه، إذا هو وفرة، أزهر اللّون، واسع

(١) أمالي الطوسي، ص ٢٤٠ مجلس ١٢ ح ٦٩٥.

الجبين، أزجُّ الحواجب، سوابغ في غير قرن، بينهما له عرقٌ يدرُّه الغضب، أقنى العرنين، له نورٌ يعلوه، يحسبه من لم يتأمّله أشمّ، كثُّ اللّحية، سهل الخدّين ضليع الفم، أشنب مفلّج الأسنان، دقيق المسربة، كأنّ عنقه جيد دمية في صفاء الفضّة، معتدل الخلق، بادناً متماسكاً، سواء البطن والصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللّبة والسرّة بشعر يجري كالخطّ، عاري الثديين والبطن ممّا سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين، وأعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفّين والقدمين، سائل الأطراف، سبط القصب، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين، ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعاً، يخطو تكفّؤاً، ويمشي هوناً، ذريع المشية، إذا مشى كأنّما ينحط في صبب، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جلُّ نظره الملاحظة، يبدر من لقيه بالسلام.

قال: قلت: فصف لي منطقه، فقال: كان ﷺ مواصل الأحزان، دائم الفكر، ليست له راحةٌ، ولا يتكلّم في غير حاجة، يفتتح الكلام، ويختمه بأشداقه، يتكلّم بجوامع الكلم فصلاً، لا فضول فيه ولا تقصير، دمثاً ليس بالجافي ولا بالمهين، تعظم عنده النعمة وإن دقّت، لا يذمُّ منها شيئاً غير أنّه كان لا يذمُّ ذواقاً ولا يمدحه ولا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تعوطي الحقّ لم يعرفه أحدٌ، ولم يقم لغضبه شيء حتّى ينتصر له إذا أشار أشار بكفّه كلّها، وإذا تعجّب قلبها، وإذا تحدّث اتّصل بها، يضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غضّ طرفه، جلُّ ضحكه التبسّم، يفترّ عن مثل حبّ الغمام.

قال الحسن: فكتمتها الحسين زماناً، ثمّ حدّثته فوجدته قد سبقني إليه، وسأله عمّا سألته عنه، ووجدته قد سأل أباه عن مدخل النبيّ ﷺ ومخرجه، ومجلسه وشكله، فلم يدع منه شيئاً، قال الحسين عليه السلام: سألت أبي عليه السلام عن مدخل رسول الله ﷺ، فقال: كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك، فإذا أوى إلى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزء لله، وجزء لأهله، وجزء لنفسه، ثمّ جزّأ جزءه بينه وبين الناس فيردّ ذلك بالخاصّة على العامّة، ولا يدّخر عنهم منه شيئاً، وكان من سيرته في جزء الأمّة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمّة من مسألته عنهم، وإخبارهم بالّذي ينبغي، ويقول: «ليبلّغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يقدر على إبلاغ حاجته، فإنّه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يقدر على إبلاغها ثبّت الله قدميه يوم القيامة» لا يذكر عنده إلاّ ذلك، ولا يقيد من أحد عثرةً يدخلون روّاداً، ولا يفترقون إلاّ عن ذواق، ويخرجون أدلّةً. فسألته عن مخرج رسول الله ﷺ كيف كان يصنع فيه؟ فقال: كان ﷺ يخزن لسانه إلاّ عمّا يعنيه، ويؤلّفهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كلّ قوم، ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه، ويتفقّد أصحابه، ويسأل الناس عما في النّاس، ويحسّن الحسن

ويقوّيه، ويقبّح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر، غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا، ولا يقصر عن الحقّ ولا يجوزه، الّذين يلونه من الناس خيارهم أفضلهم عنده أعمّهم نصيحة للمسلمين، وأعظمهم عنده منزلةً أحسنهم مواساةً وموازرةً.

قال: وسألته عن مجلسه، فقال: كان ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلاّ على ذكر، ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، ويعطي كلّ جلسائه نصيبه، ولا يحسب أحد من جلسائه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه صابره حتّى يكون هو المنصرف عنه، من سأله حاجة لم يرجع إلاّ بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس منه خلقه، وصار لهم أباً، وصاروا عنده في الحقّ سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء وصدق وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تثنى فلتاته، متعادلين متواصلين فيه بالتقوى، متواضعين يوقّرون الكبير، ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب.

فقلت: فكيف كانت سيرته في جلسائه؟ فقال: كان دائم البشر، سهل الخلق، ليّن الجانب: ليس بفظّ ولا صخّاب ولا فحّاش ولا عيّاب ولا مدّاح، يتغافل عمّا لا يشتهي، فلا يؤيس منه ولا يخيب فيه مؤمّليه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذمّ أحداً، ولا يعيره، ولا يطلب عورته ولا عثراته، ولا يتكلّم إلاّ فيما رجا ثوابه، إذا تكلّم أطرق جلساؤه كأنّما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلّموا ولا يتنازعون عنده الحديث، من تكلّم أنصتوا له حتّى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولاهم، يضحك ممّا يضحكون منه، ويتعجّب ممّا يتعجّبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في مسألته ومنطقه حتّى أن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فارفدوه، ولا يقبل الثناء إلاّ من مكافىء، ولا يقطع على أحد كلامه حتّى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام.

قال: فسألته عن سكوت رسول الله ﷺ، فقال: كان سكوته على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكير، فأمّا التقدير ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس، وأمّا تفكّره ففيما يبقى ويفنى، وجمع له الحلم في الصبر، فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزّه، وجمع له الحذر في أربع: أخذه الحسن ليقتدى به، وتركه القبيح لينتهى عنه، واجتهاده الرأي في صلاح أمّته، والقيام فيما جمع لهم خير الدنيا والآخرة[1].

مع: الطالقانيّ، عن القاسم بن بندار المعروف بأبي صالح الحذّاء، عن إبراهيم بن نصر ابن عبد العزيز، عن مالك بن إسماعيل النهديّ، عن جميع بن عمير، عن عبد الرحمن العجليّ قال: حدّثني رجل بمكّة، عن ابن أبي هالة التميميّ، عن الحسن بن عليّ قال: سألت خالي هند بن أبي هالة، وكان وصّافاً عن حلية رسول الله ﷺ.

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٨٢ باب ٢٩ ح ١.

وحدّثني الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكريّ وساق الإسناد الّذي مضى في «ن» إلى قوله: عن حلية رسول الله ﷺ، ثمّ قال: وحدّثني الحسن بن عبد الله بن سعيد، عن عبد الله ابن أحمد بن عبدان، وجعفر بن محمّد البزّاز البغداديّ معاً، عن سفيان بن وكيع، عن جميع ابن عمير، عن رجل من بني تميم من ولد أبي هالة، عن أبيه، عن الحسن بن عليّ عليه السلام قال: سألت خالي هند بن أبي هالة التميميّ، وكان وصّافاً للنّبيّ ﷺ وأنا أشتهي أن يصف لي منه شيئاً لعلّي أتعلّق به، فقال: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً، وساق الحديث إلى قوله: مثل حبّ الغمام، ثمّ قال: إلى هاهنا رواه أبو القاسم بن منيع، عن إسماعيل بن محمّد بن إسحاق بن جعفر بن محمّد، والباقي رواية عبد الرحمن إلى آخره، ثمّ قال: قال الحسن: فكتمتها الحسين، وساق الحديث إلى آخره كما نقلناه من «ن» ثمّ قال: حدّثنا أبو عليّ أحمد ابن يحيى المؤدّب قال: حدّثنا محمّد بن الهيثم، قال: حدّثنا عبد الله بن الصقر السكّريّ أبو العبّاس، قال: حدّثنا سفيان بن وكيع بن الجرّاح، قال: حدّثني جميع بن عمير العجليّ إملاءً من كتابه قال: حدّثني رجل من بني تميم من ولد أبي هالة التميميّ، عن أبيه، عن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: سألت خالي هند بن أبي هالة التميميّ وكان وصّافاً للنّبيّ ﷺ وأنا أشتهي أن يصف لي منه شيئاً لعلّي أتعلّق به، فقال: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً. وذكر الحديث بطوله(١).

مكا: برواية الحسن والحسين صلوات الله عليهما من كتاب محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقانيّ، عن ثقاته، عن الحسن بن عليّ عليه السلام قال: سألت خالي هند بن أبي هالة التميميّ إلى آخر الخبر(٢).

قال الصّدوق رحمه الله في «مع»: سألت أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكريّ عن تفسير هذا الخبر فقال: قوله: كان رسول الله فخماً مفخّماً معناه كان عظيماً معظّماً في الصدور والعيون، ولم تكن خلقته في جسمه الضخامة وكثرة اللّحم، وقوله: يتلألأ وجهه تلألؤ القمر، معناه ينير ويشرق كإشراق القمر، وقوله: أطول من المربوع وأقصر من المشذّب. المشذّب عند العرب: الطويل الّذي ليس بكثير اللّحم، يقال: جذع مشذّب: إذا طرحت عنه قشوره وما يجري مجراها، ويقال لقشور الجذع الّتي تقشر عنه: الشذب، قال الشاعر في صفة فرس:

أما إذا استقبلته فكأنه ... في العين جذع من أوال مشذب

وقوله: رجل الشعر، معناه في شعره تكسر وتعقّف، ويقال: شعر رجل: إذا كان كذلك، فإذا كان الشعر لا تكسّر فيه قيل: شعر سبط ورسل، وقوله: إن انفرقت عقيقته، العقيقة: الشعر المجتمع في الرأس، وعقيقة المولود: الشعر الّذي يكون على رأسه من الرحم، ويقال

---

(١) معاني الأخبار، ص ٧٩.
(٢) مكارم الأخلاق، ص ١١.

لشعر المولود المتجدّد بعد الشعر الأوّل الّذي حلق: عقيقة، ويقال للذّبيحة الّتي تذبح عن المولود: عقيقة، وفي الحديث كلّ مولود مرتهن بعقيقته، وعقّ النبيّ ﷺ عن نفسه بعدما جاءته النبوّة، وعقّ عن الحسن والحسين عليهما السلام كبشين.

وقوله: أزهر اللون، معناه نيّر اللّون، يقال: أصفر يزهر: إذا كان نيّراً، والسراج يزهر، معناه نيّر، وقوله: أزجّ الحواجب، معناه طويل امتداد الحاجبين بوفور الشعر فيهما وجبينه إلى الصدغين، قال الشاعر:

إن ابتساماً بالنقيّ الأفلج ونظراً في الحاجب المزجّج
مئنّة من الفعال الأعوج

مئنّة: علامة، وفي حديث النبيّ ﷺ: إنّ في طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنّة من فقهه.

وقوله: أزجّ الحواجب، ولم يقل: الحاجبين: فهو على لغة من يوقع الجمع على التثنية، ويحتجّ بقول الله جل ثناؤه: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (١) يريد لحكم داود وسليمان عليهما السلام، وقال النبيّ ﷺ: «الاثنان وما فوقهما جماعة» وقال بعض العلماء: يجوز أن يكون جمع، فقال أزجّ الحواجب على أن كلّ قطعةٍ من الحاجب اسمها حاجب، فأوقعت الحواجب على القواطع المختلفة، كما يقال للمرأة: حسنة الأجساد، وقد قال الأعشى:

ومثلك بيضاء ممكورة وصاك العبير بأجسادها

صاك معناه لصق.

وقوله: في غير قرن، معناه أن الحاجبين إذا كان بينهما انكشاف وابيضاض يقال لهما: البلج والبلجة، يقال: حاجبه أبلج: إذا كان كذلك، وإذا اتّصل الشعر في وسط الحاجب فهو القرن.

وقوله: أقنى العرنين: القنا: أن يكون في عظم الأنف احديداب في وسطه، والعرنين: الأنف. وقوله: كثّ اللّحية، معناه أن لحيته قصيرة كثيرة الشعر فيها، وقوله: ضليع الفمّ، معناه كبير الفمّ، ولم تزل العرب تمدح بكبر الفمّ وتهجو بصغره، قال الشاعر يهجو رجلاً:

إن كان كدّي وإقدامي لفي جرذ بين العواسج أجني حوله المصع

معناه إن كان كدّي وإقدامي لرجل فمه مثل فم الجرذ في الصغر، والمصع: ثمر العوسج، وقال بعض الشعراء:

لحا الله أفواه الدبا من قبيلة

فعيّرهم بصغر الأفواه، كما مدحوا الخطباء بسعة الأشداق، وإلى هذا المعنى يصرف قوله

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧٨.

أيضاً: كان يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، لأنّ الشدق جميل مستحسن عندهم، يقال: خطيب أهرت الشدقين، وهريت الشدق، وسمّي عمرو بن سعيد الأشدق، وقالت الخنساء ترثي أخاها:

وأحيى من مخبّأة حياءً وأجرى من أبي ليث هزبر
هريت الشدق ريقال إذا ما عدا لم ينه عدوته بزجر

وقال ابن مقبل: هرت الشقاشق ظلاّمون للجزر.

وقوله: الأشنب من صفة الفم، قالوا: إنّه الّذي لريقه عذوبة وبرد، وقالوا أيضاً: إن الشنب في الفم: تحدّر ورقّة وحدّة في أطراف الأسنان، ولا يكاد يكون هذا إلاّ مع الحداثة والشباب، قال الشاعر:

يا بأبي أنت وفوك الأشنب كأنّما ذرّ عليه الزرنب

وقوله: دقيق المسربة، فالمسربة: الشعر المستدقّ الممتدّ من اللبّة إلى السرّة، قال الحارث بن وعلة الجرميّ:

الآن لمّا ابيضّ مسربتي وعضضت من نابي على جذم

وقوله: كأنّ عنقه جيد دمية، فالدمية: الصورة، وجمعها دمى.
قال الشاعر:

أو دمية صوّر محرابها أو درّة سيقت إلى تاجر

والجيد: العنق. وقوله: بادن متماسك، معناه تامّ خلق الأعضاء ليس بمسترخي اللّحم ولا بكثيره. وقوله: سواء البطن والصدر، معناه أن بطنه ضامر، وصدره عريض، فمن هذه الجهة تساوي بطنه صدره، والكراديس: رؤوس العظام، وقوله: أنور المتجرّد، معناه نيّر الجسد الّذي تجرّد من الثياب، وقوله: طويل الزندين، في كلّ ذراع زندان وهما جانبا عظم الذراع، فرأس الزند الّذي يلي الإبهام يقال له: الكوع، ورأس الزند الّذي يلي الخنصر يقال له: الكرسوع، وقوله: رحب الراحة، معناه واسع الراحة كبيرها، والعرب تمدح بكبر اليد، وتهجو بصغرها، قال الشاعر:

فناطوا من الكذاب كفاً صغيرة وليس عليهم قتله بكبير

ناطوا معناه علقوا، وقالوا: رحب الراحة، أي كثير العطاء، كما قالوا: ضيق الباع في الذّم.

وقوله: ششن الكفّين، معناه خشن الكفّين، والعرب تمدح الرجال بخشونة الكفّ، والنساء بنعمة الكفّ، وقوله: سائل الأطراف، أي تامّها غير طويلة ولا قصيرة، وقوله: سبط القصب، معناه ممتدّ القصب، غير متعقّده، والقصب: العظام الجوف الّتي فيها مخّ، نحو

الساقين والذراعين، وقوله: خمصان الأخمصين، معناه أن أخمص رجله شديد الارتفاع من الأرض، والأخمص: ما يرتفع عن الأرض من وسط باطن الرجل وأسفلها، وإذا كان أسفل الرجل مستوياً ليس فيها أخمص فصاحبه أرحّ، يقال: رجل أرحّ: إذا لم يكن لرجله أخمص، وقوله: مسيح القدمين، معناه ليس بكثير اللّحم فيهما وعلى ظاهرهما، فلذلك ينبو الماء عنهما. وقوله: زال قلعاً، معناه متثبّتاً. يخطو تكفّؤاً، معناه خطاه كأنّه يتكبّر فيها أو يتبختر لقلّة الاستعجال معها، ولا تبختر فيها ولا خيلاء. وقوله: يمشي هوناً، معناه السكينة والوقار، وقوله: ذريع المشية، معناه واسع المشية من غير أن يظهر فيه استعجال وبدار، يقال: رجل ذريع في مشيه، وامرأة ذراع: إذا كانت واسعة اليدين بالغزل.

وقوله: كأنّما ينحطّ في صبب، الصبب: الانحدار، وقوله: دمثاً، الدمث: اللّيّن الخلق، فشبّه بالدمث من الرمل وهو اللّين، قال قيس بن الخطيم:

يمشي كمشي الزهراء في دمث ... الرمل إلى السهل دونه الجرف

والمهين: الحقير، وقد رواه بعضهم المهيّن يعني لا يحتقر أصحابه ولا يذلّهم، تعظم عنده النعمة، معناه من حسن خطابه أو معونته بما يقلّ من الشأن كان عنده عظيماً، وقوله: فإذا تعوطي الحقّ، معناه إذا تنوول غضب لله تبارك وتعالى، قال الأعشى:

تعاطى الضجيع إذا سامها ... بعيد الرقاد وعند الوسن

معناه تناوله، وقوله: إذا غضب أعرض وأشاح، قالوا: في أشاح جدّ في الغضب وانكمش، وقالوا: جدّ وجزع، واستعدّ لذلك، قال الشاعر:

وإعطائي على العلاّت مالي ... فضربي هامة البطل المشيح

وقوله: يسوق أصحابه، معناه يقدّمهم بين يديه تواضعاً وتكرمة لهم، ومن رواه يفوق، أراد يفضلهم ديناً وحلماً وكرماً. وقوله يفترّ عن مثل حبّ الغمام، معناه يكشف شفتيه عن ثغر أبيض يشبه حبّ الغمام، يقال: قد فررت الفرس: إذا كشفت عن أسنانه، وفررت الرجل عمّا في قلبه: إذا كشفته عنه، وقوله: لكلّ حال عنده عتاد، والعتاد: العدّة، يعني أنّه أعدّ للأمور أشكالها ونظائرها، ومن رواه ولا يقيد من أحد عثرة، بالدال أي من جنى عليه جناية اغتفرها وصفح عنها تصفّحاً وتكرّماً، إذا كان تعطيلها لا يضيّع من حقوق الله شيئاً، ولا يفسد متعبّداً به ولا مفترضاً، ومن رواه يقيل باللاّم ذهب إلى أنه ﷺ لا يضيّع حقوق الناس الّتي يجب لبعضهم على بعض.

وقوله: ثمّ يردّ ذلك بالخاصّة على العامّة، معناه أنّه كان يعتمد في هذه الحال على أن الخاصّة يرفع إلى العامّة علومه وآدابه وفوائده، وفيه قول آخر: فيرد ذلك بالخاصّة على العامّة أن يجعل المجلس للعامّة بعد الخاصّة فتنوب الباء عن «من» و «على» عن «إلى» لقيام بعض الصفات مقام بعض، وقوله: يدخلون روّاداً، الروّاد جمع رائد، وهو الّذي يتقدّم القوم إلى

المنزل يرتاد لهم الكلأ، يعني أنّهم ينفعون بما يسمعون من النبيّ ﷺ من وراءهم كما ينفع الرائد من خلفه، وقوله: ولا يفترقون إلاّ عن ذواق، معناه عن علوم يذوقون من حلاوتها ما يذاق من الطعام المشتهى، والأدلة: الّتي تدلّ الناس على أمور دينهم، وقوله: ولا تؤبن فيه الحرم، أي لا تعاب، أبنت الرجل فأنا آبن والمأبون: المعيب، والأبنة: العيب، قال أبو الدرداء: إن نؤبن بما ليس فينا فربما زكّينا بما ليس عندنا، ولعلّ ذا أن يكون بذلك، معناه إن نعيّب بما ليس فينا، قال الأعشى:

سلاجم كالنخل ألبستها قضيب سراء قليل الأبن

وقوله: ولا تنثى فلتاته، معناه من غلط فيه غلطة لم يشنع ولم يتحدّث بها، يقال: نثوت الحديث أنثوه نثواً: إذا حدّثت به، وقوله: إذا تكلّم أطرق جلساؤه كأنّ على رؤوسهم الطير، معناه أنّهم كانوا لإجلالهم نبيّهم ﷺ لا يتحرّكون، فكانت صفتهم صفة من على رأسه طائر يريد أن يصيده، فهو يخاف إن تحرّك طيران الطائر وذهابه، وفيه قول آخر: إنّهم كانوا يسكنون ولا يتحرّكون حتّى يصيروا بذلك عند الطائر كالجدران والأبنية الّتي لا يخاف الطير وقوعاً عليها، قال الشاعر:

إذا حلّت بيوتهم عكاظا حسبت على رؤوسهم الغرابا

معناه لسكونهم تسقط الغربان على رؤوسهم، وخصّ بالغراب لأنّه من أشدّ الطير حذراً، وقوله: ولا يقبل الثناء إلاّ من مكافىء، معناه من صحّ عنده إسلامه حسن موقع ثنائه عليه عنده، ومن استشعر منه نفاقاً وضعفاً في ديانته ألقى ثناءه عليه ولم يحفل به، وقوله: إذا جاءكم طالب الحاجة يطلبها فارفدوه، معناه فأعينوه واسعفوه على طلبته، يقال: رفدت الرجل رفداً بفتح الراء في المصدر، والرفد بكسر الراء الاسم، يعني به الهبة والعطيّة، تمّ الخبر بتفسيره والحمد لله كثيراً[1].

بيان: أقول: هذا الخبر من الأخبار المشهورة، روته العامّة في أكثر كتبهم، قوله: فخماً مفخّماً، قال الجزريّ وغيره: أي عظيماً معظّماً في الصدور والعيون، ولم تكن خلقته في جسمه الضخامة، وقيل: الفخامة في وجهه نبله، وامتلاؤه مع الجمال والمهابة، والمربوع: الّذي ليس بالطويل ولا بالقصير، وقالوا: المشذّب هو الطويل البائن الطول مع نقص في لحمه، وأصله من النخلة الطويلة الّتي شذب عنها جريدها، أي قطع وفرّق، وأوال كسحاب جزيرة بالبحرين، قوله: رجل الشعر، أي لم يكن شديد الجعودة، ولا شديد السبوطة، بل بينهما، قوله: إن انفرقت عقيقته، قال الحسين بن مسعود الفرّاء في شرح السنّة: العقيقة اسم الشعر على المولود حين يولد، سمّي عقيقة لأنّه يحلق، وأصل العقّ: الشقّ والقطع، ومنه

(١) معاني الأخبار ص ٨٤.

قيل للذّبيحة عند الولادة: عقيقة، لأنّه يشقّ حلقومها، ثمّ قيل للشّعر الّذي ينبت بعد ذلك عقيقة أيضاً على الاستعارة، وذلك معناه هاهنا يقول: إن انفرق شعر رأسه من ذات نفسه فرقه في مفرقه، وإن لم ينفرق تركه وفرة واحدة على حالها، يقال: فرقت الشعر أفرقه فرقاً، وقيل: العقيقة: اسم الشعر قبل أن يحلق، فإذا حلق ثمّ نبت زال عنه اسم العقيقة، سمّي شعره عقيقة إذ لم ينقل أنّه حلق في صباه، ويروى عقيصته، وهي الشعر المعقوص، وهو نحو من المضفور والوفرة إلى شحمة الأذن، والجمّة إلى المنكب، واللّمة الّتي ألمّت بالمنكب.

وقال الكازرونيّ في المنتقى: العقيصة: هي الشعر المجموع المضفور، كأنّه يريد إن انفرق شعره بعدما جمعه وعقصه فرق شعره وتركه كلّ شيء منه في منبته، وإلاّ يبقى معقوصاً، كان موضعه الّذي يجمعه فيه حذاء أذنيه ويرسله هناك، وقال بعض علمائنا: هذا في أوّل الإسلام يفعله كفعل أهل الكتاب، ثمّ فرق بعد، وهذا الفرق هو الّذي يعدّ في الخصال العشر من الفطرة؛ وروى بعضهم عقيقته وهو تصحيف انتهى.

وقال الزمخشريّ: العقيقة: الشعر الّذي يولد به، وكان تركها عندهم عيباً ولؤماً، وبنو هاشم أكرم، ومحمّد بن عبد الله ﷺ أكرم عليهم من أن يتركوه غير معقوق عنه، ولكن هنداً سمّى شعره عقيقة لأنّه منها، ونباته من أصولها، كما سمّت العرب أشياء كثيرة بأسامي ما هي منه، ومن سببه، وانفرق مطاوع فرق، أي كان لا يفرق شعره إلاّ أن ينفرق هو، وكان هذا في صدر الإسلام، ويروى أنّه إذا كان أمر لم يؤمر فيه بشيء يفعله المشركون وأهل الكتاب أخذ فيه بفعل أهل الكتاب، فسدل ناصيته ما شاء الله، ثمّ فرق بعد ذلك وفرة. قوله: وفرة، أي أعفاه عن الفرق، يعني أن شعره إذا ترك فرقه لم يجاوز شحمة أذنيه، وإذا فرقه تجاوزها انتهى.

وقال الجزريّ: الأزهر: الأبيض المستنير، وقال: الزجج: تقويس في الحاجب مع طول في طرفه وامتداده، وقال: القرن بالتحريك: التقاء الحاجبين، وهذا خلاف ما روت أمّ معبد في صفته ﷺ: «أزج أقرن» أي مقرون الحاجبين، والأوّل الصحيح في صفته، وسوابغ، حال من المجرور وهو الحواجب، أي أنّها رقّت في حال سبوغها، ووضع الحواجب موضع الحاجبين، لأنّ التثنية جمع، وقال في قوله: يدرّه الغضب: أي يمتلي دماً إذا غضب، كما يمتلي الضرع لبناً إذا درّ.

وقال الزمخشريّ: يدرّه الغضب، أي يحرّكه من أدرّت المرأة المغزل: إذا فتلته فتلاً شديداً. قوله: ممكورة أي مطويّة الخلق.

قوله: أقنى العرنين، قال الجزريّ: العرنين بالكسر: الأنف، وقيل: رأسه، والقنا في الأنف: طوله ودقّة أرنبته مع حدب في وسطه. والشمم: ارتفاع قصبة الأنف، واستواء أعلاها، وإشراف الأرنبة قليلاً.

أقول: أي القنا الّذي كان فيه لم يكن فاحشاً مفرطاً، بل كان لا يعلم إلاّ بعد التأمّل، قوله:

كثّ اللّحية، قالوا: الكثاثة في اللّحية أن تكون غير رقيقة ولا طويلة وفيها كثافة، يقال: رجل كثّ اللّحية بالفتح. قوله: سهل الخدّين، قال الجزريّ: أي سائل الخدّين، غير مرتفع الوجنتين.

وقال الكازرونيّ: يجوز أن يريد به ليس في خدّيه نتوّ، لأنّ السهل ضدّ الحزن، وذكر بعضهم أنّه يريد أسيل الخدّين، لم يكثر لحمه ولم تغلظ جلدته.

قوله: ضليع الفمّ، قال الجزريّ: أي عظيمه، وقيل: واسعه، والعرب تحمد عظم الفم وتذمّ صغره انتهى.

وقيل: أراد بالفم الأسنان، فقد يكنّى بالفمّ عنها، أي كان تامّ الأسنان، شديدها في تراصف، ولا يخفى بعده، والجرذ: نوع من الفار، ويقال: لحاه الله، أي قبّحه ولعنه، والدبى بتخفيف الباء: الجراد قبل أن يطير، والشدق بالكسر: جانب الفم، والشدق بالتحريك: سعة الشدق. والهريت: الواسع الشدقين. قوله: وأحيى أي أكثر حياء، والمخبّأة: المرأة المستورة. والريقال فيعال من أرقل: إذا أسرع، والشقشقة بالكسر شيء كالرية يخرجها البعير من فيه إذا هاج، وإذا قالوا للخطيب: ذو شقشقة فإنّما يشبه بالفحل، ذكره الجوهريّ، وقال: ظلمت البعير: إذا نحرته من غير داء، قال ابن مقبل:

عاد الأذلّة في دار وكان بها   هرت الشقاشق ظلاّمون للجزر

وقال الزرنب: ضرب من النبات طيب الرائحة، ثمّ ذكر البيت، وقال الجزريّ: الشنب: البياض، والبريق: التحديد في الأسنان، وقال: الفلج: فرجة ما بين الثنايا والرباعيّات. وقال الجوهريُّ: الجذم بالكسر: أصل الشيء وقد يفتح، وقال: وعضضت من نابي على جذم. قوله: جيد دمية، قال الجزريُّ: الدمية: الصورة المصوّرة، وجمعها دمى، لأنّها يتنوّق في صنعتها ويبالغ في تحسينها انتهى.

قوله: معتدل الخلق، أي كلّ شيء من بدنه يليق بما لديه في الحسن والتمام.

قوله: بادناً، قال الجزريّ: البادن: الضخم، فلمّا قال: بادناً، أردفه بقوله: متماسكاً، وهو الّذي يمسك بعض أعضائه بعضها فهو معتدل الخلق. وقال: سواء البطن والصدر، أي هما متساويان لا ينبو أحدهما عن الآخر.

وقال الزمخشريّ: يعني أن بطنه غير مستفيض فهو مساو لصدره، وصدره عريض فهو مساو لبطنه. وقال الجزريّ: الكراديس هي رؤوس العظام، واحدها كردوس، وقيل هي ملتقى كلّ عظمين ضخمين كالركبتين والمرفقين والمنكبين، أراد أنّه ضخم الأعضاء قوله: أنور المتجرّد، قال الجزريّ: أي ما جرّد عنه الثياب من جسده وكشف، يريد أنّه كان مشرق الجسد.

وقال الكازرونيّ: المتجرّد: الموضع الّذي يستتر بالثياب فيتجرّد عنها في بعض الأحيان، يصفها بشدّة البياض، وقد ورد في حديث آخر أنّه كان أسمر، وفي حديث آخر: أنّه

كان أبيض مشرباً، وفي هذا الحديث أنّه كان أزهر اللّون، ووجه الجمع بينها أن السمرة كانت فيما يبرز للشّمس من بدنه، والبياض فيما وراء الثياب، وقوله: أزهر يحمل على إشراق اللّون، لا على البياض، وقيل: إنّ المشرب إذا أشبع حكى سمراً، فإذاً ليس بينهما اختلاف، وفي حديث آخر: لم يكن بالأبيض الأمهق، وهو الّذي يشبه بياض الجصّ، والأنور وضع موضع النيّر، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[1] وكقولهم: الله أكبر، وقال: اللّبّة بالفتح وتشديد الباء: المنحر، وعاري الثديين، أي لم يكن عليهما شعر، وقيل: أراد لم يكن عليهما لحم، فإنّه قد جاء في صفته أشعر الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر انتهى.

ولا يخفى بعد الأخير، وعدم الحاجة إليه لعدم التنافي.

قوله: رحب الراحة، قال الكازرونيّ، يكنّون به عن السخاء والكرم، ويستدلّون بهذه الخلقة على الكرم.

قوله: فناطوا من الكذاب، قال الزمخشريّ: قاله الأخطل في صلب المختار بن أبي عبيد.

قوله: شثن الكفّين والقدمين، قال الجزريّ: أي أنّهما يميلان إلى الغلظ والقصر، وقيل: هو الّذي في أنامله غلظ بلا قصر، ويحمد ذلك في الرجال، لأنّه أشدّ لقبضهم، ويذمّ في النساء.

وقال الصاحب بن عبّاد في المحيط: الشثون: اللّينة من الثياب، الواحد شثن، وروي في الحديث في صفة النبيّ ﷺ أنّه كان شثن الكفّ بالتاء، ومن رواه بالثاء فقد صحّف انتهى وهو غريب.

قوله: سائل الأطراف، قال الزمخشريّ: أي لم تكن متعقّدة، وقال الجزريّ: أي ممتدّها، ورواه بعضهم بالنون، بمعناه كجبريل وجبرين. قوله: سبط القصب، قال الجزريّ: السبط بسكون الباء وكسرها: الممتدّ الّذي ليس فيه تعقّد ولا نتوّ، والقصب يريد بها ساعديه وساقيه، وقال: الأخمص من القدم: الموضع الّذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء، والخمصان: المبالغ منه، أي أن ذلك الموضع من أسفل قدمه شديد التجافي عن الأرض، وسئل ابن الأعرابي عنه فقال: إذا كان خمص الأخمص بقدر لم يرتفع جدّاً ولم يستو أسفل القدم جدّاً فهو أحسن ما يكون، وإذا استوى وارتفع جدّاً فهو ذمّ، فيكون المعنى أن أخمصه معتدل الخمص بخلاف الأوّل.

وقال الجوهريّ: رجل أرحّ، أي لا أخمص لقدميه، كأرجل الزنج. قوله: مسيح القدمين، أي ملساوان لينتان ليس فيهما تكسّر ولا شقاق، فإذا أصابهما الماء نبا عنهما، أي يسيل ويمرّ سريعاً لملاستهما.

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٧.

وقال الجزريّ: في صفته ﷺ إذا مشى تقلّع، أراد قوّة مشيه، كأنّه يرفع رجليه من الأرض رفعاً قويّاً، لا كمن يمشي اختيالاً وتقارب خطاه، فإنّ ذلك من مشي النساء ويوصفن به، وفي حديث أبي هالة: إذا زال زال قلعاً، يروى بالفتح والضمّ، فبالفتح هو مصدر بمعنى الفاعل، أي يزول قالعاً لرجله من الأرض، وهو بالضمّ إمّا مصدر أو اسم وهو بمعنى الفتح، وقال الهرويّ: قرأت هذا الحرف في كتاب غريب الحديث لابن الأنباريّ قلعاً بفتح القاف وكسر اللّام، وكذلك قرأته بخطّ الأزهريّ، وهو كما جاء في حديث آخر كأنّما ينحطّ من صبب، والانحدار من الصبب والتقلّع من الأرض قريب بعضه من بعض، أراد أنّه يستعمل التثبت ولا يبيّن منه في هذه الحال استعجال ومبادرة شديدة، وقال في صفة مشيه ﷺ: كان إذا مشى تكفّا تكفّياً أي تمايل إلى قدّام، هكذا روي غير مهموز، والأصل الهمز، وبعضهم يرويه مهموزاً لأنّ مصدر تفعل من الصحيح كتقدّم تقدّماً، وتكفّأ تكفّؤاً، والهمزة حرف صحيح، فأمّا إذا اعتلّ انكسرت عين المستقبل منه، نحو تخفّى تخفّياً فإذا خفّفت الهمزة التحقت بالمعتلّ فصار تكفياً بالكسر.

وقال الكازرونيّ أي يتثبّت في مشيته حتّى كأنّه يميد كما يميد الغصن إذا هبّت به الريح أو السفينة.

وقال الجزريّ: الهون: الرفق واللّين والتثبّت، وقال: ذريع المشي، أي واسع الخطو.

وقال الكازرونيّ: الذريع: السريع، وربما يظنّ هذا اللّفظ ضدّ الأوّل ولا تضادّ فيه، لأنّ معناه أنّه كان ﷺ مع تثبّته في المشي يتابع بين الخطوات ويسبق غيره، كما ورد في حديث آخر أنّه كان يمشي على هينة وأصحابه يسرعون في المشي فلا يدركونه، أو ما هذا معناه، ويجوز أن يريد به نفي التبختر في مشيه.

وقال القاضي في الشفاء: التقلّع: رفع الرجل بقوّة، والتكفّؤ: الميل إلى سنن المشي وقصده، والهون: الرفق والوقار، والذريع: الواسع الخطو، أي: أن مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمدّ خطوه خلاف مشية المختال، ويقصد سمته، وكلّ ذلك برفق وتثبّت دون عجلة، كما قال: كأنّما ينحطّ من صبب.

وقال الجزريّ: الصبب: ما انحدر من الأرض.

قوله: وإذا التفت التفت جميعاً، قال الجزريّ: أراد أنّه لا يسارق النظر، وقيل أراد لا يلوي عنقه يمنةً ويسرةً إذا نظر إلى الشيء، وإنّما يفعل ذلك الطائش الخفيف، ولكن كان يقبل جميعاً ويدبر جميعاً، قوله: جلّ نظره الملاحظة، قال الجزريّ: هي مفاعلة من اللّحظ، وهو النظر بشقّ العين الّذي يلي الصدغ، وأمّا الّذي يلي الأنف فالموق والماق.

أقول: وفي الفائق وغيره من كتبهم بعد ذلك: «يسوق أصحابه» وقالوا في تفسيره: أي يقدّمهم أمامه، ويمشي خلفهم تواضعاً، ولا يدع أحداً يمشي خلفه، قال بعضهم: وفي

حديث آخر أنّه كان يقول: «اتركوا خلف ظهري للملائكة» قوله: ليست له راحة، أي فراغ من الفكر والعمل، قوله: بأشداقه، قال الجزريّ: الأشداق: جوانب الفم، وإنّما يكون ذلك لرحب شدقيه، والعرب تمتدح بذلك انتهى.

وقيل: أي كان لا يتشدّق في الكلام بأن يفتح فاه كلّه، قوله: بجوامع الكلم، قال الجزريّ: أي أنّه كان كثير المعاني قليل الألفاظ، قوله: فصلاً، أي بيّناً ظاهراً يفصل بين الحقّ والباطل، وقيل: أي الحكم الّذي لا يعاب قائله، قوله: دمثاً، قال الجزريّ: أراد أنّه كان ليّن الخلق في سهولة، وأصله من الدمث، وهو الأرض السهلة الرخوة، والرمل الّذي ليس بمتلبّد، قوله: ليس بالجافي، قال: أي ليس بالغليظ الخلقة والطبع، أو ليس بالذي يجفو أصحابه، والمهين يروى بضمّ الميم وفتحها، فالضمّ على الفاعل من أهان أي لا يهين من صحبه، والفتح على المفعول من المهانة: الحقارة، وهو مهين، أي حقير، قوله: تعظم عنده النعمة، في الفائق: يعظّم النعمة، وقال: أي لا يستصغر شيئاً أوتيه، وإن كان صغيراً، وقال: الذواق: اسم ما يذاق، أي لا يصف الطعام بطيب ولا ببشاعة، وقال الجزريّ: الذواق: المأكول والمشروب، فعال بمعنى مفعول من الذوق، ويقع على المصدر، والاسم.

قوله: فإذا تعوطي الحقّ، قال الجزريّ: أي أنّه كان من أحسن الناس خلقاً مع أصحابه ما لم ير حقّاً يتعرّض له بإهمال أو إبطال أو إفساد، فإذا رأى ذلك تنمّر وتغيّر حتّى أنكره من عرفه، كلّ ذلك لنصرة الحقّ، والتعاطي: التناول والجرأة على الشيء، من عطا الشيء، يعطوه: إذا أخذه وتناوله.

أقول: وفي أكثر رواياتهم بعد قوله: حتّى ينتصر له: لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها.

قوله: يضرب براحته اليمنى، في بعض رواياتهم بباطن راحته باليمنى.

وقال الكازروني: اتّصل بها تفسيره: فيضرب بباطن راحته أي يشير بكفّه إلى حديثه.

وروى القاضي في الشفاء هكذا: وإذا تحدّث اتّصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحة اليسرى.

قوله: وأشاح، قال الزمخشريّ: أي وجدّ في الإعراض وبالغ.

وقال الجزريّ: فيه إنّه ذكر النار ثمّ أعرض وأشاح، المشيح: الحذر، والجادّ في الأمر، وقيل: المقبل إليك المانع لما وراء ظهره، فيجوز أن يكون أشاح أحد هذه المعاني، أي حذر النار، كأنّه ينظر إليها، أو جدّ على الإيصاء باتّقائها، أو أقبل إليك في خطابه، ومنه في صفته: إذا غضب أعرض وأشاح، قوله: غضّ طرفه، أي كسره وأطرق ولم يفتح عينه، وإنّما كان يفعل ذلك ليكون أبعد من الأشر والمرح.

قوله: جُلّ ضحكه، بالضمّ أي معظمه، قوله: ويفترّ عن مثل حبّ الغمام، أي يتبسّم ويكشر حتّى تبدو أسنانه من غير قهقهة، وهو من فررت الدابّة أفرّها فرّاً: إذا كشف شفتها

لتعرف سنّها، وافترّ يفترّ افتعل منه، وأراد بحبّ الغمام البرد. قوله عليه السلام: وشكله: قال الجزريّ: أي عن مذهبه وقصده، وقيل: عمّا يشاكل أفعاله، والشكل بالكسر الدلّ، وبالفتح: المثل، والمذهب.

وقال الكازرونيّ: الشكل بالفتح: النحو، والسيرة.

قوله: بالخاصّة، قال الجزريّ وغيره: أراد أن العامّة كانت لا تصل إليه في هذا الوقت، فكانت الخاصّة تخبر العامّة بما سمعت منه، فكأنّه أوصل الفوائد إلى العامّة بالخاصّة، وقيل: إنّ الباء بمعنى (من) أي يجعل وقت العامّة بعد وقت الخاصّة وبدلاً منهم، قوله: وقسمه معطوف على الإيثار، قوله: روّاداً، قال الجزريّ: أي طالبين العلم، ملتمسين الحكم من عنده، ويخرجون أدلّة: هداة للنّاس، والروّاد جمع رائد وهو الّذي يتقدّم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث.

أقول: ومنهم من قرأ أذلّة بالذال المعجمة، أي يخرجون متّعظين بما وعظوا، متواضعين من قوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وهو تصحيف. قوله: إلاّ عن ذواق، قال الجزريّ: ضرب الذواق مثلاً لما ينالون عنده من الخير، أي لا يتفرّقون إلاّ عن علم وأدب يتعلّمونه، يقوم لأنفسهم مقام الطعام والشراب لأجسادهم.

وقال القاضي: ويشبه أن يكون على ظاهره أي في الغالب والأكثر، قوله: يحذر الناس بالتخفيف: ويحترس منهم، عطف تفسير له، ومنهم من قرأ على بناء التفعيل إيثاراً للتأسيس على التأكيد، أي كان يحذّر الناس بعضهم من بعض، ويأمرهم بالحزم، ويحذر هو أيضاً منهم، والأوّل أظهر، قوله: لا يوطن الأماكن، أي لا يتّخذ لنفسه مجلساً يعرف به فلا يجلس إلاّ فيه، وقد فسّره بما بعده، قوله: من جالسه، في بعض رواياتهم بعد ذلك: أو قاومه، أي قام معه، قوله: ولا تؤبن فيه الحرم، قال الجزريّ: أي لا يذكرن بقبيح، كان يصان مجلسه عن رفث القول، يقال: أبنت الرجل آبنه: إذا رميته بخلّة سوء، فهو مأبون، وهو مأخوذ من الأبن وهو العقد تكون في القسيّ يفسدها وتعاب بها، قوله: سلاجم جمع سلجم، وهي الطويل، والسراء بالفتح ممدوداً، شجر يتّخذ منه القسيّ، وقال الجوهريّ: الأُبنة بالضمّ: العقدة في العود، ومنه قول الأعشى: قضيب سراء كثير الأبن، قوله: لا تنثى فلتاته، قال الجزريّ: أي لا تذاع، يقال: نثوت الحديث أنثوه نثواً، والنثاء في الكلام يطلق على القبيح والحسن، يقال: ما أقبح نثاه وما أحسنه، والفلتات جمع فلتة وهي الزلّة، أراد أنّه لم يكن لمجلسه فلتات فتنثى. أقول: الضمير في فلتاته راجع إلى المجلس.

قوله: متواصلين فيه بالتقوى، في بعض رواياتهم: يتواصون فيه بالتقوى، وفي بعضها: يتعاطفون بالتقوى، والفظّ: السيىء الخلق، والصخب بالصاد والسين: الضجّة واضطراب الأصوات للخصام، قوله: كأنّما على رؤوسهم الطير، قال الجزريّ: وصفهم بالسكون

والوقار، وأنّهم لم يكن فيهم طيش ولا خفّة، لأنّ الطير لا تكاد تقع إلاّ على شيء ساكن، وقال الفيروزآباديّ: كأنّ على رؤوسهم الطير، أي ساكنون هيبة، وأصله أن الغراب يقع على رأس البعير فيلقط منه القراد، فلا يتحرّك البعير لئلاّ ينفر عنه الغراب، قوله: لا يتنازعون عنده الحديث، أي إذا تكلّم أحد منهم أمسكوا حتّى يفرغ ثمّ يتكلّم الآخر، فما بعده تفسيره، قوله: حديثهم عنده حديث أولاهم، وفي بعض النسخ: أوّلهم بالإفراد، ولعلّه تأكيد للسّابق، أي لا يتكلّم إلاّ من سبق بالكلام، قوله: على الجفوة، أي غلظته وبعده من الآداب، قوله: ليستجلبونهم، أي يجيئون معهم بالغرباء إلى مجلسه من كثرة احتماله عنهم، وصبره على ما يكون منهم في سؤالهم إيّاه وغير ذلك، والصحابة كانوا لا يجترئون على مثل ذلك، وقال الجزريّ: رفدته أرفده: إذا أعنته.

أقول: وفي بعض رواياتهم: فأرشدوه، والأظهر أنّه هنا فأوفدوه بالواو، قوله: إلاّ من مكافىء، قال الجزريّ: قال القتيبيّ: معناه إذا أنعم على رجل نعمة فكافاه بالثناء عليه قبل ثنائه، وإذا أثنى قبل أن ينعم عليه لم يقبله، وقال ابن الأنباريّ: هذا غلط، إذ كان أحد لا ينفكّ من إنعام النبيّ ﷺ، لأنّ الله بعثه رحمةً للنّاس كافّةً، فلا يخرج منها مكافىء ولا غير مكافىء، والثناء عليه فرض لا يتمّ الإسلام إلاّ به، وإنّما المعنى أنّه لا يقبل الثناء عليه إلاّ من رجل يعرف حقيقة إسلامه، ولا يدخل عنده في جملة المنافقين الّذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وقال الأزهريّ: فيه قول ثالث إلاّ من مكافىء، أي مقارب غير مجاوز حدّ مثله، ولا مقصر عمّا رفعه الله إليه.

قوله: حتّى يجوزه، أي يتجاوز عن ذلك الكلام ويتمّه ويريد إنشاء كلام آخر فيقطعه النبيّ ﷺ بنهي أو قيام، وفي بعض النسخ ورواياتهم: بانتهاء، فيحتمل أن يكون المعنى فيقطع السائل بانتهاء أو قيام، وليس في أكثر النسخ الضمير في «يجوزه» فيحتمل أن يكون بالراء المهملة، أي إلاّ أن يجور ويتكلّم بباطل كفحش أو غيبة فيقطعه ﷺ بنهي أو بقيام.

ثمّ اعلم أن الصدوق رحمه الله ذكر في الشرح فقرتين لم يذكرهما في الرواية، إذ الشرح شرح رواية أخرى، فذكره ولم يبال بعدم موافقته لمّا ذكره من الرواية: إحداهما: قوله: يسوق أصحابه، وقد مرّت الإشارة إليها وإلى موضعها، والأخرى قوله: لكلّ حال عنده عتاد، قبل قوله: لا يقصر عن الحقّ، وقال الجزريّ في بيانه، أي ما يصلح لكلّ ما يقع من الأمور، وإنّما وصف الحسن عليه السلام هنداً بأنّه خاله لأنّ أبا هالة كان زوج خديجة رضي الله عنها قبل النبيّ ﷺ، فولدت له هنداً وهالة كما سيأتي في أحوال خديجة رضي الله عنها.

٥ - **ن:** بإسناد التميميّ، عن الرّضا عليه السلام، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: ما رأيت أحداً أبعد ما بين المنكبين من رسول الله ﷺ[1].

(١) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٦٧ باب ٣١ ح ٢٥٧.

٦ - **ص:** لم يمض النبيّ ﷺ في طريق فيتبعه أحد إلاّ عرف أنّه سلكه من طيب عرقه، ولم يكن يمرّ بحجر ولا شجر إلاّ سجد له[١].

٧ - **ير:** الحسن بن عليّ بن النعمان، عن يحيى بن عمر، عن أبان الأحمر، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إنّا معاشر الأنبياء تنام عيوننا، ولا تنام قلوبنا، ونرى من خلفنا كما نرى من بين أيدينا[٢].

٨ - **ير:** محمّد بن الحسين، عن صفوان بن يحيى، عن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: طلب أبو ذرّ رسول الله ﷺ فقيل له: إنّه في حائط كذا وكذا، فمضى يطلبه فدخل إلى الحائط والنبيّ ﷺ نائم، فأخذ عسيباً يابساً وكسره ليستبرىء به نوم رسول الله ﷺ، قال: ففتح النبيّ ﷺ عينه وقال: أتخدعني عن نفسي يا أبا ذرّ؟ أما علمت أنّي أراكم في منامي كما أراكم في يقظتي[٣].

بيان: قال الفيروزآباديّ: العسيب: جريدة من النخل مستقيمة رقيقة يكشط خوصها، والّذي لم ينبت عليه الخوص من السعف انتهى والاستبراء: كناية عن الامتحان، أي فعل ذلك ليستعلم أنّه ﷺ نائم أم لا، أو ليعلم أنّه يعلم في منامه ما يقع عنده أم لا، قوله ﷺ أتخدعني عن نفسي، أي أتمكر بي في أمر نفسي، وتدّعي أنّك تؤمن بي، وتفعل ما ينافي ذلك، فإنّ فعلك يدلّ على أنّك تحسب أنّي لا أرى في منامي ما أرى في يقظتي، أو المعنى أتخفيني عن نفسي، أي تحسبني غافلاً عمّا يفعل بي وعندي، وعلى أيّ حال لا يخلو من تكلّف، فإنّ الشائع في هذا الكلام أنّه يستعمل فيمن يريد أن يغوي أحداً، ويضلّه عن الحقّ، ويوقعه فيما يضرّ بنفسه، فيمكن أن يكون عبّر عن الشيء بلازمه، أي فعلك هذا يستلزم أن يمكّن لأحد أن يخدعني ويوقعني فيما يضرّ بنفسي.

٩ - **ير:** محمّد بن الحسين، عن محمّد بن سنان، عن الحسين بن المختار، عن زيد الشحّام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: طلب أبو ذرّ رحمه الله رسول الله ﷺ، فقيل له: إنّه ﷺ في حائط كذا وكذا، فتوجّه في طلبه، فوجده نائماً فأعظمه أن ينبهه، فأراد أن يستبرىء نومه ﷺ، فسمعه رسول الله ﷺ فرفع رأسه فقال: يا أبا ذرّ أتخدعني؟ أما علمت أنّي أرى أعمالكم في منامي كما أراكم في يقظتي، إنّ عيني تنام وقلبي لا ينام[٤].

يج: مرسلاً مثله. «ج ١ ص ١٠٦».

١٠ - **ير:** عليّ بن إسماعيل، عن صفوان، عن العلاء، عن محمّد، عن أبي جعفر عليه السلام

---

(١) قصص الأنبياء، ص ٢٨٧.

(٢) - (٤) بصائر الدرجات، ص ٣٩١ ج ٩ باب ١ ح ٨-٩-١٠.

قال: قال رسول الله ﷺ: أراكم من خلفي كما أراكم بين يديّ، لتقيمنّ صفوفكم أو ليخالفنّ الله بين قلوبكم[١].

ير: أيّوب بن نوح، عن ابن المغيرة، عن علا، عن محمّد مثله[٢].

١١ - **ير:** أحمد بن محمّد، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله[٣].

١٢ - **ير:** الحسن بن عليّ، عن عبيس بن هشام، عن أبي إسماعيل كاتب شريح، عن أبي عتاب زياد مولى آل وغش، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله[٤].

١٣ - **ير:** محمّد بن الحسين، عن يزيد بن إسحاق، عن هارون بن حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله[٥].

١٤ - **سن:** معاوية بن الحكيم، عن ابن المغيرة، عن إبراهيم بن معرّض، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ عمر دخل على حفصة فقال: كيف رسول الله ﷺ فيما فيه الرجال؟ فقالت: ما هو إلاّ رجل من الرجال، فأنف الله لنبيّه ﷺ فأنزل إليه صحفة فيها هريسة من سنبل الجنّة، فأكلها فزاد في بضعه بضع أربعين رجلاً[٦].

بيان: البضع بالضمّ: الجماع، والثاني يحتمل الضمّ والكسر أيضاً، والضمّ أظهر، قال الجزريّ: فيه صلاة الجماعة تفضل صلاة الواحد ببضع وعشرين درجة، البضع في العدد بالكسر، وقد يفتح: ما بين الثلاث إلى التسع، وقيل: ما بين الواحد إلى العشرة، وقال الجوهريّ: تقول بضع سنين، وبضعة عشر رجلاً، فإذا جاوزت لفظ العشر لا تقول: بضع وعشرون، وهذا يخالف ما جاء في الحديث انتهى، وترك العاطف هنا يضعف أيضاً الحمل على الكسر.

١٥ - **سن:** أبي، عن محمّد بن سنان، عن منصور الصيقل، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى أهدى إلى رسوله هريسة من هرائس الجنّة، غرست في رياض الجنّة، وفركها الحور العين فأكلها رسول الله ﷺ فزاد في قوّته بضع أربعين رجلاً، وذلك شيء أراد الله أن يسرّ به نبيّه ﷺ[٧].

١٦ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن محمّد بن سنان مثله، ثمّ قال: وفي حديث آخر رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ رسول الله ﷺ شكى إلى ربّه جلّ وعزّ وجع الظهر، فأمره بأكل الحبّ باللّحم، يعني الهريسة[٨].

بيان: الفرك: الدلك.

---

(١) - (٥) بصائر الدرجات، ص ٣٩٠ ج ٩ باب ١ ح ٣ و٢ و٤ و٥ و٧.

(٦) - (٧) المحاسن، ص ٤٠٤.

(٨) أصول الكافي، ج ٦ ص ١٠٦٧ باب ٢٤٠ ح ٣.

١٧ - يج: من معجزاته ﷺ أن الأخبار تواترت واعترف بها الكافر والمؤمن بخاتم النبوّة الّذي بين كتفيه على شعرات متراكمة، تقدّمت بها الأنبياء قبل مولده بالزمن الطويل، فوافق ذلك ما أخبروا به عنه في صفته ﷺ [١].

١٨ - يج: روي أن النبيّ ﷺ قال: أتمّوا الركوع، والسجود، فوالله إنّي لأراكم من بعد ظهري إذا ركعتم وسجدتم [٢].

١٩ - قب: كان النبيّ ﷺ قبل المبعث موصوفاً بعشرين خصلة من خصال الأنبياء لو انفرد واحد بأحدها لدلّ على جلاله، فكيف من اجتمعت فيه، كان نبيّاً أميناً، صادقاً حاذقاً، أصيلاً نبيلاً، مكيناً، فصيحاً، نصيحاً، عاقلاً فاضلاً، عابداً زاهداً، سخيّاً مكيّاً، قانعاً متواضعاً، حليماً رحيماً، غيوراً صبوراً، موافقاً مرافقاً، لم يخالط منجّماً ولا كاهناً ولا عيّافاً، ولمّا قالت قريش: إنّه ساحر علمنا أنّه قد أراهم ما لم يقدروا على مثله، وقالوا: هذا مجنون، لمّا هجم منه على شيء لم يفكر في عاقبته منهم، وقالوا: هو كاهن، لأنّه أنبأ بالغائبات، وقالوا: معلّم، لأنّه قد أنبأهم بما يكتمونه من أسرارهم، فثبت صدقه من حيث قصدوا تكذيبه، وكان فيه خصال الضعفاء، ومن كان فيه بعضها لا ينتظم أمره: كان يتيماً فقيراً، ضعيفاً وحيداً غريباً، بلا حصار ولا شوكة، كثير الأعداء، ومع جميع ذلك تعالى مكانه، وارتفع شأنه، فدلّ على نبوّته ﷺ، وكان الجلف البدويّ يرى وجهه الكريم فيقول: والله ما هذا وجه كذّاب، وكان ﷺ ثابتاً في الشدائد وهو مطلوب، وصابراً على البأساء والضرّاء وهو مكروب محروب، وكان زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة، فثبت له الملك، وكان يشهد كلّ عضو منه على معجزة:

نوره: كان إذا مشى في ليلة ظلماء بدا له نور كأنّه قمر، قالت عائشة: فقدت إبرة ليلة فما كان في منزلي سراج، فدخل النبيّ ﷺ فوجدت الإبرة بنور وجهه.

حمزة بن عمر الأسلميّ قال: نفرنا مع النبيّ ﷺ في ليلة ظلماء فأضاءت أصابعه عرفة.

جابر بن عبد الله: إنّه كان لا يمرّ في طريق فيمرّ فيه إنسان بعد يومين إلاّ عرف أنّه عبر فيه.

مسلم: كان النبيّ ﷺ يقيل عند أمّ سلمة فكانت تجمع عرقه وتجعله في الطيب.

عبد الجبار بن وائل، عن أبيه قال: أتى رسول الله ﷺ بدلو من ماء فشرب ثمّ توضّأ فتمضمض، ثمّ مجّ مجّة في الدلو فصار مسكاً أو أطيب من المسك.

ظلّه: لم يقع ظلّه على الأرض، لأنّ الظلّ من الظلمة، وكان إذا وقف في الشمس والقمر والمصباح نوره يغلب أنوارها.

قامته: كلّما مشى مع أحد كان أطول منه برأس، وإن كان طويلاً.

---

(١) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٣٢ ح ٢٩. (٢) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٤٧ ح ٦٣.

رأسه: كان يظلّه سحابة من الشمس، وتسير لمسيره، وتركد لركوده، ولا يطير الطير فوقه.

عينيه: كان يبصر من ورائه كما يبصر من أمامه، ويرى من خلفه كما يرى من قدامه.

أنفه: لم يشمّ به منذ خلقه الله تعالى رائحةً كريهةً.

فمه: كان يمجّ في الكوز والبئر فيجدون له رائحة أطيب من المسك.

لسانه: كان ينطق بلغات كثيرة.

محاسنه: كانت فيه سبع عشرة طاقة نور يتلألأ في عوارضه.

أذنيه: كان يسمع في منامه كما يسمع في انتباهه، ويسمع كلام جبرئيل عند الناس ولا يسمعونه.

ربيع الأبرار: إنّه دخل أبو سفيان على النبيّ ﷺ وهو يقاد فأحسّ بتكاثر الناس، فقال في نفسه: واللّات والعزّى يابن أبي كبشة لأملأنّها عليك خيلاً ورجلاً، وإنّي لأرجو أن أرقى هذه الأعواد، فقال النبيّ ﷺ: أو يكفينا الله شرّك يا أبا سفيان.

صدره: لم يكن على وجه الأرض أعلم منه.

ظهره: كان بين كتفيه خاتم النبوّة، كلّما أبداه غطّى نوره نور الشمس، مكتوب عليه: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، توجّه حيث شئت فأنت منصور.

في حديث جابر بن سمرة: رأيت حلقة غضروف كتفيه مثل بيض الحمامة.

وسئل الخدريّ عنه فقال: بضعة ناشزة.

أبو زيد الأنصاريّ: شعر مجتمع على كتفيه.

السائب بن يزيد: مثل زرّ الحجلة، ولمّا شكّ في موت رسول الله ﷺ وضعت أسماء بنت عميس يدها بين كتفيه، فقالت: قد توفّي رسول الله ﷺ قد رفع الخاتم.

بطنه: كان يشدّ عليه الحجر من الغرث، فيشبع قلبه، كان تنام عيناه ولا ينام قلبه.

يداه: فار الماء من بين أصابعه، وسبّح الحصى في كفّه.

ركبه: ولد مسروراً مختوناً، وما احتلم قطّ، لأنّ ذلك من الشيطان، وكان له شهوة أربعين نبيّاً.

جلوسه: عائشة. قلت: يا رسول الله إنّك تدخل الخلاء، فإذا خرجت دخلت على أثرك فما أرى شيئاً إلاّ أنّي أجد رائحة المسك، فقال: إنّا معاشر الأنبياء تنبت أجسادنا على أرواح الجنّة، فما يخرج منه شيء إلاّ ابتلعته الأرض. وتبعه رجل علم مراده فقال ﷺ: إنّا معاشر الأنبياء لا يكون منّا ما يكون من البشر.

أمّ أيمن: أصبح رسول الله ﷺ فقال: يا أمّ أيمن قومي فاهرقي ما في الفخارة، يعني

البول، قلت: والله شربت ما فيها وكنت عطشى، قالت: فضحك حتّى بدت نواجذه، ثمّ قال: أما إنّك لا تنجع بطنك أبداً.

ومنه حديث دم الفصد.

فخذه: كلّ دابّة ركبها النبيّ ﷺ بقيت على سنّها لا تهرم قط.

رجليه: أرسلهما في بئر ماؤه أجاج فعذب.

قوّته: كان لا يقاومه أحد.

إسحاق بن بشّار: إنّ ركانة بن عبد بن زيد بن هاشم كان من أشدّ قريش فحلاً، فقال له النبيّ ﷺ في وادي أصمّ: يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه؟ قال: إنّي لو أعلم أنّه حقّ لاتّبعتك، فقال النبيّ ﷺ: أفرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقول حقّ؟ قال: نعم، قال: قم حتّى أصارعك، قال: فقام إليه ركانة فصارعه، فلمّا بطش به رسول الله ﷺ أضجعه، قال: فعد، فعاد فصرعه، فقال: إنّ ذا لعجب يا قوم، إنّ صاحبكم أسحر أهل الأرض.

حرمته: كان القمر يحرّك مهده في حال صباه، وكان لا يمرّ على شجرة إلاّ سلّمت عليه، ولم يجلس عليه الذباب، ولم تدن منه هامّة ولا سامّة.

مشيه: كان إذا مشى على الأرض السهلة لا يبيّن لقدميه أثر، وإذا مشى على الصلبة بان أثرهما.

هيبته: كان عظيماً مهيباً في النفوس حتّى ارتاعت رسل كسرى، مع أنّه كان بالتواضع موصوفاً، وكان محبوباً في القلوب حتّى لا يقليه مصاحب، ولا يتباعد عنه مقارب، قال السديّ في قوله: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾: لمّا ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجّهين إلى مكّة قالوا: ما صنعنا قتلناهم حتّى لم يبق منهم إلاّ الشريد تركناهم، إذ همّوا وقالوا: ارجعوا فاستأصلوهم، فلمّا عزموا على ذلك ألقى الله في قلوبهم الرعب حتّى رجعوا عمّا همّوا.

وروي أن الكفّار دخلوا مكّة كالمنهزمين مخافة أن يكون له الكرّة عليهم، وقال ﷺ: نصرت بالرعب مسيرة شهر.

قوله تعالى: ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ﴾ وذلك أن النبيّ ﷺ لمّا قصد خيبر وحاصر أهلها همّت قبائل من أسد وغطفان أن يغيروا على أهل المدينة، فكفّ الله عنهم بإلقاء الرعب في قلوبهم.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ﴾ وقال ﷺ: لم نخل في ظفر إمّا في ابتداء الأمر وإمّا في انتهائه، وكان جميل بن معمّر الفهريّ حفيظاً لما يسمع، ويقول: إنّ في جوفي لقلبين أعقل بكلّ واحد منهما أفضل من عقل محمّد، فكانت قريش تسمّيه ذا القلبين، فتلقّاه أبو سفيان يوم بدر وهو آخذ بيده إحدى نعليه، والأخرى في رجله، فقال له: يا أبا معمّر ما

الخبر؟ قال: انهزموا، قال: فما حال نعليك؟ قال: ما شعرت إلاّ أنّها في رجلي لهيبة محمّد، فنزل: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ .

أمير المؤمنين عليه السلام:

وينصر الله من لاقاه إنّ له نصراً يمثّل بالكفار إذ عندوا[1]

بيان: النبل: بالضمّ: الذكاء والنجابة، والمكانة: المنزلة، والعرف بالفتح: الريح الطيّبة، وقال الجزريّ في صفة خاتم النبوّة: إنّه مثل زرّ الحجلة، الزرّ واحد الأزرار الّتي تشدّ بها الكلل والستور، على ما يكون في حجلة العروس، وقيل: إنّما هو بتقديم الراء على الزاي، ويريد بالحجلة القبجة، مأخوذاً من أرزت الجرادة: إذا كبست ذنبها في الأرض فباضت، ويشهد له ما رواه الترمذيّ في كتابه بإسناده عن جابر بن سمرة قال: كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله الّذي بين كتفيه غدّة حمراء مثل بيضة الحمامة انتهى.

والغرث: الجوع، قوله: على أرواح الجنّة، في بعض النسخ بالمهملتين، أي الأرواح الّتي تدخل الجنّة، أو هي جمع الريح، أي أجسادنا طيّبة كطيب ريح أهل الجنّة، وفي بعض النسخ بالمعجمتين أي الحور، وقال الفيروزآباديّ: النجيع: دم البطن.

٢٠ - **قب:** الترمذيّ في الشمائل والطبريّ في التاريخ والزمخشريّ في الفائق والفتّال في الروضة: رووا صفة النبيّ صلى الله عليه وآله بروايات كثيرة منها عن أمير المؤمنين عليه السلام وابن عبّاس وأبي هريرة وجابر بن سمرة وهند بن أبي هالة أنّه كان صلى الله عليه وآله فخماً مفخماً، في العيون معظّماً، وفي القلوب مكرّماً، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أزهر منوّر اللّون، مشرباً بحمرة، لم تزر به مقلة، لم تعبه ثجلة، أغرّ أبلج أحور أدعج أكحل أزجّ، عظيم الهامة، رشيق القامة، مقصّداً واسع الجبين، أقنى العرنين، أشكل العينين، مقرون الحاجبين، سهل الخدّين صلتهما، طويل الزندين، شبح الذراعين، عظيم مشاشة المنكبين، طويل ما بين المنكبين، شثن الكفّين، ضخم القدمين، عاري الثديين، خمصان الأخمصين، مخطوط المتيتين، أهدب الأشفار، كثّ اللّحية، ذا وفرة، وافر السبلة، أخضر الشمط، ضليع الفم أشمّ أشنب مفلّج الأسنان، سبط الشعر، دقيق المسربة، معتدل الخلق، مفاض البطن، عريض الصدر، كأنّ عنقه جيد دمية في صفاء الفضّة، سائل الأطراف، منهوس العقب قصير الحنك، داني الجبهة، ضرب اللّحم بين الرجلين، كان في خاصرتيه انفتاق، فعم الأوصال، لم يكن بالطويل البائن، ولا بالقصير الشائن، ولا بالطويل الممغّط، ولا بالقصير المتردّد، ولا بالجعد القطط، ولا بالسبط ولا بالمطهّم ولا بالمكلثم ولا بالأبيض الأمهق، ضخم الكراديس، جليل المشاش، كنوز المنخر، لم يكن في بطنه ولا في صدره شعر إلاّ موصل ما

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ١٦٤.

بين اللّبة إلى السرّة كالخطّ، جليل الكتد، أجرد ذا مسربة، وكان أكثر شيبه في فودي رأسه وكأنّ كفّه كفّ عطّار مسّها بطيب، رحب الراحة، سبط القصب، وكان إذا رضي وسرّ فكأن وجهه المرآة، وكان فيه شيء من صور، يخطو تكفّؤاً، ويمشي الهوينا، يبدؤ القوم إذا سارع إلى خير، وإذا مشى تقلّع كأنّما ينحدر في صبب، إذا تبسّم يتبسّم عن مثل المنحدر عن بطون الغمام، وإذا افترّ افترّ عن سنا البرق إذا تلألأ، لطيف الخَلق، عظيم الخُلق، ليّن الجانب إذا طلع بوجهه على الناس رأوا جبينه كأنّه ضوء السراج المتوقّد. كأنّ عرقه في وجهه اللّؤلؤ، وريح عرقه أطيب من ريح المسك الأذفر، بين كتفيه خاتم النبوّة.

أبو هريرة: كان يقبل جميعاً ويدبر جميعاً.

جابر بن سمرة: كانت في ساقه حموشة.

أبو حجيفة: كان قد سمط عارضاه وعنفقته بيضاء.

أمّ هاني: رأيت رسول الله ﷺ ذا ضفائر أربع، والصحيح أنّه كان له ذؤابتين، ومبدأها من هاشم.

أنس: ما عددت في رأس رسول الله ﷺ ولحيته إلاّ أربع عشرة شعرة بيضاء، ويقال سبع عشرة.

ابن عمر: إنّما كان شيبه نحواً من عشرين شعرة بيضاء.

البراء بن عازب: كان يضرب شعره كتفيه.

أنس: له لمّة إلى شحمة أذنيه.

عائشة: كان شعره فوق الوفرة ودون الجمّة[1].

بيان: قال الجزريّ: في صفته ﷺ كان أزهر اللّون، الأزهر: الأبيض المستنير، والزهرة والزهرة: البياض النيّر، وهو أحسن الألوان انتهى. ويقال: زرى عليه، أي عابه، وزرى به، أي تهاون، والمقلة بالضمّ: الحدقة، وفي رواياتهم بالصاد المهملة والقاف، قال الجزريّ: في حديث أمّ معبد ولم تزر به صقلة، أي دقّة ونحول، يقال: صقلت الناقة: إذا أضمرتها، وقيل: أرادت أنّه لم يكن منتفخ الخاصرة جدّاً، ولا ناحلاً جداً، ويروى بالسين على الإبدال من الصاد، ويروى صعلة، وهي صغر الرأس، وهي أيضاً الدقّة والنحول في البدن، وقال في قوله: لم تعبه ثجلة: أي ضخم بطن، ويروى بالنون والحاء، أي نحول ودقّة، وقال الجوهريّ: الثجلة بالضمّ: عظم البطن، وسعته، قوله: أغرّ، أي أبيض صافي اللّون، قوله: أبلج، أي مشرق الوجه مسفره، ذكره الجزريّ، وقال الفيروزآباديّ: الحور بالتحريك: أن يشتدّ بياض بياض العين وسواد سوادها، وتستدير حدقتها، وترقّ جفونها،

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٠٣.

ويبيضّ ما حواليها، أو شدّة بياضها، وسوادها في شدّة بياض الجسد. وقال: الكحل محرّكة: أن يعلو منابت الأشفار سواد خلقة، أو أن يسودّ مواضع الكحل كحل كفرح، فهو أكحل، والكحلاء: الشديدة سواد العين، أو الّتي كأنّها مكحولة، وإن لم تكحل، وقال: رجل رشق: حسن القدّ لطيفه، وقال الجزريّ: في صفته ﷺ كان أبيض مقصّداً، هو الّذي ليس بطويل ولا قصير ولا جسيم، كأنّ خلقه نحى القصد من الأمور، والمعتدل الّذي لا يميل إلى طرفي الإفراط والتفريط، وقال في قوله: أشكل العينين: أي في بياضها شيء من حمرة، وهو محمود محبوب، يقال: ماء أشكل: إذا خالطه الدم، وقال: في صفته ﷺ كان صلت الجبين، أي واسعه، وقيل: الصلت: الأملس، وقيل: البارز، وفي حديث آخر. كان سهل الخدّين صلتهما، وقال في صفته ﷺ: أنّه كان مشبوح الذراعين، أي طويلهما، وقيل: عريضهما، وفي رواية: كان شبح الذراعين، والشبح: مدّك الشيء بين أوتاد كالجلد والحبل، وقال الجوهريّ: رجل مشبوح الذراعين: عريضهما، وكذلك شبح الذراعين بالتسكين، وقال الجزريّ: في صفته ﷺ جليل المشاش، أي عظيم رؤوس العظام كالمرفقين والكعبين والركبتين، وقال الجوهريّ: هي رؤوس العظام اللّينة الّتي يمكن مضغها، قوله: مخطوط المتيتين، لم أجد له معنى، ولعلّه إمّا تصحيف اللّيتين من ليت العنق: صفحته، أو المتنين من متني الظهر، وقال الجزريّ: في صفته ﷺ كان أهدب الأشفار، وفي رواية: هدب الأشفار، أي طويل شعر الأجفان، وقال: فيه إنّه كان وافر السبلة، السبلة بالتحريك: الشارب، والجمع السبال، قاله الجوهريّ: وقال الهرويّ: هي الشعرات الّتي تحت اللّحي الأسفل، والسبلة عند العرب: مقدّم اللّحية وما أسبل منها على الصدر، وقال في صفته ﷺ: كان أخضر الشمط، أي كانت الشعرات الّتي شابت منه قد اخضرّت بالطيب والدهن المروح انتهى، أقول: الأظهر أن الخضرة كانت للخضاب، وإنّما حمل على ذلك لإنكار أكثرهم اختضابه ﷺ، وقال في قوله: مفاض البطن: أي مستوي البطن مع الصدر، وقيل: المفاض ما يكون فيه امتلاء من فيض الإناء، ويريد به أسفل بطنه، وقال في صفته ﷺ: منهوس الكعبين، أي لحمهما قليل، والنهس: أخذ اللّحم بأطراف الأسنان، والنهش: الأخذ بجميعها، ويروى منهوس القدمين، وبالشين أيضاً، وقال في صفة موسى عليه السلام: أنّه ضرب من الرجال، هو الخفيف اللّحم، الممشوق المستدقّ، وقال الجوهريّ: الضرب: الرجل الخفيف اللّحم، وقال الجزريّ في صفته ﷺ: كان في خاصرتيه انفتاق، أي اتّساع، وهو محمودٌ في الرجال، مذمومٌ في النساء، وقال: في صفته ﷺ كان فعم الأوصال، أي ممتلىء الأعضاء، يقال: فعمت الإناء وأفعمته: إذا بالغت في ملئه، وقال في البائن: أي المفرط طولاً الّذي بعد عن قدّ الرجال الطوال، وقال: المطهّم: المنتفخ الوجه، وقيل: الفاحش السمن، وقيل: النحيف الجسم، وهو من

الأضداد، وقال: المكلثم من الوجوه: القصير الحنك، الداني الجبهة، المستدير مع خفّة اللّحم، أراد أنّه كان أسيل الوجه ولم يكن مستديراً، وقال: الأمهق: الكريه البياض كلون الجصّ، يريد أنّه كان نيّر البياض، وقال: الكتد بفتح التاء وكسرها: مجتمع الكتفين، وهو الكاهل، وقال: الأجرد: الّذي ليس على بدنه شعر، ولم يكن كذلك، وإنّما أراد به أن الشعر كان في أماكن من بدنه، كالمسربة، والساعدين والساقين، فإنّ ضد الأجرد الأشعر، وهو الّذي على جميع بدنه شعر، وقال في فودي رأسه: أي ناحيته، كلّ واحد منهما فود، وقيل: الفود: معظم شعر الرأس، وقال: الهوينا تصغير الهونى، تأنيث الأهون، والغرض اللّين، والتثبّت، قوله: كان يقبل جميعاً، قد عرفت ما قيل فيه، وقد سمعت بعض مشايخي يقول: إنّه كناية عن ضخامة جسمه، ورصافة بدنه ﷺ، أي كان لا يمكنه تحريك الرأس إلاّ بتحريك البدن، وهو من علامات الشجاعة كما هو المشاهد في المعروفين بها، والحموشة: الدقّة، وقال الجزريّ: فيه أنّه كان في عنفقته شعرات بيض، العنفقة: الشعر الّذي في الشفة السفلى، وقيل: الشعر الّذي بينها وبين الذقن انتهى، والضفائر: الذوائب المنسوجة، وقال الجزريّ: فيه ما رأيت ذا لّمة أحسن من رسول الله ﷺ، اللّمة: من شعر الرأس دون الجمّة، وسمّيت بذلك لأنّها ألمّت بالمنكبين، فإذا زادت فهي الجمّة: فقال: الجمّة من شعر الرأس: ما سقط على المنكبين.

٢١ - **شي:** في رواية صفوان الجمّال، عن أبي عبد الله عليه السلام وعن سعد الإسكاف عن أبي جعفر عليه السلام: جاء أعرابيّ أحد بني عامر فسأل عن النبيّ ﷺ فلم يجده، قالوا: هو يفرج، فطلبه فلم يجده، قالوا: هو بمنى، قال: فطلبه فلم يجده، فقالوا: هو بعرفة، فطلبه فلم يجده، قالوا: هو بالمشاعر، قالوا: فوجده في الموقف، قال: حلّوا لي النبيّ ﷺ، فقال الناس: يا أعرابيّ ما أنكرك، إذا وجدت النبيّ ﷺ وسط القوم وجدته مفخّماً، قال: بل حلّوه لي حتّى لا أسأل عنه أحداً، قالوا: فإنّ نبيّ الله أطول من الربعة، وأقصر من الطويل الفاحش، كأنّ لونه فضّة وذهب، أرجل الناس جمّة، وأوسع الناس جبهة، بين عينيه غرّة، أقنى الأنف، واسع الجبين، كث اللّحية، مفلج الأسنان، على شفته السفلى خال، كأنّ رقبته إبريق فضّة، بعيد ما بين مشاشة المنكبين، كأنّ بطنه وصدره سبل سبط البنان، عظيم البراثن، إذا مشى مشى متكفّئاً وإذا التفت التفت بأجمعه، كأنّ يده من لينها متن أرنب، إذا قام مع إنسان لم ينفتل حتّى ينفتل صاحبه، وإذا جلس لم يحلّ حبوته حتّى يقوم جليسه، فجاء الأعرابيّ فلمّا نظر إلى النبيّ ﷺ عرفه، قال بمحجنه على رأس ناقة رسول الله ﷺ عند ذنب ناقته فأقبل الناس تقول: ما أجرأك يا أعرابيّ؟ قال النبيّ ﷺ: دعوه فإنّه أرب، ثمّ قال: ما حاجتك؟ قال: جاءتنا رسلك تقيموا الصلاة، وتؤتوا الزّكاة، وتحجّوا البيت، وتغتسلوا من الجنابة، وبعثني قومي إليك رائداً، أبغي أن أستحلفك وأخشى أن تغضب، قال: لا أغضب، إنّي أنا الّذي سمّاني الله في التوراة والإنجيل محمّد رسول الله، المجتبى

المصطفى، ليس بفحّاش ولا سخّاب في الأسواق، ولا يتبع السيّئة السيّئة، ولكن يتبع السيّئة الحسنة، فسلني عمّا شئت، وأنا الّذي سمّاني الله في القرآن: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1] «فسل عمّا شئت، قال: إنّ الله الّذي رفع السماوات بغير عمد هو أرسلك؟ قال: نعم هو أرسلني، قال: بالله الّذي قامت السماوات بأمره هو الّذي أنزل عليك الكتاب، وأرسلك بالصلاة المفروضة، والزكاة المعقولة؟ قال: نعم، قال: وهو أمرك بالاغتسال من الجنابة وبالحدود كلّها؟ قال: نعم، قال: فإنّا آمنّا بالله ورسله وكتابه واليوم الآخر والبعث والميزان والموقف والحلال والحرام صغيره وكبيره، قال: فاستغفر له النبيّ ﷺ ودعا[2].

توضيح: قال الجزريّ: في صفته ﷺ أطول من المربوع، هو بين الطويل والقصير، يقال: رجل ربعة ومربوع، وقال الفيروزآباديّ: البرثن كقنفذ: الكفّ مع الأصابع، ومخلب الأسد، أو هو للسبع كالإصبع للإنسان.

وقال الكازرونيّ: في رواية، عن عليّ عليه السلام يصفه ﷺ لأعرابيّ: إذا نظرت إلى رسول الله ﷺ عرفته ليس بالطويل المتثنّي، ولا القصير الفاحش، أبيض مشرب حمرة، ربعة، أحسن النّاس، شعره إلى شحمة أذنه، عريض الجبهة، ضخم العينين، أقرن الحاجبين مفلّج الثنايا، أسيل الخد، كثّ اللّحية، على شفته السفلى خال، كأنّ عنقه إبريق فضّة، بعيد ما بين المنكبين، ضخم البراثن. كذا جاء في الرواية، وقال بعض علمائنا: وأظنّ الصواب: ضخم الكراديس ليس على ظهره ولا بطنه إلاّ شعر كقضيب الفضّة يجري، شثن الكفّين، كأنّ كفّه من لينها متن أرنب، إذا مشى مشى متقلّعاً، كأنّه يهبط من صبب، وإذا التفت التفت بأجمعه، وإذا صوفح لم ينزع يده حتّى ينزع الآخر، وإذا احتبى إليه رجل لم يحلّ حبوته حتّى يكون الرجل هو الّذي يحلّ حبوته، وإذا ضحك تبسّم، يجزي بالحسنة الحسنة، وبالسيّئة الحسنة، ليس بسخّاب في الأسواق.

ثمّ قال: المتثنّي: الذاهب طولاً، يستعمل في طول لا عرض له، لا يستمسك طوله من غير عرض كأنّه ينحني، قوله: إذا احتبى إليه رجل، من عادة العرب إذا جلس أحدهم متمكّناً أن يحتبي بثوبه، فإذا أراد أن يقوم حلّ حبوته، يعني إذا جلس إليه رجل لم يقم من عنده حتّى يكون الرجل هو الّذي يبدأ بالقيام انتهى.

وقال الجزريّ: فيه أن رجلاً اعترض النبيّ ﷺ يسأله، فصاح به الناس فقال: دعوا الرجل أرب ماله، في هذه اللّفظة ثلاث روايات: أحدها أرب بوزن علم، ومعناها الدعاء عليه، أي أصيبت آرابه وسقطت، وهي كلمة لا يراد بها وقوع الأمر، كما يقال: تربت يداك

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٢٧ ح ١٦٤ من سورة الرعد.

وقاتلك الله، وإنّما ذكر في معنى التعجّب، وفي هذا الدعاء من رسول الله ﷺ قولان: أحدهما تعجّبه من حرص المسائل ومزاحمته، والثاني لمّا رآه بهذه الحال من الحرص غلبه طبع البشريّة فدعا عليه، وقيل: معناه احتاج فسأل، من أرب الرجل: إذا احتاج، ثمّ قال: ما له، أي أيّ شيء به وما يريد، والرواية الثانية: أرب ما له بوزن جمل، أي حاجة له، وما زائدة للتقليل، أي له حاجة يسيرة، وقيل: معناه حاجة جاءت به، فحذف، ثمّ سأل فقال: ماله، والرواية الثالثة: أرب بوزن كتف، والأرب: الحاذق الكامل، أي هو أرب، فحذف المبتداء، ثمّ سأل فقال: ماله؟ أي ما شأنه، ومثله الحديث الآخر: أنّه جاءه رجل فقال: دلّني على عمل يدخلني الجنّة، فقال: أرب ما له؟ أي أنّه ذو خبرة وعلم انتهى.

أقول: كان في المنقول منه دعوه فإنّه أديب بالدال المهملة والياء المثناة، ثمّ الموحّدة، وكان يحتمل الراء أيضاً، وقد عرفت ممّا نقلنا تصحيحه وتوجيهه.

٢٢ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن محمّد بن حسن بن شمّون، عن عليّ بن محمّد النوفليّ، عن أبي الحسن عليه السلام قال ذكرت الصوت عنده، فقال: إنّ عليّ بن الحسين عليه السلام كان يقرأ فربما يمرّ به المارّ فصعق من حسن صوته، وإنّ الإمام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله الناس من حسنه، قلت: ولم يكن رسول الله ﷺ يصلّي بالناس ويرفع صوته بالقرآن؟ فقال: إنّ رسول الله ﷺ كان يحمل النّاس من خلقه ما يطيقون[1].

٢٣ - **كا:** عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن سيف، عن عمرو بن شمر، عن جابر قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: صف لي نبيّ الله ﷺ، قال: كان نبيّ الله أبيض مشرب حمرة، أدعج العينين، مقرون الحاجبين، شثن الأطراف، كأنّ الذهب أفرغ على برائنه، عظيم مشاشة المنكبين، إذا التفت يلتفت جميعاً من شدّة استرساله، سربته سائلة من لبّته إلى سرّته كأنّها وسط الفضّة المصفّاة، وكأنّ عنقه إلى كاهله إبريق فضّة، يكاد أنفه إذا شرب أن يردّ الماء، وإذا مشى تكفّأ كأنّه ينزل في صبب، لم ير مثل نبيّ الله ﷺ قبله ولا بعده ﷺ[2].

بيان: قوله عليه السلام: كأنّ الذهب أُفرغ على برائنه، لعلّ المراد وصف صلابة كفّه ﷺ وشدّة قبضه مع عدم يبس ينافي سهولة القبض، فإنّ الذهب لها جهة صلابة ولين، ويحتمل أن يكون التشبيه في الحمرة أو في النور، وفي إعلام الورى: على تراقيه، وقد مرّ مثله. قوله عليه السلام: من شدّة استرساله، الاسترسال: الاستئناس والطمأنينة إلى الإنسان، والثقة به فيما يحدّثه ذكره الجزريّ، وهذا يدلّ على أن التفاته ﷺ جميعاً إنّما كان لعدم نخوته،

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٦٤٠ باب ترتيل القرآن ح ٤.

(٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٦٥ باب مولد النبي ﷺ ح ١٤.

وشدّة لطفه، وحسن خلقه، لا كما ظنّه الأكثر أنّه إنّما كان يفعل ذلك لمتانته ووقاره كما مرّ، والسربة بالضمّ: الشعر وسط الصدر إلى البطن. وقوله عليه السلام: كأنّها وسط الفضّة، تشبيه بليغ، حيث شبّه هذا الخيط من الشعر في وسط البطن بما يتخيّل الإنسان من خطّ أسود في وسط الفضّة المصقولة إذا كانت فيها حدبة فلا تغفل.

٢٤ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن حمّاد، عن أيّوب بن هارون، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أكان رسول الله صلى الله عليه وآله يفرق شعره؟ قال: لا، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا طال شعره كان إلى شحمة أذنه[1].

٢٥ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن محمّد بن عيسى، عن عمرو بن إبراهيم، عن خلف ابن حمّاد، عن عمرو بن ثابت، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: إنّهم يروون أن الفرق من السنّة، قال: من السنّة، قلت: يزعمون أن النبيّ صلى الله عليه وآله فرق، قال: ما فرق النبيّ صلى الله عليه وآله ولا كانت الأنبياء تمسك الشعر[2].

٢٦ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن أبي نصر، عن عليّ ابن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الفرق من السنّة؟ قال: لا، قلت: فهل فرق رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم، قلت: كيف فرق رسول الله صلى الله عليه وآله وليس من السنّة؟ قال: من أصابه ما أصاب رسول الله صلى الله عليه وآله يفرق كما فرق رسول الله صلى الله عليه وآله وإلاّ فلا، قلت: كيف؟ قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا صدّ عن البيت وقد كان ساق الهدي وأحرم أراه الله ﴿الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله أن الله سيفي له بما أراه، فمن ثمّ وفّر ذلك الشعر الّذي كان على رأسه حين أحرم، انتظاراً لحلقه في الحرم حيث وعده الله عزّ وجلّ، فلمّا حلقه لم يعد في توفير الشعر، ولا كان ذلك من قبله صلى الله عليه وآله[3].

٢٧ - **كا:** عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن محمّد بن سنان، عن ابن مسكان، عن إسماعيل بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رئي في اللّيلة الظلماء رئي له نور كأنّه شقّة قمر[4].

أقول: قال الكازرونيّ في المنتقى: روي عن عليّ عليه السلام كان النبيّ صلى الله عليه وآله ضخم الرأس، عظيم العينين، هدب الأشفار، مشرب العينين حمرة، كثّ اللّحية، أزهر اللّون، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تكفّأ كأنّما يمشي في صعد، وإذا التفت التفت جميعاً.

---

(١) الكافي، ج ٦ ص ١١٦١ باب ٣٧٥ ح ٣.

(٢) - (٣) الكافي، ج ٦ ص ١١٦١ باب ٣٧٥ ح ٤-٥.

(٤) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٦٧ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ح ٢٠.

وفي رواية عنه عليه السلام أيضاً قال: كان رسول الله ﷺ أبيض مشرباً بياضه حمرة، أهدب الأشفار، أسود الحدقة، لا قصير ولا طويل، وهو إلى الطول أقرب، لا جعد ولا سبط عظيم المناكب، في صدره مسربة، شثن الكفّ والقدم، كأنّ عرقه اللّؤلؤ، إذا مشى تكفّأ كأنّه يمشي في صعد، لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ.

وعنه عليه السلام أيضاً: قال: ليس بالذاهب طولاً، وفوق الربعة، إذا جاء مع القوم غمرهم، أبيض ضخم الهامة، أغرّ أبلج، أهدب الأشفار، شثن الكفّين والقدمين، إذا مشى يتقلّع كأنّما ينحدر من صبب، كأنّ العرق في وجهه اللؤلؤ، لم أر قبله ولا بعده مثله، بأبي هو وأمّي ﷺ.

وفي رواية عنه عليه السلام أيضاً: لم يكن بالطويل الممغّط، ولا القصير المتردّد، كأنّه ربعة من القوم، ولم يكن بالجعد القطط، ولا بالسبط، كان جعداً رجلاً، ولم يكن بالمطهّم ولا المكلثم، وكان في الوجه تدوير، أبيض مشرب، أدعج العينين، أهدب الأشفار، جليل المشاش والكتد، أجرد، شثن الكفّين والقدمين، إذا مشى يتقلّع كأنّما يمشي في صبب، وإذا التفت التفت جميعه، بين كتفيه خاتم النبوّة، وهو خاتم النبيّين، أجود الناس كفّاً، وأرحب الناس صدراً، وأصدق النّاس لهجة، وأوفى الناس ذمّةً، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرةً، من رآه بديهةً هابه، ومن خالطه معرفة أحبّه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله.

ثمّ قال: وقد فسّر الأصمعيّ هذا الحديث فقال: الممغّط: الذاهب طولاً ويروى هذا بالغين والعين، والمتردّد: الداخل بعضه في بعض قصراً، والمطهّم: البادن الكثير اللّحم، والمكلثم: المدوّر الوجه كذا ذكره الأصمعيّ، وقال غيره: المكلثم من الوجه: القصير الحنك، الداني الجبهة، المستدير الوجه، ولا يكون إلاّ مع كثرة اللّحم، وقال أبو عبيد: كان أسيلاً ولم يكن مستدير الوجه، وهذا الاختلاف يكون إذا لم يكن بعده قوله: وكان في الوجه تدوير، والأوجه أن يقال: لم يكن بالأسيل جدّاً، ولا المدوّر مع إفراط التدوير، كان بين المدوّر والأسيل، كأحسن ما يكون، إذ كلّ شيء من خلقه كان معتدلاً، والإفراط غير مستحبّ في شيء.

وعن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ ضليع الفم، أشكل العينين، منهوش العقب.

قال الراوي: قلت لسماك راوية عن جابر: ما معنى ضليع الفم؟ قال: عظيم الفم، قلت: ما أشكل العينين؟ قال: طويل شقّ العين، قلت: ما منهوش العقب؟ قال: قليل لحم العقب، والمنهوس بالسين المهملة: قليل اللّحم أيضاً، ويروى بالحرفين.

وعن ابن عبّاس قال: كان رسول الله ﷺ أفلج الثنيتين، إذا تكلّم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه.

وعن أنس قال: ما عددت في رأس رسول الله ﷺ ولحيته إلاّ أربع عشرة شعرة بيضاء.

وقيل لجابر بن سمرة: كان في رأس رسول الله ﷺ شيب؟ قال: لم يكن في رأس رسول الله ﷺ شيب إلاّ شعرات في مفرق رأسه، إذا ادّهن واراهنّ الدهن.

وقال عبد الله بن بشر: كان في عنفقته شعرات بيض.

وعن ابن عمر قال: كان شيب رسول الله ﷺ نحواً من عشرين شعرة.

وفي الترمذيّ عن أبي رمثة قال: أتيت النبيّ ﷺ فرأيت الشيب أحمر.

وعن أنس قال: ما شممت رائحة قطّ مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة النبيّ ﷺ، ولامسست شيئاً قطّ خزّة ولا حريرة ألين من كفّ رسول الله ﷺ، وقال أنس: كنّا نعرف رسول الله ﷺ إذا أقبل بطيب ريحه.

وعن أبي هريرة: إنّ رجلاً أتى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله إنّي زوجت ابنتي وإنّي أحبّ أن تعينني بشيء، فقال: ما عندنا شيء، ولكن إذا كان غداً فتعال وجئني بقارورة واسعة الرأس، وعود شجر، وآية بيني وبينك أنّي أجيف الباب، فأتاه بقارورة واسعة الرأس وعود شجر، فجعل رسول الله ﷺ يسلت العرق من ذراعيه حتّى امتلأت القارورة، فقال: خذها وأمر ابنتك إذا أرادت أن تطيب أن تغمس العود في القارورة وتطيّب بها، وكانت إذا تطيّبت شمّ أهل المدينة ذلك الطيب، فسمّوا بيت المتطيّبين.

وذكر البخاريّ في تاريخه الكبير عن جابر قال: لم يكن النبيّ ﷺ يمرّ في طريق فتبعه أحد إلاّ عرف أنّه سلكه من طيبه.

وذكر إسحاق بن راهويه أن ذلك رائحته بلا طيب.

وروي أنّه ﷺ كان إذا أراد أن يتغوّط انشقّت الأرض فابتلعت غائطه وبوله، وفاحت لذلك رائحة طيّبة.

٢٨ - **ل، لي:** محمّد بن أحمد الأسديّ، عن عبد الله بن زيدان، وعليّ بن العبّاس البجليّين، عن أبي كريب، عن معاوية بن هشام، عن شيبان، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: قال رجل: يا رسول الله أسرع إليك الشيب، قال: شيّبتني هود والواقعة والمرسلات وعمّ يتساءلون[١].

٢٩ - **ما:** ابن مخلّد، عن ابن السمّاك عن يحيى بن أبي طالب، عن حمّاد بن سهيل، عن أبي نعيم، عن سفيان، عن ربيعة قال: سمعت أنساً يقول: كان في رأس رسول الله ﷺ ولحيته عشرون طاقة بيضاء[٢].

---

(١) الخصال، ص ١٩٩ باب الأربعة ح ١٠، أمالي الصدوق، ص ١٩٤ مجلس ٤١ ح ٤.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٣٨٦ مجلس ١٣ ح ٨٤٣.

٣٠ - **ع:** أبي، عن سعد، عن ابن هاشم، عن ابن المغيرة، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: استأذنت زليخا على يوسف - وساق الحديث إلى أن قال - : قال لها: يا زليخا ما الّذي دعاك إلى ما كان؟ قالت: حسن وجهك يا يوسف، فقال: كيف لو رأيت نبيّاً يقال له: محمّد، يكون في آخر الزمان أحسن منّي وجهاً، وأحسن منّي خلقاً، وأسمح منّي كفّاً، قالت: صدقت، قال: وكيف علمت أنّي صدقت، قالت: لأنّك حين ذكرته وقع حبّه في قلبي، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى يوسف: أنّها قد صدقت، وقد أحببتها لحبّها محمّداً، فأمره الله تبارك وتعالى أن تزوّجها(١).

٣١ - **ص:** بإسناده، إلى الصدوق عن عبد الله بن حامد، عن محمّد بن حمدويه، عن محمّد بن عبد الكريم، عن وهب بن جرير، عن أبيه، عن محمّد بن إسحاق، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي الحسين، عن شهر بن حوشب قال: لمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة أتاه رهط من اليهود، فقالوا: إنّا سائلوك عن أربع خصال - وساق الحديث إلى أن قال - : قالوا: أخبرنا عن نومك كيف هو؟ قال: أنشدكم بالله هل تعلمون من صفة هذا الرجل الّذي تزعمون أنّي لست به تنام عينه وقلبه يقظان؟ قالوا: اللّهمّ نعم، قال: وكذا نومي الخبر(٢).

٣٢ - **كا:** حميد بن زياد، عن الحسن بن محمّد الكنديّ، عن أحمد بن الحسن الميثميّ، عن أبان بن عثمان، عن نعمان الرازيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: انهزم الناس يوم أحد عن رسول الله ﷺ، فغضب غضباً شديداً، قال: وكان إذا غضب انحدر عن جبينه مثل اللّؤلؤ من العرق(٣).

٣٣ - **كتاب الغارات:** لإبراهيم بن محمّد الثقفي بإسناده عن إبراهيم بن محمّد من ولد عليّ عليه السلام قال: كان عليّ عليه السلام إذا نعت النبيّ ﷺ قال: لم يك بالطويل الممغّط، ولا القصير المتردّد، وكان ربعة من القوم، ولم يك بالجعد القطط ولا السبط، كان جعداً رجلاً، ولم يك بالمطهّم ولا المكلثم، وكان في الوجه تدوير، أبيض مشرب، أدعج العين، أهدب الأشفار، جليل المشاش والكتد، أجرد ذا مسربة، شثن الكفّين والقدمين، إذا مشى تقلّع كأنّما يمشي في صبب، وإذا التفت التفت معاً، بين كتفيه خاتم النبوّة وهو خاتم النبيّين، أجود الناس كفّاً، وأجرأ النّاس صدراً، وأصدق النّاس لهجةً وأوفى الناس ذمّةً، وألينهم عريكةً، وأكرمهم عشيرةً، بأبي من لم يشبع ثلاثاً متواليةً من خبز برّ حتّى فارق الدنيا، ولم ينخل دقيقه(٤).

أقول: قد مضت الأخبار في وصف خاتم النبوّة في الأبواب السابقة فلا نعيدها.

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٧٣ باب ٤٨ ح ١.
(٢) قصص الأنبياء، ص ٢٩٦.
(٣) روضة الكافي، ص ٧٢٥ ح ٩٠.
(٤) الغارات، ص ٩٦.

٩ - باب مكارم أخلاقه وسيره وسننه صلى الله عليه وآله وما أدبه الله تعالى به

الآيات: آل عمران: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)﴾.

الأنعام «٦»: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾.

الأعراف «٧»: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩)﴾.

التوبة «٩»: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾.

النحل: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧)﴾.

الكهف «١٨»: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦)﴾.

وقال تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤)﴾.

طه «٢٠»: ﴿طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٣)﴾.

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (١٣٠) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٣١) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (١٣٢)﴾.

الشعراء «٢٦»: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٢٠)﴾.

النمل «٢٧»: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (٧٠)﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (٧٩)﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾.

العنكبوت «٢٩»: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥)﴾.

الروم «٣٠»: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٦٠)﴾.

الأحزاب «٣٣»: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾.

فاطر «٣٥»: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾.

يس «٣٦»: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

المؤمن [غافر] «٤٠»: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾.

فصلت «٤١»: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾.

الزخرف: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

الأحقاف «٤٦»: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

محمد «٤٧»: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾.

ق «٥٠»: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾.

الطور «٥٢»: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾.

القلم «٦٨»: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾.

المعارج «٧٠»: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾﴾.

الجن «٧٢»: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾.

المزمل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾﴾. إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ «٢٠».

المدثر «٧٤»: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾.

الدهر «٧٦»: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ ما زائدة ﴿مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ أي أن لينك لهم ممّا يوجب دخولهم في الدين ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ أي جافياً سيىء الخلق ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ أي قاسي الفؤاد، غير ذي رحمة ﴿لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ لتفرّق أصحابك عنك، ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ ما بينك وبينهم ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ما بينهم وبيني ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أي استخرج آراءهم، واعلم ما عندهم، واختلف في فائدة مشاورته إيّاهم مع استغنائه بالوحي على أقوال:

أحدها: أن ذلك على وجه التطييب لنفوسهم، والتألّف لهم، والرفع من أقدارهم.

وثانيها: أن ذلك ليقتدي به أمّته في المشاورة، ولا يرونها نقيصة، كما مدحوا بأنّ أمرهم شورى بينهم.

وثالثها: أن ذلك لأمرين: لإجلال أصحابه، وليقتدي أُمّته به في ذلك.

ورابعها: أن ذلك ليمتحنهم بالمشاورة، ليتميّز الناصح من الغاشّ.

وخامسها: أن ذلك في أمور الدنيا، ومكائد الحرب، ولقاء العدوّ، وفي مثل ذلك يجوز أن يستعين بآرائهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ أي فإذا عقدت قلبك على الفعل وإمضائه، ورووا عن جعفر ابن محمّد، وعن جابر بن يزيد «فإذا عُزمت» بالضم، فالمعنى إذا عزمت لك ووفّقتك وأرشدتك ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي فاعتمد على الله، وثق به، وفوّض أمرك إليه، وفي هذه الآية دلالة على تخصيص نبيّنا صلى الله عليه وآله بمكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال، ومن عجيب أمره أنّه كان أجمع الناس لدواعي الترفّع، ثمّ كان أدناهم إلى التواضع، وذلك أنّه صلى الله عليه وآله كان أوسط الناس نسباً، وأوفرهم حسباً، وأسخاهم وأشجعهم وأزكاهم وأفصحهم، وهذه كلّها من

دواعي الترفّع، ثمّ كان من تواضعه أنّه كان يرقع الثوب، ويخصف النعل، ويركب الحمار، ويعلف الناضح، ويجيب دعوة المملوك، ويجلس في الأرض، ويأكل في الأرض، وكان يدعو إلى الله من غير زبر ولا كهر ولا زجر، ولقد أحسن من مدحه في قوله:

فما حملت من ناقة فوق ظهرها   أبرّ وأوفى ذمّةً من محمّد[1]

وفي قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ أي خزائن رحمته، أو مقدوراته، أو أرزاق الخلائق ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ الّذي يختصّ الله تعالى بعلمه، وإنّما أعلم ما علّمني ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌ﴾ أي لا أقدر علي ما يقدر عليه الملك، فأشاهد من أمر الله وغيبه ما تشاهده الملائكة ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ يريد ما أُخبركم إلاّ بما أنزل الله إليّ[2].

أقول: الحاصل أنّي لا أقدر أن آتيكم بمعجزة وآية إلاّ بما أقدرني الله عليه، وأذن لي فيه، ولا أعلم شيئاً إلاّ بتعليمه تعالى، ولا أعلم شيئاً من قبل نفسي إلاّ بإلهام أو وحي منه تعالى، ولا أقول: إنّي مبرّأ من الصفات البشريّة من الأكل والشرب وغير ذلك.

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ أي ما عفا من أموال الناس، أي ما فضل من النفقة، فكان رسول الله ﷺ يأخذ الفضل من أموالهم ليس فيها شيء موقّت، ثمّ نزلت آية الزكاة فصار منسوخاً بها، وقيل: معناه خذ العفو من أخلاق الناس، واقبل الميسور منها، وقيل: هو العفو في قبول العذر من المعتذر، وترك المؤاخذة بالإساءة ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ يعني بالمعروف، وهو كلّ ما حسن في العقل فعله أو الشرع ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ أي أعرض عنهم عند قيام الحجّة عليهم، والإياس من قبولهم، ولا تقابلهم بالسفه صيانةً لقدرك[3].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞ﴾ أي يستمع إلى ما يقال له ويصغي إليه ويقبله ﴿قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾ أي يستمع إلى ما هو خير لكم وهو الوحي، أو هو يسمع الخير ويعمل به ومنهم من قرأ: ﴿أُذُنٌ خَيۡرٌ لَّكُمۡ﴾ بالرفع والتنوين فيهما، فالمعنى ان كونه أذناً أصلح لكم، لأنّه يقبل عذركم، ويستمع إليكم، ولو لم يقبل عذركم لكان شرّاً لكم، فكيف تعيبونه بما هو أصلح لكم؟ ﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي لا يضرّه كونه أذناً فإنّه أذن خير فلا يقبل إلاّ الخير الصادق من الله، ويصدّق المؤمنين أيضاً فيما يخبرونه، ويقبل منهم، دون المنافقين، وقيل: ﴿وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي يؤمنهم فيما يلقي إليهم من الأمان ﴿وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾ أي وهو رحمة لهم لأنّهم إنّما نالوا الإيمان بهدايته ودعائه إيّاهم[4].

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾: أي فيما تبلغه من الرسالة، وفيما تلقاه من الأذى ﴿وَمَا

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٤٢٨.
(٢) مجمع البيان، ج ٤ ص ٥٨.
(٣) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤١٤.
(٤) مجمع البيان، ج ٥ ص ٧٩.

صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ أي بتوفيقه وتيسيره وترغيبه فيه ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي على المشركين في إعراضهم عنك، فإنّه يكون الظفر والنصرة لك عليهم، ولا عتب عليك في إعراضهم ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ أي لا يكن صدرك في ضيق من مكرهم بك وبأصحابك، فإنّ الله يردّ كيدهم في نحورهم[1].

وفي قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾ أي مهلك وقاتل نفسك على آثار قومك الّذين قالوا: لن نؤمن لك حتّى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً، تمرّداً منهم على ربّهم ﴿إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ أي القرآن ﴿أَسَفًا﴾ أي حزناً وتلهّفاً[2].

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ﴾ أي فلا تجادل الخائضين في أمر الفتية وعددهم ﴿إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾ أي إلاّ بما أظهرنا لك من أمرهم، أي إلاّ بحجّة ودلالة وإخبار من الله سبحانه أو إلا مراءً يشهده النّاس ويحضرونه، فلو أخبرتهم في غير مرأى من النّاس لكذبوا عليك، ولبسوا على الضعفة، فادعوا أنّهم كانوا يعرفونه، لأنّ ذلك من غوامض علومهم ﴿وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾ أي لا تستخبر في أهل الكهف وعددهم من أهل الكتاب أحداً والخطاب له ﷺ والمراد غيره ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنّه نهي من الله سبحانه لنبيّه ﷺ أن يقول: إنّي أفعل شيئاً في الغد إلاّ أن يقيّد ذلك بمشيّة الله تعالى، فيقول: إن شاء الله تعالى، وفيه إضمار القول.

وثانيهما: أن قوله: ﴿أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ بمعنى المصدر، وتقديره: ولا تقولنّ إنّي فاعل شيئاً غداً إلاّ بمشيّة الله، والمعنى لا تقل: إنّي أفعل إلاّ ما يشاء الله ويريده من الطاعات ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَۚ﴾ أي إذا نسيت الاستثناء ثمّ تذكّرت فقل: إن شاء الله، وإن كان بعد يوم أو شهر أو سنة، وقد روي ذلك عن أئمّتنا عليهم السلام، ويمكن أن يكون الوجه فيه أنّه إذا استثنى بعد النسيان فإنّه يحصل له ثواب المستثني من غير أن يؤثّر الاستثناء بعد انفصال الكلام في الكلام، وفي إبطال الحنث وسقوط الكفّارة في اليمين، وقيل: معناه واذكر ربّك إذا غضبت بالاستغفار ليزول عنك الغضب، وقيل: إنّه أمر بالانقطاع إلى الله تعالى، ومعناه واذكر ربّك إذا نسيت شيئاً بك إليه حاجة يذكره لك، وقيل: المراد به الصلاة، والمعنى إذا نسيت صلاة فصلّها إذ ذكرتها[3].

أقول: يحتمل أن يكون الخطاب متوجّهاً إليه ﷺ والمراد به غيره، ويمكن أن يكون المراد بالنسيان الترك، وسيأتي الكلام فيه إن شاء الله تعالى.

ثمّ قال في قوله: ﴿وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا﴾: أي قل: عسى أن يعطيني

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٢١١.
(٢) مجمع البيان، ج ٦ ص ٣١١.
(٣) مجمع البيان، ج ٦ ص ٣٢٩.

ربّي من الآيات والدلالات على النبوّة ما يكون أقرب إلى الرشد وأدلّ من قصّة أصحاب الكهف[١].

قوله تعالى: ﴿طه﴾ ذهب أكثر المفسّرين إلى أن معناه يا رجل بلسان الحبشيّة أو النبطيّة، وقيل: هو من أسماء النبيّ ﷺ. وقال الطبرسيّ: روي عن الحسن أنّه قرأ ﴿طه﴾ بفتح الطاء وسكون الهاء، فإن صحّ فأصله (طأ) فأبدل من الهمزة هاء، ومعناه طأ الأرض بقدميك جميعاً، فقد روي أن النبيّ ﷺ كان يرفع إحدى رجليه في الصلاة ليزيد تعبه، فأنزل الله: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾ فوضعها، وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام، وقال قتادة: كان يصلّي اللّيل كلّه ويعلّق صدره بحبل حتّى لا يغلبه النوم، فأمره الله سبحانه أن يخفّف عن نفسه، وذكر أنّه ما أنزل عليه الوحي ليتعب كلّ هذا التعب[٢].

قوله تعالى: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ قال البيضاويّ: ما أنزلناه عليك لتتعب بفرط تأسّفك على كفر قريش، إذ ما عليك إلاّ أن تبلغ، أو بكثرة الرياضة وكثرة التهجّد والقيام على ساق، والشقاء شائع بمعنى التعب، وقيل: ردّ وتكذيب للكفرة، فإنّهم لمّا رأوا كثرة عبادته قالوا: إنّك لتشقى بترك ديننا، وإنّ القرآن أُنزل عليك لتشقى به ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ لكن تذكيراً، وانتصابه على الاستثناء المنقطع ﴿يَخْشَىٰ﴾ لمن في قلبه خشية ورقّة يتأثّر بالإنذار، أو لمن علم الله منه أنّه يخشى بالتخويف منه، فإنّه المنتفع به[٣].

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ قيل: أي وصلّ وأنت حامد لربّك على هدايته وتوفيقه، أو نزّهه عن الشرك وعن سائر ما يضيفون إليه من النقائص حامداً له على ما ميّزك بالهدى، معترفاً بأنّه المولى للنعم كلّها ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ يعني الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يعني الظهر والعصر، لأنّهما في آخر النهار، أو العصر وحده ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ﴾ ساعاته ﴿فَسَبِّحْ﴾ يعني المغرب والعشاء، وقيل: صلاة اللّيل ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ تكرير لصلاتي الصبح والمغرب، إرادة الاختصاص، أو أمر بصلاة الظهر، فإنّه نهاية النصف الأوّل من النهار، وبداية النصف الأخير ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ أي سبّح في هذه الأوقات طمعاً أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي نظر عينيك ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ﴾ استحساناً وتمنّياً أن يكون لك مثله ﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ أصنافاً من الكفرة ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الزهرة: الزينة والبهجة، منصوب بمحذوف دلّ عليه ﴿مَتَّعْنَا﴾ أو به على تضمينه معنى أعطينا ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي لنبلوهم ونختبرهم فيه، أو لنعذّبهم في الآخرة بسببه ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ وما ادّخره لك في الآخرة، أو ما رزقك من الهدى والنبوّة ﴿خَيْرٌ﴾ ممّا منحهم في الدنيا ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ فإنّه لا ينقطع[٤].

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ قال الطبرسيّ: أي أهل بيتك وأهل دينك بالصلاة، روى أبو سعيد

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٣٣٢.
(٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ٦.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٦٨.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١٠٠.

الخدريّ قال: لمّا نزلت هذه الآية كان رسول الله ﷺ يأتي باب فاطمة وعليّ تسعة أشهر وقت كلّ صلاة فيقول: الصلاة يرحمكم الله، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. ورواه ابن عقدة من طرق كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام وعن غيرهم، مثل أبي بردة، وأبي رافع.

وقال أبو جعفر عليه السلام: أمره الله تعالى أن يخصّ أهله دون الناس ليعلم الناس أن لأهله عند الله منزلة ليست للنّاس، فأمرهم مع الناس عامّة، وأمرهم خاصّة.

﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ أي واصبر على فعلها وعلى أمرهم بها ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ لخلقنا ولا لنفسك، بل كلّفناك للعبادة وأداء الرسالة، وضمنا رزق جميع العباد ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ الخطاب للنبيّ ﷺ، والمراد به جميع الخلق، أي نرزق جميعهم ولا نسترزقهم ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي العاقبة المحمودة لأهل التقوى[1].

قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أي ليّن جانبك لهم، مستعار من خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحطّ ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي إلى التهجّد، أو للإنذار ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ أي تردّدك في تصفّح أحوال المتهجّدين، كما روي أنّه ﷺ لمّا نسخ فرض قيام اللّيل طاف تلك اللّيلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصاً على كثرة طاعاتهم، فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع من دندنتهم بذكر الله والتلاوة، أو تصرّفك فيما بين المصلّين بالقيام والركوع والسجود والقعود إذا أمّهم.

قال الطبرسيّ: وقيل معناه وتقلّبك في أصلاب الموحّدين من نبيّ إلى نبيّ حتّى أخرجك نبيّاً، وهو المرويّ عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، قالا: في أصلاب النبيّين نبيّ بعد نبيّ حتّى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح، من لدن آدم[2].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ أي سبب للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها، من حيث أنّها تذكّر الله وتورث للنّفس خشية منه، أو الصلاة الكاملة هي الّتي تكون كذلك، فإن لم تكن كذلك فكأنّها ليست بصلاة، كما روى الطبرسيّ مرسلاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أحبّ أن يعلم أقبلت صلاته أم لم تقبل، فلينظر هل منعته صلاته عن الفحشاء والمنكر، فبقدر ما منعته قبلت منه[3] ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي ذكر الله إيّاكم برحمته أكبر من ذكركم إيّاه بطاعته، أو ذكر العبد لله في جميع الأحوال أكبر الطاعات، أو أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر، وسيأتي لها في كتاب الإمامة تأويلات أخر[4].

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٦٨.

(٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ٣٥٦.

(٣) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٨.

(٤) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٩.

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ﴾ أي على أذاهم ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بنصرتك وإظهار دينك على الدين كلّه ﴿حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ أي ولا يحملنّك على الخفّة والقلق ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ بتكذيبهم(١).

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ على سائر الأمم ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ أي إيذاءهم إيّاك، ولا تحتفل به، أو إيذاءك إيّاهم مجازاةً ومؤاخذةً على كفرهم، ولذلك قيل: إنّه منسوخ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ موكولاً إليه الأمر في الأحوال كلّها(٢).

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ أي فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيّهم وإصرارهم على التكذيب. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه(٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ قال البيضاويّ: رد لقولهم: إنّ محمّداً شاعر، أي ما علّمناه الشعر بتعليم القرآن، فإنّه غير مقفّى ولا موزون، وليس معناه ما يتوخّاه الشعراء من التخييلات المرغبة والمنفّرة ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ وما يصحّ له الشعر ولا يتأتّى له إن أراد قرضه على ما اختبرتم طبعه نحواً من أربعين سنة، وقوله:

أنـا الـنـبـيّ لا كـذب   أنا ابن عبد المطّلب

وقوله:

هل أنت إلاّ أصبع دميت   وفي سبيل الله ما لقيت

اتّفاقي من غير تكلّف وقصد منه إلى ذلك، وقد يقع مثله كثيراً في تضاعيف المنثورات، على أن الخليل ما عدّ المشطور من الرجز شعراً، وروي أنّه حرّك الباءين، وكسر التاء الأُولى بلا إشباع، وسكن الثانية، وقيل: الضمير للقرآن أي وما يصحّ للقرآن أن يكون شعراً(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾: وأقبل على أمر دينك وتدارك فرطاتك بترك الأولى والاهتمام بأمر العدى بالاستغفار، فإنّه تعالى كافيك في النصر وإظهار الأمر ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾: ودم على التسبيح والتحميد لربّك، وقيل: صلّ لهذين الوقتين، إذ كان الواجب بمكّة ركعتان بكرةً، وركعتان عشاءً.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾: أي في الجزاء وحسن العاقبة ﴿ٱدْفَعْ﴾ أي السيّئة حيث اعترضتك ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ منها وهي الحسنة، أو بأحسن ما يمكن رفعها به من الحسنات ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ أي إذا فعلت ذلك صار عدوّك المشاقّ مثل الوليّ الشفيق ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي هذه السجيّة وهي مقابلة الإساءة بالإحسان ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ فإنّها تحبس النفس عن الانتقام ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ من الخير

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٧٣.
(٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ١٦٨.
(٣) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٣٤.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٤٤٤.

وكمال النفس، وقيل: الحظّ العظيم: الجنّة ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ أي نخس، شبّه به وسوسته لأنّها بعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو أسوأ ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ من شرّه ولا تطعه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لاستعاذتك ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بنيّتك أو بصلاحك[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ﴾: عطف على «السّاعة» أي وقول الرسول ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ فأعرض عن دعوتهم آيساً عن إيمانهم ﴿وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ تسلّم منكم ومتاركة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ تسلية للرّسول، وتهديد لهم[2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾: أي لكفّار قريش بالعذاب فإنّه نازل بهم في وقته لا محالة ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ استقصروا من هوله مدّة لبثهم في الدنيا حتّى يحسبونها ساعة ﴿بَلَٰغٌ﴾ أي هذا الّذي وعظتم به، أو هذه السورة كفاية، أو تبليغ من الرسول ﷺ[3].

قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: أي أقم على هذا العلم، واثبت عليه، وقيل: يتعلّق بما قبله، أي إذا جاءتهم الساعة فاعلم أنّه لا إله إلاّ الله، أي يبطل الممالك عند ذلك فلا ملك ولا حكم لأحد إلاّ الله، وقيل: إنّ هذا إخبار بموته، أي فاعلم أن الحي الّذي لا يموت هو الله وحده، وقيل: إنه ﷺ كان ضيّق الصدر من أذى قومه فقيل له: فاعلم أنّه لا كاشف لذلك إلاّ الله ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ الخطاب له والمراد به الأُمّة، وقيل: المراد به الانقطاع إلى الله تعالى، فإنّ الاستغفار عبادة يستحقّ به الثواب. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ أي متصرّفكم في أعمالكم في الدنيا، ومصيركم في الآخرة إلى الجنّة أو إلى النار، وقيل: متقلّبكم في أصلاب الآباء إلى أرحام الأُمّهات، ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ أي مقامكم في الأرض، وقيل: متقلّبكم من ظهر إلى بطن، ومثواكم في القبور، وقيل: متصرّفكم بالنهار، ومضجعكم باللّيل[4].

وقال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: أي نزّهه عن العجز عمّا يمكن، والوصف بما يوجب التشبيه، حامداً له على ما أنعم عليك من إصابة الحقّ وغيرها ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ يعني الفجر والعصر ﴿وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ أي وسبّحه بعض اللّيل ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ وأعقاب الصلاة، وقيل: المراد بالتسبيح الصلاة، فالصلاة قبل الطلوع الصبح، وقبل الغروب الظهر والعصر، ومن اللّيل العشاءان والتهجّد، وأدبار السجود النوافل بعد المكتوبات، وقيل: الوتر بعد العشاء[5].

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٤.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ١١٦.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ١٤٤.
(٤) مجمع البيان، ج ٩ ص ١٧٠.
(٥) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ١٨٢.

وقال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ فيه أقوال:

أحدها: أن المراد به الركعتان بعد المغرب ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ الركعتان قبل الفجر عن عليّ والحسن بن عليّ عليهما السلام. وثانيها: أنّه التسبيح بعد كلّ صلاة. وثالثها: أنّه النوافل بعد المفروضات. ورابعها: أنّه الوتر من آخر اللّيل، وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام [(١)].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ قال البيضاويّ: أي بمسلّط تقسرهم على الإيمان، أو تفعل بهم ما تريد، وإنّما أنت داع[(٢)].

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: بإمهالهم وإبقائك في عنائهم ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ في حفظنا بحيث نراك ونكلأك ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ عن أيّ مكان قمت، أو من منامك، أو إلى الصلاة ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ فإنّ العبادة فيه أشقّ على النفس وأبعد عن الرئاء ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ وإذا أدبرت النجوم من آخر اللّيل[(٣)].

وقال الطبرسيّ رحمه الله: يعني الركعتين قبل صلاة الفجر وهو المرويّ عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام [(٤)].

وقال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿نٓ﴾: من أسماء الحروف، وقيل: اسم الحوت والمراد به الجنس أو اليهموت وهو الّذي عليه الأرض، أو الدواة، فإنّ بعض الحيتان يستخرج منه شيء أسود يكتب به[(٥)].

وقال الطبرسيّ: روي مرفوعاً إلى النبيّ ﷺ قال: هو نهر في الجنّة قال الله له: كن مداداً فجمد، وكان أبيض من اللّبن، وأحلى من الشهد، ثمّ قال للقلم: اكتب فكتب القلم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام [(٦)].

﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ قال البيضاويّ: هو الّذي خطّ اللّوح، أو الّذي يخطّ به، أقسم به لكثرة فوائده ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ وما يكتبون، والضمير للقلم بالمعنى الأوّل على التعظيم، أو بالمعنى الثاني على إرادة الجنس، وإسناد الفعل إلى الآلة وإجرائه مجرى أولي العلم لإقامته مقامه، أو لأصحابه، أو للحفظة، وما مصدريّة أو موصولة ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ جواب القسم، والمعنى ما أنت بمجنون منعماً عليك بالنبوّة وحصافة الرأي ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾ على الاحتمال أو الإبلاغ ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع، أو ممنون به عليك من الناس، فإنّه تعالى يعطيك بلا توسّط ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ إذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله أمثالك ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾ أيكم الّذي فتن بالجنون، والباء مزيدة، أو بأيكم الجنون، على أن

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٥٠.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ١٨٤.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٢٠١.
(٤) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٨٣.
(٥) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٠٤.
(٦) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٨٥.

﴿ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ مصدر، أو بأيّ الفريقين منكم الجنون؟ أبفريق المؤمنين، أو بفريق الكافرين؟ أي في أيّهما من يستحقّ هذا الاسم[١] ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ يونس ﴿إِذۡ نَادَىٰ﴾ في بطن الحوت ﴿وَهُوَ مَكۡظُومٞ﴾ مملوّ غيظاً في الضجرة فتبتلى ببلائه[٢].

وقال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ أي على دين عظيم، وقيل: معناه إنّك متخلّق بأخلاق الإسلام، وعلى طبع كريم، وقيل: سمّي خلقه عظيماً لاجتماع مكارم الأخلاق فيه، ويعضده ما روي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق»، وقال صلى الله عليه وآله: «أدّبني ربّي فأحسن تأديبي» وقال: وأخبرني السيّد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسينيّ، عن أبي القاسم الحسكانيّ بإسناده عن الضحّاك بن مزاحم قال: لمّا رأت قريش تقديم النبيّ صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام وإعظامه له نالوا من عليّ عليه السلام، وقالوا: قد افتتن به محمّد صلى الله عليه وآله، فأنزل الله تعالى ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ قسم أقسم الله به ﴿مَآ أَنتَ﴾ يا محمّد ﴿بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾ يعني القرآن إلى قوله: ﴿بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ وهم النفر الّذين قالوا ما قالوا ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٣].

وقال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿مُلۡتَحَدًا﴾ أي منحرفاً وملتجأ ﴿إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ استثناء من قوله: ﴿لَآ أَمۡلِكُ﴾ فإنّ التبليغ إرشاد وإنفاع، أو من ﴿مُلۡتَحَدًا﴾ و ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ عطف على ﴿بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في الأمر بالتوحيد، إذ الكلام فيه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ في الدنيا كوقعة بدر أو في الآخرة ﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ﴾ أي ما أدري ﴿أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾ غاية يطول مدّتها، كأنّه لمّا سمع المشركون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ قالوا: متى يكون؟ إنكاراً، قيل: قل: إنّه كائن لا محالة، ولكن لا أدري وقته ﴿فَلَا يُظۡهِرُ﴾ فلا يطلع ﴿عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ أي على الغيب المخصوص به علمه ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ يعلم بعضه حتّى يكون له معجزة ﴿مِن رَّسُولٖ﴾ بيان ﴿مَنِ﴾.

﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾ من بين يدي المرتضى ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾ حرساً من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم ﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ﴾ أي ليعلم النبيّ الموحى إليه أن قد أبلغ جبرئيل والملائكة النازلون بالوحي، أو ليعلم الله أن أبلغ الأنبياء بمعنى ليتعلّق علمه به موجوداً ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ كما هي محروسة عن التغيير ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾ بما عند الرسل ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ حتّى القطر والرمل[٤].

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٠٤.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣١١.
(٣) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٨٦.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٢٠.

وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾ أي قم إلى الصّلاة، أو داوم عليها ﴿إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ الاستثناء من ﴿ٱلَّيۡلَ﴾ و﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ بدل من ﴿قَلِيلٗا﴾ وقلّته بالنسبة إلى الكلّ، والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين، والناقص عنه كالثلث، أو ﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ بدل من ﴿ٱلَّيۡلَ﴾ والاستثناء منه، والضمير في ﴿مِنۡهُ﴾ و﴿عَلَيۡهِ﴾ للأقل من النصف كالثلث، فيكون التخيير بينه وبين الأقل منه كالربع، والأكثر منه كالنصف، أو للنّصف، والتخيير بين أن يقوم أقلّ منه على البتّ، وأن يختار أحد الأمرين من الأقل والأكثر، أو الاستثناء من أعداد اللّيل، فإنّه عامّ، والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكّن السامع من عدّها ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ يعني القرآن. فإنّه لما فيه من التكاليف الشاقّة ثقيل على المكلّفين، أو رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه، أو ثقيل على المتأمّل فيه لافتقاره إلى مزيد تصفية للسّر، وتحديد للنّظر، أو ثقيل في الميزان، أو على الكفّار والفجّار، أو ثقيل تلقّيه لقول عائشة: رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فينفصم عنه وإنّ جبينه ليرفضّ عرقاً ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ إنّ النفس الّتي تنشأ من مضجعها إلى العبادة، من نشأ من مكانه: إذا نهض، أو قيام اللّيل على أن الناشئة له، أو العبادة الّتي تنشأ باللّيل، أي تحدث، أو ساعات اللّيل، فإنّها تحدث واحدة بعد أُخرى، أو ساعاتها الأول من نشأت: إذا ابتدأت ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا﴾ أي كلفة، أو ثبات قدم ﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ وأسدّ مقالاً، أو أثبت قراءة لحضور القلب، وهدوء الأصوات ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ تقلّباً في مهامّك واشتغالاً بها، فعليك بالتهجّد، فإنّ مناجاة الحقّ تستدعي فراغاً ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ ودم على ذكره ليلاً ونهاراً ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ وانقطع إليه بالعبادة، وجرّد نفسك عمّا سواه ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ خبر محذوف، أو مبتدأ خبره ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ مسبّب عن التهليلة، فإنّ توحّده بالألوهيّة يقتضي أن توكل إليه الأمور ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ من الخرافات ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ بأن تجانبهم وتداريهم ولا تكافيهم، وتكل أمرهم إلى الله كما قال: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ دعني وإيّاهم، وكل إليّ أمرهم ﴿أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾ أرباب التنعّم، يريد صناديد قريش ﴿وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾ زمانا أو إمهالاً ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ استعار الأدنى للأقل لأنّ الأقرب إلى الشيء أقلّ بعداً منه و«نصفه» و «ثلثه» عطف على ﴿أَدۡنَىٰ﴾.

﴿وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾ ويقوم ذلك جماعة من أصحابك ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي إلاّ الله ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾ أي لن تحصوا تقدير الأوقات، ولن تستطيعوا ضبط الساعات ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ بالترخيص في ترك القيام المقدور، ورفع التبعة فيه ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ فصلّوا ما تيسّر عليكم من صلاة اللّيل، عبر عن الصلاة بالقراءة كما عبّر عنها بسائر أركانها، قيل: كان التهجّد واجباً على التخيير المذكور، فعسر عليهم القيام به

فنسخ به، ثمّ نسخ هذا بالصلوات الخمس، أو فاقرأوا القرآن بعينه كيفما تيسّر عليكم ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ استئناف يبيّن حكمة أخرى مقتضية للترخيص والتخفيف، ولذلك كرّر الحكم مرتّباً عليه، وقال: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ والضرب في الأرض: ابتغاء للفضل، أو المسافرة للتجارة، وتحصيل العلم[1].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ أي المتدثّر، وهو لابس الدثار، وسيأتي القول فيه ﴿قُمْ﴾ من مضجعك، أو قم قيام عزم وجد ﴿فَأَنذِرْ﴾ مطلق للتعميم، أو مقدّر بمفعول دلّ عليه قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ وخصّص ربّك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقداً وقولاً ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ من النجاسات فإنّ التطهير واجب في الصلاة، محبوب في غيرها، وذلك بغسلها أو بحفظها عن النجاسة كتقصيرها مخافة جرّ الذيول فيها، وهو أوّل ما أمر به من رفض العادات المذمومة، أو طهّر نفسك من الأخلاق والأفعال الذميمة أو فطهّر دثار النبوّة عمّا يدنّسه من الحقد والضجر وقلّة الصبر ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدّي إليه من الشرك وغيره من القبائح ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ ولا تعط مستكثراً، نهي عن الاستغزار، وهو أن يهب شيئاً طامعاً في عوض أكثر، نهي تنزيه، أو نهياً خاصّاً به ﷺ، أو لا تمنن على الله بعبادتك مستكثراً إيّاها، أو على الناس بالتبليغ مستكثراً به الأجر منهم، أو مستكثراً إيّاها ﴿وَلِرَبِّكَ﴾ ولوجهه أوأمره ﴿فَٱصْبِرْ﴾ فاستعمل الصبر، أو فاصبر على مشاقّ التكاليف وأذى المشركين[2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أي كلّ واحد من مرتكب الإثم، الداعي لك إليه، ومن الغالي في الكفر الداعي إليه ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي وداوم على ذكره، أو دم على صلاة الفجر والظهر والعصر، فإنّ الأصيل يتناول وقتيهما ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ وبعض الليل فصلّ له، ولعلّ المراد به صلاة المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ وتهجّد له طائفة طويلة من الليل[3].

١ - ل، لي: أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبان الأحمر، عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقد بلي ثوبه، فحمل إليه اثني عشر درهماً، فقال: يا عليّ خذ هذه الدراهم فاشتر لي ثوباً ألبسه، قال عليّ عليه السلام: فجئت إلى السوق فاشتريت له قميصاً باثني عشر درهماً، وجئت به إلى رسول الله ﷺ، فنظر إليه فقال: يا عليّ غير هذا أحبّ إليّ، أترى صاحبه يقيلنا؟ فقلت: لا أدري، فقال: انظر، فجئت إلى صاحبه فقلت: إنّ رسول الله ﷺ قد كره هذا يريد ثوباً دونه فأقلنا فيه، فرد عليّ

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٣٧.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٤٢.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٦١.

الدراهم، وجئت به إلى رسول الله ﷺ فمشى معي إلى السوق ليبتاع قميصاً، فنظر إلى جارية قاعدة على الطريق تبكي، فقال لها رسول الله ﷺ: ما شأنك؟ قالت: يا رسول الله إنّ أهل بيتي أعطوني أربعة دراهم لأشتري لهم بها حاجة فضاعت فلا أجسر أن أرجع إليهم، فأعطاها رسول الله ﷺ أربعة دراهم، وقال: ارجعي إلى أهلك، ومضى رسول الله ﷺ إلى السوق فاشترى قميصاً بأربعة دراهم، ولبسه وحمد الله، وخرج فرأى رجلاً عرياناً يقول: من كساني كساه الله من ثياب الجنّة، فخلع رسول الله ﷺ قميصه الّذي اشتراه وكساه السائل، ثمّ رجع إلى السوق فاشترى بالأربعة الّتي بقيت قميصاً آخر، فلبسه وحمد الله ورجع إلى منزله، وإذا الجارية قاعدة على الطريق، فقال لها رسول الله ﷺ: ما لك لا تأتين أهلك؟ قالت: يا رسول الله إنّي قد أبطأت عليهم وأخاف أن يضربوني، فقال رسول الله ﷺ: مرّي بين يديّ ودلّيني على أهلك، فجاء رسول الله ﷺ حتّى وقف على باب دارهم، ثمّ قال: السلام عليكم يا أهل الدار، فلم يجيبوه، فأعاد السلام فلم يجيبوه، فأعاد السلام فقالوا: عليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال لهم: ما لكم تركتم إجابتي في أوّل السلام والثاني؟ قالوا: يا رسول الله سمعنا سلامك فأحببنا أن نستكثر منه، فقال رسول الله ﷺ: إنّ هذه الجارية أبطأت عليكم فلا تؤاخذوها، فقالوا: يا رسول الله هي حرّة لممشاك، فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله، ما رأيت اثني عشر درهماً أعظم بركة من هذه، كسى الله بها عريانين، وأعتق بها نسمة[1].

٢ - **لي:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن عبد الله بن الصلت، عن يونس، عن ابن حميد، عن محمّد بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: خمس لا أدعهن حتّى الممات: الأكل على الحضيض مع العبيد، وركوبي الحمار مؤكفاً، وحلبي العنز بيدي، ولبس الصوف، والتسليم على الصبيان، لتكون سنّة من بعدي[2].

٣ - **ن، ع:** المظفّر العلويّ، عن ابن العيّاشيّ، عن أبيه، عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن محمّد بن الوليد، عن العبّاس بن هلال، عن الرضا، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام مثله[3].

ل: ابن المتوكّل، عن السعدآباديّ، عن البرقيّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، وصفوان معاً عن الحسين بن مصعب، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام مثله.

بيان: الأكل على الحضيض: الأكل على الأرض من غير أن يكون خوان، قال الجوهريّ: والحضيض: القرار من الأرض عند منقطع الجبل، وفي الحديث «إنه أُهدي إلى

(١) الخصال، ص ١٩٩ باب الاثني عشر ح ٦٩، أمالي الصدوق، ص ١٩٨ مجلس ٤٢ ح ٥.
(٢) أمالي الصدوق، ص ٦٧ مجلس ١٧ ح ٢.
(٣) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٨٧ باب ٣٢ ح ١٤، علل الشرائع، ج ١ ص ١٥٧ باب ١٠٨ ح ١.

رسول الله صلى الله عليه وآله هديّة فلم يجد شيئاً يضعه عليه، فقال: ضعه بالحضيض، فإنّما أنا عبد آكل كما يأكل العبد» يعني بالأرض.

وقال الفيروزآباديّ: إكاف الحمار ككتاب وغراب ووكافه: برذعته، والأكّاف: صانعه، وآكف الحمار إيكافاً وأكفه تأكيفاً: شدّه عليه.

أقول: سيأتي شرح الخبر بتمامه في كتاب الآداب والسنن إن شاء الله تعالى.

٤ - **لي:** العطّار، عن أبيه، عن ابن عيسى، عن أبيه، عن صفوان بن يحيى، عن العيص ابن القاسم قال: قلت للصّادق جعفر بن محمّد عليه السلام: حديث يروى عن أبيك عليه السلام أنّه قال: ما شبع رسول الله صلى الله عليه وآله من خبز برّ قطّ، أهو صحيح؟ فقال: لا، ما أكل رسول الله صلى الله عليه وآله خبز برّ قطّ، ولا شبع من خبز شعير قطّ[1].

٥ - **لي:** ابن إدريس، عن ابن عيسى، عن محمّد بن يحيى الخزّاز، عن موسى بن إسماعيل، عن أبيه، عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ يهوديّاً كان له على رسول الله صلى الله عليه وآله دنانير فتقاضاه فقال له: يا يهوديّ ما عندي ما أعطيك فقال: فإنّي لا أفارقك يا محمّد حتّى تقضيني، فقال: إذاً أجلس معك، فجلس معه حتّى صلّى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يتهدّدونه ويتواعدونه، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إليهم فقال: ما الّذي تصنعون به؟ فقالوا يا رسول الله يهوديّ يحبسك؟ فقال صلى الله عليه وآله: لم يبعثني ربّي عزّ وجلّ بأن أظلم معاهداً ولا غيره، فلمّا علا النهار قال اليهوديّ: أشهد أنّ لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله، وشطر مالي في سبيل الله، أما والله ما فعلت بك الّذي فعلت إلاّ لأنظر إلى نعتك في التوراة، فإنّي قرأت نعتك في التوراة: محمّد بن عبد الله مولده بمكّة ومهاجره بطيبة، وليس بفظّ ولا غليظ ولا سخّاب، ولا متزيّن بالفحش، ولا قول الخناء، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنك رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا مالي، فاحكم فيه بما أنزل الله، وكان اليهوديّ كثير المال، ثمّ قال عليه السلام: كان فراش رسول الله صلى الله عليه وآله عباءة، وكانت مرفقته أدم حشوها ليف، فثنيت له ذات ليلة، فلمّا أصبح قال: لقد منعني الفراش اللّيلة الصلاة، فأمر عليه السلام أن يجعل بطاق واحد[2].

بيان: قال الجزريّ: فيه من قتل معاهداً لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، يجوز أن يكون بكسر الهاء وفتحها على الفاعل والمفعول، وهو في الحديث بالفتح أشهر وأكثر، والمعاهد: من كان بينك وبينه عهد، وأكثر ما يطلق في الحديث على أهل الذمّة، وقد يطلق على غيرهم من الكفّار إذا صولحوا على ترك الحرب مدّة ما، وقال: الشطر: النصف.

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٢٦٣ مجلس ٥٢ ح ٦.

(٢) أمالي الصدوق، ص ٣٧٦ مجلس ٧١ ح ٦.

وقال الجوهريّ: طيبة على وزن شيبة: اسم مدينة الرسول ﷺ، والصخب بالصّاد وبالسّين: الضجّة، واضطراب الأصوات للخصام. قوله عليه السلام: ولا متزيّن، في بعض النسخ بالزاء المعجمة، أي لم يجعل الفحش زينة كما يتّخذه اللّئام، وفي بعضها بالراء أي لا يدنس نفسه بذلك. والخناء أيضاً الفحش في القول، والمرفقة بالكسر: الوسادة.

٦ - **فس:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ في بيت أمّ سلمة في ليلتها، ففقدته من الفراش، فدخلها في ذلك ما يدخل النساء، فقامت تطلبه في جوانب البيت حتّى انتهت إليه وهو في جانب من البيت قائم رافع يديه يبكي وهو يقول: «اللّهمّ لا تنزع منّي صالح ما أعطيتني أبداً، اللّهمّ لا تشمت بي عدوّاً ولا حاسداً أبداً، اللّهمّ ولا تردّني في سوء استنقذتني منه أبداً، اللّهمّ ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً» قال: فانصرفت أمّ سلمة تبكي حتّى انصرف رسول الله ﷺ لبكائها فقال لها: ما يبكيك يا أمّ سلمة؟ فقالت: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله ولم لا أبكي وأنت بالمكان الّذي أنت به من الله، قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، تسأله أن لا يشمت بك عدوّاً أبداً، وأن لا يردّك في سوء استنقذك منه أبداً، وأن لا ينزع منك صالحاً أعطاك أبداً، وأن لا يكلك إلى نفسك طرفة عين أبداً؟ فقال: يا أمّ سلمة وما يؤمنني؟ وإنّما وكل الله يونس بن متى إلى نفسه طرفة عين وكان منه ما كان(١).

٧ - **ب:** ابن طريف، عن ابن علوان، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: جاء إلى النبيّ ﷺ سائل يسأله، فقال رسول الله ﷺ: هل من أحد عنده سلف؟ فقام رجل من الأنصار من بني الجبلي فقال: عندي يا رسول الله، قال: فأعط هذا السائل أربعة أوساق تمر، قال: فأعطاه، قال: ثمّ جاء الأنصاريّ بعد إلى النبيّ ﷺ يتقاضاه فقال له: يكون إن شاء الله ثمّ عاد إليه فقال: يكون إن شاء الله، ثمّ عاد إليه الثالثة فقال: يكون إن شاء الله، فقال: قد أكثرت يا رسول الله من قول: يكون إنّ شاء الله، قال: فضحك رسول الله، وقال: هل من رجل عنده سلف؟ قال: فقام رجل فقال له: عندي يا رسول الله، قال: وكم عندك؟ قال: ما شئت، قال: فأعط هذا ثمانية أوسق من تمر، فقال الأنصاريّ: إنّما لي أربعة يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: وأربعة أيضاً(٢).

٨ - **ب:** ابن طريف، عن ابن علوان، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام إنّ رسول الله ﷺ لم يورّث ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا وليدةً ولا شاة ولا بعيراً، ولقد قبض ﷺ وإنّ درعه مرهونة عند يهوديّ من يهود المدينة بعشرين صاعاً من شعير استلفها نفقة لأهله(٣).

٩ - **ب:** أبو البختريّ، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام أن المساكين كانوا يبيتون في المسجد

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٩ وفيه: فكان منه ما كان.

(٢) - (٣) قرب الإسناد، ص ٩١ ح ٣٠٣-٣٠٤.

على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، فأفطر النبيّ صلى الله عليه وآله مع المساكين الّذين في المسجد ذات ليلة عند المنبر في برمة فأكل منها ثلاثون رجلاً، ثمّ ردّت إلى أزواجه شبعهنّ[١].

١٠ - **ب:** محمّد بن الوليد، عن ابن بكير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصلاة قاعداً أو يتوكّأ على عصا، أو على حائط؟ فقال: لا، ما شأن أبيك وشأن هذا؟ ما بلغ أبوك هذا بعد أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما عظم أو بعدما ثقل كان يصلّي وهو قائم، ورفع إحدى رجليه حتّى أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝﴾ فوضعها[٢].

بيان: لعلّ تحمّل هذه الأثقال في العبادة كان في الشريعة ثمّ نسخ.

١١ - **ل:** محمّد بن عمر الحافظ البغداديّ، عن إسحاق بن جعفر العلويّ، عن أبيه جعفر ابن محمّد، عن عليّ بن محمّد العلويّ المعروف بالمشلّل، عن سليمان بن محمّد القرشيّ، عن إسحاق بن أبي زياد، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خمس لست بتاركهنّ حتّى الممات: لباسي الصوف، وركوبي الحمار مؤكفاً، وأكلي مع العبيد، وخصفي النعل بيدي، وتسليمي على الصبيان لتكون سنّة من بعدي[٣].

١٢ - **ن:** بالأسانيد الثلاثة، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أتاني ملك فقال: يا محمّد إنّ ربّك يقرئك السلام، ويقول: إن شئت جعلت لك بطحاء مكّة ذهباً، قال: فرفع رأسه إلى السماء وقال: يا ربّ أشبع يوماً فأحمدك، وأجوع يوماً فأسألك[٤].

صح: عنه عليه السلام مثله. «ص ٥٩ ح ٥٢».

جا: عمر بن محمّد، عن ابن مهرويه، عن داود بن سليمان، عنه عليه السلام مثله. «ص ١٢٤».

١٣ - **ن:** بإسناد التميميّ، عن الرضا، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام قال: كان النبيّ صلى الله عليه وآله يضحي بكبشين أملحين أقرنين[٥].

١٤ - **ن:** بهذا الإسناد قال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يتختّم في يمينه[٦].

١٥ - **ن:** وبهذا الإسناد قال: ما شبع النبيّ صلى الله عليه وآله من خبز برّ ثلاثة أيّام حتّى مضى لسبيله[٧].

١٦ - **ن:** الحسين بن أحمد البيهقيّ، عن محمّد بن يحيى الصوليّ، عن سهل بن القاسم النوشجانيّ قال: قال رجل للرّضا عليه السلام: يابن رسول الله إنّه يروى عن عروة بن زبير أنّه قال:

---

(١) قرب الإسناد، ص ١٤٨ ح ٥٣٦. (٢) قرب الإسناد، ص ١٧١ ح ٦٢٦.
(٣) الخصال، ص ٢٧١ مجلس ٥ ح ١٣.
(٤) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٣٣ باب ٣١ ح ٢٦.
(٥) - (٦) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٦٨ باب ٣١ ح ٢٦٠ و٢٦٨.
(٧) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٧٠ باب ٣١ ح ٢٨١.

توفّي النبيّ ﷺ وهو في تقيّة، فقال: أمّا بعد قول الله عزّوجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فإنّه أزال كلّ تقيّة بضمان الله عزّوجلّ له وبيّن أمر الله، ولكن قريشاً فعلت ما اشتهت بعده، وأمّا قبل نزول هذه الآية فلعلّه(١).

١٧ - **ما:** المفيد، عن الحسين بن محمّد التمّار، عن محمّد بن إسكاب، عن مصعب بن المقدام بن شريح، عن أبيه، عن عائشة أن النبيّ ﷺ كان إذا رأى ناشئاً ترك كلّ شيء، وإن كان في صلاة، وقال: «اللهم إنّي أعوذ بك من شر ما فيه» فإن ذهب حمد الله، وإن أمطر قال: «اللهم اجعله ناشئاً نافعاً» والناشيء: السحاب، والمخيلة أيضاً: السحابة(٢).

بيان: قوله: والناشيء إلى آخر الكلام إمّا كلام الشيخ، أو بعض الرواة وقال الجزريّ: فيه كان إذا رأى ناشئاً في أفق السماء، أي سحاباً لم يتكامل اجتماعه واصطحابه.

١٨ - **ما:** ابن حشيش، عن أحمد، عن سليمان بن أحمد الطبرانيّ، عن عمرو بن ثور، عن محمّد بن يوسف، عن سفيان الثوريّ، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة قال: ما شبع آل محمّد عليه السلام ثلاثة أيّام تباعاً حتّى لحق بالله عزّوجلّ(٣).

١٩ - **ما:** ابن مخلّد، عن الخالديّ، عن الحسن بن عليّ القطّان، عن عبّاد بن موسى، عن إبراهيم بن سليمان، عن عبد الله بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس قال: كان رسول الله ﷺ يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعتقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير(٤).

٢٠ - **ما:** حمويه بن عليّ، عن محمّد بن محمّد بن بكر الهزاليّ، عن الفضل بن الحباب، عن سلم، عن أبي هلال، عن بكر بن عبد الله أن عمر بن الخطّاب دخل على النبيّ ﷺ وهو موقوذ - أو قال: محموم - فقال له عمر: يا رسول الله ما أشدّ وعكك أو حماك؟ فقال: ما منعني ذلك أن قرأت اللّيلة ثلاثين سورة فيهنّ السبع الطول، فقال عمر: يا رسول الله غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر وأنت تجتهد هذا الاجتهاد؟ فقال: يا عمر أفلا أكون عبداً شكوراً؟(٥).

بيان: قال الفيروزآباديّ: الموقوذ: الشديد المرض المشرف، ووقذه: صرعه، وسكنه، وغلبه، وتركه عليلاً كأوقذه، وقال: الوعك: أدنى الحمّى ووجعها ومغثها في البدن، وألم من شدّة التعب.

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ١٣٨ باب ٣٥ ح ١٠.
(٢) أمالي الطوسي، ص ١٢٨ مجلس ٥ ح ٢٠١.
(٣) أمالي الطوسي، ص ٣١١ مجلس ١١ ح ٦٢٩.
(٤) أمالي الطوسي، ص ٣٩٣ مجلس ١٤ ح ٨٦٦.
(٥) أمالي الطوسي، ص ٤٠٤ مجلس ١٤ ح ٩٠٣.

٢١ - ع: عليّ بن حاتم، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن إسماعيل، عن الحسين بن موسى، عن أبيه، عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله مكفّراً لا يشكر معروفه، ولقد كان معروفه على القرشيّ والعربيّ والعجميّ، ومن كان أعظم معروفاً من رسول الله صلى الله عليه وآله على هذا الخلق؟ وكذلك نحن أهل البيت مكفّرون لا يشكر معروفنا، وخيار المؤمنين مكفّرون لا يشكر معروفهم(١).

٢٢ - ع: أبي، عن القاسم بن محمّد بن عليّ بن إبراهيم النهاونديّ، عن صالح بن راهويه، عن أبي جويد مولى الرضا عليه السلام عن الرضا عليه السلام قال: نزل جبرئيل على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد إنّ ربّك يقرئك السلام، ويقول: إنّ الأبكار من النساء بمنزلة الثّمر على الشجر، فإذا أينع الثمر فلا دواء له إلاّ اجتناؤه، و إلاّ أفسدته الشمس، وغيّرته الريح، وإنّ الأبكار إذا أدركن ما تدرك النساء فلا دواء لهن إلاّ البعول، و إلاّ لم يؤمن عليهنّ الفتنة، فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر فجمع النّاس ثمّ أعلمهم ما أمر الله عزّ وجلّ به، فقالوا: ممّن يا رسول الله؟ فقال: من الأكفاء، فقالوا: ومن الأكفاء؟ فقال: المؤمنون بعضهم أكفاء بعض، ثمّ لم ينزل حتّى زوّج ضباعة من المقداد بن الأسود، ثمّ قال: أيّها الناس إنّي زوجت ابنة عمّي المقداد ليتّضع النكاح(٢).

٢٣ - ير: محمّد بن الحسين، عن جعفر بن محمّد بن يونس، عن حمّاد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان في مكان ومعه رجل من أصحابه وأراد قضاء حاجة، فقام إلى الأشاءين يعني النخلتين، فقال لهم اجتمعا، فاستتر بهما النبيّ صلى الله عليه وآله فقضى حاجته، ثمّ قام فجاء الرجل فلم ير شيئاً(٣).

بيان: قال الجوهريّ: الأشاء بالفتح والمدّ: صغار النخل.

٢٤ - **ص:** الصدوق: عن عبد الله بن حامد، عن أحمد بن محمّد بن الحسين، عن محمّد ابن يحيى أبي صالح، عن اللّيث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة، أن جابر بن عبد الله قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بمرّ الظهران يرعى الغنم، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: عليكم بالأسود منه فإنّه أطيبه، قالوا: ترعى الغنم؟ قال: نعم وهل نبيّ إلاّ رعاها(٤)؟.

٢٥ - **ص:** الصدوق، عن أبيه، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن سيف بن حاتم، عن رجل من ولد عمّار يقال له: أبو لؤلؤة سمّاه عن آبائه قال: قال عمّار رضي الله عنه: كنت أرعى غنيمة أهلي، وكان محمّد صلى الله عليه وآله يرعى أيضاً، فقلت: يا محمّد هل لك في فخ فإنّي تركتها

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٨٢ باب ٣٥٣ ح ٣.
(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٠٢ باب ٣٨٥ ح ٤.
(٣) بصائر الدرجات، ص ٢٤٥ ح ٥ باب ١٣ ح ٩.
(٤) قصص الأنبياء، ص ٢٨٤.

روضة برق؟ قال: نعم، فجئتها من الغد وقد سبقني محمّد ﷺ وهو قائم يذود غنمه عن الروضة قال: إنّي كنت واعدتك فكرهت أن أرعى قبلك[(١)].

بيان: قال الفيروزآباديّ: البرق محرّكة: الحمل معرّب برة، وقال: الأبرق: غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة، والبرقة بالضمّ: غلظ، الأبرق وبرق: ديار العرب تنيف على مائة منها: برقة الأثماد، والأوجال، والأجداد، وعدّها إلى أن قال: والنجد، ويثرب، واليمامة، هذه برق العرب.

٢٦ - **سن:** أبي، عن النوفليّ، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: خلق الله العقل فقال له: أدبر فأدبر، ثمّ قال له: أقبل فأقبل، ثمّ قال: ما خلقت خلقاً أحبّ إليّ منك، فأعطى الله محمّداً تسعة وتسعين جزءاً، ثمّ قسّم بين العباد جزءاً واحداً[(٢)].

٢٧ - **صح:** عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ضعفت عن الصلاة والجماع، فنزلت عليّ قدرٌ من السّماء، فأكلت منها فزاد في قوّتي قوّة أربعين رجلاً في البطش والجماع[(٣)].

٢٨ - **صح:** عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: كنّا مع النبيّ ﷺ في حفر الخندق إذ جاءت فاطمة ومعها كسيرة من خبز فدفعتها إلى النبيّ ﷺ، فقال النبيّ ﷺ: ما هذه الكسيرة؟ قالت: خبزته قرصاً للحسن والحسين جئتك منه بهذه الكسيرة، فقال النبيّ ﷺ: يا فاطمة أما إنّه أوّل طعام دخل جوف أبيك منذ ثلاث[(٤)].

ن: بالأسانيد الثلاثة عنه عليه السلام مثله[(٥)].

٢٩ - **سن:** عليّ بن الحكم، عن أبي المغرا، عن ابن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ يأكل أكل العبد، ويجلس جلوس العبد، ويعلم أنّه عبد[(٦)].

بيان: أكل العبد: الأكل على الأرض كما مرّ، وجلوس العبد: الجلوس على الركبتين.

٣٠ - **سن:** أبي، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ يأكل أكل العبد، ويجلس جلسة العبد، وكان يأكل على الحضيض، وينام على الحضيض[(٧)].

٣١ - **سن:** صفوان، عن ابن مسكان، عن الحسن الصيقل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام

(١) قصص الأنبياء، ص ٢٨٥.
(٢) المحاسن، ص ١٩٢.
(٣) صحيفة الإمام الرضا، ص ٨٣ ح ١٣٤.
(٤) صحيفة الإمام الرضا، ص ٥٩ ح ٥١.
(٥) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٤٣ باب ٣١ ح ١٢٣.
(٦) - (٧) المحاسن، ص ٤٥٦.

يقول: مرّت امرأة بدويّة برسول الله ﷺ وهو يأكل وهو جالس على الحضيض، فقالت: يا محمّد والله إنّك لتأكل أكل العبد، وتجلس جلوسه، فقال لها رسول الله ﷺ: ويحك أي عبد أعبد منّي؟ قالت: فناولني لقمة من طعامك، فناولها، فقالت: لا والله إلاّ التي في فمك، فأخرج رسول الله ﷺ اللّقمة من فمه فناولها، فأكلتها، قال أبو عبد الله عليه السلام: فما أصابها داء حتّى فارقت الدنيا(١).

مكا: من كتاب النبوّة، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله. «ص ١٦».

كا: عليّ، عن أبيه، عن صفوان مثله. «ج ٦ باب ١٩٤ ح ٢».

٣٢ - **يج:** روي عن الصادق عليه السلام أن رسول الله ﷺ أقبل إلى الجعرانة فقسّم فيها الأموال، وجعل الناس يسألونه فيعطيهم حتّى ألجاوه إلى الشجرة، فأخذت برده وخدشت ظهره حتّى جلوه عنها وهم يسألونه، فقال: أيّها الناس ردّوا عليّ بردي، والله لو كان عندي عدد شجر تهامة نعماً لقسّمته بينكم، ثمّ ما ألفيتموني جباناً ولا بخيلاً، ثمّ خرج من الجعرانة في ذي القعدة، قال: فما رأيت تلك الشجرة إلاّ خضراء كأنّما يرشّ عليه الماء(٢).

٣٣ - وفي رواية أخرى: حتّى انتزعت الشجرة رداءه، وخدشت الشجرة ظهره(٣).

بيان: قال الجوهريّ: جلوا عن أوطانهم وجلوتهم أنا، يتعدّى ولا يتعدّى.

٣٤ - **قب:** أمّا آدابه ﷺ فقد جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار: كان النبيّ ﷺ أحكم الناس وأحلمهم وأشجعهم وأعدلهم وأعطفهم، لم تمسّ يده يد امرأة لا تحلّ، وأسخى الناس، لا يثبت عنده دينار ولا درهم، فإن فضل ولم يجد من يعطيه ويجنّه اللّيل لم يأو إلى منزله حتّى يتبرّأ منه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذ ممّا آتاه الله إلاّ قوت عامه فقطّ من يسير ما يجد من التمر والشعير، ويضع سائر ذلك في سبيل الله، ولا يسأل شيئاً إلاّ أعطاه، ثمّ يعود إلى قوت عامه فيؤثر منه حتّى ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء، وكان يجلس على الأرض، وينام عليها، ويأكل عليها، وكان يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويفتح الباب، ويحلب الشاة، ويعقل البعير فيحلبها، ويطحن مع الخادم إذا أعيا، ويضع طهوره باللّيل بيده، ولا يتقدّمه مطرق، ولا يجلس متكئاً، ويخدم في مهنة أهله، ويقطع اللّحم، وإذا جلس على الطعام جلس محقّراً، وكان يلطع أصابعه، ولم يتجشأ قطّ، ويجيب دعوة الحرّ والعبد ولو على ذراع أو كراع، ويقبل الهديّة ولو أنّها جرعة لبن ويأكلها، ولا يأكل الصدقة، لا يثبت بصره في وجه أحد، يغضب لربّه ولا يغضب لنفسه، وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع، يأكل ما حضر، ولا يردّ ما وجد، لا يلبس ثوبين، يلبس برداً حبرة يمنيّة، وشملة جبّة صوف، والغليظ من القطن والكتّان، وأكثر ثيابه البياض، ويلبس العمامة، ويلبس القميص من قبل ميامنه، وكان له ثوب للجمعة خاصّة، وكان إذا لبس جديداً

---

(١) المحاسن، ص ٤٥٧.

(٢) - (٣) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٩٨ ح ١٥٩.

أعطى خلق ثيابه مسكيناً، وكان له عباء يفرش له حيث ما ينقل تثنى ثنيتين، يلبس خاتم فضّة في خنصره الأيمن، يحبّ البطّيخ، ويكره الريح الرديّة، ويستاك عند الوضوء، يردف خلفه عبده أو غيره، يركب ما أمكنه من فرس أو بغلة أو حمار، ويركب الحمار بلا سرج وعليه العذار، ويمشي راجلاً وحافياً بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة، ويشيّع الجنائز، ويعود المرضى في أقصى المدينة، يجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين، ويناولهم بيده، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألّف أهل الشرف بالبرّ لهم، يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على غيرهم إلاّ بما أمر الله، ولا يجفو على أحد، يقبل معذرة المعتذر إليه، وكان أكثر الناس تبسّماً ما لم ينزل عليه قرآن أو لم تجر عظةٌ، وربما ضحك من غير قهقهة، لا يرتفع على عبيده وإمائه في مأكل ولا ملبس، ما شتم أحداً بشتمة ولا لعن امرأة ولا خادماً بلعنة، ولا لاموا أحداً إلاّ قال: دعوه، ولا يأتيه أحد حرّ أو عبدٌ أو أمة إلاّ قام معه في حاجته، لا فظّ ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيّئة السيّئة، ولكن يغفر ويصفح، يبدأ من لقيه بالسلام، ومن رامه بحاجة صابره حتّى يكون هو المنصرف، ما أخذ أحد يده فيرسل يده حتّى يرسلها، وإذا لقي مسلماً بدأه بالمصافحة، وكان لا يقوم ولا يجلس إلاّ على ذكر الله، وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلّي إلاّ خفف صلاته وأقبل عليه، وقال: ألك حاجة؟ وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعاً، يجلس حيث ينتهي به المجلس، وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة، وكان يكرم من يدخل عليه حتّى ربما بسط ثوبه، ويؤثر الداخل بالوسادة الّتي تحته، وكان في الرضا والغضب لا يقول إلاّ حقّاً، وكان يأكل القثّاء بالرطب والملح، وكان أحبّ الفواكه الرطبة إليه البطّيخ والعنب، وأكثر طعامه الماء والتمر، وكان يتمجّع اللّبن بالتمر ويسمّيهما الأطيبين، وكان أحبّ الطعام إليه اللّحم، ويأكل الثريد باللّحم، وكان يحبّ القرع، وكان يأكل لحم الصيد ولا يصيده، وكان يأكل الخبز والسمن، وكان يحبّ من الشاة الذراع والكتف، ومن القدر الدبا، ومن الصباغ الخلّ، ومن التمر العجوة، ومن البقول الهندبا والباذروج والبقلة اللينة[1].

بيان: قوله: لا يتقدّمه مطرقٌ، أي كان أكثر الناس إطراقاً إلى الأرض حياءً، يقال: أطرق، أي سكت ولم يكلّم، وأرخى عينيه ينظر إلى الأرض، والمهنة بالفتح والكسر: الخدمة، ولطع الأصابع: لحسها ومصّها بعد الطعام: والكراع كغراب من البقر والغنم: مستدقّ الساق. وقال الفيروزآباديّ: المجيع: تمر يعجن بلبن، وتمجّع: أكل التمر اليابس باللّبن معاً، وأكل التمر وشرب عليه اللبن.

٣٥ - **مكا:** في تواضعه وحيائه: عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يعود المريض، ويتبع الجنازة، ويجيب دعوة المملوك، ويركب الحمار، وكان يوم خيبر ويوم

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ١٩٠.

قريظة والنضير على حمار مخطوم بحبل من ليف تحته إكاف من ليف.

وعن أنس بن مالك قال: لم يكن شخص أحبّ إليهم من رسول الله، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا إليه لما يعرفون من كراهيته.

وعن ابن عبّاس قال: كان رسول الله ﷺ يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض ويعتقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك.

وعن أنس بن مالك قال: إنّ رسول الله ﷺ مرّ على صبيان فسلّم عليهم وهو مغذّ.

عن أسماء بنت يزيد أن النبيّ ﷺ مرّ بنسوة فسلّم عليهنّ.

وعن ابن مسعود قال: أتى النبيّ ﷺ رجل يكلّمه فأرعد، فقال: هوّن عليك، فلست بملك، إنّما أنا ابن امرأة كانت تأكل القدّ.

عن أبي ذرّ قال: كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهراني أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيّهم هو، حتّى يسأل، فطلبنا إلى النبيّ ﷺ أن يجعل مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه، فبنينا له دكّاناً من طين، وكان يجلس عليه، ونجلس بجانبيه.

وسئلت عائشة ما كان النبيّ ﷺ يصنع إذا خلا؟ قالت: يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويصنع ما يصنع الرجل في أهله.

وعنها: أحبّ العمل إلى رسول الله ﷺ الخياطة.

وعن أنس بن مالك قال: خدمت النبيّ ﷺ تسع سنين فما أعلمه قال لي قطّ: هلاّ فعلت كذا وكذا؟ ولا عاب عليّ شيئاً قطّ.

وعن أنس بن مالك قال: صحبت رسول الله ﷺ عشر سنين، وشممت العطر كلّه فلم أشم نكهة أطيب من نكهته، وكان إذا لقيه واحد من أصحابه قام معه، فلم ينصرف حتّى يكون الرجل ينصرف عنه، وإذا لقيه أحد من أصحابه فتناول يده ناولها إيّاه، فلم ينزع عنه حتّى يكون الرجل هو الذي ينزع عنه، وما أخرج ركبتيه بين جليس له قطّ، وما قعد إلى رسول الله ﷺ رجل قطّ فقام حتّى يقوم.

وعن أنس بن مالك قال: إنّ النبيّ ﷺ أدركه أعرابيّ فأخذ بردائه فجبذه جبذةً شديدةً حتّى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثرت به حاشية الرداء من شدّة جبذته، ثمّ قال له: يا محمّد مر لي من مال الله الّذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك وأمر له بعطاء.

عن أبي سعيد الخدريّ يقول: كان رسول الله ﷺ حييّاً لا يسأل شيئاً إلاّ أعطاه.

وعنه قال: كان رسول الله ﷺ أشدّ حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: لا يبلغني أحد منكم عن أصحابي شيئاً، فإنّي أحبّ أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر.

في جوده: عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس كفّاً، وأكرمهم عشرة، من خالطه فعرفه أحبّه.

من كتاب النبوّة عن ابن عبّاس، عن النبيّ ﷺ قال: أنا أديب الله وعليّ أديبي، أمرني ربّي بالسخاء والبرّ، ونهاني عن البخل والجفاء، وما شيء أبغض إلى الله عزّ وجلّ من البخل وسوء الخلق، وإنّه ليفسد العمل كما يفسد الطين العسل.

وبرواية أُخرى عن أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا وصف رسول الله ﷺ قال: كان أجود الناس كفّاً، وأجرأ الناس صدراً، وأصدق النّاس لهجةً، وأوفاهم ذمّةً، وألينهم عريكةً، وأكرمهم عشرة، ومن رآه بديهة هابه، ومن خالطه فعرفه أحبّه، لم أر مثله قبله ولا بعده.

وعن ابن عمر قال: ما رأيت أحداً أجود ولا أنجد ولا أشجع ولا أوضأ من رسول الله ﷺ.

وعن جابر بن عبد الله قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قطّ قال: لا.

وعن ابن عبّاس قال: كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال: يا رسول الله ثلاث أعطنيهنّ، قال: نعم، قال: عندي أحسن العرب وأجمله أمّ حبيبة أزوّجكها، قال: نعم، قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك، قال: نعم، قال مرني حتّى أقاتل الكفّار كما قاتلت المسلمين، قال: نعم، قال ابن زميل: ولولا أنّه طلب ذلك من النبيّ ﷺ ما أعطاه، لأنّه لم يكن يسأل شيئاً قطّ إلاّ قال: نعم.

وعن عمر أن رجلاً أتى النبيّ ﷺ فقال: ما عندي شيء، ولكن اتبع عليّ، فإذا جاءنا شيء قضينا، قال عمر: فقلت: يا رسول الله ما كلّفك الله ما لا تقدر عليه، قال: فكره النبيّ ﷺ، فقال الرجل: أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالاً، قال: فتبسّم النبيّ ﷺ وعرف السرور في وجهه.

في شجاعته: عن عليّ عليه السلام قال: لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبيّ ﷺ وهو أقربنا إلى العدوّ، وكان من أشدّ الناس يومئذٍ بأساً.

وعنه عليه السلام قال: كنّا إذا احمرّ البأس ولقي القوم القوم اتّقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدوّ منه.

وعن أنس بن مالك قال: كان بالمدينة فزع فركب النبيّ ﷺ فرساً لأبي طلحة، فقال: ما رأينا من شيء وإن وجدناه لبحراً.

وبرواية أُخرى عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ أشجع الناس، وأحسن الناس، وأجود الناس، قال: فزع أهل المدينة ليلة فانطلق النّاس قبل الصوت، قال: فتلقّاهم رسول الله ﷺ وقد سبقهم وهو يقول: لن تراعوا، وهو على فرس لأبي طلحة وفي عنقه السيف، قال: فجعل يقول للنّاس: لم تراعوا وجدناه بحراً، أو إنّه لبحر.

في علامة رضاه وغضبه: عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يعرف رضاه وغضبه في وجهه، كان إذا رضي فكأنّما تلاحك الجدر وجهه، وإذا غضب خسف لونه واسود.

عن كعب بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا سرّه الأمر استنار وجهه كأنّه دارة القمر.

عن امير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ إذا رأى ما يحبّ قال: الحمد لله الّذي بنعمته تتمّ الصالحات.

عن عبد الله بن مسعود، يقول: شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحبّ إليّ ممّا في الأرض من شيء، قال: كان النبيّ ﷺ إذا غضب احمرّ وجهه.

عن ابن عمر قال: كان النبيّ ﷺ يعرف رضاه وغضبه بوجهه، كان إذا رضي فكأنّما تلاحك الجدُر وجهه، وإذا غضب خسف لونه واسودّ.

قال أبو البدر: سمعت أبا الحكم اللّيثي يقول: هي المرآة توضع في الشمس فيرى ضوؤها على الجدار يعني قوله: تلاحك الجدر.

في الرفق بأُمته: عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيّام سأل عنه، فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده.

عن جابر بن عبد الله قال: غزا رسول الله ﷺ إحدى وعشرين غزوة بنفسه، شاهدت منها تسعة عشر، وغبت عن اثنتين، فبينا أنا معه في بعض غزواته إذ أعيا ناضحي تحتي باللّيل فبرك، وكان رسول الله ﷺ في آخرنا في آخريّات الناس، فيزجي الضعيف ويردف ويدعو لهم، فانتهى إليّ وأنا أقول: يا لهف أميّاه، وما زال لنا ناضح سوء، فقال: من هذا؟ فقلت: أنا جابر بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، قال: ما شأنك؟ قلت: أعيا ناضحي، فقال: أمعك عصا؟ فقلت: نعم، فضربه، ثمّ بعثه، ثمّ أناخه ووطىء على ذراعه، وقال: اركب فركبت فسايرته فجعل جملي يسبقه، فاستغفر لي تلك اللّيلة خمسة وعشرين مرّة، فقال لي: ما ترك عبد الله من الولد؟ يعني أباه، قلت: سبع نسوة، قال: أبوك عليه دين؟ قلت: نعم، قال: فإذا قدمت المدينة فقاطعهم، فإن أبوا فإذا حضر جذاذ نخلكم فآذنّي، وقال: هل تزوّجت؟ قلت: نعم، قال: بمن؟ قلت: بفلانة بنت فلان بأيّم كانت بالمدينة، قال: فهلاّ فتاة تلاعبها وتلاعبك؟ قلت: يا رسول الله كنّ عندي نسوة خرق، يعني أخواته فكرهت أن آتيهنّ بامرأة خرقاء، فقلت: هذه أجمع لأمري، قال: أصبت ورشدت، فقال: بكم اشتريت جملك؟ فقلت: بخمس أواقٍ من ذهب، قال: قد أخذناه، فلمّا قدم المدينة أتيته بالجمل فقال: يا بلال أعطه خمس أواق من ذهب يستعين به في دين عبد الله، وزده ثلاثاً واردد عليه جمله، قال: هل قاطعت غرماء عبد الله؟ قلت: لا يا رسول الله، قال: أترك وفاء؟ قلت: لا، قال: لا عليك إذا حضر جذاذ نخلكم فآذنّي، فآذنته فجاء فدعا لنا فجذذنا واستوفى كلّ غريم كان يطلب تمراً وفاءً، وبقي لنا ما كنّا نجذّ وأكثر، فقال رسول الله ﷺ: ارفعوا ولا تكيلوا فرفعناه وأكلنا منه زماناً.

وعن ابن عبّاس قال: كان رسول الله ﷺ إذا حدّث الحديث أو سئل عن الأمر كرره ثلاثاً ليفهم ويفهم عنه.

وعن ابن عمر قال: قال رجل: يا رسول الله، فقال: لبّيك.

وروي عن زيد بن ثابت أن النبيّ ﷺ كنّا إذا جلسنا إليه إن أخذنا بحديث في ذكر الآخرة أخذ معنا، وإن أخذنا في الدنيا أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الطعام والشراب أخذ معنا، فكلّ هذا أحدّثكم عن رسول الله ﷺ.

عن أبي الحمساء قال: بايعت النبيّ ﷺ قبل أن يبعث فواعدنيه مكاناً فنسيته يومي والغد، فأتيته يوم الثالث، فقال ﷺ: يا فتى لقد شققت عليّ، أنا هاهنا منذ ثلاثة أيّام.

وعن جرير بن عبد الله أن النبيّ ﷺ دخل بعض بيوته فامتلأ البيت، ودخل جرير فقعد خارج البيت، فأبصره النبيّ ﷺ فأخذ ثوبه فلفّه فرمى به إليه، وقال: اجلس على هذا، فأخذ جرير فوضعه على وجهه فقبّله.

عن سلمان الفارسيّ قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو متكئ على وسادة فألقاها إلي، ثمّ قال: يا سلمان ما من مسلم دخل على أخيه المسلم فيلقي له الوسادة إكراماً له إلاّ غفر الله له.

في بكائه ﷺ: عن أنس بن مالك قال: رأيت إبراهيم بن رسول الله ﷺ وهو يجود بنفسه فدمعت عيناه، فقال رسول الله ﷺ: تدمع العين، ويحزن القلب، ولا أقول إلاّ ما يرضي ربّنا وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون.

عن خالد بن سلمة المخزوميّ قال: لمّا أصيب زيد بن حارثة انطلق رسول الله ﷺ إلى منزله، فلمّا رأته ابنته جهشت فانتحب رسول الله ﷺ، وقال له بعض أصحابه: ما هذا يا رسول الله؟ قال: هذا شوق الحبيب إلى الحبيب.

في مشيه ﷺ: عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ إذا مشى تكفّأ تكفّؤاً كأنّما يتقلّع من صبب، لم أر قبله ولا بعده مثله.

عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج مشى أصحابه أمامه، وتركوا ظهره للملائكة.

عن ابن عبّاس قال: كان رسول الله ﷺ إذا مشى مشى مشياً يعرف أنّه ليس بمشي عاجز ولا بكسلان.

عن أنس بن مالك قال: كنا إذا أتينا النبيّ ﷺ جلسنا حلقة.

وروي أن رسول الله لا يدع أحداً يمشي معه إذا كان راكباً حتّى يحملهم معه، فإن أبى قال: تقدّم أمامي، وأدركني في المكان الّذي تريد، ودعاه ﷺ قوم من أهل المدينة إلى طعام صنعوه له ولأصحاب له خمسة، فأجاب دعوتهم، فلمّا كان في بعض الطريق أدركهم سادس

فماشاهم، فلمّا دنوا من بيت القوم قال للرّجل السادس: إنّ القوم لم يدعوك، فاجلس حتّى نذكر لهم مكانك ونستأذنهم بك.

في جمل من أحواله وأخلاقه: من كتاب النبوّة عن عليّ عليه السلام قال: ما صافح رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً قطّ فنزع يده من يده حتّى يكون هو الّذي ينزع يده، وما فاوضه أحد قطّ في حاجة أو حديث فانصرف حتّى يكون الرجل ينصرف، وما نازعه الحديث حتّى يكون هو الّذي يسكت، وما رئي مقدّماً رجله بين يدي جليس له قطّ، ولا عرض له قطّ أمران إلاّ أخذ بأشدّهما، وما انتصر نفسه من مظلمة حتّى ينتهك محارم الله فيكون حينئذٍ غضبه لله تبارك وتعالى، وما أكل متكئاً قطّ حتّى فارق الدنيا، وما سئل شيئاً قطّ فقال: لا، وما ردّ سائلاً حاجة إلاّ بها أو بميسور من القول، وكان أخفّ الناس صلاةً في تمام، وكان أقصر الناس خطبة وأقلّه هذراً، وكان يعرف بالريح الطيّب إذا أقبل، وكان إذا أكل مع القوم كان أوّل من يبدأ، وآخر من يرفع يده، وكان إذا أكل أكل ممّا يليه، فإذا كان الرطب والتمر جالت يده، وإذا شرب شرب ثلاثة أنفاس، وكان يمصّ الماء مصّاً، ولا يعبّه عبّاً، وكان يمينه لطعامه وشرابه وأخذه وإعطائه، كان لا يأخذ إلاّ بيمينه، ولا يعطي إلاّ بيمينه، وكان شماله لما سوى ذلك من بدنه، وكان يحبّ التيمّن في كلّ أموره: في لبسه وتنعّله وترجّله، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا تكلّم تكلّم وتراً، وإذا استأذن استأذن ثلاثاً، وكان كلامه فصلاً يتبيّنه كلّ من سمعه، وإذا تكلّم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه، وإذا رأيته قلت: أفلج الثنيتين، وليس بأفلج، وكان نظره اللّحظ بعينه، وكان لا يكلّم أحداً بشيء يكرهه، وكان إذا مشى ينحطّ من صبب، وكان يقول: إنّ خياركم أحسنكم أخلاقاً، وكان لا يذمُّ ذواقاً ولا يمدحه، ولا يتنازع أصحابه الحديث عنده، وكان المحدّث عنه يقول: لم أر بعيني مثله قبله ولا بعده صلى الله عليه وآله.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رُئي في اللّيلة الظلماء رُئي له نور كأنّه شقّة قمر.

عنه عليه السلام قال: نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إنّ الله جلّ جلاله يقرئك السلام ويقول لك: هذه بطحاء مكّة تكون لك رضراضه ذهباً، قال: فنظر النبيّ صلى الله عليه وآله إلى السماء ثلاثاً ثمّ قال: لا يا ربّ، ولكن أشبع يوماً فأحمدك، وأجوع يوماً فأسألك.

وعنه عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحلب عنز أهله. وعنه عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبّ الركوب على الحمار مؤكفاً، والأكل على الحضيض مع العبيد، ومناولة السائل بيديه.

وعن جابر بن عبد الله قال: في رسول الله صلى الله عليه وآله خصال: لم يكن في طريق فيتبعه أحد إلاّ عرف أنّه قد سلكه من طيب عرفه، أو ريح عرقه، ولم يكن يمرّ بحجر ولا مدر إلاّ سجد له.

وعن ثابت بن أنس بن مالك قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان أزهر اللّون، كأنّ لونه اللّؤلؤ،

وإذا مشى تكفّأ، وما شممت رائحة مسك ولا عنبر أطيب من رائحته، ولا مسست ديباجةً ولا حريراً ألين من كفّ رسول الله ﷺ كان أخفّ الناس صلاة في تمام.

عن جرير بن عبد الله قال: لمّا بعث النبيّ ﷺ أتيته لأبايعه، فقال لي: يا جرير لأيّ شيء جئت؟ قال: قلت: جئت لأسلم على يديك يا رسول الله فألقى لي كساءه ثمّ أقبل على أصحابه فقال: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ رسول الله ﷺ وعد رجلاً إلى الصخرة، فقال: أنا لك هاهنا حتّى تأتي، فاشتدّت الشمس عليه، فقال له أصحابه: يا رسول الله لو أنّك تحوّلت إلى الظلّ، قال: وعدته إلى هاهنا، وإن لم يجيء كان منه المحشر.

وعن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله لو أنّك إذا دخلت الخلاء فخرجت دخلت في أثرك فلم أر شيئاً خرج منك، غير أنّي أجد رائحة المسك، قال: يا عائشة إنّا معشر الأنبياء ينبت أجسادنا على أرواح أهل الجنّة، فما خرج منّا من شيء ابتلعته الأرض(١).

وعن ابن عبّاس قال: إنّ رسول الله ﷺ دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثّر في جنبيه، فقال: يا نبيّ الله لو اتّخذت فراشاً، فقال: ما لي وللدّنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلاّ كراكب سار في يوم صائف فاستظلّ تحت شجرةٍ ساعةً مِن نَهارٍ ثُمّ راح وتركها.

وعن ابن عبّاس قال: إنّ رسول الله ﷺ توفّي ودرعه مرهونة عند رجل من اليهود على ثلاثين صاعاً من شعير، أخذها رزقاً لعياله.

وعن أبي رافع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا سمّيتم محمّداً فلا تقبّحوه، ولا تجبهوه ولا تضربوه، بورك لبيت فيه محمّد، ومجلس فيه محمّد، ورفقة فيها محمّد.

في جلوسه وأمر أصحابه في آداب الجلوس

وكان ﷺ يؤتى بالصبيّ الصغير ليدعو له بالبركة أو يسمّيه، فيأخذه فيضعه في حجره تكرمةً لأهله، فربما بال الصبيّ عليه، فيصيح بعض من رآه حين بال، فيقول ﷺ: لا تزرموا بالصبيّ، فيدعه حتّى يقضي بوله، ثمّ يفرغ له من دعائه أو تسميته ويبلغ سرور أهله فيه، ولا يرون أنّه يتأذّى ببول صبيّهم، فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعد. ودخل رجل المسجد وهو جالس وحده فتزحزح له، فقال الرجل: في المكان سعة يا رسول الله، فقال ﷺ: إنّ حقّ المسلم على المسلم إذا رآه يريد الجلوس إليه أن يتزحزح له.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: من أحبّ أن يمثل له الرجال فليتبوّأ مقعده في النار.

---

(١) أقول: يعني أجسادهم من جنس أرواح المؤمنين، وهذا موافق للروايات التي تدلّ على أنّ أرواح المؤمنين خلقت من فاضل طينة أبدانهم. [النمازي].

وقال ﷺ: لا تقوموا كما تقوم الأعاجم بعضهم لبعض[١] وروي عن أبي عبد الله عليه السلام من كتاب المحاسن قال: كان رسول الله ﷺ: إذا دخل منزلاً قعد في أدنى المجلس حين يدخل. وعنه عليه السلام قال: كان رسول الله أكثر ما يجلس تجاه القبلة.

وروي عنه عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: إذا أتى أحدكم مجلساً فليجلس حيث ما انتهى مجلسه. وروي أن رسول الله ﷺ قال: إذا قام أحدكم من مجلسه منصرفاً فليسلّم، فليس الأولى بأولى من الأخرى.

وروي عنه عليه السلام أنّه قال: إذا قام أحدكم من مجلسه ثمّ رجع فهو أولى بمكانه.

وروي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: أعطوا المجالس حقّها، قيل: وما حقّها؟ قال: غضّوا أبصاركم، وردّوا السلام، وأرشدوا الأعمى، وأمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر.

عن أبي أمامة قال: كان رسول الله ﷺ إذا جلس جلس القرفصاء.

من كتاب المحاسن: وكان النبيّ ﷺ يجلس ثلاثاً: يجلس القرفصاء وهي أن يقيم ساقيه، ويستقبلهما بيديه فيشدّ يده في ذراعه، وكان يجثو على ركبتيه، وكان يثني رجلاً واحدةً ويبسط عليها الأخرى، ولم ير متربّعاً قطّ، وكان يجثو على ركبتيه ولا يتكيء.

في صفة أخلاقه في مطعمه

من كتاب مواليد الصادقين كان رسول الله ﷺ يأكل كلّ الأصناف من الطعام، وكان يأكل ما أحلّ الله له، مع أهله وخدمه إذا أكلوا، ومع من يدعوه من المسلمين على الأرض، وعلى ما أكلوا عليه، وممّا أكلوا، إلاّ أن ينزل به ضيف فيأكل مع ضيفه، وكان أحبّ الطعام إليه ما كان على ضفف، ولقد قال ذات يوم وعنده أصحابه: «اللّهمّ إنّا نسألك من فضلك ورحمتك اللّذين لا يملكهما غيرك» فبينا هم كذلك إذ أهدي إلى النبيّ ﷺ شاة مشويّة، فقال: خذوا هذا من فضل الله، ونحن ننتظر رحمته، وكان ﷺ إذا وضعت المائدة بين يديه قال: «بسم الله اللّهمّ اجعلها نعمةً مشكورةً تصل بها نعمة الجنّة» وكان كثيراً إذا جلس يأكل ما بين يديه، ويجمع ركبتيه وقدميه، كما يجلس المصلّي في اثنتين، إلاّ أن الركبة فوق الركبة، والقدم على القدم، ويقول ﷺ: أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما أكل رسول الله ﷺ متكئاً منذ بعثه الله عزّ وجلّ نبيّاً حتّى قبضه الله إليه، متواضعاً لله عزّ وجلّ، وكان ﷺ إذا وضع يده في الطعام قال: بسم الله بارك لنا فيما رزقتنا وعليك خلفه.

من مجموع أبي، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام أنّ رسول الله ﷺ كان إذا أفطر قال:

---

(١) النهي بعد حمله على الكراهة إلّا لرجل في الدين لرواية اسحاق بن عمار المذكورة في ج٧٢ ص٣٨٠ مخصوص بغير السادات. [النمازي].

اللّهمّ لك صمنا، وعلى رزقك أفطرنا، فتقبّله منّا، ذهب الظمأ، وابتلّت العروق، وبقي الأجر. وقال: وكان رسول الله ﷺ إذا أكل عند قوم قال: أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار. وقال: دعوة الصائم يستجاب عند إفطاره.

وقد جاءت الرواية أن النبيّ ﷺ كان يفطر على التمر، وكان إذا وجد السكّر أفطر عليه.

عن الصادق عليه السلام أن النبيّ ﷺ كان يفطر على الحلو، فإذا لم يجد يفطر على الماء الفاتر، وكان يقول: إنّه ينقّي الكبد والمعدة، ويطيّب النكهة والفم، ويقوّي الأضراس والحدق، ويحدّد الناظر، ويغسل الذنوب غسلاً، ويسكّن العروق الهائجة والمرّة الغالبة، ويقطع البلغم، ويطفيء الحراة عن المعدة، ويذهب بالصداع.

وكان ﷺ لا يأكل الحارّ حتّى يبرد، ويقول: إنّ الله لم يطعمنا ناراً، إنّ الطعام الحارّ غير ذي بركة فأبردوه.

وكان ﷺ إذا أكل سمّى ويأكل بثلاث أصابع وممّا يليه، ولا يتناول من بين يدي غيره، ويؤتى بالطعام فيشرع قبل القوم ثمّ يشرعون، وكان يأكل بأصابعه الثلاث: الإبهام، والّتي يليها، والوسطى، وربما استعان بالرابعة، وكان ﷺ يأكل بكفّه كلّها، ولم يأكل بإصبعين، ويقول: إنّ الأكل بإصبعين هو أكلة الشيطان.

ولقد جاءه بعض أصحابه يوماً بفالوذج فأكل منه، وقال: ممّ هذا يا أبا عبد الله؟ فقال: بأبي أنت وأمّي نجعل السمن والعسل في البرمة ونضعها على النار، ثمّ نغليه، ثمّ نأخذ مخ الحنطة إذا طحنت فنلقيه على السمن والعسل، ثمّ نسوطه حتّى ينضج، فيأتي كما ترى، فقال ﷺ: إنّ هذا الطعام طيّب.

ولقد كان يأكل الشعير إذا كان غير منخول خبزاً أو عصيدة في حالة كلّ ذلك كان يأكل ﷺ.

ومن كتاب روضة الواعظين: قال العيص بن القاسم: قلت للصّادق عليه السلام: حديث يروى عن أبيك عليه السلام أنّه قال: ما شبع رسول الله ﷺ من خبز برّ قطّ أهو صحيح؟ فقال: لا، ما أكل رسول الله ﷺ خبز برّ قطّ، ولا شبع من خبز شعير قطّ.

وقالت عائشة: ما شبع رسول الله ﷺ من خبز الشعير يومين حتّى مات.

وروي أن رسول الله ﷺ لم يأكل على خوان قطّ حتّى مات، ولا أكل خبزاً مرقّقاً حتّى مات.

وقالت عائشة: ما زالت الدنيا علينا عسرة كدرة حتّى قبض رسول الله ﷺ، فلمّا قبض صبّت الدنيا علينا صبّاً.

ومن كتاب النبوّة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما زال طعام رسول الله ﷺ الشعير حتّى قبضه الله إليه.

عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يجيب دعوة المملوك، ويردفه خلفه، ويضع طعامه على الأرض، وكان يأكل القثاء بالرطب، والقثّاء بالملح، وكان يأكل الفاكهة الرطبة، وكان أحبّها إليه البطّيخ والعنب، وكان يأكل البطّيخ بالخبز، وربما أكل بالسكّر، وكان ﷺ ربما أكل البطّيخ بالرطب فيستعين باليدين جميعاً.

ولقد جلس يوماً يأكل رطباً فيأكل بيمينه، وأمسك النوى بيساره، ولم يلقه في الأرض، فمرّت به شاة قريبة منه فأشار إليها بالنوى الّذي في كفّه فدنت إليه وجعلت تأكل من كفّه اليسرى، ويأكل هو بيمينه، ويلقي إليها النوى حتّى فرغ، وانصرفت الشاة حينئذٍ.

وكان ﷺ إذا كان صائماً يفطر على الرطب في زمانه، وكان ربما أكل العنب حبّة حبّة، وكان ﷺ ربما أكله خرطاً حتّى ترى روالاً على لحيته كتحدّر اللّؤلؤ. والروال: الماء الّذي يخرج من تحت القشر.

وكان ﷺ يأكل الحيس، وكان ﷺ يأكل التمر ويشرب عليه الماء، وكان التمر والماء أكثر طعامه، وكان يتمجّع اللّبن والتمر ويسمّيهما الأطيبين، وكان يأكل العصيدة من الشعير بإهالة الشحم، وكان ﷺ يأكل الهريسة أكثر ما يأكل، ويتسحر بها، وكان جبرئيل قد جاءه بها من الجنّة يتسحّر بها، وكان يأكل في بيته ممّا يأكل الناس، وكان ﷺ يأكل اللّحم طبيخاً بالخبز، ويأكله مشوياً بالخبز، وكان يأكل القديد وحده، وربما أكله بالخبز، وكان أحبّ الطعام إليه اللّحم، ويقول: هو يزيد في السمع والبصر، وكان يقول ﷺ: اللّحم سيّد الطعام في الدنيا والآخرة، فلو سألت ربّي أن يطعمنيه كلّ يوم لفعل، وكان يأكل الثريد بالقرع واللّحم، وكان يحبّ القرع ويقول: إنّها شجرة أخي يونس، وكان ﷺ يعجبه الدبا ويلتقطه من الصحفة، وكان ﷺ يأكل الدجاج ولحم الوحش ولحم الطير الّذي يصاد، وكان لا يبتاعه ولا يصيده، ويحبّ أن يصاد له ويؤتى به مصنوعاً فيأكله، أو غير مصنوع فيصنع له فيأكله، وكان إذا أكل اللّحم لم يطأطئ رأسه إليه، ويرفعه إلى فيه، ثمّ ينتهسه انتهاساً، وكان يأكل الخبز والسمن، وكان يحبّ من الشاة الذراع والكتف، ومن الصباغ الخلّ، ومن البقول الهندبا، والبادروج، وبقلة الأنصار، ويقال: إنّها الكرنب، وكان ﷺ لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكرّاث ولا العسل الّذي فيه المغافير، والمغافير: ما يبقى من الشجر في بطون النحل فيلقيه في العسل فيبقى له ريح في الفم، وما ذمّ رسول الله ﷺ طعاماً قطّ، كان إذا أعجبه أكله، وإذا كرهه تركه، وكان ﷺ ما عاف من شيء، فإنّه لا يحرّمه على غيره، ولا يبغضه إليه، وكان ﷺ يلحس الصحفة ويقول: آخر الصحفة أعظم الطعام بركة، وكان ﷺ إذا فرغ من طعامه لعق أصابعه الثلاث الّتي أكل بها، فإن بقي فيها شيء عاوده فلعقها حتّى يتنظّف، ولا يمسح يده بالمنديل حتّى يلعقها واحدة واحدة، ويقول: لا يدري في أيّ الأصابع البركة، وكان ﷺ يأكل البرد ويتفقّد ذلك أصحابه فيلتقطون له فيأكله، ويقول: إنّه يذهب بأكلة الأسنان، وكان ﷺ يغسل يديه من الطعام حتّى ينقّيهما، فلا يوجد

لما أكل ريح، وكان ﷺ إذا أكل الخبز واللّحم خاصّة غسل يديه غسلاً جيداً، ثمّ مسح بفضل الماء الّذي في يده وجهه، وكان ﷺ لا يأكل وحده ما يمكنه، وقال: ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى، قال: من أكل وحده، وضرب عبده، ومنع رفده.

في صفة أخلاقه في مشربه ﷺ

وكان ﷺ إذا شرب بدأ فسمّى، وحسا حسوةً وحسوتين، ثمّ يقطع فيحمد الله، ثمّ يعود فيسمّي، ثمّ يزيد في الثالثة، ثمّ يقطع فيحمد الله، وكان له في شربه ثلاث تسميات، وثلاث تحميدات، ويمصّ الماء مصّاً، ولا يعبّه عبّاً، ويقول: إنّ الكباد من العبّ، وكان ﷺ لا يتنفّس في الإناء إذا شرب، فإن أراد أن يتنفّس أبعد الإناء عن فيه حتّى يتنفّس، وكان ربما شرب بنفس واحد حتّى يفرغ، وكان ﷺ يشرب في أقداح القوارير الّتي يؤتى بها من الشام، ويشرب في الأقداح الّتي يتخذ من الخشب، وفي الجلود، ويشرب في الخزف، ويشرب بكفّيه، يصبّ الماء فيهما ويشرب، ويقول: ليس إناء أطيب من اليد، ويشرب من أفواه القرب والأداوي، ولا يختنثها اختناثاً، ويقول: إنّ اختناثها ينتنها، وكان ﷺ يشرب قائماً، وربما شرب راكباً، وربما قام فشرب من القربة أو الجرّة أو الإداوة، وفي كلّ إناء يجده وفي يديه، وكان ﷺ يشرب الماء الّذي حلب عليه اللّبن، ويشرب السويق.

وكان ﷺ أحبّ الأشربة إليه الحلو، وفي رواية أحبّ الشراب إلى رسول الله ﷺ الحلو البارد، وكان يشرب الماء على العسل، وكان يماث له الخبز فيشربه أيضاً، وكان ﷺ يقول: سيّد الأشربة في الدنيا والآخرة الماء.

وقال أنس بن مالك: كانت لرسول الله ﷺ شربة يفطر عليها، وشربة للسّحر، وربما كانت واحدة، وربما كانت لبناً، وربما كانت الشربة خبزاً يماث، فهيّأتها له ﷺ ذات ليلة فاحتبس النبيّ ﷺ فظننت أن بعض أصحابه دعاه، فشربتها حين احتبس، فجاء ﷺ بعد العشاء بساعة، فسألت بعض من كان معه هل كان النبيّ ﷺ أفطر في مكان أو دعاه أحد؟ فقال: لا، فبتّ بليلة لا يعلمها إلاّ الله من غمّ أن يطلبها منّي النبيّ ﷺ ولا يجدها فيبيت جائعاً، فأصبح صائماً وما سألني عنها ولا ذكرها حتّى الساعة، ولقد قرّب إليه إناء فيه لبن وابن عبّاس عن يمينه وخالد بن الوليد عن يساره، فشرب، ثمّ قال لعبد الله بن عبّاس: إنّ الشربة لك، أفتأذن أن أعطي خالد بن الوليد؟ يريد السّن، فقال بن عبّاس: لا والله، لا أؤثر بفضل رسول الله ﷺ أحداً، فتناول ابن عبّاس القدح فشربه.

ولقد جاءه ﷺ ابن خولي بإناء فيه عسل ولبن، فأبى أن يشربه، فقال شربتان في شربة، وإناءان في إناء واحد؟ فأبى أن يشربه، ثمّ قال: ما أحرّمه، ولكنّي أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غداً، وأحب التواضع، فإنّ من تواضع لله رفعه الله.

في صفة أخلاقه في الطيب والدهن ولبس الثياب، وفي غسل رأسه ﷺ:
وكان ﷺ إذا غسل رأسه ولحيته غسلهما بالسدر.

في دهنه: وكان يحبّ الدهن، ويكره الشعث، ويقول: إنّ الدهن يذهب بالبؤس، كان يدهن بأصناف من الدهن، وكان إذا ادهن بدأ برأسه ولحيته، ويقول: إنّ الرأس قبل اللّحية، وكان يدهن بالبنفسج ويقول: هو أفضل الأدهان، وكان ﷺ إذا ادهن بدأ بحاجبيه، ثمّ بشاربيه، ثمّ يدخل في أنفه ويشمّه، ثمّ يدهن رأسه، وكان ﷺ يدهن حاجبيه من الصداع، ويدهن شاربيه بدهن سوى دهن لحيته.

في تسريحه: وكان ﷺ يمتشط ويرجّل رأسه بالمدرى وترجّله نساؤه، وتتفقّد نساؤه تسريحه إذا سرّح رأسه ولحيته فيأخذن المشاطة، فيقال: إنّ الشعر الّذي في أيدي الناس من تلك المشاطات، فأمّا ما حلق في عمرته وحجّته فإنّ جبرئيل عليه السلام كان ينزل فيأخذه فيعرج به إلى السماء، ولربما سرح لحيته في اليوم مرّتين، وكان ﷺ يضع المشط تحت وسادته إذا امتشط به، ويقول: إنّ المشط يذهب بالوباء، وكان ﷺ يسرّح تحت لحيته أربعين مرّة، ومن فوقها سبع مرّات، ويقول: إنّه يزيد في الذهن ويقطع البلغم.

وفي رواية عن النبيّ ﷺ أنّه قال: من أمرّ المشط على رأسه ولحيته وصدره سبع مرّات لم يقاربه داء أبداً.

في طيبه: وكان ﷺ يتطيّب بالمسك حتّى يرى وبيصه في مفرقه، وكان ﷺ يتطيّب بذكور الطيب وهو المسك والعنبر، وكان ﷺ يتطيّب بالغالية تطيّبه بها نساؤه بأيديهنّ، وكان ﷺ يستجمر بالعود القماريّ، وكان يعرف في اللّيلة المظلمة قبل أن يرى بالطيب، فيقال: هذا النبيّ ﷺ.

عن الصادق عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ ينفق على الطيب أكثر ممّا ينفق على الطعام.

وقال الباقر عليه السلام: كان في رسول الله ﷺ ثلاث خصال لم يكنّ في أحد غيره لم يكن له فيءٌ، وكان لا يمرّ في طريق فيمرّ فيه بعد يومين أو ثلاثة إلاّ عرف أنّه قد مرّ فيه لطيب عرفه، وكان لا يمرّ بحجر ولا بشجر إلاّ سجد له، وكان ﷺ لا يعرض عليه طيب إلاّ تطيب به، ويقول: هو طيّب ريحه، خفيف محمله، وإن لم يتطيّب وضع إصبعه في ذلك الطيب ثمّ لعق منه، وكان ﷺ يقول: جعل لذّتي في النساء والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة والصوم.

في تكحله: وكان ﷺ يكتحل في عينه اليمنى ثلاثاً، وفي اليسرى ثنتين، وقال: من شاء اكتحل ثلاثاً وكلّ حين، ومن فعل دون ذلك أو فوقه فلا حرج، وربما اكتحل وهو صائم، وكانت له مكحلة يكتحل بها باللّيل، وكان كحله الإثمد.

في نظره في المرآة: وكان ﷺ ينظر في المرآة، ويرجّل جمّته ويمتشط، وربما نظر في

الماء وسوّى جمّته فيه، ولقد كان يتجمّل لأصحابه فضلاً على تجمّله لأهله، وقال ذلك لعائشة حين رأته ينظر في ركوة فيها ماء في حجرتها ويسوّي فيها جمّته، وهو يخرج إلى أصحابه، فقالت: بأبي أنت وأمّي تتمرّأ في الركوة وتسوّي جمّتك وأنت النبيّ وخير خلقه؟ فقال: إنّ الله تعالى يحبّ من عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتهيّأ لهم ويتجمّل.

في اطلائه: وكان رسول الله ﷺ يطلي فيطليه من يطليه حتّى إذا بلغ ما تحت الإزار تولاّه بنفسه، وكان ﷺ لا يفارقه في أسفاره قارورة الدهن والمكحلة والمقراض والمرآة والمسواك والمشط.

وفي رواية: تكون معه الخيوط والإبرة والمخصف والسيور، فيخيط ثيابه، ويخصف نعله، وكان ﷺ إذا استاك استاك عرضاً.

في لباسه: وكان رسول الله ﷺ يلبس الشملة يأتزر بها، ويلبس النمرة يأتزر بها، فيحسن عليه النمرة لسوادها على بياض ما يبدو من ساقيه وقدميه، وقيل: لقد قبضه الله عزّ وجلّ وأنّ له لنمرة تنسج في بني عبد الأشهل ليلبسها ﷺ، وربما كان ﷺ يصلّي بالناس وهو لابس الشملة، وقال أنس: ربما رأيته يصلّي بنا الظهر في شملة عاقداً طرفيها بين كتفيه.

في عمامته وقلنسوته: وكان ﷺ يلبس القلانس تحت العمائم، ويلبس القلانس بغير العمائم، والعمائم بغير القلانس، وكان يلبس البرطلة، وكان ﷺ يلبس من القلانس التيهيّة اليمنيّة، ومن البيض المصريّة، ويلبس القلانس ذوات الآذان في الحرب، منها ما يكون من السيجان الخضر، وكان ربما نزع قلنسوته فجعلها سترة بين يديه يصلّي إليها، وكان ﷺ كثيراً ما يتعمّم العمائم الخزّ السود في أسفاره وغيرها، ويعتجر اعتجاراً وربما لم يكن له العمامة فيشدّ العصابة على رأسه أو على جبهته، وكان شدّ العصابة من فعاله كثيراً ما يرى عليه، وكانت له عمامة يعتمّ بها يقال لها: السحاب، فكساها عليّاً عليه السلام، وكان ربما طلع عليّ فيها، فيقول: أتاكم عليّ عليه السلام في السحاب، يعني عمامته الّتي وهب له.

وقالت عائشة: ولقد لبس رسول الله ﷺ جبّة صوف، وعمامة صوف ثمّ خرج فخطب النّاس على المنبر، فما رأيت شيئاً ممّا خلق الله تعالى أحسن منه فيها.

في كيفية لبسه: وكان ﷺ إذا لبس ثوباً جديداً قال: «الحمد لله الّذي كساني ما يواري عورتي، وأتجمّل به في النّاس» وكان إذا نزعه نزع من مياسره أوّلاً، وكان من فعله إذا لبس الثوب الجديد حمد الله، ثمّ يدعو مسكيناً فيعطيه خلقانه، ثمّ يقول: ما من مسلم يكسو مسلماً من سمل ثيابه لا يكسوه إلاّ لله عزّ وجلّ إلاّ كان في ضمان الله وحرزه وحيّزه ما واراه حيّاً وميّتاً، وكان ﷺ إذا لبس ثيابه واستوى قائماً قبل أن يخرج قال: «اللّهمّ بك استترت، وإليك توجّهت، وبك اعتصمت، وعليك توكّلت، اللّهمّ أنت ثقتي، وأنت رجائي، اللّهمّ اكفني ما أهمني وما لا أهتمّ به وما أنت أعلم به منّي، عزّ جارك، وجلّ ثناؤك، ولا إله غيرك،

اللّهمّ زوّدني التقوى، واغفر لي ذنبي، ووجّهني للخير حيث ما توجّهت». ثمّ يندفع لحاجته، وكان له ﷺ ثوبان للجمعة خاصّة سوى ثيابه في غير الجمعة، وكانت له خرقة ومنديل يمسح به وجهه من الوضوء(١)، وربما لم يكن معه المنديل فيمسح وجهه بطرف الرداء الّذي يكون عليه.

في خاتمه: وكان ﷺ لبس خاتماً من فضّة وكان فصّه حبشيّ، فجعل الفصّ ممّا يلي بطن الكفّ، ولبس خاتماً من حديد ملوياً عليه فضّة، أهداها له معاذ بن جبل، فيه «محمّد رسول الله» ولبس رسول الله خاتمه في يده اليمنى، ثمّ نقله إلى شماله، وكان خاتمه الآخر الّذي قبض وهو في يده خاتم فضّة، فصّه فضّة ظاهراً، كما يلبس النّاس خواتيمهم، وفيه «محمد رسول الله» وكان رسول الله ﷺ يستنجي بيساره وهو فيها.

ويروى أنّه لم يزل كان في يمينه إلى أن قبض، وكان ﷺ ربما جعل خاتمه في إصبعه الوسطى في المفصل الثاني منها، وربما لبسه كذلك في الإصبع الّتي تلي الإبهام، وكان ربما خرج على أصحابه وفي خاتمه خيط مربوط ليستذكر به الشيء، وكان ﷺ يختم بخواتيمه على الكتب، ويقول: الخاتم على الكتاب حرز من التهمة.

في نعله: وكان ﷺ يلبس النعلين بقبالتين، وكانت مخصّرة معقّبةً حسنة التخصير ممّا يلي مقدّم العقب، مستوية ليست بملسّنة، وكان منها ما يكون في موضع الشيء الخارج قليلاً، وكان كثيراً ما يلبس السبتيّة الّتي ليس لها شعر، وكان إذا لبس بدأ باليمنى، وإذا خلع بدأ باليسرى، وكان يأمر بلبس النعلين جميعاً، وتركهما جميعاً، كراهة أن يلبس واحدةً دون أخرى، وكان يلبس من الخفاف من كلّ ضرب.

في فراشه: الّذي قبض وهو عنده من أسمال وادي القرى، محشوّاً وبراً، وقيل: كان طوله ذراعين أو نحوهما، وعرضه ذراع وشبر.

عن عليّ عليه السلام: كان فراش رسول الله ﷺ عباءة، وكانت مرفقته أُدم حشوها ليف، فثنيت ذات ليلة، فلمّا أصبح قال: لقد منعني اللّيلة الفراش الصّلاة، فأمر عليه السلام أن يجعل بطاق واحد.

وكان له فراش من أُدم حشوه ليف، وكانت له ﷺ عباءة تفرش له حيثما انتقل، وتثنى ثنتين، وكان ﷺ كثيراً ما يتوسّد وسادة له من أُدم حشوها ليف، ويجلس عليها، وكانت له قطيفة فدكيّة يلبسها يتخشّع بها، وكانت له قطيفة مصريّة قصيرة الخمل، وكان له بساط من شعر يجلس عليه، وربما صلّى عليه.

في نومه: وكان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره، وكان يستاك إذا أراد أن ينام

---

(١) الوضوء بمعناه اللغوي مطلق النظافة. [النمازي].

ويأخذ مضجعه، وكان ﷺ إذا أوى إلى فراشه اضطجع على شقّه الأيمن، ووضع يده اليمنى تحت خدّه الأيمن ثمّ يقول: اللّهمّ قني عذابك يوم تبعث عبادك.

في دعائه عند مضجعه: وكان له أصناف من الأقاويل يقولها إذا أخذ مضجعه: فمنها أنّه كان يقول: «اللّهمّ إنّي أعوذ بك بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك، اللّهمّ إنّي لا أستطيع أن أبلغ في الثناء عليك ولو حرصت، أنت كما أثنيت على نفسك» وكان ﷺ يقول عند منامه: بسم الله أموت وأحيا، وإلى الله المصير، اللّهمّ آمن روعتي، واستر عورتي، وأدّ عنّي أمانتي.

ما يقول عند نومه: كان ﷺ يقرأ آية الكرسيّ عند منامه، ويقول: أتاني جبرئيل فقال: يا محمّد إنّ عفريتاً من الجنّ يكيدك في منامك فعليك بآية الكرسيّ.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما استيقظ رسول الله ﷺ من نوم قطّ إلاّ خرّ عزّ وجلّ ساجداً.

وروي أنه ﷺ لا ينام إلاّ والسواك عند رأسه، فإذا نهض بدأ بالسواك، وقال ﷺ: لقد أُمرت بالسواك حتّى خشيت أن يكتب عليّ، وكان ﷺ ممّا يقول إذا استيقظ: «الحمد لله الّذي أحياني بعد موتي، إنّ ربّي لغفور شكور» وكان يقول ﷺ: «اللّهمّ إنّي أسألك خير هذا اليوم ونوره وهداه وبركته وطهوره ومعافاته، اللّهمّ إنّي أسألك خيره وخير ما فيه، وأعوذ بك من شرّه وشرّ ما بعده».

في سواكه: وكان ﷺ يستاك كلّ ليلة ثلاث مرّات: مرّة قبل نومه، ومرّة إذا قام من نومه إلى ورده، ومرّة قبل خروجه إلى صلاة الصبح، وكان يستاك بالأراك، أمره بذلك جبرئيل عليه السلام.

وعن الصادق عليه السلام قال: إنّي لأكره للرّجل أن يموت وقد بقيت خلّة من خلال رسول الله ﷺ لم يأت بها(١).

بيان: قوله: وهو مغذّ أي مسرع، من قولهم: أغذّ إغذاذاً: إذا أسرع في السير.

والقدّ بالفتح: جلد السخلة الماعزة، وبالكسر: سير يقدّ من جلد غير مدبوغ. والقديد: اللّحم المقدّد، وفي النهاية: فيه كانوا يأكلون القدّ يريد جلد السخلة في الجدب انتهى.

والجبذ: الجذب، والنجدة: الشجاعة، وقال الجزريّ: فيه لو تعلمون ما في هذه الأمّة من الموت الأحمر، يعني القتل، لما فيه من حمرة الدم أو لشدّته، يقال: موت أحمر، أي شديد، ومنه حديث عليّ عليه السلام: كنّا إذا احمرّ البأس اتّقينا برسول الله ﷺ أي إذا اشتدّت الحرب استقبلنا العدوّ به وجعلناه لنا وقاية، وقيل: أراد إذا اضطرمت نار الحرب وتسعّرت، كما يقال في الشرّ بين القوم: اضطرمت نارهم، تشبيهاً بحمرة النّار، وكثيراً ما يطلقون

(١) مكارم الأخلاق، ص ١٥-٣٦.

الحمرة على الشدّة، وقال: وفيه إنّه ركب فرساً لأبي طلحة فقال: إن وجدناه لبحراً، أي واسع الجري، وسمّي البحر بحراً لسعته انتهى.

قوله ﷺ: لن تراعوا، هو من الروع بمعنى الفزع، وقال الجزريّ: في صفته ﷺ إذا سرّ فكأنّ وجهه المرآة، وكان الجدر تلاحك وجهه، الملاحكة: شدّة الملاءمة، أي يرى شخص الجدر في وجهه، وقال الجوهريّ: الدارة: الّتي حول القمر، وهي الهالة قوله: فيزجي الضعيف، أي يسوقه ليلحقه بالرفاق، والناضح: البعير الّذي يستقى عليه. قوله: جالت يده، أي أخذ من كلّ جانب. قوله: لا تزرموا بالصبيّ، من باب الإفعال، أي لا تقطعوا عليه بوله، ومثل الرجل يمثل مثولاً: إذا انتصب قائماً، وقال الجزريُّ: فيه أنّه لم يشبع من خبز ولحم إلاّ على ضفف، الضفف: الضيق والشدّة، أي لم يشبع منها إلاّ عن ضيق، وقيل: الضفف: اجتماع الناس، يقال: ضفّ القوم على الماء يضفون ضفّاً وضففاً، أي لم يأكل خبزاً ولحماً وحده، ولكن يأكل مع الناس، وقيل: الضفف أن تكون الأكلة أكثر من مقدار الطعام، والخفف: أن يكونوا بمقداره، وقال: الحيس هو الطعام المتّخذ من التمر والأقط والسمن، وقد يجعل عوض الأقط الدقيق، أو الفتيت، وقال: كلّ شيء ممّا يؤتدم به إهالة، وقيل: هو ما أذيب من الألية والشحم. وقال: النهس: أكل اللّحم بأطراف الأسنان، والنهش: الأخذ بجميعها، وقال الفيروزآباديّ بقلة الأنصار الكرنب، والكرنب بالضمّ وكسمند: السلق، أو نوع منه أحلى، والكباد بالضمّ: وجع الكبد، وقال الجزريّ: فيه نهي عن اختناث الأسقية، خنث السقاء: إذا ثنيت فمه إلى خارج وشربت منه، وقال: المدرى: شيء يعمل من حديد، أو خشب على شكل سنّ من أسنان المشط وأطول منه يسرّح به الشعر الملبّد، ويستعمله من لا مشط له انتهى.

والمشاطة بالضمّ: الشعر الّذي يسقط من الرأس واللّحية عند التسريح بالمشط، والوباء بالقصر والمدّ: الطاعون والمرض العام. والوبيص بالمهملة: البريق. وقال الجزريّ في حديث عائشة إنّه كان يتطيّب بذكارة الطيب، الذكارة بالكسر: ما يصلح للرّجل كالمسك والعنبر والعود، وهي جمع ذكر، والذكورة مثله، ومنه الحديث كانوا يكرهون المؤنّث من الطيب، ولا يرون بذكورته بأساً، هو ما لا لون له كالعود والكافور والعنبر، والمؤنّث: طيب النساء كالخلوق والزعفران انتهى. والإثمد بالكسر: حجر الكحل: وقال الجزريّ فيه لا يتمرّأ أحدكم في الدنيا، أي لا ينظر فيها، هو يتفعّل من الرؤية، والميم زائدة، وفي القاموس: الشملة بالفتح: كساء دون القطيفة يشتمل به، وقال: النمرة كفرحة: شملة فيها خطوط بيض وسود، أو بردة من صوف تلبسها الأعراب انتهى.

والبرطلة: قلنسوة طويلة، والساج: الطيلسان الأخضر، والجمع سيجان، واعتجار العمامة: هو أن يلفّها على رأسه، ويردّ طرفها على وجهه، ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه،

والسمل بالتحريك: الخلق من الثياب، وقال الجزريّ: في حديث خاتم النبيّ ﷺ فيه فصّ حبشيّ، يحتمل أنّه أراد من الجزع أو العقيق لأنّ معدنهما اليمن والحبشة، أو نوعاً آخر ينسب إليهما. قوله: وهو فيها، حمل على التقيّة، أو على أنّه من موضوعات العامّة، وربما حمل على بيان الجواز، وكذا الاستذكار إمّا من الموضوعات، أو محمول على أنّه ﷺ إنّما فعله للتّعليم، والقبال بالكسر: زمام النعل، وهو السير الّذي يكون بين الإصبعين، قوله: مخصّرة أي مستدقّة الوسط. والمعقّبة هي الّتي لها نتوّ من عقبه من جهة الفوق، ويحتمل من جهة التحت على بُعدٍ، والملسّنة كمعظّمة: ما فيها طول ولطافة كهيئة اللّسان.

قال الزمخشريّ في الفائق: فيه أن نعله ﷺ كانت معقّبة مخصّرة ملسّنة، أي مصيّراً لها عقب مستدقّة الخصر، وهو وسطها، مخرّطة الصدر، مرقّقته من أعلاه على شكل اللّسان انتهى.

قوله: وكان منها، لعلّ المعنى أن بعضها كانت ملسّنة لكن قليلاً، وقال الجوهريّ السبت بالكسر: جلود البقر المدبوغة بالقرظ يحذى منه النعال السبتيّة.

٣٦ - **جا:** أبو غالب الزراريّ، عن محمّد بن سليمان، عن ابن أبي الخطّاب، عن محمّد ابن يحيى الخزّاز، عن غياث بن إبراهيم، عن الصادق، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب حمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد فإنّ أصدق الحديث كتاب الله، وأفضل الهدى هدى محمّد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ بدعة ضلالة، ويرفع صوته، وتحمارّ وجنتاه، ويذكر الساعة وقيامها، حتّى كأنّه منذر جيش يقول: صبّحتكم الساعة، مسّتكم الساعة ثمّ يقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين - ويجمع بين سبّابتيه - من ترك مالاً فلأهله، ومن ترك ديناً فعليّ وإليّ»[1].

٣٧ - **مكا:** في كتاب مواليد الصادقين قال محمّد بن إبراهيم الطالقانيّ: وخبّرت أنّه اعتزل ﷺ نساءه في مشربة، والمشربة، العلّيّة، فدخل عليه عمرو في البيت أُهب عطنة وقرظ، والنبيّ ﷺ نائم على حصير قد أثّر في جنبه، فوجد عمر ريح الأُهب، فقال: يا رسول الله ما هذه الريح؟ قال: يا عمر هذا متاع الحيّ، فلمّا جلس النبيّ ﷺ قد أثّر الحصير في جنبه، فقال عمر: أمّا أنا فأشهد أنّك رسول الله، ولأنت أكرم على الله من قيصر وكسرى، وهما فيما هما فيه من الدنيا، وأنت على الحصير قد أثّر في جنبك، فقال النبيّ ﷺ: أما ترضى أن يكون لهم الدُّنيا ولنا الآخرة[2].

بيان: العلّيّة بضمّ العين، وتشديد اللاّم المكسورة، والياء: الغرفة، وقال الجوهريّ: الأُهب بضمّ الهمزة والهاء وبفتحهما جمع إهاب وهو الجلد، وقيل: إنّما يقال للجلد: إهاب

---

(١) أمالي المفيد، ص ٢١١. (٢) مكارم الأخلاق، ص ١٢٣.

قبل الدبغ، فأمّا بعده فلا، والعطنة: المنتنة الّتي هي في دباغها انتهى. والقرظ بالتحريك: ورق السلم يدبغ به.

٣٨ - **فر**: جعفر بن أحمد معنعناً عن محمّد بن كعب القرظيّ قال: كان رسول الله ﷺ يتحارسه أصحابه، فأنزل الله تعالى إليه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ إلى آخر الآية، قال: فترك الحرس حين أخبره الله تعالى أنّه يعصمه من الناس بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1].

٣٩ - **كا**: عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي الحسن الأنباريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ يحمد الله في كلّ يوم ثلاث مائة وستّين مرّة، عدد عروق الجسد، يقول: الحمد لله ربّ العالمين كثيراً على كلّ حال[2].

٤٠ - **كا**: العدّة، عن البرقيّ، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام إنّ رسول الله ﷺ كان لا يقوم من مجلس وإن خفّ حتّى يستغفر الله عزّ وجلّ خمساً وعشرين مرّة[3].

٤١ - **كا**: عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن الحارث بن المغيرة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ يستغفر الله عزّ وجلّ كلّ يوم سبعين مرّة، ويتوب إلى الله سبعين مرّة[4].

٤٢ - **كا**: الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن الوشّاء، عن أبان، عن ابن ميمون القدّاح، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إنّي لأعجب كيف لا أشيب إذا قرأت القرآن[5].

٤٣ - **كا**: عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: دخل يهوديّ على رسول الله ﷺ وعائشة عنده، فقال: السام عليكم، فقال رسول الله ﷺ: عليك، ثمّ دخل آخر فقال مثل ذلك فردّ عليه كما ردّ على صاحبه، ثمّ دخل آخر فقال: مثل ذلك، فردّ رسول الله ﷺ كما ردّ على صاحبه، فغضبت عائشة فقالت: عليكم السام والغضب واللّعنة يا معشر اليهود، يا إخوة القردة والخنازير، فقال لها رسول الله ﷺ: يا عائشة إنّ الفحش لو كان ممثّلاً لكان مثال سوء، إنّ الرفق لم يوضع على شيء قطّ إلاّ زانه، ولم يرفع عنه قطّ إلاّ شانه، قال: قالت: يا رسول الله أما سمعت إلى

---

(١) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ١٣٠ ح ١٥٢.
(٢) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٨١ باب التحميد ح ٣.
(٣) - (٤) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٨٢ باب الاستغفار ح ٤ و٥.
(٥) أصول الكافي، ج ٢ ص ٦٤٨ باب النوادر ح ١٩.

قولهم: السام عليكم؟ فقال: بلى، أما سمعت ما رددت عليهم؟ قلت: عليكم، فإذا سلّم عليكم مسلم فقولوا: السلام عليكم، وإذا سلّم عليكم كافر فقولوا عليك[١].

٤٤ - **كا:** العدّة، عن البرقيّ، عن النوفليّ، عن عبد العظيم بن عبد الله العلويّ رفعه قال: كان النبيّ ﷺ يجلس ثلاثاً: القرفصاء وهو أن يقيم ساقيه: ويستقبلهما بيديه ويشدّ يده في ذراعه، وكان يجثو على ركبتيه، وكان يثني رجلاً واحدةً، ويبسط عليها الأخرى، ولم ير ﷺ متربّعاً قطّ[٢].

٤٥ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن ابن معمّر بن خلاّد قال: سألت أبا الحسن عليه السلام فقلت: جعلت فداك الرجل يكون مع القوم فيجري بينهم كلام يمزحون ويضحكون، فقال: لا بأس ما لم يكن، فظننت أنّه عنى الفحش، ثمّ قال: إنّ رسول الله ﷺ كان يأتيه الأعرابيّ فيهدي له الهديّة، ثمّ يقول مكانه: أعطنا ثمن هديتنا، فيضحك رسول الله ﷺ، وكان إذا اغتمّ يقول: ما فعل الأعرابيّ ليته أتانا[٣].

٤٦ - **كا:** الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن الحسن بن عليّ، عن حمّاد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: رأى رسول الله ﷺ امرأة فأعجبته، فدخل على أمّ سلمة وكان يومها فأصاب منها، وخرج إلى الناس ورأسه يقطر، فقال: أيّها الناس إنّما النظر من الشيطان، فمن وجد من ذلك شيئاً فليأت أهله[٤].

بيان: لعلّه ﷺ إنّما فعل ذلك وأظهر لتعليم غيره.

٤٧ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الوشّاء، عن جميل بن درّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ يقسّم لحظاته بين أصحابه، فينظر إلى ذا وينظر إلى ذا بالسويّة، قال: ولم يبسط رسول الله ﷺ رجليه بين أصحابه قطّ، وإن كان ليصافحه الرجل فما يترك رسول الله ﷺ يده من يده حتّى يكون هو التارك، فلمّا فطنوا لذلك كان الرجل إذا صافحه قال بيده فنزعها من يده[٥].

٤٨ - **كا:** العدّة، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن العلاء، عن محمّد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال النبيّ ﷺ: ما زال جبرئيل يوصيني بالسواك حتّى خفت أن أحفي أو أدرد[٦].

---

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٦٥٧ باب التسليم على أهل الملل ح ١.
(٢) أصول الكافي، ج ٢ ص ٦٦٤ باب الجلوس ح ١.
(٣) أصول الكافي، ج ٢ ص ٦٦٥ باب الدعابة ح ١.
(٤) الكافي، ج ٥ ص ٨٥٤ باب أن النساء أشباه ح ١.
(٥) أصول الكافي، ج ٢ ص ٦٧٠ باب النوادر ح ١.
(٦) الكافي، ج ٦ ص ١١٦٦ باب السواك ح ٣.

بيان: قال الجزريّ: فيه لزمت السواك حتّى كدت أحفي فمي، أي أستقصي على أسناني فأذهبها بالتسوّك، وقال: فيه لزمت السواك حتّى خشيت أن يدردني، أي يذهب بأسناني، والدرد: سقوط الأسنان.

٤٩ - **كا:** العدّة، عن البرقيّ، وعلي، عن أبيه جميعاً عن الإصفهانيّ، عن المنقريّ، عن سفيان بن عتيبة، عن أبي عبد الله عليه السلام إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: أنا أولى بكلّ مؤمن من نفسه، وعليّ أولى به من بعدي، فقيل له: ما معنى ذلك؟ فقال: قول النبيّ صلى الله عليه وآله: من ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ، ومن ترك مالاً فلورثته، فالرجل ليست عليه على نفسه ولاية إذا لم يكن له مال، وليس له على عياله أمرٌ ولا نهيٌ إذا لم يجر عليهم النفقة، والنبيّ وأمير المؤمنين ومن بعدهما ألزمهم هذا، فمن هناك صاروا أولى بهم من أنفسهم، وما كان سبب إسلام عامّة اليهود إلاّ من بعد هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنهم أمنوا على أنفسهم وعلى عيالاتهم[1].

بيان: قال الجزريّ: فيه من ترك ضياعاً فإليّ، الضياع: العيال، وأصله مصدر ضاع يضيع ضياعاً، فسمّي العيال بالمصدر، وإن كسرت الضاد كان جمع ضائع كجائع وجياع انتهى.

قوله عليه السلام: ليست له على نفسه ولاية، لأنّه إمّا أن يصير أجيراً لغيره فيكون لغيره عليه الولاية، أو يشتغل بسائر المكاسب وجوباً، فليس له الاشتغال بفضول الطاعات والمباحات، أو ليست له على نفسه ولاية أن يمنعها عن السؤال والطلب، أو المعنى أن الإمام لمّا كان منفقاً عليه حينئذٍ فله الولاية عليه، فليس له حقيقة على نفسه ولاية، أو أنّه لمّا لم يكن له مال يجعله بضاعة للكسب فلا ولاية له على نفسه بأن يكلّف نفسه الكسب، وأمّا عدم الأمر والنهي له على عياله فلأنه ليس له منعهم عن الخروج من البيت، ولا الأمر بالخدمات، لأنّه يجب عليهم الخروج لتحصيل المعاش.

٥٠ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أُذينة، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصنع بمن مات من بني هاشم خاصّة شيئاً لا يصنعه بأحد من المسلمين، كان إذا صلّى على الهاشميّ ونضح قبره بالماء وضع رسول الله صلى الله عليه وآله كفّه على القبر حتّى ترى أصابعه في الطين، فكان الغريب يقدم أو المسافر من أهل المدينة فيرى القبر الجديد عليه أثر كفّ رسول الله صلى الله عليه وآله، فيقول: من مات من آل محمّد صلى الله عليه وآله[2].

٥١ - **كا:** الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن الوشّاء، عن أبان بن عثمان، عن زيد الشحّام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما أكل رسول الله صلى الله عليه وآله متكئاً منذ بعثه الله عزّ وجلّ حتّى قبض، وكان يأكل أكلة العبد، ويجلس جلسة العبد، قلت: ولم ذاك؟ قال:

---

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٤٢ باب ما يجب من حق الإمام ح ٦.
(٢) الكافي، ج ٣ ص ١٠٣ باب ١٣٨ ح ٤.

تواضعاً لله عزّ وجلّ [١].

٥٢ -**كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن أبي المعزاء، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ يأكل أكل العبد، ويجلس جلسة العبد، ويعلم أنّه عبد [٢].

٥٣ -**كا:** الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن الوشّاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي خديجة قال: سأل بشير الدهّان أبا عبد الله عليه السلام وأنا حاضر، فقال: هل كان رسول الله ﷺ يأكل متّكئاً على يمينه وعلى يساره؟ فقال: ما كان رسول الله يأكل متّكئاً على يمينه ولا على يساره ﷺ، ولكن يجلس جلسة العبد، قلت: ولم ذلك؟ قال: تواضعاً لله عزّ وجلّ [٣].

٥٤ -**كا:** أبو عليّ الأشعريّ، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن صفوان، عن معلّى أبي عثمان، عن المعلّى بن خنيس قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما أكل نبيّ الله وهو متّكىء منذ بعثه الله عزّ وجلّ، وكان يكره أن يتشبّه بالملوك، ونحن لا نستطيع أن نفعل [٤].

٥٥ -**كا:** أبو عليّ الأشعريّ، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن محمّد بن سالم، عن أحمد ابن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ يأكل أكل العبد، ويجلس جلسة العبد، وكان يأكل على الحضيض، وينام على الحضيض [٥].

٥٦ -**كا:** العدّة، عن البرقيّ، عن عليّ بن محمّد القاسانيّ، عن أبي أيّوب سليمان بن مقبل المدينيّ، عن داود بن عبد الله بن محمّد الجعفريّ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان في بعض مغازيه فمرّ به ركب وهو يصلّي، فوقفوا على أصحاب رسول الله ﷺ فساءلوهم عن رسول الله ﷺ ودعوا وأثنوا وقالوا: لولا أنّا عجال لانتظرنا رسول الله ﷺ، فاقرئوه منّا السلام ومضوا، فانفتل رسول الله ﷺ مغضباً، ثمّ قال لهم: يقف عليكم الركب ويسألونكم عنّي ويبلّغوني السلام ولا تعرضون عليهم الغداء، ليعزّ عليّ قوم فيهم خليلي جعفر أن يجوزوه حتّى يتغدّوا عنده [٦].

٥٧ -**كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسن بن محبوب، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ يجعل العنزة بين يديه إذا صلّى [٧].

بيان: قال الجوهريّ: العنزة بالتحريك: أطول من العصا، وأقصر من الرمح، وفيه زجّ كزجّ الرمح.

---

(١) - (٣) الكافي، ج ٦ ص ١٠٤٠ باب ١٩٤ ح ١ و٣ و٧.

(٤) - (٥) الكافي، ج ٦ ص ١٠٤١ باب ١٩٤ ح ٨ و٦.

(٦) الكافي، ج ٦ ص ١٠٤٣ باب ٢٠٠ ح ١. (٧) الكافي، ج ٣ ص ١٥١ باب ١٨٠ ح ١.

٥٨ - **كا:** عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن ابن سنان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان طول رحل رسول الله صلى الله عليه وآله ذراعاً، وكان إذا صلّى وضعه بين يديه ليستتر به ممّن يمرّ بين يديه[1].

٥٩ - **كا:** حميد بن زياد، عن الحسن بن محمّد بن سماعة، عن وهيب بن حفص، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله عند عائشة ليلتها، فقالت: يا رسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ فقال: يا عائشة ألا أكون عبداً شكوراً؟ قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم على أطراف أصابع رجليه، فأنزل الله سبحانه: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝﴾[2].

٦٠ - **كا:** العدّة، عن البرقيّ، عن عثمان بن عيسى، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان في سفر يسير على ناقة له، إذ نزل فسجد خمس سجدات، فلمّا ركب قالوا: يا رسول الله إنّا رأيناك صنعت شيئاً لم تصنعه، فقال صلى الله عليه وآله: نعم استقبلني جبرئيل عليه السلام فبشّرني ببشارات من الله عزّ وجلّ، فسجدت لله شكراً لكلّ بشرى سجدة[3].

٦١ - **كا:** العدّة، عن البرقيّ، عن أبيه، عن حمّاد، عن حريز، عن بحر السقّا قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا بحر حسن الخلق يسرّ، ثمّ قال: ألا أخبرك بحديث ما هو في يدي أحد من أهل المدينة؟ قلت: بلى، قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالس في المسجد إذ جاءت جارية لبعض الأنصار وهو قائم، فأخذت بطرف ثوبه، فقام لها النبيّ صلى الله عليه وآله فلم تقل شيئاً، ولم يقل لها النبيّ صلى الله عليه وآله شيئاً حتّى فعلت ذلك ثلاث مرّات، فقام لها النبيّ صلى الله عليه وآله في الرابعة وهي خلفه، فأخذت هدبة من ثوبه ثمّ رجعت، فقال لها الناس: فعل الله بك وفعل حبست رسول الله ثلاث مرّات لا تقولين له شيئاً، ولا هو يقول لك شيئاً، ما كانت حاجتك إليه؟ قالت: إنّ لنا مريضاً فأرسلني أهلي لآخذ هدبة من ثوبه ليستشفي بها، فلمّا أردت أخذها رآني فقام، فاستحييت أن آخذها وهو يراني، وأكره أن أستأمره في أخذها فأخذتها[4].

بيان: هدبة الثوب: طرفه ممّا يلي طرّته.

٦٢ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن ابن فضّال، عن ابن بكير، عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أُتي باليهوديّة الّتي سمّت الشاة للنّبيّ صلى الله عليه وآله، فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟ فقالت: قلت: إن كان نبيّاً لم يضرّه، وإن كان ملكاً أرحت

---

(١) الكافي، ج ٣ ص ١٥١ باب ١٨٠ ح ٢.
(٢) أصول الكافي، ج ٢ ص ٣٨٢ باب الشكر ح ٦.
(٣) أصول الكافي، ج ٢ ص ٣٨٤ باب الشكر ح ٢٤.
(٤) أصول الكافي، ج ٢ ص ٣٨٧ باب حسن الخلق ح ١٥.

النّاس منه، قال: فعفا رسول الله ﷺ عنها[١].

٦٣ - **كا:** حميد بن زياد، عن الخشّاب، عن ابن بقاح، عن عمرو بن جميع، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخل رسول الله ﷺ على عائشة فرأى كسرة كاد أن يطأها فأخذها وأكلها، وقال: يا حميرى أكرمي جوار نعم الله عليك، فإنّها لم تنفر من قوم فكادت تعود إليهم[٢].

٦٤ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الرحمن بن الحجّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أفطر رسول الله عشيّة خميس في مسجد قبا، فقال: هل من شراب؟ فأتاه أوس بن خولي الأنصاريّ بعسّ مخيض بعسل، فلمّا وضعه على فيه نحّاه، ثمّ قال: شرابان يكتفى بأحدهما من صاحبه، لا أشربه ولا أحرّمه، ولكن أتواضع لله، فإنّ من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبّر خفضه الله، ومن اقتصد في معيشته رزقه الله، ومن بذر حرمه الله، ومن أكثر ذكر الموت أحبّه الله[٣].

ين: ابن أبي عمير مثله. «ص ١٢٤ ح ١٥٠».

٦٥ - **كا:** العدّة، عن البرقيّ، عن ابن فضّال، عن العلاء بن رزين، عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يذكر أنّه أتى رسول الله ﷺ ملك، فقال: إنّ الله تعالى يخيّرك أن تكون عبداً رسولاً متواضعاً، أو ملكاً رسولاً، قال: فنظر إلى جبرئيل وأومأ بيده أن تواضع، فقال: عبداً متواضعاً رسولاً، فقال الرسول: مع أنّه لا ينقصك ممّا عند ربّك شيئاً، قال: ومعه مفاتيح خزائن الأرض[٤].

٦٦ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن يحيى الخثعميّ، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما أعجب رسول الله ﷺ شيء من الدنيا إلاّ أن يكون فيها جائعاً خائفاً[٥].

٦٧ - **كا:** العدّة، عن البرقيّ، عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن بن راشد، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج النبيّ ﷺ وهو محزون، فأتاه ملك ومعه مفاتيح خزائن الأرض فقال: يا محمّد هذه مفاتيح خزائن الدنيا، يقول لك ربّك افتح وخذ منها ما شئت من غير أن ينقص شيئاً عندي، فقال رسول الله ﷺ: الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له، فقال الملك: والذي بعثك بالحقّ لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله في السماء الرابعة حين أعطيت المفاتيح[٦].

---

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٣٩٠ باب العفو ح ٩. (٢) الكافي، ج ٦ ص ١٠٥٧ باب ٢٢٠ ح ٦.
(٣) أصول الكافي، ج ٢ ص ٣٩٨ باب التواضع ح ٣.
(٤) أصول الكافي، ج ٢ ص ٣٩٨ باب التواضع ح ٥.
(٥) - (٦) أصول الكافي، ج ٢ ص ٤٠٢ باب ذم الدنيا ح ٧ و٨.

٦٨ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن عيسى، عن محمّد بن يحيى، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله أجرى الخيل الّتي أضمرت من الحصباء إلى مسجد بني زريق، وسبقها من ثلاث نخلات، فأعطى السابق عذقاً، وأعطى المصلّي عذقاً، وأعطى الثالث عذقاً[1].

كا: عليّ، عن أبيه، عن محمّد بن يحيى، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله.

٦٩ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أحبّ الأصباغ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله الخلّ والزيت[2].

٧٠ - **كا:** الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن الوشّاء، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أمّ سلمة رضي الله عنها فقرّبت إليه كسرة، فقال: هل عندك إدام؟ فقالت: لا يا رسول الله ما عندي إلا خلّ فقال صلى الله عليه وآله: نعم الإدام الخلّ، ما افتقر بيت فيه خلّ[3].

بيان: قوله: ما افتقر، في بعض النسخ بتقدّم القاف على الفاء، وفي بعضها بالعكس، والأوّل أظهر، قال الجزريّ: فيه ما أقفر بيت فيه خلّ، أي ما خلا من الإدام وما عدم أهله الإدام، والقفار: الطعام بلا أدم، وأقفر الرجل: إذا أكل الخبز وحده من القفر والقفار وهي الأرض الخالية الّتي لا ماء بها.

٧١ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أتي بطعام حارّ جدّاً، فقال: ما كان الله ليطعمنا النار، أقرّوه حتّى يبرد ويمكن، فإنّه طعام ممحوق البركة، وللشيطان فيه نصيب[4].

٧٢ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن القاسانيّ، عن أبي أيّوب المدينيّ، عن سليمان الجعفريّ، عن الرضا عليه السلام إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعجبه النظر إلى الأترج الأخضر، والتفّاح الأحمر[5].

٧٣ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله يأكل الرطب بالخربز[6].

٧٤ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأكل البطّيخ بالتمر[7].

---

(١) الكافي، ج ٥ ص ٦١٦ باب ٢٢ ح ٥.
(٢) الكافي، ج ٦ ص ١٠٧٢ باب ٢٤٨ ح ٦.
(٣) الكافي، ج ٦ ص ١٠٧٣ باب ٢٤٩ ح ١.
(٤) الكافي، ج ٦ ص ١٠٦٩ باب ٢٤٣ ح ٢.
(٥) الكافي، ج ٦ ص ١٠٩٠ باب الأترج ح ٦.
(٦) - (٧) الكافي، ج ٦ ص ١٠٩١ باب ٢٨٠ ح ٢-٣.

٧٥ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن جعفر بن محمّد الأشعريّ، عن ابن القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان النبيّ ﷺ يعجبه الرطب بالخربز[١].

٧٦ - **كا:** العدّة، عن البرقيّ، عن محمّد بن عيسى، عن عبيد الله الدهقان، عن درست، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: أكل رسول الله ﷺ البطّيخ بالسكّر، وأكل ﷺ البطّيخ بالرطب[٢].

٧٧ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: كان يعجب رسول الله ﷺ من البقول الحوك.[٣]

بيان: قال الفيروزآباديّ: الحوك: البادروج، والبقلة الحمقاء.

٧٨ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن سهل، عن جعفر بن محمّد الأشعريّ، عن ابن القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ إذا شرب الماء قال: الحمد لله الّذي سقانا عذباً زلالاً، ولم يسقنا ملحاً أجاجاً، ولم يؤاخذنا بذنوبنا[٤].

٧٩ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن إبراهيم الكرخيّ، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ يشرب في الأقداح الشاميّة يجاء بها من الشام، وتهدى له ﷺ[٥].

٨٠ - **كا:** بهذا الإسناد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان النبيّ ﷺ يعجبه أن يشرب في القدح الشاميّ، وكان يقول: هذا أنظف آنيتكم[٦].

٨١ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن بعض أصحابه، عن عنبسة بن مصعب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: أتى النبيّ ﷺ بشيء فقسّمه فلم يسع أهل الصفّة جميعاً، فخصّ به أُناساً منهم، فخاف رسول الله ﷺ أن يكون قد دخل قلوب الآخرين شيء، فخرج إليهم فقال: معذرة إلى الله عزّ وجلّ، وإليكم يا أهل الصفّة، إنّا أُتينا بشيء فأردنا أن نقسّمه بينكم فلم يسعكم، فخصصت به أُناساً منكم، خشينا جزعهم وهلعهم[٧].

٨٢ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن إسماعيل بن مهران، عن أيمن بن محرز، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما صافح رسول الله ﷺ رجلاً قطّ فنزع يده حتّى يكون هو الّذي ينزع يده منه[٨].

٨٣ - **كا:** العدّة عن سهل، عن جعفر بن محمّد الأشعريّ، عن ابن القدّاح، عن أبي

(١) - (٢) الكافي، ج ٦ ص ١٠٩١ باب ٢٨٠ ح ٢-٥.
(٣) الكافي، ج ٦ ص ١٠٩٢ باب ٢٨٣ ح ١. (٤) الكافي، ج ٦ ص ١١٠٣ باب ٣٠٩ ح ٢.
(٥) - (٦) الكافي، ج ٦ ص ١١٠٣ باب ٣١٠ ح ١ و٨.
(٧) الكافي، ج ٣ ص ٢٨٧ باب ٣٠٦ ح ٥.
(٨) أصول الكافي، ج ٢ ص ٤٣١ باب المصافحة ح ١٥.

عبد الله عليه السلام قال: لقي النبيّ صلى الله عليه وآله حذيفة فمدّ النبيّ صلى الله عليه وآله يده فكفّ حذيفة يده، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا حذيفة بسطت يدي إليك فكففت يدك عنّي؟ فقال حذيفة: يا رسول الله بيدك الرغبة، ولكنّي كنت جنباً فلم أحبّ أن تمسّ يدي يدك وأنا جنب، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أما تعلم أن المسلمين إذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما كما يتحاتّ ورق الشجر(١).

٨٤ - **كا:** عليّ بن محمّد بن عبد الله، عن البرقيّ، عن أبيه، عن إسماعيل بن مهران، عن أيمن بن محرز، عن زيد الشحّام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: ما منع رسول الله صلى الله عليه وآله سائلاً قطّ، إن كان عنده أعطى، و إلاّ قال: يأتي الله به(٢).

٨٥ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيّوب، عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله أوّل ما بعث يصوم حتّى يقال: ما يفطر، ويفطر حتّى يقال: ما يصوم، ثمّ ترك ذلك وصام يوماً وأفطر يوماً وهو صوم داود عليه السلام، ثمّ ترك ذلك وصام الثلاثة الأيّام الغرّ، ثمّ ترك ذلك وفرّقها في كلّ عشرة يوماً: خميسين بينهما أربعاء، فقبض عليه وآله السلام وهو يعمل ذلك(٣).

بيان: الأيّام الغرّ: الأيام البيض في وسط الشهر.

٨٦ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن الحسن بن محبوب، عن جميل بن صالح، عن محمّد ابن مروان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصوم حتّى يقال: لا يفطر، ثمّ صام يوماً وأفطر يوماً، ثمّ صام الاثنين والخميس، ثمّ آل من ذلك إلى صيام ثلاثة أيّام في الشهر: الخميس في أوّل الشهر، وأربعاء في وسط الشهر، وخميس في آخر الشهر، وكان يقول: ذلك صوم الدهر، وقد كان أبي يقول: ما من أحد أبغض إليّ من رجل يقال له: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل كذا وكذا، فيقول: لا يعذّبني الله على أن أجتهد في الصلاة، كأنّه يرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله ترك شيئاً من الفضل عجزاً عنه(٤).

٨٧ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنّ نساء النبيّ صلى الله عليه وآله إذا كان عليهنّ صيام أخّرن ذلك إلى شعبان كراهة أن يمنعن رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا كان شعبان صمن، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: شعبان شهري(٥).

٨٨ - **كا:** أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحسن، عن أحمد بن صبيح، عن عنبسة العابد قال: قبض النبيّ صلى الله عليه وآله على صوم شعبان ورمضان وثلاثة أيّام في كلّ شهر: أوّل خميس، وأوسط أربعاء، وآخر خميس(٦).

---

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٢٨٧ باب المصافحة ح ١٩.
(٢) الكافي، ج ٤ ص ٣٠٦ باب ١١ ح ٥.
(٣) - (٦) الكافي، ج ٤ ص ٣٤٣ باب ٥٦ ح ٢ و٣ و٤ و٧.

٨٩ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن عبد الرحمن ابن عثمان، عن رجل من أهل اليمامة كان مع أبي الحسن أيّام حبس ببغداد، قال: قال أبو الحسن عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ قال لنبيّه ﷺ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ وكانت ثيابه طاهرة، وإنّما أمره بالتشمير[١].

٩٠ - **كا:** عليّ بن محمّد، عن البرقيّ، عن أبيه، عن النضر، عن موسى بن بكر، عن عجلان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ رسول الله ﷺ كان لا يسأله أحد من الدنيا شيئاً إلاّ أعطاه، فأرسلت إليه امرأة ابناً لها فقالت: انطلق إليه فاسأله، فإن قال لك: ليس عندنا شيء فقل: أعطني قميصك، قال: فأخذ قميصه فرمى به إليه.

وفي نسخة أُخرى: وأعطاه، فأدّبه الله عزّ وجلّ تبارك وتعالى على القصد فقال: ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً[٢].

٩١ - **كا:** عليّ، عن أبيه، ومحمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن سليمان الفزاريّ، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ يكتحل بالإثمد إذا أوى إلى فراشه وتراً وتراً[٣].

٩٢ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن جعفر بن محمّد الأشعريّ، عن ابن القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ما زال جبرئيل عليه السلام يوصيني بالسواك حتّى خشيت أن أدرد وأُحفي[٤].

٩٣ - **كا:** العدّة، عن البرقيّ، عن موسى بن القاسم، عن صفوان، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ رسول الله ﷺ كان يكتحل قبل أن ينام أربعاً في اليمنى، وثلاثاً في اليسرى[٥].

توضيح: لعلّ المعنى أنّه ﷺ قد كان يفعل كذلك لئلاّ ينافي الخبر السابق، ويحتمل أن يكون المراد بالسابق كونهما معاً وتراً، فيكون التكرير للتأكيد، أو اللّيالي، لكنّه بعيد، ويمكن حمل السابق على التقيّة لكونه أوفق بأخبار المخالفين إذ أكثرهم رووا أنّه ﷺ كان يكتحل في كلّ عين ثلاثاً.

٩٤ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ رسول الله ﷺ مرّ في بعض طرق المدينة وسوداء تلقط السرقين، فقيل لها: تنحّي عن طريق رسول الله ﷺ، فقالت: إنّ

---

(١) الكافي، ج ٦ ص ١١٤٤ باب ٣٥٣ ح ٤. (٢) الكافي، ج ٤ ص ٣٢٧ باب ٤٠ ح ٧.
(٣) الكافي، ج ٦ ص ١١٦٥ باب ٣٨٢ ح ١. (٤) الكافي، ج ٦ ص ١١٦٦ باب ٣٨٣ ح ٣.
(٥) الكافي، ج ٦ ص ١١٦٦ باب ٣٨٢ ح ١٢.

الطريق لمعرض، فهمّ بها بعض القوم أن يتناولها، فقال رسول الله ﷺ: دعوها فإنّها جبّارة(١).

٩٥ - **ين:** عبد الله بن سنان، عن عليّ بن شجرة، عن عمّه بشير، عن أبي جعفر عليه السلام مثله. «ص ١٢٤ باب ١٠ ح ٢».

٩٦ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان النبيّ ﷺ إذا خرج في الصيف من البيت خرج يوم الخميس، وإذا أراد أن يدخل في الشتاء من البرد دخل يوم الجمعة، وروي أيضاً كان دخوله وخروجه ليلة الجمعة(٢).

٩٧ - **كا:** أحمد بن عبد الله، عن البرقيّ، عن عبد الله بن مالك، عن هارون بن الجهم، عن الكاهليّ، عن معاذ بيّاع الأكسية قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: كان رسول الله ﷺ يحلب عنز أهله(٣).

٩٨ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن محمّد بن أحمد، عمّن ذكره، عن منصور بن العبّاس، عن صفوان بن يحيى، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ إذا أفطر بدأ بحلواء يفطر عليها، فإن لم يجد فسكّرة أو تمرات، فإذا أعوز ذلك كلّه فماء فاتر(٤).

٩٩ - **كا:** عليٌّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن مهزم، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ يفطر على التمر في زمن التمر، وعلى الرطب في زمن الرطب(٥).

١٠٠ - **كا:** عليٌّ، عن أبيه، عن جعفر بن عبد الله الأشعريّ، عن ابن القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ أوّل ما يفطر عليه في زمن الرطب الرطب، وفي زمن التمر التمر(٦).

١٠١ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر شدّ المئزر، واجتنب النساء، وأحيى الليل، وتفرغ للعبادة(٧).

١٠٢ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ إذا كان العشر الأواخر اعتكف في المسجد وضربت له قبّة من شعر،

---

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٤٩٢ باب الكبر ح ٢.
(٢) الكافي، ج ٦ ص ١١٨٧ باب ٤٠٩ ح ١٤. (٣) الكافي، ج ٥ ص ٦٣٦ باب ٤٣ ح ٢.
(٤) - (٦) الكافي، ج ٤ ص ٣٧٥ باب ١١٠ ح ٤-٦.
(٥) الكافي، ج ٤ ص ٣٧٦ باب ١١٢ ح ٣.

وشمّر المئزر، وطوى فراشه، فقال بعضهم: واعتزل النساء، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أمّا اعتزال النساء فلا[1].

بيان: طيّ الفراش كناية عن اجتناب النساء، أو النوم، والأوّل أظهر والاعتزال المنفي الاعتزال بالكلّيّة.

١٠٣ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كانت بدر في شهر رمضان فلم يعتكف رسول الله ﷺ، فلمّا أن كان من قابل اعتكف عشرين: عشراً لعامه، وعشراً قضاءً لما فاته[2].

١٠٤ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن أحمد بن محمّد، عن داود بن الحصين، عن أبي العبّاس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اعتكف رسول الله ﷺ في شهر رمضان في العشر الأول، ثمّ اعتكف في الثانية في العشر الوسطى، ثمّ اعتكف في الثالثة في العشر الأواخر، ثمّ لم يزل يعتكف في العشر الأواخر[3].

١٠٥ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن أبي الفرج قال: سأل أبان أبا عبد الله عليه السلام أكان لرسول الله عليه السلام طواف يعرف به؟ فقال: كان رسول الله ﷺ يطوف باللّيل والنهار عشرة أسابيع: ثلاثة أوّل اللّيل، وثلاثة آخر اللّيل، واثنين إذا أصبح، واثنين بعد الظهر وكان فيما بين ذلك راحته[4].

١٠٦ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن سنان قال: كان رسول الله ﷺ يذبح يوم الأضحى كبشين: أحدهما عن نفسه، والآخر عمّن لم يجد من أمّته[5].

١٠٧ - **كا:** عليٌّ، عن أبيه، عن ابن مرار، عن يونس، عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا بأس بالرجل يمرّ على الثّمرة ويأكل منها ولا يفسد، وقد نهى رسول الله ﷺ أن تبنى الحيطان بالمدينة لمكان المارّة[6].

١٠٨ - **كا:** عليّ بن محمّد بن عبد الله، عن البرقيّ، عن القاسانيّ، عمّن حدّثه، عن عبد الله بن القاسم الجعفريّ، عن أبيه قال: كان النبيّ ﷺ إذا بلغت الثمار أمر بالحيطان فثلمت[7].

١٠٩ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن ابن فضّال، عن ابن القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان النبيّ ﷺ يعجبه الدبا ويلتقطه من الصحفة[8].

---

(١) - (٣) الكافي، ج ٤ ص ٣٨٧ باب ١٢٠ ح ١-٣.

(٤) الكافي، ج ٤ ص ٥١٢ باب ٢٦٦ ح ٥. (٥) الكافي، ج ٤ ص ٥٤٦ باب ٣١١ ح ١.

(٦) - (٧) الكافي، ج ٣ ص ٢٩٧ باب ٣٢١ ح ١ و٣.

(٨) الكافي، ج ٦ ص ١٠٩٦ باب ٢٩٣ ح ٣.

١١٠ - **محص:** عن أبي سعيد الخدري، أنّه وضع يده على رسول الله ﷺ وعليه حمّى فوجدها من فوق اللّحاف، فقال: ما أشدّها عليك يا رسول الله؟ قال: إنّا كذلك يشتدّ علينا البلاء ويضعّف لنا الأجر(١).

١١١ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن احمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر، عن يحيى الحلبيّ، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مات رسول الله ﷺ وعليه دين(٢).

١١٢ - **كا:** العدّة، عن البرقيّ، عن ابن مهران، عن ابن عميرة، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ: يأكل الهديّة، ولا يأكل الصدقة(٣).

١١٣ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لو أهدي إليّ كراع لقبلته(٤).

١١٤ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن النهديّ، عن موسى بن عمر بن بزيع، عن الرضا عليه السلام قال: إنّ رسول الله ﷺ كان إذا أخذ في طريق رجع في غيره(٥).

١١٥ - **يب:** محمّد بن عليّ بن محبوب، عن ابن معروف، عن ابن المغيرة، عن معاوية ابن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول - وذكر صلاة النبيّ ﷺ - قال: كان يأتي بطهور فيتخمّر عند رأسه، ويوضع سواكه تحت فراشه، ثمّ ينام ما شاء الله، فإذا استيقظ جلس، ثمّ قلّب بصره في السماء، ثمّ تلا الآيات من آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية، ثمّ يستنّ ويتطهّر، ثمّ يقوم إلى المسجد فيركع أربع ركعات على قدر قراءته ركوعه، وسجوده على قدر ركوعه، يركع حتّى يقال: متى يرفع رأسه؟ ويسجد حتّى يقال: متى يرفع رأسه؟ ثمّ يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله، ثمّ يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات من آل عمران، ويقلّب بصره في السماء، ثمّ يستنّ ويتطهّر ويقوم إلى المسجد فيصلّي أربع ركعات كما ركع قبل ذلك، ثمّ يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله، ثمّ يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات من آل عمران، ويقلّب بصره في السماء، ثمّ يستنّ ويتطهّر ويقوم إلى المسجد فيوتر ويصلّي الركعتين، ثمّ يخرج إلى الصلاة(٦).

بيان: الاستنان: استعمال السواك.

١١٦ - **كا:** العدّة، عن سهل وأبو عليّ الأشعريّ، عن محمّد بن عبد الجبّار جميعاً، عن

---

(١) التمحيص مع كتاب تحف العقول ص ٤٠١ ح ٢٣.

(٢) الكافي، ج ٥ ص ٦٣٩ باب ٥١ ح ٢.

(٣) الكافي، ج ٥ ص ٦٦٦ باب ٨٢ ح ٧.

(٤) الكافي، ج ٥ ص ٦٦٦ باب ٨٢ ح ٩.

(٥) روضة الكافي، ص ٧٤٤ ح ١٢٤.

(٦) تهذيب الأحكام، ج ٢ ص ٤٢١ باب ١٥ ح ٢٣٣.

ابن فضّال، عن عليّ بن عقبة، عن سعيد بن عمرو الجعفيّ، عن محمّد بن مسلم قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام ذات يوم وهو يأكل متكئاً قال: وقد كان يبلغنا أن ذلك يكره، فجعلت أنظر إليه، فدعاني إلى طعامه، فلمّا فرغ قال: يا محمّد لعلّك ترى أن رسول الله ﷺ رآته عين يأكل وهو متّكٍ منذ أن بعثه الله إلى أن قبضه؟ ثمّ ردّ على نفسه فقال: لا والله ما رآته عين يأكل وهو متّك من أن بعثه الله إلى أن قبضه، ثمّ قال: يا محمّد لعلّك ترى أنّه شبع من خبز البرّ ثلاثة أيّام متوالية منذ بعثه الله إلى أن قبضه؟ ثمّ إنّه ردّ على نفسه ثمّ قال: لا والله ما شبع من خبز البرّ ثلاثة أيّام متوالية منذ بعثه الله تعالى إلى أن قبضه، أما إنّي لا أقول: إنّه كان لا يجد، لقد كان يجيز الرجل الواحد بالمائة من الإبل، فلو أراد أن يأكل لأكل ولقد أتاه جبرئيل عليه السلام بمفاتيح خزائن الأرض ثلاث مرّات يخيّره من غير أن ينقصه الله تبارك وتعالى ممّا أعدّ الله له يوم القيامة شيئاً، فيختار التواضع لربه عزّ وجلّ، وما سئل شيئاً قطّ فيقول: لا، إن كان أعطى، وإن لم يكن قال: يكون، وما أعطى على الله شيئاً قطّ إلاّ سلّم ذلك إليه، حتّى أن كان ليعطي الرجل الجنّة فيسلّم الله ذلك له، ثمّ تناولني بيده، وقال: وإن كان صاحبكم ليجلس جلسة العبد، ويأكل أكلة العبد، ويطعم الناس خبز البرّ واللّحم، ويرجع إلى أهله فيأكل الخبز والزيت، وإن كان ليشتري القميص السنبلانيّ، ثمّ يخيّر غلامه خيرهما، ثمّ يلبس الباقي، فإذا جاز أصابعه قطعه، وإذا جاز كعبه حذفه، وما ورد عليه أمران قطّ كلاهما لله رضاً إلاّ أخذ بأشدّهما على بدنه، ولقد ولي الناس خمس سنين فما وضع آجرّة على آجرّة، ولا لبنة على لبنة، ولا أقطع قطيعة، ولا أورث بيضاء ولا حمراء إلاّ سبع مائة درهم فضلت من عطاياه أراد أن يبتاع لأهله بها خادماً، وما أطاق أحد عمله، لقد كان عليّ بن الحسين عليه السلام لينظر في الكتاب من كتب عليّ عليه السلام فيضرب به الأرض ويقول: من يطيق هذا؟[١].

ما: الحسين بن إبراهيم القزوينيّ، عن محمّد بن وهبان، عن محمّد بن أحمد بن زكريّا، عن الحسن بن فضّال، عن عليّ بن عقبة مثله[٢].

١١٧ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن البزنطيّ، عن حمّاد بن عثمان قال: حدّثني عليّ بن المغيرة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ جبرئيل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ فخيّره، وأشار عليه بالتواضع، وكان له ناصحاً، فكان رسول الله ﷺ يأكل أكلة العبد، ويجلس جلسة العبد تواضعاً لله تبارك وتعالى، ثمّ أتاه عند الموت بمفاتيح خزائن الدّنيا فقال: هذه مفاتيح خزائن الدنيا بعث بها إليك ربّك ليكون لك ما أقلّت الأرض، من غير أن ينقصك شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: في الرفيق الأعلى[٣].

بيان: قال الجزريّ: في حديث الدعاء: وألحقني بالرفيق الأعلى، الرفيق جماعة الأنبياء

(١) روضة الكافي، ص ٧٣٥ ح ١٠٠.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٦٩٢ مجلس ٣٩ ح ١٤٧٠.
(٣) روضة الكافي، ص ٧٣٥ ح ١٠١.

يسكنون أعلى علّيّين، وهو اسم جاء على فعيل، وهو معناه الجماعة، كالصديق والخليط يقع على الواحد والجمع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ وقيل: معنى ألحقني بالرفيق الأعلى، أي بالله تعالى، يقال: الله رفيق بعباده، من الرفق والرأفة، ومنه حديث عائشة: سمعته يقول عند موته: بل الرفيق الأعلى، وذلك أنّه خيّر بين البقاء في الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله.

١١٨ - **كا:** سهل، عن ابن فضّال، عن عليّ بن عقبة، عن عبد المؤمن الأنصاريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عرضت عليّ بطحاء مكّة ذهباً، فقلت: يا ربّ لا، ولكن أشبع يوماً، وأجوع يوماً، فإذا شبعت حمدتك وشكرتك، وإذا جعت دعوتك وذكرتك[1].

ما: الحسين بن إبراهيم القزوينيّ، عن محمّد بن وهبان، عن محمّد بن أحمد بن زكريّا، عن ابن فضّال مثله[2].

١١٩ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام وغيره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما كان شيء أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من أن يظلّ خائفاً جائعاً في الله عزّ وجلّ[3].

١٢٠ - **كا:** العدّة، عن ابن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن أبي المغرا، عن زيد الشحّام، عن عمرو بن سعيد بن هلال، عن أبي عبد الله قال إيّاك أن تطمح نفسك إلى من فوقك وكفى بما قال الله عزّ وجلّ لرسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾[4] وقال الله عزّ وجلّ لرسوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[5] فإنّ خفت شيئاً من ذلك فاذكر عيش رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّما كان قوته الشعير وحلواه التمر، ووقوده السعف إذا وجده[6].

كا: محمّد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن محمّد بن سنان، عن عمّار بن مروان، عن الشحّام مثله[7].

ين: فضالة، عن أبي المغرا مثله[8].

١٢١ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عمر بن عبد العزيز، عن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسّم لحظاته بين أصحابه، ينظر إلى ذا وينظر إلى ذا بالسويّة[9].

---

(١) روضة الكافي، ص ٧٣٥ ح ١٠٢.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٦٩٣ مجلس ٣٩ ح ١٤٧٢.
(٣) روضة الكافي، ص ٧٣٥ ح ٩٩.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٥٥.
(٥) سورة طه، الآية: ١٣١.
(٦) روضة الكافي، ص ٧٧٥ ح ١٨٩.
(٧) أصول الكافي، ج ٢ ص ٤٠٦ باب القناعة ح ١.
(٨) الزهد، ص ٧٢ باب ٢ ح ١.
(٩) روضة الكافي، ص ٧٩٨ ح ٣٩٣.

١٢٢ - **كا:** محمّد، عن أحمد، عن ابن فضّال، عن بعض أصحابنا. قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما كلّم رسول الله ﷺ العباد بكنه عقله قطّ، قال رسول الله ﷺ: إنّا معشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم(١).

١٢٣ - **ين:** حمّاد، عن العقرقوفيّ، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم عنده عائشة فاستأذن عليه رجل، فقال رسول الله ﷺ: بئس أخو العشيرة، وقامت عائشة فدخلت البيت، وأذن له رسول الله ﷺ فدخل، فأقبل رسول الله ﷺ عليه حتّى إذا فرغ من حديثه خرج، فقالت له عائشة: يا رسول الله بينا أنت تذكره إذ أقبلت عليه بوجهك وبشرك، فقال لها رسول الله ﷺ: إنّ من أشر عباد الله من يكره مجالسته لفحشه(٢).

١٢٤ - **ين:** محمّد بن سنان، عن ابن مسكان، عن الصيقل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مرّت برسول الله ﷺ امرأة بذيّة وهو يأكل، فقالت: يا محمّد إنّك لتأكل أكل العبد وتجلس جلوسه، فقال لها: ويحك وأيّ عبد أعبد منّي؟ قالت: إما لا فناولني لقمة من طعامك، فناولها رسول الله ﷺ لقمة من طعامه، فقالت: لا والله إلاّ إلى فيّ من فيك، قال: فأخرج اللّقمة من فيه فتناولها إيّاها فأكلتها، قال أبو عبد الله عليه السلام فما أصابت بداء حتّى فارقت الدنيا(٣).

١٢٥ - **ين:** ابن أبي عمير، عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ النبيّ ﷺ كان قوته الشعير من غير أُدم(٤).

١٢٦ - **ين:** فضالة، عن ابن عميرة، عن ابن مسكان، عن عمّار بن حيّان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ رسول الله ﷺ أتته أخت له من الرضاعة، فلمّا أن نظر إليها سرّ بها وبسط رداءه لها فأجلسها عليه، ثمّ أقبل يحدّثها ويضحك في وجهها، ثمّ قامت فذهبت، ثمّ جاء أخوها فلم يصنع به ما صنع بها، فقيل: يا رسول الله صنعت بأخته ما لم تصنع به وهو رجل؟ فقال: لأنّها كانت أبرّ بأبيها منه(٥).

١٢٧ - **ين:** فضالة، عن أبان، عن عبد الله بن طلحة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: استقبل رسول الله ﷺ رجل من بني فهد وهو يضرب عبداً له، والعبد يقول: أعوذ بالله، فلم يقلع الرجل عنه، فلمّا أبصر العبد برسول الله ﷺ قال: أعوذ بمحمّد فأقلع عنه الضرب، فقال رسول الله ﷺ: يتعوّذ بالله فلا تعيذه؟ ويتعوّذ بمحمّد فتعيذه؟ والله أحقّ أن يجار عائذه من محمّد، فقال الرجل: هو حرّ لوجه الله، فقال رسول الله ﷺ: والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً لو لم تفعل لواقع وجهك حرّ النار(٦).

---

(١) روضة الكافي، ص ٧٩٨ ح ٣٩٤.
(٢) الزهد، ص ٦٨ باب ١ ح ١٦.
(٣) الزهد، ص ٧١ باب ١ ح ٢٢.
(٤) الزهد ص ٩٣ باب ٣ ح ١٦.
(٥) الزهد، ص ١٠٠ باب ٥ ح ٤.
(٦) الزهد، ص ١١٢ باب ٧ ح ٣.

١٢٨ - **ين**: فضالة، عن أبان بن عثمان، عن سلمة بن أبي حفص، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام عن جابر قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بالسوق وأقبل يريد العالية والناس يكتنفه، فمرّ بجدي أسَكٍ على مزبلة ملقىً وهو ميّت، فأخذ بأذنه، فقال: أيّكم يحبّ أن يكون هذا له بدرهم؟ قالوا ما نحبّ أنّه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: أفتحبّون أنّه لكم؟ قالوا: لا، حتّى قال ذلك ثلاث مرّات، فقالوا: والله لو كان حيّاً كان عيباً، فكيف وهو ميّت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الدُّنيا على الله أهون من هذا عليكم[1].

بيان: قال الجزريّ: فيه أنّه مرّ بجدي أسَكٍ، أي مصطلم الأُذنين مقطوعهما، قولهم: كان عيباً، أي معيباً، كذا فيما عندنا من النسخة، وكذا وجدت في كتاب رياض الصالحين للنّوويّ رواه عن جابر، ولعلّ فيه تصحيفاً.

١٢٩ - **ين**: النضر، عن ابن سنان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: دخل على النبيّ صلى الله عليه وآله رجل وهو على حصير قد أثّر في جسمه، ووسادة ليف قد أثّرت في خدّه، فجعل يمسح ويقول: ما رضي بهذا كسرى ولا قيصر، إنّهم ينامون على الحرير والديباج، أنت على هذا الحصير؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لأنا خير منهما والله، لأنا أكرم منهما والله، ما أنا والدنيا، إنّما مثل الدنيا كمثل راكب مرّ على شجرة ولها فيء فاستظلّ تحتها، فلمّا أن مال الظلّ عنها ارتحل فذهب وتركها[2].

١٣٠ - **ين**: النضر، عن عاصم، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: جاءني ملك فقال: يا محمّد ربّك يقرئك السلام ويقول لك: إن شئت جعلت لك بطحاء مكّة رضراض ذهب، قال: فرفع النبيّ صلى الله عليه وآله رأسه إلى السماء فقال: يا ربّ أشبع يوماً فأحمدك، وأجوع يوماً فأسألك[3].

١٣١ **ين**: بعض أصحابنا، عن عليّ بن شجرة، عن عمّه بشير النبّال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قدم أعرابيّ النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله تسابقني بناقتك هذه، فسابقه فسبقه الأعرابيّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله إنكم رفعتموها فأحبّ الله أن يضعها، إنّ الجبال تطاولت لسفينة نوح عليه السلام، وكان الجوديّ أشدّ تواضعاً فحب الله بها الجوديّ[4].

١٣٢ - **ين**: صفوان بن يحيى، عن النضريّ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتوب إلى الله في كلّ يوم سبعين مرّة من غير ذنب، كان يقول: أتوب إلى الله[5].

١٣٣ - **محص**: عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ رجلاً من

---

(١) الزهد، ص ١١٧ باب ٨ ح ١١.
(٢) الزهد، ص ١١٨ باب ٨ ح ١٤.
(٣) الزهد، ص ١٢٠ باب ٨ ح ١٩.
(٤) الزهد ص ١٢٩ باب ١٠ ح ١٤.
(٥) الزهد، ص ١٤٢ باب ١٢ ح ١١.

الأنصار أهدى إلى رسول الله ﷺ صاعاً من رطب، فقال رسول الله ﷺ للخادم الّتي جاءت به: ادخلي فانظري هل تجدين في البيت قصعة أو طبقاً فتأتيني به؟ فدخلت ثمّ خرجت إليه فقالت: ما أصبت قصعة ولا طبقاً، فكنس رسول الله ﷺ بثوبه مكاناً من الأرض، ثمّ قال لها: ضعيه هاهنا على الحضيض، ثمّ قال: والّذي نفسي بيده لو كانت الدنيا تعدل عند الله مثقال جناح بعوضة ما أعطى كافراً ولا منافقاً منها شيئاً(١).

١٣٤ - **نهج:** إلى أن بعث الله سبحانه محمّداً ﷺ لإنجاز عدته، وتمام نبوّته، مأخوذاً على النبيّين ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده(٢).

١٣٥ - **نهج:** حتّى بعث الله محمّداً ﷺ شهيداً وبشيراً ونذيراً، خير البريّة طفلاً، وأنجبها كهلاً، أطهر المطهّرين شيمة، وأجود المستمطرين ديمة(٣).

بيان: الشيمة بالكسر: الخلق والطبيعة، والاستمطار: طلب المطر، وطلب العطاء الكثير مجازاً، والديمة بالكسر: المطر الدائم، فيمكن أن يقرأ على بناء المفعول، أي أجود من طلب منه العطاء الدائم الكثير، أو على بناء الفاعل إشارة إلى استجابة دعائه في الاستسقاء فيحتمل أن يكون أجود مأخوذاً من الجود بمعنى المطر الكثير والله يعلم.

١٣٦ - **نهج:** ولقد كان في رسول الله ﷺ كاف لك في الأسوة، ودليل لك على ذمّ الدنيا وعيبها، وكثرة مخازيها ومساويها، إذ قبضت عنه أطرافها، ووطئت لغيره أكنافها، وفطم من رضاعها، وزوي عن زخارفها - وساقها إلى قوله عليه السلام -: فتأسّ بنبيّك الأطهر الأطيب ﷺ، فإنّ فيه أسوة لمن تأسّى، وعزاءً لمن تعزّى، وأحبّ العباد إلى الله تعالى المتأسّي بنبيه ﷺ، والمقتصّ لأثره، قضم الدنيا قضماً، ولم يعرها طرفاً، أهضم أهل الدنيا كشحاً، وأخمصهم من الدنيا بطناً، عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها، وعلم أن الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه، وحقّر شيئاً فحقّره، وصغّر شيئاً فصغّره، ولو لم يكن فينا إلاّ حبنا ما أبغض الله وتعظيمنا ما صغّر الله لكفى به شقاقاً لله، ومحادّة عن أمر الله، ولقد كان رسول الله ﷺ يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري، ويردف خلفه، ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول: يا فلانة - لإحدى أزواجه - غيّبيه عنّي، فإنّي إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها، فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها من نفسه، وأحبّ أن تغيب زينتها عن عينه، لكيلا يتّخذ منها رياشاً، ولا يعتقدها قراراً، ولا يرجو فيها مقاماً، فأخرجها من النفس، وأشخصها عن القلب، وغيّبها عن البصر، وكذلك من أبغض شيئاً أبغض أن ينظر إليه، وأن يذكر عنده،

---

(١) التمحيص، ص ٤١٦ ح ٧٩.
(٢) نهج البلاغة، ص ٤٤ الخطبة الأولى.
(٣) نهج البلاغة، ص ٢٢٨ خطبة ١٠٤.

ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله ما يدلّك على مساوي الدنيا وعيوبها، إذ جاع فيها مع خاصّته، وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته، فلينظر ناظر بعقله أكرم الله محمّداً صلى الله عليه وآله بذلك أم أهانه؟ فإن قال: أهانه فقد كذب والعظيم، وإن قال: أكرمه فليعلم أن الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له، وزواها عن أقرب الناس منه، فتأسّى متأسّ بنبيّه، واقتصّ أثره، وولج مولجه، و إلاّ فلا يأمن الهلكة، فإنّ الله جعل محمّداً صلى الله عليه وآله علماً للسّاعة، ومبشّراً بالجنة ومنذراً بالعقوبة، خرج من الدنيا خميصاً، وورد الآخرة سليماً، لم يضع حجراً على حجر حتى مضى لسبيله، وأجاب داعي ربّه، فما أعظم منّة الله عندنا حين أنعم علينا به سلفاً نتّبعه، وقائداً نطأ عقبه[1].

بيان: المخازي: المقابح، قوله عليه السلام: وطّئت بالتشديد أي هيّئت، وبالتخفيف من قولهم: وطأت لك المجلس، أي جعلته سهلاً ليّناً، قوله عليه السلام: زوي أي قبض، قوله عليه السلام: قضم الدنيا، في أكثر النسخ بالضاد المعجمة، وهو أكل الشيء اليابس بأطراف الأسنان، أي تناول منها قدر الكفاف وما تدعو إليه الضرورة، والتنوين في قضماً للتّقليل، وفي بعضها بالصاد المهملة بمعنى الكسر. قوله عليه السلام: ولم يعرها طرفاً، من الإعارة، أي لم يلتفت إليها نظر إعارة، فكيف بأن يجعلها مطمح نظره؟ ويقال: رجل أهضم: إذا كان خميصاً لقلّة الأكل، والكشح: الخاصرة، قوله: جلسة العبد، قال ابن أبي الحديد: وهي أن يضع قصبتي ساقيه على الأرض ويعتمد عليها بباطن فخذيه، يقال لها بالفارسيّة: دوزانو، والرياش إمّا جمع الريش، أو مرادفه، وهو اللّباس الفاخر، ويطلق على المال والخصب والمعاش. قوله عليه السلام: خميصاً، أي جائعاً.

١٣٧ - **ع:** ابن الوليد، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن عليّ بن الريّان، عن عبيد الله بن عبد الله الواسطيّ، عن واصل بن سليمان، أو عن درست يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: لم كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبّ الذراع أكثر من حبه لسائر أعضاء الشاة؟ قال: فقال: لأنّ آدم قرّب قرباناً عن الأنبياء من ذرّيّته فسمّى لكلّ نبيّ عضواً، وسمّى لرسول الله صلى الله عليه وآله الذراع، فمن ثمّ كان يحبّ الذراع ويشتهيها ويحبّها ويفضلها[2].

١٣٨ - وفي حديث آخر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحبّ الذراع لقربها من المرعى وبعدها من المبال[3].

١٣٩ - **ير:** إبراهيم بن هاشم، عن جعفر بن محمّد، عن القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبّ الذراع والكتف، ويكره الورك لقربها من المبال[4].

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣٢٢ خطبة ١٥٨. (٢) - (٣) علل الشرائع، ص ١٦٢ باب ١١٥ ح ١-٢.
(٤) بصائر الدرجات، ص ٤٥٩ ج ١٠ باب ١٧ ح ٦.

١٤٠ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عن ابن بكير، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ يعجبه الذراع[١].

١٤١ - **ما:** جماعة، عن أبي المفضّل، عن إبراهيم بن حفص بن عمر العسكريّ بالمصيصة من أصل كتابه، عن عبد الله بن الهيثم الأنماطيّ، عن الحسين بن علوان الكلبيّ، عن عمرو بن خالد الواسطيّ، عن محمّد، وزيد ابني عليّ، عن أبيهما عليه السلام عن أبيه الحسين عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ يرفع يديه إذا ابتهل ودعا كما يستطعم المسكين[٢].

١٤٢ - **ما:** جماعة، عن أبي المفضّل، عن أحمد بن عبد الرحيم بن سعد، عن إسماعيل ابن محمّد العلويّ، عن أبيه، عن جدّه إسحاق بن جعفر، عن أخيه، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: بعثت بمكارم الأخلاق ومحاسنها[٣].

١٤٣ - **ما:** جماعة، عن أبي المفضّل، عن جعفر بن محمّد بن جعفر العلويّ، عن أحمد ابن عبد المنعم الصيداويّ، عن حسين بن شدّاد الجعفيّ، عن أبيه شدّاد بن رشيد، عن عمرو ابن عبد الله بن هند، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال عليّ بن الحسين عليه السلام: إنّ جدّي رسول الله ﷺ قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فلم يدع الاجتهاد له وتعبّد بأبي هو وأمّي حتّى انتفخ الساق، وورم القدم، وقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً. الخبر[٤].

١٤٤ - **ما:** جماعة، عن أبي المفضّل، عن غياث بن مصعب الخجنديّ، عن محمّد ابن حمّاد الشاشيّ، عن حاتم الأصمّ، عن شقيق البلخيّ، عمّن أخبره من أهل العلم قال: قيل للنّبيّ ﷺ: كيف أصبحت؟ قال: بخير من رجل لم يصبح صائماً، ولم يعد مريضاً، ولم يشهد جنازة[٥].

١٤٥ - **ما:** جماعة، عن أبي المفضّل، عن إسماعيل بن موسى البجليّ. عن عبد الله ابن عمر بن أبان، عن معاوية بن هشام، عن سفيان الثوريّ، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطا، عن ابن عبّاس قال: قيل للنّبيّ ﷺ: كيف أصبحت؟ قال: بخير من قوم لم يشهدوا جنازةً، ولم يعودوا مريضاً[٦].

بيان: الظاهر أن (من) في الخبر السابق في قوله: (من رجل) بيانيّة، وهو تميز عن الضمير

(١) الكافي، ج ٦ ص ١٠٦٥ باب ٢٣٦ ح ٢. (٢) أمالي الطوسي، ص ٥٨٥ مجلس ٢٤ ح ١٢١١.
(٣) أمالي الطوسي، ص ٥٩٦ مجلس ٢٦ ح ١٢٣٤.
(٤) أمالي الطوسي، ص ٦٣٧ مجلس ٣١ ح ١٣١٤.
(٥) - (٦) أمالي الطوسي، ص ٦٤٠ مجلس ٣٢ ح ١٣٢٣ و١٣٢١.

في أصبحت كقولهم: لله درّك من فارس، وعزّ من قائل، ويا لك من ليل، وفي الثاني يحتمل ذلك بأن يكون أصبحت في قوة أصبحنا، وأن تكون تبعيضية، ويكون حالاً عن الضمير، أي حال كوني من قوم هم كذلك.

١٤٦ - **ما:** الحسين بن إبراهيم القزوينيّ، عن محمّد بن وهبان، عن أحمد بن إبراهيم ابن أحمد، عن الحسن بن عليّ الزعفرانيّ، عن البرقيّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي أسامة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يشبع من خبز برّ ثلاثة أيّام قطّ، قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما أكله قطّ، قلت: فأيّ شيء كان يأكل؟ قال: كان طعام رسول الله صلى الله عليه وآله الشعير إذا وجده، وحلواه التمر، ووقوده السعف[1].

١٤٧ - **ما:** أحمد بن عبدون، عن عليّ بن محمّد بن الزبير، عن عليّ بن فضّال، عن العبّاس بن عامر، عن أحمد بن رزق، عن الفضيل قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يريد حاجة فإذا بالفضل بن العبّاس، قال: فقال: احملوا هذا الغلام خلفي، قال: فاعتنق رسول الله صلى الله عليه وآله بيده من خلفه على الغلام، ثمّ قال: يا غلام خف الله تجده أمامك، يا غلام خف الله يكفك ما سواه[2] إلى آخر ما سيأتي في باب مواعظه صلى الله عليه وآله.

١٤٨ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن أبي جميلة، عن محمّد الحلبيّ وزرارة ومحمّد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ قال: إذا حلف الرجل فنسي أن يستثني، فليستثن إذا ذكر[3].

١٤٩ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد وعليّ بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن ابن محبوب، عن أبي جعفر الأحول، عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾ قال: فقال: إنّ الله عزّ وجلّ لمّا قال لآدم: ادخل الجنّة، قال له: يا آدم لا تقرب هذه الشجرة، قال: وأراه إيّاها، فقال آدم لربّه: كيف أقربها ولقد نهيتني عنها أنا وزوجتي، قال: فقال لهما: لا تقرباها، يعني لا تأكلا منها، فقال آدم وزوجته: نعم يا ربّنا لا نقربها ولا نأكل منها، ولم يستثنيا في قولهما: نعم، فوكلهما الله في ذلك إلى أنفسهما وإلى ذكرهما، قال: وقد قال الله عزّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله في الكتاب: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ أن لا أفعله، فتسبق مشيّة الله فيّ أن لا أفعله، فلا أقدر على أن أفعله، قال: فلذلك قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ أي استثن مشيّة الله في فعلك[4].

(١) أمالي الطوسي، ص ٦٦٣ مجلس ٣٥ ح ١٣٨٣.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٦٧٥ مجلس ٣٧ ح ١٤٢٤.
(٣) - (٤) الكافي، ج ٧ ص ١٤٥٠ باب ٢٨١ ح ١-٢.

١٥٠ - **كا:** العدّة، عن البرقيّ، عن أبيه، عن أبي البختريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام إنّ رسول الله كان يتطيّب بالمسك حتّى يرى وبيصه في مفارقه[1].

بيان: الوبيص: البريق.

١٥١ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كانت لرسول الله ﷺ ممسكة إذا هو توضّأ أخذها بيده وهي رطبة، فكان إذا خرج عرفوا أنّه رسول الله ﷺ برائحته[2].

١٥٢ - **كا:** العدّة، عن البرقيّ، عن نوح بن شعيب، عن بعض أصحابنا، عن أبي الحسن عليه السلام قال: كان يرى وبيص المسك في مفرق رسول الله ﷺ[3].

١٥٣ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن غير واحد، عن الخشّاب، عن غياث بن كلّوب، عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى رأسه استعط بدهن الجلجلان وهو السمسم[4].

١٥٤ - **كا:** العدّة، عن البرقيّ، عن بعض أصحابه، عن ابن أُخت الأوزاعيّ، عن مسعدة ابن اليسع، عن قيس الباهليّ أنّ النبيّ ﷺ يحبّ أن يستعط بدهن السمسم[5].

١٥٥ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن النوفليّ، عن عيسى بن عبد الله بن محمّد بن عمر بن عليّ، عن أبيه، عن جدّه قال: كانت من أيمان رسول الله ﷺ لا وأستغفر الله[6].

١٥٦ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيّوب الخزّاز، عن محمّد بن مسلم قال: إنّ العقرب لدغت رسول الله ﷺ، فقال: لعنك الله، فما تبالين مؤمناً أذيت أم كافراً، ثمّ دعا بالملح فدلكه فهدأت، ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: لو يعلم الناس ما في الملح ما بغوا معه درياقاً[7].

١٥٧ - **كا:** العدّة، عن البرقيّ، عن أبيه وعمرو بن إبراهيم جميعاً، عن خلف بن حمّاد، عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لدغت رسول الله ﷺ عقرب فنفضها وقال: لعنك الله فما يسلم منك مؤمن ولا كافر، ثمّ دعا بملح فوضعه على موضع اللّدغة ثمّ عصره بإبهامه حتّى ذاب: ثمّ قال: لو يعلم الناس ما في الملح ما احتاجوا معه إلى ترياق[8].

١٥٨ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: وطىء رسول الله ﷺ الرمضاء فأحرقته، فوطىء على الرجلة وهي

---

(١) - (٣) الكافي، ج ٦ ص ١١٧٧ باب ٣٩٣ ح ٢ و٣ و٧.

(٤) الكافي، ج ٦ ص ١١٨٢ باب ٤٠٣ ح ١. (٥) الكافي، ج ٦ ص ١١٨٢ باب ٤٠٣ ح ٢.

(٦) الكافي، ج ٧ ص ١٤٥٩ باب ٢٨٦ ح ٢٠.

(٧) - (٨) الكافي، ج ٦ ص ١٠٧٢ باب ٢٤٧ ح ٩-١٠.

البقلة الحمقاء فسكن عنه حرّ الرمضاء، فدعا لها وكان يحبّها ويقول: من بقلة ما أبركها[١].

١٥٩ - **كا:** عليّ، عن أبيه، ومحمّد بن إسماعيل، عن الفضل جميعاً، عن ابن أبي عمير، وصفوان، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله مدّ يده إلى الحجر فلسعته عقرب، فقال: لعنك الله، لا برّاً تدعين ولا فاجراً[٢].

١٦٠ - **فس:** أبي، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً وعنده جبرئيل إذ حانت من جبرئيل نظرة قبل السماء فانتقع لونه حتّى صار كأنّه كركم، ثمّ لاذ برسول الله صلى الله عليه وآله فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى حيث نظر جبرئيل عليه السلام فإذا شيء قد ملأ بين الخافقين مقبلاً، حتّى كان كقاب الأرض، فقال: يا محمّد إنّي رسول الله إليك، أخيّرك أن تكون ملكاً رسولاً أحبّ إليك، أو تكون عبداً رسولاً؟ فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جبرئيل وقد رجع إليه لونه، فقال جبرئيل: بل كن عبداً رسولاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بل أكون عبداً رسولاً، فرفع الملك رجله اليمنى فوضعها في كبد السماء الدنيا، ثمّ رفع الأخرى فوضعها في الثانية، ثمّ رفع اليمنى فوضعها في الثالثة، ثمّ هكذا حتّى انتهى إلى السّماء السّابعة، كلّ سماء خطوة، وكلّما ارتفع صغر حتّى صار آخر ذلك مثل الصرّ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جبرئيل فقال: لقد رأيت منك ذعراً، وما رأيت شيئاً كان أذعر لي من تغيّر لونك، فقال: يا نبيّ الله لا تلمني، أتدري من هذا؟ قال: لا، قال: هذا إسرافيل حاجب الربّ، ولم ينزل من مكانه منذ خلق الله السماوات والأرض، فلمّا رأيته منحطّاً ظننت أنّه جاء بقيام الساعة، فكان الّذي رأيت من تغيّر لوني لذلك، فلمّا رأيت ما اصطفاك الله به رجع إليّ لوني ونفسي، أما رأيته كلّما ارتفع صغر، إنّه ليس شيء يدنو من الربّ إلاّ صغر لعظمته، إنّ هذا حاجب الربّ وأقرب خلق الله منه، واللّوح بين عينيه من ياقوتة حمراء، فإذا تكلّم الربّ تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللّوح جبينه فنظر فيه، ثمّ ألقى إلينا نسعى به في السماوات والأرض، إنّه لأدنى خلق الرحمن منه، وبينه وبينه تسعون حجاباً من نور يقطع دونها الأبصار، ما يعدّ ولا يوصف، وإنّي لأقرب الخلق منه، وبيني وبينه مسيرة ألف عام[٣].

بيان: يقال: انتقع لونه على بناء المجهول: إذا تغيّر من خوف أو ألم، والكركم بالضمّ: الزعفران. قوله: من الربّ، أي من موضع ظهور عظمته وجلاله وصدور أمره ونهيه ووحيه.

١٦٠ - **نوادر الراونديّ:** بإسناده عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال عليّ عليه السلام: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله يتوضّأ إذ لاذ به هرّ البيت، وعرف رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه عطشان، فأصغى إليه الإناء حتّى شرب منه الهرّ، وتوضّأ بفضله[٤].

---

(١) الكافي، ج ٦ ص ١٠٩٤ باب ٢٨٧ ح ٢. (٢) الكافي، ج ٤ ص ٤٧٩ باب ٢٢٤ ح ٢.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٤١٧. (٤) نوادر الراوندي، ص ١٨٧ ح ٣٣٠.

١٦١ - وبهذا الإسناد قال: كان رسول الله ﷺ إذا أكل عند القوم قال: أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلّت عليكم الملائكة الأخيار(١).

١٦٢ - **أسرار الصلاة:** قال أبو ذرّ رضي الله عنه: قام رسول الله ﷺ ليلة يردّد قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

ولما قال رسول الله ﷺ لابن مسعود: اقرأ عليّ، قال: ففتحت سورة النساء فلمّا بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾(٢) رأيت عيناه تذرفان من الدمع، فقال لي: حسبك الآن.

١٠ - باب نادر فيه ذكر مزاحه وضحكه ﷺ وهو من الباب الأول

١ - **قب:** كان ﷺ يمزح ولا يقول إلاّ حقّاً، قال أنس: مات نغير لأبي عمير وهو ابن لأمّ سليم، فجعل النبيّ ﷺ يقول: يا أبا عمير ما فعل النغير؟.

وكان حادي بعض نسوته خادمه أنجشة فقال له: يا أنجشة ارفق بالقوارير. وفي رواية: لا تكسر القوارير.

وكان له عبد أسود في سفر، فكان كلّ من أعيا ألقى عليه بعض متاعه حتّى حمل شيئاً كثيراً، فمرّ به النبيّ ﷺ فقال: أنت سفينة فأعتقه.

وقال رجل: احملني يا رسول الله، فقال: إنّا حاملوك على ولد ناقة، فقال: ما أصنع بولد ناقة؟ قال ﷺ: وهل يلد الإبل إلاّ النوق.

واستدبر رجلاً من ورائه وأخذ بعضده، وقال: من يشتري هذا العبد؟ يعني أنّه عبد الله.

وقال ﷺ لأحد: لا تنس يا ذا الأذنين.

زيد بن أسلم إنّه قال لامرأة وذكرت زوجها: أهذا الّذي في عينيه بياض؟ فقالت لا، ما بعينيه بياض، وحكت لزوجها فقال: أما ترين بياض عيني أكثر من سوادها؟

ورأى ﷺ جملاً عليه حنطة، فقال: تمشي الهريسة.

ورأى بلالاً وقد خرج بطنه، فقال ﷺ: أمّ حبين، وأمّ حبين: ضرب من العظاية ويقال: إنّها الحرباء. وقال ﷺ للحسين: حزقّة حزقّة ترقّ عين بقّة.

ابن عبّاس إنّه ﷺ كسى بعض نسائه ثوباً واسعاً، فقال لها: البسيه واحمدي الله، وجرى منه ذيلاً كذيل العروس.

وقالت عجوز من الأنصار للنّبيّ ﷺ، ادع لي بالجنّة، فقال ﷺ: إنّ الجنّة لا يدخلها العجز، فبكت المرأة فضحك النبيّ ﷺ وقال أما سمعت قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾.

---

(١) نوادر الراوندي، ص ١٧٥ ح ٢٨٨. (٢) سورة المائدة، الآية: ١١٨.

وقال للعجوز الأشجعية: يا أشجعيّة لا تدخل العجوز الجنّة، فرآها بلال باكيةً، فوصفها للنبيّ ﷺ فقال: والأسود كذلك، فجلسا يبكيان، فرآهما العبّاس فذكرهما له، فقال: والشيخ كذلك، ثمّ دعاهم وطيّب قلوبهم، وقال: ينشئهم الله كأحسن ما كانوا، وذكر أنّهم يدخلون الجنّة شبّاناً منوّرين، وقال: إنّ أهل الجنّة جرد مرد مكحّلون.

وقال ﷺ لرجل: - حين قال: أنت نبيّ الله حقّاً نعلمه، ودينك الإسلام ديناً نعظّمه نبغي مع الإسلام شيئاً نقضمه، ونحن حول هذا ندندن - يا عليّ اقض حاجته، فأشبعه عليّ عليه السلام وأعطاه ناقة وجلّة تمر.

وجاء أعرابيّ فقال: يا رسول الله بلغنا أن المسيح يعني الدجّال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جميعاً جوعاً، أفترى بأبي أنت وأمّي أن أكفّ من ثريده تعفّفاً وتزهّداً؟ فضحك رسول الله ﷺ ثمّ قال: بل يغنيك الله بما يغني به المؤمنين.

وقبل جدّ خالد القسريّ امرأة فشكت إلى النبيّ ﷺ فأرسل إليه فاعترف، وقال: إن شاءت أن تقتصّ فلتقتصّ، فتبسّم رسول الله ﷺ وأصحابه، وقال: أو لا تعود؟

فقال: لا والله يا رسول الله، فتجاوز عنه.

ورأى ﷺ صهيباً يأكل تمراً، فقال ﷺ: أتأكل التمر وعينك رمدة؟ فقال: يا رسول الله إنّي أمضغه من هذا الجانب، وتشتكي عيني من هذا الجانب.

ونهى ﷺ أبا هريرة عن مزاح العرب، فسرق نعل النبيّ ﷺ ورهن بالتمر وجلس بحذائه ﷺ يأكل، فقال ﷺ: يا أبا هريرة ما تأكل؟ فقال: نعل رسول الله ﷺ.

وقال سويبط المهاجريّ لنعيمان البدريّ: أطعمني، وكان على الزاد في سفر، فقال: حتّى تجيء الأصحاب، فمرّوا بقوم فقال لهم سويبط: تشترون منّي عبداً لي؟ قالوا: نعم، قال: إنّه عبد له كلام وهو قائل لكم: إنّي حرّ، فإن سمعتم مقاله تفسدوا عليّ عبدي، فاشتروه بعشرة قلائص، ثمّ جاءوا فوضعوا في عنقه حبلاً، فقال نعيمان: هذا يستهزىء بكم وإنّي حرّ، فقالوا: قد عرفنا خبرك، وانطلقوا به حتّى أدركهم القوم وخلصوه، فضحك النبيّ ﷺ من ذلك حيناً.

وكان نعيمان هذا أيضاً مزّاحاً، فسمع محرّمة بن نوفل وقد كفّ بصره يقول: ألا رجل يقودني حتّى أبول؟ فأخذ نعيمان بيده، فلمّا بلغ مؤخّر المسجد قال: هاهنا فبل، فبال فصيح به، فقال: من قادني؟ قيل: نعيمان، قال: الله عليّ أن أضربه بعصاي هذه، فبلغ نعيمان فقال: هل لك في نعيمان؟ قال: نعم، قال: قم، فقام معه فأتى به عثمان وهو يصلّي، فقال: دونك الرجل، فجمع يديه بالعصا ثمّ ضربه، فقال الناس: أمير المؤمنين، فقال: من قادني؟ قالوا: نعيمان، قال: لا أعود إلى نعيمان أبداً.

ورأى نعيمان مع أعرابيّ عكّة عسل، فاشتراها منه، وجاء بها إلى بيت عائشة في يومها،

وقال: خذوها، فتوهّم النبيّ ﷺ أنّه أهداها له، ومرّ نعيمان والأعرابيّ على الباب، فلمّا طال قعوده قال: يا هؤلاء ردّوها عليّ إن لم تحضر قيمتها، فعلم رسول الله ﷺ القصّة فوزن له الثمن، وقال لنعيمان: ما حملك على ما فعلت؟ فقال: رأيت رسول الله ﷺ يحبّ العسل، ورأيت الأعرابيّ معه العكّة، فضحك النبيّ ﷺ ولم يظهر له نكراً[1].

بيان: قال الجزريّ: فيه أنّه قال لأبي عمير أخي أنس: يا أبا عمير ما فعل النغير؟ هو تصغير النغر وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار.

وقال: في حديث أنجشة، في رواية البرَاء بن مالك: رويدك رفقاً بالقوارير، أراد النساء، شبّههنّ بالقوارير من الزجاج، لأنّه يسرع إليها الكسر، وكان أنجشة يحدو وينشد القرائض والرجز فلم يأمن أن يصيبهنّ، أو يقع في قلوبهنّ حداؤه، فأمره بالكفّ عن ذلك. وفي المثل: الغناء رقية الزنا، وقيل: إنّ الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت في المشي واشتدّت، فأزعجت الراكب وأتعبته، فنهاه عن ذلك لأنّ النساء يضعفن عن شدّة الحركة، وقال: أُمّ حبين هي دويبة كالحرباء عظيمة البطن، إذا مشت تطأطىء رأسها كثيراً، وترفعه لعظم بطنها، فهي تقع على رأسها وتقوم، ومنه الحديث إنّه رأى بلالاً وقد خرج بطنه، فقال: أُمّ حبين، تشبيهاً له بها، وهذا من مزحه ﷺ.

وقال: فيه إنه ﷺ كان يرقّص الحسن والحسين ﵉ ويقول: حزقّة حزقّة ترقّ عين بقّة، فترقّى الغلام حتّى وضع قدميه على صدره، الحزقّة: الضعيف المقارب الخطو من ضعفه، وقيل: القصير العظيم البطن، فذكرها له على سبيل المداعبة والتأنيس له، وترق بمعنى اصعد، وعين بقّة كناية عن صغر العين، وحزقّة مرفوع على خبر مبتدأ محذوف، تقديره أنت حزقّة، وحزقّة الثاني كذلك، أو أنّه خبر مكرّر، ومن لم ينوّن حزقّة فحذف حرف النداء وهي في الشذوذ، كقولهم: أطرق كريّ، لأنّ حرف النداء إنّما يحذف من العلم المضموم والمضاف انتهى.

والعجز بضمّتين جمع العجوزة، والجرد جمع الأجرد وهو الّذي لا شعر عليه، والمرد جمع الأمرد، والقضم: الأكل بأطراف الأسنان.

قال الجزريّ: فيه أنّه سأل رجلاً ما تدعو في صلاتك؟ فقال: أدعو بكذا وكذا، وأسأل ربّي الجنّة، وأتعوذ به من النار، وأمّا دندنتك ودندنة معاذ فلا نحسنها، فقال ﷺ: حولهما ندندن، الدندنة: أن يتكلّم الرجل بالكلام تسمع نغمته ولا يفهم، والضمير في حولهما للجنّة والنار، أي حولهما ندندن وفي طلبهما انتهى.

والعكّة بالضمّ: وعاء من جلود مستدير يجعل فيه العسل والسمن.

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ١٩٠.

٢ - **مكا**: روي أن رسول الله ﷺ يقول: إنّي لأمزح ولا أقول إلاّ حقاً.

وعن ابن عبّاس: إنّ رجلاً سأله أكان النبيّ ﷺ يمزح؟ فقال: كان النبيّ ﷺ يمزح.

وعن حسن بن عليّ عليه السلام قال: سألت خالي هنداً عن صفة رسول الله ﷺ، فقال: إذا كان غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غضّ طرفه، جلّ ضحكه التبسّم، يفترّ عن مثل حبّة الغمام.

عن أنس بن مالك قال: رأيت رسول الله ﷺ تبسّم حتّى بدت نواجذه.

عن أبي الدرداء قال: كان رسول الله ﷺ إذا حدّث بحديث تبسّم في حديثه.

عن يونس الشيبانيّ قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: كيف مداعبة بعضكم بعضاً؟ قلت: قليلاً، قال: فلا تفعلوا، فإنّ المداعبة من حسن الخلق، وإنّك لتدخل بها السرور على أخيك، ولقد كان النبيّ ﷺ يداعب الرجل يريد به أن يسرّه[١].

٣ - **نوادر الراونديّ**: بإسناده عن جعفر بن محمّد، عن آبائه عليهم السلام قال: قال عليّ عليه السلام: بصر رسول الله ﷺ امرأة عجوزاً درداء، فقال: أما إنّه لا يدخل الجنّة عجوز درداء، فبكت، فقال ﷺ لها: ما يبكيك؟ فقالت: يا رسول الله إنّي درداء، فضحك رسول الله ﷺ وقال: لا تدخلين الجنّة على حالك[٢].

٤ - وبهذا الإسناد قال: قال عليّ عليه السلام: نظر رسول الله ﷺ إلى امرأة رمصاء العينين، فقال أما إنّه لا تدخل الجنّة رمصاء العينين[٣]، فبكت وقالت: يا رسول الله وإنّي لفي النار؟ فقال: لا، ولكن لا تدخلين الجنّة على مثل صورتك هذه، ثمّ قال رسول الله ﷺ: لا يدخل الجنّة أعور ولا أعمى على هذا المعنى[٤].

أقول: سيأتي عدد حججه وعمره ﷺ في باب حجّة الوداع.

١١ - باب فضائله وخصائصه ﷺ وما امتنّ الله به على عباده

الآيات: البقرة: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾.

آل عمران «٣»: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

الأعراف «٧»: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ

---

(١) مكارم الأخلاق، ص ٢٠.
(٢) نوادر الراوندي، ص ١٠٧ ح ٨٣.
(٣) رمصت عينه: سال منها الرمص. والرمص: وسخ أبيض في مجرى الدمع من العين. يعني لا تدخل الجنة بهذه الصورة. [النمازي].
(٤) نوادر الراوندي ص ١٠٧ ح ٨٤.

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ . وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ .

الانفال «٨»: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ . وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ .

التوبة «٩»: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ . إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ .

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ .

هود «١١»: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةًۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ .

الحجر «١٥»: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ .

الاسراء «١٧»: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَۚ﴾ . إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ . وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ «١٠٥».

الأنبياء «٢١»: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ «١٠٧».

الاحزاب «٣٣»: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ «٦». وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ .

سبأ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ .

الفتح «٤٨»: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ .

النجم «٥٣»: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾﴾ .

الحشر «٥٩»: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾.

الجمعة «٦٢»: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾.

الطلاق «٦٥»: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ﴾.

الكوثر «١٠٨»: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾.

تفسير: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ فيه تسلية للرّسول بأنّه ليس عليه إجبارهم على القبول، وليس عليه إلاّ البلاغ، وأنّه لا يؤاخذ بذنبهم[1] ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ﴾ أي أخصّهم به، وأقربهم منه، أو أحقّهم بنصرته بالحجّة أو بالمعونة ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ من أمّته ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لموافقتهم له في أكثر ما شرع لهم على الأصالة، أو يتولّون نصرته بالحجّة لما كان عليه من الحقّ ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ينصرهم ويجازيهم الحسنى لإيمانهم[2] ﴿وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي ما أنزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه[3]، وسيأتي في الأخبار أن الأئمّة عليهم السلام كلمات الله ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ أي جلب نفع ولا دفع ضرر، وهو إظهارٌ للعبوديّة، والتبرّي من ادّعاء العلم بالغيوب من قبل نفسه ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾ من ذلك فيلهمني إيّاه ويوفّقني له ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ أي لو كنت أعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضارّ حتّى لا يمسني سوء، ويحتمل أن يكون المعنى لو كنت أعلم الغيب من قبل نفسي بغير وحي من الله لكنت أستعمله في جلب المنافع ودفع المضارّ، ولكنّي لمّا كنت أعلمه بالوحي لا جرم أنّي راض بقضائه تعالى، ولا أسعى في دفع ما أعلم وقوعه عليّ من المصائب بقضائه تعالى، فلا ينافي ما سيأتي أنّهم عليهم السلام كانوا يعلمون ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، كذا خطر بالبال والله يعلم حقيقة الحال[4]. ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟﴾ الخطاب للمهاجرين أو للعرب ﴿إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ﴾ في أرض مكّة تستضعفكم قريش أو العرب، كانوا أذلاّء في أيدي الروم ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ التخطف: الأخذ بسرعة، والناس: كفّار قريش أو من عداهم، فإنّهم كانوا جميعاً معادين مضادّين لهم ﴿فَـَٔاوَىٰكُمْ﴾ إلى المدينة، أو جعل لكم مأوى تتحصنّون به عن أعاديكم ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾ على الكفّار، أو بمظاهرة

---

(١) مجمع البيان، ج ١ ص ٣٦٨.
(٢) مجمع البيان، ج ٢ ص ٣١٦.
(٣) مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٧٥.
(٤) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٠٦.

الأنصار، أو بإمداد الملائكة يوم بدر ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يعني الغنائم أحلّها لكم، ولم يحلّها لأحد قبلكم، أو الأعم ممّا أعطاهم من الأطعمة اللّذيذة ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ هذه النّعم[1] ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ﴾ أي ما كان الله يعذّب أهل مكّة بعذاب الاستئصال وأنت مقيم بين أظهرهم لفضلك، ويحتمل الأعم، كما سيأتي في الأخبار أنه ﷺ وأهل بيته عليهم السلام أمان لأهل الأرض من عذاب الاستئصال ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ المراد باستغفارهم إمّا استغفار من بقي فيهم من المؤمنين لم يهاجروا، فلمّا خرجوا أذن الله في فتح مكّة، أو الأعم بالنسبة إلى جميع أهل البلاد والأزمان[٢] ﴿مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ﴾ المحادّة: المشاقّة والمخالفة[٣].

﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: القراءة المشهورة ﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ بضم الفاء، وقرأ ابن عبّاس وابن عليّة وابن محيصن والزهريّ من أنفسكم بفتح الفاء، وقيل: إنّها قراءة فاطمة عليها السلام، أي من أشرافكم ومن خياركم، وعلى المشهور أي من جنسكم، قيل: ليس في العرب قبيلة إلاّ وقد ولدت النبيّ ﷺ وله فيهم نسب، وقيل: معناه أنّه من نكاح لم يصبه شيء من ولادة الجاهليّة عن الصادق عليه السلام ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾ أي شديد عليه عنتكم وما يلحقكم من الضرر بترك الإيمان ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم﴾ أي على من لم يؤمن ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ الرأفة: شدّة الرحمة. قال الطبرسيّ رؤوف بالمطيعين، رحيم بالمذنبين، أو رؤوف بأقربائه، رحيم بأوليائه، أو رؤوف بمن رآه، رحيم بمن لم يره، وقال بعض السلف: لم يجمع الله لأحد من الأنبياء بين اسمين من أسمائه إلاّ للنّبيّ ﷺ، فإنّه قال: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عنك وأعرضوا عن قبول قولك والإقرار بنبوّتك ﴿فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ﴾ أي الله كافيّ[٤].

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ المراد به النبيّ ﷺ، والبيّنة القرآن، أو الأعمّ منه ومن المعجزات والبراهين، أو المؤمنون، والبيّنة: الحجّة ﴿وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ﴾ أي ويتّبعه من يشهد بصحّته منه، فقيل: هو جبرئيل يتلو القرآن على النبيّ ﷺ، وسيأتي الأخبار المستفيضة بأنّه أمير المؤمنين عليه السلام، وذهب إليه كثير من مفسّري الخاصّة والعامّة، وقيل: هو ملك يسدّده ويحفظه، وقيل: هو القرآن على الاحتمال الأخير ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ﴾ أي قبل القرآن أو محمّد ﷺ ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ يشهد له ﴿إِمَامٗا﴾ يؤتمّ به في أمور الدين ﴿وَرَحۡمَةًۚ﴾ أي نعمة من الله على عباده ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ﴾ أي النبيّ والشاهد، أو الشاهد باعتبار الجنس، فإنّه يشمل الأئمّة عليهم السلام، أو المؤمنون يؤمنون بالنبيّ، أو القرآن ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٥٤.
(٢) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٦٠.
(٣) مجمع البيان، ج ٥ ص ٨٠.
(٤) مجمع البيان، ج ٥ ص ١٤٨.

﴿ٱلْأَحْزَابِ﴾ أي من مشركي العرب وفرق الكفّار ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ مصيره ومستقرّه ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ﴾ أي في شكّ ﴿مِّنْهُ﴾ أي من القرآن، أو الموعد، والخطاب للنّبيّ ﷺ، والمراد به الأمّة أو عامّ[1].

قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: أي وحياتك يا محمّد، ومدّة بقائك، قال ابن عبّاس: ما خلق الله عزّ وجلّ ولا ذرأ ولا برأ نفساً أكرم عليه من محمّد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد إلاّ بحياته[2].

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ أي الّتي اقترحتها قريش: من قلب الصفا ذهباً، وإحياء الموتى وغير ذلك ﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ من الأمم السابقة فعذّبوا بعذاب الاستئصال، إذ عادة الله تعالى في الأمم أن من اقترح منهم آية فأُجيب إليها ثمّ لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال، وقد صرفه الله تعالى عن هذه الأُمّة ببركة النبيّ ﷺ ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ أي لا نرسل الآيات المقترحة إلاّ تخويفاً من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدّمة له، فإن لم يخافوا وقع عليهم، ويحتمل أن يكون المراد القرآن والمعجزات الواقعة، فإنّها تخويف، وإنذار بعذاب الآخرة[3].

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: خطاب للنّبيّ ﷺ، أي فصلّ بالقرآن، ولا يكون التهجّد إلاّ بعد النوم عن مجاهد وأكثر المفسّرين، وقال بعضهم: ما يتقلّب به في كلّ اللّيل يسمّى تهجّداً، والمتهجّد: الّذي يلقي الهجود أي النوم عن نفسه، كما يقال: المتحرّج والمتأثّم ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ أي زيادة لك على الفرائض، لأنّ صلاة اللّيل كانت فريضة على النبيّ ﷺ وفضيلة لغيره، وقيل: كانت واجبة عليه فنسخ وجوبها بهذه الآية، وقيل: إنّ معناه فضيلة لك وكفّارة لغيرك، وقيل: نافلة لك ولغيرك، وإنّما اختصّه بالخطاب لما في ذلك من دعاء الغير للاقتداء به ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ عسى من الله واجبة، والمقام بمعنى البعث، فهو مصدر من غير جنسه، أي يبعثك يوم القيامة بعثاً أنت محمود فيه، ويجوز أن يجعل البعث بمعنى الإقامة، أي يقيمك ربّك مقاماً تحمدك فيه الأوّلون والآخرون وهو مقام الشفاعة، يشرف فيه على جميع الخلائق، يسأل فيعطى، ويشفع فيشفّع، وقد أجمع المفسّرون على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة، وهو المقام الّذي يشفع فيه للنّاس، وهو المقام الّذي يعطى فيه لواء الحمد، فيوضع في كفّه، وتجتمع تحته الأنبياء والملائكة، فيكون ﷺ أوّل شافع وأوّل مشفّع ﴿وَقُل﴾ يا محمّد ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ المدخل والمخرج مصدر الإدخال والإخراج، فالتقدير أدخلني إدخال صدق، وأخرجني إخراج صدق، وفي معناه أقوال:

---

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢٥٥.

(٢) مجمع البيان، ج ٦ ص ١٢٥.

(٣) مجمع البيان، ج ٦ ص ٢٦٤.

أحدها: أن المعنى أدخلني في جميع ما أرسلتني به إدخال صدق، وأخرجني منه سالماً إخراج صدق. وثانيها: أدخلني المدينة، وأخرجني منها إلى مكّة للفتح. وثالثها: أنّه مُر بهذا الدعاء إذا دخل في أمر، أو خرج من أمر، والمراد أدخلني في كلّ أمر مدخل صدق.

ورابعها: أدخلني القبر مدخل صدق، وأخرجني منه عند البعث مخرج صدق، ومدخل الصدق: ما تحمد عاقبته في الدنيا والدين ﴿وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾ أي اجعل لي عزّاً أمتنع به ممّن يحاول صدّي عن إقامة فرائضك، وقوّة تنصرني بها على من عاداني فيك، وقيل: اجعل لي ملكاً عزيزاً أقهر به العصاة، فنصر بالرعب حتّى خافه العدو على مسيرة شهر، وقيل: حجّة بيّنة أتقوّى بها على سائر الأديان، وسمّاه نصيراً لأنّه يقع به النصرة على الاعداء فهو كالمعين ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ أي ظهر الحقّ وهو الإسلام والدين ﴿وَزَهَقَ﴾ أي بطل ﴿ٱلْبَـٰطِلُ﴾ وهو الشرك، وروي عن عبد الله بن مسعود أنّه قال: دخل النبيّ ﷺ مكّة، وحول البيت ثلاثمائة وستّون صنماً، فجعل يطعنها ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ أورده البخاريّ في الصحيح، قال الكلبيّ: فجعل ينكب لوجهه إذا قال ذلك، وأهل مكّة يقولون: ما رأينا رجلاً أسحر من محمّد ﴿إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ أي مضمحلاً ذاهباً هالكاً لا ثبات له[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾: أي نعمةً عليهم، قال ابن عبّاس: رحمة للبرّ والفاجر والمؤمن والكافر، فهو رحمة للمؤمن في الدنيا والآخرة، ورحمة للكافر بأن عوفي ممّا أصاب الأمم من الخسف والمسخ، وروي أن النبيّ ﷺ قال لجبرئيل لمّا نزلت هذه الآية: هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟ قال: نعم، إنّي كنت أخشى عاقبة الأمر فآمنت بك لمّا أثنى عليّ بقوله: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ وقد قال ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة» وقيل: إنّ الوجه في أنّه نعمة على الكافر أنّه عرضه للايمان والثواب الدائم وهداه وإن لم يهتد، كمن قدّم الطعام إلى جائع فلم يأكل فإنّه منعم عليه وإن لم يقبل[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: قيل فيه أقوال: أحدها: أنّه أحقّ بتدبيرهم، وحكمه عليهم أنفذ من حكمهم على أنفسهم لوجوب طاعته.

وثانيها: أنّه أولى بهم في الدعوة، فإذا دعاهم النبيّ ﷺ إلى شيء ودعتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعته أولى لهم من طاعة أنفسهم.

وثالثها أن حكمه أنفذ عليهم من حكم بعضهم على بعض، وروي أن النبيّ ﷺ لمّا أراد غزوة تبوك وأمر النّاس بالخروج قال قوم: نستأذن آباءنا وأمّهاتنا، فنزلت. وروي عن أبيّ وابن مسعود وابن عبّاس أنّهم كانوا يقرأون: «النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٢٨٣.

(٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٢١.

أمّهاتهم وهو أبٌ لهم» وكذلك هو في مصحف أبيّ، وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، قال مجاهد: وكلّ نبيّ أب لأمّته، ولذلك صار المؤمنون إخوة(١).

وفي قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾: الّذين لم يلدهم، وفي هذا بيان أنّه ليس بأب لزيد فيحرم عليه زوجته، فلهذا أشار إليهم فقال: ﴿مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ وقد ولد له صلى الله عليه وآله أولاد ذكور: إبراهيم، والقاسم، والطيّب، والمطهّر، فكان أباهم، وقد صحّ أنّه قال للحسن عليه السلام: «إن ابني هذا سيّد» وقال أيضاً للحسن والحسين عليهما السلام: «ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا» وقال صلى الله عليه وآله: «إنّ كلّ بني بنت ينسبون إلى أبيهم إلاّ أولاد فاطمة فإنّي أنا أبوهم» وقيل: أراد بقوله: ﴿رِّجَالِكُمْ﴾ البالغين من رجال ذلك الوقت، ولم يكن أحدٌ من أبنائه رجلاً في ذلك الوقت ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ أي ولكن كان رسول الله لا يترك ما أباحه الله تعالى بقول الجهّال، وقيل: إنّ الوجه في اتّصاله بما قبله أنّه أراد سبحانه ليس يلزم طاعته صلى الله عليه وآله وتعظيمه لمكان النسب بينه وبينكم، ولمكان الأبوّة، بل إنّما يجب ذلك عليكم لمكان النبوّة ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ أي وآخر النبيّين، ختمت النبوّة به، فشريعته باقية إلى يوم الدين(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾: على أمّتك فيما يفعلونه من طاعة ومعصية وإيمان وكفر، لتشهد لهم وعليهم يوم القيامة ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لمن أطاعني وأطاعك بالجنّة ﴿وَنَذِيرًا﴾ لمن عصاني وعصاك بالنار ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ والإقرار بوحدانيّته، وامتثال أوامره ونواهيه ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أي بعلمه وأمره ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ يهتدى بك في الدين كما يهتدى بالسراج، والمنير الّذي يصدر النور من جهته إمّا بفعله، وإمّا لأنّه سببٌ له، فالقمر منيرٌ، والسراج منير بهذا المعنى، والله منير السماوات والأرض، وقيل: عنى بالسراج المنير القرآن، والتقدير ذا سراج(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ أي عامّة للنّاس كلهم: العرب والعجم وسائر الأمم، ويؤيّده الحديث المرويّ عن ابن عبّاس، عن النبيّ صلى الله عليه وآله: أعطيت خمساً ولا أقول فخراً: بعثت إلى الأحمر والأسود، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأُحلّ لي المغنم، ولم يحلّ لأحد قبلي، ونصرت بالرعب فهو يسير أمامي مسيرة شهر، وأُعطيت الشفاعة فادّخرتها لأمّتي يوم القيامة.

وقيل: معناه جامعاً للنّاس بالإنذار والدعوة، وقيل: كافّاً للنّاس، أي مانعاً لهم عمّا هم عليه من الكفر والمعاصي بالوعد والوعيد، والهاء للمبالغة(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾: أي بالدليل الواضح: أو بالقرآن ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ أي الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ أي ليظهر دين الإسلام بالحجج والبراهين على جميع

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ١٢١.
(٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ١٦٥.
(٣) مجمع البيان، ج ٨ ص ١٦٨.
(٤) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢١٧.

الأديان، وقيل: بالغلبة والقهر والانتشار في البلدان، وقيل: إنّ تمام ذلك عند خروج المهدي عليه السلام، فلا يبقى في الأرض دين سوى دين الإسلام[١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ فيه أقوال:

أحدها: أن الله أقسم بالقرآن إذ أُنزل نجوماً متفرّقةً على رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة، فسمّي القرآن نجماً لتفرّقه في النزول.

وثانيها: أنّه أراد به الثريّا، أقسم بها إذا سقطت وغابت مع الفجر، والعرب تطلق اسم النجم على الثريّا خاصّة.

وثالثها: أن المراد به جماعة النجوم إذا هوت، أي سقطت وغابت وخفيت عن الحسّ، وأراد به الجنس.

ورابعها: أنّه يعني به الرجوم من النجوم، وهو ما يرمى به الشياطين عند استراق السمع، وروت العامّة عن جعفر الصادق عليه السلام أن رسول الله ﷺ نزل من السماء السابعة ليلة المعراج، ولمّا نزلت السورة أخبر بذلك عتبة بن أبي لهب، فجاء إلى النبيّ ﷺ وطلّق ابنته وتفل في وجهه، وقال: كفرت بالنجم وبربّ النجم، فدعا ﷺ عليه وقال: «اللّهمّ سلّط عليه كلباً من كلابك» فخرج عتبة إلى الشام، فنزل في بعض الطريق، وألقى الله عليه الرعب، فقال لأصحابه: أنيموني بينكم، ففعلوا فجاء أسد فافترسه من بين الناس.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾ يعني النبيّ ﷺ، أي ما عدل عن الحقّ وما فارق الهدى، وما غوى فيما يؤدّيه إليكم، ومعنى غوى ضلّ، وإنّما أعاده تأكيداً، وقيل: معناه ما خاب عن إصابة الرشد، وقيل: ما خاب سعيه بل ينال ثواب الله وكرامته ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ أي وليس ينطق بالهوى وميل الطبع ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ أي ما القرآن وما ينطق به من الأحكام إلاّ وحي من الله يوحى إليه، أي يأتيه به جبرئيل وهو قوله: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ يعني جبرئيل، أي القويّ في نفسه وخلقته ﴿ذُو مِرَّةٖ﴾ أي ذو قوّة وشدّة في خلقه عن الكلبيّ، قال: ومن قوّته أنّه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود فرفعها إلى السماء، ثمّ قلبها، ومن شدته صيحته لقوم ثمود حتّى هلكوا، وقيل: معناه ذو صحّة وخلق حسن، وقيل: شديد القوى في ذات الله، ذو مرّة، أي صحّة من الجسم، سليم من الآفات والعيوب، وقيل: ذو مرّة، أي ذو مرور في الهواء، ذاهباً وجائياً ونازلاً وصاعداً ﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾ جبرئيل عليه السلام على صورته الّتي خلق عليها بعد انحداره إلى محمّد ﷺ[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ أي ما أعطاكم الرسول من الفيء فخذوه وارضوا به، وما أمركم به فافعلوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، فإنّه لا يأمر ولا ينهى إلاّ عن أمر الله، وروى زيد الشحّام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما أعطى الله نبيّاً من

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢١٢.
(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٨٦.

الأنبياء شيئاً إلاّ وقد أعطى محمّداً صلى الله عليه وآله، قال لسليمان عليه السلام: ﴿فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ وقال لرسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾(١).

وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا﴾ يعني العرب، وكانت أمّة أُمّيّة لا تكتب ولا تقرأ، ولم يبعث إليهم نبي، وقيل: يعني أهل مكّة، لأنّ مكّة تسمّى أمّ القرى ﴿رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وآله، نسبه نسبهم، وهو من جنسهم، ووجه النعمة في أنّه جعل النبوّة في أمّيّ موافقة لمّا تقدّمت البشارة به في كتب الأنبياء السالفة، ولأنّه أبعد من توهّم الاستعانة على ما أتى به من الحكمة بالحكم الّتي تلاها، والكتب الّتي قرأها، وأقرب إلى العلم بأنّ ما يخبرهم به من أخبار الأمم الماضية والقرون الخالية على وفق ما في كتبهم ليس ذلك إلاّ بالوحي ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي يقرأ عليهم القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمۡ﴾ أي ويطهّرهم من الكفر والذنوب، ويدعوهم إلى ما يصيرون به أزكياء ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ الكتاب: القرآن، والحكمة: الشرائع، وقيل: إنّ الحكمة تعمّ الكتاب والسنّة وكلّ ما أراده الله تعالى، فإنّ الحكمة هي العلم الّذي يعمل عليه فيما يجتبى، أو يجتنب من أمور الدين والدنيا ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ معناه وما كانوا من قبل بعثه إليهم إلاّ في عدول عن الحقّ، وذهاب عن الدين بيّن ظاهر ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ﴾ أي ويعلّم آخرين من المؤمنين ﴿لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ﴾ وهم كلّ من بعد الصحابة إلى يوم القيامة فإنّ الله سبحانه بعث النبيّ صلى الله عليه وآله إليهم، وشريعته تلزمهم، وإن لم يلحقوا بزمان الصحابة، وقيل: هم الأعاجم ومن لا يتكلّم بلغة العرب، وروي ذلك عن أبي جعفر عليه السلام، وروي أن النبيّ صلى الله عليه وآله قرأ هذه الآية فقيل له: من هؤلاء؟ فوضع يده على كتف سلمان وقال: لو كان الدين في الثريّا لنالته رجال من هؤلاء.

وعلى هذا فإنّما قال: ﴿مِنۡهُمۡ﴾ لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم، وقيل: إنّ قوله: ﴿لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ﴾ يعني في الفضل والسابقة، فإنّ التابعين لا يدركون شأن السابقين من الصحابة وخيار المؤمنين ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الّذي لا يغالب ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في جميع أفعاله ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾ يعني النبوّة الّتي خص الله بها رسوله ﴿يُؤۡتِيهِ﴾ أي يعطيه ﴿مَن يَشَآءُۚ﴾ بحسب ما يعلمه من صلاحه للبعثة وتحمّل أعباء الرسالة ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ ذو المنّ العظيم على خلقه ببعث محمّد صلى الله عليه وآله(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا﴾ يعني القرآن، وقيل: يعني الرسول، روي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام ﴿رَّسُولٗا﴾ إمّا بدل من ﴿ذِكۡرٗا﴾ فالرسول إمّا جبرئيل أو محمّد صلى الله عليه وآله، أو مفعول محذوف، أي أرسل رسولاً، فالرسول محمّد صلى الله عليه وآله، أو مفعول قوله: ﴿ذِكۡرٗا﴾ أي أنزل إليكم أن ذكر رسولاً، فالرسول يحتمل الوجهين، ويجوز على

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٤٣٢.
(٢) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٦.

الأوّل أن يكون المراد بالذكر الشرف، أي ذا ذكر، والظلمات الكفر والجهل، والنور الإيمان والعلم(١).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾: اختلفوا في تفسير الكوثر، فقيل: هو نهر في الجنّة، وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: نهر في الجنّة أعطاه الله نبيّه عوضاً من ابنه.

وقيل: هو حوض النبيّ ﷺ الّذي يكثر الناس عليه يوم القيامة وقيل: الكوثر: الخير الكثير، وقيل: هو النبوّة والكتاب، وقيل: هو القرآن، وقيل: هو كثرة الأشياع والأتباع، وقيل: هو كثرة النسل والذرّيّة، وقيل: هو الشفاعة، رووه عن الصادق عليه السلام، واللّفظ محتمل للكلّ، فيجب أن يحمل على جميع ما ذكر من الأقوال، فقد أعطاه الله سبحانه الخير الكثير في الدنيا، ووعده الخير الكثير في الآخرة ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ أمره سبحانه بالشكر على هذه النعمة العظيمة بأن قال: ﴿فَصَلِّ﴾ صلاة العيد ﴿وَٱنْحَرْ﴾ هديك وقيل: فصلّ لربّك صلاة الغداة المفروضة بجمع، وانحر البدن بمنى، وقيل صلّ المكتوبة واستقبل القبلة بنحرك، وتقول العرب: منازلنا تتناحر، أي هذا ينحر هذا، أي يستقبله.

وعن عليّ عليه السلام معناه ارفع يديك إلى النحر في صلاتك.

وعن عمر بن يزيد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ هو رفع يديك حذاء وجهك. وروى عنه عليه السلام عبد الله بن سنان مثله. وعن جميل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ فقال بيده هكذا، يعني استقبل بيديه حذو وجهه القبلة في افتتاح الصلاة. وعن حمّاد بن عثمان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النحر، فرفع يده إلى صدره فقال: هكذا، ثمّ رفعها فوق ذلك، فقال: هكذا، يعني استقبل بيديه القبلة في استفتاح الصلاة.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ معناه أن مبغضك هو المنقطع عن الخير، وهو العاص بن وائل، وقيل: معناه أنّه الأقل الأذلّ بانقطاعه عن كلّ خير، وقيل: معناه أنّه لا ولد له على الحقيقة، وأن من ينتسب إليه ليس بولد له، قال مجاهد: الأبتر: الّذي لا عقب له، وهو جواب لقول قريش: إنّ محمّداً لا عقب له، يموت فنستريح منه، ويدرس ذكره، إذ لا يقوم مقامه من يدعو إليه فينقطع أمره، وفي هذه السورة دلالات على صدق نبيّنا ﷺ وصحّة نبوّته: أحدها: أنّه أخبر عمّا في نفوس أعدائه، وما جرى على ألسنتهم، ولم يكن بلغه ذلك فكان كما أخبره.

وثانيها: أنّه قال: ﴿أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ فانظر كيف انتشر دينه، وعلا أمره، وكثرت ذرّيته حتّى صار نسبه أكثر من كلّ نسب، ولم يكن شيء من ذلك في تلك الحال.

وثالثها: أن جميع فصحاء العرب والعجم قد عجزوا عن الإتيان بمثل هذه السورة على

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٤٩.

وجازة ألفاظها مع تحدّيه إيّاهم بذلك، وحرصهم على بطلان أمره منذ بعث ﷺ إلى يوم النّاس هذا، وهذا غاية الإعجاز.

ورابعها: أنّه سبحانه وعده بالنصر على أعدائه، وأخبره بسقوط أمرهم وانقطاع دينهم، أو عقبهم، فكان المخبر على ما أخبر به. هذا، وفي هذه السورة الوجيزة من تشاكل المقاطع للفواصل، وسهولة مخارج الحروف بحسن التأليف والتقابل لكلّ من معانيها بما هو أولى به ما لا يخفى على من عرف مجاري كلام العرب[1].

١ - **لي**: ابن الوليد، عن ابن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد ابن عثمان، عن إسماعيل الجعفيّ أنّه سمع أبا جعفر عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: أعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلّ لي المغنم، ونصرت بالرعب، وأعطيت جوامع الكلام، وأعطيت الشفاعة[2].

بيان: قوله ﷺ: مسجداً، أي مصلّى بخلاف الأمم السابقة فإنّهم كانوا لا يجوز لهم الصلاة اختياراً إلاّ في بيعهم وكنائسهم، أو ما يصحّ السجود عليه، والأوّل أشهر «وطهوراً» أي ما يتطهّر به من الأحداث بالتيمّم، ومن الأخباث لبعض الأشياء كباطن القدم والخفّ، ومخرج النجو في الاستنجاء بالأحجار والمدر، والمغنم بالفتح: ما يصاب من أموال المشركين في الحرب، والمشهور أن حلّ المغنم من خصائصه وخصائص أمّته ﷺ، وأنّ الأمم المتقدّمة منهم من لم يبح لهم جهاد الكفّار، ومنهم من أبيح لهم لكن لم يبح لهم الغنائم، وكانت غنائمهم توضع فتأتي نار فتحرقها، وأباحها الله لهذه الأمّة. قوله: ونصرت بالرعب، كان ممّا خصّه الله تعالى به أنّه كان يخافه العدوّ وبينه وبينه مسيرة شهر، وقيل: المراد بجوامع الكلام القرآن حيث جمع الله فيه معاني كثيرة بألفاظ يسيرة، وقيل: سائر كلماته الموجزة المشتملة على حكم عظيمة ومعاني كثيرة.

٢ - **لي**: الدقّاق، عن الأسديّ، عن النخعيّ، عن النوفليّ، عن عليّ بن أبي حمزة، عن يحيى بن أبي إسحاق، عن الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه عليهم السلام قال: سئل النبيّ ﷺ أين كنت وآدم في الجنّة؟ قال: كنت في صلبه، وهبط بي إلى الأرض في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح، وقذف بي في النار في صلب أبي إبراهيم، لم يلتق فيّ أبوان على سفاح قطّ، لم يزل الله عزّ وجلّ ينقلني من الأصلاب الطيّبة إلى الأرحام الطاهرة، هادياً مهديّاً حتّى أخذ الله بالنبوّة عهدي، وبالإسلام ميثاقي، وبيّن كلّ شيء من صفتي، وأثبت في التوارة والإنجيل ذكري، ورقّا بي إلى سمائه، وشقّ لي اسماً من أسمائه، أمّتي الحمادون، فذو العرش محمود، وأنا محمّد[3].

---

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٤٥٩.
(٢) أمالي الصدوق، ص ١٨٠ مجلس ٣٨ ح ٦.
(٣) أمالي الصدوق، ص ٤٩٨ مجلس ٩١ ح ١.

٣ - **مع:** القطّان، عن السكّريّ، عن الجوهريّ، عن ابن عمّارة، عن أبيه، عن جابر الجعفيّ، عن جابر الأنصاريّ قال: سئل رسول الله ﷺ وذكر مثله.

ثمّ قال الصدوق: وقد رويت هذا الحديث من طرق كثيرة[١].

٤ - **لي:** الطالقانيّ، عن الجلوديّ، عن يحيى بن عبد الحميد الحمانيّ، عن الحسين ابن الربيع، عن الأعمش، عن عباية بن ربعيّ، عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله عزّ وجلّ قسّم الخلق قسمين، فجعلني في خيرهما قسماً، وذلك قوله عزّ وجلّ في ذكر أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، وأنا من أصحاب اليمين، وأنا خير أصحاب اليمين، ثمّ جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرهما ثلثاً، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ وأنا من السابقين، وأنا خير السابقين، ثمّ جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ فأنا أتقى ولد آدم، وأكرمهم على الله جلّ ثناؤه ولا فخر، ثمّ جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٢].

٥ - **فس:** الحسن بن عليّ، عن أبيه، عن الحسن بن سعيد، عن الحسين بن علوان، عن عليّ بن الحسن العبدي، عن أبي هارون العبديّ، عن ربيعة السعديّ، عن حذيفة بن اليمان، عن النبيّ ﷺ مثله مع زيادات[٣].

بيان: قوله ﷺ: ولا فخر، أي أقوله معتدّاً بالنعمة لا فخراً واستكباراً.

٦ - **ما:** المفيد، عن عليّ بن محمّد بن رياح، عن أبي عليّ الحسن بن محمّد، عن ابن محبوب عن ابن رئاب، عن أبي بصير، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: إنّ أبا ذرّ وسلمان خرجا في طلب رسول الله ﷺ، فقيل لهما إنّه توجّه إلى ناحية قبا، فاتّبعاه فوجداه ساجداً تحت الشجرة، فجلسا ينتظرانه حتّى ظنّا أنّه نائم، فأهويا ليوقظاه فرفع رأسه إليهما، ثمّ قال: قد رأيت مكانكما، وسمعت مقالتكما، ولم أكن راقداً إنّ الله بعث كلّ نبيّ كان قبلي إلى أمّته بلسان قومه، وبعثني إلى كلّ أسود وأحمر بالعربيّة، وأعطاني في أمّتي خمس خصال لم يعطها نبيّاً كان قبلي: نصرني بالرعب، تسمع بي القوم وبيني وبينهم مسيرة شهر فيؤمنون بي، وأحلّ لي المغنم، وجعل لي الأرض مسجداً وطهوراً، أينما كنت منها أتيمّم من تربتها، وأصلّي عليها، وجعل لكلّ نبيّ مسألة فسألوه إيّاها، فأعطاهم ذلك في الدنيا، وأعطاني مسألة فأخّرت مسألتي لشفاعة المؤمنين من أمّتي يوم القيامة، ففعل ذلك،

---

(١) معاني الأخبار، ص ٥٥.
(٢) أمالي الصدوق، ص ٥٠٣ مجلس ٩٢ ح ١.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٢٥.

وأعطاني جوامع العلم، ومفاتيح الكلام، ولم يعط ما أعطاني نبيّاً قبلي، فمسألتي بالغة إلى يوم القيامة لمن لقي الله لا يشرك به شيئاً، مؤمناً بي، موالياً لوصيّ، محبّاً لأهل بيتي[1].

بشا: الحسن بن الحسين بن بابويه، عن شيخ الطائفة، عن المفيد، عن محمّد بن عليّ ابن رياح، عن أبيه، عن الحسن بن محمّد مثله[2].

بيان: قوله ﷺ: بلسان قومه، لعلّ المراد أن كلّ نبيّ من أولي العزم وغيرهم إنّما كان يبعث أوّلاً إلى قوم بلسانهم، وإن كان أولو العزم منهم يعمّ دينهم بعدهم أهل سائر اللّغات بتوسّط غير أولي العزم من الأنبياء والأوصياء، أو كان في زمانهم أيضاً يبعث نبيّ آخر إلى قوم بلسانهم، فيبلّغهم دين هذا النبيّ ﷺ، وأمّا نبيّنا ﷺ فإنّه قد بعث إلى الجميع بلسانه، وبلّغهم ذلك في زمانه بنفسه، فبعث إلى كسرى وقيصر وسائر الفرق، وبلّغهم رسالته.

قوله ﷺ: فمسألتي بالغة، أي دعوتي وشفاعتي كاملة تبلغ إلى يوم القيامة لهم، فأدعو لهم في الدنيا، وأشفع لهم في الآخرة.

٧ - **ما:** المفيد، عن أحمد بن الوليد، عن أبيه، عن سعيد بن عبد الله بن موسى، عن محمّد بن عبد الرحمن العرزميّ، عن المعلّى بن هلال، عن الكلبيّ، عن أبي صالح، عن عبد الله بن العبّاس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: أعطاني الله تعالى خمساً، وأعطى عليّاً عليه السلام خمساً: أعطاني جوامع الكلم، وأعطى عليّاً جوامع العلم، وجعلني نبيّاً، وجعله وصيّاً، وأعطاني الكوثر وأعطاه السلسبيل، وأعطاني الوحي، وأعطاه الإلهام، وأسري بي إليه، وفتح له أبواب السماء والحجب حتّى نظر إليّ ونظرت إليه، قال: ثم بكى رسول الله ﷺ فقلت له: ما يبكيك فداك أبي وأمّي؟ فقال: يا ابن عبّاس إنّ أوّل ما كلّمني به أن قال: يا محمّد انظر تحتك، فنظرت إلى الحجب قد انخرقت، وإلى أبواب السماء قد فتحت، ونظرت إلى عليّ وهو رافع رأسه إليّ فكلّمني وكلّمته وكلّمني ربّي عزّ وجلّ فقلت: يا رسول الله بم كلّمك ربّك؟ قال: قال لي: يا محمّد إنّي جعلت عليّاً وصيّك ووزيرك وخليفتك من بعدك، فأعلمه، فها هو يسمع كلامك فأعلمته، وأنا بين يدي ربّي عزّ وجلّ، فقال لي: قد قبلت وأطعت، فأمر الله الملائكة أن تسلّم عليه ففعلت، فردّ عليهم السلام ورأيت الملائكة يتباشرون به، وما مررت بملائكة من ملائكة السماء، إلاّ هنّأوني وقالوا لي: يا محمّد والّذي بعثك بالحقّ لقد دخل السرور على جميع الملائكة باستخلاف الله عزّ وجلّ لك ابن عمّك، ورأيت حملة العرش قد نكسوا رؤوسهم إلى الأرض، فقلت: يا جبرئيل لِم نكس حملة العرش رؤوسهم؟ فقال: يا محمّد ما من ملك من الملائكة إلاّ وقد نظر إلى وجه عليّ بن أبي طالب استبشاراً به ما خلا حملة العرش، فإنّهم استأذنوا الله عزّ وجلّ في هذه الساعة، فأذن لهم

(١) أمالي الطوسي، ص ٥٦ مجلس ٢ ح ٨١. (٢) بشارة المصطفى، ص ٨٥.

أن ينظروا إلى عليّ بن أبي طالب فنظروا إليه، فلمّا هبطت جعلت أُخبره بذلك وهو يخبرني به، فعلمت أنّي لم أطأ موطئاً إلاّ وقد كشف لعليّ عنه حتّى نظر إليه، قال ابن عباس: قلت: يا رسول الله أوصني، فقال: عليك بمودّة عليّ بن أبي طالب، والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً، لا يقبل الله من عبد حسنة حتّى يسأله عن حبّ عليّ بن أبي طالب وهو تعالى أعلم، فإن جاءه بولايته قبل عمله على ما كان منه، وإن لم يأت بولايته لم يسأله عن شيء ثمّ أمر به إلى النار، يا ابن عبّاس والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً إنّ النّار لأشدّ غضباً على مبغض عليّ منها على من زعم أنّ لله ولداً، يابن عبّاس لو أن الملائكة المقرّبين والأنبياء المرسلين اجتمعوا على بغضه ولن يفعلوا لعذّبهم الله بالنار، قلت: يا رسول الله وهل يبغضه أحد؟ قال: يابن عبّاس نعم يبغضه قوم يذكرون أنّهم من أُمّتي لم يجعل الله لهم في الإسلام نصيباً، يا ابن عبّاس إنّ من علامة بغضهم له تفضيلهم من هو دونه عليه، والّذي بعثني بالحقّ ما بعث الله نبيّاً أكرم عليه منّي، ولا وصيّاً أكرم عليه من وصيّي عليّ، قال ابن عبّاس: فلم أزل له كما أمرني رسول الله ﷺ وأوصاني بمودّته، وإنّه لأكبر عملي عندي، قال ابن عبّاس: ثمّ مضى من الزمان ما مضى، وحضرت رسول الله ﷺ الوفاة حضرته فقلت: فداك أبي وأمّي يا رسول الله قد دنا أجلك فما تأمرني؟ فقال: يا ابن عبّاس خالف من خالف عليّاً ولا تكوننّ له ظهيراً ولا وليّاً، قلت: يا رسول الله فلم لا تأمر النّاس بترك مخالفته؟ قال: فبكى عليه وآله السلام حتى أُغمي عليه، ثمّ قال: يابن عبّاس سبق فيهم علم ربّي، والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً لا يخرج أحد ممّن خالفه من الدنيا وأنكر حقّه حتّى يغيّر الله تعالى ما به من نعمة، يابن عبّاس، إذا أردت أن تلقى الله وهو عنك راض فاسلك طريقة عليّ بن أبي طالب ومل معه حيث مال، وارض به إماماً، وعاد من عاداه ووال من والاه، يابن عبّاس احذر أن يدخلك شكّ فيه، فإنّ الشكّ في عليّ كفر بالله تعالى[1].

فض، يل: بالإسناد عن ابن مسعود وابن عبّاس مثله. «ص ٤٥».

بيان: قوله ﷺ: ولن يفعلوا، أي والحال أنّهم لا يفعلون ذلك أبداً، قوله ﷺ: وإنّه لأكبر عملي أي أعدّ ولايته أكبر أعمالي.

٨ - **ب:** ابن طريف، عن ابن علوان، عن جعفر، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله تبارك وتعالى جعل الناس نصفين، فكنت في النصف الخيّر، ثمّ قسّم النصف الخيّر ثلاثة فكنت في ثلث الخيّر، وما عرق فيّ عرق سفاح قطّ، وما عرق فيّ إلاّ عرق نكاح كنكاح الإسلام حتّى آدم[2].

توضيح: قوله ﷺ: ثمّ قسّم النصف الخير ثلاثة، المراد بنصف الخيّر أصحاب اليمين، ولعلّ المراد أنّه قسّمه نصفين حتّى صارا مع أصحاب الشمال ثلاثة كما مرّ، أو

(١) أمالي الطوسي، ص ١٠٢.
(٢) قرب الإسناد، ص ١١١ ح ٣٨٥.

الثلاثة باعتبار التسمية بالسابقين والمقرّبين، أو قسمة السابقين إلى الأنبياء، وغيرهم، أو إلى أولي العزم وغيرهم، وقال الفيروزآباديّ: عرق في الأرض: ذهب، وأعرق الشجر: اشتدّت عروقه في الأرض.

٩ - **ل:** ابن بندار، عن محمّد بن جمهور الحماديّ، عن صالح بن محمّد البغداديّ، عن سعيد بن سليمان، ومحمّد بن بكّار، وإسماعيل بن إبراهيم قالوا: حدّثنا الفرج بن فضالة، عن لقمان بن عامر، عن أبي أمامة قال: قلت: يا رسول الله ما كان بدء أمرك؟ قال: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى بن مريم، ورأت أمّي أنّه خرج منها شيء أضاءت منه قصور الشام[1].

بيان: قوله: ما كان بدؤ أمرك، أي ابتداء ظهوره، ودعوة إبراهيم عليه السلام قوله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ وبشارة عيسى عليه السلام قوله: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.

١٠ - **ل:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن ظريف بن ناصح، عن إبراهيم بن يحيى قال: حدّثني جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قسّم الله تبارك وتعالى أهل الأرض قسمين، فجعلني في خيرهما، ثمّ قسّم النصف الآخر على ثلاثة، فكنت خير الثلاثة، ثمّ اختار العرب من الناس، ثمّ اختار قريشاً من العرب، ثمّ اختار بني هاشم من قريش، ثمّ اختار بني عبد المطّلب من بني هاشم، ثمّ اختارني من بني عبد المطّلب[2].

١١ - **ل:** ابن بندار، عن مجاهد بن أعين، عن أبي بكر بن أبي العوام، عن بريدة، عن سليمان التيميّ، عن سيّار، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فضّلت بأربع: جعلت لأمّتي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيّما رجل من أمّتي أراد الصلاة فلم يجد ماءً ووجد الأرض فقد جعلت له مسجداً وطهوراً، ونصرت بالرعب مسيرة شهر يسير بين يديّ، وأحلّت لأمّتي الغنائم، وأرسلت إلى النّاس كافّة[3].

بيان: ظاهره أنّ البعثة إلى النّاس كافّة من خصائصه صلى الله عليه وآله، وهو مخالف لما هو المشهور من أنّ بعض أولي العزم أيضاً كانوا كذلك، ويمكن أن يحمل على أنّ المراد إرساله إلى كلّ من في زمانه ومن يأتي بعده من غير نسخ لشريعته، على أنّ التفضيل بتلك الأمور لا ينافي شركة غيره معه فيها والله يعلم.

١٢ - **ما:** المفيد، عن أحمد بن الوليد، عن أبيه، عن سعد، عن عبد الله بن هارون، عن محمّد بن عبد الرحمن العرزميّ، عن المعلّى بن هلال، عن الكلبيّ، عن أبي صالح، عن ابن

(١) الخصال، ص ١٧٧ باب الثلاثة ح ٢٣٦.
(٢) الخصال، ص ٣٦ باب الاثنين ح ١١.
(٣) الخصال، ص ٢٠١ باب الأربعة ح ١٤.

عبّاس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أعطاني الله خمساً، وأعطى عليّاً خمساً: أعطاني جوامع الكلم، وأعطى عليّاً جوامع العلم، وجعلني نبيّاً، وجعل عليّاً وصيّاً، وأعطاني الكوثر، وأعطى عليّاً السلسبيل، وأعطاني الوحي، وأعطى عليّاً الإلهام، وأسرى بي إليه، وفتحت له أبواب السماء حتّى رأى ما رأيت، ونظر إلى ما نظرت إليه، ثمّ قال: يا ابن عبّاس خالف من خالف عليّاً ولا تكوننّ له ظهيراً ولا وليّاً، فوالّذي بعثني بالحقّ ما يخالفه أحد إلاّ غيّر الله ما به من نعمة، وشوّه خلقه قبل إدخاله النار، يا ابن عبّاس لا تشكّ في عليّ فإنّ الشك فيه كفر يخرج عن الإيمان، ويوجب الخلود في النار[١].

ل: أبي، عن سعد، عن عبد الله بن موسى بن هارون المفتي، عن محمّد بن عبد الرحمن العرزميّ إلى قوله: إلى ما نظرت إليه، ثمّ قال: والحديث طويل[٢].

١٣ - **ل:** ابن إدريس، عن أبيه، عن الأشعريّ، عن أبي عبد الله الرازيّ، عن ابن أبي عثمان، عن موسى بن بكر، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله تبارك وتعالى اختار من الأنبياء أربعة للسّيف: إبراهيم، وداود، وموسى، وأنا الخبر[٣].

١٤ - **ل:** ابن الوليد، عن الصفّار وسعد معاً، عن ابن عيسى والبرقيّ معاً، عن محمّد البرقيّ، عن محمّد بن سنان، عن أبي الجارود، عن سعيد بن جبير: عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: أعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ونصرت بالرعب، وأُحلّ لي المغنم، وأعطيت جوامع الكلم، وأعطيت الشفاعة[٤].

١٥ - **ما:** المفيد، عن عمر بن محمّد الزيّات، عن عليّ بن العباس، عن أحمد بن منصور الرقاديّ، عن محمّد بن مصعب، عن الأوزاعيّ، عن شدّاد أبي عمّار، عن واثلة بن الأصقع قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله اصطفى إسماعيل من ولد إبراهيم، واصطفى كنانة من بني إسماعيل، واصطفى قريشاً من بني كنانة، واصطفى هاشماً من قريش، واصطفاني من هاشم[٥].

١٦ - **ما:** جماعة، عن أبي المفضّل، عن محمّد بن محمّد بن سليمان، عن عبد السلام ابن عبد الحميد إمام حرّان، عن موسى بن أعين، قال أبو المفضّل: وحدثني نصر بن الجهم، عن محمّد بن مسلم بن وارة عن محمّد بن مسلم بن أعين، عن أبيه، عن عطاء بن السائب، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين عن النبيّ ﷺ قال: أعطيت خمساً لم يعطهنّ نبيّ كان قبلي: أرسلت إلى

---

(١) أمالي الطوسي، ص ١٨٨ مجلس ٧ ح ٣١٧.
(٢) - (٤) الخصال، ص ٢٩٣ باب ٥ ح ٥٧ و٥٨ و٥٦.
(٥) أمالي الطوسي، ص ٢٤٦ مجلس ٩ ح ٤٣٠.

الأبيض والأسود والأحمر، وجعلت لي الأرض مسجداً، ونصرت بالرعب، وأحلّت لي الغنائم ولم تحلّ لأحد - أو قال: لنبيّ - قبلي، وأعطيت جوامع الكلم، قال عطا: فسألت أبا جعفر عليه السلام قلت: ما جوامع الكلم؟ قال: القرآن، قال أبو المفضّل: هذا حديث حرّان ولم يحدّث به في هذا الطريق إلاّ موسى بن جعفر الحرّاني[1].

أقول: الأبواب مشحونة بأخبار فضائله صلى الله عليه وآله، وقد مرّ خبر جابر في باب أسمائه صلى الله عليه وآله في ذلك.

١٧ - **ما:** ابن بسران، عن إسماعيل بن محمّد الصفّار، عن الحسن بن عرفة، عن هاشم ابن القاسم، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت البنانيّ، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: آتي يوم القيامة باب الجنّة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: أنا محمّد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك[2].

١٨ - **شي:** عن زرارة وحمران، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قال: «إني أوحيت إليك كما أوحيت إلى نوح والنبيين من بعده» فجمع له كلّ وحي[3].

بيان: في القرآن: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ﴾ ولعلّ في قراءتهم عليهم السلام كان هكذا، أو نقل للآية بالمعنى، والغرض أن المراد بالتشبيه التشبيه الكامل، فكلّ ما أوحي إليهم أوحي إليه صلى الله عليه وآله.

١٩ - **جا:** المراغيّ، عن عبد الكريم بن محمّد، عن عثمان بن أبي شيبة، عن مصعب، عن الأوزاعيّ، عن شدّاد أبي عمّار، عن واثلة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم[4].

٢٠ - **ن:** بالإسناد إلى دارم، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: أنا خاتم النبيّين، وعليّ خاتم الوصيّين[5].

٢١ - **ن:** بالأسانيد الثلاثة عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيّد ولد آدم ولا فخر[6].

٢٢ - **ما:** أبوعمرو عبد الواحد بن محمّد بن مهدي، عن ابن عقدة، عن الحسن بن جعفر ابن مدرار، عن عمّه طاهر، عن الحسن بن عمّار، عن عمرو بن مرّة، عن عبد الله بن

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٤٨٤ مجلس ١٧ ح ١٠٥٩ وفيه: إلّا موسى بن أعين وهو الصحيح.

(٢) أمالي الطوسي، ص ٣٩٥ مجلس ١٤ ح ٨٧٥.

(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣١١ ح ٣٠٤ من سورة النساء.

(٤) أمالي المفيد، ص ٢١٦.

(٥) - (٦) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٧٩ باب ٣١ ح ٣٤٥-٣٤٦.

الحارث، عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أوّل من تنشق الأرض عنه ولا فخر، وأنا أوّل شافع وأوّل مشفّع[١].

٢٣ - **شي:** عن منصور بن حازم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لم يزل رسول الله ﷺ يقول: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ حتّى نزلت سورة الفتح فلم يعد إلى ذلك الكلام[٢].

بيان: إنّما لم يعد ﷺ إلى هذا القول لقوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾.

٢٤ - **ل:** إسماعيل بن منصور القصّار، عن محمّد بن القاسم بن محمّد بن عبد الله العلويّ، عن سليمان بن عبد الله الدمشقيّ، عن أحمد بن أبان، عن عبد العزيز بن محمّد، عن موسى بن عبيدة، عن عبد الله بن دينار، عن أمّ هاني بنت أبي طالب قالت: قال رسول الله ﷺ: أظهر الله تبارك وتعالى الإسلام على يدي، وأنزل الفرقان عليّ، وفتح الكعبة على يدي، وفضّلني على جميع خلقه، وجعلني في الدنيا سيّد ولد آدم، وفي الآخرة، زين القيامة، وحرّم دخول الجنّة على الأنبياء حتّى أدخلها أنا، وحرّمها على أممهم حتّى تدخلها أمّتي، وجعل الخلافة في أهل بيتي من بعدي إلى النفخ في الصور، فمن كفر بما أقول فقد كفر بالله العظيم[٣].

٢٥ - **ج:** عن ابن عبّاس قال: خرج من المدينة أربعون رجلاً من اليهود، قالوا: انطلقوا بنا إلى هذا الكاهن الكذّاب حتّى نوبّخه في وجهه ونكذّبه، فإنّه يقول: أنا رسول الله ربّ العالمين، فكيف يكون رسولاً وآدم خير منه، ونوح خير منه؟ وذكروا الأنبياء عليهم السلام، فقال النبيّ ﷺ لعبد الله بن سلام: التوراة بيني وبينكم، فرضيت اليهود بالتوراة، فقالت اليهود: آدم خير منك لأنّ الله تعالى خلقه بيده ونفخ فيه من روحه، فقال النبيّ ﷺ آدم النبيّ أبي، وقد أعطيت أنا أفضل ممّا أعطي آدم، فقالت اليهود: وما ذاك؟ قال: إنّ المنادي ينادي كلّ يوم خمس مرّات: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله، ولم يقل آدم رسول الله، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة، وليس بيد آدم، فقالت اليهود: صدقت يا محمّد وهو مكتوب في التوراة، قال: هذه واحدة، قالت اليهود: موسى خير منك، قال النبيّ ﷺ ولم؟ قالوا: لأنّ الله عزّ وجلّ كلّمه بأربعة آلاف كلمة، ولم يكلّمك بشيء، فقال النبيّ ﷺ: لقد أعطيت أنا أفضل من ذلك، قالوا: وما ذاك؟ قال: قوله عزّ وجلّ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ وحملت على جناح

(١) أمالي الطوسي، ص ٢٧١ مجلس ١٠ ح ٥٠٦.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٢٨ ح ١٢ من سورة يونس.
(٣) الخصال، ص ٤١٣ باب التسعة ح ١.

جبرئيل عليه السلام حتّى انتهيت إلى السماء السابعة فجاوزت سدرة المنتهى عندها جنّة المأوى، حتّى تعلّقت بساق العرش، فنوديت من ساق العرش: «إني أنا الله لا إله إلاّ أنا السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبر الرؤوف الرحيم» ورأيته بقلبي، وما رأيته بعيني، فهذا أفضل من ذلك، فقالت اليهود: صدقت يا محمّد وهو مكتوب في التوراة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذه اثنان، قالوا: نوح خير منك، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: ولم ذلك؟ قالوا: لأنّه ركب في السفينة فجرت على الجوديّ، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: لقد أعطيت أنا أفضل من ذلك، قالوا: وما ذاك؟ قال: إنّ الله عزّ وجلّ أعطاني نهراً في السّماء مجراه من تحت العرش، وعليه ألف ألف قصر لبنة من ذهب، ولبنة من فضّة، حشيشها الزعفران، ورضراضها الدرّ والياقوت، وأرضها المسك الأبيض، فذاك خير لي ولأمّتي، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ قالوا: صدقت يا محمّد، وهو مكتوب في التوراة، هذا خير من ذاك، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: هذه ثلاثة، قالوا: إبراهيم خير منك، قال: ولم ذاك؟ قالوا: لأنّ الله اتّخذه خليلاً، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إن كان إبراهيم خليله فأنا حبيبه محمّد، قالوا: ولم سمّيت محمّداً؟ قال: سمّاني الله محمّداً، وشقّ اسمي من اسمه، هو المحمود وأنا محمّد، وأمّتي الحامدون، قالت اليهود: صدقت يا محمّد هذا خير من ذاك، قال صلى الله عليه وآله: هذه أربعة، قالت اليهود: عيسى خير منك، قال صلى الله عليه وآله: ولم ذاك؟ قالوا: لأنّ عيسى بن مريم عليه السلام كان ذات يوم بعقبة بيت المقدّس فجاءته الشياطين ليحملوه، فأمر الله عزّ وجلّ جبرئيل أن اضرب بجناحك الأيمن وجوه الشياطين، وألقاهم في النّار، فضرب بأجنحته وجوههم وألقاهم في النار، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أنا أعطيت أفضل من ذلك، قالوا: وما هو؟ قال: أقبلت يوم بدر من قتال المشركين وأنا جائع شديد الجوع، فلمّا وردت المدينة استقبلتني امرأة يهوديّة وعلى رأسها جفنة، وفي الجفنة جدي مشويّ، وفي كمّها شيء من سكّر، فقالت: الحمد لله الّذي منحك السّلامة، وأعطاك النصر والظفر على الأعداء، وإنّي قد كنت نذرت لله نذراً إن أقبلت سالماً غانماً من غزاة بدر لأذبحنّ هذا الجدي ولأشوينّه ولأحملنه إليك لتأكله، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: فنزلت عن بغلتي الشهباء فضربت بيدي إلى الجدي لآكله فاستنطق الله الجدي، فاستوى على أربع قوائم، وقال: يا محمّد لا تأكلني فإنّي مسموم، قالوا: صدقت يا محمّد هذا خير من ذاك، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: هذه خمسة، قالوا: بقيت واحدة، ثمّ نقوم من عندك، قال: هاتوا، قالوا: سليمان خير منك قال: ولم ذاك؟ قالوا: لأنّ الله عزّ وجلّ سخّر له الشياطين والإنس والجنّ والرياح والسباع، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: فقد سخّر الله لي البراق، وهو خير من الدنيا بحذافيرها، وهي دابّة من دوابّ الجنّة، وجهها مثل وجه آدميّ، وحوافرها مثل حوافر الخيل، وذنبها مثل ذنب البقر، فوق الحمار ودون البغل، سرجه من ياقوتة حمراء، وركابه من درّة بيضاء، مزمومة بسبعين ألف زمام من ذهب، عليه جناحان مكلّلان بالدرّ والياقوت

والزبرجد، مكتوب بين عينيه لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، محمّد رسول الله، قالت اليهود: صدقت يا محمّد وهو مكتوب في التوراة، هذا خير من ذاك يا محمّد، نشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّك رسول الله، قال لهم رسول الله: لقد أقام نوح في قومه ودعاهم ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، ثمّ وصفهم الله فقلّلهم فقال: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ولقد تبعني في سنّي القليلة ما لم يتبع نوحاً في طول عمره وكبر سنّه، وإنّ في الجنّة عشرين ومائة ألف صفّ، أمّتي منها ثمانون صفّاً، وإنّ الله عزّوجلّ جعل كتابي المهيمن على كتبهم، الناسخ لهم، ولقد جئت بتحليل ما حرّموا، وبتحريم بعض ما حلّلوا من ذلك، إنّ موسى جاء بتحريم صيد الحيتان يوم السبت حتّى أن الله قال لمن اعتدى منهم: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ فكانوا، ولقد جئت بتحليل صيدها حتّى صار صيدها حلالاً، قال الله عزّوجلّ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ وجئت بتحليل الشحوم كلّها وكنتم لا تأكلونها، ثمّ إنّ الله عزّوجلّ صلّى عليّ في كتابه قال الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ ثمّ وصفني الله تعالى بالرأفة والرحمة، وذكر في كتابه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فأنزل الله عزّوجلّ أن لا يكلّموني حتّى يتصدّقوا بصدقة، وما كان ذلك لنبيّ قطّ، قال الله عزّوجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ ثمّ وضعها عنهم بعد أن فرضها عليهم برحمته[1].

٢٦ - **سن:** أبو إسحاق الثقفيّ، عن محمّد بن مروان، عن أبان بن عثمان، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى أعطى محمّداً شرائع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام: التوحيد والإخلاص وخلع الأنداد والفطرة الحنيفيّة السمحة، لا رهبانيّة ولا سياحة، أحلّ فيها الطيّبات، وحرّم فيها الخبيثات، ووضع عنهم إصرهم والأغلال الّتي كانت عليهم، فعرف فضله بذلك، ثمّ افترض عليه فيها الصلاة والزكاة والصيام والحجّ والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والحلال والحرام، والمواريث والحدود والفرائض والجهاد في سبيل الله وزاده الوضوء، وفضّله بفاتحة الكتاب، وبخواتيم سورة البقرة والمفصّل، وأحلّ له المغنم والفيء، ونصره بالرعب، وجعل له الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسله كافّة إلى الأبيض والأسود، والجنّ والإنس، وأعطاه الجزية، وأسر المشركين وفداهم، ثمّ كلّف ما لم يكلّف أحد من الأنبياء، أنزل عليه سيفاً من السماء في غير غمد، وقيل له: ﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَۚ﴾[2].

كا: عليّ، عن أبيه، عن البزنطيّ، والعدّة عن البرقيّ، عن إبراهيم بن محمّد الثقفيّ، عن محمّد بن مروان جميعاً، عن أبان بن عثمان مثله[3].

---

(١) الاحتجاج، ص ٤٨.
(٢) المحاسن، ص ٢٨٧.
(٣) اصول الكافي، ج ٢ ص ٣٣٩ باب الشرائع ح ١.

بيان: الظاهر أن المراد بالشرائع أصول الدين، وقوله: التوحيد والإخلاص وخلع الأنداد بيان لها، والفطرة الحنيفيّة معطوف على الشرائع، وإنّما خصّ عليه السلام ما به الاشتراك بهذه الثلاثة مع اشتراك كثير من العبادات بينه صلى الله عليه وآله وبينهم لاختلاف الكيفيّات فيها دون هذه الثلاثة، ويحتمل أن يكون المراد بها الأصول وأصول الفروع المشتركة، وإن اختلف في الخصوصيّات والكيفيّات، وحينئذٍ يكون جميع تلك الفقرات إلى قوله عليه السلام: وزاده بياناً للشّرائع، ويشكل بالرهبانيّة والسياحة إذ المشهور أن عدمهما من خصائصه صلى الله عليه وآله، إلاّ أن يقال: المراد عدم الوجوب، وهو مشترك، أو يقال: إنهما لم يكونا في شريعة عيسى عليه السلام أيضاً، بل كانتا من مبتدعات أمّته، كما يومىء إليه قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾[1] أو يقال: ذكر هذا من خصائصه صلى الله عليه وآله بين الكلام لبيان الفرق، وأمّا الجهاد فيمكن أن يكون واجباً على عيسى عليه السلام بشرط لم يتحقّق، فلذا لم يجاهد، والأوّل أظهر، وإن كان قوله: وزاده وفضّله بالأخير أوفق، والإصر بالكسر: الذنب، والثقل، والمراد بالإصر والأغلال التكاليف الشاقّة الّتي كانت على الأمم السالفة، وخواتيم سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ إلى آخر السورة، والمفصّل من سورة محمّد إلى آخر القرآن.

٢٧ - **قب:** فارق نبيّنا صلى الله عليه وآله جماعة النبيّين بمائة وخمسين خصلة، منها في باب النبوّة، قوله: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وقوله: «اعطيت جوامع الكلم» وقوله: «أرسلت إلى الخلق كافة» وبقاء دولته: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ والعجز عن الإتيان بمثل كتابه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ وكان ممنوعاً من الشعر وروايته: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ وتسهيل شريعته: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ وإضعاف ثواب الطاعة: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ ورفع العذاب: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ وفرض محبّة أهل بيته: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ وفي باب أمّته: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ ﴿وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني الملائكة، وإفشاء السلام ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وفي باب الطهارة كمال الوضوء، والتيمّم، والاستنجاء بالحجارة، وأنّ الماء مزيل للنّجاسات، وأن لا يؤثّر النجاسة في الماء الكثير، وقوله: جعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً، وكان ينام ثمّ يصلّي ويقول: «تنام عيني ولا ينام قلبي» ويقال: فرض عليه السواك، وهو قد سنّه لنا.

وفي باب الصلاة: الأذان والإقامة، والجمعة، والجماعة، والركوع، والسجدتين، والتشهّد، والسّلام، وصلاة اللّيل، والوتر، وصلاة الكسوفين، والاستسقاء، وصلاة العشاء الآخرة.

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٧.

وفي باب الزكاة: حرّم عليه الزكاة والصدقة، وهديّة الكافر، وأحلّ له الخمس والأنفال والغنيمة، وجعل زكاة المال ربع الخمس، لا ربع المال.

وفي باب الصيام: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ وليلة القدر، والعيدين، وتحليل الطعام والشراب، واللّمس لليالي الصيام إلى وقت الصبح، وحرم صوم الوصال، وقالوا: أُبيح له الوصال في الصّوم، وكتب عليه الأضحية وسنّها لنا، وكذلك الفطرة على وجه.

وفي باب الحجّ يقال: أُحلّ له دخول مكّة بغير إحرام، وعقد النكاح وهو محرم، وفي باب الجهاد ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم﴾ وقوله «نصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم» وكان إذا لبس لامته لم ينزعها حتّى يقاتل، ولا يرجع إذا خرج، ولا ينهزم إذا لقي العدوّ وإن كثروا عليه، وأنّه أفرس العالمين، وخصّ بالحمى.

وفي باب النكاح: حرم عليه نكاح الإماء والذميّات، والإمساك بمن كرهت نكاحه، وحرم أزواجه على الخلق، وخصّ بإسقاط المهر، والعقد بلفظ الهبة، والعدد ما شاء بعد التخيير، والعزل عمّن أراد، وكان طلاقه زائداً على طلاق أُمّته، والواحدة من نسائه إذا أتت بفاحشة ضعف لها العذاب.

أبو عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ﴾ يعني قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ الآية.

وفي باب الأحكام: تخفيف الأمر على أُمّته، والقربان بغير الفضيحة، وتيسير التوبة بغير القتل، وستر المعصية على المذنب، ورفع الخطأ والنسيان وما استكره عليه، والتخيير بين القصاص والدية والعفو، والفرق بين الخطأ والعمد، والتوبة من الذنب دون إبانة العضو، وتحليل مجالسة الحائض، والانتفاع بما نالته، وتحليل تزويج نساء أهل الكتاب لأُمّته.

وفي باب الآداب: لم يكن له خائنة الأعين، يعني الغمز بالعين، والرمز باليد، وحرم عليه أكل الثوم على وجه.

وفي باب الآخرة وذلك أنّه أوّل من تنشقّ عنه الأرض، وأوّل من يدخل الجنّة. وأنّه يشهد لجميع الأنبياء بالأداء، وله الشفاعة، ولواء الحمد والحوض والكوثر، ويسأل في غيره يوم القيامة، وكلّ الناس يسألون في أنفسهم، وأنّه أرفع النبيّين درجة، وأكثرهم أُمّة[1].

٢٨ -قب: كان له اثنان وعشرون خاصيّة: كان أحسن الخلائق: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ﴾ وأجملهم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ وأطهرهم: ﴿طه مَا أَنزَلْنَا﴾ وأفضلهم: ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ وأعزّهم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ وأشرفهم: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ وأظهر معجزة: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ﴾ وأهيب الناس: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ﴾ وأكملهم

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ١٨٧.

سعادة: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ﴾ وأكرمهم كرامة: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ﴾ وأقربهم منزلة: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ وأقواهم نصرةً: ﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا﴾ وأصحهم رؤياً: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا﴾ وأكملهم رسالة: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ وأحسنهم دعوة:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ﴾ وأعصمهم عصمةً: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾ وأبعدهم صيتاً: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ وأحسنهم خلقاً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ﴾ وأبقاهم ولاية: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ وأعلاهم خاصيّة: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ وأجلّهم خليفةً: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وأطهرهم أولاداً: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾ وأنّ الله تعالى وضع ثلاثة أشياء على هوى الرسول: الصلاة: ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ والشفاعة: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ والقبلة: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً﴾ كقول الناس: من حبّ فلان لفلان أنّه إن أمره بتحويل القبلة لحوّلها، وأعطى التوراة لموسى عليه السلام، والإنجيل لعيسى عليه السلام، والزبور لداود عليه السلام، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أوتيت السبع الطوال مكان التوراة، والمائين مكان الإنجيل، والمثاني مكان الزبور، وفضّلني ربّي بالمفصّل، وإنّه شاركه مع نفسه في عشرة مواضع: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ومن جلالة قدره أن الله نسخ بشريعته سائر الشرائع، ولم ينسخ شريعته، ونهى الخلق أن يدعوه باسمه: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ وإنّما كان ينبغي أن يدعى له: يا أيّها الرسول، يا أيّها النبيّ، ولم يأذن بالجهر عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ وإنّ الله تعالى أرسل سائر الأنبياء إلى طائفة دون أخرى، قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ كما قال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ قرية واحدة لم يكمل له أربعين بيتاً ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ ولم تكمل أربعين بيتاً ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ﴾ إلى مصر وحدها، وأرسل إبراهيم عليه السلام بكوثى، وهي قرية من السواد، وكان بعده لإسحاق عليه السلام، ويعقوب عليه السلام في أرض كنعان، ويوسف عليه السلام في أرض مصر، ويوشع عليه السلام إلى بني إسرائيل في البريّة، وإلياس عليه السلام في الجبال، وأرسل نبيّنا صلى الله عليه وآله إلى الناس كافّة قوله: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ وإلى الجنّ أيضاً قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ وإلى الشياطين أيضاً، قال صلى الله عليه وآله: إنّ الله أعانني على شيطان حتّى أسلم على يدي. قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً﴾ وقال قوله صلى الله عليه وآله: «بعثت إلى الأحمر والأسود والأبيض» وقال صلى الله عليه وآله: «بعثت إلى الثقلين» وأنّه علق خمسة أشياء باتّباعه: المحبة ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾. والفلاح: «فاتبعوه لعلّكم تفلحون» والهداية: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ والرحمة: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ﴾ الآية، وأنّه مدح كلّ عضو من أعضائه: نفسه: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ رأسه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ شعره: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ عينه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾

بصره: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ أذنه: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ﴾ لسانه: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ كلامه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ وجهه: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ خدّه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ﴾ فؤاده: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ﴾ قلبه: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ صدره: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ظهره: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ يده: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ﴾ قيامه: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ صوته: ﴿فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ رجله: ﴿طه مَآ أَنزَلْنَا﴾ يعني طأ الأرض بقدميك، روحه: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ خلقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ثوبه: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ علمه: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ﴾ صلاته: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ صومه: ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ كتابه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ دينه: ﴿دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ أمته: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ قبلته: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً﴾ بلده: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ قضاياه: ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ جنده: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ عزّته: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ عصمته: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ شفاعته: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ صلابته: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ وصيّه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ أهل بيته: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾[1].

٢٩ - **شي:** عن سليمان بن خالد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الناس لعلّي عليه السلام: إن كان له حقّ فما منعه أن يقوم به؟ قال: فقال: إنّ الله لم يكلّف هذا إلاّ إنساناً واحداً: رسول الله ﷺ، قال: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ﴾ فليس هذا إلاّ للرّسول، وقال لغيره: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ فلم يكن يومئذٍ فئة يعينونه على أمره[2].

٣٠ - **شي:** عن زيد الشحّام، عن جعفر بن محمّد قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا، إن كان عنده أعطاه، وإن لم يكن عنده قال: يكون إن شاء الله، ولا كافأ بالسيّئة قط، وما ألقى سريّة مذ نزلت عليه ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَۚ﴾ إلاّ ولّي بنفسه[3].

٣١ - **شي:** أبان، عن أبي عبد الله عليه السلام لمّا نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَۚ﴾ قال: كان أشجع الناس من لاذ برسول الله عليه وآله السلام[4].

بيان: أي كان عليه السلام بحيث يكون أشجع الناس من لحق به ولجأ إليه، لأنّه كان أقرب النّاس وأجراهم عليهم، كما روي عن أمير المؤمنين أنّه كان يقول: كنّا إذا احمرّ البأس اتّقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أقرب إلى العدوّ منه.

٣٢ - **شي:** عن الثماليّ، عن عيص، عن أبي عبد الله عليه السلام قال رسول الله ﷺ: كلّف ما لم يكلّف أحد أن يقاتل في سبيل الله وحده، وقال: ﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ﴾ وقال: إنّما كلّفتم اليسير من الأمر أن تذكروا الله[5].

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٨١.

(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٨٨ ح ٢١١ من سورة النساء.

(٣) - (٥) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٨٨ ح ٢١٢-٢١٤ من سورة النساء.

٣٣ - **ارشاد القلوب:** بالإسناد يرفعه إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: قال: حدّثني أبي جعفر، عن أبيه، قال: حدّثني أبي عليّ، قال: حدّثني أبي الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: بينما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله جلوس في مسجده بعد وفاته عليه السلام يتذاكرون فضل رسول الله صلى الله عليه وآله إذ دخل علينا حبر من أحبار يهود أهل الشام قد قرأ التوراة والإنجيل والزبور، وصحف إبراهيم والأنبياء، وعرف دلائلهم، فسلّم علينا وجلس، ثمّ لبث هنيئة، ثمّ قال: يا أمّة محمّد ما تركتم لنبيّ درجة ولا لمرسل فضيلة إلاّ وقد تحملتموها لنبيّكم، فهل عندكم جواب إن أنا سألتكم؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: سل يا أخا اليهود ما أحببت فإنّي أجيبك عن كلّ ما تسأل بعون الله تعالى ومنّه، فوالله ما أعطى الله عزّ وجلّ نبيّاً ولا مرسلاً درجةً ولا فضيلةً إلاّ وقد جمعها لمحمّد صلى الله عليه وآله، وزاده على الأنبياء والمرسلين أضعافاً مضاعفة، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ذكر لنفسه فضيلة قال: «ولا فخر» وأنا أذكر لك اليوم من فضله من غير إزراء على أحد من الأنبياء ما يقرّ الله به أعين المؤمنين، شكراً لله على ما أعطى محمّداً صلى الله عليه وآله الآن، فاعلم يا أخا اليهود أنّه كان من فضله عند ربّه تبارك وتعالى وشرفه ما أوجب المغفرة والعفو لمن خفض الصوت عنده، فقال جلّ ثناؤه في كتابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ثمّ قرن طاعته بطاعته فقال: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ ثمّ قرّبه من قلوب المؤمنين وحبّبه إليهم، وكان يقول صلى الله عليه وآله: «حبي خالط دماء أمّتي فهم يؤثروني على الآباء وعلى الأمّهات وعلى أنفسهم» ولقد كان أقرب الناس وأرأفهم، فقال تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وقال عزّ وجلّ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ والله لقد بلغ من فضله صلى الله عليه وآله في الدنيا ومن فضله صلى الله عليه وآله في الآخرة ما تقصر عنه الصفات، ولكن أخبرك بما يحمله قلبك، ولا يدفعه عقلك ولا تنكره بعلم إن كان عندك، لقد بلغ من فضله صلى الله عليه وآله أن أهل النار يهتفون ويصرخون بأصواتهم ندماً أن لا يكونوا أجابوه في الدنيا، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ ولقد ذكره الله تبارك وتعالى مع الرسل فبدأ به وهو آخرهم لكرامته صلى الله عليه وآله، فقال جل ثناؤه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ وقال: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ والنبيّون قبله، فبدأ به وهو آخرهم، ولقد فضّله الله على جميع الأنبياء، وفضّل أمّته على جميع الأمم فقال عزّ وجلّ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ فقال اليهودي: إنّ آدم عليه السلام أسجد الله عزّ وجلّ له ملائكته، فهل فضّل لمحمّد صلى الله عليه وآله مثل ذلك؟ فقال عليه السلام: قد كان ذلك، ولئن أسجد الله لآدم ملائكته فإنّ ذلك لما أودع الله عزّ وجلّ صلبه من الأنوار والشرف، إذ كان هو الوعاء، ولم يكن سجودهم عبادةً له، وإنّما كان سجودهم طاعةً لأمر

الله عزّوجلّ وتكرمةً وتحيّةً، مثل السلام من الإنسان على الإنسان، واعترافاً لآدم عليه السلام بالفضيلة، وقد أعطى الله محمّداً ﷺ أفضل من ذلك، وهو أن الله صلّى عليه، وأمر ملائكته أن يصلّوا عليه، وتعبّد جميع خلقه بالصلاة عليه إلى يوم القيامة، فقال جلّ ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ فلا يصلّي عليه أحد في حياته ولا بعد وفاته إلاّ صلّى الله عليه بذلك عشراً، وأعطاه من الحسنات عشراً، بكلّ صلاة صلّى عليه، ولا يصلّي عليه أحد بعد وفاته إلاّ وهو يعلم بذلك ويردّ على المصلّي والمسلّم مثل ذلك، ثمّ إنّ الله عزّوجلّ جعل دعاء أُمّته فيما يسألون ربّهم جلّ ثناؤه موقوفاً عن الإجابة حتّى يصلّوا فيه عليه ﷺ، فهذا أكبر وأعظم ممّا أعطى الله آدم عليه السلام، ولقد أنطق الله عزّوجلّ صمّ الصخور والشجر بالسلام والتحيّة له، وكنّا نمرّ معه ﷺ فلا يمرّ بشعب ولا شجر إلاّ قالت: السلام عليك يا رسول الله، تحيّةً له، وإقراراً بنبوّته ﷺ، وزاده الله عزّوجلّ تكرمةً بأخذ ميثاقه قبل النبيّين، وأخذ ميثاق النبيّين بالتسليم والرضا والتصديق له، فقال جلّ ثناؤه: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ﴾ وقال عزّوجلّ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ وقال الله عزّوجلّ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ وقال الله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ فلا يرفع رافع صوته بكلمة الإخلاص: بشهادة أن لا إله إلاّ الله حتّى يرفع صوته معها بأنّ محمّداً رسول الله في الأذان والإقامة والصلاة والأعياد والجمع ومواقيت الحجّ وفي كلّ خطبة حتّى في خطب النكاح وفي الأدعية، ثمّ ذكر اليهوديّ مناقب الأنبياء وأمير المؤمنين عليه السلام يثبت للنبيّ ﷺ ما هو أعظم منها، تركنا ذكرها طلباً للاختصار حتّى وصل إلى أن قال اليهوديّ: فإنّ الله عزّوجلّ ناجى موسى على جبل طور سيناء بثلاثمائة وثلاثة عشر كلمة يقول له فيها: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ فهل فعل بمحمّد شيئاً من ذلك؟ قال عليّ عليه السلام: لقد كان كذلك ومحمّد ﷺ ناجاه الله جلّ ثناؤه فوق سبع سماوات رفعه عليهنّ، فناجاه في موطنين: أحدهما عند سدرة المنتهى، وكان له هناك مقام محمود، ثمّ عرج به حتّى انتهى إلى ساق العرش، فقال عزّوجلّ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ ودنى له رفرفاً أخضر أُغشي عليه نور عظيم حتّى كان في دنوّه كقاب قوسين أو أدنى، وهو مقدار ما بين الحاجب إلى الحاجب، وناجاه بما ذكره الله عزّوجلّ في كتابه، قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ﴾ وكانت هذه الآية قد عرضت على سائر الأمم من لدن آدم إلى أن بعث محمّد ﷺ فأبوا جميعاً أن يقبلوها من ثقلها، وقبلها محمّد، فلمّا رأى الله عزّوجلّ منه ومن أُمّته القبول خفف عنه ثقلها، فقال الله عزّوجلّ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ ثم إنّ الله عزّوجلّ تكرّم على محمّد، وأشفق على أُمّته من تشديد

الآية الّتي قبلها هو وأمّته فأجاب عن نفسه وأمّته فقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ فقال الله عزّوجلّ: «لهم المغفرة والجنّة» إذا فعلوا ذلك، فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ يعني المرجع في الآخرة، فأجابه قد فعلت بتائبي أمّتك قد أوجبت لهم المغفرة، ثمّ قال الله تعالى: أمّا إذا قبلتها أنت وأمّتك وقد كانت عرضت من قبل على الأنبياء والأمم فلم يقبلوها فحقّ عليّ أن أرفعها عن أمّتك، فقال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من خير ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ من شرّ، ثمّ ألهم الله عزّوجلّ نبيّه أن قال: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ فقال الله سبحانه: أعطيتك لكرامتك يا محمّد، أنّ الأمّم السالفة كانوا إذا نسوا ما ذكّروا فتحت عليهم أبواب عذابي، ورفعت ذلك عن أمّتك، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾ يعني بالآصار الشدائد الّتي كانت على الأمم ممّن كان قبل محمّد، فقال عزّوجلّ: لقد رفعت عن أمّتك الآصار الّتي كانت على الأمم السالفة، وذلك أنّي جعلت على الأمم أن لا أقبل فعلاً إلاّ في بقاع الأرض الّتي اخترتها لهم وإن بعدت، وقد جعلت الأرض لك ولأمّتك طهوراً ومسجداً، فهذه من الآصار وقد رفعتها عن أمّتك، وقد كانت الأمم السالفة تحمل قرابينها على أعناقها إلى البيت المقدّس، فمن قبلت ذلك منه أرسلت على قربانه ناراً تأكله، وإن لم أقبل ذلك منه رجع به مثبوراً، وقد جعلت قربان امتك في بطون فقرائها ومساكينها، فمن قبلت ذلك منه أضاعف له الثواب أضعافاً مضاعفة، وإن لم أقبل ذلك منه رفعت عنه به عقوبات الدنيا، وقد رفعت ذلك عن أمّتك وهي من الآصار الّتي كانت، وكانت الأمم السالفة مفروضاً عليهم صلاتها في كبد اللّيل وأنصاف النهار، وهي من الشدائد الّتي كانت، وقد رفعتها عن أمّتك، وفرضت عليهم صلاتهم في أطراف اللّيل والنهار في أوقات نشاطهم، وكانت الأمم السالفة مفروضاً عليهم خمسون صلاة في خمسين وقتاً، وهي من الآصار الّتي كانت عليهم، وقد رفعتها عن أمّتك، وكانت الأمم السالفة حسنتهم بحسنة واحدة، وسيّئتهم بسيّئة واحدة، وجعلت لأمّتك الحسنة بعشر أمثالها، والسيّئة بواحدة، وكانت الأمم السالفة إذا نوى أحدهم حسنة لم تكتب له، وإذا همّ بالسيّئة كتبتها عليه وإن لم يفعلها، وقد رفعت ذلك عن أمّتك، فإذا همّ أحدهم بسيّئة ولم يعملها لم تكتب عليه، وإذا همّ أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنةً، وكانت الأمم السالفة إذا أذنبوا كتبت ذنوبهم على أبوابهم، وجعلت توبتهم من الذنب أن أحرّم عليهم بعد التوبة أحبّ الطعام إليهم، وكانت الأمم السالفة يتوب أحدهم من الذنب الواحد المائة سنة، والمأتي سنة، ثمّ لم أقبل توبته دون أن أعاقبه في الدنيا بعقوبة، وقد رفعت ذلك عن أمّتك، وإنّ الرجل من أمّتك ليذنب المائة سنة ثمّ يتوب ويندم طرفة عين فأغفر له ذلك كلّه وأقبل توبته، وكانت الأمم السالفة إذا أصابهم أذى نجس قرضوه من أجسادهم، وقد جعلت الماء طهوراً لأمّتك من

جميع الأنجاس، والصعيد في الأوقات، وهذه الآصار الّتي كانت عليهم رفعتها عن أُمّتك.

قال رسول الله ﷺ: اللّهمّ إذ قد فعلت ذلك بي فزدني، فألهمه الله سبحانه أن قال: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ قال الله عزّ وجلّ: قد فعلت ذلك بأمّتك، وقد رفعت عنهم عظيم بلايا الأمم، وذلك حكمي في جميع الأمم أن لا أُكلّف نفساً فوق طاقتها، قال: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ قال: قال الله تعالى: قد فعلت ذلك بتائبي أُمّتك، ثمّ قال: ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قال الله عزّ وجلّ: قد فعلت ذلك، وجعلت أُمّتك يا محمّد كالشامّة البيضاء في الثور الأسود، هم القادرون، وهم القاهرون، يستخدِمون ولا يستخدمون لكرامتك، وحقٌّ عليّ أن أُظهر دينك على الأديان حتّى لا يبقى في شرق الأرض ولا غربها دين إلاّ دينك، ويؤدّون إلى أهل دينك الجزية وهم صاغرون، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ (١٥) إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ (١٨)﴾ فهذا أعظم يا أخا اليهود من مناجاته لموسى عليه السلام على طور سيناء، ثمّ زاد الله لمحمّد ﷺ أن مثّل النبيّين فصلّى بهم وهم خلفه يقتدون به، ولقد عاين تلك اللّيلة الجنّة والنار، وعرج به إلى سماء سماء، فسلّمت عليه الملائكة، فهذا أكثر من ذلك.

قال اليهوديّ: فإنّ الله عزّ وجلّ ألقى على موسى محبّة منه، فقال عليه السلام له: لقد كان كذلك، ومحمّد ﷺ ألقى عليه محبّة منه، فسمّاه حبيباً، وذلك أن الله تعالى جلّ ثناؤه أرى إبراهيم صورة محمّد وأُمّته، فقال: يا ربّ ما رأيت من أمم الأنبياء أنور ولا أزهر من هذه الأمّة، فمن هذا؟ فنودي هذا محمّد حبيبي، لا حبيب لي من خلقي غيره، أجريت ذكره قبل أن أخلق سمائي وأرضي وسمّيته نبيّاً وأبوك آدم يومئذٍ من الطين، وأجريت فيه روحه، (ولقد أُلقيت أنت معه في الذروة الأُولى) وأقسم بحياته في كتابه، فقال جل ثناؤه: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢)﴾ أي وحياتك يا محمّد، وكفى بهذا رفعةً وشرفاً من الله عزّ وجلّ ورتبةً، قال اليهوديّ: فأخبرني عمّا فضّل الله به أُمّته على سائر الأمم، قال عليه السلام: لقد فضّل الله أُمّته ﷺ على سائر الأمم بأشياء كثيرة أنا أذكر لك منها قليلاً من كثير، من ذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ومن ذلك أنّه إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلق في صعيد واحد سأل الله عزّ وجلّ النبيّين هل بلّغتم؟ فيقولون: نعم، فيسأل الأمّم فيقولون: ما جاءنا من بشير ولا نذير، فيقول الله جلّ ثناؤه وهو أعلم بذلك للنّبيّين: من شهداؤكم اليوم؟ فيقولون: محمّد وأُمّته، فتشهد لهم أمّة محمّد بالتبليغ، وتصدق شهادتهم، وشهادة محمّد ﷺ فيؤمنون عند ذلك، وذلك قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ يقول: يكون محمّد عليكم شهيداً أنكم قد بلّغتم الرسالة، ومنها أنّهم أوّل الناس حساباً، وأسرعهم دخولاً إلى الجنّة قبل سائر الأمم كلّها.

ومنها أيضاً أن الله عزّ وجلّ فرض عليهم في اللّيل والنهار خمس صلوات في خمسة أوقات:

اثنتان باللّيل، وثلاث بالنهار، ثمّ جعل هذه الخمس صلوات تعدل خمسين صلاة، وجعلها كفّارة خطاياهم، فقال عزّوجلّ : ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ يقول: صلاة الخمس تكفّر الذنوب ما اجتنبت الكبائر.

ومنها أيضاً أن الله تعالى جعل لهم الحسنة الواحدة الّتي يهمّ بها العبد ولا يعملها حسنة واحدة يكتبها له، فإن عملها كتبت له عشر حسنات وأمثالها إلى سبعمائة ضعف فصاعداً.

ومنها أن الله عزّوجلّ يدخل الجنّة من أهل هذه الأمّة سبعين ألفاً بغير حساب، ووجوههم مثل القمر ليلة البدر، والّذين يلونهم على أحسن ما يكون الكوكب الدرّيّ في أفق السّماء، والّذين يلونهم على أشدّ كوكب في السماءِ إضاءة، ولا اختلاف بينهم ولا تباغض بينهم.

ومنها أن القاتل منهم عمداً إن شاء أولياء المقتول أن يعفوا عنه فعلوا، وإن شاءوا قبلوا الدية، وعلى أهل التوراة وهم أهل دينك يقتل القاتل ولا يعفى عنه، ولا تؤخذ منه دية، قال الله عزّوجلّ : ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾.

ومنها أن الله عزّوجلّ جعل فاتحة الكتاب نصفها لنفسه، ونصفها لعبده، قال الله تعالى: قسّمت بيني وبين عبدي هذه السورة، فإذا قال أحدهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فقد حمدني، وإذا قال: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فقد عرفني، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فقد مدحني، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ فقد أثنى عليّ، وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فقد صدق عبدي في عبادتي بعدما سألني، وبقيّة هذه السورة له.

ومنها أن الله تعالى بعث جبرائيل عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أن بشّر أمّتك بالزين والسناء والرفعة والكرامة والنصر.

ومنها أن الله سبحانه أباحهم صدقاتهم يأكلونها، ويجعلونها في بطون فقرائهم يأكلون منها ويطعمون، وكانت صدقات من قبلهم من الأمم المؤمنين يحملونها إلى مكان قصيّ فيحرقونها بالنار.

ومنها أن الله عزّوجلّ جعل الشفاعة لهم خاصّة دون الأمم، والله تعالى يتجاوز عن ذنوبهم العظام لشفاعة نبيّهم صلى الله عليه وآله.

ومنها أن يقال يوم القيامة: ليتقدّم الحامدون، فتتقدّم أمّة محمّد صلى الله عليه وآله قبل الأمم، وهو مكتوب أمّة محمّد الحامدون، يحمدون الله عزّوجلّ على كلّ منزلة، ويكبّرونه على كلّ نجد، مناديهم في جوف السماء له دويّ كدويّ النحل.

ومنها أن الله لا يهلكهم بجوع، ولا يجمعهم على ضلالة، ولا يسلّط عليهم عدوّاً من غيرهم، ولا يساخ ببقيّتهم، وجعل لهم الطاعون شهادة.

ومنها أن الله جعل لمن صلّى على نبيّه عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيّئات، وردّ الله سبحانه عليه مثل صلاته على النبيّ صلى الله عليه وآله.

ومنها أنّه جعلهم أزواجاً ثلاثة أمماً، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات، والسابق بالخيرات يدخل الجنّة بغير حساب، والمقتصد يحاسب حساباً يسيراً، والظالم لنفسه مغفور له إن شاء الله.

ومنها أن الله عزّوجلّ جعل توبتهم الندم والاستغفار والترك للإصرار، وكانت بنو إسرائيل توبتهم قتل النفس.

ومنها قول الله عزّوجلّ لنبيّه ﷺ: أمّتك هذه مرحومة، عذابها في الدنيا الزلزلة والفقر.

ومنها أن الله عزّوجلّ يكتب للمريض الكبير من الحسنات على حسب ما كان يعمل في شبابه وصحته من أعمال الخير، يقول الله سبحانه للملائكة: استكتبوا لعبدي مثل حسناته قبل ذلك ما دام في وثاقي.

ومنها أن الله عزّوجلّ ألزم أمّة محمّد ﷺ كلمة التقوى، وجعل بدء الشفاعة لهم في الآخرة.

ومنها أن النبيّ ﷺ رأى في السماء ليلة عرج به إليها ملائكة قياماً وركوعاً منذ خلقوا، فقال: يا جبرئيل هذه هي العبادة، فقال جبرئيل: صدقت يا محمّد، فاسأل ربّك أن يعطي أمّتك القنوت والركوع والسجود في صلاتهم، فأعطاهم الله تعالى ذلك، فأمّة محمّد ﷺ يقتدون بالملائكة الّذين في السماء، قال النبيّ ﷺ: إنّ اليهود يحسدونكم على صلاتكم وركوعكم وسجودكم[1].

بيان: الإزراء: التحقير والتهاون والعيب. قوله عليه السلام: والنبيّون من قبله، أي كان نبيّون من قبل نوح فلم يذكرهم بعد نوح، بل ذكر بعده من جاء بعده، وبدأ بنبيّنا قبل من تقدّمه، ويحتمل إرجاع الضمير في قبله إلى النبيّ ﷺ، أي النبيّون الّذين ذكر الله أنّهم بعد نوح كانوا قبله ﷺ، وقد بدأ الله به قبل نوح وقبلهم في الآية الأولى، ولعلّه أظهر، ويؤيّده أن كلمة «من» ليست في بعض النسخ. والشامة: الخال. قوله: ولقد ألقيت أنت معه، على بناء المجهول، في الذروة الأولى، لعلّه من ذرو الريح، وذرو الحبّ أي نثره، أي ألقيتك معه حين أخرجت ذريّة آدم من صلبه، ونثرتهم، وأخذت عليهم الميثاق، ولا يبعد أن يكون في الأصل والتقيت معه في الذرّ الأولى، أي لقيته في عالم الذرّ السابق حين أخذت ميثاقه منك ومن سائر النبيّين. قوله: على كلّ نجد، أي مكان مرتفع.

٣٤ - **فر:** محمّد بن أحمد معنعناً عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: إنّ النبيّ ﷺ أوتي علم النبيّين، وعلم الوصيّين، وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، ثمّ تلا هذه الآية يقول الله لنبيّه ﷺ: ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾[2].

---

(١) ارشاد القلوب، ص ٣٦١-٣٦٨.	(٢) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ٢٦٣ ح ٣٥٧.

٣٥ - **ختص:** جماعة من أصحابنا، عن محمّد بن جعفر المؤدّب، عن عدّة من أصحابنا عن ابن أبي الخطّاب، عن ابن أسباط، عن الحسن بن زياد، عن صفوان الجمّال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: يا صفوان هل تدري كم بعث الله من نبيّ؟ قال: قلت: ما أدري. قال: بعث الله مائة ألف نبيّ وأربعة وأربعين ألف نبي، ومثلهم أوصياء بصدق الحديث، وأداء الأمانة، والزهد في الدنيا، وما بعث الله نبيّاً خيراً من محمّد صلى الله عليه وآله، ولا وصيّاً خيراً من وصيّه[1].

٣٦ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسن بن محبوب، عن صالح بن سهل، عن أبي عبد الله عليه السلام إنّ بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: بأيّ شيء سبقت الأنبياء، وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال: إنّي كنت أوّل من آمن بربّي، وأوّل من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيّين ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فكنت أنا أوّل نبيّ قال: بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله عزّ وجلّ[2].

٣٧ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن عليّ بن إسماعيل، عن محمّد بن إسماعيل، عن سعدان بن مسلم، عن صالح بن سهل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله بأيّ شيء سبقت ولد آدم؟ قال: إنّني أوّل من أقرّ بربّي، إنّ الله أخذ ميثاق النبيّين ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ فكنت أوّل من أجاب[3].

٣٨ - **كا:** عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ فقال: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ومحمّد صلى الله عليه وآله، قلت: كيف صاروا أولوا العزم؟ قال: لأنّ نوحاً بعث بكتاب وشريعة، وكلّ من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه حتّى جاء إبراهيم عليه السلام بالصحف وبعزيمة ترك كتاب نوح عليه السلام لا كفراً به، فكلّ نبيّ جاء بعد إبراهيم عليه السلام أخذ بشريعة إبراهيم عليه السلام ومنهاجه وبالصحف حتّى جاء موسى عليه السلام بالتوراة وشريعته ومنهاجه وبعزيمة ترك الصحف، فكلّ نبيّ جاء بعد موسى عليه السلام أخذ بالتوراة وشريعته ومنهاجه، حتّى جاء المسيح عليه السلام بالإنجيل وبعزيمة ترك شريعة موسى عليه السلام ومنهاجه، فكل نبيّ جاء بعد المسيح عليه السلام أخذ بشريعته ومنهاجه حتّى جاء محمّد صلى الله عليه وآله فجاء بالقرآن وبشريعته ومنهاجه، فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة[4].

٣٩ - **ن:** بالأسانيد الثلاثة عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ

---

(١) الاختصاص، ص ٢٦٣.

(٢) - (٣) أصول الكافي، ج ٢ ص ٣٣٥ باب ان رسول الله صلى الله عليه وآله أول من أجاب، ح ١ و٣.

(٤) أصول الكافي، ج ٢ ص ٣٣٩ باب الشرائع ح ٢.

موسى عليه السلام سأل ربّه عزّ وجلّ فقال: يا ربّ اجعلني من أُمّة محمّد ﷺ فأوحى الله تعالى إليه يا موسى إنّك لا تصل إلى ذلك(١).

صح: عنه عليه السلام مثله. «ص ٩٧ ح ١٧٥».

٤٠ - **ل:** في وصيّة النبيّ ﷺ لعليّ عليه السلام: يا عليّ إنّ الله عزّ وجلّ أشرف على الدنيا فاختارني منها على رجال العالمين، ثمّ اطّلع الثانية فاختارك على رجال العالمين بعدي، ثمّ اطلع الثالثة فاختار الأئمّة من ولدك على رجال العالمين بعدك، ثمّ اطّلع الرابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين(٢).

٤١ - **فر:** عن سليمان الديلميّ عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ فرسول الله في الآية النبيّين، ونحن في هذا الموضع الصدّيقين والشهداء، وأنتم الصالحون. الخبر(٣).

٤٢ - **يد، مع:** إبراهيم بن هارون الهيتيّ، عن محمّد بن أحمد بن أبي الثلج، عن الحسين ابن أيّوب، عن محمّد بن غالب، عن عليّ بن الحسين، عن الحسن بن أيّوب، عن الحسين ابن سليمان، عن محمّد بن مروان الذهليّ، عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال: كذلك الله عزّ وجلّ، قال: قلت: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ قال لي: محمّد ﷺ، قلت: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ قال: صدر محمّد ﷺ، قلت: ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ قال: فيه نور العلم، يعني النبوّة، قلت: ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ قال: علم رسول الله ﷺ صدر إلى قلب عليّ عليه السلام، قلت: ﴿كَأَنَّهَا﴾ قال: لأيّ شيء تقرأ ﴿كَأَنَّهَا﴾ قلت: وكيف جعلت فداك؟ قال: «كأنه كوكب دري» قلت: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قال: ذاك أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام لا يهوديّ ولا نصرانيّ، قلت: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ قال: يكاد العلم يخرج من فم العالم من آل محمّد من قبل أن ينطق به، قلت: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ قال: الإمام على أثر الإمام(٤).

٤٣ - **فس:** أبي، عن عبد الله بن جندب، عن الرضا عليه السلام، أنّه كتب إليه: مثلنا في كتاب الله كمثل «المشكاة» والمشكاة في القنديل، فنحن المشكاة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ المصباح محمّد رسول الله ﷺ ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ من عنصره الطاهرة، إلى قوله تعالى: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا دعيّة ولا منكرة، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ القرآن ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ إمام بعد إمام ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ الآية، فالنور عليّ يهدي الله لولايتنا من أحبّ، حقّ على الله أن يبعث وليّنا مشرقاً وجهه، نيّراً برهانه، ظاهرة عند الله حجّته. الخبر(٥).

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٣٥ باب ٣١ ح ٤٧.

(٢) الخصال، ص ٢٠٦ باب الأربعة ح ٢٥. (٣) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ١١٤ ح ١١٥.

(٤) التوحيد، ص ١٥٧ معاني الأخبار ص ١٥. (٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٧٩.

٤٤ - **ختص، ير:** محمّد بن الحسين، عن ابن سنان، عن عمّار بن مروان، عن المنخّل، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قوله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ﴾ فهو محمّد صلى الله عليه وآله ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ وهو العلم ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ فزعم أن الزجاجة أمير المؤمنين عليه السلام، وعلم نبيّ الله عنده(١).

٤٥ - **كشف:** من دلائل الحميريّ عن محمّد الرقاشيّ قال: كتبت إلى أبي محمّد عليه السلام أسأله عن المشكاة، فرجع الجواب: المشكاة قلب محمّد صلى الله عليه وآله (٢).

أقول: سيأتي سائر الأخبار في ذلك مع شرحها في كتاب الإمامة، وقد مرّ بعضها في كتاب التوحيد.

٤٦ - **كنز:** بإسناده عن عبد الله بن سليمان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾(٣) قال: البرهان رسول الله صلى الله عليه وآله والنور المبين عليّ بن أبي طالب عليه السلام (٤).

٤٧ - **كا:** العدّة، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن يحيى الخثعميّ، عن هشام، عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: سادة النبيّين والمرسلين خمسة، وهم أُولوا العزم من الرسل، وعليهم دارت الرحى: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد صلّى الله عليهم وعلى جميع الأنبياء(٥).

٤٨ - **كا:** الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن الوشّاء، عن أحمد بن عائذ، عن ابن أُذينة، عن بريد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ فقال: نحن الأمّة الوسطى، ونحن شهداء الله على خلقه، وحججه في أرضه، قلت: قول الله عزّ وجلّ: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ قال: إيّانا عنى خاصة ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ في الكتب الّتي مضت ﴿وَفِي هَذَا﴾ القرآن ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا﴾ فرسول الله صلى الله عليه وآله الشهيد علينا بما بلّغنا عن الله عزّ وجلّ، ونحن الشهداء على النّاس، فمن صدّق صدّقناه يوم القيامة، ومن كذّب كذّبناه(٦).

٤٩ - وبهذا الإسناد عن الوشّاء، عن أحمد بن عمر الحلاّل قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ فقال: أمير المؤمنين عليه السلام الشاهد على رسول الله صلى الله عليه وآله، ورسول الله صلى الله عليه وآله على بيّنة من ربّه(٧).

---

(١) الاختصاص، ص ٢٧٨.
(٢) كشف الغمة ج ٣ ص ٢١٨.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٧٤.
(٤) تأويل الآيات الظاهرة، ص ١٥٠.
(٥) أصول الكافي، ج ١ ص ٩٩ باب طبقات الأنبياء، ح ٣.
(٦) - (٧) أصول الكافي، ج ١ ص ١٠٨ باب أن الأئمة شهداء الله ح ٢ و٣.

٥٠ - كا: عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة، عن بريد، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فقال: رسول الله ﷺ المنذر، ولكلّ زمانٍ منّا هادٍ يهديهم إلى ما جاء به نبيّ الله ﷺ، ثمّ الهداة من بعده عليّ، ثمّ الأوصياء واحد بعد واحد[1].

٥١ - كا: أحمد بن مهران، عن محمّد بن عليّ، ومحمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد جميعاً، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما جاء به عليّ عليه السلام آخذ به، وما نهى عنه أنتهي عنه، جرى له من الفضل ما جرى لمحمّد ﷺ، ولمحمّد ﷺ الفضل على جميع من خلق الله. الخبر[2].

كا: الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن محمّد بن جمهور، عن ابن سنان مثله[3].

٥٢ - كا: عليّ بن محمّد، ومحمّد بن الحسن، عن سهل، عن محمّد بن الوليد شباب الصيرفيّ، عن سعيد الأعرج، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله[4].

٥٣ - كا: محمّد بن يحيى، وأحمد بن محمّد، عن محمّد بن الحسين، عن عليّ بن حسّان، عن أبي عبد الله الرياحيّ، عن أبي الصامت الحلوانيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: فضل أمير المؤمنين عليه السلام ما جاء به آخذ به، وما نهى عنه أنتهي عنه، جرى له من الطاعة بعد رسول الله ﷺ ما لرسول الله ﷺ والفضل لمحمّد ﷺ، المتقدّم بين يديه كالمتقدّم بين يدي الله ورسوله، والمتفضّل عليه كالمتفضّل على رسول الله ﷺ، والرادّ عليه في صغيرة أو كبيرة على حدّ الشرك بالله، فإنّ رسول الله ﷺ باب الله الّذي لا يؤتى إلاّ منه، وسبيله الّذي من سلكه وصل إلى الله عزّ وجلّ، وكذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام من بعده، الخبر[5].

٥٤ - كا: الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن أبي داود المسترقّ، عن داود الجصّاص قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ قال: النجم رسول الله ﷺ، والعلامات هم الأئمّة[6].

٥٥ - كا: الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن الوشّاء، عن عبد الله بن عجلان، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال: رسول الله ﷺ الذكر، أنا والأئمّة عليهم السلام أهل الذكر، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ قال أبو جعفر عليه السلام: نحن قومه، ونحن المسؤولون[7].

---

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ١٠٩ باب أن الأئمة هم الهداة ح ٢.
(٢) - (٤) أصول الكافي، ج ١ ص ١١٢ باب أن الأئمة هم أركان الأرض ح ١ و٢.
(٥) أصول الكافي، ج ١ ص ١١٢ باب أن الأئمة هم أركان الأرض ح ٣.
(٦) أصول الكافي، ج ١ ص ١١٨ باب أن الأئمة هم العلامات ح ٢.
(٧) أصول الكافي، ج ١ ص ١٢٠ باب أن أهل الذكر. . . ح ١.

٥٦ - **كا:** الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن ابن أورمة، عن عليّ بن حسّان، عن عبد الرحمن بن كثير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ الآية، قال: عنى بها قريشاً قاطبة: الّذين عادوا رسول الله صلى الله عليه وآله، ونصبوا له الحرب، وجحدوا وصيّة وصيّه[1].

٥٧ - **كا:** العدّة، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن عبد الله بن بحر، عن ابن مسكان، عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله، عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: الأئمّة بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله، إلاّ أنّهم ليسوا بأنبياء، ولا يحلّ لهم من النساء ما يحلّ للنبيّ صلى الله عليه وآله، فهم بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله[2].

بيان: ظاهر اشتراك سائر الخصائص بينه صلى الله عليه وآله وبينهم عليهم السلام، وهو خلاف المشهور، ويحتمل أن يكون ذكر النساء على سبيل المثال، والمراد جميع الخصائص.

٥٨ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن أبي زاهر، عن الخشّاب، عن عليّ بن حسّان، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ قال: الّذين آمنوا النبيّ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، وذرّيته الأئمّة والأوصياء صلوات الله عليهم، ألحقنا بهم ولم ننقص ذرّيتهم الحجّة الّتي جاء بها محمّد صلى الله عليه وآله في عليّ صلوات الله عليه، وحجّتهم واحدة، وطاعتهم واحدة[3].

٥٩ - **كا:** أحمد بن محمّد، عن محمّد بن الحسن، عن عليّ بن إسماعيل: عن صفوان، عن ابن مسكان، عن الحارث بن المغيرة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نحن في الأمر والفهم والحلال والحرام نجري مجرى واحد، فأمّا رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام فلهما فضلهما[4].

٦٠ - **مع:** أبي، عن سعد، عن الإصبهانيّ، عن المنقريّ، عن حفص، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء إبليس إلى موسى بن عمران عليه السلام وهو يناجي ربّه، فقال له ملك من الملائكة: ما ترجو منه وهو على هذه الحال يناجي ربّه؟ فقال: أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم وهو في الجنّة، وكان فيما ناجاه أن قال له: يا موسى لا أقبل الصلاة إلاّ لمن تواضع لعظمتي، وألزم قلبه خوفي، وقطع نهاره بذكري، ولم يبت مصرّاً على الخطيئة، وعرف حقّ أوليائي وأحبائي، فقال: يا ربّ تعني بأحبّائك وأوليائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب؟ فقال: هم كذلك يا موسى، إلاّ أنّي أردت مَن مِن أجله خلقت آدم وحوّاء، ومن من أجله خلقت الجنّة والنار، فقال موسى: ومن هو يا ربّ؟ قال: محمّد، أحمد، شققت اسمه من اسمي،

---

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ١٢٥ باب أن النعمة التي... ح ٤.

(٢) أصول الكافي، ج ١ ص ١٥٥ باب أن الأئمة بمن يشبهون... ح ٧.

(٣) - (٤) أصول الكافي، ج ١ ص ١٥٨ باب أن الأئمة في العلم والطاعة... ح ١و٣.

لأنّي أنا المحمود، فقال موسى: يا ربّ اجعلني من أمّته، قال: أنت يا موسى من أُمّته إذا عرفته، وعرفت منزلته، ومنزلة أهل بيته، إنّ مثله ومثل أهل بيته ومن خلقت كمثل الفردوس في الجنان، لا ييبس ورقها، ولا يتغيّر طعمها، فمن عرفهم وعرف حقّهم جعلت له عند الجهل حلماً، وعند الظلمة نوراً، وأُجيبه قبل أن يدعو، وأعطيه قبل أن يسألني. والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة(١).

٦١ - **فر:** عن عبيد بن كثير، عن محمّد بن الجنيد، عن يحيى بن معلّى، عن إسرائيل، عن جابر الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لمّا أُسري بي إلى السماء قال لي العزيز الجبار: يا محمّد إنّي اطّلعت إلى الأرض اطّلاعة فاخترتك منها، واشتققت لك اسماً من أسمائي، لا أُذكر في مكان إلاّ ذكرت معي، فأنا محمود وأنت محمّد، ثمّ اطّلعت الثانية اطّلاعة فاخترت منها عليّاً، واشتققت له اسماً من أسمائي فأنا الأعلى وهو عليّ، يا محمّد خلقتك وخلقت عليّاً وفاطمة والحسن والحسين أشباح نور من نوري، وعرضت ولايتكم على السماوات وعلى الأرضين ومن فيهنّ، فمن قبل ولايتكم كان عندي من الأظفرين، ومن جحدها كان عندي من الكفّار، يا محمّد لو أن عبداً عبدني حتّى ينقطع أو يصير كالشنّ البالي ثمّ أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتّى يقرّ بولايتكم. الخبر(٢).

٦٢ - **ن:** ابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن حمدان بن سليمان، عن الهرويّ، عن الرضا عليه السلام في خبر طويل قال: إنّ آدم عليه السلام، لمّا أكرمه الله تعالى بإسجاد ملائكته وبإدخال الجنّة قال في نفسه: هل خلق الله بشراً أفضل منّي؟ فعلم الله عزّ وجلّ ما وقع في نفسه، فناداه ارفع رأسك يا آدم فانظر إلى ساق عرشي، فرفع آدم عليه السلام رأسه فنظر إلى ساق العرش، فوجد عليه مكتوباً: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، وزوجته فاطمة سيّدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، فقال آدم عليه السلام: يا ربّ من هؤلاء؟ فقال عزّ وجلّ: هؤلاء من ذرّيّتك، وهم خير منك ومن جميع خلقي، ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنّة والنار، ولا السماء والأرض، فإيّاك أن تنظر إليهم بعين الحسد فأُخرجك عن جواري، فنظر إليهم بعين الحسد وتمنّى منزلتهم فتسلط عليه الشيطان حتّى أكل من الشجرة الّتي نهي عنها، وتسلّط على حوّاء لنظرها إلى فاطمة عليها السلام بعين الحسد حتّى أكلت من الشجرة كما أكل آدم، فأخرجهما الله عزّ وجلّ عن جنّته، وأهبطهما عن جواره إلى الأرض(٣).

اقول: سيأتي أخبار كثيرة في فضله ﷺ في كتاب الإمامة، وأبواب فضائل أصحاب الكساء، وفضائل أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) معاني الأخبار، ص ٥٤.
(٢) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ٧٣ ح ٤٧.
(٣) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٧٤ باب ٢٨ ح ٦٧.

٦٣ - **ب:** ابن عيسى، عن البزنطيّ، عن الرضا عليه السلام أنه عليه السلام كتب إليه: قال أبو جعفر عليه السلام: لا يستكمل عبد الإيمان حتّى يعرف أنّه يجري لآخرهم ما يجري لأوّلهم في الحجّة والطاعة والحلال والحرام سواء، ولمحمّد صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين فضلهما(١).

٦٤ - **ن:** فيما بيّن الرضا عليه السلام عند المأمون من فضل العترة الطاهرة قال: الذكر رسول الله صلى الله عليه وآله، ونحن أهله، وذلك بيّن في كتاب الله حيث يقول: ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ فالذكر رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن أهله(٢).

٦٥ - **مع:** الطالقانيّ، عن الجلوديّ، عن عبد الله بن محمّد، عن العبسيّ، عن محمّد ابن هلال، عن نائل بن نجيح، عن عمرو بن شمر، عن جابر قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ قال أمّا الشجرة فرسول الله صلى الله عليه وآله، وفرعها عليّ عليه السلام، وغصن الشجرة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وثمرها أولادها عليهم السلام، وورقها شيعتنا، ثمّ قال عليه السلام: إنّ المؤمن من شيعتنا ليموت فيسقط من الشجرة ورقة، وإنّ المولود من شيعتنا ليولد فتورق الشجرة ورقة(٣).

أقول: سيأتي مثله بأسانيد في كتاب الإمامة.

٦٦ - **ك:** الهمدانيّ، عن عليّ، عن أبيه، عن عليّ بن معبد، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن موسى عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله أنا سيّد من خلق الله، وأنا خير من جبرئيل وإسرافيل، وحملة العرش، وجميع الملائكة المقرّبين، وأنبياء الله المرسلين، وأنا صاحب الشفاعة والحوض الشريف، وأنا وعليّ أبوا هذه الأمّة، من عرفنا فقد عرف الله، ومن أنكرنا فقد أنكر الله عزّ وجلّ، ومن عليّ سبطا أمّتي، وسيّدا شباب أهل الجنّة الحسن والحسين، ومن ولد الحسين أئمّة تسعة، طاعتهم طاعتي، ومعصيتهم معصيتي، تاسعهم قائمهم ومهديُّهم(٤).

٦٧ - **شف:** من كتاب الإمامة عن بيدار بن عاصم، عمّن حدّثه، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا خلق الله العرش خلق ملكين فاكتنفاه فقال: اشهدا أن لا إله إلاّ أنا، فشهدا، ثم قال: اشهدا أن محمّداً رسول الله فشهدا، ثمّ قال: اشهدا أن عليّاً أمير المؤمنين فشهدا(٥).

٦٨ - **إرشاد القلوب:** عن أبي ذرّ الغفاريّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: افتخر إسرافيل على جبرائيل فقال: أنا خير منك، قال: ولم أنت خير منّي؟ قال: لأنّي

---

(١) قرب الإسناد، ص ٣٥١ ح ١٢٦٠. (٢) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢١٦ باب ٢٣ ح ١.

(٣) معاني الأخبار، ص ٤٠٠. (٤) كمال الدين، ص ٢٤٨.

(٥) اليقين في إمرة أمير المؤمنين، ص ٥٥. **أقول:** الضمير في قال في المواضع الثلاثة راجع الى العرش أو خالق العرش وضمير شهدا راجع الى الملكين [النمازي].

صاحب الثمانية حملة العرش، وأنا صاحب النفخة في الصور، وأنا أقرب الملائكة إلى الله تعالى، قال جبرائيل عليه السلام: أنا خير منك، فقال: بما أنت خير منّي؟ قال: لأنّي أمين الله على وحيه، وأنا رسوله إلى الأنبياء والمرسلين، وأنا صاحب الخسوف والقذوف، وما أهلك الله أُمّة من الأمم إلاّ على يدي، فاختصما إلى الله تعالى فأوحى إليهما: اسكتا، فوعزّتي وجلالي لقد خلقت من هو خير منكما، قالا: يا ربّ أوتخلق خيراً منّا ونحن خلقنا من نور؟ قال الله تعالى: نعم، وأوحى إلى حجب القدرة: انكشفي، فانكشفت فإذا على ساق العرش الأيمن مكتوب: «لا إله إلاّ الله، محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين خير خلق الله» فقال جبرائيل: يا ربّ فإنّي أسألك بحقّهم عليك إلاّ جعلتني خادمهم، قال الله تعالى: قد جعلت، فجبرائيل من أهل البيت وإنّه لخادمنا[1].

٦٩ - **فس:** الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن بسطام بن مرّة عن إسحاق بن حسّان، عن الهيثم بن واقد، عن عليّ بن الحسين العبديّ، عن سعد الإسكاف، عن الأصبغ أنّه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ فقال: مكتوب على قائمة العرش قبل أن يخلق الله السماوات والأرضين بألفي عام: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأن محمّداً عبده ورسوله، فاشهدوا بهما، وأنّ عليّاً عليه السلام وصيّ محمّد ﷺ[2].

٧٠ - **شف:** من كتاب الإمامة عن هشام بن سالم، عن الحارث بن المغيرة النضريّ قال: حول العرش كتاب جليل مسطور: إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا، محمّد رسول الله، عليّ أمير المؤمنين[3].

٧١ - **صح:** عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إنّا أهل بيت لا تحلّ لنا الصدقة وأمرنا بإسباغ الوضوء، وأن لا ننزي حماراً على عتيقة، ولا نمسح على خفّ[4].

٧٢ - **جع، لي:** ماجيلويه، عن عمّه، عن أحمد بن هلال، عن الفضل بن دكين، عن معمّر بن راشد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أتى يهوديّ النبيّ ﷺ فقام بين يديه يحدُّ النظر إليه، فقال: يا يهوديّ حاجتك؟ قال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبيّ الّذي كلّمه الله، وأنزل عليه التوراة والعصا، وفلق له البحر، وأظلّه بالغمام؟ فقال له النبيّ ﷺ: إنّه يكره للعبد أن يزكّي نفسه، ولكنّي أقول: إنّ آدم عليه السلام لمّا أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال: «اللّهمّ إنّي أسألك بحق محمّد وآل محمّد لمّا غفرت لي» فغفرها الله له، وإنّ نوحاً لمّا ركب في السفينة وخاف الغرق قال: «اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا أنجيتني من الغرق» فنجّاه الله عنه، وإنّ إبراهيم عليه السلام لمّا أُلقي في النّار قال: «اللّهمّ إنّي أسألك بحق

(١) ارشاد القلوب، ص ٣٥٨.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤١٣.
(٣) اليقين في إمرة أمير المؤمنين، ص ٥٥.
(٤) صحيفة الإمام الرضا، ص ٦٢ ح ٦٠.

محمّد وآل محمّد لمّا أنجيتني منها» فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وإنّ موسى عليه السلام لمّا ألقى عصاه وأوجس في نفسه خيفة قال: «اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا آمنتني» فقال الله جلّ جلاله: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ يا يهوديّ إنّ موسى لو أدركني ثمّ لم يؤمن بي وبنبوّتي ما نفعه إيمانه شيئاً، ولا نفعته النبوّة، يا يهوديّ ومن ذرّيّتي المهدي إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته وقدّمه وصلّى خلفه[1].

ج: عن معمّر مثله. «ص ٤٧».

٧٣ - **ص:** بالإسناد عن الصدوق، عن هاني بن محمّد، عن أبيه، عن محمّد بن أحمد ابن بطّة عن أبيه، عن محمّد بن عبد الوهّاب، عن أبي الحارث الفهريّ، عن عبد الله بن إسماعيل، عن عبد الرحمن بن أبي زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جدّه، عن عمر بن الخطّاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أكل آدم من الشجرة رفع رأسه إلى السماء فقال: «أسألك بحقّ محمّد إلاّ رحمتني» فأوحى الله إليه: ومن محمّد؟ فقال: تبارك اسمك، لمّا خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب: «لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله» فعلمت أنّه ليس أحد أعظم عندك قدراً ممّن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله إليه يا آدم إنّه لآخر النبيّين من ذرّيّتك، فلولا محمّد ما خلقتك[2].

٧٤ - **شي:** عن محمّد بن عيسى بن عبد الله العلويّ، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ عليه السلام قال: الكلمات الّتي تلقّاها آدم من ربّه قال: يا ربّ أسألك بحق محمّد لمّا تبت عليّ، قال: وما علمك بمحمّد؟ قال: رأيته في سرادقك الأعظم مكتوباً وأنا في الجنّة[3].

أقول: سيأتي جلّ الأخبار في ذلك في كتاب الإمامة.

٧٥ - **ب:** الطيالسيّ، عن فضيل بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اتّقوا الله وعظّموا الله وعظّموا رسوله، ولا تفضّلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً، فإنّ الله تبارك وتعالى قد فضّله. الخبر[4].

٧٦ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عن عبد الله بن محمّد ابن أخي حمّاد الكاتب، عن الحسين بن عبد الله قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله سيّد ولد آدم؟ فقال: كان والله سيّد من خلق الله، وما برأ الله بريّة خيراً من محمّد صلى الله عليه وآله[5].

---

(١) جامع الأخبار، ص ١١، أمالي الصدوق، ص ١٨١ مجلس ٣٩ ح ٤.

(٢) قصص الأنبياء، ص ٥١.

(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٦٠ ح ٢٨.

(٤) قرب الإسناد، ص ١٥٩ ح ٥٨٠.

(٥) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٦٣-٢٦٤ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ح ١ و٢ و٨.

٧٧ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحجّال، عن حمّاد، عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: قال أمير المؤمنين: ما برأ الله نسمة خيراً من محمّد صلى الله عليه وآله (١).

٧٨ - **كا:** عليّ بن محمّد، عن سهل، عن محمّد بن الوليد، عن يونس بن يعقوب، عن سنان بن طريف، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّا أوّل أهل بيت نوّه الله بأسمائنا، إنّه لمّا خلق السماوات والأرض أمر منادياً فنادى: «أشهد أن لا إله إلاّ الله» ثلاثاً «أشهد أن محمّداً رسول الله ثلاثاً» «أشهد أن عليّاً أمير المؤمنين حقّاً» ثلاثاً(٢).

٧٩ - **كا:** عليّ بن محمّد وغيره، عن سهل، عن محمّد بن الوليد شباب الصيرفيّ، عن مالك بن إسماعيل المهديّ(٣)، عن عبد السلام بن حارث، عن سالم بن أبي حفصة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة لم تكن في أحد غيره: لم يكن له فيء، وكان لا يمرّ في طريق فيمرّ فيه بعد يومين أو ثلاثة إلاّ عرف أنّه قد مرّ فيه لطيب عرفه، وكان لا يمرّ بحجر ولا شجر إلاّ سجد له(٤).

بيان: العرف بالفتح: الريح الطيّبة. وسيأتي في بعض الأخبار أن بعض الأصحاب رأوا بعض الأئمّة عليهم السلام بلا فيء، فيمكن أن يكون دوام ذلك من خواصّه صلى الله عليه وآله، أو يكون الحصر إضافيّاً بالنسبة إلى غيرهم عليهم السلام.

٨٠ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن إسحاق بن غالب، عن أبي عبد الله عليه السلام في خطبة له خاصّة يذكر فيها حال النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام وصفاتهم: فلم يمنع ربّنا لحلمه وأناته وعطفه ما كان من عظيم جرمهم وقبيح أفعالهم أن انتجب لهم أحبّ أنبيائه إليه، وأكرمهم عليه، محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله في حومة العزّ مولده، وفي دومة الكرم محتده، غير مشوب حسبه، ولا ممزوج نسبه، ولا مجهول عند أهل العلم صفته، بشّرت به الأنبياء في كتبها، ونطقت به العلماء بنعتها، وتأمّلته الحكماء بوصفها، مهذّب لا يداني، هاشميّ لا يوازى أبطحيّ لا يسامى، شيمته الحياء، وطبيعته السخاء، مجبول على أوقار النبوّة وأخلاقها، مطبوع على أوصاف الرسالة وأحلامها، إلى أن انتهت به أسباب مقادير الله إلى أوقاتها، وجرى بأمر الله القضاء فيه إلى نهاياتها، أدّاه محتوم قضاء الله إلى غاياتها، تبشّر به كلّ أمّة من بعدها، ويدفعه كلّ أب إلى أب من ظهر إلى ظهر، لم يخلطه في عنصره سفاح، ولم ينجّسه في ولادته نكاح، من لدن آدم عليه السلام إلى أبيه عبد الله في خير فرقة، وأكرم سبط، وأمنع رهط وأكلأ حمل، وأودع حجر، اصطفاه الله

---

(١) - (٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٦٣-٢٦٤ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ح ١ و٢ و٨.

(٣) والصحيح النهدي كما في طبعة الكمپاني.

(٤) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٦٤ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ح ١١.

وارتضاه واجتباه، وآتاه من العلم مفاتيحه، ومن الكرم ينابيعه، ابتعثه رحمةً للعباد، وربيعاً للبلاد، وأنزل الله إليه الكتاب، فيه البيان والتبيان: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(١) قد بيّنه للنّاس ونهجه بعلم قد فصّله، ودين قد أوضحه، وفرائض قد أوجبها، وحدود حدّها للنّاس وبيّنها، وأمور قد كشفها لخلقه وأعلنها، فيها دلالة إلى النجاة، ومعالم تدعو إلى هداه، فبلّغ رسول الله ﷺ ما أرسل به، وصدع بما أمر، وأدى ما حمّل من أثقال النبوّة، وصبر لربّه، وجاهد في سبيله، ونصح لأمّته، ودعاهم إلى النجاة، وحثّهم على الذكر، ودلّهم على سبيل الهدى بمناهج ودواع أسّس للعباد أساسها، ومنار رفع لهم أعلامها، كيلا يضلّوا من بعده، وكان بهم رؤوفاً رحيماً(٢).

بيان: حومة البحر والرمل والقتال وغيره: معظمه، وأشدّ موضع منه، ودومة الشيء بالضمّ والفتح: أصله، وكذا المحتد بكسر التاء: الأصل، وحتد بالمكان: أقام به، ولعلّ المراد بالأوّل نسل إبراهيم أو هاشم، وبالثاني مكّة شرّفها الله، أو الأوّل إبراهيم عليه السلام، والثاني هاشم، أو هما مكّة، والأوّل أظهر، والمراد بالحسب إمّا الأخلاق الكريمة، أو الأنساب الشريفة، أو هما معاً، قوله: بنعتها، الضمير راجع إلى العلماء، والإضافة إلى الفاعل، وكذا الفقرة التالية لها، قوله: لا يداني على بناء المجهول، أي لا يدانيه في الكمال أحدٌ، وكذا لا يوازى ولا يسامى، والمساماة: المفاخرة، والشيمة بالكسر: الخلق، وأوقار النبوّة: أثقالها، كناية عن الشرئط العظيمة الّتي لا تكون النبوّة بدونها، أي صارت تلك الأخلاق جبلّته وطبعه وعليها خلق، وأحلامها: عقولها، أو جمع الحلم في مقابلة السفه والخرق. قوله عليه السلام: إلى أوقاتها، الضمير راجع إلى المقادير، أي أوصلته أسباب مقادير الله إلى أوقات حصول ما قدّر فيه من وجوده، أو وفاته وانقضاء مدّته، والأوّل أظهر، وكذا ضمير نهاياتها وغاياتها راجعان إلى القضاء أو المقادير، وقوله: تبشّر به، استئناف أو عطف بيان للجمل السابقة. قوله: نكاح، أي باطل من أنكحة الجاهليّة، والسبط بالكسر: ولد الولد، والقبيلة العظيمة، والكلاءة: الحفظ والحراسة، والحجر حجر عبد المطّلب وأبي طالب، ونهجه بالتخفيف أي أوضحه. وقوله: بعلم، إمّا متعلّق بقوله: بيّنه، أو حال عن الكتاب، والمستتر في قوله: وفصّله وقرائنه إمّا راجع إلى الله، أو الرسول، أو الكتاب. قوله: فيها، أي في تلك الأمور، وقوله: معالم، إمّا مرفوع معطوف على دلالة، أو مجرور معطوف على النجاة، ويمكن أن يقرأ هداة بالتاء، والضمير أظهر. ويقال: صدع بالحجّة: إذا تكلّم بها جهاراً، والمراد بالذكر إمّا القرآن أو الأعم، والضمير في قوله: أساسها راجع إلى المناهج والدواعي، والمراد بالتأسيس إمّا الوضع أو الإحكام والإتقان، وبسبيل الهدى

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٨.

(٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٦٥ باب مولد النبي ﷺ، ح ١٧.

منهج الشرع، وبالمناهج والدواعي أوصياؤه صلوات الله عليهم، والمراد بالتأسيس نصب الأدلّة على خلافتهم، ويمكن أن يراد بالمناهج الأئمّة، وبالدواعي الأدلّة الدالّة على وجوب متابعتهم، وكذا المنار كناية عن الأئمّة عليهم السلام، ورفع الأعلام عن نصب الأدلّة.

٨١ - **كا:** ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: اللّهمّ صلّ على محمّد صفيّك وخليلك ونجيّك المدبّر لأمرك[1].

٨٢ - **ما:** الحسين بن إبراهيم القزوينيّ، عن محمّد بن وهبان، عن عليّ بن جيش، عن العبّاس بن محمّد بن الحسين، عن أبيه، عن صفوان بن يحيى، عن الحسين بن أبي غندر، عن المفضّل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما بعث الله نبيّاً أكرم من محمّد ﷺ، ولا خلق الله قبله أحداً، ولا أنذر الله خلقه بأحد من خلقه قبل محمّد، فذلك قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾ وقال: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فلم يكن قبله مطاع في الخلق، ولا يكون بعده إلى أن تقوم الساعة في كلّ قرن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها[2].

بيان: قوله عليه السلام: ولا خلق الله قبله أحداً، أي هو أوّل المخلوقات كما مرّت الأخبار الكثيرة في ذلك، قوله عليه السلام: ولا أنذر الله خلقه بأحد من خلقه قبل محمّد ﷺ، أي كان منذراً في عالم الذرّ، فكان إنذاره قبل كلّ أحد، والاستشهاد بالآية الأولى إمّا بحملها على أن المراد بها أن هذا، أي محمّداً ﷺ من جملة النذر السابقة، وليس إنذاره مختصّاً بهذا الزمان، أو بحملها على أن المعنيّ بها إنّما أنت منذرٌ للنّذر الأولى في عالم الذرّ بأن تكون كلمة (من) للتّعليل كقوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ أو بمعنى (على) كقوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ ويؤيّد الوجهين ما رواه الصفّار بإسناده إلى عليّ بن معمّر، عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾ قال: يعني به محمّداً، حيث دعاهم إلى الإقرار بالله في الذرّ الأوّل، وبالآية الثانية لأنّ مفادها على المشهور بين المفسّرين إنّما أنت منذرٌ وهاد لكلّ قوم، فيكون هادياً للأنبياء وأممهم، ويحتمل أن يكون غرضه عليه السلام حصر الإنذار فيه ﷺ، أي لم يكن من أنذر قبله منذراً حقيقةً، وإنّما المنذر والمطاع على الإطلاق هو ﷺ، كما يدلّ عليه آخر الخبر، فالاستشهاد بالآية الأولى إمّا بحملها على الأخير من المعنيين، فإنّه لمّا كان منذراً للنّذر فهو المنذر للجميع حقيقةً، وإنّما كانوا نوّابه في الإنذار، كما أن من بعده من الأوصياء كذلك، أو بحملها على أن المراد به الحصر، أي هذا منذرٌ حسب من جملة من يسمّون بالنذر من الأنبياء السابقة، وبالثانية بحملها على أن قوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ من قبيل عطف الجملة على الجملة، ويكون المراد بالجزء الأوّل حصر الإنذار فيه ﷺ على سبيل القلب، أي ليس المنذر إلاّ أنت، وأمّا غيرك

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٧٠ باب مولد النبي ﷺ ح ٤٠.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٦٦٩ مجلس ٣٦ ح ١٤٠٦.

فهم هادون من قبلك، أو على الوجه الّذي قررناه في الوجه الأوّل، ولعلّه أقلّ تكلّفاً، هذا ما خطر بالبال في حلّ هذا الخبر الّذي حير الأفهام، والله يعلم أسرار أئمّة الأنام.

وقال الصدوق رحمه الله في الهداية يجب أن يعتقد أن النبوّة حقّ، كما اعتقدنا أن التوحيد حقٌّ، وأنّ الأنبياء الّذين بعثهم الله مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرون ألف نبيّ، جاءوا بالحقّ من عند الحقّ، وأن قولهم قول الله، وأمرهم أمر الله، وطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله، وأنهم لم ينطقوا إلاّ عن الله عزّ وجلّ وعن وحيه، وأنّ سادة الأنبياء خمسة، الّذين عليهم دارت الرحى، وهم أصحاب الشرائع، وهم أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلوات الله عليه وعليهم، وأنّ محمّداً سيّدهم وأفضلهم، وأنّه جاء بالحقّ وصدّق المرسلين، وأنّ الّذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الذي أُنزل معه أُولئك هم المفلحون، ويجب أن يعتقد أن الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقاً أفضل من محمّد صلى الله عليه وآله، ومن بعده الأئمّة صلوات الله عليهم، وأنهم أحبّ الخلق إلى الله عزّ وجلّ وأكرمهم عليه، وأوّلهم إقراراً به، لمّا أخذ الله ميثاق النبيّين في الذرّ وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا: بلى، وأنّ الله بعث نبيّه صلى الله عليه وآله إلى الأنبياء عليهم السلام في الذرّ، وأنّ الله أعطى ما أعطى كلّ نبيّ على قدر معرفته نبيّنا صلى الله عليه وآله، وسبقه إلى الإقرار به، ونعتقد أن الله تبارك وتعالى خلق جميع ما خلق له ولأهل بيته صلوات الله عليهم، وأنّه لولاهم ما خلق الله السماء والأرض ولا الجنّة ولا النار ولا آدم ولا حوّاء ولا الملائكة ولا شيئاً ممّا خلق صلوات الله عليهم أجمعين.

٨٣ - **كا:** العدّة، عن سهل وأحمد بن محمّد جميعاً، عن ابن محبوب، عن إبراهيم الكرخيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو أهدي إليّ كراع لقبلت، وكان ذلك من الدين، ولو أن كافراً أو منافقاً أهدى إليّ وسقاً ما قبلت، وكان ذلك من الدين، أبى الله تعالى لي زبد المشركين والمنافقين وطعامهم[1].

بيان: هذا الخبر يدلّ على حرمة هديّة المشركين عليه صلى الله عليه وآله، فيكون من خصائصه كما ذكره ابن شهر آشوب، ويدلّ عليه خبر آخر سيأتي في باب قصّة صديقه قبل البعثة، ولم يذكره الأكثر لما اشتهر من أنّه صلى الله عليه وآله قبل هديّة النجاشيّ والمقوقس وأكيدر بل كسرى أيضاً، كما رواه الصدوق في الفقيه عن ثوير بن أبي فاختة، عن أبيه، عن عليّ عليه السلام قال: أهدى كسرى للنّبيّ صلى الله عليه وآله فقبل منه، وأهدى قيصر للنّبيّ صلى الله عليه وآله فقبل منه، وأهدت له الملوك فقبل منهم.

فقيل: إنّه كان حراماً فنسخ، ويحتمل أن يكون الحرمة مع عدم المصلحة في قبولها، مع أنه يحتمل أن يكون هؤلاء الّذين قبل صلى الله عليه وآله هديّتهم كانوا أسلموا ولم يظهروا إسلامهم لقومهم تقيّةً كما هو الظاهر من أحوال النجاشيّ، لكنّ هذا في بعضهم ككسرى بعيدٌ. قال في

(١) الكافي، ج ٥ ص ٦٦٥ باب ٨٢ ح ٢.

النهاية: فيه: «إنا لا نقبل زبد المشركين» الزبد بسكون الباء: الرفد والعطاء، قال الخطابيّ: يشبه أن يكون هذا الحديث منسوخاً لأنّه قد قبل هديّة غير واحد من المشركين، أهدى له المقوقس مارية والبغلة، وأهدى له أُكيدر دومة فقبل منهما، وقيل: إنّما رد هديته ليغيظه بردّها فيحمله ذلك على الإسلام، وقيل: ردّها لأنّ للهديّة موضعاً من القلب، ولا يجوز عليه أن يميل بقلبه إلى مشرك فردّها قطعاً لسبب الميل، وليس ذلك مناقضاً لقبوله هديّة النجاشيّ والمقوقس وأكيدر، لأنّهم أهل الكتاب انتهى.

٨٤ - فر: الحسين بن سعيد، وأحمد بن الحسن معنعناً، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ قال: يراك حين تقوم بأمره، وتقلّبك في أصلاب الأنبياء نبيّ بعد نبيّ[1].

٨٥ - فر: عليّ بن محمّد بن عليّ بن عمر الزهريّ، عن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فقال: الحمد لله على آلائه وبلائه عندنا أهل البيت، وأستعين الله على نكبات الدنيا وموبقات الآخرة، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّي محمّداً عبده ورسوله، أرسلني برسالته إلى جميع خلقه ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ واصطفاني على جميع العالمين من الأوّلين والآخرين، أعطاني مفاتيح خزائنه كلّها، واستودعني سرّه، وأمرني بأمره، فكان القائم، وأنا الخاتم، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، و﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ واعلموا أن الله بكلّ شيء محيط وأنّ الله بكلّ شيء عليمٌ، أيّها الناس إنّه سيكون بعدي قوم يكذبون عليّ فلا تقبلوا منهم ذلك، وأمور يأتي من بعدي يزعم أهلها أنّها عنّي، ومعاذ الله أن أقول على الله إلاّ حقّاً، فما أمرتكم إلاّ بما أمرني به، ولا دعوتكم إلاّ إليه، وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

قال: فقام إليه عبادة بن الصامت فقال: متى ذلك يا رسول الله؟ ومن هؤلاء؟ عرّفناهم لنحذرهم، فقال: أقوام قد استعدّوا للخلافة من يومهم هذا، وسيظهرون لكم إذا بلغت النفس منّي ها هنا، وأومأ بيده إلى حلقه، فقال له عبادة بن الصامت: إذا كان كذلك فإلى من يا رسول الله؟ قال: فإذا كان ذلك فعليكم بالسمع والطاعة للسّابقين من عترتي، فإنّهم يصدّونكم عن البغي، ويهدونكم إلى الرشد، ويدعونكم إلى الحقّ، فيحيون كتابي وسنّتي وحديثي، ويموتون البدع، ويقمعون بالحقّ أهلها، ويزولون مع الحقّ حيث ما زال، فلن يخيّل إليّ أنّكم تعملون، ولكنّي محتجّ عليكم، إذا أنا أعلمتكم ذلك فقد أعلمتكم، أيّها الناس إنّ الله تبارك وتعالى خلقني وأهل بيتي من طينة لم يخلق منها أحداً غيرنا، فكنّا أوّل من ابتدأ من خلقه، فلمّا خلقنا فتق بنورنا كلّ ظلمة، وأحيى بنا كلّ طينة طيّبة، وأمات بنا كلّ طينة خبيثة، ثمّ قال: هؤلاء خيار خلقي، وحملة عرشي، وخزّان علمي، وسادة أهل السماء

(١) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ٣٠٤ ح ٤٠٩.

والأرض، هؤلاء الأبرار المهتدون، المهتدى بهم، من جاءني بطاعتهم وولايتهم أولجته جنّتي وكرامتي، ومن جاءني بعداوتهم والبراءة منهم أولجته ناري، وضاعفت عليه عذابي، وذلك جزاء الظالمين، ثمّ قال: نحن أهل الإيمان بالله ملاكه وتمامه حقّاً حقّاً، وبنا سدّد الأعمال الصالحة، ونحن وصيّة الله في الأوّلين والآخرين، وإنّ منّا الرقيب على خلق الله، ونحن قسم الله، أقسم بنا حيث يقول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ أيّها الناس إنّا أهل البيت عصمنا الله من أن نكون مفتونين أو فاتنين، أو مفتّنين، أو كذّابين أو كاهنين، أو ساحرين أو عائفين، أو خائنين أو زاجرين، أو مبتدعين أو مرتابين، أو صادفين عن الحقّ منافقين، فمن كان فيه شيء من هذه الخصال فليس منّا، ولا نحن منه، والله منه بريء ونحن منه براء، ومن برىء الله منه أدخله جهنّم وبئس المهاد، وإنّا أهل البيت طهّرنا الله من كلّ نجس، فنحن الصادقون إذا نطقوا، والعالمون إذا سئلوا، والحافظون لما استودعوا، جمع الله لنا عشر خصال لم يجتمعن لأحد قبلنا، ولا يكون لأحد غيرنا: العلم والحلم والحكم، واللّب والنبوّة والشجاعة، والصدق والصبر والطهارة والعفاف، فنحن كلمة التقوى، وسبيل الهدى، والمثل الأعلى، والحجّة العظمى، والعروة الوثقى، فماذا بعد الحقّ إلاّ الضلال فأنّى تصرفون(١).

بيان: العائف: المتكهّن، قاله الجوهريّ، وقال: الزجر: العيافة، وهو ضرب من التكهّن، تقول: زجرت أنّه يكون كذا وكذا، وصدف: أعرض، وسيأتي تفسير سائر الفقرات في كتاب الإمامة.

٨٦ - **يب:** محمّد بن أحمد بن يحيى، عن الحسن بن عليّ بن عبد الله، عن ابن فضّال، عن مروان، عن عمّار الساباطيّ قال: كنّا جلوساً عند أبي عبد الله عليه السلام بمنى فقال له رجل: ما تقول في النوافل؟ فقال: فريضةٌ، قال: ففزعنا وفزع الرجل، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّما أعني صلاة اللّيل على رسول الله صلى الله عليه وآله، إنّ الله يقول: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾(٢).

٨٧ - **كا:** أبو عليّ الأشعريّ، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن عليّ بن حديد، عن مرازم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله كلّف رسول الله ما لم يكلّف أحداً من خلقه، كلّفه أن يخرج على الناس كلّهم وحده بنفسه إن لم يجد فئةً تقاتل معه، ولم يكلّف هذا أحداً من خلقه قبله ولا بعده، ثمّ تلا هذه الآية ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ ثمّ قال: وجعل الله له أن يأخذ له ما أخذ لنفسه، فقال عزّ وجلّ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ وجعلت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله بعشر حسنات(٣).

٨٨ - **ختص:** عن عليّ بن سويد السائيّ، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: ما خلق الله

---

(١) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ٣٠٥.

(٢) تهذيب الأحكام، ج ٢ ص ٣٧٤ باب ١٢ ح ٢٨. (٣) روضة الكافي، ص ٢٠٨ ح ٤١٤.

خلقاً أفضل من محمّد ﷺ، ولا خلق خلقاً بعد محمّد أفضل من عليّ عليه السلام[١].

٨٩ - **ختص**: عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ قال: يجلسه على العرش[٢].

٩٠ - **نهج**: اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمّد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق، والفاتح لما انغلق، والمعلن الحقّ بالحقّ، والدافع جيشات الأباطيل، والدامغ صولات الأضاليل، كما حمل فاضطلع قائماً بأمرك، مستوفزاً في مرضاتك، غير ناكل عن قدم، ولا واه في عزم، واعياً لوحيك، حافظاً على عهدك، ماضياً على نفاذ أمرك، حتّى أورى قبس القابس، وأضاء الطريق للخابط، وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن والإثم، وأقام موضحات الأعلام، ونيّرات الأحكام، فهو أمينك المأمون، وخازن علمك المخزون، وشهيدك يوم الدين، وبعيثك بالحقّ ورسولك إلى الخلق[٣].

تبيين: الخاتم لما سبق، أي الوحي والرسالة، والفاتح لما انغلق، يقال: انغلق واستغلق: إذا عسر فتحه، أي فتح ما انغلق وأبهم على الناس من مسائل الدين والتوحيد والشرائع، والسبيل إلى الله تعالى، والمعلن الحقّ بالحقّ، أي مظهر الدين بالمعجزات، أو بالحرب والخصومة، يقال: حاق فلاناً فحقه أي خاصمه فغلبه، أو بالبيان الواضح، أو بعضه ببعض، فإنّ بالأصول تظهر الفروع، أو بمعونة الحقّ تعالى، والجيشات جمع جيشة من جاشت القدر: إذا ارتفع غليانها، والأباطيل جمع باطل على غير قياس، أي دافع ثوران الباطل، وفتن المشركين، وما كانت عادة لهم من الغارات والحروب، والدامغ: المهلك، من دمغه: إذا شجّه حتّى بلغ الدماغ، وفيه الهلاك، والأضاليل أيضاً جمع ضالّ، على غير قياس، والصولة: الحملة والوثبة والسطوة، قوله عليه السلام: كما حمل، الكاف للتّعليل، أي صلّ عليه لذلك أو للتّشبيه، أي صلاة تشبه وتناسب ما فعل، قوله: فاضطلع، أي قوي على حمله، من الضلاعة، وهي القوّة، قوله: مستوفزاً، أي مستعجلاً، والنكول: الرجوع، والقدم بالضمّ: التقدّم والإقدام، أي لم يرجع عن التقدّم في الجهاد وغيره من أُمور الدّين، والوهي: الضعف، وتقول: وعيت الحديث: إذا حفظته وفهمته، ومضى في الأمر: نفذ، أي كان مصرّاً في إنفاذ أمرك وإجرائه، ويقال: ورى الزند، أي خرجت ناره، وأوريته أنا، والقبس: الشعلة والقابس: الّذي يطلب النار، والمراد بالقبس هنا نور الحقّ، أي أشعل أنوار الدين حتّى ظهر الحقّ للمقتبسين قوله: للخابط أي الّذي يخبط لولا ضوء نوره، قوله: بعد خوضات الفتن، خاض الماء: دخله، أي بعد أن خاضوا في الفتن أطواراً، والأعلام جمع علم، وهو ما يستدلّ به على الطريق من منار وجبل ونحوهما، والموضحات يحتمل الفتح والكسر كما لا يخفى، ونيّرات الأحكام، أي الأحكام الواضحة الحقّة، والمأمون

---

(١) - (٢) الاختصاص، ص ١٨.

(٣) نهج البلاغة، ص ١٤٦ خطبة ٧١.

تأكيد، والمراد بالعلم المخزون الأمور الّتي لا تتعلّق بالتكاليف، لأنّها لا تخزن عن المكلّفين، قوله عليه السلام: وشهيدك، أي شاهدك على الخلق، قوله: وبعيثك، أي مبعوثك بالدين الثابت.

٩١ - **نهج:** فاستودعهم في أفضل مستودع، وأقرّهم في خير مستقرّ، تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهّرات الأرحام، كلّما مضى سلف قام منهم بدين الله خلف، حتّى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمّد صلى الله عليه وآله، فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً، وأعزّ الأرومات مغرساً، من الشجرة الّتي صدع منها أنبياءه، وانتجب منها أمناءه، عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم، وبسقت في كرم، لها فروع طوال، وثمر لا ينال، فهو إمام من اتّقى، وبصيرة من اهتدى، سراج لمع ضوؤه، وشهاب سطع نوره، وزند برق لمعه، سيرته القصد، وسنّته الرشد، وكلامه الفصل، وحكمه العدل، أرسله على حين فترة من الرسل، وهفوة عن العمل، وغباوة من الأمم.[1]

بيان: قوله عليه السلام: في أفضل مستودع، الظاهر أن المراد بالمستودع والمستقرّ الأصلاب والأرحام، فيكون ما بعده بياناً له، ويحتمل أن يكون المراد محلّ أرواحهم في عالم الذرّ. قوله: تناسختهم، أي تناقلتهم، قوله: حتّى أفضت أي انتهت، والأرومة: الأصل، ويحتمل أن يكون المراد بأفضل المعادن وأعز الأرومات شجرة النبوّة، وقيل: مكّة شرّفها الله، وقيل: نسبه وعشيرته، والصدع: الشقّ، والعترة: أخص من الأسرة، والأسرة: الرهط الأدنون، وقيل: أراد بالشجر في الموضعين إبراهيم عليه السلام وقيل: أراد هاشماً، بقرينة قوله: نبتت في حرم، أي مكّة، كذا قيل والأظهر أن تحمل الشجرة ثانياً على نفسه وأهل بيته، كما ورد في أخبار كثيرة في تفسير الشجرة الطيّبة، والمراد بالفروع الأئمّة، وطولها كناية عن بلوغهم في الشرف والفضل الغاية البعيدة، والمراد بالثمر علومهم ومعارفهم، وعدم النيل لغموض أسرارها بحيث لا تصل العقول إليها، والزند: العود الّذي يقدح به النار، والقصد: الوسط والاعتدال في الأمور من غير إفراط وتفريط، والفصل: الفاصل بين الحقّ والباطل، والهفوة: الزلّة، والغباوة: الجهل وقلّة الفطنة.

٩٢ - **نهج:** مستقرّه خير مستقرّ، ومنبته أشرف منبت، في معادن الكرامة، ومماهد السّلامة، قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار، وثنيت إليه أزمّة الأبصار، دفن[الله][2] به الضغائن، وأطفأ به النوائر، ألّف به إخواناً، وفرّق به أقراناً، أعزّ به الذلّة، وأذلّ به العزّة، كلامه بيان، وصمته لسان[3].

بيان: يحتمل زائداً على ما تقدّم أن يكون المراد بالمستقرّ المدينة، وبالمنبت مكّة زادهما

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢١٢. خطبة ٩٣.
(٢) زيادة من المصدر.
(٣) نهج البلاغة، ص ٢١٤ خطبة ٩٥.

الله تعالى شرفاً، قوله عليه السلام: ومماهد السّلامة، قال ابن الميثم: المهاد: الفراش، ولمّا قال: «في معادن» وهي جمع معدن قال بحكم القرينة والازدواج: «ومماهد» وإن لم يكن الواحد منها ممهداً، كما قالوا: الغدايا والعشايا ومأجورات ومأزورات ونحو ذلك، ويعني بالسلامة ها هنا البراءة من العيوب، أي في نسب طاهر غير مأبون ولا معيب، ويحتمل أن يراد بمعادن الكرامة ومماهد السلامة مكّة والمدينة، فإنّهما محلّ العبادة والسلامة من عذابه، والفوز بكرامته، ويحتمل أن يراد بمماهد السلامة ما نشأ عليه من مكارم الأخلاق الممهّدة للسّلامة من سخط الله، قوله: وثنيت، أي عطفت وصرفت، قوله: دفن به، أي أخفى وأذهب، والضغائن جمع ضغينة، وهي الحقد، والنوائر جمع نائرة، وهي العداوة، والمراد بالذلّة ذلّة الإسلام، وبالعزّة عزّة الشرك، قوله عليه السلام: وصمته لسان، فيه وجهان: أحدهما أنّه كان يسكت عمّا لا ينبغي من القول، فيعلم النّاس السكوت عمّا لا يعنيهم، وثانيهما: أن سكوته ﷺ عن بعض أفعال الصحابة وعدم النهي عنها كان تقريراً لها، ودليلاً على الإباحة.

٩٣ - **نهج:** حتّى أورى قبساً لقابس، وأنار علماً لحابس، فهو أمينك وشهيدك يوم الدين، وبعيثك نعمة، ورسولك بالحقّ رحمة، اللّهمّ اقسم له مقسماً من عدلك، واجزه مضاعفات الخير من فضلك، اللّهمّ أعل على بناء البانين بناءه، وأكرم لديك نزله، وشرّف عندك منزله، وآته الوسيلة، وأعطه السناء والفضيلة، واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا نادمين، ولا ناكبين ولا ناكثين، ولا ضالّين، ولا مفتونين[(١)].

بيان: الحابس: الواقف في مكانه الّذي حبس ناقته ضلالاً، فهو يخبط ولا يدري كيف يهتدي، والمراد ببنائه قواعد دينه أو كمالاته، والنزل بالضمّ: ما يهيّأ للضيف.

٩٤ - **نهج:** اختاره من شجرة الأنبياء. ومشكاة الضياء، وذؤابة العلياء، وسرّة البطحاء، ومصابيح الظلمة، وينابيع الحكمة[(٢)].

٩٥ - **نهج:** وأشهد أن محمّداً نجيب الله، وسفير وحيه، ورسول رحمته.

٩٦ - **نهج:** وأشهد أن محمّداً عبده وسيّد عباده، كلّما نسخ الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما، لم يسهم فيه عاهر، ولا ضرب فيه فاجر[(٣)].

بيان: النسخ: الإزالة والتغيير، استعير هنا للقسمة لأنّها إزالة للمقسوم وتغيير له، والعاهر: الزاني، ويطلق على الذكر والأنثى، وكذلك الفاجر.

تذنيب: أقول: قد ذكر علماؤنا رحمهم الله بعض خصائصه ﷺ في كتبهم، وجمعها العلاّمة رحمه الله في كتاب التذكرة، فلنورد ملخّص ما ذكروه رحمهم الله، قال في التذكرة: فأمّا

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢٣٢ خطبة ١٠٥. (٢) نهج البلاغة، ص ٢٣٤ خطبة ١٠٧.

(٣) نهج البلاغة، ص ٤٤٦ خطبة ٢١٢.

الواجبات عليه دون غيره من أمّته أمور: الأوّل السواك، الثاني الوتر، الثالث الأضحيّة، روي عنه ﷺ أنّه قال: ثلاث كتب عليّ، ولم يكتب عليكم: السواك، والوتر، والأضحيّة.

وفي حديث آخر: كتب عليّ الوتر، ولم يكتب عليكم، وكتب عليّ السواك، ولم يكتب عليكم، وكتبت عليّ الأضحيّة، ولم تكتب عليكم.

وتردّد الشافعيّ في وجوب السواك عليه ﷺ.

الرابع: قيام اللّيل لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ وإن أشعر لفظ النافلة بالسنّة، ولكنّها في اللّغة الزيادة، ولأنّ السنّة جبر للفريضة، وكان ﷺ معصوماً من النقصان في الفرائض، واختلف الشافعيّة فقال بعضهم: كان ذلك واجباً عليه، وقال بعضهم: كان واجباً عليه وعلى أمّته فنسخ.

أقول: ذكر الوتر مع قيام اللّيل يشتمل على تكرار ظاهراً، والأصل فيه أن العامّة رووا حديثاً عن عائشة أن النبيّ ﷺ قال: «ثلاث عليّ فريضةٌ ولكم سنّة: الوتر، والسواك، وقيام اللّيل» ولذا جمعوا بينهما تبعاً للرّواية، كما يظهر من شارح الوجيزة، وتبعهم أصحابنا رضوان الله عليهم.

وقال الشهيد الثاني قدّس سرّه: اعلم أن بين قيام اللّيل وبين الوتر الواجبين عليه مغايرة العموم والخصوص المطلق، لأنّ قيام اللّيل بالتهجّد يحصل بالوتر وبغيره، فلا يلزم من وجوبه وجوبه، وأمّا الوتر فلمّا كان من العبادات الواقعة باللّيل فهو من جملة التهجّد بل أفضله، فقد يقال: إنّ إيجابه يغني عن إيجاب قيام اللّيل وجوابه أن قيام اللّيل وإن تحقّق بالوتر لكن مفهومه مغاير لمفهومه، لأنّ الواجب من القيام لمّا كان يتأدّى به وبغيره، وبالكثير منه والقليل كان كلّ فرد يأتي به منه موصوفاً بالوجوب، لأنّه أحد أفراد الواجب الكلّيّ، وهذا القدر لا يتأدّى بإيجاب الوتر خاصّة، ولا يفيد فائدته، فلا بدّ من الجمع بينهما.

ثمّ قال في التذكرة: الخامس: قضاء دين من مات معسراً، لقوله ﷺ: «من مات وخلف مالاً فلورثته، ومن مات وخلف ديناً أو كلاً فعليّ»، وإلى هذا مذهب الجمهور، وقال بعضهم: كان ذلك كرماً منه، وهذا اللّفظ لا يمكن حمله على الضمان، لأنّ من صحّح ضمان المجهول لم يصحّح على هذا الوجه، وللشّافعيّة وجهان في أن الإمام هل يجب عليه قضاء دين المعسر إذا مات، وكان في بيت المال سعة تزيد على حاجة الأحياء، لما في إيجابه من الترغيب في اقتراض المحتاجين.

السادس: مشاورة أولي النهى لقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ وقيل: إنّه لم يكن واجباً عليه، بل أمر لاستمالة قلوبهم، وهو المعتمد، فإنّ عقل النبيّ ﷺ أوفر من عقول كلّ البشر.

السابع: إنكار المنكر إذا رآه وإظهاره، لأنّ إقراره على ذلك يوجب جوازه، فإنّ الله تعالى ضمن له النصر والإظهار.

الثامن: كان عليه تخيير نسائه بين مفارقته ومصاحبته بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾[1] والأصل فيه أن النبيّ ﷺ آثر لنفسه الفقر والصبر عليه، فأمر بتخيير نسائه بين مفارقته واختيار زينة الدنيا، وبين اختياره والصبر على ضرّ الفقر، لئلاّ يكون مكرهاً لهنّ على الضر والفقر، هذا هو المشهور، وللشافعيّة وجه في التخيير لم يكن واجباً عليه، وإنّما كان مندوباً، والمشهور الأوّل، ثمّ إنّ رسول الله ﷺ لمّا خيّرهن اخترنه والدار الآخرة، فحرّم الله تعالى على رسوله التزويج عليهنّ، والتبدّل بهنّ من أزواج، ثمّ نسخ ذلك ليكون المنّة لرسول الله ﷺ بترك التزوّج عليهنّ بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾[2] قالت عايشة: إنّ النبيّ ﷺ لم يمت حتّى أُحلّ له النساء تعني اللاّتي حظرن عليه، وقال أبو حنيفة: إنّ التحريم باقٍ لم ينسخ، وقد روي أن بعض نساء النبيّ ﷺ طلبت منه حلقة من ذهب، فصاغ لها حلقة من فضّة وطلاها بالزعفران، فقالت: لا أريد إلاّ من ذهب، فاغتمّ النبيّ ﷺ لذلك، فنزلت آية التخيير.

وقيل: إنّما خيّره لأنّه لم يمكنه التوسعة عليهنّ، فربما يكون فيهنّ من يكره المقام معه فنزّهه عن ذلك.

وروي أنّ النبيّ ﷺ كان يطالب بأمور لا يملكها، وكان نساؤه يكثرن مطالبته حتّى قال عمر: كنّا معاشر المهاجرين متسلّطين على نسائنا بمكّة، وكانت نساء الأنصار متسلّطات على الأزواج، فاختلط نساؤنا فيهنّ فتخلّقن بأخلاقهنّ، وكلّمت امرأتي يوماً فراجعتني، فرفعت يدي لأضربها وقلت: أتراجعيني يا لكعاء؟ فقالت: إنّ نساء رسول الله ﷺ يراجعنه، وهو خير منك، فقلت: خابت حفصة وخسرت، ثمّ أتيت حفصة وسألتها فقالت: إنّ رسول الله ﷺ قد يظلّ على بعض نسائه طول نهاره غضباناً، فقلت: لا تغترّي بابنة أبي قحافة، فإنّها حبّة رسول الله ﷺ يحمل منها ما لا يحمل منك، وقال عمر: كنت قد ناوبت رجلاً من الأنصار حضور مجلس رسول الله ﷺ ليخبر كلّ واحد منّا صاحبه فيما يجري، فقرع الأنصاريّ باب الدار يوماً، فقلت: أجاءنا غسّان؟ وكان قد أُخبرنا بأنّ غسّان تنعل خيولها لتغزونا، فقال: أمر أفظع من ذلك، طلّق رسول الله ﷺ جميع نسائه، فخرجت من البيت، ورأيت أصحاب رسول الله ﷺ يبكون حوله وهو جالس، وكان أنس على البيت، فقلت: استأذن لي فلم يجب، فانصرفت فنازعتني نفسي وعاودت فلم يجب، حتّى فعلت ذلك ثلاثاً، فسمع رسول الله ﷺ صوتي فأذن، فدخلت فرأيته نائماً على حصير من اللّيف، فاستوى وأثر اللّيف في جنبيه، فقلت: إنّ قيصر وكسرى يفرشان الديباج والحرير، فقال:

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٢٨-٢٩. (٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٠.

أفي شكّ أنت يا عمر؟ أما علمت أنّها لهم في الدنيا، ولنا في الآخرة، ثمّ قصصت عليه القصّة فابتسم لمّا سمع قولي لحفصة: لا تغترّي بابنة أبي قحافة، ثمّ قلت: طلّقت نساءك؟ فقال: لا.

وروي أنّه كان آلى من نسائه شهراً، فمكث في غرفة شهراً، فنزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ الآية، فبدأ رسول الله ﷺ بعائشة وقال: إنّي ملق إليك أمراً فلا تبادريني بالجواب حتّى تؤامري أبويك، وتلا الآية، فقالت: أفيك أؤامر أبويّ؟ اخترت الله ورسوله والدار الآخرة، ثمّ قالت: لا تخبر أزواجك بذلك، وكانت تريد أن يخترن فيفارقهنّ رسول الله ﷺ، فدار ﷺ على نسائه وكان يخبرهنّ بما جرى لعائشة، فاخترن بأجمعهنّ الله ورسوله، وهذا التخيير عند العامّة كناية في الطلاق وعندنا أنّه ليس له حكم.

وقال الشهيد الثاني والشيخ عليّ رحمهما الله: هذا التخيير عند العامّة القائلين بوقوع الطلاق بالكناية كناية عن الطلاق، وقال بعضهم: إنّه صريح فيه، وعندنا ليس له حكم بنفسه، بل ظاهر الآية أن من اختارت الحياة الدنيا وزينتها يطلّقها، لقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾(1).

أقول: سيأتي القول فيه في بابه.

ثمّ قال في التذكرة: وأمّا المحرّمات فقسمان: الأوّل ما حرّم عليه خاصّة في غير النكاح، وهو أمور: الأوّل: الزكاة المفروضة، صيانةً لمنصبه العليّ عن أوساخ أموال النّاس الّتي تعطى على سبيل الترحّم، وتنبيء عن ذلّ الآخذ، وأُبدل بالفيء الّذي يؤخذ على سبيل القهر والغلبة، المنبئ عن عزّ الآخذ، وذلّ المأخوذ منه، ويشركه في حرمتها أُولوا القربى، لكنّ التحريم عليهم بسببه أيضاً، فالخاصّة عائدة إليه، قال رسول الله ﷺ: إنّا أهل بيت لا تحلّ لنا الصدقة.

أقول: قال الشهيد الثاني رحمه الله بعد ذكر هذا الوجه: مع أنّها لا تحرم عليهم مطلقاً، بل من غير الهاشميّ مع وفاء نصيبهم من الخمس بكفايتهم، وأمّا عليه ﷺ فإنّها تحرم مطلقاً، ولعلّ هذا أولى من الجواب السابق، لأنّ ذاك مبنيّ على مساواتهم له في ذلك كما تراه العامّة، فاشتركوا في ذلك الجواب، والجواب الثاني مختصّ بقاعدتنا.

رجعنا إلى كلام التذكرة:

الثاني: الصدقة المندوبة، الأقرب تحريمها على رسول الله ﷺ لما تقدم، وهو أحد قولي الشافعيّ تعظيماً له وتكريماً، وفي الثاني يجوز، وحكم الإمام عندنا حكم النبيّ ﷺ.

الثالث: إنّه كان ﷺ لا يأكل الثوم والبصل والكرّاث، وهل كان محرماً عليه؟ الأقرب لا، وللشّافعيّة وجهان، لكنّه كان يمتنع منها لئلا يتأذّى بها من يناجيه من الملائكة، روي

(1) سورة الأحزاب، الآية: ٢٨.

أنّه ﷺ أُتي بقدر فيها بقول فوجد لها ريحاً فقرّبها إلى بعض أصحابه، وقال له: كل فإنّي أناجي من لا تناجي.

الرابع: إنّه ﷺ كان لا يأكل متكئاً، روي أنّه ﷺ قال: أنا آكل كما تأكل العبيد، وأجلس كما تجلس العبيد.

وهل كان ذلك محرّماً عليه أو مكروهاً كما في حقّ الأمة؟ الأقرب الثاني، وللشّافعيّ وجهان.

الخامس: يحرّم عليه الخطّ والشعر تأكيداً لحجّته، وبياناً لمعجزته، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ وقد اختلف في أنّه ﷺ كان يحسنهما أم لا، وأصحّ قولي الشافعيّ الثاني، وإنّما يتّجه التحريم على الأوّل.

السادس: كان ﷺ إذا لبس لأمة الحرب يحرّم عليه نزعها حتّى يلقى العدوّ ويقاتل، قال ﷺ: «ما كان لنبيّ إذا لبس لأمته أن ينزعها حتّى يلقى العدوّ» وهو المشهور عند الشافعيّة: ولهم وجه أنّه كان مكروهاً لا محرّماً.

السابع: كان ﷺ إذا ابتدأ بتطوّع حرم عليه تركه قبل إتمامه، وفيه خلافٌ.

الثامن: كان يحرّم أن يمدّ عينيه إلى ما متّع الله به الناس، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ الآية.

التاسع: كان يحرّم عليه خائنة الأعين، قال ﷺ: «ما كان لنبيّ أن يكون له خائنة الأعين» وفسّروها بالإيماء إلى مباح: من ضرب، أو قتل على خلاف ما يظهر ويشعر به الحال، وإنّما قيل له: خائنة الأعين لأنّه سبب الخيانة، من حيث أنّه يخفى، ولا يحرّم ذلك على غيره إلاّ في محظور، وبالجملة أن يظهر خلاف ما يضمر، وطرد بعض الفقهاء ذلك في مكايدة الحروب وهو ضعيف، وقد صحّ أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد سفراً ورّى بغيره.

العاشر: اختلفوا في أنّه هل كان يحرّم عليه أن يصلّي على من عليه دين أم لا على قولين.

الحادي عشر: اختلفوا في أنّه هل كان يجوز أن يصلّي على من عليه دين مع وجود الضامن.

الثاني عشر: لم يكن له أن يمنّ ليستكثر، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾، أي لا تعط شيئاً لتنال أكثر منه، قال المفسّرون: إنّه كان من خواصّه ﷺ.

الثاني: ما حرّم عليه خاصّة في النكاح وهو أمور: الأوّل: إمساك من تكره نكاحه وترغب عنه، لأنّه ﷺ نكح امرأة ذات جمال، فلقّنت أن تقول لرسول الله ﷺ: أعوذ بالله منك، وقيل لها: إنّ هذا الكلام يعجبه، فلمّا قالت ذلك قال ﷺ: لقد استعذت بمعاذ وطلّقها.

وللشافعيّة وجه غريب: أنه كان لا يحرم إمساكها لكن فارقها تكرّماً منه، ومات رسول الله ﷺ عن تسع نسوة: عائشة، وحفصة، وأمّ سلمة بنت ابن أميّة المخزوميّ، وأمّ حبيبة

بنت أبي سفيان، وميمونة بنت الحارث الهلاليّة، وجويريّة بنت الحارث الخزاعيّة، وسودة بنت زمعة، وصفيّة بنت حييّ بن أخطب الخيبريّة، وزينب بنت جحش، وجميع من تزوّج بهنّ خمسة عشر، وجمع بين إحدى عشرة، ودخل بثلاث عشرة، وفارق امرأتين في حياته: إحداهما الكلبيّة، وهي الّتي رأى بكشحها بياضاً، فقال لها: الحقي بأهلك، والأخرى الّتي تعوّذت منه، وقال أبو عبيد: تزوّج رسول الله ﷺ ثمانية عشر امرأة، واتّخذ من الإماء ثلاثاً.

الثاني: نكاح الكفّار، عندنا لا يصحّ للمسلم على الأقوى. لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ وقال: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ وقال بعض علمائنا: إنّه يصحّ، وهو مذهب جماعة من العامّة، فعندنا التحريم بطريق الأولى ثابت في حقّ النبيّ ﷺ، واختلف في مشروعيّته له من جوّز من العامّة في حقّ الأمّة على قولين: أحدهما المنع، لقوله ﷺ: «زوجاتي في الدنيا زوجاتي في الآخرة» والجنّة محرّمة على الكافرين، ولأنّه أشرف من أن يضع ماءه في رحم كافرة، والله تعالى أكرم زوجاته إذ جعلهنّ أمّهات المؤمنين، والكافرة لا تصلح لذلك، لأنّ هذه أسوة الكرامة، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ ولقوله: «كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلاّ سببي ونسبي» وذلك لا يصحّ في الكافرة.

والثاني الجواز لأنّ ذبائحهم له حلالٌ فكذلك نساؤهم، والمقدّمة الأُولى ممنوعة فإنّ ذبائح أهل الكتاب عندنا محرّمة، وأمّا نكاح الأمّة فلم يجز له بلا خلاف بين الأكثر، وأمّا وطء الأمّة فكان سائغاً له مسلمةً كانت أو كتابيّة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ ولم يفصل، وملك ﷺ مارية القبطيّة وكانت مسلمةً، وملك صفيّة وهي مشركةٌ، فكانت عنده إلى أن أسلمت فأعتقها وتزوّجها، وجوّز بعضهم نكاح الأمّة المسلمة له ﷺ بالعقد، كما يجوز بالملك والنكاح أوسع منه من الأمّة، ولكن الأكثر على المنع، لأنّ نكاح الأمّة مشروط بالخوف من العنت، والنبيّ ﷺ معصوم، وبفقدان طول الحرّة، ونكاحه ﷺ مستغني عن المهر ابتداء وانتهاء، وبأنّ من نكح أمة كان ولده منها رقيقاً عند جماعة، ومنصب النبيّ ﷺ منزّه عن ذلك، لكنّ من جوّز له نكاح الأمة قال: خوف العنت إنّما يشترط في حقّ الأمّة، ومنع من اشتراط فقدان الطول، وأمّا رقّ الولد فقد التزم بعض الشافعيّة وجهاً مستبعداً فيه بذلك، والصحيح خلافه لأنّه عندنا يتّبع أشرف الطرفين.

وأمّا التخفيفات: فقسمان: الأوّل ما يتعلّق بغير النكاح وهي أمور:

الأوّل: الوصال في الصّوم، كان مباحاً للنّبي ﷺ، وحرام على أُمّته، ومعناه أنّه يطوي اللّيل بلا أكل وشرب مع صيام النهار، لا أن يكون صائماً، لأنّ الصوم في اللّيل لا ينعقد، بل إذا دخل اللّيل صار الصائم مفطراً إجماعاً، فلمّا نهى النبيّ ﷺ أمّته عن الوصال قيل له: إنّك تواصل، فقال: إنّي لست كأحدكم، إنّي أظلّ عند ربّي يطعمني ويسقيني.

وفي رواية: إنّي أبيت عند ربّي فيطعمني ويسقيني.

قيل: معناه يسقيني ويغذيني بوحيه.

وقال الشهيد الثاني نوّر الله ضريحه: الوصال يتحقّق بأمرين: أحدهما الجمع بين اللّيل والنهار عن تروك الصوم بالنّية، والثاني تأخير عشائه إلى سحوره بالنّية كذلك، بحيث يكون صائماً مجموع ذلك الوقت، والوصال بمعنييه محرّم على أمّته، ومباح له ﷺ، ثمّ نقل كلام التذكرة وقال: ليس بجيّد، لأنّ الأكل باللّيل ليس بواجب، وقد صرّح به هو في المنتهى، فقال: لو أمسك عن الطعام يومين لا بنيّة الصيام بل بنيّة الإفطار فيه فالأقوى عدم التحريم، وعلى ما ذكره هنا لا فرق بينه ﷺ وبين غيره، بل المراد الصوم فيهما معاً بالنّيّة، فإنّ هذا حكم مختصّ به محرّم على غيره.

أقول: ما ذكره رحمه الله هو المطابق لكلام الأكثر، لكنّ الأخبار الواردة في تفسيره تقتضي التحريم مطلقاً، وأيضاً لو كان المراد مع النيّة فلا وجه للتّخصيص بهذين الفردين، بل الظاهر أنّه لو نوى دخول ساعة من اللّيل مثلاً في الصوم كان تشريعاً محرماً، وسيأتي تمام القول في ذلك في كتاب الصوم إن شاء الله تعالى.

ثمّ قال في التذكرة: الثاني اصطفاء ما يختاره من الغنيمة قبل القسمة، كجارية حسنة، وثوب مترفّع، وفرس جواد، وغير ذلك، ويقال لذلك الّذي اختاره: الصفيّ والصفيّة والجمع الصفايا، ومن صفاياه صفيّة بنت حيّي، اصطفاها واعتقها وتزوّجها، وذو الفقار.

الثالث: خمس الفيء والغنيمة كان لرسول الله ﷺ الاستبداد به، وأربعة أخماس الفيء كانت له أيضاً.

الرابع: أبيح له دخول مكّة بغير إحرام، خلافاً لأمّته، فإنّه محرّم عليهم على خلاف.

الخامس: أبيحت له ولأمّته كرامةً له الغنائم، وكانت حراماً على من قبله من الأنبياء، بل أمروا بجمعها، فتنزل نارٌ من السماء فتأكلها، وإنّه كان يقضي لنفسه، وفي غيره خلاف، وأن يحكم لنفسه ولولده، وأن يشهد لنفسه ولولده، وأن يقبل شهادة من شهد له.

السادس: أبيح له أن يحمي لنفسه الأرض لرعي ماشيته، وكان حراماً على من قبله من الأنبياء عليهم السلام، والأئمّة بعده ليس لهم أن يحموا لأنفسهم.

وقال المحقّق الثاني رحمه الله في شرح القواعد: وهذا عندنا مشترك بينه وبين الأئمّة عليهم السلام، وقول المصنّف رحمه الله في التذكرة: والأئمّة بعده ليس لهم أن يحموا لأنفسهم ليس جارياً على مذهبنا.

ثمّ قال في التذكرة: أبيح له أن يأخذ الطعام والشراب من المالك، وإن اضطرّ إليها، لأنّ حفظه لنفسه الشريفة أولى من حفظ نفس غيره، وعليه البذل والفداء بمهجته مهجة رسول الله ﷺ، لأنّه ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

وقال المحقّق في شرح القواعد: وينبغي أن يكون الإمام كذلك كما يرشد إليه التعليل، ولم أقف على تصريح في ذلك.

ثمّ قال في التذكرة: الثامن: كان لا ينتقض وضوؤه بالنوم، وبه قال الشافعيّة وحكى أبو العباس منهم وجهاً آخر غريباً، وكذلك حكى وجهين في انتقاض وضوئه باللّمس.

التاسع: كان يجوز له أن يدخل المسجد جنباً، ومنعه بعض الشافعيّة وقال: لا أخاله صحيحاً.

العاشر: قيل: إنّه كان يجوز له أن يقتل من آمنه وهو غلط، فإنّه من يحرم عليه خائنة الأعين كيف يجوز له قتل من آمنه؟

الحادي عشر: قيل: إنّه كان يجوز له لعن من شاء من غير سبب يقتضيه، لأنّ لعنه رحمة، واستبعده الجماعة، وروى أبو هريرة أن النبيّ ﷺ، قال: «اللّهمّ إنّي أتخذ عندك عهداً لن تخلفه، إنّما أنا بشر فأيّ المؤمنين آذيته بتهمة ولعنة فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة يتقرّب بها إليك يوم القيامة» وهو عندنا باطل لأنّه معصوم لا يجوز منه لعن الغير وسبّه بغير سبب، والحديث لو سلّم إنّما هو لسبب.

ومن التخفيفات ما يتعلّق بالنكاح وهي أمور:

الأوّل: الزيادة على أربع نسوة، فإنّه ﷺ مات عن تسع، وهل كان له الزيادة على تسع؟ الأولى الجواز لامتناع الجور عليه، وللشافعيّة وجهان: هذا أصحّهما، والثاني المنع، وأمّا انحصار طلاقه في الثلاث فالوجه في ذلك كما في حقّ الأمّة، وهو أحد وجهي الشافعيّة، والثاني العدم كما لم ينحصر عدد زوجاته ﷺ.

الثاني: العقد بلفظ الهبة، لقوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ فلا يجب المهر حينئذٍ بالعقد ولا بالدخول، لا ابتداءً ولا انتهاء كما هو قضيّة الهبة، وهو أظهر وجهي الشافعيّة، والثاني: المنع، كما في حقّ الأمّة، وعلى الأوّل هل يشترط لفظ النكاح من جهة النبيّ ﷺ؟ للشافعية وجهان: أحدهما نعم، لظاهر قوله تعالى: ﴿أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ والثاني لا يشترط في حقّ الواهبة، وهل ينعقد نكاحه بمعنى الهبة في حقّ الواهبة، وخاصيّة النبيّ ﷺ ليست في إسقاط المهر، بل في الانعقاد بلفظ الهبة.

الثالث: كان إذا رغب ﷺ في نكاح امرأة فإن كانت خليّة فعليها الإجابة، ويحرم على غيره خطبتها، وللشافعيّة وجه أنّه لا يحرم، وإن كانت ذات زوج وجب على الزوج طلاقها لينكحها لقضيّة زيد، ولعلّ السرّ فيه من جانب الزوج امتحان إيمانه واعتقاده بتكليفه النزول عن أهله، ومن جانب النبيّ ﷺ ابتلاؤه ببليّة البشريّة، ومنعه من خائنة الأعين، ومن الإضمار الّذي يخالف الإظهار كما قال تعالى: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ﴾ ولا شيء أدعى إلى غضّ البصر وحفظه لمجاريه الاتّفاقيّة من هذا التكليف، وليس هذا من باب التخفيفات، كما

قاله الفقهاء، بل هو في حقّه غاية التشديد إذ لو كلّف بذلك آحاد النّاس لما فتحوا أعينهم في الشوارع خوفاً من ذلك، ولهذا قالت عائشة: لو كان ﷺ يخفي آية لأخفى هذه.

الرابع: انعقاد نكاحه بغير وليّ وشهود، وهو عندنا ثابت في حقّه ﷺ وحقّ أُمّته إذ لا نشترط نحن ذلك، وللشافعيّة وجهان.

الخامس: انعقاد نكاحه في الإحرام، وللشّافعيّة فيه وجهان: أحدهما الجواز، لما روي أنّه ﷺ نكح ميمونة محرماً، والثاني المنع كما لم يحلّ له الوطء في الإحرام، والمشهور عندهم أنّه نكح ميمونة حلالاً.

السادس: هل كان يجب عليه القسم بين زوجاته بحيث إذا باتت عند واحدة منهنّ ليلة وجب عليه أن يبيت عند الباقيات كذلك أم لا يجب؟ قال الشهيد الثاني رحمه الله: اختلف العلماء في ذلك، فقال بعضهم: لا يجب عليه ذلك لقوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ ومعنى ترجي تؤخر وتترك إيواءه إليك، ومضاجعته بقرينة قسيمه، وهو قوله: ﴿وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ أي تضمّه إليك وتضاجعه، ثمّ لا يتعيّن ذلك عليك، بل لك بعد الإرجاء أن تبتغي ممّن عزلت ما شئت، وتؤويه إليك، وهذا ظاهر في عدم وجوب القسمة عليه ﷺ، حتّى روي أن بعد نزول الآية ترك القسمة لجماعة من نسائه، وآوى إليه جماعة منهنّ معيّنات، وقال آخرون: بل تجب القسمة عليه كغيره لعموم الأدلّة الدالّة عليها، ولأنّه لم يزل يقسّم بين نسائه حتّى كان يطاف به وهو مريض عليهنّ، ويقول: هذا قسمي فيما أملك، وأنت أعلم بما لا أملك، يعني قلبه ﷺ، والمحقّق رحمه الله استضعف الاستدلال بالآية على عدم وجوب القسمة، بأنّه كما يحتمل أن يكون المشيّة في الإرجاء والإيواء لجميع نسائه يحتمل أن يكون متعلّقاً بالواهبات أنفسهنّ خاصّة، فلا يكون دليلاً على التخيير مطلقاً، وحينئذٍ فيكون اختيار قول ثالث وهو وجوب القسمة لمن تزوّجهنّ بالعقد، وعدمها لمن وهبت نفسها، وفي هذا عندي نظر، لأنّ ضمير الجمع المؤنّث في قوله: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ واللّفظ العامّ في قوله: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾ لا يصحّ عوده للواهبات، لأنّه لم يتقدّم ذكر الهبة إلاّ لامرأة واحدة، وهي قوله: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ فوحّد ضمير الهبة في مواضع من الآية، ثمّ عقبه بقوله: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ فلا يحسن عوده إلى الواهبات، إذ لم يسبق لهنّ ذكر على وجه الجمع، بل إلى جميع الأزواج المذكورات في هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ﴾ الآية، ثمّ عقّبها بقوله: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ الآية، وهذا هو ظاهر في عود ضمير النسوة المخيّر فيهنّ إلى من سبق من أزواجه جمع، وأيضاً فإنّ النبيّ ﷺ لم يتزوّج بالهبة إلاّ امرأة واحدة على ما ذكره المحدّثون

والمفسّرون، وهو المناسب لسياق الآية، فكيف يجعل ضمير الجمع عائداً إلى الواهبات، وليس له منهنّ إلاّ واحدة، ثمّ لو تنزّلنا وسلّمنا جواز عوده إلى الواهبات لما جاز حمله عليه بمجرّد الاحتمال، مع وجود اللّفظ العامّ الشامل لجميعهنّ، وأيضاً فإنّ غاية الهبة أن تزويجه ﷺ يجوز بلفظ الهبة من جانب المرأة أو من الطرفين، وذلك لا يخرج الواهبة عن أن تكون زوجة فيلحقها ما يلحق غيرها من أزواجه، لا أنّها تصير بسبب الهبة بمنزلة الأمة، وحينئذٍ فتخصيص الحكم بالواهبات لا وجه له أصلاً، وأمّا فعله ﷺ فجاز كونه بطريق التفضّل والإنصاف وجبر القلوب، كما قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ انتهى كلامه رحمه الله.

ورجعنا إلى كلام التذكرة: السابع: إنّه كان يجوز للنّبيّ ﷺ تزويج المرأة ممّن شاء بغير إذن وليّها، وتزويجها من نفسه، وتولّي الطرفين من غير إذن وليّهما، وهل كان يجب عليه نفقة زوجاته؟ وجهان لهم، بناء على الخلاف في المهر، وكانت المرأة تحلّ له بتزويج الله تعالى، قال سبحانه في قصّة زيد: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ وقيل: إنّه نكحها بمهر، وحملوا ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ على إحلال الله تعالى له نكاحها، وأعتق ﷺ صفيّة رضي الله عنها وتزوّجها وجعل عتقها صداقها، وهو ثابت عندنا في حقّ أمّته، وجوّز بعض الشافعيّة له الجمع بين المرأة وعمّتها أو خالتها، وأنّه كان يجوز له الجمع بين الأختين، وكذا في الجمع بين الأمّ وبنتها، وهو عندنا بعيدٌ، لأنّ خطاب الله تعالى يدخل فيه النبيّ ﷺ.

وأمّا الفضل والكرامات فقسمان: الأوّل في النكاح، وهو أُمور: الأوّل: تحريم زوجاته على غيره، قال الشهيد الثاني قدّس الله سره: من جملة خواصّه ﷺ تحريم أزواجه من بعده علي غيره، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ وهي متناولةٌ بعمومها لمن مات عنها من أزواجه، سواء كانت مدخولاً بها أم لا، لصدق الزوجيّة عليهما ولم يمت ﷺ عن زوجة في عصمته إلاّ مدخولاً بها، ونقل المحقّق الإجماع على تحريم المدخول بها، والخلاف في غيرها ليس بجيّد، لعدم الخلاف أوّلاً، وعدم الفرض الثاني ثانياً، وإنّما الخلاف فيمن فارقها في حياته بفسخ، أو طلاق، كالّتي وجد بكشحها بياضاً، والمستعيذة، فإنّ فيه أوجهاً أصحّها عندنا تحريمها مطلقاً، لصدق نسبة زوجيّتها إليه ﷺ بعد الفراق في الجملة، فيدخل في عموم الآية، والثاني أنّها لا تحرم مطلقاً، لأنّه يصدق في حياته أن يقال: ليست زوجته الآن، ولإعراضه ﷺ عنها، وانقطاع اعتنائه بها.

والثالث: إن كانت مدخولاً بها حرمت وإلاّ فلا، لما روي أن الأشعث بن قيس نكح المستعيذة في زمان عمر فهمّ برجمها فأُخبر أن النبيّ ﷺ فارقها قبل أن يمسّها فخلاّها، ولم ينكر عليه أحدٌ من الصحابة.

وروى الكلينيّ في الحسن عن عمر بن أذينة في حديث طويل أن النبيّ ﷺ فارق المستعيذة، وامرأة أخرى من كندة، قالت لمّا مات ولده إبراهيم: لو كان نبيّاً ما مات ابنه فتزوّجتا بعده بإذن الأوّلين، وأنّ أبا جعفر عليه السلام قال: ما نهى الله عزّ وجلّ عن شيء إلاّ وقد عصي فيه، لقد نكحوا أزواج رسول الله ﷺ من بعده، وذكر هاتين العامريّة والكنديّة، ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: لو سألتم عن رجل تزوّج امرأة فطلّقها قبل أن يدخل بها أتحلّ لابنه لقالوا: لا، فرسول الله أعظم حرمةً من آبائهم.

وفي رواية أخرى عن زرارة عنه عليه السلام نحوه، وقال في حديثه: وهم يستحلّون أن يتزوّجوا أمّهاتهم؟ وإنّ أزواج النبيّ ﷺ في الحرمة مثل أمّهاتهم إن كانوا مؤمنين.

إذا تقرّر ذلك فنقول: تحريم أزواجه ﷺ لما ذكرناه من النهي المؤكّد عنه في القرآن لا لتسميتهنّ أمهات المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ ولا لتسميته ﷺ والداً، لأنّ ذلك وقع على وجه المجاز لا الحقيقة، كناية عن تحريم نكاحهنّ، ووجوب احترامهنّ، ومن ثمّ لم يجز النظر إليهنّ، ولا الخلوة بهنّ، ولا يقال لبناتهنّ: أخوات المؤمنين، لأنّهنّ لا يحرمن على المؤمنين، فقد زوّج رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام بعليّ عليه السلام، وأختيها: رقيّة وأمّ كلثوم عثمان، وكذا لا يقال لآبائهنّ وأمّهاتهنّ: أجداد المؤمنين وجدّاتهم، ولا لإخوانهنّ وأخواتهن أخوال المؤمنين وخالاتهم، وللشّافعيّة وجه ضعيف في إطلاق ذلك كلّه، وهو في غاية البعد انتهى.

ثمّ قال رحمه الله في التذكرة: الثاني: إنّ أزواجه أمّهات المؤمنين، سواء فيه من ماتت تحت النبيّ، ومن مات النبيّ ﷺ وهي تحته، وليست الأمومة هنا حقيقة، ثمّ ذكر نحواً ممّا ذكره الشهيد الثاني رحمه الله في ذلك.

الثالث: تفضيل زوجاته على غيرهنّ بأن جعل ثوابهنّ وعقابهنّ على الضعف.

الرابع: لا يحلّ لغيرهنّ من الرجال أن يسألهنّ شيئاً إلاّ من وراء حجاب لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ وأمّا غيرهنّ فيجوز أن يسألن مشافهة.

الأول: في غير النكاح، وهو أمور: الأوّل: أنّه خاتم النبيّين ﷺ.

الثاني: إنّ له خير الأمم، لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ تكرمةً له ﷺ وتشريفاً.

الثالث: نسخ جميع الشرائع بشريعته.

الرابع: جعل شريعته مؤبّدة.

الخامس: جعل كتابه معجزاً بخلاف كتب سائر الأنبياء عليهم السلام.

السادس: حفظ كتابه عن التبديل والتغيير، وأقيم بعده حجّةً على النّاس، ومعجزات غيره من الأنبياء انقرضت بانقراضهم.

السابع: نصر بالرعب على مسيرة شهر، فكان العدوّ يرهبه من مسيرة شهر.

الثامن: جعلت له الأرض مسجداً، وترابها طهوراً.

التاسع: أحلّت له الغنائم دون غيره من الأنبياء عليهم السلام.

العاشر: يشفع في أهل الكبائر، لقوله صلى الله عليه وآله: ذخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي.

الحادي عشر: بعث إلى النّاس عامّة.

الثاني عشر: سيّد ولد آدم يوم القيامة.

الثالث عشر: أوّل من تنشق عنه الأرض.

الرابع عشر: أوّل شافع ومشفّع.

الخامس عشر: أوّل من يقرع باب الجنّة.

السادس عشر: أكثر الأنبياء تبعاً.

السابع عشر: أمّته معصومة لا تجتمع على الضلالة.

أقول: قال المحقّق في شرح القواعد: في عدّ هذا من الخصائص نظرٌ، لأنّ الحديث غير معلوم الثبوت، وأمّته صلى الله عليه وآله مع دخول المعصوم عليه السلام فيهم لا تجتمع على ضلالة لكن باعتبار المعصوم فقط، ولا دخل لغيره في ذلك، وبدونه هم كسائر الأمم، على أن الأمم الماضين مع أوصياء أنبيائهم كهذه الأمّة مع المعصوم، فلا اختصاص.

ثم قال في التذكرة: الثامن عشر: صفوف أمّته كصفوف الملائكة.

التاسع عشر: تنام عينه ولا ينام قلبه.

العشرون: كان يرى من ورائه كما يرى من قدّامه، بمعنى التحفّظ والحسّ، وكذلك قوله صلى الله عليه وآله: تنام عيناي ولا ينام قلبي.

الحادي والعشرون: كان تطوّعه بالصلاة قاعداً كتطوّعه قائماً وإن لم يكن عذر، وفي حقّ غيره ذلك على النصف من هذا.

الثاني والعشرون: مخاطبة المصلّي بقوله: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، ولا يخاطب سائر الناس.

الثالث والعشرون: يحرم على غيره رفع صوته على صوت النبيّ.

الرابع والعشرون: يحرم على غيره نداؤه من وراء الحجرات للآية.

الخامس والعشرون: نادى الله تعالى الأنبياء، وحكى عنهم بأسمائهم، فقال تعالى: «يوسف أعرض عن هذا * أن يا إبراهيم * يا نوح» وميّز نبيّنا صلى الله عليه وآله بالنداء بألقابه الشريفة فقال تعالى: «يا أيّها النبيّ * يا أيّها الرسول يا أيّها المزمل * يا أيّها المدثر» ولم يذكر اسمه في القرآن إلاّ في أربعة مواضع شهد له فيها بالرسالة لافتقار الشهادة إلى ذكر اسمه، فقال: «محمد رسول الله * ما كان محمّد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيّين * والذين آمنوا وعملوا الصّالحات وآمنوا بما نزل على محمّد وهو الحقّ من ربهم * برسول يأتي

من بعدي اسمه أحمد» ، وكان يحرم أن ينادى باسمه فيقول: يا محمّد، يا أحمد، ولكن يقول: يا نبيّ الله، يا رسول الله، يا خيرة الله، إلى غير ذلك من صفاته الجليلة.

السادس والعشرون: كان يستشفى به.

السابع والعشرون: كان يتبرّك ببوله ودمه.

الثامن والعشرون: من زنى بحضرته أو استهان به كفر.

التاسع والعشرون: يجب على المصلّي إذا دعاه يجيبه ولا تبطل صلاته، وللشّافعيّة وجه أنّه لا يجب وتبطل به الصلاة.

الثلاثون: كان أولاد بناته ينسبون إليه، وأولاد بنات غيره لا ينسبون إليه، لقوله ﷺ: «كلّ سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلاّ سببي ونسبي» وقيل: معناه أنّه لا ينتفع يومئذٍ بسائر الانساب، وينتفع بالنسبة إليه ﷺ.

مسألة: قال ﷺ: «سمّوا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي» واختلفوا، فقال الشافعي: إنّه ليس لأحد أن يكنّى بأبي القاسم سواء كان اسمه محمّداً أو لم يكن، ومنهم من حمله على كراهة الجمع بين الاسم والكنية، وجوّزوا الإفراد وهو الوجه، لأنّ الناس لم يزالوا بكنيته ﷺ يكنّون في جميع الأعصار من غير إنكار. انتهى.

ويؤيّد ما اختاره رحمه الله ما رواه الكلينيّ والشيخ عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام أن النبيّ ﷺ نهى عن أربع كنى: عن أبي عيسى، وعن أبي الحكم، وعن أبي مالك، وعن أبي القاسم إذا كان الاسم محمّداً.

أقول: هذا جملة ما ذكره أصحابنا وأكثر مخالفينا من خصائصه ﷺ، ولم نتعرّض للكلام عليها وإن كان لبعضها مجال للقول فيه لقلّة الجدوى، ولأنّا أوردنا من الأخبار في هذا الباب وغيره ما يظهر به جليّة الحال لمن أراد الاطّلاع عليه، والله الموفّق للسّداد.

١٢ - باب نادر في اللطائف في فضل نبينا ﷺ في الفضائل والمعجزات على الأنبياء عليهم السلام

١ - **قب:** إنّ كان لآدم عليه السلام سجود الملائكة مرّة فلمحمّد صلوات الله والملائكة والنّاس أجمعين كلّ ساعة إلى يوم القيامة، وإن كان آدم قبلة الملائكة فجعله الله إمام الأنبياء ليلة المعراج فصار إمام آدم عليه السلام، وإن خلق آدم عليه السلام من طين فإنّه خلق من النور، قوله: «كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين» وإن كان آدم أوّل الخلق فقد صار محمّد قبله قوله: «إنّ الله خلقني من نور وخلق ذلك النور قبل آدم بألفي ألف سنة».

وإن كان آدم عليه السلام أبو البشر فمحمّد ﷺ سيّد النذر، قوله ﷺ: «آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة».

وإن كان آدم عليه السلام أوّل الأنبياء فنبوّة محمّد أقدم منه، قوله: «كنت نبيّاً وآدم عليه السلام منخول في طينته».

وإن عجزت الملائكة عن آدم عليه السلام فأعطي القرآن الّذي عجز عنه الأوّلون والآخرون، وإن قيل لآدم عليه السلام: ﴿فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ فقال له: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾.

وإن دخل آدم في الجنّة فقد عرج به إلى قاب قوسين أو أدنى.

إدريس: قوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ أي السّماء، وللنّبيّ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ وناجى إدريس عليه السلام ربّه، ونادى الله محمّداً: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ وأطعم إدريس عليه السلام بعد وفاته، وقد أطعمه الله في حال حياته، قوله صلى الله عليه وآله: «إنّي لست كأحدكم إنّي أبيت عند ربّي ويطعمني ويسقيني».

نوح عليه السلام: جرت له السفينة على الماء وهي تجري للكافر والمؤمن، ولمحمّد صلى الله عليه وآله جرى الحجر على الماء، وذلك أنّه كان على شفير غدير ووراء الغدير تلّ عظيم، فقال عكرمة ابن أبي جهل: يا محمّد إن كنت نبيّاً فادع من صخور ذلك التلّ حتّى يخوض الماء فيعبر، فدعا بالصخرة فجعلت تأتي على وجه الماء حتّى مثلت بين يديه، فأمرها بالرجوع فرجعت كما جاءت.

وأجيبت دعوته على قومه: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ فهطلت له السماء بالعقوبة، وأجيبت لمحمّد بالرحمة حيث قال: «حوالينا ولا علينا» فنوح عليه السلام رسول العقوبة، ومحمّد صلى الله عليه وآله رسول الرحمة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾ دعا نوح لنفسه ولنفر يسير: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ ومحمّد دعا لأمّته من ولد منهم ومن لم يولد: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ وقال له: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ وقال لمحمّد: ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ كانت سفينة نوح عليه السلام سبب النجاة في الدنيا، وذرّيّة محمّد صلى الله عليه وآله سبب النجاة في العقبى قوله: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح» الخبر.

وقال نوح عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ فقيل له: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ ومحمّد لمّا علنت من قومه المعاندة شهر عليهم سيف النقمة، ولم ينظر إليهم بعين المقة. قال حسّان:

وإن كان نوح نجى سالماً ... على الفلك بالقوم لمّا نجى
فإنّ النبيّ نجى سالماً ... إلى الغار في اللّيل لمّا دجى

هود عليه السلام انتصر من أعدائه بالريح، قوله: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ﴾ ومحمّد نصره الله يوم الأحزاب والخندق بالريح والملائكة: قوله: ﴿بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ فزاد الله محمّداً على هود بثلاثة آلاف ملك، وفضّله على هود بأنّ ريح عاد ريح سخط، وريح محمّد صلى الله عليه وآله ريح رحمة قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ﴾ الآية، وصبر هود في ذات الله وأعذر قومه إذ كذب، والنبيّ صلى الله عليه وآله صبر في ذات الله وأعذر قومه إذ كذب وشرد، وحصب بالحصى وعلاه أبو جهل بسلى شاة، فأوحى الله إلى جاجائيل ملك الجبال: أن شقّ الجبال وانته إلى

أمر محمّد ﷺ، فأتاه فقال له: قد أمرت لك بالطاعة، فإن أمرت أطبقت عليهم الجبال فأهلكتهم بها، قال: إنّما بعثت رحمةً اهد قومي فإنّهم لا يعلمون.

صالح عليه السلام: خرجت لصالح ناقة عشراء من بين صخرة صمّاء، وأخرج لنبيّنا ﷺ رجل من وسط الجبل يدعو له ويقول: «اللّهمّ ارفع له ذكراً، اللّهمّ أوجب له أجراً، اللّهمّ احطط عنه وزرا» وعقر ناقته، وعقر أولاد محمّد قال أبو القاسم البارع:

لناقة صالح نادت أناس وقد جسروا على قتل الحسين

وكان صالح ينذر قومه فقيل له: يا صالح ائتنا بعذاب الله، ومحمّد نبيّ الرحمة، قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾ والناقة لم تناطقه ولم تشهد له بالنبوّة وقد تكلّم مع النبيّ صلّى الله عليه نوق كثيرة.

لوط، قال حسّان بن ثابت:

وإن كان لوط دعا ربّه على القوم فاستؤصلوا بالبلا
فإنّ النبيّ ببدر دعا على المشركين بسيف الفنا
فناداه جبريل من فوقه بلبّيك لبّيك سل ما تشا

إبراهيم عليه السلام نظر من المَلك إلى المُلك: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ والحبيب نظر من المُلك إلى المَلك: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾.

الخليل عليه السلام طالب قال: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾ والحبيب مطلوب: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ قال الخليل عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى﴾ وقيل للحبيب: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ وقال الخليل: ﴿وَلَا تُخْزِنِى﴾ وللحبيب: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ﴾ وقال الخليل عليه السلام وسط النار: حسبي الله، وقيل للحبيب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ قال الخليل عليه السلام: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ﴾ وقيل للحبيب ﷺ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ قال الخليل عليه السلام: «وأرنا مناسكنا» وقيل للحبيب ﷺ: ﴿لِنُرِيَهُۥ﴾.

الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ وللحبيب ﷺ: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ الخليل عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى﴾ وللحبيب ﷺ ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ لأجلك.

الخليل عليه السلام بخل على أعدائه بالرزق ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ والحبيب ﷺ سخا بها على الأعداء حتّى عوتب: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ الخليل عليه السلام أقسم بالله: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ وأقسم الله بالحبيب: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ﴾ واتّخذ مقام الخليل قبلة: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ وجعل أحوال الحبيب وأفعاله وأقواله قبلة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ﴾ الخليل عليه السلام كسر أصنام قوم بالخفية غضباً لله، والحبيب كسر عن الكعبة ثلاثمائة وستّين صنماً، وأذلّ من عبدها بالسيف، اصطفى الخليل عليه السلام بعد الابتلاء: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾ واصطفى الحبيب ﷺ قبل الابتلاء: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى﴾ الخليل عليه السلام بذل ماله لأجل

الجليل، وخلق الجليل العالم لأجل الحبيب ﷺ، مقام الخليل عليه السلام مقام الخدمة: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ ومقام الحبيب ﷺ مقام الشفاعة: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ﴾ والشفيع أفضل من الخادم، الخليل عليه السلام طلب ابتداء الوصلة قال: ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ والحبيب ﷺ طلب بقاء الوصلة: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ وللبقاء فضل على الابتداء، صيّر الله حرّ النّار على الخليل عليه السلام برداً وسلاماً، وصيّر السمّ في جوفه سلاماً حين سمّته الخيبريّة، ثمّ سخّر له نار جهنّم الّتي كانت نار الدنيا كلّها جزءاً منها، كان الخليل عليه السلام منادياً بالحجّ والقربان: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ والحبيب منادياً بالإسلام والإيمان: ﴿مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ﴾ قال للخليل عليه السلام: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ وقال للحبيب ﷺ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ قال الخليل: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ﴾ وقيل للحبيب عليه السلام: «لولاك لما خلقت الأفلاك» وقيل للخليل عليه السلام. ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ﴾ والحبيب ﷺ فدي أبوه عبد الله بمائة ناقة، وبارك في أولاد الخليل عليه السلام حتّى عفوا، فأمر داود عليه السلام في أيّامه بإحصائهم فعجزوا عن ذلك، فأوحى الله تعالى إليه لمّا أطاعني بذبح ولده كثرت ذرّيته، والحبيب ﷺ لمّا ابتلي أيضاً بذبح ابنه الحسين عليه السلام كثرت أولاده، وصل الخليل إلى الجليل بالواسطة: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ ووصل الحبيب ﷺ بلا واسطة: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ أراد الخليل عليه السلام رضا الملك في رفع الكعبة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ وأراد الله القبلة في رضا الحبيب: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ كان الابتلاء للخليل أوّلاً، والاجتباء آخراً: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ والحبيب ﷺ ابتداؤه بشارة: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ﴾ سأل الخليل: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ وقال للحبيب ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ الخليل من يخالّك، والحبيب من تخالّه، فلا جرم ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ الخليل: المريد، والحبيب: المراد، الخليل: عطشان، والحبيب: ريّان.

قال صاحب العين: مخرج الحاء أقصى من مخرج الخاء بدرجة، فإنّ الخاء من الحلق، والحاء من الفؤاد، فإذا ذكرت الخليل لم تملأ فاك، لأنّه من الحلق، وإذا ذكرت الحبيب ملأت فاك وقلبك، لأنّه من الفؤاد، قالوا: أظهر الله الخليل، ولم يظهر الحبيب، الجواب أنّه أظهر المحبّة لمتّبعيه، فكيف المتبوع: قوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾.

يعقوب: كان له اثنا عشر ابناً، ومحمّد كان له اثنا عشر وصيّاً، وجعل الأسباط من سلالة صلبه. ومريم بنت عمران من بناته، والهداة في ذرّيته.

قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ﴾ ومحمّد أرفع ذكراً من ذلك، جعلت فاطمة عليها السلام سيّدة نساء العالمين من بناته، والحسن والحسين عليهما السلام من ذرّيته، وآتاه الكتاب المحفوظ لا يبدّل ولا يغيّر، وصبر يعقوب عليه السلام على فراق ولده حتّى كاد يحرض، وصبر محمّد ﷺ على وفاة إبراهيم وعلى ما علم من فحوى ما يجري على ذرّيته.

يوسف عليه السلام إن كان له جمال فلمحمّد ﷺ ملاحة وكمال، قوله ﷺ: كان يوسف عليه السلام أحسن ولكنّني أملح.

وإن كان يوسف في اللّيل نورانيّاً فلمحمّد في الدنيا والعقبى نورانيّ، ففي الدنيا يهدي الله لنوره، وفي العقبى: ﴿أنظُرُونَا نَقْتَبِسْ﴾.

يوسف عليه السلام دعا لمالك بن ذعر ليكثر ماله وولده، قال النبيّ ﷺ: «ستدرك ولداً لي يسمّى الباقر، فإذا لقيته فاقرئه منّي السلام» وقال لأنس: اللّهمّ أطل عمره، وأكثر ماله وولده» فبقي إلى أيّام عمر بن عبد العزيز، وله عشرون من الذكور، وثمانون من الإناث، وكانت شجراته كلّ حول ذوات ثمرتين.

صبر يوسف عليه السلام في الجبّ والحبس والفرقة والمعصية، ومحمّد قاسى من كثرة الغربة والفرقة، وحبس في الشعب ثلاث سنين، وفي الغار ثلاث ليال، وكان ليوسف عليه السلام رؤياه، ولمحمّد: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾.

موسى عليه السلام أعطاه الله اثنتي عشرة عيناً، قوله: ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ ومحمّد أمر البراء بن عازب بغرس سهمه يوم الميضاة بالحديبيّة في قليب جافّة فتفجّرت اثنتا عشرة عيناً حتّى كفت ثمانية آلاف رجل، وكان لموسى عليه السلام انفجار الماء من الحجر، ولمحمّد عليه السلام انفجار الماء من بين أصابعه، وهذا أعجب، وأنزل الله لموسى عموداً من السماء يضيء لهم ليلتهم، ويرتفع نهارهم، ورسول الله أعطى بعض أصحابه عصا تضيء أمامه وبين يديه، وأعطى قتادة بن النعمان عرجوناً، فكان العرجون يضيء أمامه عشراً.

قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ قال ابن عبّاس والضحّاك: اليد، والعصا، والحجر، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمّل، والضفادع، والدم، يروى أن النبيّ ﷺ استتر للوضوء في بعض أسفاره إلى الشام فأحاط به اليهود بالسيوف، فأثار الله من تحت رجله جراداً فاحتوشتهم، وجعلت تأكلهم حتّى أتت على جملتهم، وكانوا مأتي نفر، وقال عليه السلام: «إن بين الركن والصفا قبور سبعين نبيّاً ما ماتوا إلاّ بضرّ الجوع والقمّل» وتبعه قوم يوماً خالياً فنظر أحدهم إلى ثياب نفسه وفيها قمّل، ثمّ جعل بدنه يحكّه، فأنف من أصحابه، وانسلّ، وأبصر آخر وآخر مثل ذلك حتّى وجد كلّهم من نفسه، ثمّ زاد ذلك عليهم حتّى استولى ذلك عليهم فماتوا كلّهم من خمسة أيّام إلى شهرين، وهمّ جماعة بقتله فخرجوا نحو المدينة من مكّة فسلّط الله على مزاودهم وروايهم وسطائحهم الجرذان فخرقتها ونقبتها وسال مياهها، فلمّا عطشوا شعروا فرجعوا القهقرى إلى الحياض الّتي كانوا تزوّدوا منها تلك المياه، وإذا الجرذان قد سبقتهم إليها فنقبت أصولها وسال في الحرّة مياهها، فتماوتوا، ولم ينفلت منهم إلاّ واحد لا يزال يقول: يا ربّ محمّد وآل محمّد، قد تبت من أذاه، ففرّج عنّي بجاه محمّد وآل محمّد، فوردت عليه قافلة فسقوه وحملوه وأمتعة القوم، فآمن بالنبيّ ﷺ، فجعل

رسول الله صلى الله عليه وآله له تلك الجمال والأموال، واحتجم النبيّ صلى الله عليه وآله مرّة فدفع الدم الخارج منه إلى أبي سعيد الخدريّ، وقال: غيّبه، فذهب فشربه، فقال: ماذا صنعت به؟ قال: شربته، قال: أولم أقل لك: غيّبه؟ فقال: قد غيّبته في وعاء حريز، فقال: إيّاك وأن تعود لمثل هذا، ثمّ اعلم أن الله قد حرم على النار لحمك ودمك لما اختلط بدمي ولحمي، واستهزأ به أربعون نفراً من المنافقين، فقال صلى الله عليه وآله: أما إنّ الله يعذبهم بالدم، فلحقهم الرعاف الدائم، وسيلان الدماء من أضراسهم، فكان طعامهم وشرابهم يختلط بدمائهم، فبقوا كذلك أربعين صباحاً، ثمّ هلكوا.

قوله: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ وأعطي أفضل منه، وهو أن نوراً كان عن يمينه حيث ما جلس، وكان يراه الناس كلّهم، وقد بقي ذلك النور إلى قيام الساعة، وكان يحبّ أن يأتيه الحسنان، فيناديهما: هلمّا إليّ، فيقبلان نحوه من البعد قد بلغهما صوته، فيقول بسبّابته هكذا، يخرجهما من الباب، فتضيء لهما أحسن من ضوء القمر والشمس، فيأتيان، ثمّ تعود الإصبع كما كانت، وتفعل في انصرافهما مثل ذلك قوله: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ وله ما روي أن الزبير بن العوام انكسر سيفه في بعض الغزوات فأخذ النبيّ صلى الله عليه وآله خشبة فمسحها من جانبيه، فصارت سيفاً أجود ما يكون وأضربها، فكان يقاتل به، وإنّ الله تعالى قلب جذوع سقوف يهود نازعوه أفاعي، وهي أكثر من مائة جذع، وقصدت نحوهم، والتقمت متاع بيتهم، فمات منهم أربعة، وخبل جماعة وأسلم آخرون، وقالوا: اللّهمّ بجاه محمّد الّذي اصطفيته، وعليّ الّذي ارتضيته، وأوليائهما الّذين من سلّم لهم أمرهم اجتبيته، فأنشر الله الأربعة. قوله: ﴿اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ قال أمير المؤمنين عليه السلام: خرجنا معه يعني النبيّ صلى الله عليه وآله إلى خيبر، فإذا نحن بواد يشخب فقدّرناه فإذا هو أربع عشرة قامة، فقالوا: يا رسول الله العدوّ من ورائنا، والوادي أمامنا، كما قال أصحاب موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال: «اللّهمّ إنّك جعلت لكلّ مرسل دلالةً فأرني قدرتك» وركب فعبرت الخيل لا تندى حوافرها، والإبل لا تندى أخفافها، فرجعنا فكان فتحها، وفي رواية أنس أنّه مطرت السماء ثلاثة أيّام ولياليها بوادي الخزان، فقالوا: يا رسول الله هول عظيم، فقال: أيّها الناس اتّبعوني، وكنت آخر الناس، ولقد رأيت الماء ما بلّ أخفاف الإبل.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ وروي أن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «اللّهمّ العن رعلاً وذكوان، اللّهمّ اشدد وطأتك على مضر، اللّهمّ اجعل سنيهم كسني يوسف» ففي الخبر أن الرجل كان منهم يلحق صاحبه فلا يمكنه الدنوّ، فإذا دنا منه لا يبصره من شدّة دخان الجوع، وكان يجلب إليهم من كلّ ناحية، فإذا اشتروه وقبضوه لم يصلوا به إلى بيوتهم حتّى يتسوّس وينتن، فأكلوا الكلاب الميتة والجيف والجلود، ونبشوا القبور، وأحرقوا عظام الموتى فأكلوها، وأكلت المرأة طفلها، وكان الدخان متراكماً بين السماء والأرض، وذلك

قوله: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ فقال أبو سفيان ورؤساء قريش: يا محمّد أتأمرنا بصلة الرحم؟ فأدرك قومك فقد هلكوا، فدعا لهم، وذلك قوله: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ فعاد إليهم الخصب والدعة، وهو قوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ الآية، انتقم الله لموسى عليه السلام من فرعون، وانتقم لمحمّد ﷺ من الفراعنة: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ كان لموسى عليه السلام عصا، ولمحمّد ﷺ ذو الفقار، خلف موسى عليه السلام هارون عليه السلام في قومه، وخلف محمّد ﷺ عليّاً عليه السلام في قومه: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى» وكان لموسى عليه السلام اثنا عشر نقيباً، ولمحمّد ﷺ اثنا عشر إماماً، كان لموسى عليه السلام انفلاق البحر في الأرض: ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾ ولمحمّد ﷺ انشقاق القمر في السماء وذلك أعجب: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ العصا بلغت البحر فانفلق: ﴿اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ وأشار بالإصبع إلى القمر فانشقّ، وقال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ وقال الله له: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ وقال لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ وقال لمحمّد ﷺ: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ وأعطى الله موسى عليه السلام المنّ والسلوى، وأحلّ الغنائم لمحمّد ﷺ ولأمّته، ولم يحلّ لأحد قبله، وقال في حقّ موسى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ يعني في التيه، والنبيّ ﷺ كان يسير الغمام فوقه، وكلّم الله موسى تكليماً على طور سيناء، وناجى الله محمّداً عند سدرة المنتهى، وكان واسطةً بين الحقّ، وبين موسى عليه السلام، ولم يكن بين محمّد ﷺ وربّه أحد: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ﴾ وليس من مشى برجليه كمن أُسري بسرّه، وليس من ناداه كمن ناجاه، ومن بعد نودي، ومن قرب نوجي، ولم يكلّم موسى عليه السلام إلاّ بعد أربعين ليلةً، ومحمّد ﷺ كان نائماً في بيت أُمّ هاني فعرج به، ومعراج موسى عليه السلام بعد الموعود، ومعراج محمّد ﷺ بلا وعد، واختار موسى قومه سبعين رجلاً، واختير محمّد وهو فريد، ولم يحتمل موسى عليه السلام ما رآه: ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ واحتمل محمّد ذلك: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ﴾ معراج موسى عليه السلام نهاراً، ومعراج محمّد ﷺ ليلاً، ومعراج موسى عليه السلام على الأرض، ومعراج محمّد ﷺ فوق السماوات السبع، أخبر بما جرى بينه وبين موسى عليه السلام، وكتم ما جرى بينه وبين محمّد: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ كأنّه جاء من عند فرعون ﴿جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ كأنّه جاء من عند الله وقال لموسى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ وأخرج النبيّ من مسجده ما خلا العترة، وفي هذا تبيان قوله: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى». حسّان:

لئن كلّم الله موسى على ... شريف من الطور يوم الندا
فإنّ النبيّ أبا قاسم ... حبي بالرسالة فوق السما
وقد صار بالقرب من ربّه ... على قاب قوسين لمّا دنا

وإن فجر الماء موسى لكم عيوناً من الصخر ضرب العصا
فمن كفّ أحمد قد فجّرت عيون من الماء يوم الظما
وإن كان هارون من بعده حبي بالوزارة يوم الملا
فإنّ الوزارة قد نالها علي بلا شك يوم الندا

كعب بن مالك الأنصاريّ:

فإن يك موسى كلّم الله جهرةً على جبل الطور المنيف المعظّم
فقد كلّم الله النبيّ محمّداً على الموضع الأعلى الرفيع المسوّم

داود عليه السلام كان له سلسلة الحكومة ليميّز الحقّ من الباطل، ولمحمّد صلى الله عليه وآله القرآن: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ وليست السلسلة كالكتاب، والسلسلة قد فنيت والقرآن بقي إلى آخر الدهر، وكان له النغمة، ولمحمّد صلى الله عليه وآله الحلاوة: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ وكان له ثلاثون ألف حرس، وكان حارس محمّد هو الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ وسبّحت له الوحوش والطيور والجبال، فالله تعالى وملائكته يشهدون لمحمّد: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ وقال له: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ وألان قلب محمّد بالرحمة والشفاعة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ وألان لهم الصمّ الصخور الصلاب وجعلها غاراً، وكان يحلب الشاة المجهودة، ويمسح ضرعها فيحلب منها كيف شاء، وسخّر له الجبال وكان يسبّحن، وأخذ النبيّ أحجاراً فأمسكها فسبّحن في كفّه، وله الطير محشورةٌ كلّ له أوّاب، ولمحمّد البراق، وقال له: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ وشدّد ملك محمّد حتّى نسخ بشريعته سائر الشرائع، وقال لداود: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ وقال لمحمّد صلى الله عليه وآله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ حسّان:

وإن كان داود قد أوّبت جبال لديه وطير الهوا
ففي كفّ أحمد قد سبّحت بتقديس ربّي صغار الحصى

سليمان سخّرت له الريح: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ يقال: إنّه غدا من العراق، وقال بمرو، وأمسى ببلخ، وأكرم محمّداً بالبراق خطوته مدّ البصر، وقال: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾ وروي أن الحمّرة فجعت بأحد ولدها، فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وآله وقد جعلت ترفّ على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: أيكم فجع هذه؟ فقال رجل من القوم: أنا أخذت بيضها، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: اردده، ومنه كلام البعير والعجل والظبي والشاة والذئب والضبّ، وسخّرت له الجنّ والشياطين، وقال للنبيّ صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾، وقوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ وهو التسعة من أشراف الجنّ بنصيبين واليمن من بني عمرو بن عامر، منهم شصاه، ومصاه، والهملكان، والمرزبان، والمازمان، ونضاه، وهاضب، وعمرو، وبايعوه على العبادات، واعتذروا بأنّهم قالوا على الله شططاً، وسليمان عليه السلام كان يصفدهم لعصيانهم، ونبيّنا أتوه طائعين راغبين، وسأل سليمان ملكاً دنياً: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي

وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾ وعرض مفاتيح خزائن الدنيا على محمّد ﷺ فردّها، فشتّان بين من يسأل وبين من يعطى فلا يقبل، فأعطاه الله الكوثر والشفاعة والمقام المحمود ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ وقال لسليمان: ﴿فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وقال لنبيّنا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾. حسّان بن ثابت:

وإن كانت الجنّ قد ساسها سليمان والريح تجري رخا
فشهر غدوّ به دائبا وشهر رواح به إن يشا
فإنّ النبيّ سرى ليلة من المسجدين إلى المرتقى

كعب بن مالك:

وإن تك نمل البرّ بالوهم كلّمت سليمان ذا الملك الّذي ليس بالعمي
فهذا نبيّ الله أحمد سبّحت صغار الحصى في كفّه بالترنّم

يحيى عليه السلام قال الله تعالى له: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ وكان في عصر لا جاهليّة فيه، ومحمّد ﷺ أوتي الحكم والفهم صبيّاً بين عبدة الأوثان وحزب الشيطان، وكان يحيى عليه السلام أعبد أهل زمانه وأزهدهم، ومحمّد أزهد الخلائق، وأعبدهم، حتّى قيل: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا﴾. حسّان بن ثابت:

وإن كان يحيى بكت عينه صغيراً وطهّره في الصبى
فإنّ النبيّ بكى قائماً حزيناً على الرجل خوف الرجا
فناداه أن طه أبا قاسم ولا تشق بالوحي لمّا أتى

عيسى عليه السلام ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾ ونبيّنا ﷺ أتاه معاذ بن عفرا فقال: يا رسول الله إنّي قد تزوّجت، وقالوا للزوجة: إنّ بجنبي بياضاً، فكرهت أن تزفّ إليّ، فقال: اكشف لي عن جنبك، فكشف له عن جنبه، فمسحه بعود فذهب ما به من البرص، ولقد أتاه من جهينة أجذم يتقطّع من الجذام، فشكا إليه، فأخذ قدحاً من ماء فتفل فيه، ثمّ قال: امسح به جسدك ففعل فبرىء، وأبرأ صاحب السلعة، وأتته امرأة فقالت: يا رسول الله إنّ ابني قد أشرف على حياض الموت، كلّما أتيته بطعام وقع عليه التثاؤب، فقام وقمنا معه، فلمّا أتيناه قال له: جانب يا عدوّ الله وليّ الله، فأنا رسول الله، فجانبه الشيطان، فقام صحيحاً، وأتاه رجل وبه أدرة عظيمة، فقال: هذه الأدرة تمنعني من التطهير والوضوء، فدعا بماء فبرك فيه ودعاه وتفل فيه، ثمّ أمره أن يفيض عليه، ففعل الرجل، وأغفى إغفاءة وانتبه فإذا هي قد تقلّصت، وجاءت امرأة ومعها عكّة سمن وأقط ومعها ابنة لها فقالت: يا رسول الله ولدت هذه عمهاء، فأخذ رسول الله ﷺ عوداً فمسح به عينيها فأبصرتا. ومنه حديث قتادة بن ربعي ومحمّد بن مسلمة وعبد الله بن أنيس.

قوله: ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قال الكلبيّ: كان عيسى عليه السلام يحيي الأموات بيا حيّ يا

قيّوم، وقيل إنّه أحيى أربعة أنفس، وهم عاذر، وابن العجوز، وابنة العاشر، وسام بن نوح، قال الرضا عليه السلام: لقد اجتمعت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه أن يحيي لهم موتاهم، فوجه معهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: اذهب إلى الجبّانة فناد باسم هؤلاء الرهط الّذين يسألون عنهم بأعلى صوتك: يا فلان، ويا فلان، ويا فلان، يقول لكم رسول الله: قوموا بإذن الله، فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم، فأقبلت قريش تسألهم عن أمورهم، ثمّ أخبروهم أن محمّداً قد بعث نبيّاً، فقالوا: وددنا أنّا أدركناه فنؤمن به، وأحيى صلى الله عليه وآله النفر الّذين قتلوا يوم بدر فخاطبهم وكلّمهم وعيّرهم بكفرهم.

قوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾ ومحمّد صلى الله عليه وآله كان ينبيء بأشياء كثيرة، منها: قصّة حاطب بن أبي بلتعة، وإنفاذ كتابه إلى مكّة، ومنها قصّة عبّاس وسبب إسلامه.

ابن جريح في قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ إنّ الله تعالى أعطى عيسى عليه السلام تسعة أشياء من الحظّ، ولسائر الناس جزءاً وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أوتيت القرآن ومثليه. أنشد:

وإن كان من مات يحيي لكم ... يناديه عيسى بربّ العلى
فإنّ الذراع لقد سمّها ... يهود لأحمد يوم القرى
فنادته إنّي لمسمومة ... فلا تقربنّي وقيت الأذى[1]

بيان: الحمّرة بضمّ الحاء وتشديد الميم المفتوحة: ضرب من الطير كالعصفور.

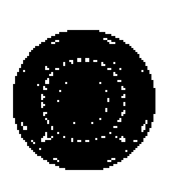
٢ - **قب:** قد مدح الله اثني عشر من الأنبياء باثني عشر نوعاً من الطاعة: مدح إسحاق عليه السلام ويعقوب عليه السلام بالطاعة: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ولعيسى بالزهادة، قيل له: لو اتّخذت منزلاً أو اشتريت دابّة، فقال ما قال، ولسليمان بالسخاء، وكان يطعم كلّ يوم سبعمائة جريب من الحوّارى، وهو يأكل الخشكار، ولإبراهيم عليه السلام بالرحمة: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾، وفيه قصّة المجوس الّذين أسلموا من ضيافته، ولنوح عليه السلام بالصلابة: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ وأيضاً من موسى وهارون عليهما السلام: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ﴾ فبالغ نبيّنا صلى الله عليه وآله في هذه الخصال حتّى نهاه عن ذلك: الاستغفار: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ المجاهدة: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ العبادة: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا﴾ الزهد: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ وفيه حديث مارية، وعرض عليه مفاتيح الدنيا فأبى، السخاء: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾ الرحمة: ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ وقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ الصلابة: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ وفيه قصّة ابن مكتوم. الإنذار: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ عيب آلهتهم: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

وإنه تعالى أقسم لأجله بخمسة عشر قسماً: بهدايته: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ برسالته:

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٦٦.

﴿يسٓ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ﴾ بوليّ عهده: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ بمعراجه: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ بشريعته: ﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ②﴾ بكتابه: ﴿قٓ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ ①﴾ بخلقه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ بخلقه: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ﴾ بزيادة نوافله: ﴿طه ① مَا أَنزَلْنَا﴾ بطهارته: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ ببلده: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ بمحبّته: ﴿وَالضُّحَىٰ ① وَاللَّيْلِ﴾ بتهديد مؤذيه: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ بعقوبة أعدائه: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ بعمره: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ومن شدّة فرط المحبّ أن يحلف بعمر حبيبه، وكلّ ما سأل الأنبياء من الله تعالى أعطاه الله بلا سؤال: آدم عليه السلام: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾ وله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ نوح عليه السلام: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ﴾ وله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ وله ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ شعيب عليه السلام: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا﴾ وله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ لوط عليه السلام: ﴿رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ﴾ وله: ﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ﴾ موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ وله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ موسى عليه السلام: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ وله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾.

المقام أربعة: مقام الشوق لشعيب عليه السلام حيث بكى من خوف الله، ومقام السّلام لإبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ومقام المناجاة لموسى عليه السلام: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ ومقام المحبّة للنبيّ ﷺ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ وسمّى الله تعالى نوحاً شكوراً: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ وإبراهيم عليه السلام حليماً: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ وموسى عليه السلام كليماً: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ وجمع له كما جمع لنفسه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ قيل: هما واحد، وقيل: الرؤوف: شدّة الرحمة، رؤوف بالمطيعين، رحيمٌ بالمذنبين، رؤوف بأقربائه رحيمٌ بأصحابه، رؤوف بعترته، رحيم بأمّته، رؤوفٌ بمن رآه، رحيمٌ بمن لم يره[1].



(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٨٢.

فهرس الجزء الخامس عشر

الموضوع الصفحة

فهرس الجزء السادس عشر